

رسائل جامعية

الملكي والمدني

في القرآن الكريم

دراسة تأصيلية نقدية للسور والآيات
من أول القرآن الكريم إلى نهاية سورة الإسراء

تأليف
عبد الرزاق حسين أحمد

المجلد الأول
(الدراسة والسور)

دار ابن عفان
للنشر والتوزيع

الملك المديني
في القرآني الكريم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٠ م - ١٩٩٩ م

دار ابن عفان

للنشر والتوزيع

القاهرة - المجيزة - ت: ٣٢٥٥٨٢٠ - ص ب: ٨ بين السرايات
جمهورية مصر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب في الأصل رسالة علمية تقدم بها الباحث لنيل درجة العالمية
" الماجستير " من قسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
وقد تكونت لجنة المناقشة من أصحاب الفضيلة :

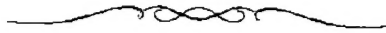
فضيلة الشيخ الدكتور / حكمت بشير ياسين مشرفاً

فضيلة الشيخ الدكتور / عبد الله بن عمر الشنقيطي عضواً

فضيلة الشيخ الدكتور / محمد بن عمر حوية عضواً

وناقشت الرسالة بتاريخ ١٤/٦/١٤١٧هـ

وقد أحيزت بتقدير " ممتاز "



شذرات من أقوال أهل العلم حول أهمية المكي والمدني

١- « والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت ، وما أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبليغه الإبل لركبت إليه »

ابن مسعود رضي الله عنه كما في صحيح البخاري [الفتح (٦٦٢/٨)]

٢- « ويجب أن تعلم المكي من السور من المدني ، فذلك مما يقوي ويفهم معرفة الناسخ والمنسوخ » .

مكي بن أبي طالب في الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (ص : ١١٣ - ١١٤)

٣- « وينبغي له أن يعرف المكي من المدني ، ليفرق بين ما خاطب الله به عباده في أول الإسلام ، وما نديهم إليه في آخره وما فرض في أول الإسلام ، وما زاد عليهم من الفرائض في آخره ، فالمدني هو الناسخ للمكي في أكثر القرآن » .

القرطبي في تفسيره (٢١/١)

٤- « ومنهم من يستثني من المكي آيات يدعي أنها من المدني ، كما في سورة الحج وغيرها ، والحق ما دل عليه الدليل الصحيح » .

الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن (ص : ١٢)

٥- « واعلم أن نزول آيات القرآن وأسبابه ، وترتيب نزول السور المكية والمدنية من أشرف علوم القرآن ، وترتيب نزول الخواص في التفسير أن يفرق بين الآية التي نزلت بمكة وحكمها مدني ، والتي نزلت بالمدينة وحكمها مكي ، والتي اختلف فيها ، فذهب بعضهم إلى أنها مكية وبعضهم إلى أنها مدنية » .

الفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز (١٠٠/١)

٦- « واعلم أن هذا العلم له نفع عظيم لا يكاد يستغني عنه المفسر لكتاب الله تعالى » .

ابن عقيلة المكي في الزيادة والإحسان في علوم القرآن (١١ق/ب)

٧- « إن دراسة علوم القرآن ضرورة لا غنى عنها لمن ينصب نفسه للتفسير ، فتمييز المكي والمدني يفيد المفسر كثيراً » .

د. مصطفى زيد في دراسات في التفسير (ص : ٢٣)

تقرير فضيلة الأستاذ الدكتور / حكمت بشير ياسين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى من والاه ،
أما بعد :

فإنَّ هذا البحث الموسوم بعنوان « تحرير القول في السور والآيات المكية والمدنية »^(١) للشيخ عبد الرزاق حسين أحمد من بواكير الأعمال النقدية في علم التنزيل المكي والمدني ، وهو موضوع يحتاج إلى مصادر أصلية ، ورواية صحيحة ، ودراية دقيقة في التعرف على أقوال العلماء وطريقة غربلتها للتوصل إلى القول الفيصل ، ومن فضل الله تعالى على الباحث أنه استطاع أن يخوض غمار هذا الموضوع ، وتمكن أن يسدَّ ثغرة في المكتبة الإسلامية ، وذلك بما أوتي من صبر وجلد على الاستقراء ومتابعة المصادر والمراجع بمختلف أنواعها وأصنافها في مجال هذا الموضوع ، فقد بذل جهوداً طيبة ونافعة في جمع المادة العلمية ، وفي جمع أقوال العلماء واختيار القول الراجح بعد النقد والتمحيص والبحث عن أقوال النقاد المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين ، ومن خلال هذه الجهود رأيت في الباحث معالم الجدِّية ، والأمانة العلمية ، والتجرد من الأهواء ، والاعتماد على الدليل الصحيح بالإسناد الصحيح .

وموضوع هذا البحث له أهمية كبرى في معرفة علم الناسخ والمنسوخ ، والمسائل الفقهية التي تعتمد على علم الناسخ والمنسوخ ، كما

(١) مما تنبغي الإشارة في هذا المقام أنني غيّرت عنوان الرسالة إلى (المكي والمدني في القرآن الكريم) : دراسة تأصيلية نقدية للسور والآيات من أول القرآن إلى نهاية سورة الإسراء (عند دفعها إلى النشر ، وذلك بعد استشارة بعض أساتذتي الفضلاء .

له أهمية في معرفة تاريخ التشريع الإسلامي ، وتاريخ ومكان نزول القرآن الكريم ، وقد اهتم بهذا العلم كبار الصحابة رضي الله عنهم من المفسرين ، فقد ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت ، وما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت » ونحو هذا ورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فاعتنوا بهذا العلم عناية فائقة ، ومن أجل ذلك أخذ التابعون هذا العلم عن الصحابة رضي الله عنهم ، وانبروا للكتابة فيه ؛ فأفردوه بمؤلفات مستقلة كالزهري وعكرمة مولى ابن عباس والحسن البصري رحمهم الله ، ثم جاء بعد هذه الطبقة من المفسرين طبقات أخرى أخذوا هذا العلم ودونوه إما في كتب مستقلة أو ضمنوه في مقدمات تفاسيرهم في أنواع علوم القرآن ، واستمر هذا الاهتمام بهذا العلم من المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين ، وكثرت الأقوال وحذفت الأسانيد فنُسبت أقوال إلى الصحابة رضي الله عنهم وإلى التابعين رحمهم الله ، فجاءت كثير من الأقوال مختلفة ومضطربة ؛ من أجل ذلك صدرت نداءات ونصائح العلماء لتحرير القول في هذا الموضوع ، فاستجاب الباحث جزاه الله خيراً ، وكتب في هذا الموضوع ، وحقَّق الهدف المنشود . والله وليّ التوفيق .

وكتبه

أ. و. حكمت بشير ياسين

(المشرف على هذه الرسالة)

والأستاذ بقسم التفسير وعلوم القرآن

بالدراسات العليا بالجامعة الإسلامية

بالمدينة المنورة

تقرير فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد العزيز محمد عثمان

الحمد لله الذي نور الوجود بالقرآن - آخر إشراق السماء إلى الأرض - وأنزله على أفضل خلقه وخاتم رسله ، فبلغه وبيّنه ، وكان أول العاملين به ، صلى الله عليه وعلى آله وصحابه والتابعين هديه .

وبعد :

فعلوم القرآن واكبت نزوله منذ كلماته الأولى ، وظلت تنمو مع توالي هذا الإشراق من السماء ، ولم يكن الناس في زمان الوحي بحاجة إلى إفاضة القول في علوم القرآن ، ذلك أنهم عاينوا ملابسات النزول فكان حرياً أن يستقر النص في افئدتهم مقترناً بتلك الملابسات والتطبيق العملي لتعاليم الشرع الحنيف الوارد في تلك النصوص .

ومضى علوم القرآن - كغيره من العلوم - تتشعب مسائله وقضاياه ، وتتأصل مصطلحاته ، وتشتجر الآراء والمذاهب في كيفية الأخذ منه ، وبخاصة عند ما استحوز علم أصول الفقه على جلّ أبوابه ، وأدرج في طياتها البراهين العقلية مما كان له أثره في دراسته كعلم مستقل .

ومع تمايز المصطلحات بين السلف والخلف وتحديد الأطر التي بنوا عليها دراساتهم ، إلا أنّ علوم القرآن ظلت حبيسة التقليد بعد السيوطي - رحمه الله - وأكثر من جاء بعده كانوا ضيوف مائدتته ، يأخذون منها ما يشتهون وتقف مداركهم عند ذلك ، فالمسلّمات القديمة هي هي ، بل والأمثلة الواردة عند الأقدمين هي هي ، مع ما يحويه القرآن من نظائرها . وتناول علوم القرآن بالدراسة النقدية المرتكزة على النقول الصحيحة،

ثم إعمال الفكر في استخلاص المقاصد التي ينحو إليها الشرع بعد إجمالة النظر في كلّ النصوص المشابهة للنصّ الواحد مع مراعاة عدم إخراجها مما سبقه وما لحقه من نصوص جاورته من ألزم لوازم فهم القرآن .

وأحد هذه العلوم التي تكلم الناس فيها بالاجتهاد في أغلب الأحوال (المكي والمدني) ، وهو علمٌ مهمٌ في معرفة مراحل التدرّج التشريعي ، وأهمّ من ذلك هو العلم الذي يُظهر جانباً كبيراً من جوانب إعجاز القرآن ، إذ إنّ سبك القرآن بهذه الصورة - وقد نزل نجوماً - فتشابهك المكي مع المدني وتعاقد في صورة لا تكاد تلمس فيها أنّ الكلام قد انتقل من قضية إلى قضية أخرى ، أو من حقبة إلى حقبة جاءت بعدها بزمان (١) - وليس ذلك لأحد من الخلق - فكيفية بناء القرآن بهذه الصورة المعجزة هو الشغل الشاغل لدى المتأملين في عصرنا .

ومما يثلج الصدر أن يقوم بعض الباحثين - وهم قلّة - بدراسات حول علوم القرآن ليخرجوا بها من ميدان التقليدية إلى رحاب الفهم الصحيح ، ومن هؤلاء تلميذنا الباحث عبد الرزاق حسين الذي كتب بحثه بعنوان (تحرير القول في السور والآيات المكية والمدنية من أول القرآن إلى نهاية سورة الإسراء) ، وبذل في ذلك جهداً حالفه التوفيق ، ونَبّه الأذهان إلى أنّ ما كان يؤخذ بالتسليم ليس مسلماً بل مجال القول فيه لا يزال فسيحاً .

(١) اقرأ سورة العلق .

ومع ذلك فإنَّ الباحث قد أكثر من المقدمات الممهّدات متأثراً بما
درج عليه المعاصرون من ذكر عمل لأدنى ملابسة والإفاضة فيها ،
أسأل الله أن يجعل بحثه فاتحة خير لأبحاثٍ تليه تفيض بخير كثيرٍ على
الأمة .

والحمد لله أولاً وآخراً ، ظاهراً وباطناً .

أ. و. عبد العزيز محمد عثمان

رئيس قسم الدراسات القرآنية بكلية المعلمين بالمرينة المنورة

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .
 ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢) .

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ﴾ (٣) .
 أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار (٤) .

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٠٢) .

(٢) سورة النساء ، الآية (١) .

(٣) سورة الأحزاب ، الآيتان (٧٠-٧١) .

(٤) هذه الخطبة تسمى خطبة الحاجة ، أخرجها مسلم في صحيحه (٥٩٢/٢) برقم (٨٦٧) ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، وأخرجها أصحاب السنن أيضاً ، وللشيخ الألباني رسالة في تفريجها .

إن القرآن الكريم كلام الله - عز وجل - لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أنزله على رسوله ﷺ هداية للناس ، ومرشداً إلى الصراط المستقيم ، وتكفل الله بحفظه إلى يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١).

ولقد قام رسول الله ﷺ بتبليغ هذا الكتاب وتعليمه لأمته ، كما قام صحابته - رضوان الله عليهم - من بعده بحمل تلك الأمانة إلى من بعدهم ، وهكذا تستنير به الأجيال جيلاً بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (٢).

وحسبك في شرف هذا الكتاب أن تعلم أن المكتبة الإسلامية كلها بعلومها المختلفة الكثيرة إنما انبثقت عن القرآن وتفرعت عنه . قال الزركشي - رحمه الله - : « وكلُّ علم من العلوم منتزع من القرآن وإلا فليس له برهان » (٣).

ومن هنا اعتنى علماء المسلمين بهذا الكتاب الكريم عناية فائقة ، والناظر في المكتبة الإسلامية يرى ثمار جهودهم تلك في تصانيفهم المتعددة، فمنهم من اعتنى بأسباب نزوله ، ومنهم من اعتنى بناسخه ومنسوخه ، ومنهم من اعتنى بذكر مكيه ومدنيه ، ومنهم من اعتنى ببيان

(١) سورة الحجر ، الآية (٩) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية (٩) .

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/٨) .

ألفاظه الغريبة وإعرابه ، ومنهم من اعتنى بذكر أحكامه ، ومنهم من اعتنى بمحكمه ومتشابهه ... إلى غير ذلك من العلوم القرآنية التي عرفت باسم « علوم القرآن » .

وكان هدفهم الأساسي في خدمة تلك العلوم خدمة هذا الكتاب الكريم ، وتسهيل فهمه ومعانيه ، ولعل المقدمات التي تضمنتها بعض كتب التفاسير ، كالطبري ، وابن عطية ، والقرطبي ، وابن النقيب ، وابن جزري ، خير شاهد على ذلك .

ولما كان موضوع « المكي والمدني » مبحثاً من تلك المباحث القرآنية المهمة اخترت أن يكون موضوع بحثي لنيل درجة الماجستير ، وتتلخص أسباب اختياري لهذا الموضوع فيما يلي :

أولاً : رغبت في المشاركة في خدمة هذا الكتاب الكريم وعلومه التي هي أشرف العلوم وأجلها .

وعلم تفسير الكتاب أعلى ما يعتني المرء به وأجلى
لأنه فهم الخطاب المولى فكان أوفى مطلب وأولى (١)
ثانياً : أهمية هذا الموضوع من بين الأبحاث القرآنية الأخرى ، مما جعل سلفنا الصالح يعتنون بهذا الموضوع أيما عناية .

فهاهو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - يقول : « والله

(١) من أبيات العز الديري في منظومته التفسيرية « التيسير في علم التفسير » ، وتوجد نسخة غير مرقمة من المنظومة في مكتبة مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى .

الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت ،
ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، ولو أعلم أحداً
أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»^(١).

ثالثاً : أهميته في معرفة تاريخ التشريع ، والناسخ والمنسوخ ،
والأحكام الفقهية .

يقول أبو جعفر النحاس - رحمه الله - : « وإنما يذكر ما نزل بمكة
والمدينة ؛ لأن فيه أعظم الفائدة في الناسخ والمنسوخ ؛ لأن الآية إذا كانت
مكية ، وكان فيها حكم ، وكان في غيرها مما نزل بالمدينة حكم غيره علم
أن المدنية نسخت المكية »^(٢).

رابعاً : أن معرفة المكي والمدني من المباحث المهمة التي يحتاج إليها
من يتصدى لتفسير كتاب الله تعالى .

أخرج الخطيب البغدادي - رحمه الله - في « الفقيه والمتفقه »
بسنده عن الشافعي قال : « لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجلاً
عارفاً بكتاب الله بناسخه ومنسوخه ، وبمحكمه ومتشابهه ، وتأويله
وتنزيله ، ومكيه ومدنيه ، وما أريد به وفيما أنزل ، ثم يكون بعد ذلك
بصيراً بحديث رسول الله ﷺ وبالناسخ والمنسوخ ، ويعرف من الحديث ما
عرف من القرآن ... »^(٣).

(١) انظر تخريجه (ص : ٥٩) .

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٦١١/٢) .

(٣) (١٥٧/٢) .

ويقول الإمام أبو القاسم النيسابوري بعد تعداده خمسة وعشرين
وجهاً من أوجه المكي والمدني : « فهذه خمسة وعشرون وجهاً من لم
يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله عز وجل » (١).

خامساً : أنني لم أجد - حسب اطلاعي القاصر - من تناول هذا
الموضوع بالتحريير والتمحيص بين رواياته المختلفة وأقواله المتضاربة ،
فكل من كتب هذا الموضوع لم يخرجوا عن إطار التعريف ، وذكر
الضوابط والخصائص .

سادساً : أشار إلى جدارة هذا الموضوع بالبحث والدارسة غير واحد
من المتخصصين في علوم القرآن في عصرنا هذا .

يقول الزرقاني - رحمه الله - في حديثه عن المكي والمدني : « ليس
من غرضنا في هذا المبحث أن نستقصي بالتفصيل والتدليل آيات القرآن
الكريم وسوره ، وأن نحقق ما كان منها مكيّاً وما كان مدنيّاً ، فتلك
محاولة كبيرة جديدة أن تفرد بالتأليف » (٢).

ويقول الدكتور صبحي الصالح - رحمه الله - : « ولعلنا لا نرتاب -
إذا وضعنا العلوم القرآنية موضع الموازنة - في أن العلم بالمكي والمدني
أحوجها إلى تمحيص الروايات وتحقيق النصوص ، والتحاكم إلى التاريخ
الصحيح » (٣).

(١) التنزيل وترتيبه لأبي القاسم النيسابوري (٢٢٢ق/ب) .

(٢) مناهل العرفان للزرقاني (١٩٢/١) .

(٣) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (ص : ١٦٧)، وانظر أيضاً : المدخل لدراسة القرآن
الكريم لأبي شهبة (ص : ٢١٩)، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص : ١٦٧) .

سابعاً : تعالت الأصوات والصيحات في بعض الهيئات العلمية والمؤسسات الرسمية بضرورة إبعاد ذكر الآيات المستثناة من السور بين يدي السور في المصحف الشريف ، وأن الأولى والأحرى إفراد هذا الموضوع بدراسة مستقلة ، تفصل فيها أقوال أهل العلم ، ويبين الراجح من المرجوح .

جاء في التقرير العلمي الذي أعدته لجنة مراجعة مصحف المدينة النبوية ما نصه : «نظرنا في هذه المعلومات - أي المضافة عادة إلى المصحف - فوجدناها تنقسم إلى قسمين : قسم يضاف عادة أثناء النص القرآني وفي نطاقه ، وهو : أسماء السور وعدد آيها ، والمكي والمدني ، وما يستثنى من الآيات من ذلك ...

وقسم يضاف في حواشي الصفحات إما في أعلى الصفحة كاسم السورة ورقم الجزء ، أو في جانب الصفحة كرموز الأجزاء والأحزاب والأرباع والأعشار والأخماس .

أما القسم الأول فلم نتردد في حذفه واستبعاده من المصحف - ما عدا أسماء السور - ؛ لأنه يذكر في موضع خطير هو محل تحذير السلف ، وهو نطاق النص القرآني ، ولأن هذه المعلومات محل ذكرها كتب التفسير وعلوم القرآن ، حيث يمكن هناك تفصيل الأقوال فيها وبيان الراجح من المرجوح» (١).

(١) التقرير العلمي عن مصحف المدينة النبوية ، حرره فضيلة الدكتور عبد العزيز القارئ (ص : ٣٥-٣٦) ، وانظر أيضاً نداء مشيخة الأزهر في هذا المجال : مجلة الأزهر ، المجلد ٩ (٣٧٦-٣٦٩) .

ثامناً : حاجة المكتبة الإسلامية بوجه عام ، والقرآنية بوجه خاص إلى دراسات نقدية؛ إذ بعض أنواع علوم القرآن بحاجة إلى صياغة جديدة متقنة تعتمد على بناء السابقين، ولا تكتفي بما يقال في مباحثها من غير دليل .

ولعل هذه الدراسة تكون من اللبنة المتواضعة التي تسد ذلك الفراغ، وتدفع الباحثين في هذا الميدان إلى مزيد من الجهد لخدمة الدراسات القرآنية .

تاسعاً : استخرت الله - عز وجل - للمضي قدماً في هذا الموضوع، فانشرح صدري له ، مع ما كنت أشعر به من وعورة في الطريق ، وعظم المسؤولية ، وضخامة المهمة .

خطة البحث

قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة .
أما المقدمة فقد ذكرت فيها أهمية الموضوع ، وسبب اختياري له ،
وخطة البحث ، والمنهج الذي سرت عليه فيه ، وختمتها بكلمة شكر
وتقدير .

وأما أبواب الرسالة فكانت على النحو التالي :

الباب الأول : مقدمات في علم المكي والمدني

وفيه عشرة مباحث :

المبحث الأول : تعريفات للمكي والمدني .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : المقصود بعنوان الرسالة .

المطلب الثاني : تعريف المكي والمدني لغوياً .

المطلب الثالث : تعريف المكي والمدني بمعناه العام .

المطلب الرابع : تعريف المكي والمدني بمعناه المراد به بتحديد

مصطلح كل منهما .

المبحث الثاني : التأليف في المكي والمدني قديماً وحديثاً

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مرحلة نشأة علم المكي والمدني .

المطلب الثاني : مرحلة التأليف والتدوين .

المطلب الثالث : مرحلة الدراسات المعاصرة .

المبحث الثالث : علاقة المكي والمدني ببعض أبواب علوم القرآن
وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : العلاقة بين المكي والمدني وبين أسباب النزول .
- المطلب الثاني : العلاقة بين المكي والمدني وبين النسخ والمنسوخ
- المطلب الثالث : العلاقة بين المكي والمدني وبين فضائل القرآن .
- المبحث الرابع : أسباب الاختلاف في تعيين المكي والمدني
- المبحث الخامس : فوائد معرفة المكي والمدني
- المبحث السادس : القواعد التي يقوم عليها علم المكي والمدني .
- وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : تعريف القواعد لغة واصطلاحاً
- المطلب الثاني : ذكر القواعد التي يقوم عليها علم المكي والمدني
- المبحث السابع : ضوابط المكي والمدني ومميزاتها
- وفيه ثلاثة مطالب :
- المطلب الأول : ضوابط المكي والمدني .
- المطلب الثاني : مميزات المكي والمدني .
- المطلب الثالث : عرض المنهج القرآني في الحديث عن بني إسرائيل في المرحلة المكية .

المبحث الثامن : المفسرون الذين اعتنوا بذكر المكي والمدني
- دراسة استعراضية موجزة -

- وفيه مطلبان :
- المطلب الأول : المفسرون القدامى واهتمامهم بذكر المكي والمدني
- من خلال أربعة مؤلفات

المطلب الثاني : الدراسات التفسيرية المعاصرة واهتمامها بذكر
المكي والمدني من خلال أربعة مؤلفات من تلك
الدراسات .

المبحث التاسع : بعض الشبهات التي أثّرت حول المكي والمدني
والرد عليها

المبحث العاشر : الصلات التي تتعلق بالمكي والمدني
وفيه تسعة مطالب :

المطلب الأول : الحضري والسفري

المطلب الثاني : النهاري والليلي

المطلب الثالث : الصيفي والشتائي

المطلب الرابع : الفراشي والنومي

المطلب الخامس : ما نزل مفرداً وما نزل جمعاً

المطلب السادس : ما نزل مشيعاً وما نزل مفرداً

المطلب السابع : ما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله
عن حكمه

المطلب الثامن : ما نزل بمكة وحكمه مدني وما نزل بالمدينة
وحكمه مكي

المطلب التاسع : القرآن المُحمَّل .

الباب الثاني : تحرير القول في السور

وفيه تمهيد وثلاثة فصول :

أما التمهيد فيتضمن ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف السورة لغة واصطلاحاً .

المبحث الثاني : حكم ترتيب سور القرآن .
المبحث الثالث : دراسة عن أسانيد الروايات التي تتكرر في الباب .

وأما الفصول فهي على النحو التالي :

- الفصل الأول : السور المتفق على مكيتها .
- الفصل الثاني : السور المتفق على مدنيتهما .
- الفصل الثالث : السور المختلف فيها .

الباب الثالث : تحرير القول في الآيات

وهذا الباب صلب الدراسة وقلبها النابض ؛ إذ أوردت فيه جميع الآيات اللاتي قيل إنهن مستثناة من سورهن من أول القرآن إلى نهاية سورة الإسراء ، ودرست تلك المستثنيات دراسة نقدية من حيث الرواية والدراية .

ويشتمل على تمهيد وأربعة فصول :

أما التمهيد فيتضمن مبحثين :

المبحث الأول : تعريف الآية لغة واصطلاحاً .

المبحث الثاني : حكم ترتيب آيات القرآن الكريم .

وأما الفصول فهي على النحو التالي :

- الفصل الأول : الآيات المدعى مكيتها في السور المدنية .
- الفصل الثاني : الآيات المدعى مدنيتهما في السور المكية .
- الفصل الثالث : الآيات المدنية في السور المكية .

الفصل الرابع : الآيات المكية التي تكرر نزولها بالمدينة .

هذا وقد كانت القسمة العقلية في هذا الباب تقتضي أن يضاف إليه

فصل بعنوان : الآيات المكية في السور المدنية ، إلا أنني لم أقف - حسب

اطلاعي - من خلال هذا القسم المدروس على آية مكية في سورة مدنية
صح استثناؤها ، فكل ما قيل في هذا الباب دعاوي لا تصمد أمام البحث
والتحقيق العلمي .
وأخيراً تأتي الخاتمة : وفيها النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث .

منهجي في هذا البحث

إن المنهج الذي سرت عليه في إعداد هذا البحث تركز على المنهجية التالية :

منهجي في دراسة الآيات :

أولاً : تتبعت الآيات اللاتي قيل إنهن مستثناة من سورهن من كتب التفاسير بمختلف أنواعها مطبوعاً ومخطوطاً ، وكتب علوم القرآن ، أو أي مصدر علمي معتمد علمت فيه وجود بغيتي .

ثانياً : بعد ذلك التبع والاستقراء قمت بدراسة تلك المستثنيات دراسة نقدية وتقويمها تقويماً علمياً حسب ما تقتضيه أمانة البحث في ذلك .

ثالثاً : عند ذكر الآية المستثناة من السورة أذكر من قال بذلك الاستثناء ، ومستنده في ذلك ، ثم أعقب بعد ذلك بمناقشة ذلك المستند . وإذا كان الخلاف قوياً في الآية - كأن تكون هناك أقوال عديدة في الآية - فإنني أعرض أدلة كل فريق ، وأذكر ما لهذه الأدلة وما عليها ، وأخيراً أذكر القول الراجح مبيناً وجه الترجيح ، وقد أورد اعتراضات واردة على القول الذي رجحته ثم أجيب عنها .

رابعاً : عقت على دراسة كل آية بملخص موجزة ضمنيتها النتيجة التي توصلت إليها في دراسة تلك الآية .

منهجي في دراسة السور :

أولاً : أن ضابط الاتفاق في الحكم على السورة بأنها مكية أو مدنية هو اتفاق أهل التفسير في ذلك ؛ إذ هم أهل الفن .

قال الرازي - رحمه الله - : « المتبر بالإجماع في كل فن أهل الاجتهاد في ذلك الفن » (١).

ثانياً : ضابط الخلاف في السورة المختلف فيها هو الخلاف المتبر الذي يستند إلى أدلة جديرة بالمناقشة ، وأما الخلاف الذي يحاول أن يخرق إجماع أهل التفسير فمثل هذا غير معتبر عندي ، ورحم الله ابن الحصار القائل :

وليس كل خلاف جاء معتبراً إلا خلاف له حظ من النظر (٢)

ثالثاً : في السورة المتفق على مكيتها أو مدنيها كنت أذكر ما يلي :

١ - عرضاً موجزاً لمحتوى السورة .

٢ - أقوال أهل العلم في السورة .

٣ - الروايات الدالة على مكية السورة أو مدنيها .

٤ - بعض أسباب النزول الصحيحة الدالة على مكية السورة إن

كانت مكية ، أو مدنيها إن كانت مدنية ، وذلك إن وجدت .

رابعاً : وضعت في هامش صدر كل سورة أرقام الآيات اللاتي قيل

إنهن مستثناة من تلك السورة ، من أجل أن تكون لدى القارئ فكرة

(١) المحصول في علم أصول الفقه للرازي (٩٣/٢) .

(٢) الإتيان (٣٤/١) .

شاملة للسورة ، ومن أجل ترابط أفكار البحث .

خامساً : درست الأسانيد والطرق المتكررة في روايات السور في
مبحث مستقل وبينت الأسباب والدواعي التي أدت إلى ذلك هناك .

المنهجية العامة للبحث :

١ - التزمت الرسم العثماني في كتابة الآيات القرآنية ، وعزوتها إلى
مواضعها من السور في كتاب الله تعالى .

٢ - بينت وجه الاستدلال من الأدلة الواردة في البحث إن كانت
غامضة .

٣ - التزمت في ترجيح المسائل المطروحة في هذا البحث اتباع الدليل
مع من قال ، وكنت أقول في هذا المقام بقول أبي حيان : « ولسنا
متعبدين باتباع مذهب جمهور البصريين ، بل نتبع الدليل » (١).

٤ - حرصت على التزام الأمانة العلمية في عزو الأقوال إلى قائلها ،
وبذلت الجهد في نقل قول كل قائل من كتابه مباشرة - إن كان ممكناً -
وإلا فمن المصادر المعتمدة .

٥ - رتبت أقوال أهل العلم عند ذكرها في متن البحث على حسب
أقدمية قائلها ، وقد أخالف لفائدة علمية قد تظهر .

٦ - رتبت المصادر والمراجع في الحاشية على حسب أقدمية مؤلفيها،
وقد أخالف لفائدة علمية .

(١) النهر الماد من البحر المحيط لأبي حيان (١٥٦/٣-١٥٧) .

٧ - دعمت البحث عند تقرير فكرة ما بنصوص من الأدلة وأقوال

أهل العلم .

٨ - إذا نقلت من كتاب بالنص أحلت إلى الكتاب في الهامش بذكر

اسم الكتاب مباشرة ، وأما إذا نقلته بالمعنى فإني أحيل إليه مصدراً بقولي :

انظر أو غيرها من العبارات المشابهة ، وإذا تصرفت في حروف يسيرة من

نص ما - وهذا نادر - أشرت إلى ذلك في الهامش عقب الإحالة بقولي :

بتصرف .

٩ - أربط معلومة قد سبق ذكرها بلاحقة ، وقد يكون العكس ،

وذلك عن طريق الإحالات الهامشية .

١٠ - خرجت الأحاديث والآثار الواردة في البحث ، فإن كان

الحديث في الصحيحين اكتفيت بتخريجه منهما أو من أحدهما ، وأما إن

كان في غير الصحيحين فقد أتوسع في تخريجه .

١١ - أوردت كلام أهل العلم - قديماً وحديثاً - في الحكم على

الأحاديث والآثار، وهذا في الغالب .

١٢ - ترجمت للأعلام عدا الصحابة والأئمة الأربعة ، وأصحاب

الكتب الستة ، وقد أترجم للصحابي عند وجود ضرورة تقتضي ذلك ،

كتعلق ترجمته بتوضيح قصة أو سبب نزول أو غير ذلك من فائدة علمية

بجته .

١٣ - حرصت على أن تكون مصادر الترجمة حسب التخصص ،

فعلى سبيل المثال إذا كان العلم من المفسرين فترجمته من كتب طبقات

المفسرين ، وإن كان من القراء فترجمته من كتب طبقات القراء ، وإن كان محدثاً ففي طبقات المحدثين ، وإن كان فقيهاً ففي طبقات الفقهاء حسب مذهب كل أحد ، وهكذا في تراجم الأصوليين ، واللغويين ، والشعراء ، والأدباء .

وقد يكون العلم غير مشتهر بتخصص معين ففي مثل هذه الحالة ترجمت له من كتب التراجم العامة بحسب طرقها المختلفة (١) .
كما جمعت أحياناً بين مصدر ترجم له باعتبار تخصصه ، وبين مصدر ترجم له باعتبار القرن الذي عاش فيه .

١٤ - أوجزت في الترجمة بما لا يزيد عن سطرين أو ثلاثة عدا تراجم المفسرين ؛ إذ أشرت بعد الترجمة إلى الدراسات التفسيرية التي تناولت منهج ذلك المفسر ، سواء أكانت منشورة أم غير منشورة .
١٥ - عزوت الأبيات الشعرية الواردة في ثنايا البحث من دواوين قائلها .

١٦ - شرحت الألفاظ الغريبة والمصطلحات العلمية ، فغريب القرآن من كتب غريب القرآن ، وفي الحديث رجعت إلى غريب الحديث ، واللغة إلى قواميس اللغة ومعجمها ، والبلاغة إلى معاجم المصطلحات البلاغية .

(١) كتب التراجم العامة بعضها ألف على الطريقة الرأسية دوفيات الأعيان ، والوافي بالوفيات ، وبعضها ألف بحسب القرون كالدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، والبعض الآخر ألف بحسب المدن والأقاليم .، كتاريخ بغداد، وتاريخ مدينة دمشق .

١٧ - عرّفت البلدان والأماكن والقبائل ، ورجعت في ذلك إلى معاجم قديمة وحديثة .

١٨ - تعاملت مع أكثر من طبعة في بعض المصادر كتفسير الطبري ، حيث عزوت إليه معتمداً طبعة أحمد شاكر إلى الموضع الذي وصل إليه ، وعزوت بعد ذلك إلى طبعة مصطفى الحلبي ، وهكذا مسند الإمام أحمد ، وفضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ، وفضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة لابن الضريس ، والتزمت التمييز بين تلك الطبعات .

١٩ - ذيلت البحث بفهارس توضيحية ، وهي على النحو التالي :

أولاً : فهرس الآيات المدروسة .

ثانياً : فهرس الآيات القرآنية .

ثالثاً : فهرس الأحاديث النبوية .

رابعاً : فهرس الآثار .

خامساً : فهرس الكلمات الغريبة .

سادساً : فهرس الأعلام المترجم لهم في الحاشية .

سابعاً : فهرس الأماكن والبلدان والقبائل .

ثامناً : فهرس الآيات الشعرية .

تاسعاً : فهرس القواعد والمصطلحات العلمية .

عاشراً : فهرس المصادر والمراجع .

الحادي عشر : فهرس الموضوعات .

الصعوبات التي واجهتني في أثناء البحث :

هناك صعوبات واجهتني في أثناء البحث ومن أبرزها :

أولاً : كون هذا الموضوع من المباحث الدقيقة في أبواب علوم القرآن، وكنت أخشى في أثناء الكتابة من انزلاق القلم في مباحث تتعلق بكتاب الله تعالى ؛ إذ زلة القلم أعظم من زلة القدم .

ثانياً : كونه مما تباينت فيه الأنظار ، فاحتاج مني إلى مزيد من الجهد، والعمق في مسأله ، والأناة والصبر معه .

ثالثاً : أن الدراسات النقدية القرآنية قليلة جداً ، مما لا يهيئ للباحث صورة يحتذى للكتابة في هذا المجال .

رابعاً : تنوع المجالات التي كانت تستدعيه هذه الدراسة ، إذ مناقشة الآيات المستثناة من السور لم تكن من الناحية التفسيرية فحسب ، وإنما ناقشتُ الدراسة كذلك تلك المستثنيات من الناحية الحديثة والتاريخية .

ورحم الله ابن عطية الأندلسي فمن درر كلامه في هذا المقام قوله :
((كتاب الله تعالى لا يتفسر إلا بتصريف جميع العلوم فيه) (١)) .

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٥/١) .

شكر وتقدير

بعد شكر الله عز وجل ، وحمده والثناء عليه بما هو أهل ، أتقدم بالشكر الجزيل إلى والدي اللذين حفزا همتي إلى العلوم الإسلامية ، ووجهاني إلى العلم الشرعي تربية وتعليماً ، وأسأل الله - عز وجل - لهما أن يرحم من انتقل إلى دار الآخرة ويسكنه فسيح جناته ، وأن يحفظ ويرعى من كان في قيد الحياة .

ثم لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم التقدير إلى الشيخين الجليلين والأستاذين الفاضلين اللذين تعاقبا الإشراف على هذه الرسالة : فضيلة شيخنا الدكتور حكمت بشير ياسين ، وفضيلة شيخنا الدكتور عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ ، وقد أفدت من توجيهاتهما الكريمة ، وملاحظاتهما النافعة في الإشراف ، ولا أستطيع أن أحازيهما إلا بالدعاء لهما ، بأن يطيل الله عمرهما في طاعته ، وأن يبارك في علمهما وجهدهما ووقتهما ، وأن يجزيهما عني وعن المسلمين خير الجزاء .

وأقدم شكري أيضاً إلى شيخنا الجليل العلامة عبد المحسن بن حمد العباد - حفظه الله - حيث سعدت بملازمة دروسه الخاصة طيلة السنوات التي قضيتها في هذه الجامعة المباركة ، وأسأل الله - عز وجل - له أن يبارك في عمره وعلمه ووقته ، وأن ينفع به طلبة العلم .

والشكر موصول للشيخين الكريمين والأستاذين الفاضلين اللذين تفضلاً بقراءة هذه الرسالة ومناقشتها ، فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الله ابن عمر الشنقيطي ، وفضيلة الشيخ الدكتور / محمد بن عمر حوية الذي

تشرفت بالتلمذ عليه في المرحلة الجامعية في كلية القرآن الكريم وفي السنة التحضيرية في الدراسات العليا ، فلهما مني جزيل الشكر ووافر الثناء ، وجزاهما الله عني خير ما يجزي عباده الصالحين .

كما لا يفوتني بهذه المناسبة أن أتقدم أيضاً بالشكر إلى هذه المؤسسة العلمية والصرح العظيم ألا وهي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أدامها الله قاعدة للإسلام وأبنائه ، ينهلون منها العلم النافع ، والعقيدة السلفية الصحيحة ، ثم يعودون إلى بلادهم ينهجون طريق سلف الأمة في نشر العلم والدعوة .

وإن كنت أنسى شيئاً فلن أنس تلك الكلية التي خرّجتني وأتاحت لي فرصة مواصلة الدراسة في قسم التفسير وعلوم القرآن فيها ، ألا وهي كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية ، فألى عميدها ووكيلها ورئيس قسم التفسير وعلوم القرآن فيها وأساتذتي ومشايخي فيها مزيد العرفان والشكر .

وفي الختام : هذا عملي الذي أجهدت نفسي من أجل رسم خطوطه ونسج خيوطه ، فإن وفقت فذلك من فضل الله ، وإن خالفني الصواب فمرجه إلى الجهد البشري المحدود ، ولا شك أن عمل الإنسان معرض للخطأ والنسيان ، ورحم الله العماد الأصفهاني الذي أدرك خاصية النقص هذه عند البشر ، وبالأخص عند المشتغلين في الكتابة ، فدوّن قولته المشهورة : « إني رأيت أنه لا يكتب أحد كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا لكان يستحسن ، ولو قدم

هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر)) (١).

وصح عن معمر بن راشد - رحمه الله - كما في ((جامع بيان العلم وفضله)) أنه قال : ((لو عرض الكتاب مائة مرة ما كاد يسلم من أن يكون فيه سقط . أو قال : خطأ)) (٢).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي (٣/١) .

(٢) (٣٣٨/١) .

كتبي :

عبد الرزاق حسين أحمد

المدينة المنورة

٣/١/١٤١٧ هـ .

الباب الأول : مقدمات في علم المكي والمدني

وفيه عشرة مباحث :

المبحث الأول : تعريفات للمكي والمدني .

المبحث الثاني : التأليف في المكي والمدني قديماً وحديثاً

المبحث الثالث : علاقة المكي والمدني ببعض أبواب علوم القرآن

المبحث الرابع : أسباب الاختلاف في تعيين المكي والمدني

المبحث الخامس : فوائد معرفة المكي والمدني

المبحث السادس : القواعد التي يقوم عليها علم المكي والمدني .

المبحث السابع : ضوابط المكي والمدني ومميزاتهما

المبحث الثامن : المفسرون الذين اعتنوا بذكر المكي والمدني

- دراسة استعراضية موجزة -

المبحث التاسع : الشبهات التي أثيرت حول المكي والمدني والرد عليها

المبحث العاشر : الصلات التي تتعلق بالمكي والمدني .

المبحث الأول : تعريفات للمكي والمدني

وفيه : أربعة مطالب :

المطلب الأول : المقصود بعنوان الرسالة .

المطلب الثاني : تعريف المكي والمدني لغويا

المطلب الثالث : تعريف المكي والمدني بمعناه العام

المطلب الرابع : تعريف المكي والمدني بمعناه المراد به

بتحديد مصطلح كل منهما

المطلب الأول : المقصود بعنوان الرسالة

جرت بعض المصاحف أن تذكر بين يدي السورة حكمها إن كانت
مكية أو مدنية ، كما تذكر الآيات اللاتي قيل إنهن مستثناة من السورة .
وينحو ذلك يجد القارئ في بعض كتب التفاسير وعلوم القرآن ، وبما
أن اللجان التي تشرف على طبع تلك المصاحف قد تختار رأياً مرجوحاً ،
وقد لا تنتبه إلى ما في بعض الروايات التي تعتمد عليها من مقال في المتن
أو في الإسناد ، - وذلك لعدم وجود دراسة علمية جادة نحو هذا
الموضوع - فإن هذه الدراسة قد استهدفت تسليط الضوء على أعماق
الخلاف وعرض ما تستند عليه تلك المستثنيات من أدلة ، ثم عرض تلك
الأدلة للمناقشة رواية ودراية ، على النحو الموضح في خطة الدراسة .
وفيما يتعلق بالسور فإن الدراسة قد عرضت السور المختلف فيها ،
وكذلك المتفق عليها - من أجل استيفاء معالم البحث - وفق المنهج
المذكور في الخطة .

المطلب الثاني : تعريف المكي والمدني لغوياً

يتألف مصطلح «المكي والمدني» من جزئين ركباً تركيباً عطفياً ، وإليك تعريف الجزئين لغوياً ، ثم تعريف المصطلح المركب منهما :

المكي لغة - بفتح الميم ، وتشديد الكاف - نسبة إلى أشرف بقعة على وجه الأرض ، منزل الأنبياء ، ومهبط الوحي^(١).

وهي نسبة قياسية ، لأن كل اسم آخره تاء التأنيث وجب حذفها عند النسبة، يقال في مكة : مكِّي^(٢).

قال ابن مالك^(٣) - في الألفية - :

«ومثله مما حواه احذف وتا تأنيث أو مدته لا تثبتا»^(٤)

والمدني : نسبة غلبت على مدينة رسول الله ﷺ .

قال السمعاني^(٥) : «أكثر ما ينسب إليها يقال: المدني، والمديني»^(٦).

(١) الأنساب ، للسمعاني : (٣٧٦/٥) .

(٢) مزيداً من الشرح للقاعدة انظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٤٩١/٢) ،

معجم القواعد العربية في النحو والصرف، لعبد الغني الدقر (ص ٤٩٧) .

(٣) هو جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي ، الجياني، النحوي،

صاحب الألفية ، والكافية ، وشرح التسهيل ، توفي - رحمه الله - سنة (٦٧٢هـ).

ترجمته : إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ، لعبد الباقي اليماني (ص ٣٢٠-

٣٢١)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي (١/١٣٠-١٣٧) .

(٤) ألفية ابن مالك في النحو والصرف (ص ٩٨) .

(٥) هو أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني ، ألّف الأنساب والتحجير في

المعجم الكبير ، توفي - رحمه الله - سنة (٥٦٢هـ) .

ترجمته : سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٥٦/٢٠) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب

لابن العماد الحنبلي (٢٠٥/٤-٢٠٦) .

(٦) الأنساب (٣٥/٥) .

قلت : الأَفْصَحُ أن يُقالَ : مدنيّ ، على وزن فعليّ ، كَصَحَفِيّ في صحيفة^(١).

قال ابن مالك في الألفية :

« وَفَعَلَيَّ فِي فَعِيلَةٍ التَّزَمَ وَفُعَلَيَّ فِي فَعِيلَةٍ حَتَمَ »^(٢)

قال الحميري^(٣) : «المدينة اسم غلب على مدينة النبي ﷺ ، قال تعالى : ﴿ لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾^(٤) ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ ﴾^(٥) »^(٦).

(١) من الأخطاء الشائعة لدى الناس أن يقولوا : صُحُفِيّ - بالضم - والصواب هو الفتح .

انظر : معجم الأخطاء الشائعة ، محمد العدناني (ص ١٣٩) .

(٢) ألفية ابن مالك في النحو والصرف (ص ٩٩) .

(٣) هو محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري ، أبو عبد الله ، توفي - رحمه الله - سنة (٧٢٧هـ) .

ترجمته : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر (٤/١٥٢) .

(٤) جزء من الآية (٨) من سورة المنافقون .

(٥) سورة التوبة ، الآية (١٠١) .

(٦) الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (ص ٥٢٩) .

المطلب الثالث : تعريف المكي والمدني بمعناه العام

وقبل البدء بتعريف المكي والمدني بمعناه العام يجدر بنا أن نذكر أولاً ما الذي يقصد من وراء هذا القيد ، أعني بالمعنى العام ؟ إذ - كما يقول الأصوليون - : إن الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوّره^(١).
والجواب أن المقصود بالمعنى العام هو كون هذا العلم علماً مستقلاً من علوم القرآن ، إذ إن علم المكي والمدني جزءٌ من علوم القرآن ، فعلم القرآن اسم جامع يُقصد به أنواع شتى من البحوث التي تتعلق بالقرآن العظيم، وهي كثيرة.

فمنها المحكم والمتشابه ، وأسباب النزول ، والعام والخاص ، والمكي والمدني ، والناسخ والمنسوخ، وجمعه وترتيبه ، وقراءاته وإعجازه، إلى غير ذلك من الأبحاث التي تتعلق بالكتاب العزيز، فكل علم من هذه العلوم يطلق عليه اسم علم من علوم القرآن .

هذا ، ولقد بحث كثيراً لأجد تعريفاً للمكي والمدني بمعناه العام ، فلم أجد شيئاً من ذلك^(٢)، وبدأت بعد ذلك أتأمل مفهوم ما اصطلاح عليه « المكي والمدني » عند القدماء، وأجلت النظر في عباراتهم ، فتبين لي من خلال ذلك أن نظرتهم للمكي والمدني بمعناه العام نظرة شاملة .
ويلاحظ في هذا ما قاله الإمام أبو القاسم النيسابوري^(٣) ، حيث

(١) انظر هذه القاعدة في : تخرّيج الفروع على الأصول ، للزنجاني (ص ٢٧٢) .
(٢) لم تذكر الكتب التي تهتم بتعريف الفنون والعلوم - كمفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لطاش كبرى زاده . وأبجد العلوم ، للقنوجي - شيئاً من ذلك .
(٣) هو الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري ، المفسر الواعظ ، صنف تفسيراً ، وعقلاء المجانين ، والتنبيه على فضل علوم القرآن ، توفي - رحمه الله - سنة (٤٠٦هـ) .
ترجمته : السير (١٧/٢٣٧-٢٣٨) ، طبقات المفسرين ، للداوودي (١٤٤/١-١٤٦) .

قال : «من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة ابتداءً ، ووسطاً ، وانتهاءً ، وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك ، ثم ما نزل بمكة وحكمه مدني ، وما نزل بالمدينة وحكمه مكّي ، وما نزل بمكة في أهل المدينة ، وما نزل بالمدينة في أهل مكة ، ثم ما يشبه نزول المكّي في المدني ، وما يشبه نزول المدني في المكّي، ثم ما نزل بالجُحفة (١) ، وما نزل ببيت المقدس (٢)، وما نزل بالطائف (٣) ، وما نزل بالحديبية (٤) ، ثم ما نزل ليلاً ، وما نزل نهاراً، وما نزل مشيعاً ، وما نزل مفرداً ، ثم الآيات المدنيات في السور المكية، والآيات المكيات في السور المدنية ، ثم ما حمل من مكة إلى المدينة ، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى

(١) قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل ، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يعمروا على المدينة ، وتوجد اليوم آثارها شرق مدينة رابغ بحوالي ٢٢ كيلاً .
انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (١٢٩/٢) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكري (٣٦٧/٢)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، لعاتق البلادي (ص ٨٠) .

(٢) مدينة يقع فيها المسجد الأقصى ، وهي في بلاد فلسطين ، وقد تم فتحها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٥ هـ.

انظر : معجم البلدان (١٩٣/٥-٢٠١) ، معجم بلدان فلسطين ، لمحمد محمد شراب (ص ٥٩٦) .

(٣) هي مدينة كانت تسكن فيها قبيلة ثقيف ، بينها وبين مكة (٤٥) كيلاً عن طريق جبل الهدى ، و (٨٠) كيلاً عن طريق السيل الكبير .

انظر : معجم البلدان (١٠/٤) ، معجم ما استعجم (٨٨٦/٣) ، على طريق الحجر - رحلات في قلب الحجاز ، لعاتق البلادي (ص : ٢٦٣) .

(٤) قرية متوسطة ليست بالكبيرة ، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ أصحابه تحتها ، وهي على ((٢٢)) كيلاً غرب مكة على طريق جدة القديم .
انظر : معجم ما استعجم (٤٣٠/٢) ، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص ٩٤) .

أرض الحبشة، ثم ما نزل مجملاً ، وما نزل مفسراً ، وما نزل مرموزاً ، ثم ما اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : مكّي ، وقال بعضهم : مدني ، فهذه خمسة وعشرون وجهاً من لم يعرفها ويميز بينها لم يحلّ له أن يتكلم في كتاب الله عز وجل»^(١).

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني^(٢) ما نصه : «فأما المكّي والمدني من القرآن فلا شبهة على عاقل في حفظ الصحابة والجمهور منهم ، إذ كانت حالهم وشأنهم في حفظ القرآن وأحكامه ، وقدرة من نفوسهم ما وصفنا لما نزل بمكة ثم بالمدينة ، والإحاطة بذلك ، والأسباب والأحوال التي نزل منها ولأجلها»^(٣).

وبناءً على تلك النظرة الشاملة نستطيع أن نعرف المكّي والمدني على النحو التالي:

علم يبحث منازل القرآن المكّي والمدني ، وكل ما يتعلق بذلك من ملابسات الأحوال .

-
- (١) التنزيل وترتيبه ، لأبي القاسم النيسابوري (٢٢٢ق/أ-ب) .
- (٢) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد البغدادي ، صنف إعجاز القرآن ، والانتصار ، والتمهيد ، وغيرها من المؤلفات ، توفي - رحمه الله - سنة (٤٠٣هـ) . ترجمته : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٣٧٩-٣٨٣) ، السير (١٩٠/٧-١٩٣) . هذا وقد كتب الدكتور عبد الرؤوف مخلوف دراسة وافية عن الباقلاني وكتابه ((إعجاز القرآن)) نال بها درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر ، وهي مطبوعة .
- (٣) الانتصار لنقل القرآن للباقلاني (١٤١ق/ب) مخطوطة مكتبة با يزيد في استانبول ، وأتحفي الدكتور حازم حيدر بوريقات منه ، فجزاه الله خير الجزاء ، وقد اختصر كتاب الانتصار أبو عبد الله الصيرفي ، وهو مطبوع باسم ((نكت الانتصار لنقل القرآن)) ، بتحقيق الدكتور محمد زغلول سلام .

المطلب الرابع :

تعريف المكي والمدني بمعناه المراد به بتحديد مصطلح كل منهما
وفيه أربع مسائل :

المسألة الأولى : التحديد بالمصطلحين :

وقبل أن نبدأ تعريف المكي والمدني بالمعنى المذكور ثمة سؤال يطرح نفسه في هذا المقام ، وهو ما الذي يُقصد بوصف السورة بأنها مكية أو مدنية ؟

هل هي بأجمعها ، أو أن المراد بعض السورة ، أو العبرة بالغالب ؟ إذ قد يكون في السورة المكية بعض آيات مدنية ، وفي السورة المدنية بعض آيات مكية .

والجواب على هذا السؤال نقول : إن هذا وصف بحسب أكثر الآيات التي تغلب على السورة ، قال الحافظ ابن حجر (١) - رحمه الله - منتقداً ما قاله النحاس (٢) - رحمه الله - من أن سورة النساء مكية

(١) هو شيخ الإسلام شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي الكناني العسقلاني ، صنف التصانيف التي عم النفع بها ، كفتح الباري ، والإصابة ، وغيرهما من التصانيف النافعة ، توفي - رحمه الله - سنة (٨٥٢هـ) .

ترجمته : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، للسخاوي (٣٦/٢) ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، للشوكاني (٨٧/١) .

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوي المصري ، ألّف الناسخ والمنسوخ ، والقطع والانتشاف ، وغيرهما من المؤلفات القيمة ، توفي - رحمه الله - سنة (٣٣٨هـ) . ترجمته : إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (١٠١/١ - ١٠٤) ، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين (ص ٤٥) .

هذا وقد كتب الدكتور أحمد محمد هليل دراسة عن النحاس ومنهجه في التفسير .

بدعوى أن قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ الآية^(١) نزل في مكة ، قال : «فلا يلزم من نزول آية أو آيات من سورة طويلة بمكة إذا نزل معظمها بالمدينة أن تكون مكة ، بل الأرجح أن جميع ما نزل بعد الهجرة معدود من المدني»^(٢) .

وبعد أن عرفنا مقياس وصف السورة بأنها مكة أو مدنية نأتي إلى اصطلاحات أهل العلم في تعريف المكي والمدني .

فقد وضع أهل العلم اصطلاحات ثلاثة للتعريف بهذين المصطلحين ، وهذه الاصطلاحات الثلاثة مبنية باعتبارات مختلفة ، ففي الوقت الذي جعله بعضهم باعتبار الزمان ، اعتبره آخرون بحسب المكان ، وهكذا قال فريق ثالث : إنه باعتبار المخاطب ، وإليك التفصيل :

الاصطلاح الأول : أن المكي ما نزل من القرآن قبل هجرة الرسول ﷺ ، حتى ولو نزل بغير مكة ، والمدني ما نزل من القرآن بعد الهجرة وإن نزل بمكة ، وهذا الاصطلاح روعي فيه الزمان^(٣) .

قال الشيخ عبد العزيز الزمزمي^(٤) في منظومته التفسيرية :

مكية ما قبل الهجرة نزل والمدني ما بعدها وإن تسَلَّ^(٥)

الاصطلاح الثاني : أن المكي ما نزل من القرآن بمكة ولو بعد الهجرة ،

(١) سورة النساء ، الآية (٥٨) .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦٥٦/٨) .

(٣) انظر : الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي (٢٦١-٢٧) ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، لطاش كبرى زاده (٣٨/٢) .

(٤) هو عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز المكي الزمزمي ، توفي - رحمه الله - سنة (١٠٧٢هـ) .

ترجمته : خلاصة الأثر (٤٢٦/٢-٤٢٧) ، معجم المؤلفين ، لكحالة (٢٥٩/٥) .

(٥) التيسير شرح منظومة التفسير ، لعبد العزيز الزمزمي (ص ٣٧) .

والمدني ما نزل في المدينة ، وأصحاب هذا القول يدخلون في مكة ضواحيها كمنى^(١) وعرفات^(٢) والحديبية ، ويدخلون في المدينة ضواحيها كبدر^(٣) ، وأحد^(٤) ، وسلع^(٥) .

الاصطلاح الثالث : أن المكي ما كان خطاباً لأهل مكة ، والمدني ما كان خطاباً لأهل المدينة^(٦) .

الاصطلاح المختار من هذه الاصطلاحات الثلاثة :

يبدو بعد الموازنة بين تلك الاصطلاحات أن الاصطلاح الأول هو أرجحها ، وذلك للأسباب التالية :

أولاً : أن هذا الاصطلاح ضابط وحاصر ومطرد ، إذ تنعدم على

(١) هي أحد مشاعر الحج وأقربها إلى مكة ، وقد قيل سمي بذلك لاجتماع الناس بها ، والعرب تقول لكل مكان يجتمع فيه الناس : منى .

انظر : أخبار مكة للفاكهي (٤/٢٤٦) ، معالم مكة التاريخية والأثرية لعاتق البلادي (ص٢٩) .

(٢) المشعر المعروف من مشاعر الحج ، وليس هو جمع عرفة كما يظنه البعض ، إنما هو مفرد على صيغة الجمع .

انظر : المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة للحربي (ص٥٠٨-٥٠٩) ، معالم مكة (ص١٨٢) .

(٣) أصله ماء مشهور بين مكة والمدينة ، أسفل وادي الصفراء ، وهي اليوم تبعد عن المدينة (١٥٥) كيلاً ، وعن مكة (٣١٠) .

انظر : معجم البلدان (١/٤٢٥) ، معجم المعالم الجغرافية (ص٤٠) .

(٤) اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد ، ويشرف على المدينة من الشمال .

انظر : معجم البلدان (١/١٣٥) ، معجم معالم الحجاز ، لعاتق البلادي (١/٦٠) .

(٥) جبل في المدينة ، وهو أشهر جبالها على صفوه ، وقد أكثر الشعراء من ذكره .

انظر : معجم البلدان (٣/٢٦٧-٢٦٨) ، معجم المعالم الجغرافية (ص١٦٠) .

(٦) انظر : البرهان في علوم القرآن ، للزركشي (١/١٨٧) ، الإتيان (١/٢٦-٢٧) ، مفتاح السعادة ، لطاش كبرى زاده (٢/٣٨١) .

القول به الوسطة^(١).

ثانياً : يبدو لمن تأمل في هذا الاصطلاح أنه هو الذي كان يقصده الصحابة من قولهم : نزل كذا من السور بمكة ، ونزل كذا من السور بالمدينة .

ومما يؤيد ذلك أنهم قد عدوا من المدني سورة التوبة ، وسورة الفتح ، وسورة المنافقون ، ولم تنزل سورة التوبة كلها بالمدينة ، فقد نزل كثير من آياتها على رسول الله ﷺ وهو في طريق عودته من تبوك^(٢).

ونزلت سورة الفتح على النبي ﷺ وهو عائد من صلح الحديبية^(٣) ، ونزلت سورة المنافقون عليه وهو في غزوة بني المصطلق^(٤).

ثالثاً : أن الاعتماد على هذا الاصطلاح يقضي على معظم الخلافات التي أثيرت حول تحديد المكي والمدني .

(١) انظر : مناهل العرفان في علوم القرآن ، للزرقاني (١/١٩٤) ، والمدخل لدراسة القرآن الكريم ، لأبي شهبه (ص ٢٢١) .

ومعنى الوسطة : هو وجود قسم ثالث لا يوصف بأنه مكي أو مدني .
(٢) انظر : أسباب النزول والقصص الفرقانية ، لمحمد بن أسعد العراقي (٣٩ق/ب) .
وتبوك : موضع بين وادي القرى والشام ، وهي اليوم تقع بين المدينة وعمَّان ، تبعد عن الأولى (٧٧٨) كيلاً ، وعن الثانية (٤٥٠) .

انظر : معجم البلدان (١٧/٢) ، رحلات في بلاد العرب - في شمال الحجاز والأردن - لعاتق البلادي (ص ٤٥٥) .

(٣) انظر الحديث الدال على ذلك في صحيح البخاري - مع الفتح - (٤٤٦/٨) كتاب التفسير ، باب ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ، حديث رقم (٤٨٣٣) .

(٤) انظر : صحيح البخاري - مع الفتح - (٥١٢/٨) ، كتاب التفسير ، باب سورة المنافقون ، برقم (٤٩٠٠) .

وبنو المصطلق : بطن من قبيلة خزاعة الأردنية اليمانية .

انظر : قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، للقلقشندي (ص ٩٣) .

رابعاً : أن هذا الاصطلاح هو الذي درج عليه كثير من الباحثين في علوم القرآن قديماً وحديثاً .

قال ابن عطية (١) - رحمه الله - : «وكل ما نزل من القرآن بعد هجرة النبي ﷺ فهو مدني ، سواء ما نزل بالمدينة ، أو في سفر من الأسفار ، أو بمكة ، وإنما يرسم بالمدني ما نزل قبل الهجرة» (٢) .
وقال أيضاً : «وما نزل بعد الهجرة فإنما هو مدني وإن نزل في مكة ، أو في سفر من أسفار النبي ﷺ» (٣) .

وقال الحافظ ابن كثير (٤) - رحمه الله - : «فالمدني ما نزل قبل الهجرة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة ، سواء كان بالمدينة أو غيرها من أي

(١) هو أبو محمد عبد الحق بن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية الغرطاني المالكي ، توفي - رحمه الله - سنة (٥٤٦ هـ) .

ترجمته : طبقات المفسرين ، للدواودي (١/٢٦٥-٢٦٧) ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، لمحمد بن مخلوف (١/١٢٩) .

هذا وقد كتب الدكتور محمود عبد الوهاب فايد دراسة وافية عن ابن عطية وتفسيره - رسالة دكتوراه قدمت إلى جامعة الأزهر - وهي مطبوعة بطبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة .

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/٥) .

(٣) المصدر السابق (٥/٤) .

(٤) هو أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، صنف التفسير المشهور ، والبداية والنهاية ، وجامع المسانيد ، وغيرها من المؤلفات القيمة ، توفي - رحمه الله - سنة (٧٧٤ هـ) .

ترجمته : الدرر الكامنة (١/٣٩٩) ، طبقات المفسرين ، للدواودي (١/١١١-١١٣) .
هذا وقد قام الدكتور مطر بن أحمد الزهراني - مدير مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى حالياً - بدراسة عن ابن كثير وتفسيره ، بعنوان : ابن كثير مفسراً ، وهي رسالة ماجستير قدمت إلى جامعة أم القرى .

البلاد كان ، حتى ولو كان بمكة أو عرفة» (١).
ويبدلي العلامة البقاعي (٢) بدلوه في تقرير رأي الجمهور ، فيقول :
«وَكُلُّ ما نزل قبل الهجرة فهو مكّي ، وكل ما نزل بعدها فهو مدني ،
ولو كان النبي ﷺ وقت نزوله في بلد آخر» (٣).
وقال أيضاً : «فإن العبرة بالمدني بالنزول بعد الهجرة» (٤).
هذا وقد ذكر الزركشي (٥) والسيوطي (٦) - رحمهما الله - أنَّ هذا

-
- (١) فضائل القرآن ، لابن كثير (ص ١١) .
(٢) هو برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي الشافعي ، صنف نظم الدرر ، ومساعد النظر، توفي - رحمه الله - سنة (٨٨٥هـ) .
ترجمته : الضوء اللامع (١٠١/١-١١١) ، البدر الطالع (١٩/١-٢٢) .
(٣) مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور ، للبقاعي (١٦١/١) .
(٤) المصدر السابق (١٠٤/٢) .
(٥) هو بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي المصري ، صنف البرهان في علوم القرآن ، والمنثور في القواعد ، وغيرهما من المؤلفات ، توفي - رحمه الله - سنة (٧٩٤هـ) .
ترجمته : الدرر الكامنة (٣٩٧/٣-٣٩٨) ، طبقات المفسرين للداوودي (١٦٢/٢-١٦٣) .
هذا وللدكتور عبد العزيز إسماعيل صقر دراسة بعنوان : الزركشي ومنهجه في علوم القرآن ، تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه إلى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر .
(٦) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الأسيوطي الشافعي ، المشهور بجلال الدين السيوطي ، صنف الإتقان ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ، وقد ذكر له نحو ستمائة مؤلف ما بين صغير وكبير ، توفي - رحمه الله - سنة (٩١١هـ) .
ترجمته : شذرات الذهب (٥١/٨-٥٥) ، البدر الطالع (٣٢٨/١) .
هذا وللدكتور عبد الفتاح خليفة الغرنواي دراسة وافية عن الإمام السيوطي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه إلى جامعة الأزهر .

القول هو أشهر الأقوال (١).

المسألة الثانية : الاعتراضات التي وجهت إلى الاصطلاح المختار والجواب عنها :
اعتُرض على الاصطلاح المختار عند الجمهور باعتراضين ، وإليك ذكرهما مع الجواب عنهما :

الاعتراض الأول : أن القرآن المنزل على النبي ﷺ ليس قاصراً نزوله في مكة أو المدينة فحسب ، بل نزل القرآن الكريم في غيرهما ، ففي الحديث الذي أخرجه الطبراني (٢) في المعجم الكبير من طريق الوليد بن مسلم ، عن عفير بن معدان ، عن سليم بن عامر ، عن أبي أمامة ، قال : قال رسول الله ﷺ : «أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة ، بمكة ، والمدينة ، والشام» (٣).

(١) انظر : البرهان في علوم القرآن ، للزركشي (١/١٨٧) ، والإتقان ، للسيوطي (١/٢٦٦).

وانظر المراجع المعاصرة التالية ، ففيها ترجيح للاصطلاح الأول :
مناهل العرفان (١/١٩٤) ، المدخل ، لأبي شعبة (ص ٢٢١) ، مباحث في علوم القرآن ، لصبحي الصالح (ص ١٦٨) ، مباحث في علوم القرآن ، لمناع القطان (ص ٦١) ، مدخل إلى علوم القرآن والتفسير ، للدكتور فاروق حمادة (ص ١٢٢) ، علوم القرآن ، للدكتور عدنان زرزور (ص ١٣٩) ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير ، للدكتور محمد بن لطفي الصباغ (ص ١٤٦) .

(٢) هو سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، صاحب المعاجم الثلاثة المشهورة ، وله تفسير ذكره الداوودي في طبقات المفسرين ، توفي - رحمه الله - سنة (٣٦٠هـ) . ترجمته : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان (٢/٤٠٧) ، وطبقات المفسرين ، للداوودي (١/٢٠٤-٢٠٦) .

(٣) المعجم الكبير (٨/١٧١) برقم (٧٧١٧) ، وإسناده ضعيف ، ففيه عفير بن معدان ، قال عنه الحافظ ابن حجر : «(ضعيف)» . تقريب التهذيب (٢/٢٥) ، وقال الهيثمي : «(رواه الطبراني ، وفيه عفير بن معدان ، وهو ضعيف)» . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/١٦٠) .

ووجه الاعتراض هو أن الاصطلاح المختار عند الجمهور يقتضي أن لا يكون هناك قرآن آخر غير القرآن المكي أو المدني ، وهذا يخالف ما هو منصوص في حديث أبي أمامة الآنف الذكر .

الجواب عن هذا الاعتراض :

قد أجيب عن هذا الاعتراض بأن اصطلاح الجمهور في تحديد المكي والمدني لم ينطلق من منظار مكاني ، فمنطلقه زماني بحث ، فما نزل قبل الهجرة فهو مكّي ، ولو كان في غير مكة ، وما نزل بعدها فهو مدني ولو كان في غير المدينة .

وهكذا لم يكن هذا الاصطلاح بحاجة إلى أماكن أخرى ، فتلك الأماكن أصبحت تمثل جانباً من جوانب التاريخ بالنسبة لمواطن النزول فحسب ، وعليه يكون الاعتراض السابق في غير محله .

الاعتراض الثاني : اعترض على الاصطلاح المختار عند الجمهور أيضاً بأن هناك آيات من القرآن نزلت على النبي ﷺ في أثناء الهجرة ، وهو في طريقه إلى المدينة ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ ﴾ (١) ، فقد نزلت في الجحفة كما أخرجه ابن أبي حاتم (٢) عن الضحاك (٣) .

(١) سورة القصص ، الآية (٨٥) .

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس أبو محمد الرازي ، مصنف كتاب الجرح والتعديل ، وتفسير القرآن العظيم مسنداً عن النبي ﷺ والصحابية والتابعين ، توفي - رحمه الله - سنة (٣٢٧هـ) .

ترجمته : طبقات المفسرين ، للدواودي (٢٧٩/١-٢٨١) ، شذرات الذهب (٣٠٨/٢) - (٣٠٩) ، وقد حقق أجزاء من تفسير ابن أبي حاتم في رسائل علمية بجامعة أم القرى .
(٣) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي ، توفي - رحمه الله - سنة (١٠٢هـ) ، وقيل : (١٠٥هـ) .

ترجمته : السير (٥٩٨/٤-٦٠٠) ، طبقات المفسرين للدواودي (٢٢٢/١) .

ووجه الاعتراض هو في القسمين المكي أو المدني يلحق مثل هذه الآية ؟

الجواب عن هذا الاعتراض :

يبدو - والله أعلم - أنَّ هذه الآية وأمثالها تدخل في القسم المدني ، لأنها نزلت بعد أن غادر مكة ، فهي للقسم المدني أليق بأن تلحق ، والذي يوصف بالمكي هو النازل قبل مغادرة النبي ﷺ من مكة . قال أبو جعفر النحاس - رحمه الله - : «وما نزل بين مكة والمدينة فهو مدني» (١).

وقال ابن عطية - رحمه الله - : «وكل ما نزل من القرآن بعد هجرة النبي ﷺ فهو مدني ، سواء ما نزل بالمدينة أو في سفر من الأسفار ، أو بمكة ، وإنما يرسم بالمكي ما نزل قبل الهجرة» (٢). ويقول ابن النكزاي (٣) - رحمه الله - : «وما نزل بين مكة والمدينة فهو مدني، وكذا ما نزل بعد الهجرة» (٤).

→

وسياتي ذكر نص أثر الضحاك قريباً مع تخريجه في المسألة الثالثة من المطلب الثالث إن شاء الله تعالى .

(١) الناسخ والمنسوخ ، للنحاس (٤٨٥/٢) .

(٢) المحرر الوجيز (٥/٥) .

(٣) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي زيد النكزاي الإسكندري ، توفي - رحمه الله - سنة (٦٨٣هـ) .

ترجمته : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، للذهبي (٦٨٢/٢) ، غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري (٤٥٢/١) .

(٤) الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء ، لابن النكزاي (٩٤٢/١) ، وقد حققه لنيل درجة الدكتوراه الدكتور مسعود أحمد إلياس ، في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

وقد يقول قائل : وما ذا عن الأثر المروي عن يحيى بن سلام (١)؟ فقد أخرج أبو عمرو الداني (٢) بسنده إلى يحيى بن سلام ، قال : «ما نزل بمكة وما نزل بطريق المدينة قبل أن يبلغ النبي ﷺ المدينة فهو من المكي ، وما نزل على النبي ﷺ في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني ...» (٣). قال السيوطي - رحمه الله - معلقاً على هذا الأثر : «وهذا أثر لطيف يؤخذ منه أن ما نزل في سفر الهجرة مكي اصطلاحاً» (٤).
والجواب : أن هذا الأثر مرسل ضعيف الإسناد ، ففيه علي بن

(١) هو يحيى بن سلام بن تغلب أبو زكريا البصري ، ذكر الذهبي والداوودي له تفسيراً ، وقد اختصره ابن أبي زمنين - صاحب أصول السنة - ، توفي - رحمه الله - سنة (٢٠٠هـ) .

ترجمته : السير (٣٩٦/٩-٣٩٧) ، طبقات المفسرين ، للداوودي (٣٧١/٢-٣٧٢) .
هذا وقد ذكر شيخنا الدكتور حكمت بشير وجود أجزاء من تفسير يحيى بن سلام بالمغرب ، كما ذكر أنه تم تحقيق هذه الأجزاء في تونس .
مقدمة موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (ص ٢٥) هامش (رقم ٤) ،
والكتاب قيد الطبع ، وقد نشر بعض حلقاته في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ،
العددان (١٠١-١٠٢) السنة (٢٦) .

(٢) هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي أبو عمرو الداني الأندلسي ، صاحب كتاب التيسير في القراءات السبع ، والمقنع في رسم المصحف ، والمكفى في الوقف والابتداء ، توفي - رحمه الله - سنة (٤٤٤هـ) .

ترجمته : معرفة القراء الكبار (٤٠٦/١-٤٠٩) ، غاية النهاية (٥٠٣/١-٥٠٥) .

(٣) البيان في عد أي القرآن ، لأبي عمرو الداني (ص ١٣٢) .
وقد تصحفت كلمة «الداني» إلى «الرازي» في الإتيان ، وفي البرهان إلى «الدارمي» ، ولم ينبه المحققان ، والعجب أن الدكتور محمد أبا الفضل إبراهيم - محقق كتاب البرهان - يقول في تعليقه على اختلاف النسخ : في م : «(الداني)» تحريف .
انظر : البرهان ، للزركشي (١٨٨/١) ، والإتيان (٢٦/١) .
(٤) الإتيان (٢٦/١) .

الحسين الواقد ، قال عنه أبو حاتم^(١) : «ضعيف الحديث»^(٢) ، وقال الحافظ ابن حجر : «صدوق يهم»^(٣).

المسألة الثالثة : المآخذ التي أخذت على الاصطلاح الثاني :

قد أخذ العلماء على الاصطلاح الثاني بأنه اصطلاح غير حاصر ؛ إذ قد تثبت بمقتضى هذا الاصطلاح الواسطة ، فهناك من الآيات ما لم تنزل في مكة ولا في المدينة ، ولا في ضواحيهما ، كالنازل في تبوك والجحفة .

فقد أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك ، قال : «لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة ، فأنزل الله عليه : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ إلى مكة»^(٤).

ومما يؤيد هذا السبب التفسير الذي أخرجه الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه عن ابن عباس : «﴿لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ قال : إلى مكة»^(٥).

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - تعليقا على رواية ابن أبي حاتم عن الضحاك : «وهذا من كلام الضحاك يقتضي أن هذه الآية مدنية ،

(١) هو أبو عبد الرحمن محمد بن إدريس بن المنذر بن داود الحنظلي الرازي ، توفي - رحمه الله - سنة (٢٧٧هـ).

ترجمته : السير (٢٤٧/١٣-٢٦٣) ، والوافي بالوفيات ، للصفدي (١٨٣/٢) .

(٢) الجرح والتعديل (١٧٩/٦) .

(٣) التقريب (٣٥/٢) .

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ، سورة القصص ، برقم (٦٦٧) ، قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في الفتح : «(وإسناده لا بأس به)» .

الفتح (٣٦٩/٨) ، وحسنه المحقق .

(٥) صحيح البخاري مع الفتح (٣٦٩/٨) برقم (٤٧٧٣) كتاب التفسير ، باب ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ الآية .

وإن كان مجموع السورة مكيّاً»^(١).

المسألة الرابعة : المآخذ التي أخذت على الاصطلاح الثالث :

وقبل البدء بتعداد المآخذ التي أخذت على هذا الاصطلاح يجدر بنا أن نذكر الدليل الذي جعل البعض يتبنى هذا الاصطلاح ، وما ذلك إلا أننا سنناقشهم - كما سيأتي - بذلك الدليل نفسه .

أخرج البزار ^(٢) في مسنده من طريق الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : «كل شيء نزل يا أيها الناس فهو بمكة ، وكل شيء نزل يا أيها الذين آمنوا فهو بالمدينة» ^(٣).

(١) تفسير ابن كثير (٤/٣٤١) .

(٢) هو أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي المشهور بالبزار ، وقد اشتهر مسنده بعلل الأحاديث ، توفي - رحمه الله - سنة (٢٩٢هـ) .

ترجمته : الوافي بالوفيات (٧/٢٦٨) ، شذرات الذهب (٢/٢٠٩) .
هذا وقد حقق بعض أجزاء مسند البزار الدكتور محفوظ الرحمن زين الله ، ونشرته مؤسسة علوم القرآن - بيروت - بالاشتراك مع مكتبة العلوم والحكم ، كما حقق كاملاً في رسائل علمية بجامعة أم القرى .

(٣) مسند البزار (٤/٣٣٦) برقم (١٥٣١) ، إسناده صحيح .
والأثر أخرجه الحاكم في المستدرک (٣/١٨) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/١٤٤) ، كلاهما من طريق وكيع عن أبيه ، عن الأعمش به نحوه .
وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن رسلاً عن علقمة . انظر (ص٢٢٢) ، وابن أبي شيبه عن إبراهيم كما في نسخة المصنف المطبوعة ، انظر (١٠/٥٢٢) برقم (١٠١٩١) .
هذا وقد جاء في البرهان للزركشي ، والدر المنثور للسيوطي أن ابن أبي شيبه أخرجه عن علقمة رسلاً .

انظر : البرهان (١/١٨٩) ، والدر (١/٨٤) . وقد علق محقق المصنف على الأثر بقوله : «أورده السيوطي في الدر من رواية ابن أبي شيبه وغيره عن علقمة ، وكأن علقمة سقط بعد إبراهيم» . انظر : المصنف (١٠/٥٢٢) .

وجه استدلالهم بهذا الأثر :

إن وجهة نظر أصحاب هذا الاصطلاح في استدلالهم بهذا الأثر هو أن الغالب على أهل مكة الكفر ، فخطبوا بها أيها الناس ، وإن كان غيرهم داخلاً فيهم ، والغالب على أهل المدينة الإيمان فخطبوا بها أيها الذين آمنوا ، وإن كان غيرهم داخلاً فيهم^(١).

قال السيوطي في الإتيان بعد أن ذكر هذا الاصطلاح : «وحمل على هذا قول ابن مسعود الآتي»^(٢) ، وهو المذكور عندنا آنفاً .

مناقشة هذا الاستدلال :

يبدو أن استدلال أصحاب هذا الاصطلاح بهذا الأثر أمر غير مسلم ، إذ إن أثر ابن مسعود السابق لا ينطبق في وجهة نظر أصحاب هذا الاصطلاح ، وبيان ذلك أن أثره - ﷺ - في صيغتين خاصتين من صيغ الخطاب ، وهما «يا أيها الناس» و «يا أيها الذين آمنوا» وليس في مطلق الخطاب ، كما هو صنيع هذا الاصطلاح ، فكيف إذا يكون الأخص عين الأعم ؟

وأزيد الأمر وضوحاً فأقول : هب أن سورة ورد فيها الخطاب لأهل مكة ولا يوجد بها «يا أيها الناس» ، أو لأهل المدينة وليس فيها «يا أيها الذين آمنوا» هل ينطبق - والحالة هذه - أثر ابن مسعود ؟

والجواب واضح ، وهو أنه لم ينطبق أثر ابن مسعود على الحالة السابقة ، وذلك لاختصاصه بالصيغتين السابقتين بخلاف الاصطلاح الثالث فإنه ينطبق عليه الحالة ؛ لأنه عام في صيغ الخطاب كلها .

(١) انظر : البرهان (١/١٨٧) .

(٢) الإتيان (١/٢٧) .

وأما المآخذ التي أخذت على هذا الاصطلاح فهي على النحو التالي :
أولاً : هناك بعض السور ورد فيها الخطاب لرسول الله ﷺ وحده ،
 مثل سورة الكوثر ، ومن المستبعد أن يجعل أصحاب هذا الاصطلاح
 خطاب الرسول ﷺ خطاباً لأهل مكة أو لأهل المدينة ، فتكون إذاً تلك
 السور تبقى حائرة لا ندري أي القسمين نلحق بها ؟

ثانياً : أن هذا التقسيم غير حاصر وضابط ، فإن في القرآن ما نزل
 غير مصدر بيا أيها الناس ، ولا يا أيها الذين آمنوا^(١).

ثالثاً : أن هناك سوراً مدنية ورد فيها الخطاب بصيغة «يا أيها الناس» ،
 وهناك سور مكية ورد فيها الخطاب بصيغة «يا أيها الذين آمنوا» ، ومن
 أمثلة ذلك : سورة البقرة ، فمع أنها مدنية ورد فيها : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ
 اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢) ، وقد صدر بسورة
 النساء - وهي مدنية - : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ الآية^(٣).

وفيهما أيضاً : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٤) ،
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾^(٥).
 وكذلك سورة الحج ، فقد نرى فيها قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمُ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٦) ، مع أن

(١) انظر : مناهل العرفان (١/١٩٤) ، المدخل ، لأبي شهبه (ص ٢٢٢) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢١) .

(٣) سورة النساء ، الآية (١) .

(٤) سورة النساء ، الآية (١٧١) .

(٥) سورة النساء ، الآية (١٧٤) .

(٦) سورة الحج ، الآية (٧٧) .

السورة مكية عند بعض أهل العلم .

هذه هي المآخذ التي أخذت على الاصطلاح الثالث في تعريف المكي والمدني . بمعناه المراد به بتحديد مصطلحيه ، وسيأتي مزيد كلام في التعقيب على هذا الاصطلاح عند ذكر «مبحث ضوابط المكي والمدني» إن شاء الله .

وخلاصة القول : أن الكلمات السابقة هي خلاصة ما قيل في تعريف المكي والمدني . بمعناه المراد به بتحديد مصطلحيه ، وما أثير حول ذينك المصطلحين من مآخذ واعتراضات ومناقشات ، أرجو أن أكون قد وفقتُ في بيان ذلك وتوضيحه ، والله أعلم .

المبحث الثاني : التأليف في المكي والمدني قديماً وحديثاً

وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : مرحلة نشأة علم المكي والمدني .**
- المطلب الثاني : مرحلة التأليف والتدوين .**
- المطلب الثالث : مرحلة الدراسات المعاصرة .**

بين يدي المبحث :

دأب المؤلفون في العلوم أن يؤرخوا العلم الذي يؤلفون له من حيث تعداد الجهود التي سبقتهم في هذا المجال ، وهذا المنهج منهج فريد ؛ إذ فيه يتبين تطور ذلك العلم عبر القرون من ناحية ، كما يتبين أيضاً القضايا التي أضافها اللاحق إلى ما ذكره السابق من ناحية أخرى .

وهذه التوطئة لها مغزى في بحثنا هذا ، وهو أنه من الأمور الغريبة - رغم الأهمية والعناية التي حظي بها علم المكي والمدني منذ القديم - أننا لا نجد مؤلفاً خاصاً يبحث قضايا المكي والمدني بصورة واضحة .

وهكذا فإن الذي يتصفح الكتب التي تناولت الحديث عن المكي والمدني ضمن إطار التفسير أو علومه لم يجد أي إشارة في تأليف في المكي والمدني يمكن أن يكون عمدة في هذا الموضوع المهم ، ومن هنا يجد الباحث عناء في الحديث عن تطور هذا العلم وتعداد المؤلفات فيه .

هذا وقد بدا لي بعد البحث والاستقراء أن أتحدث عن تطور هذا العلم من خلال مراحل ثلاث ، وهي على النحو التالي :

المرحلة الأولى : مرحلة نشأته الأولى وتكوينه .

المرحلة الثانية : مرحلة التأليف والتدوين .

المرحلة الثالثة : مرحلة الدراسات المعاصرة .

المطلب الأول : مرحلة نشأة علم المكي والمدني

إن لبنات علم المكي والمدني وعناصره الأولى ترجع إلى عصر الصحابة الذين واكبوا نزول القرآن مواكبةً لا تعرف الانقطاع ، فها هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول في نزول قوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (١) كما أخرجه البخاري في صحيحه : « ... إني لأعلم حيث أنزلت ، وأين نزلت ، وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت : يوم عرفة ، وأنا والله بعرفة » (٢).

وها هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - يقول كما أخرجه البخاري أيضاً في صحيحه : «والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت ، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن نزلت ، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه» (٣).

وأخرج عبد الرزاق (٤) في تفسيره عن محمد بن وهب بن عبد الله عن

(١) جزء من الآية (٣) سورة المائدة .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (١١٩/٨) برقم (٤٦٠٦) ، كتاب التفسير ، باب ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ .

(٣) المصدر السابق (٦٦٢/٨) برقم (٥٠٠٢) ، كتاب فضائل القرآن ، باب القراءة من أصحاب النبي ﷺ .

(٤) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع أبو بكر الصنعاني ، ألف المصنف ، والتفسير ، توفي - رحمه الله - سنة (٢١١هـ) .

ترجمته : السير (٥٨٠-٥٦٣/٩) ، طبقات المفسرين ، للدواودي (٣٠٢/١-٣٠٣) .
هذا وقد قام الباحث حمد أزيبي بدراسة عن عبد الرزاق ومنهجه في التفسير نال بها درجة الماجستير من جامعة أم القرى .

أبي الطفيل قال: شهدت علياً وهو يخطب وهو يقول : «سلوني ؛ فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به ، وسلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار ، أم في سهل أم في جبل ...» (١).

من خلال تلك العبارات يتضح لنا الاهتمام البالغ من قبل الصحابة - رضي الله عنهم - بمعرفة مكان الآية ، وزمان الآية ، على وجه محدد دقيق .

ويتضح لنا كذلك تفاضلهم في تحصيل تلك المعلومات ، وأنهم كانوا يتنافسون في ذلك من غير فخر ولا إعجاب بالنفس .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في معرض شرحه لقول ابن مسعود السابق: «وفيه جواز ذكر الإنسان بما فيه من الفضيلة بقدر الحاجة ، ويحمل ما ورد من ذم ذلك على من وقع منه فحراً أو إعجاباً» (٢).

وقد روي عن أبي بن كعب ، وجابر بن عبد الله ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير - رضي الله عنهم - روايات عديدة في تحديد السور المكية والمدنية ، وكذلك بعض الآيات ، أخرجها جمع من أهل العلم في مؤلفاتهم ، كما سيأتي تفصيله .

→

انظر : دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية (ص ٦٠) برقم (٢٢١٥) .
كما كتب الشيخ أحمد الصويان بحثاً قيماً في عبد الرزاق ومصنفه ، نشره في مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٧) .

(١) تفسير عبد الرزاق (٣/٢٤١) .

(٢) الفتح (٨/٦٦٧) .

قال القاضي أبو بكر الباقلاني - رحمه الله - :

«فأما المكي والمدني من القرآن فلا شبهة على عاقل في حفظ الصحابة والجمهور منهم ، إذ كانت حالهم وشأنهم في حفظ القرآن وأحكامه ، وقدرة من نفوسهم ما وصفنا لما نزل بمكة ثم بالمدينة ، والإحاطة بذلك ، والأسباب والأحوال التي نزل منها ولأجلها»^(١).

هكذا بلغت العناية الفائقة بمعرفة المكي والمدني ذروتها في عصر الصحابة - رضي الله عنهم - .

يقول الأستاذ مناع القطان^(٢) في حديثه عن الأهمية التي قد حظي بها علم المكي والمدني : « فنجد أعلام الهدى من الصحابة والتابعين ومن بعدهم يضبطون منازل القرآن آية آية ضبطاً يحدد الزمان والمكان »^(٣).

وإذا تجاوزنا عصر الصحابة وانتقلنا إلى عصر التابعين نجد أنهم قد حذوا حذو الصحابة في استقصاء كل ما يتعلق بالمكي والمدني .

فقد أخرج أبو نعيم^(٤) بسنده عن أيوب قال : سألت رجل عكرمة عن آية من القرآن ، فقال : نزلت في سفح ذلك الجبل ، وأشار إلى سلع^(٥).

وفي هذا العصر - أي عصر التابعين - ظهرت مؤلفات لعلم المكي

(١) الانتصار لنقل القرآن (١٤١ ق/ب) .

(٢) انظر سيرته الذاتية وجهوده العلمية في : الدراسات القرآنية المعاصرة لمحمد السديس (ص : ١٦٥-١٦٦) .

(٣) مباحث في علوم القرآن (ص ٥١) .

(٤) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني ، صنف الحلية ، ودلائل النبوة ، وذكر أخبار أصفهان ، توفي - رحمه الله - سنة (٤٣٠ هـ) .

ترجمته : وفیات الأعيان (٩١/١-٩٢) ، الوافي بالوفيات (٨١/٧-٨٤) .

(٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٣٢٧/٣) ، وإسناده حسن .

والمدني ، وأصبح هذا العلم علماً مستقلاً له مصادره الأصلية ، وهذا ما
ستحدث عنه بالتفصيل في المرحلة التالية .



المطلب الثاني : مرحلة التأليف والتدوين

سبق أن ذكرت في المرحلة السابقة أن التأليف في المكي والمدني قد ظهر في عهد التابعين ، في ذلك العهد بدأ هذا العلم يزدهر ويأخذ اتجاهات أصيلاً مع غيره من فنون علوم القرآن ، ولعل المجال لا يسمح لي أن أتحدث بشكل مفصل في تلك الفترة التي أخذ هذا العلم طابع العمق والأصالة، وحسي في هذا أن أشير هنا إلى سلسلة المؤلفات التي تتابعت عبر القرون في تأليف المكي والمدني - حسبما تيسر لي تقييده في أثناء مطالعتي لجمع المادة العلمية لهذا البحث - وقد رتبت هذه المؤلفات على النحو التالي :

أولاً : المؤلفات التي ألفت في المكي والمدني وعرف مؤلفوها .

ثانياً : المؤلفات التي ألفت في المكي والمدني وجُهل مؤلفوها .

ثالثاً : المؤلفات التي خصصت باباً أو فصلاً أو قسماً أو غير ذلك من

التسميات في موضوع المكي والمدني .

المسألة الأولى : المؤلفات التي ألفت في المكي والمدني وعرف مؤلفوها :

وقبل أن أبدأ تعداد هذه المؤلفات أحب أن أنبه على أنني سأذكر نبذة عن الكتاب الذي أذكره هنا ، وما لم أتوصل إلى معرفته فسأكتفي بذكره فحسب ، وإليك هذه المؤلفات مرتبة ترتيباً زمنياً على حسب وفيات مؤلفيها :

١ - «نزول القرآن» : للضحاك بن مزاحم الهلالي المتوفى سنة

(١٠٤هـ) (١).

(١) ذكره ابن النديم في الفهرست (ص ٤٠) .

٢ - «نزول القرآن» : لعكرمة أبي عبد الله القرشي البربري المتوفى سنة (١٠٥هـ) (١).

٣ - «نزول القرآن» : للحسن بن أبي الحسن البصري المتوفى سنة (١١٠هـ) (٢).

ويبدو - والله أعلم - أن الكتابين الأخيرين تضمننا روايات في ترتيب المكي والمدني فحسب ، بدليل أن الإمام البيهقي (٣) - رحمه الله - أخرج في كتابه «دلائل النبوة» جزءاً من ذلك الترتيب (٤).

٤ - «تنزيل القرآن» : للإمام المحدث محمد بن مسلم بن شهاب الزهري المتوفى سنة (١٢٤هـ) (٥)، وهذا الكتاب عبارة عن رسالة مختصرة في ترتيب السور المكية والمدنية، وقد طبعت هذه الرسالة بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، ضمن مجموعة رسائل متنوعة.

(١) ذكره ابن النديم في الفهرست (ص ٤٠) ، وانظر ترجمة عكرمة في : سير أعلام النبلاء (١٢/٣٦-٣٨٦/١) للداودي (٣٨٧-٣٨٦/١) .

(٢) ذكره ابن النديم في الفهرست (ص ٤٠) ، وسزكين في تاريخ التراث العربي (١٨٧/١) .

ترجمته : السير (٤/٥٦٣-٥٨٨) ، طبقات المفسرين ، للداودي (١/١٥٠-١٥١) .
(٣) هو أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر الخراساني البيهقي الشافعي ، صنف السنن الكبرى ، وشعب الإيمان ، ودلائل النبوة ، وغيرها من التواليف النافعة ، توفي - رحمه الله - سنة (٤٥٨هـ) .

ترجمته : وفيات الأعيان (١/٧٥-٧٦) ، طبقات الشافعية ، للسبكي (٤/٨-١٦) .
(٤) انظر : دلائل النبوة (٧/١٤٢-١٤٣) .

(٥) ترجمته : الكنى والأسماء للإمام مسلم (١/١١٤) برقم (٢٨١) ، طبقات علماء الحديث للصالحى (١/١٨١-١٨٣) .

وتتمثل أهمية هذه الرسالة في أنها من تأليف الإمام الزهري ، وفي هذا يقول الدكتور صلاح الدين في تقديمه للرسالة : «هذا النص الذي نقدمه مهم جداً ؛ لأنه أحد آثار محمد بن مسلم الزهري الذي كان من أوائل من صنف في المغازي والحديث في القرن الأول الهجري ، وتظهر هذه الرسالة أنه كان أيضاً من المعيّنين الأوائل بأمر تنزيل القرآن والناسخ والمنسوخ» (١).

وأصل هذه الرسالة توجد في مكتبة جامعة برنستين بالولايات المتحدة، ضمن مجموع برقم (٢/٢٢٨) ، ففي هذا المجموع رسالتان للزهري برواية أبي عبد الرحمن السلمي (٢).

الأولى : كتاب الناسخ والمنسوخ .

الثانية : كتاب تنزيل القرآن ، وهو الكتاب الذي نحن بصدد الحديث عنه (٣).

هذا وقد حقق هذه الرسالة أيضاً الدكتور حاتم صالح الضامن ، ونشره في مجلة المجمع العلمي العراقي في الجزئين الثاني والثالث من المجلد الثامن .

٥ - «التنزيل في القرآن» : لابن فضال الكوفي
علي بن الحسن المتوفى سنة (٢٢٤هـ) (٤) ،

(١) من تقديم الدكتور صلاح الدين المنجد لكتاب «تنزيل القرآن» (ص ١٩) .

(٢) ستأتي ترجمته عند ذكر تراجم رجال إسناده للرسالة .

(٣) من تقديم الدكتور صلاح الدين (ص ٢٠) .

(٤) ترجمته : طبقات المفسرين ، للسداوودي (٤٠٣/١) ، وذكر الداوودي أنه من علماء

الشيعة . راجع أيضاً : الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، للأغا الظهراني (٦٣/١) .

ذكره البغدادي في «إيضاح المكنون» (١).

٦- «فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة» :

لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن الضريس البجلي المتوفى سنة (٢٩٤هـ) (٢).

وورد ذكر هذا الكتاب منسوباً إلى ابن الضريس في كثير من مؤلفات أهل العلم:

أ- الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ، وفي «تذكرة الحفاظ» (٣).

ب- الصفدي في «الوافي بالوفيات» (٤).

ج- الحافظ ابن حجر في مواضع في «الفتح» (٥).

د - السيوطي في مواضع في «الإتقان» ومن بينها المقدمة حيث جعل كتاب ابن الضريس ضمن موارد «الإتقان» (٦)، كما أنه اعتمد عليه كثيراً

(١) انظر : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لإسماعيل باشا البغدادي (٢٨٣/٤) .

(٢) ترجمته : السير (٤٤٩/١٣-٤٥٣) ، طبقات المفسرين ، للداودي (١٠٩/٢) .
هذا وقد ذكر محقق كتاب ابن الضريس الدكتور مسفر الغامدي أن وفاته كانت سنة (٢٩٥هـ) ، ولعله اعتمد على ما أرخه ابن عقدة .

قال الذهبي في السير : ((مات ابن الضريس يوم عاشوراء سنة أربع وتسعين ومائتين بالرس ، وأما أن ابن عقدة فأورد وفاته في سنة خمس وتسعين ، والأول أصح)) . السير (٤٥٠/١٣-٤٥١) .

(٣) انظر : السير (٤٤٩/١٣) ، وتذكرة الحفاظ (٦٤٣/٢) .

(٤) انظر : (٢٣٤/٢) .

(٥) انظر : (٥٦٩/٤) ، (٥٨٥/٨) ، (٦٥٦/٨) ، بواسطة معجم المصنفات الواردة في فتح الباري مع اختلاف الصفحات التي ذكرها مؤلفا المعجم والصفحات التي ذكرتها هنا لاختلاف الطبعين . انظر : المعجم (ص ٣١٠) .

(٦) انظر : مقدمة الإتقان (٢١/١) ، وانظر أيضاً على سبيل المثال (٣١/١) ، ١٦٥ ، ٢٠٦ ، (٢١٠) .

في تفسيره «الدر المنثور في التفسير المأثور» (١).

هـ - الداوودي في «طبقات المفسرين» (٢).

و- حاجي خليفة في «كشف الظنون» (٣).

ز- البغدادى في «إيضاح المكنون» (٤).

والحق يقال إن كتاب ابن الضريس لقي قبولاً لدى أهل العلم ، فمن خلال النقول الكثيرة من هذا الكتاب والإحالات عليه يمكننا أن نقول : إنه من أهم الكتب التي بين أيدينا في موضوع المكي والمدني . هذا وتتمثل أهمية هذا الكتاب أيضاً أن مؤلفه - رحمه الله - ممن له دراية في علم الحديث ، ومن هنا فإنه يسرد الروايات التي يذكرها في كتابه بذكر سنده كاملاً (٥).

وثمة أمر يستدعي الإيضاح ؛ وهو أنه شاع عند بعض الباحثين المعاصرين أن كتاب ابن الضريس هو أول كتاب ألف في المكي والمدني ، ولذا فهو الحائز على السبق في تأليف هذا الفن .

وفي هذا يقول الدكتور مسفر الغامدي - وهو ممن يرى ذلك - في تقديمه لكتاب ابن الضريس : «ولم أعثر على كتاب مستقل كان لغير مؤلفنا ، ويبقى لابن الضريس السبق في حدود علمي ومعرفتي ، حيث

(١) انظر على سبيل المثال (١١/١ ، ١٣ ، ١٦) .

(٢) يراجع : (١٠٩/٢) .

(٣) يراجع : (١٢٧٧/٢) .

(٤) يراجع : (١٩٧/٢) .

(٥) وقد حقق كتاب الضريس بتحقيقين :

أحدهما : تحقيق الدكتور مسفر بن سعيد الغامدي ، ونال به درجة الماجستير في قسم

الدراسات الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود .

والتحقيق الثاني : هو تحقيق غزوة بدير ، وصدر عن دار الفكر بدمشق .

أفرد جزءاً من كتاب الذي نحن بصدده عن نزول القرآن ، والمكي والمدني» (١).

والحق أن رسالة الزهري «تنزيل القرآن» هي التي لها السبق في هذا المجال من بين المصادر المتوفرة بين أيدينا .. والله أعلم .

٧ - «بيان عدد سور القرآن وآياته وكلماته ومكيه ومدنيه» : لابن عبد الكافي أبي القاسم عمر بن محمد المتوفى في حدود (٤٠٠هـ) (٢).

توجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب في دار الكتب المصرية برقم (٧٤) ، وتوجد صورتها في مكتبة الجامعة الإسلامية برقم (١٤٨٦) ، وعدد أوراق المخطوطة (٨٠ق) ، وعندي منها صورة . وهذا الكتاب ضمن الكتب التي اعتمدت عليها اللجنة التي أشرفت على طباعة «مصحف المدينة النبوية» ، فقد جاء في تعريف اللجنة للمصحف : «وأخذ بيان مكيه ومدنيه في الجدول الملحق بآخر المصحف من كتاب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي ، وكتب القراءات والتفسير على خلاف في بعضها» (٣).

٨ - «ما نزل من القرآن في صلب الزمان» : لأبي عبد الله الجوهري أحمد بن محمد بن عبيد الله بن الحسن بن عياش الشيعي المتوفى سنة (٤٠١هـ) (٤) ، ذكره البغدادى في «إيضاح المكنون» (٥).

(١) من تقديم الدكتور مسفر الغامدي لكتاب فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة (ص ١٤) طبعة دار حافظ للنشر والتوزيع .

(٢) ترجمته : معجم المؤلفين (٣١٢/٧) .

(٣) تعريف اللجنة التي أشرفت على طباعة مصحف المدينة النبوية في آخر المصحف .

(٤) ترجمته : أعيان الشيعة ، لحسن الأمين (٤٨٦/٩) ، الأعلام (٢١٠/١) .

(٥) انظر : (٤٢١/٤) .

٩ - «تنزيل القرآن» : لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة المقرئ ، المتوفى في حدود سنة (٤٠٣هـ) (١).

توجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب في مكتبة المجمع العلمي العراقي (٢).

١٠ - «التنزيل وترتيبه» : لأبي القاسم الحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب النيسابوري المتوفى سنة (٤٠٦هـ) (٣).

توجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب في المكتبة الظاهرية برقم (٢٦) ضمن مجموع (٤)، وتوجد صورتها في مكتبة الجامعة الإسلامية برقم (٩٦٥)، وعدد أوراقها (١٢ق) .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب جزء من الكتاب الكبير الذي عنون له المؤلف «التنبيه على فضل علوم القرآن» ، والدليل على ذلك أن الزركشي - رحمه الله - استل كتاب «التنزيل وترتيبه» برمته ، وضمّنه كتابه «البرهان» مصدراً بقوله : «قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتابه «التنبيه على فضل علوم القرآن» ...» (٥).

وتابعه السيوطي في «الإتقان» (٦) ، وحاجي خليفة

(١) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين أيدينا ، وقد سبق أن حقق كتابه حجة القراءات الدكتور سعيد الأفغاني ، وتشم الكثير من المتاعب في الحصول على ترجمة للمؤلف ، ولقد أعياه البحث أن يجد ولو بصيصاً عن حياة المترجم له .

انظر : مقدمة كتابه حجة القراءات لابن زنجلة (ص ٢٥) .

(٢) انظر : فهرس مخطوطات المجمع العلمي العراقي (١/٢٤) .

(٣) انظر ترجمته : (ص : ٣٩) .

(٤) انظر : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - علوم القرآن - (ص ٤١٩) .

(٥) البرهان (١/١٩٢) .

(٦) انظر : (١/٢٥) .

في «كشف الظنون» (١).

وقد حقق كتاب «التنزيل وترتيبه» محمد عبد الكريم كاظم الراضي ، ونشره في مجلة المورد (٢).

ويبدو - والله أعلم - أن المحقق رافضي المذهب ، وقد لمست ذلك من خلال إحالاته العديدة إلى تفسير الطبرسي الرافضي (٣).
وأما محتويات هذا الكتاب فهي على قسمين :

القسم الأول : يتعلق بتنزيل القرآن ، فقد ذكر أبو القاسم النيسابوري في مقدمة الكتاب أن أوجه تنزيل القرآن خمسة وعشرون وجهاً ، من لم يعرفها ويميز بينها لم يحلّ له أن يتكلم في كتاب الله عز وجل (٤).

وبدأ المؤلف بعد ذلك يفصل تلك الأوجه واحدة تلو الأخرى .
القسم الثاني : يتعلق بوجوه المخاطبات في القرآن الكريم ، كالعام والخاص ، والمدح والذم ، وإطلاق الجمع بلفظ الواحد ، وإطلاق الواحد بلفظ الجمع ، إلى غير ذلك من وجوه المخاطبات (٥).

وهنا أمر لا بد من لفت النظر إليه ، وهو أن كثيراً من الباحثين

(١) انظر : (٤٨٩/١) .

(٢) انظر : مجلة المورد ، المجلد السابع عشر ، العدد الرابع ، (ص ٣٠٥-٣٢٢) .

(٣) هو أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي ، صاحب كتاب مجمع البيان في تفسير القرآن ، توفي سنة (٥٤٨ هـ) .

ترجمته : أعيان الشيعة ، لحسن الأمين (٣٩٨/٨-٤٠٠) ، الأعلام (١٤٨/٥) .
هذا وقد قام الأخ الدكتور أحمد طاهر أويس بكشف الاتجاه الرافضي في هذا التفسير لنيل درجة الماجستير من قسم التفسير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٤) انظر : التنزيل وترتيبه (٢٢٢ ق / أ-ب) .

(٥) المصدر السابق (٢٢٩ ب - ٢٣٢ أ) .

المعاصرين ينقلون نصوصاً من باب «معرفة المكسي والمدني» من كتاب «البرهان» للزركشي، ولا يدرون أن الزركشي ضمن هذا الباب كتاب أبي القاسم النيسابوري «التنزيل وترتيبه»، ومن ثم ينسبون الفكرة إلى الزركشي، ومما هو معلوم منهجياً أن صاحب الفكرة الأول أولى بالعزو إليه^(١).

ومما يثير العجب في هذا المقام أن الدكتور علي شواخ - صاحب معجم مصنفات القرآن الكريم - ظن أن كتاب «التنبيه على فضل علوم القرآن» مغاير لكتاب «التنزيل وترتيبه»، والأعجب من هذا أنه تناقض في تاريخ وفاة أبي القاسم النيسابوري، فقد جعله تارة - عند ذكره لكتاب التنزيل وترتيبه - سنة (٤٠٦هـ)، وهو الصواب^(٢)، وحينما ذكر كتاب «التنبيه على فضل علوم القرآن» ذكر أن سنة وفاته (٢٤٥هـ)^(٣)، تبعاً للخطأ الذي وقع فيه صاحب كشف الظنون.

ولعل الصنيع الذي سلكه الدكتور شواخ في جمعه لمادة هذا المعجم هو الذي أدى إلى ذلك الخطأ وغيره من الأخطاء التي توجد في هذا المعجم، إذ تمّ جمع مادة هذا المعجم - كما هو معروف لدى الباحثين - من خلال مراسلة مؤلفه إلى مكتبات العالم فحسب، ورتبها بعد ذلك حسب الموضوعات.

والحق يقال إن القارئ لهذا المعجم ليجد أنه تنقصه الدقة والتحقيق في

(١) انظر على سبيل المثال : خصائص السور والآيات المدنية ضوابطها ومقاصدها ، للدكتور عادل أبي العلا (ص١٣٢، ١٤٢، ١٤٧) ، ودراسات في علوم القرآن ، للدكتور فهد الرومي (ص١٣٩) .

(٢) انظر : معجم مصنفات القرآن الكريم (١/١٣٤) .

(٣) المصدر السابق (٣/١٩٧) .

سلامة المعلومات المذكورة فيه .

وقد صرح مؤلفه في المقدمة بطريقته في جمع مادة هذا المعجم فقال :
«وقد راسلت أكثر من أربعمائة مصدر علمي ما بين جامعة ، ومؤسسة علمية ، ودار كتب وطنية ، ومكتبة عامة أو خاصة ، ومركز ثقافي ، وهيئة تحرير مختصة أو شبه مختصة ، وأمين مكتبة لديه معرفة واطلاع» (١).

١١ - كتاب «المكي والمدني» : لمكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة (٤٣٧هـ) (٢)، ذكره السيوطي في «الإتقان» (٣)، وطاش كبرى زاده (٤) في «مفتاح السعادة» (٥)، وابن عقيلة المكي (٦) في «الزيادة والإحسان في علوم القرآن» (٧)، والعجيب أن هذا الكتاب لم يشر إليه الدكتور أحمد حسن فرحات ، رغم أنه له صولات وجولات في حياة

(١) معجم مصنفات القرآن الكريم (١٨/١) .

(٢) ترجمته : وفيات الأعيان (٤/٣٦١) ، طبقات المفسرين ، للدواودي (٢/٣٣١-٣٣٢) .

(٣) انظر : (٢٥/١) .

(٤) أحمد بن مصطفى بن خليل الرومي المعروف بطاش كبرى زاده ، من مؤلفاته مفتاح السعادة ، وشرح الفوائد الغيائية في المعاني والبيان ، توفي - رحمه الله - سنة (٩٦٨هـ) .

ترجمته : الأعلام (١/٢٥٧) ، معجم المؤلفين (٢/١٧٧) .

(٥) انظر : (٢/٣٨٠) .

(٦) هو محمد بن أحمد بن سعيد بن مسعود الحنفي المكي المشهور بابن عقيلة ، من مؤلفاته الزيادة والإحسان في علوم القرآن ، والفوائد الجلية في مسلسلاته ، توفي - رحمه الله - سنة (١١٥٠هـ) .

ترجمته : فهرس الفهارس للكتاني (٢/٣٩-٤٠) ، معجم المؤلفين (٨/٢٦٤) .

(٧) انظر : (١١ق/ب) .

وهذا الكتاب كتاب كبير حاول فيه مؤلفه أن يجمع كل أنواع علوم القرآن ، وفرع مسائل تلك الأنواع ، وقد بلغت (١٥٠) نوعاً .

ولأهميته قد حقق في رسائل علمية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

مكي ومؤلفاته^(١).

ويرى أخونا وزميلنا الدكتور حازم حيدر أنه لا يستبعد أن يكون الإمام السيوطي - رحمه الله - قد عني بهذا الكتاب كتاب «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» ؛ إذ لمكي اهتمام في قضايا المكي والمدني في هذا الكتاب، واستند الدكتور حازم في رأيه هذا أيضاً إلى أن الدكتور فرحات لم يذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفات مكي في رسالته التي نال بها درجة الدكتوراه «مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن» ، وفي تحقيقاته لبعض مؤلفات مكي^(٢).

ويبدو - والله أعلم - أن إغفال الدكتور فرحات لهذا الكتاب ليس دليلاً على تشكيك صحة نسبة الكتاب إلى مكي ، بل تأكد عندي أن ما ذكره الإمام السيوطي - رحمه الله - هو الحق ، وذلك للأدلة التالية :

أولاً : نقل السيوطي - رحمه الله - في «الإتقان» قول مكي في

(١) انظر : مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن - رسالة دكتوراه - للدكتور أحمد حسن

فرحات ، مبحث «مؤلفات مكي في التفسير وعلوم القرآن» (ص ١٠٩-١٤٥).

كما حقق الدكتور فرحات أيضاً عدة مؤلفات من مؤلفات مكي ، منها :

أ - الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه .

ب - الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة .

ج - الباءات المشددة في القرآن الكريم .

د - شرح كلاً وبلى ونعم والوقف على كل واحدة منهن في كتاب الله عز وجل .

هـ - وقد نمي إليّ أخيراً أن الدكتور فرحات أنهى تفسير مكي «الهداية إلى بلوغ النهاية

في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وحمل من فنون علومه» ، كما حقق هذا

التفسير مجموعة من طلبة الدراسات العليا بجامعة محمد بن عبد الله (فاس) بالمغرب .

انظر : أخبار التراث العربي ، العدد (٣٩) ، (ص ١٣) .

(٢) انظر : علوم القرآن بين البرهان والإتقان - دراسة مقارنة - للدكتور حازم حيدر

(ص ١٢٥) ، رسالة دكتوراه لم تنشر بعد .

تعقيبه على ما روي عن ابن مسعود «كل شيء نزل يأيها الناس فهو مكى ، وكل شيء نزل يا أيها الذين آمنوا فهو بالمدينة» (١) ، فقال : «وقال مكى : هذا إنما هو في الأكثر ، وليس بعام ، وفي كثير من السور المكى يا أيها الذين آمنوا» (٢) .

وقد استعرض مكى - رحمه الله - ضوابط السور المكى والمدنية في الإيضاح باختصار ، وذكر هذا الضابط ، إلا أنه لم يذكر التعقيب الذي نقله عنه السيوطي (٣) ، الأمر الذي يدلنا على أنه قد توسع في ذكر هذه القضايا في الكتاب الذي نسبه إليه السيوطي .

ثانياً : جرت عادة الإمام السيوطي - رحمه الله - في كتابه «الإتقان» أن يذكر تحت النوع الذي يتحدث عنه المؤلفات التي أفردت في ذلك النوع ، فكثيراً ما يقول : «أفرده بالتصنيف ...» (٤) ، وهذه عبارة واضحة لا غموض فيها ، فكيف نخرجها إذاً من مدلولها الصحيح ونحملها ما لا تحتمل ؟ أليس من المقرر في القواعد الأصولية أن اللفظ إذا لم يكن هناك معنى شرعي ولا عرفي يفسر بحسب مدلوله اللغوي ؟

قال صاحب المراقي (٥) :

واللفظ محمول على الشرعيّ إن لم يكن فمطلق العرفيّ

(١) انظر تخريج هذا الأثر : (ص : ٥٣) .

(٢) الإتقان (٥٣/١) .

(٣) انظر : الإيضاح (ص ١١٤-١١٥) .

(٤) انظر على سبيل المثال : (١/٢٥ ، ٩٢ ، ٢٥٨ ، ٣٠٢ ، ٥٧٥) .

(٥) هو العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم ، من علماء موريتانيا ، توفي - رحمه الله - سنة (١٢٣٣هـ) .

نقلًا عن ترجمة الدكتور محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي للمؤلف في تحقيقه لكتاب «مراقي السعود إلى مراقي السعود» (ص ١٣-١٥) .

فاللغوي على الجلي ولم يجب بحث عن المجاز في الذي انتخب
ثالثاً : قارنت بين النقول التي ينقلها الإمام السيوطي عن مكّي بن
أبي طالب في النوع السابع والأربعين من كتابه «الإتقان» وهو «الناسخ
والمنسوخ» وبين كتاب «الإيضاح» لمكّي فإذا هي تطابقت^(١) ، علماً بأن
السيوطي ذكر في صدر هذا النوع أن مكياً ممن أفرد بالتأليف في الناسخ
والمنسوخ^(٢).

فكما أن تلك النقول لم توجد بنصها إلا في كتاب «الإيضاح»
فكذلك العبارة التي نقلها السيوطي عن مكّي في باب «معرفة المكّي
والمدني» فهي - بالتأكيد - لا توجد إلا في الكتاب الذي نسبه إلى مكّي.
وخلاصة القول : أن مما لا شك فيه أنه لو كان كتاب مكّي بن أبي
طالب القيسي بين أيدينا لكان سدّ ثغرة كبيرة في مسائل المكّي والمدني؛
وذلك لما عرف عنه من أنه يقدم معلومات دقيقة بقلمه البليغ، وأسلوبه
الواضح ، إضافة إلى براعة نقده ونصاعة حجته ، ومؤلفاته التي بين أيدينا
صورة تلك الشخصية العبقريّة الفذة .

ولعل الأيام تظهر ذلك الكتاب شأنه شأن غيره من المؤلفات التي
ضاعت في لجة التاريخ .

(١) رتب هذه المقارنة على الترتيب الذي أورده السيوطي في الإتقان .

انظر : الإتقان (٧٠٠/٢) وقارن معه الإيضاح (ص ٤٧) .

الإتقان (٧٠٤/٢) وقارن معه الإيضاح (ص ١٢٦) .

الإتقان (٧٠٤-٧٠٥) وقارن معه الإيضاح (ص ٧٢) .

الإتقان (٧٠٦/٢) وقارن معه الإيضاح (ص ١٥١) .

الإتقان (٧١٦/٢) وقارن معه الإيضاح (ص ٣٩٩) .

(٢) انظر : الإتقان (٧٠٠/٢) .

١٢ - «المكي والمدني في القرآن واختلاف المكي والمدني في آيه» : لأبي عبد الله محمد بن شريح بن أحمد بن محمد الإشبيلي الرعيي المقرئ المتوفى سنة (٤٧٦هـ) (١)، ورد ذكره في فهرسة ابن خير الإشبيلي (٢).

١٣ - «يتيمة الدرر في النزول وآيات السور» : لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الموصلي الحنبلي المقرئ المتوفى سنة (٦٥٦هـ) (٣).
توجد نسخة مخطوطة في مكتبة تشستر بيتي بدبلن - أيرلندا - برقم (٣٩٦١) ضمن مجموع (٤)، وتوجد صورتها بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بنفس الرقم السابق (٥)، وهذه المخطوطة كلها ثلاث ورقات، يذكر فيها المؤلف - رحمه الله - ترتيب النزول المكي والمدني إضافة إلى عدد آي كل سورة.

١٤ - «كتاب المكي والمدني في القرآن» : المنسوب إلى عبد العزيز بن أحمد بن سعيد بن عبد الله عز الدين الشافعي المعروف

(١) انظر ترجمته : معرفة القراء الكبار (١/٤٣٤-٤٣٥)، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، للضبي (ص ٨١).

(٢) انظر : فهرسة ابن خير المسمى «فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف» (ص ٣٩).

(٣) انظر ترجمته : الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب (٢/٢٥٦)، معرفة القراء (٢/٦٧١).

(٤) انظر : فهرس المخطوطات العربية في مكتبة تشستر بيتي (٣/٤٣٩).

(٥) انظر : فهرس المخطوطات والمصورات بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - التفسير وعلوم القرآن - (٢/٢٤٦).

وقد بعث إلي بصورة من هذه المخطوطة الأخ الزميل عمر إيمان أبوبكر من الرياض، فجزاه الله خير الجزاء.

بالديريني المتوفى سنة (٦٩٤هـ) (١).

ذكر السيوطي في «الإتقان» أنه ممن أفرد بالتأليف في المكي والمدني (٢)، وبعد بحث طويل لم أعثر على هذا التأليف الذي أشار إليه الإمام السيوطي .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن للعز الديريني منظومة في التفسير ، سماها : «التيسير في علم التفسير» تزيد على ثلاثة آلاف ومائتي بيت ، كما ذكره الداوودي في طبقات المفسرين (٣)، وقد اطلعت على هذه المنظومة في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، فوجدتها مرتبة على حسب سور القرآن الكريم ، وهي مودعة برقم (١١٢٠) .

وقد اعتنى الديريني - رحمه الله - في هذه المنظومة بشرح الغريب من كلمات القرآن، كما أن بعض أبيات المنظومة تضمنت قضايا تتحدث عن المكي والمدني .

ونقل السيوطي - رحمه الله - في الإتقان بيتاً من الأبيات الدالة على ذلك عند حديثه عن ضوابط المكي والمدني حيث قال : «وقال الديريني رحمه الله :

وما نزلت كلاً بيثرب فاعلمن ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى» (٤)

(١) ترجمته : طبقات المفسرين ، للداوودي (٣١٠-٣١٢) ، طبقات الشافعية ، للسبكي (١٩٩/٨) .

(٢) ينظر : (٢٥/١) .

(٣) ينظر : (٣١٢/١) .

(٤) ينظر : الإتقان (٥٤/١) وقارن معه منظومة الديريني المسمى «التيسير في علم التفسير» نسخة غير مرقمة مودعة في المركز المذكور .

١٥ - «الأرجوزة المتضمنة معرفة المكي والمدني من سور القرآن

الكريم»: لبدر الدين محمد بن أيوب بن عبد القاهر بن بركات التاذفي الحنفي الحلبي المتوفى سنة (٧٠٥هـ) (١).

توجد نسخة من هذه الأرجوزة في المكتبة الظاهرية برقم (٧٦٥٩) (٢)، كما توجد نسخة أخرى في دار الكتب المصرية بعنوان: «منظومة فيما نزل من السور بمكة والمدينة» تحت رقم (١٢١٠١) ضمن مجموع (٣).

وبما أن التاذفي كان من شيوخ الإمام الذهبي (٤) كما ذكره الذهبي نفسه في «معرفة القراء الكبار» حيث قال في ترجمته: «... وحضرت عنده ، وكتبت عنه ، ولم أنشط للجمع عليه» (٥)، فإن الذهبي - رحمه الله - أودع هذه المنظومة في آخر ذلك الكتاب النفيس (٦).

(١) ترجمته: معرفة القراء الكبار (٧١٩/٢-٧٢٠)، الدرر الكامنة (١٤/٤).

(٢) ينظر: فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - علوم القرآن - (ص ٣٣٥).

(٣) ينظر: فهرس دار الكتب المصرية (١٢٩/٣).

(٤) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان التركماني الأصل ثم الدمشقي ، ألف ميزان الاعتدال ، وسير أعلام النبلاء ، وغيرهما من المؤلفات ، توفي - رحمه الله - سنة (٧٤٨هـ).

ترجمته: الدرر الكامنة (٤٢٦/٣-٤٢٧)، الدليل الشافي على المنهل الصافي ، لابن تغري بردي (٥٩١/٢).

(٥) معرفة القراء الكبار (٧٢٠/٢)، وانظر: معجم الشيوخ ، للذهبي (١٧٣/٢).

(٦) ينظر: معرفة القراء الكبار (٦٢٨/٢-٦٣٢) طبعة القاهرة ، ولم ترد المنظومة الطبعة التي حققها الدكتور بشار عواد ، وشعيب الأرناؤوط ، وصالح عباس بالاشتراك ، ونشرتها مؤسسة الرسالة .

وأبيات المنظومة (٣٩) بيتاً ، منها قوله :

أم القرآن بالمدينة نزلت وقيل في مكة فاسمع ما ثبت

وقيل قد تكرر النزول وقد أتى بفضلها الرسول (١)

١٦ - «تقريب المأمول في ترتيب النزول» : لبرهان الدين

إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري المقرئ المتوفى سنة (٧٣٢هـ) .

ورد ذكر هذه المخطوطة في «الإتقان» للسيوطي (٢) ، وحاجي خليفة

في «كشف الظنون» (٣) ، وهي عبارة عن منظومة في ترتيب نزول القرآن

المكي والمدني .

واعتمد الجعبري - رحمه الله - في نظم هذه المنظومة على رواية

جابر بن زيد (٤) في المكي والمدني ، وفي هذا يقول السيوطي - رحمه الله

- بعد إirاده ترتيب جابر بن زيد في السور المكية والمدنية : «هذا سياق

غريب ، وفي هذا الترتيب نظر ، وجابر بن زيد من علماء التابعين

بالقرآن ، وقد اعتمد البرهان الجعبري على هذا الأثر في قصيدته التي سَمَّاها

تقريب المأمول في ترتيب النزول» (٥).

(١) معرفة القراء الكبار (٢/٦٢٨) ، وقد راسلت المكتبة الظاهرية ، ودار الكتب المصرية

عن وجود هذه المنظومة بواسطة عمادة شؤون المكتبات بالجامعة الإسلامية بالمدينة

المنورة ، ولم أجد ردّاً إلى الآن.

(٢) ينظر : (١/٨٢) .

(٣) ينظر : (١/٤٦٥) .

(٤) هو أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي اليعمدي مولاهم ، البصري ، كان تلميذاً لابن

عباس رضي الله عنهما ، توفي - رحمه الله - سنة (٩٣هـ) .

ترجمته : المعرفة والتاريخ ، للفسوي (٢/١٢-١٣) ، السير (٤/٤٨١-٤٨٣) .

(٥) الإتقان (١/٨٢) .

وتوجد هذه المخطوطة في مكتبة الدولة ببرلين برقم (٤٣٣) (١)،
وتوجد صورتها بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم
(٤١٣٥) ضمن مجموع (٢)، كما توجد نسخة أخرى أيضاً في الخزانة
التيمورية برقم (٣٦٥) (٣)، وعدد أوراق هذه المخطوطة ثلاثة أوراق.

١٧ - «الكلام على أماكن من التنزيل»: لابن أبي شريف برهان
الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي بكر الشافعي المتوفى سنة
(٩٢٣هـ) (٤).

توجد نسخة من هذه المخطوطة في جامعة ليدن بهولندا برقم
(٢٥٠٩) (٥).

١٨ - «رسالة العوفي في المكي والمدني والناسخ والمنسوخ وعدد
الآي»: محمد بن أحمد العوفي المتوفى سنة (١٠٥٠) (٦).

توجد نسخة من هذه الرسالة في الأزهرية برقم (٥٤٤) ضمن
مجموع (٧).

١٩ - «أرجوزة في القرآن المكي والمدني وما في تعداده من
الخلافا»: محمد بن أحمد بوزان الخزاني، كان حياً سنة (١٢١٦هـ) (٨).

(١) انظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط - مخطوطات التفسير وعلومه
- (٩٠٥/٢).

(٢) انظر: فهرس المخطوطات والمصورات بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -
التفسير وعلوم القرآن - (٩٢-٩١/٢)، وعند مصورة جامعة الإمام.

(٣) انظر: فهرس الخزانة التيمورية (١٤٤/١).

(٤) ترجمته: البدر الطالع (٢٧-٢٦/١)، معجم المؤلفين (٩٣/١).

(٥) انظر: الفهرس الشامل (٥٤٩/١).

(٦) ترجمته: الأعلام (٩/٦)، معجم المؤلفين (٣٠٦/٨).

(٧) انظر: فهرس الكتب الموجودة بالمكتبة الأزهرية (١٧٩/١).

(٨) لم أعثر له على ترجمة.

توجد نسخة من هذه الأرجوزة في خزانة تطوان بالمغرب برقم (٦٠٩) ، وهي منظومة مختلة الوزن مكونة من (٢٤) بيتاً^(١).

المسألة الثانية : المؤلفات التي ألّفت في المكي والمدني وجهل مؤلفوها
وقفت أثناء تقييد هذه المادة على مجموعة من المؤلفات التي ألّفت في المكي والمدني أيضاً ولكنها لمؤلفين مجهولين ، وفيما يلي أسماء هذه المؤلفات :

١ - «رسالة في المكي والمدني من القرآن في قول قتادة وعطاء بن يسار» :

توجد نسخة منها في الأزهرية برقم (١٤٠٨) ضمن مجموع^(٢).
ومما هو جدير بالذكر أن روايات قتادة في المكي والمدني أخرجها جمع من أهل العلم في مؤلفاتهم ، كابن المنذر^(٣) في تفسيره ، وابن الأنباري^(٤) في «الرد على من خالف مصحف عثمان» - رضي الله عنه - ،

(١) انظر : فهرس مخطوطات خزانة تطوان - قسم القرآن وعلومه - (ص ١٨٢-١٨٣) .

(٢) انظر : فهرس الأزهرية (١/١٨٠) .

(٣) هو أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الشافعي ، صنف الأوسط ، والإجماع ، توفي - رحمه الله - سنة (٣١٨هـ) .

ترجمته : طبقات المفسرين للداوددي (٢/٥٥-٥٦) ، طبقات الشافعية للسبكي (٣/١٠٢) .

هذا وقد ذكر شيخنا الدكتور حكمت بشير أنه توجد قطعة من تفسير ابن المنذر في مكتبة جوتا بألمانيا الشرقية سابقاً .

انظر : التفسير الصحيح - موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور - منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة ، العدد (١٠١-١٠٢) ، السنة (٢٦) ، ص (٢٦) .

(٤) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري المقرئ النحوي ، صنف الوقف

والحارث بن أسد المحاسبي^(١) في «فهم القرآن» ، وأبو عمرو الداني في «البيان في عدّ آي القرآن» .

وسياتي بيان ذلك مفصلاً عند ذكر روايات السور المكية والمدنية إن شاء الله تعالى .

وأما عطاء بن يسار فقد ذكر طرفاً من أقواله في المكي والمدني السخاوي^(٢) في «جمال القراء وكمال الإقراء»^(٣) .

٢ - «بيان ما نزل من القرآن بمكة والمدينة» :

توجد نسخة منها في معهد الاستشراق بليينغراد برقم (١٩٤)^(٤) .

٣ - «ترتيب نزول القرآن في مكة والمدينة» :

توجد نسخة منها في المكتبة الغربية بإيران ، برقم (٢٧١)^(٥) .

٤ - «رسالة في المكي والمدني في القرآن» :

توجد نسخة منها في الأزهرية برقم (٧٨٢) ضمن مجموع^(٦) .

→

والابتداء ، والرد على من خالف مصحف عثمان ، توفي - رحمه الله - سنة (٣٢٨هـ) .

ترجمته : معرفة القراء الكبار (٢٨٠/١-٢٨٢) ، بغية الوعاة (٢١٢/١-٢١٤) .

هذا وقد قام الشيخ فرج العوفي بدراسة عن ابن الأنباري وجهوده في التفسير وعلوم القرآن نال بها درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية .

(١) ستأتي ترجمته قريباً . انظر : (ص : ٦٤) .

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد بن عطاس علم الدين السخاوي المصري

الشافعي ، صنف جمال القراء ، وشرح الشاطبية ، توفي - رحمه الله - سنة (٦٤٣هـ) .

ترجمته : السير (١٢٢/٢٣-١٢٤) ، طبقات الشافعية ، للسبكي (٢٩٧/٨-٢٩٨) .

(٣) انظر : (١١-٦/١) .

(٤) انظر : الفهرس الشامل (٩٠٦/٢) .

(٥) المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٦) انظر : فهرس الأزهرية (١٨٠/١) .

٥ - «بيان المكي والمدني من السور» :

توجد نسخة منها في مكتبة مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى برقم (٦٦) ضمن مجموع^(١).

٦ - «بيان المكي والمدني من أول سورة الصافات إلى آخره» :

توجد نسخة منها في مكتبة أسعد أفندي بتركيا برقم (٨٩) ضمن مجموع^(٢).

المسألة الثالثة : المؤلفات التي خصصت باباً أو فصلاً أو قسماً أو غير

ذلك من التسميات في موضوع المكي والمدني :

هناك مؤلفات على اختلاف مناحيها أفردت باباً أو فصلاً أو قسماً في موضوع المكي والمدني ، إما لوجود صلة بين المكي والمدني وبين موضوع ذلك الكتاب ، وإما أنه توجد روايات تتعلق بالمكي والمدني فحسب ، دون أن تكون هناك صلة واضحة بين موضوع ذلك الكتاب وبين المكي والمدني .

وسأشير هنا إلى ما تيسر لي الوقوف عليه ، وليعلم أنني لست بذلك مستقصياً ، وها هي تلك المؤلفات مرتبة ترتيباً زمنياً حسب وفيات مؤلفيها :

١ - «فضائل القرآن ومعالمه وأدبه» : للإمام أبي عبيد القاسم بن

(١) انظر : فهرس المصنوعات الميكروفيلمية الموجودة بمكتبة مركز البحث العلمي وإحياء

التراث الإسلامي - القسم الأول - التفسير وعلوم القرآن - (ص ٢٦) .

(٢) انظر : الفهرس الشامل (٢/٩٠٥) .

سلام المتوفى سنة (٢٢٤هـ) (١) ، فقد عقد في هذا الكتاب باباً بعنوان «باب منازل القرآن بمكة والمدينة وذكر أوائله وأواخره» (٢).

٢ - «المصنف في الأحاديث والآثار»: لعبد الله بن محمد بن أبي شيبه المتوفى سنة (٢٣٥هـ) (٣) ، فقد أورد تحت كتاب فضائل القرآن باباً عنوان له : «باب ما نزل من القرآن بمكة والمدينة» ، وفيه بعض الروايات التي تتعلق بضوابط المكي والمدني (٤).

٣ - «فهم القرآن» : لحارث بن أسد المحاسبي المتوفى سنة (٢٤٣هـ) (٥) ، فقد تحدث في القسم السادس في كتابه «فهم القرآن» عن تقسيم القرآن إلى مكّي ومدني ، وذكر بعض الفوائد المترتبة على ذلك ، كما أنه عرض مميزات كل من المكي والمدني باختصار (٦).

٤ - «الفهرست» : لمحمد بن إسحاق النديم المتوفى سنة (٣٨٥هـ) (٧) ، فقد عقد باباً بعنوان : «باب نزول القرآن بمكة والمدينة

(١) ترجمته : إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطي (١٢/٣-٢٣) ، بغية الوعاة (٢/٢٥٣-٢٥٤) .

(٢) انظر : فضائل القرآن ، لأبي عبيد (ص٢١٩-٢٢٤) طبعة دار الكتب العلمية بتحقيق وهي غاوجي ، وقد حقق كتاب أبي عبيد كذلك محمد نجاتي جوهرى كرسالة ماجستير لم تنشر بعد ، قدمها إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز - جامعة أم القرى حالياً - كما حقق أيضاً فضائل القرآن ، لأبي عبيد الباحث أحمد الخياطي كرسالة ماجستير قدمت إلى دار الحديث الحسنية بالرباط .
انظر : أخبار التراث العربي ، العدد (٣٩) ، (ص٢٧) .

(٣) ترجمته : السير (١١/١٢٢-١٢٧) ، طبقات المفسرين ، للدودوي (١/٢٥٢-٢٥٣) .
(٤) انظر : المصنف (١٠/٥٢٢) .

(٥) ترجمته : وفيات الأعيان (٢/٥٧-٥٨) ، السير (١٢/١١٠-١١٢) .

(٦) انظر : فهم القرآن المطبوع مع كتاب العقل ، وكلاهما للحارث (ص٣٩٤-٣٩٧) .

(٧) ترجمته : الوافي بالوفيات (٢/١٩٧) ، معجم المؤلفين ، لكحالة (٩/٤١) .

وترتيب نزوله» في الفن الثالث من المقالة الأولى من كتابه «الفهرست»،
أورد فيه بعض روايات المكي والمدني^(١).

٥ - «البيان في عدة آي القرآن» : لأبي عمرو الداني المتوفى سنة
(٤٤٤هـ)^(٢).

ورغم عناية أبي عمرو الداني في ذكر المكي والمدني في بداية كل
سورة - رغم ذلك - قد عقد باباً خاصاً في كتابه المذكور بعنوان «باب
ذكر المكي والمدني من القرآن» ، أورد فيه روايات عديدة في هذا
الموضوع^(٣).

٦ - «دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة» : للإمام
البيهقي المتوفى سنة (٤٥٨هـ) ، فقد بَوَّب في هذا السفر النفيس باباً
بعنوان : «باب ذكر السور التي نزلت بمكة والتي نزلت بالمدينة» ، وذكر
فيه بعض روايات ترتيب نزول المكي والمدني^(٤).

٧ - «فنون الأفيان في عيون علوم القرآن» : لأبي الفرج عبد
الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧هـ)^(٥)، قد عقد في هذا الكتاب باباً

(١) انظر : الفهرست (ص ٢٨) .

(٢) سبقت ترجمته . انظر : (ص : ٥١) .

(٣) انظر : البيان ، للداني (ص ١٣٢-١٣٨) .

(٤) انظر : دلائل النبوة ، للبيهقي (١٤٢/٧-١٤٥) .

(٥) ترجمته : الذيل على طبقات الحنابلة ، لابن رجب (٣٩٩/١-٤٣٣) ، طبقات
المفسرين، للدودوي (٢٧٥/١-٢٨٠) .

هذا وقد قام الدكتور عبد الرحيم الطحان بدراسة عن ابن الجوزي وتفسيره «زاد المسير
في علم التفسير» في رسالة دكتوراه قدمت إلى جامعة الأزهر ، كما قام الباحث أحمد
فهيم مطر بنشر بحث موجز عن ابن الجوزي وتفسيره في مجلة البحوث الإسلامية ،
العدد (٣١) .

موجزاً اقتصر فيه على ذكر السور المدنية فحسب برواية ابن شيطا^(١)،
وعنون له : «باب بيان السور المكية من المدنية»^(٢).

ولعل إحالة المؤلف إلى تفاسيره تدلنا على مدى توسعه في هذا
الموضوع من خلال تلکم التفاسير ؛ إذ يقول في صدر الباب المذكور :
«قد وقع في ذلك خلاف كثير ، وقد ذكرته في كتب التفسير ، ولم أر
التطويل به هنا ، لئلا يتكرر في التصانيف»^(٣).

٨ - «جمال القراءة وكمال الإقراء» : لعلم الدين السخاوي المتوفى
سنة (٦٤٣هـ)^(٤) ، فقد جعل السخاوي الكتاب الأول من كتابه «جمال
القراءة وكمال الإقراء» الحديث عن قضايا المكي والمدني تحت عنوان :
«الكتاب الأول : نشر الدرر في ذكر الآيات والسور»^(٥) ، وكثيراً ما يذكر
السخاوي في هذا الكتاب أقوال عطاء بن أبي مسلم الخراساني في المكي
والمدني ؛ ولأجل هذا قال في خاتمة حديثه عن المكي والمدني : «فهذا
جميع المختلف في تنزيه ذكرته وما لم أذكره من السور فلا خلاف فيه ،
وهو على ما ذكره عطاء الخراساني في المكي والمدني»^(٦).

٩ - «المفرد في معرفة العدد»^(٧) أو «حسن المدد في معرفة

(١) هو أبو الفتح عبد الواحد بن حسين بن أحمد بن عثمان بن شيطا البغدادي ، صنف

كتاب التذكار في القراءات العشر ، توفي - رحمه الله - سنة (٤٥٠هـ) .

ترجمته : معرفة القراء الكبار (١/٤١٥) ، غاية النهاية (١/٤٧٣-٤٧٤) .

(٢) انظر : فنون الألفان ، لابن الجوزي (ص ٣٣٥-٣٣٩) .

(٣) المصدر السابق (ص ٣٣٥) .

(٤) سبقت ترجمته . انظر : (ص : ٨٢) .

(٥) انظر : جمال القراءة (١/٥-٢٠) .

(٦) المصدر السابق (١/٢٠) .

(٧) ورد هذا العنوان مصرحاً هكذا في كتاب البرهان للزركشي . انظر : (١/٢٦٦) .

العدد» (١) : للجعبري المتوفى سنة (٧٣٢هـ) .

جعل الجعبري - رحمه الله - الباب الثامن من أبواب كتابه المذكور باباً خاصاً في الحديث عن قضايا المكي والمدني ، فقد أورد فيه بعض فوائد المكي والمدني كقوله : «وجلّ فائدته تظهر في علم الناسخ والمنسوخ بسبب معرفة المتقدم والمتأخر» (٢) .

كما أتى الجعبري في هذا الكتاب تقسيماً مهماً في ضوابط المكي والمدني حيث يقول : «وله طريق سماعي وقياسي ، فالسماعي ما وصل إلينا نزوله بأحدهما ، والقياسي ...» (٣) ، وبدأ بعد ذلك يعدّد الضوابط القياسية .

١٠ - «الموافقات في أصول الشريعة» : لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي المتوفى سنة (٧٩٠هـ) (٤) .

(١) هكذا ورد عنوان كتاب الجعبري أيضاً في مصاعد النظر للبقاعي . انظر: (١٦١/١) وهو الموافق لما في الهبات الهنيات في المصنفات الجعبريات ، للجعبري نفسه . انظر : (٦٤ق/ب) ، وقد جاء عنوان الكتاب كذلك في المخطوطة المصورة لدى الجامعة الإسلامية بالمدينة بعنوان : المدد في معرفة العدد ، والمخطوطة مودعة برقم (١٥٧٤) ضمن مجموع ، وصورتها عندي .

(٢) المفرد في معرفة العدد (٣٥ق/أ) .

(٣) المصدر السابق ، ونفس الورقة والوجه .

(٤) ترجمته : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، ص ٢٣١ ، معجم المؤلفين (١١٨/١) .

هذا وقد قام الباحث أحمد الريسوني بدراسة ممتعة حول نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، وهي من منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، كما قام الباحث حمادي العبيدي بدراسة نحو هذه بعنوان : الشاطبي ومقاصد الشريعة ، وهي منشورة ضمن السلسلة التراثية التي تنشرها كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس .

عنون الشاطبي - رحمه الله - المسألة الثامنة من كتاب «الأدلة الشرعية» - الطرف الأول (١) - عنواناً بمثابة قاعدة أساسية من قواعد علم المكي والمدني ، حيث يقول : «المسألة الثامنة : الأدلة المكية أصول كلية ، والمدنيات مقيدة ومكملة» (٢) ، كما عنون المسألة الحادية عشرة من كتاب الأدلة الشرعية - الطرف الثاني - بعنوان : «المدني مبني على المكي ، وكذا كل متأخر في النزول مع المتقدم» (٣).

وسنذكر نماذج تطبيقية لهاتين القاعدتين عند حديثنا عن القواعد التي يقوم عليها علم المكي والمدني - إن شاء الله - .

١١ - «البرهان في علوم القرآن» : للإمام الزركشي ، المتوفى سنة (٧٩٤هـ) (٤) ، فقد جعل الزركشي - رحمه الله - النوع التاسع من كتابه «البرهان» «معرفة المكي والمدني ، وما نزل بمكة والمدينة ، وترتيب ذلك» (٥) ، وكما قلت سابقاً إن الزركشي - رحمه الله - استل كتاب أبي القاسم النيسابوري «التنزيل وترتيبه» وأودعه في كتابه «البرهان» (٦) . ومما هو جدير بالذكر أن الزركشي - رحمه الله - قد أجاد وأفاد في عرض ضوابط المكي والمدني ، ولم أقف على كتاب يشابهه في هذه

(١) الطرف الأول ، الطرف الثاني اصطلاحات يستخدمها الشاطبي في الموافقات على سبيل المثال يتحدث عن الطرف الأول من كتاب الأدلة الشرعية في الأدلة على الجملة ، وفي الطرف الثاني في الأدلة على التفصيل .

(٢) الموافقات في أصول الشريعة (٤٦/٣ - ٥٠) .

(٣) المصدر السابق (٤٠٦/٣) .

(٤) سبقت ترجمته ، انظر : (ص : ٤٧) .

(٥) انظر : البرهان للزركشي (١٨٧/١) .

(٦) للتوسع في هذه القضية انظر : (ص : ٦٩) .

الناحية ، فقد كان يعقب ما يحتاج إلى تعقيب من تلك الضوابط^(١).

١٢ - «كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة

ومسند أحمد» : لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة (٨٠٧هـ)^(٢)، فقد بَوَّبَ باباً في كتابه المذكور بعنوان : «باب ما نزل بمكة والمدينة»^(٣).

١٣ - «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» : لمحمد

الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى سنة (٨١٧هـ)^(٤).

خصص الفيروزآبادي - رحمه الله - الفصلين الخامس والسادس من هذا الكتاب في الحديث عن المكي والمدني ، فقد تحدث في الفصل الخامس عن ترتيب سور القرآن تحت عنوان : في ترتيب نزول سور القرآن^(٥) ، وأما الفصل السادس فقد تحدث فيه عما سَمَّاهُ : ترتيب نزول الخواص في التفسير ، وذكر أنه ينبغي أن يكون الخواص على علم بالتفريق بين الآية التي نزلت بمكة وحكمها مدني ، والتي نزلت بالمدينة وحكمها مكي ، وكذلك الآيات المكية في السور المدنية ، والآيات المدنية في السور المكية ، إلى غير ذلك من صلات المكي والمدني^(٦).

١٤ - «مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور» : للإمام

البقاعي المتوفى سنة (٨٨٥هـ)^(٧).

(١) انظر : البرهان للزركشي (١٨٨/١-١٩١) .

(٢) ترجمته : الضوء اللامع (٢٠٣-٢٠٠/٣) ، البدر الطالع (٤٤١/١-٤٤٢) .

(٣) انظر : كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة ومسند أحمد (٣٩/٣) .

(٤) ترجمته : الضوء اللامع (٨٦-٧٩/٥) ، البدر الطالع (٢٨٤-٢٨٠/٢) .

(٥) انظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٩٧-٩٩) .

(٦) انظر : المصدر السابق (١٠٧-١٠٠/١) .

(٧) سبقت ترجمته ، انظر : (ص : ٤٧) .

خصص البقاعي - رحمه الله - درساً خاصاً في الحديث عن ضوابط المكي والمدني في كتابه المذكور ، وهو ينقل في هذا عن أبي عمرو الداني والجعبري^(١).

ومع أن الكتاب الأصلي لكتاب البقاعي هو بيان مقاصد سور القرآن كما يبدو من عنوان الكتاب إلا أن البقاعي قد اهتم اهتماماً بالغاً بأن يذكر في صدر السور ما قيل في مكيتها أو مدنيتهن ، وكذلك الآيات المستثناة من السور ، كل ذلك نجده معزواً إلى أصحابه^(٢).

وفي هذا يقول البقاعي في مقدمة المصاعد مبيناً ضرورة ذكر المكي والمدني من السور : «فلذلك أذكر كثيراً من فضائل القرآن ، ولا سيما ما له تعلق بفضائل السور ، ليكون معيناً على المقصود ، وأذكر كون السورة مكية أو مدنية ، لأن نسبتها إلى محل النزول من جملة صفاتها»^(٣).

١٥ - «الإتقان في علوم القرآن» : للإمام السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ)^(٤)، فقد جعل النوع الأول من أنواع كتابه المذكور والتي بلغت ثمانين نوعاً «معرفة المكي والمدني»^(٥).

ولعل الإمام السيوطي - رحمه الله - قصد في تصديره بهذا النوع إلى غرض معين؛ إذ قد يحتمل أن يكون الإمام السيوطي أدرك أهمية هذا الموضوع من بين الأبحاث القرآنية التي ضمنها كتابه «الإتقان» .

والحق أن السيوطي - رحمه الله - قدّم في هذا النوع دراسة فريدة

(١) انظر : مصاعد النظر (١٦١/١-١٦٢) .

(٢) راجع على سبيل المثال : (١٥٨/١) (٥/٢ ، ٦٤ ، ٨٦ ، ١٠٤ ، ١١٥) .

(٣) المصدر السابق (١٥٥/١-١٥٦) .

(٤) سبقت ترجمته ، انظر : (ص : ٤٧) .

(٥) انظر : الإتقان (٢٥/١) .

فاقت كل الدراسات التي قبله ، ولا أدل على ذلك في الفصل الذي عقده تحت هذا النوع بعنوان : «تحرير السور المختلف فيها» (١)، وكذلك الفصل الذي عقده بعنوان : «في ذكر ما استثنى من المكي والمدني» (٢)، وقد فاته الشيء الكثير من ذلك .

ومهما يكن من أمر فإن الذي يستعرض العناوين الرئيسية والجانبية والنقولات الكثيرة التي أوردها الإمام السيوطي - رحمه الله - تحت هذا النوع يدرك مدى الجهد الذي بذله الإمام السيوطي في معالجة هذا الموضوع.

ولا أستطيع في ختام الحديث عن المرحلة الثانية من مراحل التأليف في المكي والمدني ، وهي مرحلة التأليف والتدوين إلا أن أقول في حق الإمام السيوطي - رحمه الله - بما قاله ابن مالك في ألفيته مشيراً إلى ابن المعطي (٣) ، قال :

وهو بسبق حائز تفضيلاً مستوجب ثنائي الجميلاً
والله يقضي بهبات وافرة لي وله في درجات الآخرة (٤).

(١) انظر : الإتيقان (٣٤/١) .

(٢) انظر : المصدر السابق (٤٣/١) .

(٣) هو يحيى بن المعطي بن عبد النور الزواوي النحوي صاحب الألفية ، توفي رحمه الله - سنة (٦٢٨هـ) .

ترجمته : إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (٤٤/٤ - ٤٥) ، بغية الوعاة (٣٤٤/٢) .

(٤) ألفية ابن مالك في النحو والصرف (ص ١٠) .

المطلب الثالث : مرحلة الدراسات المعاصرة

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : الجهود التي قدمتها الدراسات المعاصرة :

بعد أن عرضت في المرحلة الأولى في تأليف علم المكي والمدني نشأته وتكوينه ، وعرضت في المرحلة الثانية تأليفه وتدوينه ، فلا بد لاستكمال مسيرة الموضوع من عرض الدراسات المعاصرة ، لنرى ما ذا قدمت تلك الدراسات من قضايا جديدة في الموضوع ؟

وبما أنني لست بصدد دراسة تفصيلية لتلك الدراسات - إذ إن الكتابة في ذلك تحتاج إلى بحث مستقل ، وذلك ما يتطلبه هذا الأمر من تحليل تلك الدراسات وتقويمها - فإنني سأكتفي هنا بعرض الإفادة التي قدمتها تلك الدراسات ، وألخصها فيما يلي :

أولاً : جمع جهود السابقين في هذا المجال في مكان واحد ، إذ كانت تلك الجهود مبعثرة في مؤلفات مختلفة .

ثانياً : صياغة تلك الجهود بصياغة عصرية من حيث أسلوبها وتنظيمها وترتيبها ولا غضاضة في ذلك ، إذ كان هذا دأب العلماء ، فقد كان الواحد منهم ييذل جهده ، ويتحرى كل التحري لייسط العلوم بأسلوب ميسر يفهمه القارئ .

ثالثاً : قدمت الدراسات المعاصرة أبحاثاً لم تكن موجودة من قبل كأبحاث « شبهات المستشرقين في أسلوب القرآن المكي والمدني ، والرد عليها » ، ولعل دراسة الزرقاني (١) - رحمه الله - في كتابه :

(١) هو محمد بن عبد العظيم الزرقاني ، من علماء الأزهر ، تخرج من كلية أصول الدين ، وعمل بها مدرساً لعلوم القرآن والحديث ، توفي - رحمه الله - بالقاهرة سنة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨ م . ترجمته : الأعلام (٦/٢١٠) ، الدراسات القرآنية المعاصرة (ص : ٢٢٥) .

« مناهل العرفان » هي أجمعها وأدقها في مناقشة تلك الشبهات .

رابعاً : اهتمت بعض الدراسات المعاصرة بإبراز جانب خصائص السور والآيات المكية والمدنية بصورة موسعة ، فثمة رسالة علمية - دكتوراه - تناولت خصائص السور والآيات المكية بعنوان : « أهم خصائص السور والآيات المكية ومقاصدها » للدكتور أحمد عباس البدوي (١) ، كما أنه توجد أيضاً رسالة علمية أخرى - ماجستير - تناولت الشقَّ الثاني من هذا الموضوع بعنوان : « خصائص السور والآيات المدنية ضوابطها ومقاصدها » للدكتور عادل أبي العلا (٢).

تلك هي جهود الدراسات المعاصرة ذكرتها بإيجاز ، ولا أدعي الإحاطة بكل جهودهم ، ولكن كما قيل : ما لا يدرك كله لا يتركه .

المسألة الثانية : وقفات مع بعض القضايا التي طرحتها بعض الدراسات المعاصرة.

وقبل أن أذكر تلکم القضايا أود - بادئ ذي بدء - أن أشير هنا أنني كم ترددت في كتابة هذه الكلمات ظناً مني أن هذا نوع من التنقص ، ولا أود التنقص من قدر أحد ، ولكن الأمانة العلمية تلزمني أن أذكر ذلك ، نصحاً لله ولكتابه ولرسوله ولدينه .

(١) قدم الدكتور البدوي هذه الرسالة إلى جامعة أم القرى في عام (١٤٠٠هـ) وهي مودعة في مكتبة مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي برقم (٣٠٢) .

(٢) قدمت هذه الرسالة أيضاً إلى جامعة أم القرى في عام (١٤٠٥هـ) ، وصدرت في مجلد لطيف عن دار القبة للثقافة الإسلامية بمكة .

ولله درّ من قال : « فردّ المقالات الضعيفة وتبيين الحق في خلافها بالأدلة الشرعية ليس هو مما يكرهه أولئك العلماء ، بل مما يحبونه ويمدحون فاعله ، ويثنون عليه ، فلا يكون داخلاً في باب الغيبة بالكلية ، فلو فرض أن أحداً يكره إظهار خطئه المخالف للحق فلا عبرة بكرهاته لذلك ؛ فإن كراهة إظهار الحق إذا كان مخالفاً لقول الرجل ليس من الخصال المحمودة ، بل الواجب على المسلم أن يجب ظهور الحق ، ومعرفة المسلمين له ، سواء كان ذلك في موافقته أو مخالفته » (١).

كل ذلك كان تمهيداً لبعض الملاحظات التي أخذت على دراسة الدكتور عادل أبي العلا ، والتي هي بعنوان « خصائص السور والآيات المدنية ضوابطها ومقاصدها » .

وأخص ملاحظاتي الموضوعية على هذه الدراسة في الأمور التالية :
أولاً : يرجح كاتب هذه الدراسة مكية آية من الآيات أو يرجح مدنيته دون أن يذكر سبب الترجيح ، وإذا رجّح - في بعض الأحيان - نراه يستند إلى رواية ضعيفة لا تصلح للاحتجاج ، وهذا مسلك ظاهر في معظم الدراسة ، وإليك بعض الأمثلة :

أ - ففي سورة الأعراف ذكر أن تسع آيات من هذه السورة مدنيات بدءاً من قوله تعالى : ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ الآية إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ مَتَّعْنَا الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ ﴾ الآية (٢) ، وأورد بعد ذلك سبباً - ليس له إسناد - دالاً على نزول هذه الآيات في اليهود نقلاً

(١) الفرق بين النصيحة والتعيير لابن رجب الحنبلي (ص : ٣٢) .

(٢) سورة الأعراف ، الآيات (١٦٣-١٧١) .

عن صاحب « الفتوحات الإلهية » (١) ، كما أورد قول سيد قطب - رحمه الله - الذي يرى كذلك مدنية هذه الآيات اعتماداً على السياق - كعادته - .

وقال بعد هذا كله : « ومن خلال ما سبق بيانه أميل إلى أن تلك الآيات مدنية » (٢).

ب - وفي قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ... ﴾ الآية (٣) ، أورد ما أخرجه الطبري عن ابن زيد من نزول هذه الآية في عبد الله بن سلام ، ثم قال كاتب الدراسة تعليقاً على هذا الأثر : « وعلى هذا فيمكننا أن نقول : إن السورة كلها مكية ما عدا قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ حيث أنها (٤) نزلت في عبد الله بن سلام وأمثاله من أهل الكتاب الذين آمنوا في المدينة » (٥).

وإسناد الطبري في هذه الرواية ضعيف ، فابن زيد - وهو عبد الرحمن - مجمع على ضعفه (٦) .

ثانياً : لم يكلف كاتب الدراسة نفسه عناء استقصاء الآيات المستثناة ، فجلّ عمدته فيما ينقله هو كتاب « الإتيان » للسيوطي ، والغريب أنه

(١) هو سليمان بن عمر الجُمَل ، وكتابه مشهور باسم : حاشية الجمل على الجلالين .

(٢) خصائص السور والآيات المدنية ضوابطها ومقاصدها للدكتور عادل أبي العلا (ص : ١٣٢-١٣٣) .

(٣) سورة يونس ، الآية (٩٤) .

(٤) هكذا في دراسة الدكتور ، والصواب هو كسر الهمزة لوقوعها بعد « (حيث) » .

(٥) خصائص السور والآيات المدنية (ص : ١٣٤-١٣٥) .

(٦) انظر : الضعفاء الصغير للإمام البخاري (ص : ٧٤) ، ديوان الضعفاء والمترولين للذهبي (٩٧/٢) ، التقريب (٤٨٠/١) .

كان يترك في بعض الأحيان آيات أوردتها السيوطي ، وإليك أمثلة على ذلك :

١ - ذكر أن في سورة الأنعام ست آيات مستثناة (١) ، والواقع أن الآيات التي قيل : إنها مستثناة من السورة وصلت عندي ثلاث عشرة آية ، في حين أن الإمام السيوطي أورد في « الإتيان » ثماني آيات (٢) .

ب - وفي سورة يونس فاتة أن يذكر قوله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا... ﴾ الآيتان (٣).

ج - ومن أغرب الغرائب أنه نقل قول السيوطي في الآيات المستثناة من سورة الإسراء ، فعرض بعضها للدراسة وترك البعض الآخر (٤) ، وليعلم أن ما ذكره هنا مجرد نماذج ، وإلا لاستغرق النقل في صفحات عديدة .

ثالثاً : تسجيل النتائج العلمية في بداية الدراسة ، وكأن كاتب الدراسة يبحث لتلك النتائج عن أدلة وشواهد ، ومعلوم منهجياً أن النتائج هي ثمرة الدراسة ، فتأتي إذاً في نهايتها ، وإليك أمثلة على ذلك :

أ - يقول في سورة الأعراف : « سورة الأعراف مكية إلا تسع آيات ، من قوله تعالى : ﴿ وَسَاءَ لَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ ﴾ الآية إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ ﴾ » (٥).

ب - وفي سورة إبراهيم يقول : « سورة إبراهيم من السور المكية ،

(١) انظر : خصائص السور والآيات المدنية (ص : ١٢٨-١٣١) .

(٢) انظر : (٤٣/١-٤٤) .

(٣) سورة يونس ، الآيتان (٥٨-٥٩) .

(٤) انظر : خصائص السور والآيات المدنية (ص : ١٤٧) .

(٥) المرجع السابق (ص : ١٣٢) .

وتضمنت ثلاث آيات مدنية» (١) .

ج - وفي سورة الإسراء يقول : « سورة الإسراء من السور المكية ، وقد وردت فيها آية مدنية (آية الروح) ، وهناك آيات مختلف فيها ، والأصح أنها مكية » (٢).

رابعاً : عدم التبع في نسبة الأقوال إلى أصحابها ، فعلى سبيل المثال يذكر آية أو آيات مستثناة من سورة ما ، ولا يذكر من قال بذلك الاستثناء ألبتة .

وحسبك في هذا أنك لا تكاد تقرأ صفحة في الفصل الذي عقده ضمن دراسته والذي عنون له : « بيان الآيات المدنية في السور المكية » إلا وتجد هذا الأمر متمثلاً بين يديك .

خامساً : أن الناظر في الدراسة ليجد أنها نحت منحى التساهل ، فهي لا تخوض في دقائق المسائل ولا تطيل في الطرح ، وهذا المنهج - والحق يقال - يحرم الباحثين المتخصصين من الوصول إلى بغيتهم . وأخيراً أكرر مرة أخرى أن ليس قصدي الطعن في كاتب الدراسة ، كما أنني مقتنع وأدين الله بأن الردود إذا التزمت بالمنهج العلمي والتأصيل الشرعي والاستدلال الصحيح ، وتحلت بالأدب النبوي الكريم ، أنها ظاهرة إيجابية .

(١) المرجع السابق (ص : ١٤٢) .

(٢) المرجع السابق (ص : ١٤٧) .

المبحث الثالث :

علاقة المكي والمدني ببعض أبواب علوم القرآن

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : العلاقة بين المكي والمدني وبين أسباب النزول .

المطلب الثاني : العلاقة بين المكي والمدني وبين النسخ والمنسوخ

المطلب الثالث : العلاقة بين المكي والمدني وبين فضائل القرآن .

المطلب الأول :

العلاقة بين المكي والمدني وبين أسباب النزول

وفيه مسائل :

المسألة الأولى : التعريف بأسباب النزول لغة واصطلاحاً :

أولاً : التعريف بأسباب النزول لغة :

التعريف بكلمة «السبب» :

السبب في اللغة هو الحبل الذي يصعد به إلى الشيء ، وقد جعل عبارة عن كل شيء يتوصل به إلى غيره عيناً كان أو معنى^(١).

التعريف بكلمة «النزول»

النزول في اللغة : هو الهبوط من أعلى إلى أسفل^(٢) ، وهذا المعنى هو المراد بالنزول الذي يوصف به القرآن الكريم بخلاف ما ذهب إليه بعض أهل الأهواء والبدع من أن هذا المعنى لا يليق بنزول القرآن على وجه الحقيقة؛ لاقتضائه الجسمية والمكانية والانتقال^(٣).

(١) ينظر : المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني (ص ٣٩١) ، أساس البلاغة ، للزحشري (٤١٧/١) ، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ - معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم - للسمين الحلي (١٨٦/٢) ، القاموس المحيط للفيروزآبادي (٤٦٨/٢) .
(٢) ينظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤١٧/٥) ، المفردات (ص: ٧٩٩) ، عمدة الحفاظ (١٨٨/٤-١٨٩) .
(٣) ينظر في هذه المسألة : الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة لقوام السنة أبي القاسم الأصبهاني (١٠٧/٢-١٠٨) ، إثبات صفة العلو ، لابن قدامة (ص ٨٦-٨٧) ،

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(١) - رحمه الله - مبيناً المعاني التي ورد فيها لفظ «النزول» في القرآن الكريم - : «فإن كثيراً من الناس فسروا النزول في مواضع من القرآن بغير ما هو معناه المعروف لاشتباه المعنى في تلك المواضع وصار ذلك حجة لمن فسر نزول القرآن بتفسير أهل البدع فنقول وبالله التوفيق : النزول في كتاب الله عز وجل ثلاثة أنواع : نزول مقيد بأنه منه ، ونزول مقيد بأنه من السماء ، ونزول غير مقيد لا بهذا ولا بهذا»^(٢).

ويقول أيضاً : «فقد تبين أنه ليس في القرآن ولا في السنة لفظ النزول إلا وفيه معنى النزول المعروف ، وهذا هو اللائق بالقرآن ، فإنه نزل بلغه العرب ، ولا تعرف العرب نزولاً إلا بهذا المعنى ، ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطاباً بغير لغتها ، ثم هو استعمال لفظ معروف له معنى معروف في معنى آخر بلا بيان ، وهذا لا يجوز بما ذكرنا ، وبهذا يحصل

→

التبيان في نزول القرآن، لابن تيمية - ضمن مجموع الفتاوى - (١٢/٢٤٦-٢٤٧)، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية (ص ١٨١-١٨٤)، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٤/١٣٧٩-١٣٨٠)، الجواب الواضح المستقيم في كيفية إنزال القرآن الكريم، للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٢-٣).

(١) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، شيخ الإسلام وإمام المجتهدين، من مؤلفاته درء تعارض العقل والنقل، ومنهاج السنة، توفي - رحمه الله - (٧٢٨هـ).

ترجمته : الدرر الكامنة (١/١٥٤)، طبقات المفسرين للداوودي (١/٤٦-٥٠). هذا وقد كتب عن شيخ الإسلام - رحمه الله - أبحاث ودراسات عديدة في حياته العلمية ومنهجه الإصلاحية، ومن تلك الأبحاث رسالة ماجستير قدمت إلى جامعة الأزهر، وتناولت جهوده في التفسير بقلم إبراهيم خليل بركة، وهي مطبوعة بطبعة المكتب الإسلامي.

(٢) التبيان في نزول القرآن - ضمن مجموع الفتاوى - (١٢/٢٤٦-٢٤٧).

مقصود القرآن واللغة الذي أخبر الله تعالى أنه بينه وجعله هدى للناس»^(١).

ثانياً : التعريف بأسباب النزول اصطلاحاً :

أ - تعريف الإمام السيوطي : قال السيوطي - رحمه الله - :
«والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه»^(٢).

ب - تعريف الأستاذ مناع القطان : وهو أدق تعريف وقفت عليه -
حسب اطلاعي - إذ يقول : «ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة
أو سؤال»^(٣).

ويبدو أن قيد «وقوع الحادثة» قيد جوهري أساسي لبيان معنى سبب
النزول ؛ إذ هو الذي يميز عن الآيات التي نزلت إخباراً بالوقائع الماضية.
ولهذا قال الإمام السيوطي ذاكراً فائدة هذا القيد «... ليخرج ما
ذكره الواحدي في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة به ، فإن
ذلك ليس من أسباب النزول بل من باب الإخبار عن الوقائع الماضية»^(٤).
ولعل هذا القدر فيه كفاية لتعريف مصطلح «أسباب النزول» إذ إننا
لسنا بصدد دراسة تفصيلية لهذا الموضوع ، فالذي يعنينا هو أن نعرف هذا
المصطلح لنستبين مدى الارتباط بين موضوع المكي والمدني وأسباب
النزول.

(١) المصدر السابق (٢٥٧/١٢) .

(٢) الإتيان (١٠١/١) .

(٣) مباحث في علوم القرآن (ص ٧٨) .

(٤) الإتيان (١٠١/١) .

المسألة الثانية : ضرب أمثلة تبين فيها العلاقة بين المكي والمدني وبين

أسباب النزول :

وبعد الانتهاء من تعريف مصطلح «أسباب النزول» نتقل إلى صميم العلاقة بين الموضوعين ، هذا وإن الناظر إلى العلاقة بين الموضوعين يجد أن موضوع أسباب النزول لا ينفك غالباً عن موضوع المكي والمدني إذ إننا بواسطة أسباب النزول نتوصل إلى معرفة المكي والمدني، وأكاد أقول : إن كثيراً من دعاوى المكي والمدني سببه الاختلاف في سبب النزول ، وسيرى ذلك قارئ هذا البحث .

ولتوضيح العلاقة بين الموضوعين نضرب مثلاً على إحدى سور القرآن تبرز فيه تلك العلاقة ، ولتكن تلك السورة سورة النساء ، فهذه السورة مدنية باتفاق جمهور العلماء ، وقد أوضحت بعض أسباب النزول الصحيحة مدنية السورة - بجانب روايات المكي والمدني - وإليك التفاصيل :

أ - أخرج الإمام البخاري - رحمه الله - بسنده عن زيد بن ثابت رضي الله عنه **﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُتَدَفِّقِينَ﴾** ^(١) رجع ناس من أصحاب النبي ﷺ من أحد وكان الناس فيهم فرقتين ، فريق يقول : اقتلهم ، وفريق يقول : لا ، فنزلت : **﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُتَدَفِّقِينَ﴾** ^(٢) ووجه دلالة هذه الرواية لمدينة السورة واضح لا يحتاج إلى تعليق .

ب - أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن عمر بن

(١) سورة النساء ، الآية (٨٨) .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (١٠٤/٨) كتاب التفسير - باب **﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُتَدَفِّقِينَ﴾** والله أركسهم حديث (٤٥٨٩) .

الخطاب ﷺ قال : «لما اعتزل نبي الله نساءه قال : دخلت المسجد فإذا الناس يكتون»^(١) بالحصى ويقولون : طلق رسول الله ﷺ نساءه ، وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب ... ونزلت هذه الآية آية التخيير ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبَدِّلَ أَرْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ﴾» الحديث^(٢).

وجه الدلالة : مما هو معلوم أن اعتزال النبي ﷺ نساءه كان بعد الهجرة إذ لم يكن معه في مكة إلا خديجة وسودة .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في السيرة : «ولكن دخوله على سودة كان بمكة ، وأما دخوله على عائشة فتأخر إلى المدينة في السنة الثانية»^(٣).

* * * *

المسألة الثالثة : أوجه التوافق بين المكي والمدني وبين أسباب النزول :

لئن كان كل من المكي والمدني وأسباب النزول يحمل مصطلحاً خاصاً في موضوع معين إلا أن ثمة قضايا مشتركة بين المصطلحين ، وتتجلى في الأمور التالية :

أولاً : النقل : إذ إن كلا من المكي والمدني وأسباب النزول لا مجال للعقل في معرفتهما ، فأمرهما متوقف على ما ورد من الروايات ممن شاهد تنزيل القرآن ، فقد أخرج أبو عبيد من طريق علقمة وابن عون عن ابن

(١) أي يضربون الأرض من أجل أنهم كانوا مفكرين مهمومين .

انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (١١٣/٥) .

(٢) صحيح مسلم (١١٠٥/٢) برقم (١٤٧٩) كتاب الطلاق - باب في الإيلاء واعتزال

النساء وتخييرهن وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَطَهَّرَ عَلَيْهِ﴾

(٣) السيرة النبوية لابن كثير (٤٤/٢) .

سيرين قال : «سألت عبيدة عن شيء من القرآن ، فقال : اتق الله ،
وعليك بالسداد ، فقد ذهب الذين يعلمون فيما أنزل القرآن» (١).

وقال الواحدي (٢) في مقدمة كتابه «أسباب النزول» : «ولا يحل
القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل
ووقفوا على الأسباب» (٣).

ويقول النحاس - رحمه الله - مبيناً اشتراط النقل في المكي والمدني :
«قد تكون السورة مكية ثم ينزل الشيء بالمدينة فيأمر رسول الله ﷺ
بجعله فيها ، ولا يكون هذا لأحد غير رسول الله ﷺ لما يأتيه عن الوحي
بذلك ، إذ كان تأليف القرآن معجزاً لا يؤخذ إلا عن الله تعالى وعن
رسوله ﷺ وعن الجماعة الذين لا يلحقهم الغلط ، ولا يتواطئون على
الباطل» (٤).

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٢٢٨) ، والأثر أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف
(٥١١/١٠) برقم (١٠١٤٨) ، والطبري في التفسير (٨٦/١) برقم (٩٦) ، والبيهقي في
شعب الإيمان (٤٢٤/٢) برقم (٢٢٨٢) ، والواحدي في أسباب النزول (ص ٩) .
وقال الحافظ ابن حجر في العجائب بعد أن أورد الأثر : وسنده صحيح . العجائب في
بيان الأسباب (٣/أ) .

(٢) هو علي بن أحمد بن محمد بن متويه أبو الحسن الواحدي النيسابوري ، من مؤلفاته
أسباب النزول ، وتفسيره الثلاثة المشهورة : البسيط ، والوسيط ، والوجيز ، توفي -
رحمه الله - سنة (٤٦٨هـ) .

ترجمته : طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ٧٨-٧٩) ، طبقات المفسرين للداوودي
(٣٩٦-٣٩٤/١) .

هذا والدكتور جودة محمد مهدي دراسة بعنوان : الواحدي ومنهجه في التفسير نال بها
درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر ، وقد نشرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
بالقاهرة .

(٣) أسباب النزول للواحدي (ص ٨) .

(٤) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٤٨١/٢) .

وها هو ابن الحصار (١) كما نقله عنه السيوطي في الإتيان يضعف الاستثناءات التي ذكرها بعض المفسرين في سورة الأنعام فيقول : «استثني منها تسع آيات ولا يصح به نقل ، خصوصاً قد ورد أنها نزلت جملة» (٢).

وقال ابن الحصار أيضاً : «كل نوع من المكّي والمدني منه آيات مستثناة إلا أن من الناس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل» (٣).

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا (٤) - رحمه الله - في تفسيره : «لما كان وجود آيات مدنية في سورة مكية ، أو آيات مكية في سور مدنية خلاف الأصل ، فالمختار عدم قبول القول به إلا إذا ثبت برواية صحيحة السند ، صريحة المتن ، سالمة من المعارضة والاحتمال» (٥).

وقال شيخنا الدكتور حكمت بشير ما نصه : «فلا بد من التفسير

(١) هو علي بن محمد الخزرجي أبو الحسن الحصار ، ألف كتاباً في النسخ والمنسوخ ، ونقولات السيوطي عنه كثيرة في الإتيان ، توفي - رحمه الله - سنة (٦١١هـ) . ترجمته : التكملة لوفيات النقلة ، للمنزري (٤/١٢٢-١٢٣) برقم (١٣٥٩) ، الذيل والتكملة للمراكشي ، السفر الثامن ، القسم الأول (ص : ٢٠٩-٢١٢) .

(٢) الإتيان (٤٣/١) .

(٣) المصدر السابق (٤٢/١-٤٣) ، وانظر أيضاً : تفسير القاسمي (محاسن التأويل) (٤٤٨/٤) نقلاً عن الإتيان.

(٤) هو صاحب مجلة المنار ، وتفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار ، كان قد تتلمذ على محمد عبده ، ومحسوب بالمدرسة المعروفة بـ (مدرسة الإصلاح والتجديد) نسأل الله أن يتجاوز عنا وعنّه ، توفي - رحمه الله - سنة (١٣٥٤هـ) .

ترجمته : معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، لعادل نويس ، (٢/٥٢٩) ، معجم المؤلفين (٩/٣١٠-٣١١) .

(٥) تفسير المنار (٧/٢٨٤) .

بالمأثور لمن أراد أن يستجيب لله تعالى فيتدبر كلام الله ، وكذا لمن أراد أن يفسر بالرأي يتحتم عليه أن يطلع على معرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ ، والقراءات ، وأول ما نزل وآخر ما نزل، والمكي والمدني ... وهذه العلوم لا تؤخذ إلا بالنقل الصحيح ولا تنفك عن التفسير بالمأثور ، بل هي تابعة منه» (١).

وقد يقول قائل : كيف يكون علم المكي والمدني مبنياً على النقل ولم يؤثر عن رسول الله ﷺ أنه قال : هذه السورة مكية أو الآية مكية ، وتلك السورة مدنية أو الآية مدنية ؟ هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فإننا نرى بين أيدينا أن هذا العلم قائم على الضوابط الاجتهادية التي وضعها بعض أهل العلم ، فأين النقل المذكور من هذا الواقع الذي بين أيدينا ؟
والجواب : لا شك أن ما ذكره هذا القائل من أنه لم يرو عن رسول الله ﷺ أنه قال : إن هذا القدر من السور أو من الآيات مكي أو مدني كلام صحيح ، قال القاضي أبوبكر الباقلاني : «لم يكن من النبي ﷺ في ذلك قول ولا ورد عنه أنه قال : اعلّموا أن قدر ما نزل بمكة كذا ، وبالمدينة كذا ، وفصل لهم ، ولو كان ذلك منه لظهر وانتشر» (٢).
ولكن أقول : إن النقل كما يكون عن الرسول ﷺ يكون كذلك عن الصحابة الذين شاهدوا التنزيل .

قال القاضي : «فأما المكي والمدني من القرآن فلا شبهة على عاقل في حفظ الصحابة والجمهور منهم ؛ إذ كانت حالهم وشأنهم في حفظ القرآن وأحكامه ، وقدرة من نفوسهم ما وصفنا لما نزل بمكة ثم بالمدينة ،

(١) مقدمة موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (ص ١٢) .

(٢) الانتصار لنقل القرآن (١٤١ق/ب-١٤٢ق/أ) .

والإحاطة بذلك ، والأسباب والأحوال التي نزل منها ولأجلها» (١).
وسياتي - إن شاء الله - في مبحث «أسباب الاختلاف في تعيين
المكي والمدني» الدواعي والأسباب التي جعلت النبي ﷺ لم ينص على
المكي والمدني .

وأما ما ذكره القائل من أن علم المكي والمدني علم قائم على
الضوابط الاجتهادية التي وضعها بعض أهل العلم فهو أمر غير مسلم ؛ إذ
ليس هذا على إطلاقه بل الأمر فيه تفصيل ، وهو كالاتي :
أ - إن بعض روايات المكي والمدني سماعية ، ولا علاقة لها بتلك
الضوابط التي ذكرها ذلك القائل ، بل هي مروية عن الصحابة الذين
شاهدوا تنزيل القرآن.

ب - هناك ضوابط للمكي والمدني كما ذكره القائل - وسياتي
تفصيل تلك الضوابط في مبحث خاص إن شاء الله - وهذه الضوابط
بعضها مروية عن الصحابة كذلك ، والبعض الآخر من وضع بعض أهل
العلم المتقدمين ، وقد عرفت تلك الضوابط عن طريق الاستقراء رغم ما
فيها من نظر من حيث اطرافها في نظري .

قال الجعيري : «ولله - أي المكي والمدني طريق سماعي
وقياسي ...» (٢).

ثانياً : التعدد في كل منهما : ومعنى ذلك أن الأسباب قد تعدد في
بعض الأحيان ويكون النازل واحداً ، وقد يتعدد كذلك النازل نفسه ،
فيقع - والحالة هذه - في بعض الأحيان كذلك أن يكون النازل ينزل

(١) المصدر السابق (١٤١ق/ب) .

(٢) المفرد في معرفة العدد (٣٥ق/أ) .

تارة في مكة وتارة في المدينة.

ومما ينبغي التنبيه إليه في هذا المقام أن العمدة في ذلك صحة الروايات.

مثال لتعدد الأسباب :

أ - أخرج الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه بسنده عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء ، فقال النبي ﷺ : البينة أو حد في ظهرك فقال يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة ؟ فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة وإلا حد في ظهرك ، فقال هلال : والذي بعثك بالحق إني لصادق فليزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد ، فنزل جبريل وأنزل عليه ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١).

ب - وأخرج الشيخان بسنديهما عن سهل بن سعد - واللفظ للبخاري : «أن عويمرا أتى عاصم بن عدي - وكان سيد بني عجلان - فقال كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلا أيقضه فتقتلونه أم كيف يصنع؟ سل لي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأتى عاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله فكره رسول الله ﷺ المسائل فسأله عويمر فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره المسائل وعابها قال عويمر والله لا أنتهي حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فجاء عويمر فقال يا رسول الله رجل وجد مع

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٣٠٣/٨-٣٠٤) برقم (٤٧٤٧) كتاب التفسير - باب ﴿وَيَذَرُهَا الْعَذَابُ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾ .

امراته رجلاً أيقّله فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبك...» الحديث^(١).

* * * * *

نماذج من أقوال أهل العلم حول تعدد الأسباب :

أ - قال النووي^(٢) - رحمه الله - في معرض شرحه للحديثين السابقين : «ويحتمل أنها نزلت فيهما جميعاً فلعلهما سألًا في وقتين متقاربين ، فنزلت الآية فيهما»^(٣).

ب - وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «وإذا ذكر أحدهم لها سبباً نزلت لأجله ، وذكر الآخر سبباً ، فقد يمكن صدقهما بأن تكون نزلت عقب تلك الأسباب»^(٤).

ج - وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : «ولا مانع أن تنزل الآية لأسباب تتقدمها فلا يعدل للترجيح مع ظهور الجمع وصحة الطرق»^(٥).

وقال في الجمع بين الحديثين السابقين : «ويؤيد التعدد أن القائل في

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٣٠٣/٨) برقم (٤٧٤٥) كتاب التفسير ، باب : ﴿وَالَّذِينَ

يَزْمُونَ آدَٰمَ بْنَ إِدْرِيسَ﴾ ، وصحيح مسلم (١١٢٩/٢) برقم (١٤٩٢) في أول كتاب اللعان .

(٢) هو الحافظ محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي صاحب التصانيف النافعة

كروضة الطالين ، والمجموع على شرح المذهب ، توفي - رحمه الله - سنة (٦٧٦هـ) .

ترجمته : طبقات الشافعية ، للسبكي (٣٩٥/٨) ، شذرات الذهب (٣٥٤/٥) .

(٣) المنهاج على شرح صحيح مسلم (١٢٠/١٠) .

(٤) مقدمة في أصول التفسير (ص ٤٠) .

(٥) الفتح (٤٥٦/٨) .

قصة هلال سعد بن عبادة ، كما أخرجه أبو داود والطبري ... والقائل
في قصة عويمر عاصم بن عدي كما في حديث سهل بن سعد في الباب
الذي قبله» (١).

وقال أيضاً : «لا مانع أن تتعدد القصص ويتعدد النزول» (٢).
وساق الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في كتابه «موافقة الخبر الخبر
في تخريج أحاديث المختصر» روايات عديدة مختلفة في نزول قوله تعالى :
﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ الآية (٣)، وحسن أسانيد الكل (٤).
هذا فيما يتعلق بتعدد الأسباب ، وأما ما يتعلق بتعدد النزول فقد
تحدث عنه بإسهاب عند قوله تعالى : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ
بِهِ﴾ (٥) تحت فصل «الآيات المكية التي تكرر نزولها بالمدينة» (٦).

ثالثاً : أهمية كل منهما لمن أراد التصدي لتفسير كتاب الله تعالى
ومن أوجه التوافق بين المكي والمدني وبين أسباب النزول أهمية كل
منهما لمن أراد التصدي لتفسير كتاب الله تعالى .
قال الإمام أبو القاسم النيسابوري بعد أن عدد خمساً وعشرين نوعاً
من أنواع المكي والمدني : «فهذه خمسة وعشرون وجهاً من لم يعرفها
ويعمى بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله عز وجل» (٧).

(١) المصدر السابق (٨/٣٠٤-٣٠٥) .

(٢) امصدر السابق (٨/٤٥٠) .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية (٣٥) .

(٤) انظر : (٢١/٢-٢٤) .

(٥) سورة النحل ، الآيات (١٢٦-١٢٨) .

(٦) انظر : (ص : ٨٣٠) .

(٧) التنزيل وترتيبه (٢٢٢ق/ب) .

ويقول ابن عقيلة المكي : «واعلم أن هذا العلم له نفع عظيم لا يكاد يستغني عنه المفسر لكتاب الله تعالى» (١).

وقد سبق ذكر مزيد من الكلام حول هذه الأهمية في المقدمة (٢).
ومما يبين أهمية أسباب النزول للناظر في كتاب الله تعالى كثرة النقول عن السلف في هذا الباب أيضاً ، ومنها :

أ - قال الواحدي - رحمه الله - : «إذ هي - أي أسباب النزول - أوفى ما يجب الوقوف عليها ، وأولى ما تصرف العناية إليها لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها» (٣).

ب - وقال ابن دقيق العيد (٤) - رحمه الله - : «بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز» (٥).

ج - وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «ومعرفة سبب النزول يُعين على فهم الآية ، فإن العلم بالسبب يُورث العلم بالمسبب» (٦).

(١) الزيادة والإحسان في علوم القرآن (١١ ق/ب) .

(٢) انظر : (ص : ١٤-١٥) .

(٣) أسباب النزول ، للواحدي (ص ٨) .

(٤) هو تقي الدين محمد بن علي بن وهب المصري الشافعي أبو الفتح القشيري ، صاحب الاقتراح في بيان الاصطلاح ، والمقدمة في أصول الفقه ، توفي - رحمه الله - سنة (٧٠٢هـ) .

ترجمته : الدرر الكامنة (٤/٢١٠-٢١٤) ، طبقات الشافعية للسبكي (٩/٢٠٧-٢٤٩) .

(٥) البرهان للزركشي (١/٢٢) ، ولم أجد النص في مؤلفات ابن دقيق العيد المتوفرة بين يدي .

(٦) مقدمة في أصول التفسير (ص ٣٨) .

رابعاً : ومن أوجه التوافق بين المكي والمدني وأسباب النزول فائدة كل منهما عن الآخر عند دراسته ؛ إذ مما لا يخفى على كل ذي بصيرة أننا في أثناء دراستنا للمكي والمدني نتعرف على الأحوال والملابس التي احتفت بنزول الآيات ، وهكذا يكون من فوائد دراسة المكي والمدني معرفة أسباب النزول .

وبالمقابل فإن دراستنا لأسباب النزول تجعلنا نتعرف على تاريخ ذلك السبب وتحديد مكانه ، بل الأمر يتجاوز إلى أبعد من ذلك في بعض الأحيان ، وذلك بأن تحدد يوم نزول الآية.

وخلاصة القول : لو لم تظهر لنا علاقة بين المكي والمدني وبين أسباب النزول إلا الأخيرة لكفت ، والله أعلم.



المطلب الثاني : العلاقة بين المكي والمدني وبين الناسخ والمنسوخ

وفيه مسائل :

المسألة الأولى : تعريف النسخ لغة واصطلاحاً :

أولاً : تعريفه في اللغة :

النسخ يطلق على معنيين :

أ - الرفع والإزالة ، يقال : نسخت الشمس الظل أي أزالته ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ﴾ (١).

ب - نقل الشيء من مكان إلى مكان مع بقاء الأول ، يقال : نسخت الكتاب أي نقلت ما فيه إلى مكان آخر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ هَذَا كَذِبٌ يَنْطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنْ كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) (٣).
ثانياً تعريف النسخ في الاصطلاح .

ذكر الأصوليون تعاريف عديدة للنسخ في الاصطلاح ، وبما أن المقام لا يتسع هنا لاستعراض هذه التعريفات كلها ، وعرضها للنقد والمناقشة فسأكتفي هنا بالتعريف الذي اشتهر عند جمهور الأصوليين ، وهو تعريف ابن الحاجب (٤) حيث عرفه بقوله : «رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي

(١) جزء من الآية (٥٢) سورة الحج .

(٢) سورة الجاثية ، الآية (٢٩) .

(٣) انظر تعريف النسخ في اللغة : معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٢٤/٥-٤٢٥) ،

أساس البلاغة (٤٣٨/٢) ، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (١٩٤/٤-١٩٥) .

(٤) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر عمرو الكردي الأصولي النحوي ، توفي - رحمه الله - سنة (٦٤٦هـ) .

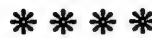
ترجمته : بغية الوعاة (١٣٤/٢-١٣٥) ، الفتح المبين في طبقات الأصوليين ، للمرآغي (٦٥/٢-٦٦) .

المسألة الثانية: ضرب مثال على العلاقة بين المكي والمدني وبين الناسخ

والمنسوخ:

تبرز لنا مدى العلاقة بين المكي والمدني وبين الناسخ والمنسوخ إذا علمنا أن معرفة الناسخ والمنسوخ تتوقف على معرفة المكي والمدني ، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : ألمن قتل مؤمناً متعمداً من توبة ؟ قال لا قال فتلوت عليه هذه الآية التي في الفرقان ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إلى آخر الآية (٢) ، قال : هذه آية مكية نسختها آية مدنية ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ الآية (٣) (٤).

وبغض النظر عن خلاف أهل العلم في توبة القاتل المتعمد فإن الذي يعيننا في قول ابن عباس هذا كمثال هو ربطه قضية النسخ بمعرفة المكي والمدني ، فقد وضع ابن عباس - رضي الله عنهما - هنا لبنة قاعدة مهمة من قواعد علم المكي والمدني ، وهي : أن المدني ينسخ المكي بخلاف المكي فإنه لا ينسخ المدني.



(١) مختصر ابن الحاجب مع شرح العضد ، ومعهما حاشية الفتازاني عليه (١٨٥/٢) .

(٢) سورة الفرقان ، الآية (٦٨) .

(٣) سورة النساء ، الآية (٩٣) .

(٤) صحيح مسلم (٢٣١٨/٤) برقم (٣٠٢٣) كتاب التفسير .

للتوسع انظر مسألة توبة القاتل المتعمد : شرح النووي على صحيح مسلم (٨٢/١٧) -

٨٣ ، و (١٥٩/١٨) ، مجموع الفتاوى (٢٥/١٦) ، تفسير ابن كثير (٣٣٥-٣٣٤/٢) ،

الفتح (٣٥٤/٨) .

المسألة الثالثة : اعتبار كتب الناسخ والمنسوخ مصدراً مهماً من مصادر معرفة المكي والمدني :

إن من يقرأ في كتب الناسخ والمنسوخ يجد الكم الهائل من المادة العلمية في موضوع المكي والمدني المدونة في تلك الكتب ، بل إن بعض من ألف في ذلك يبدأ بالحديث عن قضايا المكي والمدني قبل الحديث عن قضايا النسخ ، وما ذلك إلا لأن معرفة النسخ متوقفة على معرفة المكي والمدني .

فها هو الحارث بن أسد المحاسبي - رحمه الله - يعقد قسماً في الناسخ والمنسوخ في كتابه «فهم القرآن» فيقول في بداية ذلك القسم : «أول ذلك معرفة السور المكية والمدنية ليعرف أن ما فيها من الأمر والأحكام نزل بمكة أو بالمدينة ، فإذا اختلف كان الذي نزل بالمدينة هو الناسخ ، لأنه الآخر في النزول» (١).

وهاهو الإمام أبو جعفر النحاس - صاحب كتاب «الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك» ينص في مقدمة كتابه أنه يلتزم بذكر المكي والمدني عند صدر كل سورة من سور القرآن ، فيقول : «فإذا كانت السورة فيها ناسخ أو منسوخ ذكرناها ، وإلا أضربنا عن ذكرها ، إلا أنا نذكر إنزالها أكان بمكة أم بالمدينة» (٢).

ونجد أيضاً مكيّاً بن أبي طالب - رحمه الله - الذي ألف كتابه «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» يجعل موضوع المكي والمدني من مقدمات الناسخ والمنسوخ ، بل جعل - رحمه الله - القاعدتين

(١) فهم القرآن المطبوع مع كتاب «العقل» - (ص ٣٩٤) .

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/٤٠٩) .

المشهورتين في علم المكي والمدني ، وهما :

أ - أن المدني ينسخ المكي .

ب - أن المدني ينسخ كذلك المدني الذي قبله .

جعل هاتين القاعدتين أصليين يقوم عليهما علم الناسخ والمنسوخ في القرآن ، فيقول تحت باب «جامع القول في مقدمات الناسخ والمنسوخ» ما نصه : «ومن ذلك أن تعلم أن المدني من الآي ينسخ المدني الذي نزل قبله ، وينسخ المكي لأنه نزل قبل المدني، وهذان الأصلان عليهما كل الناسخ والمنسوخ ، ولا يجوز أن ينسخ المكي المدني، ويجوز أن ينسخ المكي المكي الذي نزل قبله، كما جاز أن ينسخ المدني المدني الذي نزل قبله ، ونسخ المكي المكي قليل لم أحد منه شيئاً متفقاً عليه ظاهراً إلا يسيراً» (١).

ويقول مكي أيضاً مشيراً إلى وجوب معرفة المكي والمدني لمن أراد معرفة الناسخ والمنسوخ : «ويجب أن تعلم المكي من السور من المدني، فذلك مما يقوي ويفهم معرفة الناسخ والمنسوخ» (٢).

إن تلك القواعد التي ضمنها مكي بن أبي طالب - رحمه الله - في كتابه المذكور لتعطينا دلالة واضحة على قوة العلاقة بين المكي والمدني وبين الناسخ والمنسوخ ، كما تدلنا تلك القواعد أيضاً أنه لا يمكن - ألبتة - أن يقف موضوع الناسخ والمنسوخ في القرآن وحده بعيداً عن الاعتماد على معرفة المكي والمدني.

وهذا الأمر هو الذي جعل كثيراً ممن تحدث عن المكي والمدني يعد

(١) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (ص ١١٣) .

(٢) المصدر السابق (ص ١١٣-١١٤) .

ضمن فوائد معرفة المكي والمدني معرفة الناسخ والمنسوخ.
وإذا أتينا إلى ابن العربي المالكي (١) - رحمه الله - الذي أُلّف أيضاً كتاباً في النسخ في القرآن سَمَّاه : «الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم» نلاحظ أنه أولى عناية كبيرة في موضوع المكي والمدني من خلال ذلك الكتاب وتمثل تلك العناية فيما يلي :

أولاً : أنه اهتم بصدر كل سورة أن يذكر هل هي مكية أو مدنية ؟ وما ذكر في السورة من استثناءات في آياتها حسب استقرائه ، وقد فاته شيء كثير من ذلك.

ثانياً : ذكر - رحمه الله - في هذا الكتاب بعض القواعد المهمة في موضوع المكي والمدني منها :

أ - اشتراط النقل في معرفة المكي والمدني ، فقد قال : - معقباً على ما ذهب إليه بعض المفسرين من مكية قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ..﴾ الآية (٢)، وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ..﴾ الآية (٣) - قال : «فإن كان هذا بنقل صحيح فيها

(١) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي المالكي ، أُلّف عارضة الأحوزي في شرح جامع الترمذي ، والعواصم من القواصم ، وغيرهما من المؤلفات القيمة ، توفي - رحمه الله - سنة (٥٤٣هـ) .

ترجمته : طبقات المفسرين للداوودي (١٦٧/٢-١٧١) ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١٣٦/١-١٣٨) .

هذا وقد قام الشيخ صالح البلهي بدراسة عن ابن العربي ومنهجه في التفسير نال بها درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

انظر : دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية (ص ١٦٢) برقم (٢٢٣٨) .

(٢) سورة الأنفال ، الآية (٣٠) .

(٣) سورة الأنفال ، الآية (٣٣) .

ونعمت ، وإن كان بحكم الظن فإن هاتين الآيتين جرت قصتهما بمكة فلا يصح هذا ؛ لأن القصة قد تجري بمكة وتذكر بالمدينة» (١).

ب - قد تكون الحادثة تقع في مكة وتذكر الآيات النازلة فيها بالمدينة ، وهذه القاعدة ذكرها في معرض تعقيبه السابق (٢).

ج - لا مانع من أن تكون السورة المكية تنزل بعض آياتها بالمدينة فقد نقل قول يزيد بن رومان (٣) : «ربما نزل أول السورة بمكة وآخرها بالمدينة» (٤).

ثالثاً : أننا نجد في أثناء مناقشته لدعاوي النسخ يربط في بعض الأحيان بين الموضوعين ، فقد قال ناقداً ما روي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من أن قوله تعالى في سورة إبراهيم : ﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٥) منسوخ بقوله تعالى في سورة النحل : ﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٦) قال : «هذا باطل من وجهين :

الأول : أنه لا تعارض بينهما فإن الله غير الإنسان .

(١) الناسخ والمنسوخ لابن العربي (٢/٢٢٤) .

(٢) انظر : المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٣) هو أبو رَوْحَ القارئ مولى آل الزبير بن العوام ، كان فقيهاً قارئاً محدثاً ، توفي - رحمه الله - سنة (١٢٠هـ) .

ترجمته : معرفة القراء الكبار (١/٧٦-٧٧) ، مشاهير علماء الأمصار ، لابن حبان (ص ١٣٥) .

(٤) الناسخ والمنسوخ لابن العربي (٢/١٣) .

(٥) جزء من الآية (٣٤) سورة إبراهيم .

(٦) سورة النحل ، الآية (١٨) .

الثاني : أن الجمع بينهما ممكن ، فإن الإنسان ظلوم لنفسه ، كفور بنعمة ربه ... ومع هذا ، فإن الله يغفر له ، فإنه لا يسلبها ويرحمه بإمهاله بالعقوبة عليها ، فأى نسخ في هذا والكلام محقق ، والنظام متسق ؟ فقد وهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فيما قال من ذلك إن صح النقل عنه به ، والسورة مكية عندهم والله أعلم» (١).

قلت : إن قول ابن العربي « السورة مكية عندهم » فيه إشارة إلى ما قرره مكّي بن أبي طالب من أن نسخ المكي المكيّ قليل جداً ، وأنه لا يوجد شيء متفق عليه إلا النزر اليسير (٢).

وعلى هذا الطراز - أعني ربط موضوع النسخ بموضوع المكي والمدني - مشى كثير ممن تحدث عن النسخ في القرآن (٣).

وبعد تلك الجولة القصيرة في العلاقة بين المكي والمدني وبين الناسخ والمنسوخ أستطيع أن أقول : إن كتب النسخ في القرآن تعتبر مصدراً مهماً من مصادر معرفة المكي والمدني ، كما تبين لنا كذلك من خلال هذه الجولة قوة العلاقة بين الموضوعين.

ولو لم تظهر لنا علاقة غير أن من فوائد معرفة المكي والمدني معرفة الناسخ والمنسوخ لكفى .

(١) الناسخ والمنسوخ لابن العربي (٢/٢٧٥) .

(٢) انظر : (ص: ١١٦) من هذا البحث .

(٣) انظر على سبيل المثال : الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ، لهبة الله بن سلامة الضيرير في صدر كل سورة من سور القرآن ، ونواسخ القرآن ، لابن الجوزي (ص ٣٣٦ ، ٣٩٨) .

المطلب الثالث : العلاقة بين المكي والمدني وبين فضائل القرآن

واستكمالاً لمسيرة البحث الذي عقدناه تحت عنوان «علاقة المكي والمدني ببعض أبواب علوم القرآن» فإني أختتم هذا البحث بهذا المطلب المعنون له «العلاقة بين المكي والمدني وبين فضائل القرآن» ، والحق أن هذه العلاقة لا تظهر بالصورة التي كانت واضحة في علاقة المكي والمدني بأسباب النزول أو علاقته بالناسخ والمنسوخ ، ورغم ذلك ما زالت العلاقة توجد هنا كذلك إلى حد ما .

وقبل الشروع في تفاصيل تلك العلاقة أبين معنى فضائل القرآن لغة واصطلاحاً .

المسألة الأولى : التعريف بفضائل القرآن لغة واصطلاحاً :

أولاً : المعنى اللغوي :

معنى كلمة «الفضائل» لغوياً :

الفضائل جمع فضيلة ، وهي من الفضل ، قال ابن فارس (١) : «الفاء والضاد واللام أصل صحيح يدل على زيادة في شيء من ذلك الفضل» (٢) . «والفضائل هي المزايا غير المتعدية» (٣) .

معنى كلمة «القرآن» لغوياً :

اختلف اللغويون في كلمة «قرآن» من جهة الاشتقاق أو عدمه ومن

(١) هو أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب اللغوي ، ألف المحمل في اللغة ، ومعجم مقاييس اللغة ، توفي - رحمه الله - سنة (٣٩٥هـ) .

ترجمته : إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (٩٢/١-٩٦) ، إشارة التعيين (ص ٤٣) .

(٢) معجم مقاييس اللغة (٥٠٨/٤) .

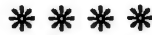
(٣) مقدمة قاعدة في فضائل القرآن ، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٨) .

جهة كونه مهموزاً أو غير مهموز ، فقد قيل : إنه مصدر «قرأ» أي تلا ، ثم نقل من هذا المعنى المصدرى وجعل اسماً للكلام المنزل على النبي ﷺ ، والدليل على هذا المعنى ورود القرآن مصدراً بمعنى القراءة في القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ (١) أي قراءته.

وقيل : إنه وصفٌ مشتق من القرء بمعنى الجمع ، يقال : قرأت الماء في الحوض أي جمعته ، فعلى هذين القولين فلفظ القرآن مهموز . ويرى بعض اللغويين أن القرآن غير مهموز ، وهو مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضمنت أحدهما إلى الآخر ، وسمي القرآن بذلك لقرآن السور والآيات (٢).

ثانياً : التعريف بفضائل القرآن اصطلاحاً :

فضائل القرآن نوع من أنواع علوم القرآن يقصد به «ما جاء عن النبي ﷺ في تعلم القرآن وتعليمه عموماً ، أو في حق بعض الآيات والسور من الفضل والثواب والأجر الدنيوي والأخروي ...» (٣).



(١) سورة القيامة ، الآيتان (١٧-١٨) .

(٢) انظر تعريف القرآن في اللغة : معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٧٨/٥-٧٩) ، المفردات في غريب القرآن (ص٦٦٨-٦٦٩) ، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٣٣٨/٣-٣٣٩) .

(٣) من تقديم الدكتور فاروق حمادة «لفضائل القرآن» للنسائي (ص١٧) .

المسألة الثانية: الأوجه التي تبرز فيها العلاقة بين المكّي والمدني وبين فضائل القرآن:

ثمة أوجه تبرز فيها العلاقة بين الموضوعين ، وتتمثل تلك الأوجه في الأمور التالية:

أولاً : حفلت كتب فضائل القرآن بصفة عامة بروايات عديدة يستدل بها على مكّي بعض السور أو مدنيها ، وكذلك بعض الآيات ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

أ - أخرج أبو عبيد في فضائله من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ، قال: «نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة ، ونزل معها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح» (١).

ب - وأخرج أبو عبيد أيضاً من طريق أبي إسحاق عن أبي عبيدة قال : قال عبد الله: «إن بني إسرائيل ، والكهف ، ومريم ، وطه ، من تلاميذ ومن العتيق الأول» (٢).

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٢٢١) ، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف .

انظر : التقريب (٣٧/٢) ، وفيه يوسف بن مهران قال عنه الحافظ ابن حجر : لين الحديث .

انظر : التقريب (٣٨٣/٢) .

والأثر أخرجه ابن الضريس في فضائله (ص ٩٤) ، والطبراني في المعجم الكبير (٢١٥/١٢) برقم (١٢٩٣٠) كلاهما من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد به .

وزاد السيوطي نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه . انظر : الدر (٢٤٣/٢) .

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٢٢١) ، والأثر في البخاري ، كتاب التفسير باب ((سورة بني إسرائيل)) برقم (٤٧٠٨) ، وليس فيه ذكر سورة طه ، وفي التفسير أيضاً برقم (٤٧٣٩) ، وفيه زيادة سورة الأنبياء ، وهكذا رواية فضائل القرآن برقم (٤٩٩٤) .

قال أبو عبيد - معلقاً على هذا الأثر - : «قوله : «من تلادي» يقول : من أول ما أخذت من القرآن شبهه بتلاد المال القديم^(١)، ومعناه : أن ذلك كان بمكة»^(٢).

ج - وأخرج ابن الضريس في فضائله من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن أن أياً بن كعب كان يقول : «إن آخر القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ إلى قوله : ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾»^(٣)^(٤).

د - وأخرج النسائي في فضائله من طريق حجاج عن ابن جريج قال : أخبرني يوسف بن ماهك قال : إني لعند عائشة أم المؤمنين إذ جاءها عراقي فقال: أي أم المؤمنين أرني مصحفك !! قالت : لم ؟ قال : أريد أن أولف عليه القرآن ، فإننا نقرؤه عندنا غير مؤلف ، قالت: ويحك وما يضررك أيته قرأت قبل!! إنما نزل أول ما نزل سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا تاب الناس للإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا : لا ندع شرب الخمر ، ولو نزل أول شيء لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنى ، وإنه أنزلت : ﴿وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾^(٥) بمكة - وإني جارية ألعب - على محمد، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده ، قال: فأخرجت إليه المصحف فأملت عليه

(١) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير (١/١٩٤) .

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٢٢١) .

(٣) سورة التوبة ، الآيتان (١٢٨-١٢٩) .

(٤) فضائل القرآن لابن الضريس (ص ٧٣) وإسناده حسن .

(٥) سورة القمر ، الآية (٤٦) .

هـ - وذكر ابن رجب الحنبلي^(٢) في كتابه «مورد الظمآن إلى معرفة فضائل القرآن» تحت باب «فضل سورة الفتح» أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً ، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ ، ثم سأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، فقال عمر بن الخطاب : ثكلت أم عمر ، نذرت^(٣) رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك ، قال عمر : فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل في القرآن ، فما نشبت^(٤) أن سمعت صارخاً يصرخ بي ، فقلت : لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن ، فجئت رسول الله ﷺ فسلمتُ عليه ، فقال : لقد أنزل عليّ الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا

(١) فضائل القرآن للنسائي (ص ٦٥) برقم (١٢) ، والأثر في البخاري - كتاب التفسير ، باب تأليف القرآن (٦٥٤/٨) برقم (٤٩٩٣) .

(٢) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، صنف الذيل على طبقات الحنابلة ، وشرح كتاب العلل للترمذي ، توفي - رحمه الله - سنة (٧٩٥هـ) .

ترجمته : الدرر الكامنة (٤٢٨/٢) ، البدر الطالع (٣٢٨/١) .

هذا وقد جمع الدكتور عبيد بن علي العبيد مرويَّاته في التفسير في رسالة دكتوراه قدمت إلى الجامعة الإسلامية .

كما كتب الدكتور همام عبد الرحيم سعيد دراسة ضافية عن ابن رجب الحنبلي ضمن رسالته التي حصل بها على درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر بعنوان «العلل في الحديث دراسة منهجية في ضوء شرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي» والدراسة منشورة .

(٣) أي : ألححت في المسألة إلحاحاً أدبياً يسكوته عن جوابك . النهاية (٤٠/٥) .

(٤) أي : ما لبثت . انظر : النهاية (٥٢/٥) .

مُبِيناً ﴿١﴾.

وهنا أمر جدير بالذكر كذلك ، وهو أن علماء الحديث كانوا يدمجون موضوع «فضائل القرآن» ضمن مؤلفاتهم ككتاب أو كباب من الأبواب.

فالإمام البخاري - رحمه الله - ضمن كتابه الصحيح «كتاب فضائل القرآن» وكما كان موضحاً في تخريج الروايات السابقة ، فإن أغلب تلك الروايات أخرجها الإمام البخاري في صحيحه ، ولا أدل على أهمية كتاب فضائل القرآن للإمام البخاري من قيام الحافظ ابن كثير - رحمه الله - على شرح هذا الكتاب ، فضائل القرآن الذي بين أيدينا والمطبوع باسم «فضائل القرآن للحافظ ابن كثير» ما هو إلا شرح لكتاب فضائل القرآن للإمام البخاري المودع في الصحيح.

ثانياً : أفرد بعض من ألف فضائل القرآن جزءاً كبيراً من خلال مؤلفهم عن قضايا المكي والمدني ، ولا أدل على ذلك من كتاب ابن الضريس الذي عنون لكتابه عنواناً ذا شقين حيث سمّاه «فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة» (٢).

ثالثاً : ومن الأوجه التي تبرز فيها العلاقة بين المكي والمدني وبين فضائل القرآن اهتمام بعض من ألف فضائل القرآن بمناقشة بعض دعاوى المكي والمدني من حيث قواعده أو سور القرآن وآياته ، وبما أنه ستأتي

(١) مورد الظمان إلى معرفة فضائل القرآن لابن رجب الحنبلي (ص ٨٨) ، والحديث في

البخاري ، كتاب التفسير ، باب ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (٤٤٦/٨) برقم (٤٨٣٣) .

(٢) انظر للتوسع (ص : ٦٦-٦٧) .

هذه المناقشات في موضعها المناسب ، فسأكتفي هنا بالإشارة العابرة
ليتمكن المطلع على هذه الإشارة من معرفة مدى العلاقة بين المكي والمدني
وبين فضائل القرآن .

أ - قال القرطبي^(١) - رحمه الله - ناقداً القول بتكرر نزول الفاتحة :
«وقد قيل إنها مكية مدنية نزل بها جبريل عليه السلام مرتين حكاه الثعلبي
وغيره ، وما ذكرناه - أي نزولها بمكة - أولى»^(٢).

ب - وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - ذاكراً أن القول الفصل
في استثناء آية من سورتها المكية أو المدنية هو صحة الدليل الدال على
ذلك قال : «ومنهم من يستثني من المكي آيات يدعي أنها من المدني كما
في سورة الحج وغيرها ، والحق ما دلّ عليه الدليل الصحيح»^(٣).

وخلاصة القول : أن علاقة المكي والمدني بالأبواب الثلاثة السابقة
كانت تتسم بالوضوح والجلء ، وإن كان هناك تفاوت فيما بين تلك
الأبواب من حيث مدى علاقتها بينها وبين المكي والمدني والله أعلم.

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري المالكي القرطبي ، صنف
التفسير المشهور «الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان» ،
والتذكار في أفضل الأذكار ، توفي - رحمه الله - سنة (٦٧١هـ) .

ترجمته : طبقات المفسرين للداوودي (٦٩/٢-٧٠) ، الديباج المذهب في معرفة أعيان
علماء المذهب لابن فرجون المالكي (٣٠٨/٢-٣٠٩) .

هذا وقد قام الدكتور القصبي محمود زلط بدراسة ضافية عن القرطبي ومنهجه في
التفسير ، وهي رسالة دكتوراه قدمت إلى جامعة الأزهر ، وقد طبعتها دار الأنصار
بالقاهرة .

(٢) التذكار في أفضل الأذكار ، للقرطبي (ص ٢٢٩) ، وانظر : حكاية الثعلبي في تفسيره
«الكشف والبيان عن تفسير القرآن» (١٩/١ ق/ب) .

(٣) فضائل القرآن لابن كثير (ص : ١٢) .

المبحث الرابع : أسباب الاختلاف في تعيين المكي والمدني

هناك أسباب أدت إلى اختلاف أهل العلم حول تعيين المكي والمدني ، وتنحصر تلك الأسباب فيما يلي :

أولاً : عدم التنصيص من الرسول ﷺ على هذا الأمر .
فلم ينقل عن النبي ﷺ أنه قال : هذه السورة أو الآية مكية ، وتلك السورة أو الآية مدنية .

وهنا سؤال يطرح نفسه في هذا المقام ، وهو : لما ذا لم ينص النبي ﷺ على المكي والمدني ؟ ألم يكن ﷺ مرجع الصحابة في تفسيرهم لكتاب الله تعالى ؟

والجواب : تعددت أنظار أهل العلم في الجواب على هذا السؤال ، فقد قال القاضي أبو بكر الباقلاني مبيناً رأيه في ذلك : «لم يكن من النبي ﷺ في ذلك قول ، ولا ورد عنه أنه قال : اعلّموا أن قدر ما نزل عليّ من القرآن بمكة هو كذا وكذا ، وأن ما أنزل بالمدينة كذا وكذا ، وفصل لهم ، وألزمهم بمعرفته ، ولو كان ذلك منه لظهر وانتشر ، وإنما عدل ﷺ عن ذلك لأنه مما لم يؤمر ، ولم يجعل الله تعالى علم ذلك من فرائض الأمة وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ النسخ والمنسوخ»^(١).

ويرى ابن العربي - رحمه الله - أن ترك النبي ﷺ التنصيص على هذا الأمر فيه إشارة إلى أن المقام مقام اجتهاد ، وفي هذا يقول : «ومعرفة المدني من المكي أمر عسير لم تبلغ إليه معرفة العلماء على التحقيق ، ولا ثبت فيه النقل على الصحيح ، وإنما أراد الله أن يكون كذلك في سبيل

(١) الانتصار (١٤١ق/ب-١٤٢ق/أ) .

الاحتمال حتى تختلف بالمجتهدين الأحوال» (١).

ولعل توجيه الزرقاني - رحمه الله - أقرب إلى الصواب مما ذكره الباقلاني وابن العربي - رحمهما الله تعالى - إذ يقول ما نصه : «لا سبيل إلى معرفة المكي والمدني إلا بما ورد عن الصحابة والتابعين في ذلك ؛ لأنه لم يرد عن النبي ﷺ بيان للمكي والمدني ، وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان ، كيف وهم يشاهدون الوحي والتنزيل ، ويشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله عياناً» وليس بعد العيان بيان» (٢).

ثانياً : الاختلاف في تحديد مصطلح المكي والمدني .

وكما سبقت الإشارة إليه أن هناك ثلاثة اصطلاحات كل واحد منها بني على اعتبار يختلف عن الآخر (٣).
من أمثلة هذا الخلاف :

أ - ذهب الماوردي (٤) إلى أن قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى

(١) الناسخ والمنسوخ لابن العربي (٩/٢) .

وعبارة ابن العربي المذكورة لا يفهم منها أن تناول موضوع المكي والمدني بالدراسة لا يقدم أي فائدة جديدة في الموضوع ، كيف يفهم ذلك وقد برهنا بنماذج من اهتمامه في هذا الموضوع من خلال كتابه «الناسخ والمنسوخ» . انظر : (ص : ١١٧-١١٩) .
ولو افترضنا أن ابن العربي يرى ذلك لم يكن أقل من تحديد هذا الموضوع في أسلوب عرضه ومناقشة مسائله وتحليلها .

ويبدو - والله أعلم - أن كلام ابن العربي فيه إشارة إلى خطورة هذا الموضوع وصعوبته من جهة ، وفيه إشارة كذلك إلى أن مسأله من المسائل التي يسوغ فيها الخلاف من جهة أخرى .

(٢) مناهل العرفان (١٩٦/١) .

(٣) انظر هذه الاصطلاحات (ص : ٤٣-٤٤) .

(٤) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الشافعي صاحب الحاوي الكبير ،

اللَّهُ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١﴾ مكي اعتماداً على رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس الدالة على نزول هذه الآية يوم النحر بمنى (٢).

ب - يرى البعض أن قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (٣) مكي بناء على نزول الآية في شأن قصة مفتاح الكعبة يوم الفتح (٤).

وهكذا ترى أن هذين القولين انطلقا من منظور مكاني .
ثالثاً : عدم التمييز بين ما هو صريح في السببية وبين ما هو غير صريح .

سبق أن ذكرت عند حديثي عن العلاقة بين المكي والمدني وبين أسباب النزول أن دراسة أسباب النزول تجعلنا نتعرف على تاريخ السبب ، وبالتالي تفيدنا تحديد مكان نزول الآية (٥) ، ولكن مما يحتاج إلى التنبيه في هذا المقام أنه قد وقع من بعض الرواة لعدم تمييزهم بين القصة الصريحة في السببية وبين القصة التي ذكرت كتفسير للآية وبيان معناها أن

→

والأحكام السلطانية، توفي - رحمه الله - سنة (٤٥٠هـ) .
ترجمته : طبقات الشافعية للسبكي (٢٦٧/٥) ، طبقات المفسرين للداوودي (١/٤٢٧-٤٢٩) .

هذا وقد قام الباحث بدر الصميط بدراسة عن الماوردي وتفسيره ((النكت والعيون)) نال بها درجة الماجستير من جامعة أم القرى .

- (١) سورة البقرة ، الآية (٢٨١) .
- (٢) انظر : النكت والعيون للماوردي (١/٦٣) ، وللتوسع انظر : (ص : ٥١٩) .
- (٣) سورة النساء ، الآية (٥٨) .
- (٤) للتوسع انظر : (ص : ٥٢٦) .
- (٥) انظر : (ص : ١١٢) .

أَلْحَقَ بعض الآيات المكية في السور المدنية ، كما أَلْحَقَ بعض الآيات المدنية في السور المكية اعتماداً على تلك الأسباب الغير الصريحة .
من أمثلة هذا الخلاف :

قوله تعالى : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ الآية^(١)، ذكر بعض أهل العلم أن هذه الآية نزلت في قصة الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن اللذين وفدا إلى النبي ﷺ بالمدينة ، واعتمدوا على ذلك سبباً أخرج ابن ماجه في سننه ، ومن ثم بنوا على هذا السبب أن هذه الآية مدنية^(٢).

رابعاً : توهم قطعية بعض ضوابط وخصائص المكي والمدني مع أن تلك الضوابط والخصائص مبناهما على الغالبية لا التحديد القاطع الذي لا يقبل التخلف أو الاستثناء.
من أمثلة هذا الخلاف :

أ - ذهب البعض إلى أن النصف الأخير من سورة الفاتحة نزل بالمدينة اعتماداً على تفسير قوله تعالى : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ باليهود والنصارى^(٣).

ب - يرى مقاتل بن سليمان - رحمه الله - مدنية قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ أَحْسَنُ﴾ الآية^(٤) ، وما ذلك إلا لحديثها عن أهل الكتاب في نظر مقاتل .

(١) سورة الأنعام ، الآية (٥٢) .

(٢) للتوسع في الكلام على هذه الآية ، انظر : (ص : ٥٩٧) .

(٣) انظر للتوسع : (ص : ٤٥٧) .

(٤) سورة الأنعام ، الآية (٢٠) .

(٥) انظر : تفسير مقاتل (١/٥٤٧) .

ولعل مقالة الشيخ محمد الغزالي^(١) يحسن ذكرها في مثل هذا المقام حيث يقول : «وهناك آيات تعرضت لأهل الكتاب فجاء الرواة وعدُّوها مدنية ، كأن الكلام عن أهل الكتاب في مكة لا محل له ، والواقع أن هذه الروايات ينقصها التمحيص العلمي والتحقيق التاريخي ، وشيوعها بهذه الصورة يشبه شيوع القول بالنسخ مع ضعف سنده من ناحيتي العقل والنقل ، والغريب أن هذه الروايات الواهية هي التي أثبتتها دون غيرها نفر من الحفاظ أشرفوا على طبع هذا المصحف في دار الكتب المصرية»^(٢).

ج - ذهب البعض إلى أن صدر سورة النساء مكّي اعتماداً على افتتاحيتها بيا أيها الناس^(٣).

خامساً : الاعتماد على الروايات الضعيفة التي لا ترتقي بمستوى الاحتجاج رغم وجود روايات صحيحة نص في الموضوع.

وفي هذا المقام يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مشيراً إلى أن الاستدلال بما لا يعلم صحته أمر غير جائز في الشرع : «الاستدلال بما لا تعلم صحته لا يجوز بالاتفاق ؛ فإنه قول على الله بلا علم ، وهو حرام بالكتاب والسنة والإجماع»^(٤).

وقال أيضاً : «فالواجب أن يفرق بين الحديث الصحيح والحديث

(١) توفي - رحمه الله - مؤخراً في الرياض بتاريخ (٢٠/١٠/١٤١٦هـ) ، وشيع جثمانه إلى المدينة المنورة .

انظر مقالاً يتحدث عن جهوده الدعوية ومولاته في مجلة الدعوة السعودية ، العدد (١٥٣٣ - ٢٥ شوال ١٤١٦هـ) .

(٢) نظرات في القرآن لمحمد الغزالي (ص : ٥٢٤) .

(٣) انظر للمزيد : (ص : ٤٥٨) .

(٤) منهاج السنة (١٦٨/٧) .

الكذب ، فإن السنة هي الحق دون الباطل ، وهي الأحاديث الصحيحة دون الموضوعة ، فهذا أصل عظيم لأهل الإسلام عموماً ولمن يدعي السنة خصوصاً» (١).

ورحم الله ابن العربي ، فكثيراً ما يضع قواعد منهجية في مؤلفاته حول هذه المسألة إذ يقول في « أحكام القرآن » : « وقد ألقيت إليكم وصيتي في كل وقت ومجلس ألا تشتغلوا من الأحاديث بما لا يصح سنده » (٢).

وفي « قانون التأويل » يقول بعد أن ذكر أن النقل هو الطراز الأول في تحقيق التفسير المطلوب : « ... لكن حذار أن تعولوا فيه إلا على ما صحَّ ، ودعوا ما سودت فيه الأوراق ، فإنه سواد في القلوب والوجوه » (٣).

من أمثلة هذا الخلاف :

ذهب البعض إلى مدنية قوله تعالى : ﴿وَأَتَاكَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾ (٤) اعتماداً على رواية البزار بسنده عن أبي سعيد الخدري ، والتي مفادها أن النبي ﷺ لما نزلت الآية دعا فاطمة وأعطائها حقاً من حقوق القرابة (٥).

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في هذا الحديث : «هذا الحديث

(١) مجموع الفتاوى (٣/٣٨٠) .

(٢) (٧٨/٢) .

(٣) (ص : ٦٥٩) .

(٤) سورة الإسراء ، الآية (٢٦) .

(٥) انظر تخريج الرواية والحكم عليها مفصلاً (ص : ٧٤٥) .

مشكل لو صح إسناده ؛ لأن الآية مكية وفدك^(١) إنما فتحت مع خير سنة سبع من الهجرة ، فكيف يلتئم هذا مع هذا؟ فهو حديث منكر ، الأشبه أنه من وضع الرافضة»^(٢).

هذه هي الأسباب التي أدت إلى الاختلاف في تعيين المكّي والمدني ، والحق أن المتأمل في تلك الأسباب ليجد أن كلها ترجع إلى السبب الأول، ولكن ذكر بقية الأسباب هنا من باب استيفاء معالم البحث واستقراء جزئياته.

(١) انظر معناها : (ص : ٧٤٥) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٣٩) .

المبحث الخامس :

فوائد معرفة المكي والمدني مع نماذج تطبيقية لذلك

لا شك أن لكل علم له فوائد ، بل عدَّ بعض العلماء فوائد العلم الذي يؤلفون جزءاً من المبادئ العشرة التي جرى عليها المصنفون في الفنون والعلوم ، وهي المجموعة في قول قائلهم :

إن مبادئ كل فن عشرة الحد والموضوع ثم الثمرة
ونسبته وفضله والواضع والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائل والبعض بالبعض اكتفى ومن درى الجميع حاز الشرفاً^(١)
فسيراً على طريقة هؤلاء الجهابذة ، ولينكشف لنا معالم موضوع المكي والمدني فحري بي أن أذكر هنا الفوائد التي نخبها من دراستنا لموضوع المكي والمدني ، وتتلخص تلك الفوائد في الأمور التالية :

أولاً : معرفة الناسخ والمنسوخ ؛ إذ إن التأخر ينسخ المتقدم ، وبالتالي يترتب على ذلك كثير من المسائل الهامة في فهم النصوص القرآنية ذاتها ، وفي معرفة الأحكام الشرعية معرفة صحيحة .

قال الحارث المحاسبي - رحمه الله - عند حديثه عن الناسخ والمنسوخ ، قال : « فأول ذلك معرفة السور المكية والمدنية ليعرف أن ما فيها من الأمر والأحكام نزل بمكة أو بالمدينة ، فإذا اختلف كان الذي نزل بالمدينة هو الناسخ ؛ لأنه الآخر في النزول »^(٢).

(١) انظر في هذه الآيات : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين للبكري - فقه شافعي

- (١٤/١) .

(٢) فهم القرآن (ص ٣٩٤) .

وقال مكّي بن أبي طالب - رحمه الله - : «ويجب أن تعلم المكّي من السور من المدني ، فذلك مما يقوي ويفهم معرفة الناسخ والمنسوخ» (١).

ويذكر الرازي (٢) - رحمه الله - في تفسيره أهمية معرفة المكّي والمدني عند وجود الناسخ والمنسوخ في السورة ، فيقول : «اعلم أن الكلام في أن هذه السورة مكّية أو مدنية طريقه الآحاد ، ومتى لم يكن في السورة ما يتصل بالأحكام الشرعية فنزولها بمكة والمدينة سواء ، وإنما يختلف الغرض في ذلك إذا حصل فيها ناسخ ومنسوخ فيكون فيه فائدة عظيمة» (٣).

ويقول أبو جعفر النحاس - رحمه الله - :
«وإنما يذكر ما نزل بمكة والمدينة ؛ لأن فيه أعظم الفائدة في الناسخ والمنسوخ ، لأن الآية إذا كانت مكّية وكان فيها حكم ، وكان في غيرها مما نزل بالمدينة حكم غيره عُلم أن المدنية نسخت المكّية» (٤).

-
- (١) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (ص ١١٣-١١٤) .
(٢) هو فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الطبرستاني الشافعي ، أُلّف المحصول في أصول الفقه ، ومفاتيح الغيب في التفسير ، توفي - رحمه الله - سنة (٦٠٦هـ) .
ترجمته : طبقات الشافعية للسبكي (٣٣/٥-٤٠) ، طبقات المفسرين للداودي (٢١٥-٢١٨) .
هذا وقد كتب الدكتور الحسيني هاشم دراسة عن الرازي ومنهجه في التفسير ، وهي رسالة دكتوراه قدمت إلى دار العلوم بالقاهرة .
وهناك أيضاً أطروحة ماجستير للدكتور عبد الرحيم الطحان بعنوان : مفاتيح الغيب ومنهج الرازي فيه ، نال بها درجة الماجستير من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر .
(٣) مفاتيح الغيب ((التفسير الكبير)) (٧٣/١٩) .
(٤) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٦١١/٢) .

وللقرطبي - رحمه الله - كلمة نفيسة في هذا المقام ذكرها في مقدمة تفسيره ، فيقول : «وينبغي له - أي المفسر - أن يعرف المكي من المدني ، ليفرق بين ما خاطب الله به عباده في أول الإسلام ، وما ندبهم إليه في آخره ، وما فرض في أول الإسلام ، وما زاد عليهم من الفرائض في آخره ، فالمدني هو الناسخ للمكي في أكثر القرآن» (١).

وقال الجعبري - رحمه الله - : «وجل فائدته تظهر في علم الناسخ والمنسوخ بسبب معرفة المتقدم والمتأخر» (٢).

نموذج تطبيقي للفائدة الأولى :

قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْضُوا الْآيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ الآية (٣).

«أمر الله عباده في هذه الآية أن لا يحنثوا في يمين أكدوها بالحلف ، وكان هذا قبل نزول آية الكفارة في المائدة ، وقبل نزول قوله تعالى : ﴿وَلَا يَأْتَلُ أُولُوا الْفَصْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى﴾ الآية (٤) في حلف أبي بكر - رضي الله عنه - ألا ينيل مسطحاً شيئاً أبداً لما نال من عائشة - رضي الله عنها - في أمر الإفك ، فنسخ الله ذلك ، ومنع نقض الأيمان بالكفارة المذكورة في المائدة ، وبما أمر به أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - في قوله : ﴿وَلَا يَأْتَلُ أُولُوا الْفَصْلِ مِنْكُمْ﴾ ، وبقوله : ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ الآية (٥)،

(١) مقدمة تفسير القرطبي (٢١/١) ، وانظر كلاماً نحو هذا في : الزيادة والإحسان في علوم القرآن (١١١ق/ب) .

(٢) المفرد في معرفة العدد (٣٥ق/أ) .

(٣) جزء من الآية (٩١) سورة النحل .

(٤) سورة النور ، الآية (٢٢) .

(٥) سورة البقرة ، الآية (٢٢٤) .

والنحل مكية والمائدة والبقرة والنور مدينيات ، فحسن نسخ المدني^١ المكي^٢» (١) .

ثانياً : الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم ؛ إذ إن معرفة مكان نزول الآية تعين على فهم المراد بالآية ومعرفة مدلولاتها ، وما يراد فيها : أخرج الخطيب البغدادي (٢) - رحمه الله - بسنده عن الشافعي قال : «لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجلاً عارفاً بكتاب الله ، بناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وتأويله وتنزيله ، ومكيه ومدنيه ، وما أريد به ، وفيما أنزل ، ثم يكون بعد ذلك بصيراً بحديث رسول الله ﷺ ، وبالناسخ والمنسوخ ، ويعرف من الحديث ما عرف من القرآن ...» (٣) . وقال ابن الأنباري - رحمه الله - كما نقله عنه القرطبي في مقدمة تفسيره : «فمن عمل على ترك الأثر والإعراض عن الإجماع ونظم السور على منازلها بمكة والمدينة ، لم يدر أين تقع الفاتحة ، لاختلاف الناس في موضع نزولها ، ويضطر إلى تأخير الآية التي في رأس خمس وثلاثين ومائتين

(١) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي بن أبي طالب (ص ٣٣٣) .

(٢) هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ، من مؤلفاته تاريخ بغداد ، والفقيه والمتفقه ، توفي - رحمه الله - سنة (٤٦٣هـ) .

ترجمته : وفيات الأعيان (٩٢/١-٩٣) ، الوافي بالوفيات (١٩٩-١٩٠/٧) .

هذا وقد تناولت دراسات عديدة حياة الخطيب البغدادي الحديثية والتاريخية ، منها :

أ - الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها ، للدكتور يوسف العثمن .

ب - موارد الخطيب البغدادي في كتابه «تاريخ بغداد» ، لشيخنا الدكتور أكرم العمري .

ج - الخطيب البغدادي وجهوده في علم الحديث ، للدكتور محمود الطحان .

(٣) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١٥٧/٢) ، وتابع بقية كلام الإمام الشافعي ، فكلامه نفيس في هذا المقام.

من البقرة إلى راس الأربعين ، ومن أفسد نظم القرآن فقد كفر به ، وردَّ على محمد ﷺ ما حكاه عن ربه تعالى» (١).

ويقول الإمام أبو القاسم النيسابوري بعد تعداده خمسة وعشرين وجهاً من وجوه المكي والمدني : «فهذه خمسة وعشرون وجهاً من لم يعرفها ويميز بينها لم يحلَّ له أن يتكلم في كتاب الله عز وجل» (٢).

ويدي الدكتور مصطفى زيد (٣) - رحمه الله - بدلوه في هذا المقام فيقول : «إن دراسة علوم القرآن ضرورة لا غنى عنها لمن ينصب نفسه للتفسير ، فتميز المكي والمدني يفيد المفسر كثيراً» (٤).

نموذج تطبيقي للفائدة الثانية :

هب أن قارئاً قرا سورة «الكافرون» وبالتحديد في قوله تعالى : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ولم يعلم زمن نزول الآية وهل هي مكية أو مدنية ، فإنه يحار - بلا شك - في معنى الآية ؛ إذ إنه يفهم من الآية أن المسلمين غير مكلفين بالجهاد ، ولكن إذا علم أن السورة إنما نزلت بمكة أدرك أن هذه السورة علاج للمرحلة التي كان فيها الرسول ﷺ في مكة ، وليست دليلاً على عدم مشروعية الجهاد.

ثالثاً : ومن فوائد معرفة المكي والمدني «التبصر بالمراحل التاريخية التي

(١) مقدمة تفسير القرطبي (١/٦٢) ، وانظر أيضاً : البرهان للزركشي (١/٢٦٠) .

(٢) التنزيل وترتيبه (٢٢٢ق/ب) ، وانظر كلاماً نحو هذا في : الزيادة والإحسان في علوم القرآن (١١ق/ب) .

(٣) كان - رحمه الله - رئيس قسم الشريعة بدار العلوم بجامعة القاهرة ، ثم انتقل إلى الجامعة الإسلامية فتولى رئاسة شعبة التفسير بالدراسات العليا إلى أن توفي عام (١٣٩٨هـ) ، ودفن بالبقيع - رحمه الله رحمة واسعة - نقلاً شفهياً عن شيخنا الدكتور عبد العزيز القارئ .

(٤) دراسات في التفسير ، لمصطفى زيد (ص٢٣) .

سار عليها تشريعنا السامي ، والاطلاع على الطريقة الحكيمة التي أخذ الله بها فيما سنّ لهم من أحكام» (١).

نموذج تطبيقي للفائدة الثالثة :

أخرج البخاري - رحمه الله - في صحيحه بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - في حديثها مع الرجل العراقي ، وفيه : «إنما نزل أول ما نزل سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس للإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل أول شيء لا تنزوا لقالوا: لا ندع الزنا أبداً...» الحديث (٢).

رابعاً : أن معرفة المكي والمدني تساعدنا على استخراج سيرة الرسول ﷺ ، وذلك بمتابعة أحواله بمكة ، ومواقفه في الدعوة ، ثم أحواله في المدينة ، وسيرته في الدعوة إلى الله فيها .

يقول الدكتور صبحي الصالح - رحمه الله - : « كان العلم بالمكي والمدني إذاً خليقاً بالعناية التي أحيط بها ، وجديراً أن يُعَدَّ بحق منطلق العلماء لاستيفاء البحث في مراحل الدعوة الإسلامية» (٣).

ويقول مناع القطان : «إنه جهد كبير أن يتتبع الباحث منازل الوحي في جميع مراحلها ، ويتناول آيات القرآن الكريم فيعين وقت نزولها ، ويحدد مكانه ، ويضم إلى ذلك الضوابط القياسية لأسلوب الخطاب فيها ، أهو من قبيل المكي أم من قبيل المدني ؟ مستعيناً بموضوع السورة أو الآية ،

(١) التعبير الفني في القرآن ، للدكتور بكرى شيخ أمين (ص ٤٤) .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٦٥٤/٨) برقم (٤٩٩٣) كتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن .

(٣) مباحث في علوم القرآن ، لصبحي الصالح (ص ١٦٧) .

أهو من الموضوعات التي ارتكزت عليها الدعوة الإسلامية في مكة أم من الموضوعات التي ارتكزت عليها في المدينة؟» (١).

نموذج تطبيقي للفائدة الرابعة :

إن من يرى سيرة الرسول ﷺ في المرحلة المكية يجد أن القرآن المكي اعتنى ببعض الموضوعات كتقرير القضايا الإيمانية ، في حين أن القرآن المدني قد كان يعتني ببيان جزئيات التشريع ، وتفاصيل الأحكام ، وقضايا علاقة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم.

هكذا يقرر القرآن الكريم في مختلف مراحل نزوله بما يلائم نفسية المخاطب ، انظر مثلاً سورة كسورة الحجر - وهي سورة مكية - ودعوتها إلى أصول الإيمان ، وانظر مثلاً سورة كسورة البقرة والنساء والمائدة - وهن مدنيات - ما يشملن من تشريعات تفصيلية، وأحكام عملية في العبادات والمعاملات .

وفي هذا يقول القرطبي - رحمه الله - في سورة النساء : «ومن تبين أحكامها علم أنها مدنية لا شك فيها» (٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في سورة المائدة : «أجمع سورة في القرآن لفروع التشريع من التحليل والتحريم والأمر والنهي» (٣). وهكذا يبدو أن لكل مرحلة من مراحل الدعوة موضوعاتها وأساليبها ، إذ كما يقال : «لكل مقام مقال» (٤).

(١) مباحث في علوم القرآن ، لمناح القطان (ص ٥٣) .

(٢) تفسير القرطبي (١/٥) .

(٣) مجموع الفتاوى (٤٤٨/١٥) ، وانظر أيضاً : دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية . (٥/٣) .

(٤) انظر هذه القاعدة البلاغية في : مفتاح العلوم للسكاكي (ص ١٦٨) .

وهنا أمر مهمٌ يستدعي الإيضاح وهو أن بعض الدراسات المعاصرة نتيجة تأثرها تحت سيطرة الفكر الاستشراقي قدّمت محاولات لترتيب سور القرآن حسب نزوله ، بدعوى أن هذا المنهج هو الأمثل في معرفة تاريخ التشريع أولاً وفي معرفة سيرة الرسول ﷺ ثانياً .

وستأتي - إن شاء الله - وقفات مع أصحاب هذا المنهج عند مدخل الباب الثاني من هذا البحث «تحرير القول في السور» .

خامساً : بيان عناية المسلمين بالقرآن الكريم واهتمامهم به حيث إنهم لم يكتفوا بحفظ النص القرآني فحسب ، بل تتبعوا أماكن نزوله ، ما كان قبل الهجرة ، وما كان بعد الهجرة ، ما نزل بالليل وما نزل بالنهار ، وما نزل في الصيف وما نزل في الشتاء ، إلى غير ذلك من الأحوال .

سادساً : ومن الفوائد معرفة أسباب النزول ؛ إذ إننا أثناء دراستنا لمكان نزول الآية نقف على الأحوال والملابس التي احتفت بنزول الآية. وقد ذكرنا نماذج تطبيقية تدل على ذلك في مبحث «علاقة المكي والمدني ببعض أبواب علوم القرآن» .

سابعاً : «الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالماً من التغيير والتحريف» (١) .

تلك هي مجمل الفوائد التي نستطيع أن نحصل عليها من معرفتنا للمكي والمدني ، والحق هي فوائد يستفيد منها كل من أراد الخوض في مجال التفسير وعلوم القرآن ، وانتقل الآن إلى الأسس والقواعد التي يقوم عليها علم المكي والمدني .

(١) مناهل العرفان (١/١٩٥) .

المبحث السادس : القواعد التي يقوم عليها علم المكي والمدني

وفيه مطلبان :

**المطلب الأول : تعريف القواعد لغة واصطلاحاً
المطلب الثاني : ذكر القواعد التي يقوم عليها
علم المكي والمدني**

توطئة :

قد جرى الاصطلاح في كل العلوم أن يكون لكل علم قواعد ،
فهناك قواعد أصولية ونحوية وفقهية وتفسيرية (١) . . . والهدف من ذكر
تلك القواعد هو ضبط المسائل المتشابهة التي تندرج تحت قاعدة واحدة .
قال العلامة أبو بكر الأهدل (٢) في منظومة له في القواعد الفقهية مبيناً
أن ضبط المسائل لا يتم إلا عن طريق وضع قاعدة لها :
وإنما تضبط بالقواعد — فحفظها من أعظم الفوائد (٣)
وهكذا علم المكي والمدني باعتباره فناً من فنون علوم القرآن له
قواعد تضبطه وتؤصله .
وقبل الدخول في ذكر القواعد لابد من تعريف معنى القواعد لغةً
واصطلاحاً .

-
- (١) هناك دراسات معاصرة في مجال القواعد ظهرت في الآونة الأخيرة .
ففي مجال الدراسات الأصولية قد كتب الدكتور مصطفى سعيد الخن دراسة بعنوان :
أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء .
وفي مجال الدراسات الفقهية هناك دراسات عديدة ، ومن أجودها القواعد الفقهية
للدكتور علي أحمد الندوي ، والقواعد الفقهية للدكتور يعقوب الباسين .
وأما في مجال قواعد التفسير فهناك رسالة دكتوراه بعنوان : قواعد التفسير جمعاً ودراسة
للدكتور خالد بن عثمان السبت ، ونشرت مؤخراً .
وفي مجال الدراسات النحوية قد كتب الدكتور عبد الكريم بكار كتاباً بعنوان : الصفوة
من القواعد الإعرابية .
(٢) هو أبو بكر بن أبي قاسم بن أحمد بن محمد الأهدل البجلي ، من مؤلفاته الفرائد البهية في
نظم القواعد الفقهية ، توفي - رحمه الله - سنة (١٠٣٥ هـ) .
ترجمته : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي (٦٤/١) ، ومصادر الفكر
الإسلامي في اليمن لعبد الله الحبشي (ص : ٢٤٠) .
(٣) الفرائد البهية في نظم القواعد الفقهية لأبي بكر بن الأهدل (ص : ٧) .

المطلب الأول : تعريف القواعد لغة واصطلاحاً

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : تعريف القواعد لغة :

القواعد جمع قاعدة وهي : أسس الشيء وأصوله ، حسياً كان ذلك الشيء أو معنوياً ، ومنه قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ (١) وقوله تعالى ﴿فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُم مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ (٢) (٣) .

المسألة الثانية : تعريف القواعد اصطلاحاً :

ذكر أهل العلم تعاريف متعددة لمعنى القواعد اصطلاحاً ، وبما أنني لست بصدد دراسة تفصيلية في موضوع القواعد ، فسأذكر هنا تعريفين يعطيان صورة واضحة في مفهوم مصطلح « القواعد » .

١- قال التفتازاني (٤) في تعريف القواعد : « حكم كلي ينطبق على

(١) سورة البقرة ، الآية (١٢٧) .

(٢) سورة النحل ، الآية (٢٦) .

(٣) انظر تعريف القواعد لغة في : جوهرة اللغة لابن دريد (٢٧٩/٢) ، تهذيب اللغة للأزهري (٢٠٢/١) ، الصحاح للجوهري (٥٢٥/٢) .

(٤) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني ، كان عالماً أصولياً لغوياً ، من مؤلفاته شرح تلخيص المفتاح والتلويح على التوضيح ، توفي - رحمه الله - سنة (٧٩١ هـ) .

ترجمته : بغية الوعاة (٢٨٥/٢) الفتح المبين في طبقات الأصوليين للمراغي (٢١٤/٢) .

جزئياته ليتعرف أحكامها منه « (١) .

٢- وقال أبو البقاء (٢) : « القاعدة اصطلاحاً : قضية كلية من حيث اشتغالها بالقوة على أحكام جزئيات موضوعها . » (٣) .

(١) التلويح على التوضيح (٢٠/١) .

(٢) هو أيوب بن موسى الكفويّ ، من مؤلفاته الكليات ، توفي - رحمه الله - سنة (١٠٩٤ هـ) .

ترجمته : الأعلام (٣٠/٢) ، معجم المؤلفين (٣١/٣) .

(٣) الكليات لأبي البقاء (ص : ٤٨) .

المطلب الثاني :

ذكر القواعد التي يقوم عليها علم المكي والمدني

القاعدة الأولى : القول في تفاصيل المكي والمدني موقوف على نقل من شاهدوا تنزيل القرآن .

توضيح القاعدة : مما هو معلوم أن الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - عايشوا تنزيل هذا القرآن ، الأمر الذي جعل النبي ﷺ لم ينص على أن هذا القدر من القرآن مكّي أو مدني ، وقد سبق تفصيل هذه القضية في مبحث مستقل^(١) إلا أن الشيء الذي أريد أن أخلص إليه في هذا المقام هو أن النقل كما يكون عن النبي ﷺ يكون كذلك عن الصحابة الذين شاهدوا تنزيل القرآن .

أخرج الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه بسنده عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال « والله الذي لا إله غيره ، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت ، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت ، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه » (٢) .

قال النحاس - رحمه الله - : « قد تكون السورة مكية ، ثم ينزل الشيء بالمدينة ، فيأمر رسول الله ﷺ بجعله فيها ، ولا يكون هذا لأحد غير رسول الله ﷺ لما يأتيه من الوحي بذلك ، إذ كان تأليف القرآن معجزاً لا يؤخذ إلا عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ وعن الجماعة الذين لا يلحقهم

(١) انظر (ص : ١٢٧) .

(٢) انظر تحريجه (ص : ٥٩) .

الغلط ، ولا يتواطؤون على الباطل ٠ « (١) ٠

ويقول ابن الحصار كما نقله عنه السيوطي : « كل نوع من المكّي والمدني منه آيات مستثناة إلا أن من الناس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل ٠ « (٢) ٠

الأمثلة التطبيقية على هذه القاعدة :

المثال الأول : أخرج الإمام البخاريّ بسنده عن طارق بن شهاب قال « قالت اليهود لعمر : إنكم تقرءون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً ، فقال عمر : إني لأعلم حيث أنزلت ، وأين نزلت ، وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت : يوم عرفة ، وإنا والله بعرفة ٠ قال سفيان : وأشك كان يوم الجمعة أم لا ﴿ الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ » (٣) ٠

المثال الثاني : وأخرج الإمام البخاري بسنده عن عائشة - رضي الله عنهما - في حديث طويل وفيه : « وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده » (٤) ٠

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « وأشارت بقولها » وأنا عنده « أي بالمدينة لأن دخولها عليه إنما كان بعد الهجرة اتفاقاً » (٥) ٠

القاعدة الثانية : الأصل في السورة المكية أن تكون كلّ آياتها مكية ، ولا يقبل القول بمدينة بعض آياتها إلا بدليل استثنائي صحيح ، كما أن

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٤٨١/٢) ٠

(٢) الإتيقان (٤٢/١-٤٣) ٠

للتوسع في أقوال أهل العلم حول أهمية النقل في المكّي والمدني انظر : (ص: ١٠٣-١٠٦) ٠

(٣) انظر تخريجه : (ص : ٥٩) ٠

(٤) انظر تخريجه : (ص : ٣٧٣) ٠

(٥) الفتح (٦٥٦/٨) ٠

السورة المدنية يحكم بجميع آياتها بأنها مدنية إلا ما خرج بدليل استثنائي صحيح .

توضيح القاعدة : سبق أن ذكرت في مبحث « تعريفات للمكي والمدني » أن الاصطلاح الذي درج عليه أهل العلم في تعريفهم للمكي والمدني هو أن ما نزل قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة فهو مكّي ، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني^(١) ، وعليه فلا يقبل أي دعوى استثنائية دون دليل صحيح دال على ذلك .

وأما إذا ثبت صحة استثناء آية أو آيات معينة من سورة ما - رغم أن هذا الأمر خلاف الأصل - فلا يمنع هذا الاستثناء لصحة الدليل في ذلك .

قال محمد بن سيرين كما نقله عنه الحافظ ابن حجر : « لا مانع أن تكون السورة مكية وبعضها مدنيّ وبالعكس . »^(٢) .
وقال البيهقي : « في بعض السور التي نزلت بمكة آيات نزلت بالمدينة فألحقت بها »^(٣) .

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا : « لما كان وجود آيات مدنية في سورة مكية أو آيات مكية في سورة مدنية خلاف الأصل ، فالمختار عدم قبول القول به إلا إذا ثبت برواية صحيحة السند ، صريحة المتن ، سالمة من المعارضة والاحتمال . »^(٤) .

(١) انظر : (ص : ٤٤-٤٦) .

(٢) الفتح (١٢٦/٧) .

(٣) دلائل النبوة (١٤٤/٧) .

(٤) تفسير المنار (٢٨٤/٧) .

ويدي الدكتور القصبي محمود زلط بدلوه في هذا المقام . فيقول :
« نحن لا نمنع أن تكون هناك آيات مكية في سورة مدنية أو العكس ،
ولكننا نتعامل بحذر مع الروايات ، فلا تقبل منها إلا ما صح سنداً
ومتناً » (١) .

الأمثلة التطبيقية على هذه القاعدة :

مثال لآية مدنية في سورة مكية صح الاستثناء بها :
أخرج البزار من طريق سماك عن إبراهيم عن علقمة والأسود عن
عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : « إن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : إني
لقيت امرأة في بعض طرق المدينة فأصبت منها كل شيء مادون الجماع ،
قال : فنزلت ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَتِ يُذْهِبْنَ
السَّيِّئَاتِ ﴾ » (٢) .

-
- (١) محاضرات في علوم القرآن للدكتور القصبي زلط (ص : ٤٨) .
(٢) مسند البزار (٣٤٢/٤) برقم (١٥٣٩) وإسناده صحيح .
والحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم (٥٢٦) و (٤٦٨٧) وليس فيه ما يدل على
وقوع القصة في المدينة إلا أن فيه التصريح بالسببية .
وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٧٦٣) وفيه التصريح بوقوع القصة بالمدينة ، ولكن
ليس فيه التصريح بالسببية .
وأخرجه أيضاً الترمذي في سننه انظر : سنن الترمذي مع تحفة الأحوذى (٤٢٥/٨) برقم
(٣٣١٧) كتاب التفسير ، سورة هود .
وابن ماجة في الإقامة برقم (١٣٩٨) باب ما جاء في أن الصلاة كفارة ، والنسائي في
تفسيره (٥٩٤/١) برقم (٢٦٧) ، والواحدى في أسباب النزول (ص : ٢٦٥-٢٦٦) ،
والبغوي في شرح السنة (١٧٨/٢) برقم (٣٤٦) .

مثال لآية قيل إنها مكية وهي في سورة مدنية :

وقبل أن أذكر مثلاً لهذا النوع من الاستثناء لابد من توضيح حقيقة علمية ظهرت لي في القسم الذي تمت دراسته من هذا البحث ، وهو أنني لم أقف - حسب إطلاعي - من خلال هذا القسم على آية مكية في سورة مدنية صح استثناءها من تلك السورة المدنية فكل ما قيل في هذا الباب دعاوى لا تصمد أمام البحث والتحقيق العلمي .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن هذا النوع نادر - من حيث هو - كما ذكره بعض أهل العلم .

قال ابن جُزَي (١) - رحمه الله - في مقدمة تفسيره : « وقد وقعت آيات مدنية في سور مكية ، كما وقعت آيات مكية في سور مدنية ، وذلك قليل ، مختلف في أكثره » (٢)

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « وقد اعتنى بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدينة في السور المكية . . . وأما عكس ذلك وهو نزول شيء من سورة بمكة تأخر نزول تلك السورة إلى المدينة فلم

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد أبو القاسم بن جزي الكلبي المالكي ، من مؤلفاته تفسيره المسمى « التسهيل لعلوم التنزيل » و « تقريب الأصول إلى علم الأصول » - صدر أخيراً عن مكتبة ابن تيمية بتحقيق الدكتور محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي - توفي - رحمه الله - سنة (٧٤١هـ) شهيداً .

ترجمته : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون المالكي (٢/٢٤٧-٢٧٦) ، طبقات المفسرين للدراودي (٢/٨٥-٨٧) .

هذا وقد قام علي بن محمد الزبيري - رحمه الله - بدراسة مسببة عن ابن جزي ومنهجه في التفسير نال بها درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية وقد صدرت عن دار القلم في مجلدين .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١/٨) .

أره إلا نادراً . « (١)

ومن الأمثلة التي ذكرت لهذا النوع قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية . (٢)

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - تعقياً على دعوى مكية هذه الآية : « فقد اتفقوا على أن الأنفال مدنية لكن قيل إن قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية نزلت بمكة ، ثم نزلت سورة الأنفال بالمدينة ، وهذا غريب جداً . « (٣)

القاعدة الثالثة : المدني ينسخ المدني الذي نزل قبله ، وينسخ المكي أيضاً .

ولا يجوز أن ينسخ المكي المدني . (٤)

توضيح القاعدة : مما هو معلوم أنه يوجد في كتاب الله ناسخٌ ومنسوخ ، ولا يمكن كما سبقت الإشارة إليه معرفة ذلك إلا عن طريق معرفة المكي والمدني ؛ إذ إن من شروط النسخ المعتبرة أن يكون المنسوخ متقدماً والناسخ متأخراً . (٥)

(١) الفتح (٦٥٦/٨-٦٥٧) .

(٢) سورة الأنفال الآية (٣٠) .

(٣) الفتح (٦٥٧/٨) .

(٤) انظر : الإيضاح لمكي (ص : ١١٣ ، ٢٠٢ ، ٢٢٣ ، ٣٣٣ ، ٣٥٤) ، جمال القراء (٢٤٧/١) .

(٥) انظر : نواسخ القرآن لابن الجوزي (ص : ٩٦) ، رسوخ الأخبار في منسوخ الأخبار للجعري (ص : ١٣٥) ، شرح الكوكب المنير لابن النجار الحنبلي (٥٦٣/٣) .

الأمثلة التطبيقية على هذه القاعدة :

مثال لنسخ المدني المدني الذي نزل قبله :

آية الاعتداد في الوفاة بالحول وهي قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ ﴾ الآية . (١)
نسخ هذه الآية بقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرَكِّضْنَ بِأَفْسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ الآية . (٢)

وقد يتساءل متسائل فيقول : ذكرت أن من شروط النسخ أن يكون الناسخ متأخراً والمنسوخ متقدماً ، وفي هذا المثال تقدم الناسخ وتأخر المنسوخ في الترتيب فكيف هذا بذاك ؟

والجواب : أن سور القرآن لم ترتب آياتها على حسب النزول ، وإنما كان جبريل عليه السلام ينزل بالآيات على رسول الله ﷺ ويخبره بموضعها من السورة ، ثم يقرأها الرسول ﷺ على أصحابه ، ويأمر كتاب الوحي بكتابتها في موضعها من السورة .

قال مكي بن أبي طالب - رحمه الله - مشيراً إلى هذا المثال « وإنما أستغرب هذا؛ لأنه في سورة واحدة ، ولو كان في سورتين لم ينكر أن يكون الناسخ في الترتيب قبل المنسوخ ، فهو كثير من سورتين ، لأن السورة لم تؤلف في التقديم والتأخير على النزول ، ألا ترى أن كثيراً من المكي بعد المدني ، والمكي نزل أولاً . » (٣)

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٤٠) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٣٤) .

(٣) الإيضاح (ص : ١٨٣) .

ويقول الزمخشري^(١) - رحمه الله - عند تفسيره للآية التي قيل إنها منسوخة : « فإن قلت : كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة ؟ قلت : قد تكون الآية متقدمة في التلاوة وهي متأخرة في التنزيل » (٢) .

مثال لنسخ المدني المكي :

تحريم الخمر في قوله تعالى ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣) ناسخ لقوله تعالى ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرَرَقًا حَسَنًا ﴾ (٤)

قال مكي : « من تأول أن السكر في الآية خمور الأعاجم ، قال : هو منسوخ بتحريم الخمر في المائدة وغيرها » (٥)

وقبل أن أودع هذه القاعدة ثمة سؤال جدير بالإجابة ، وهو : ماذا

(١) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي ، من كبار أئمة المعتزلة ، ومن مؤلفاته الكشف ، وأساس البلاغة ، توفي - رحمه الله - سنة (٥٣٨هـ) .
ترجمته : إشارة التعيين (ص : ٣٤٥-٣٤٦) ، طبقات المفسرين للداوودي (٢/٣١٤-٣١٥) .

هذا وللدكتور مصطفى الصاوي الجويني دراسة موسعة عن الزمخشري وعن منهجه في التفسير نال بها درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر ، وقد طبعها دار المعارف بالقاهرة .

وفي مجلة كلية الدراسات الإسلامية بجامعة بغداد مقالة بعنوان : فقه الزمخشري في تفسير الكشف للدكتور أحمد الفاطمي .

أنظر : (المجلد ١٣) (العدد : ٢) (ص ٣٨-٤٩) .

(٢) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (١/٣٧٧) .

(٣) سورة المائدة ، الآية (٩٠) .

(٤) جزء من الآية (٦٧) من سورة النحل .

(٥) الإيضاح (ص : ٣٣١) .

عن نسخ المكي المكي؟ علماً بأنني لم أشر إلى هذه القضية في عنوان القاعدة .

والجواب : أن نسخ المكي المكي قليل جداً ، بل ذكر مكي بن أبي طالب - رحمه الله - أنه لم يجد شيئاً متفقاً عليه إلا يسيراً . (١)
وقال السخاوي - رحمه الله - : « وأما نسخ المكي المكي فلم يتفق عليه » (٢).

ومن الأمثلة التي ذكرت لهذا النوع قوله تعالى ﴿ ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً ﴾ (٣) فقد روي عن عبد الرحمن بن زيد أن هذا كان فرضاً وأنه منسوخ بقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَّيْلٌ فَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ الآية (٤) (٥) .
قال مكي - رحمه الله - مشيراً إلى الآيتين : « وهذا من نسخ المكي بالمكي » (٦)

القاعدة الرابعة : « المدني من السور ينبغي أن يكون منزلاً في الفهم على المكي وكذلك المكي بعضه مع بعض ، والمدني بعضه مع بعض على حسب ترتيبه في التنزيل » (٧)

توضيح القاعدة : مما هو معلوم أن الأصول الكلية في الشريعة شرعت بمكة ، وكثير من الأحكام الجزئية التي تندرج تحت الكليات

(١) انظر : الإيضاح (ص : ١١٣) .

(٢) جمال القراء (١ / ٢٤٧) .

(٣) سورة الإنسان ، الآية (٢٦) .

(٤) سورة الإسراء ، الآية (٧٩) .

(٥) انظر : الإيضاح (ص : ٤٤٤) .

(٦) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٧) الموافقات (٣ / ٤٠٦) .

العامة ثم تشريعها بالمدينة ،

فعلى الباحث إذاً أن يكون على علم بين ما هو أصل عام شرع في مكة ، وبين ما هو حكم جزئي شرع في المدينة ، فلا يظن - على سبيل المثال - أن كل آية يوجد فيها ملامح التشريع أنها آية مدنية بحجة أن قضايا الأحكام والتشريع شرعت بالمدينة .

قال الشاطبي - رحمه الله - بعد أن ذكر هذه القاعدة : « والدليل على ذلك - أي صحة القاعدة - أن معنى الخطاب المدني في الغالب مبني على المكي ، كما أن المتأخر من كل واحد منهما مبني على متقدمه ، دلّ على ذلك الاستقراء ، وذلك إنما يكون ببيان مجمل ، أو تخصيص عموم ، أو تقييد مطلق ، أو تفصيل ما لم يفصل أو تكميل ما لم يظهر تكميله » (١) .

مثال تطبيقي على القاعدة : ذكر الإمام الشاطبي - رحمه الله - مثلاً للقاعدة المذكورة ، فقال بعد تقريره للقاعدة : « وأول شاهد على هذا أصل الشريعة ، فإنها جاءت مُتِمَّةً لمكارم الأخلاق ، ومُصْلِحَةً لما أفسد قبل من ملة إبراهيم عليه السلام ، ويليّه تنزيل سورة الأنعام ، فإنها نزلت مُبَيِّنَةً لقواعد العقائد وأصول الدين ، وقد خرج العلماء منها قواعد التوحيد التي صنف فيها المتكلمون من أول إثبات واجب الوجود إلى إثبات الإمامة ، . . . ثم لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة كان من أول ما نزل عليه سورة البقرة ، وهي التي قررت قواعد التقوى المبنية على قواعد سورة الأنعام ، . . . كما كان غير الأنعام من المكي المتأخر عنها مبنياً عليها .

(١) المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

وإذا تنزلت إلى سائر السور بعضها مع بعض في الترتيب وجدتها كذلك ، حذو القذّة بالقذّة ، فلا يغيبنّ عن الناظر في الكتاب هذا المعنى ، فإنه من أسرار علوم التفسير ، وعلى حسب المعرفة به تحصل له المعرفة بكلام ربه سبحانه » (١).

القاعدة الخامسة : « قد يستمر نزول السورة فتنزل في أثناء مدة نزولها سور أخرى » (٢) .

توضيح القاعدة : يقع في بعض الأحيان أن تنزل سورة فتدخلها سور أخرى في أثناء نزول تلك السورة ، وهكذا يتبين أنه لا يعني حينما يقال : إن سورة كذا نزلت بعد سورة كذا أن التالية نزلت بعد انتهاء الأولى . قال يزيد بن رومان كما نقله عنه ابن العربي : « ربما نزل أول السورة بمكة وآخرها بالمدينة » (٣) .

وقال ابن عاشور (٤) - رحمه الله - : « فليس معنى قولهم : نزلت

(١) المصدر السابق (٤٠٦/٣-٤٠٧) ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام نحو هذا انظر : مجموع الفتاوى (١٦٠/١٥) ، (١٢٦/١٧-١٢٧) .

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٠٢/١) .

(٣) الناسخ والمنسوخ لابن العربي (١٣/٢) .

(٤) هو محمد الطاهر بن عاشور ، أحد كبار علماء تونس ، مفسر لغوي ، كان عميداً للجامعة الزيتونية عام ١٩٥٦ م ، كما كان عضواً بمجمع اللغة العربية بمصر ، وبالمجمع العلمي العربي بدمشق ، من مؤلفاته ((التحرير والتنوير)) توفي - رحمه الله - سنة (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ م) .

ترجمته : معجم المفسرين (٥٤١/٢-٥٤٢) ، تراجم المؤلفين التونسيين لمحمد محفوظ (٣٠٩-٣٠٤/٣) .

هذا وقد قام الباحث عبد الله بن إبراهيم الريس بدراسة عن ابن عاشور ومنهجه في التفسير نال بها درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . انظر : دليل الرسائل الجامعية (ص ١٥٩) .

سورة كذا بعد سورة كذا مراداً منه أن المعدودة نازلة بعد أخرى ، أنها ابتدئ نزولها بعد انتهاء نزول الأخرى ، بل المراد أنها ابتدئ نزولها بعد ابتداء نزول التي سبقتها » (١) .

مثال تطبيقي على القاعدة :

سورة البقرة هي أول سورة أنزلت بالمدينة كما حكى غير واحد من أهل العلم ، بل حكى بعضهم الإجماع على ذلك (٢) ، ومع ذلك ففيها آيات من أواخر القرآن نزولاً ، بل فيها قوله تعالى ﴿ وَأَقْوَامٌ تَرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٣) وهي آخر آية نزلت على النبي ﷺ على القول الراجح كما سيأتي .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - « والبقرة وإن كانت مدنية بالاتفاق ، وقد قيل إنها أول ما نزل بالمدينة فلا ريب أن هذا في بعض ما نزل ، وإلا فتحريم الربا إنما نزل متأخراً ، وقوله ﴿ وَأَقْوَامٌ تَرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ من آخر ما نزل » . (٤)

وبعد أن أنهيت ذكر هذه القواعد فلعل من المستحسن أن أجيب على سؤال يخطر في أذهان البعض . وهو : ألا تدخل ضوابط المكي والمدني التي ذكرها بعض أهل العلم في مؤلفاتهم ضمن القواعد ؟ وما الفرق بين تلك الضوابط وهذه القواعد ؟ .

والجواب : أن هناك فرقاً بين القاعدة والضابط ، فالقاعدة لا تختص

(١) التحرير والتنوير (١٤٤/٣) وانظر أيضاً : (٢٤٦/٩) ففيه كلام نحو هذا .

(٢) انظر ممن نقل الإجماع على ذلك (ص : ٣٧٠) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٢٨١) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٩٣/١٧) .

بياب معين بخلاف الضابط فإنه خاص بباب معين .

قال ابن نجيم^(١) - رحمه الله - مفرقاً بين المصطلحين : « الفرق بين الضابط والقاعدة : أن القاعدة تجمع فروعاً من أبواب شتى ، والضابط يجمعها من باب واحد ، هذا هو الأصل . » (٢) .

وبنحو هذا قال السيوطي - رحمه الله - في كتابه « الأشباه والنظائر في النحو » ، فقد جاء في المقدمة قوله : « وهو مرتب على الأبواب لاختصاص كل ضابط ببابه ، وهذا هو أحد الفروق بين الضابط والقاعدة ، لأن القاعدة تجمع فروعاً من أبواب شتى ، والضابط يجمع فروع باب واحد . » (٣) .

وإلى تفصيل ضوابط المكي والمدني في مبحث مستقل .

-
- (١) هو زين الدين بن إبراهيم بن نجيم الحنفي ، من مؤلفاته الأشباه والنظائر ، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق ، توفي - رحمه الله - سنة (٩٦٤هـ) .
- ترجمته : التعليقات السننية مع الفوائد البهية لعبد الحي اللكنوي (ص ١٣٤) ، معجم المؤلفين (١٩٢/٤) .
- (٢) الأشباه والنظائر لابن نجيم (ص : ١٩٢) .
- (٣) (٩/١) .

المبحث السابع : ضوابط المكّي والمدني ومميزاتهما

وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : ضوابط المكّي والمدني .**
- المطلب الثاني : مميزات المكّي والمدني .**
- المطلب الثالث : عرض المنهج القرآني في الحديث
عن بني إسرائيل في المرحلة المكّيّة .**

تمهيد :

وقبل أن أذكر هذه الضوابط وتلك المميزات يجدر بي أن أذكر ما الذي يقصد بالضوابط هنا ؟ وما المقصود بالمميزات ؟
والجواب : أن المقصود بالضوابط هنا ما يتعلق بخصائص الألفاظ ،
وأما المميزات فإنما يقصد بها ما يتعلق بخصائص الأسلوب والمعاني
وأغراض السورة.

وأود التنبيه كذلك إلى أن هذه الضوابط الآتية منها ما هو مسلّم ،
ومنها ما يحتاج إلى مناقشة ؛ إذ مبناها على الغالب والكثرة ، وإلى هذا
أشار الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بقوله : «وقد أجمعوا على سور أنها
من المكي ، وآخر أنها من المدني ، واختلفوا في آخر ، وأراد بعضهم ضبط
ذلك بضوابط في تقييدها عسر ونظر» (١).

(١) فضائل القرآن لابن كثير (ص ١١) .

المطلب الأول : ضوابط المكي والمدني

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : ضوابط المكي :

للمكي ضوابط يتميز بها عن القرآن المدني ، وإليك تلك الضوابط :

١ - كل سورة فيها «كَلَّا» فهي مكية (١).

قال الديري - رحمه الله - :

وما نزلت كَلَّا يثرب فاعلمن ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى (٢)
وقد جاء في «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» أن هذه الكلمة
وردت في القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة كلها في النصف
الأخير كما ذكره الديري في منظومته (٣).

وذكر العُماني (٤) أن الحكمة في نزول «كَلَّا» في النصف الأخير من
القرآن هي : «أن نصفه الأخير نزل أكثره بمكة وأكثرها جابرة ،
فتكررت على وجه التهديد والتعنيف لهم ، والإنكار عليهم ، بخلاف

(١) انظر هذا الضابط في : الإيضاح لمكي (ص ١١٤) ، جمال القراء (١/ ٢٤٧) ، المفرد
للجعيري (٣٤/ق/أ) ، البرهان للزركشي (١/ ١٨٨) ، مصاعد النظر (١/ ١٦١) ،
الإتقان (١/ ٥٤) ، الزيادة والإحسان في علوم القرآن (١٢/ق/أ) .

(٢) التيسير في علم التفسير للديري ، نسخة غير مرقمة مودعة في مركز البحث العلمي
 وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى برقم (١١٢٠) ، وانظر : الإتقان (١/ ٥٤) .

(٣) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي (ص ٦١٩) .

(٤) هو أبو محمد الحسن بن علي بن سعيد العماني ، إمام محقق من أئمة القراءات ، من
مؤلفاته : المغني في معرفة وقوف القرآن ، والمرشد في معنى الوقف ، توفي - رحمه الله -
بعد الخمسمائة .

ترجمته : غاية النهاية (١/ ٢٢٣) .

النصف الأول ، وما نزل منه في اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه لذلتهم وضعفهم»^(١).

٢ - كل سورة فيها «يا أيها الناس» وليس فيها «يا أيها الذين آمنوا» فهي مكية^(٢).

مناقشة هذا الضابط :

سبق أن ذكرت طرفاً من مناقشة هذا الضابط في مبحث «تعريفات للمكي والمدني» ، وللمزيد من المناقشة أقول : إن نقاد أهل العلم لم يسلّموا اطراد هذا الضابط ، قال القرطبي - رحمه الله - : «وأما من قال: إن قوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ مكي حيث وقع فليس بصحيح ، فإن البقرة مدنية وفيها قوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ في موضعين»^(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «... ولكن في السور المدنية خطاب ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ كما في سورة النساء وسورة الحج وهما مدنيتان ، وكذا في البقرة»^(٤).

وللزركشي - رحمه الله - كلام نفيس في عدم اطراد هذا الضابط ،

(١) الوقف والابتداء للعماني (٩٠ق/أ) ، وانظر : الإتيقان (٥٤/١) نقلاً عن العماني .
(٢) انظر هذا الضابط في : فضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٢٢٢) ، المصنف لابن أبي شيبة (٥٢٢/١٠) ، مسند البزار (٣٣٦/٤) ، المستدرک (١٨/٣) ، الإيضاح لمكي (ص ١١٤) ، دلائل النبوة للبيهقي (١٤٤/٧) ، جمال القراء (٢٤٧/١) ، المفرد للجعيري (٣٤ق/أ) ، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٨/١) ، فضائل القرآن لابن كثير (ص ١١-١٢) ، البرهان للزركشي (١٨٩/١) ، مصاعد النظر (١٦١/١) ، الإتيقان (٥٢/١) ، تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي (ص : ٦٣-٦٤) ، الزيادة والإحسان في علوم القرآن (١٢ق/أ) .

(٣) تفسير القرطبي (١/٥) ، والموضعان هما : الآية (٢١) ، والآية (١٦٩) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٦٠/١٥) .

فقد قال بعد أن ذكر أثر ابن مسعود^(١) الذي بني عليه هذا الضابط :
 «وهذا القول إن أخذ على إطلاقه ففيه نظر ، فإن سورة البقرة مدنية ،
 وفيها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ وفيها : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ
 حَلَالًا طَيِّبًا﴾ وسورة النساء مدنية ، وفيها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ فإن
 أراد المفسرون أن الغالب ذلك فهو صحيح»^(٢).

٣ - «كل سورة فيها سجدة فهي مكية» ذكره الهذلي^(٣)^(٤).

ويستثنى من هذا الضابط سورة الحج عند من يقول إنها مدنية.

٤ - كل سورة في أولها حروف الهجاء فهي مكية سوى البقرة وآل
 عمران وفي الرعد خلاف^(٥).

مناقشة هذا الضابط :

هذا الضابط - كما ترى - محمول على الغالب والكثرة ، وفي هذا
 يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي^(٦) - رحمه الله - : «وإنما أخرنا

(١) انظر الأثر : (ص : ٥٣) .

(٢) البرهان (١٩٠/١) .

(٣) هو أبو القاسم يوسف بن علي بن جُبارة المغربي الهذلي النُكْرِي ، من مؤلفاته : الكامل
 في القراءات الخمسين ، والوجيز في القراءات ، توفي - رحمه الله - سنة (٤٦٥هـ) .

ترجمته : معرفة القراء الكبار (٤٢٩/١-٤٣٣) ، غاية النهاية (٣٩٧/٢-٤٠١) .

(٤) الكامل في القراءات الخمسين للهذلي (٢٩ق/أ) ، وانظر : الإتيان (٥٤/١) نقلاً عن
 الهذلي .

(٥) انظر هذا الضابط في : الإيضاح لمكي (ص ١١٤) ، جمال القراء (٢٤٧/١) ، المفرد
 للجعيري (٣٥ق/أ) ، فضائل القرآن لابن كثير (ص ١١) ، البرهان للزركشي
 (١٨٩/١) ، مصاعد النظر (١٦١/١) ، الإتيان (٥٣/١) ، الزيادة والإحسان في علوم
 القرآن (١٢ق/أ) .

(٦) هو الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، كان - رحمه الله - من
 أبرز مفسري هذا العصر ، وقد نصر العقيدة السلفية من خلال تفسيره ، بل له في هذا
 ←

الكلام على الحروف المقطعة مع أنه مرت سور مفتحة بالحروف المقطعة كالبقرة ، وآل عمران ، والأعراف ، ويونس ، لأن الحروف المقطعة في القرآن المكي غالباً ، والبقرة وآل عمران مدنيتان ، والغالب له الحكم ، واخترنا لبيان ذلك سورة هود ، لأن دلالتها على المعنى المقصود في غاية الظهور والإيضاح ، لأن قوله تعالى : ﴿ كَتَبْنَا أَحْكَامَ آيَاتِهِ ثُمَّ فَضَّلْنَا مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾ بعد قوله : ﴿ الر ﴾ واضح جداً فيما ذكرنا» (١) .

٥ - كل سورة من المفصل فهي مكية ، فقد أخرج الطبراني بسنده عن ابن مسعود قال : «نزل المفصل بمكة فمكثنا حججاً نقرأ لا ينزل غيره» (٢) .

→

الباب رسالة خاصة في الأسماء والصفات بعنوان : دراسات في الأسماء والصفات ، توفي - رحمه الله - ضحى يوم الخميس (١٧/١٢/١٣٩٣هـ) مرجعه من الحج ، ودفن بمقبرة المعلاة .

اقتبست هذه الترجمة بتصرف من ترجمة تلميذه الشيخ عطية سالم .
انظر : أضواء البيان (٧/١٠) الملحق بعنوان : ترجمة للشيخ - رحمه الله - وانظر أيضاً في ترجمة الشيخ : معجم المفسرين (٢/٤٩٦) ، مشاهير علماء نجد وغيرهم لعبد الرحمن آل الشيخ (ص ٥١٧) .

هذا وقد قام الدكتور عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس بدراسة عن منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام من خلال تفسيره «أضواء البيان» نال بها درجة الماجستير من جامعة أم القرى .

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ الشنقيطي (٧/٣) .
(٢) المعجم الأوسط للطبراني (٧/١٨٢) برقم (٦٣٤٠) ، وانظر أيضاً : مجمع البحرين في زوائد المعجمين (٦/١٠٥) برقم (٣٤٥١) .
وفي إسناد الطبراني حديد بن معاوية ضعفه يحيى بن معين ، والنسائي ، والعقيلي ، والدارقطني .

انظر : التاريخ لابن معين (٣/٢٧٦) ، الضعفاء والمتروكين للنسائي (ص : ٧٩) ،

مناقشة هذا الضابط :

مما يدل على أن هذا الضابط ليس بمطرد «أن بعض سور المفصل مدني اتفاقاً كسورة النصر ، فإنها كانت من أواخر ما نزل بعد الهجرة ، بل قيل : إنها آخر ما نزل... فالأولى أن يحمل كلام ابن مسعود هذا على الكثرة الغالبة من سور المفصل ، لا على جميع المفصل» (١).

٦ - كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة.

٧ - كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم السابقة فهي مكية سوى البقرة (٢).

* * * *

المسألة الثانية : ضوابط المدني :

١ - كل سورة فيها حد أو فريضة فهي مدنية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «وأما السور المدنية ففيها الخطاب لمن يقرُّ بأصل الرسالة ، كأهل الكتاب الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض ، وكالمؤمنين الذين آمنوا بكتب الله ورسله ؛ ولهذا قرر فيها الشرائع التي أكمل الله بها الدين : كالقبلة ، والحج ، والصيام ، والاعتكاف ، والجهاد ، وأحكام المناكح ونحوها ، وأحكام الأموال

→

الضعفاء الكبير للعقيلي (٣٦٧/١)، برقم ٣٦٧ ، الضعفاء والمتروكون للدارقطني

(ص ١٩١) برقم (١٨٣) .

(١) مناهل العرفان (١٩٧/١) .

(٢) انظر هذين الضابطين في : الإيضاح لمكي (ص ١١٤) ، جمال القراء (٢٤٧/١) ، المفرد

(٣٥ق/أ) ، البرهان للزركشي (١٨٩/١) ، مساعد النظر (١٦١/١) ، الإتيان

(٥٣/١) ، الزيادة والإحسان (١٢ق/أ) .

بالعدل كالبيع ، والإحسان كالصدقة، والظلم كالربا ، وغير ذلك مما هو من تمام الدين»^(١).

٢ - كل سورة فيها أمر بالجهاد وبيان لأحكامه فهي مدنية .

٣ - كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية ما عدا سورة العنكبوت^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - معقباً على قول من قال : إن سورة الحديد مكية : «وقد قيل : إنها مكية ، وهو ضعيف ، لأن فيها ذكر المنافقين ، وذكر أهل الكتاب، وهذا إنما نزل بالمدينة»^(٣).

٤ - كل سورة فيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهي مدنية^(٤).

وقفة مع هذا الضابط :

اختلف أهل العلم حول اطراد هذا الضابط ، فمنهم من يرى اطراده في السور المدنية قال ابن عطية - رحمه الله - : «وقد يجيء في المدني ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وأما قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فصحيح»^(٥).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بعد ذكره أوجه الخطاب في السور المكية : «فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ، وعز بها أهل الإيمان ، وكان بها أهل الكتاب خوطب هؤلاء ، وهؤلاء ، فهؤلاء :

(١) مجموع الفتاوى (١٦٠/١٥) .

(٢) انظر هذه الضوابط الثلاثة في : الإيضاح لمكي (ص ١١٤) ، جمال القراء (٢٤٧/١) ، المفرد (٣٥ق/أ) ، التسهيل لعلوم التنزيل (٨/١) ، البرهان للزركشي (١٨٨/١) ، مصاعد النظر (١٦١-١٦٢) ، الإتيان (٥٣/١) ، الزيادة والإحسان (١٢ق/أ) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٩٣/١٧) .

(٤) انظر المصادر التي ذكرت هذا الضابط (ص: ١٦٢) هامش رقم (٢) .

(٥) المحرر الوجيز (١٤١/١) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهؤلاء : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ أو ﴿يَا مَنِى إِسْرَآئِيلَ﴾
ولم ينزل بمكة شيء من هذا» (١).

ومن يرى عدم اطراد هذا الضابط مكى بن أبى طالب ، وابن
الحصار - رحمهما الله تعالى - فقد نقل الزركشى - رحمه الله - قول
مكى : «هذا إنما هو فى الأكثر وليس بعام ، وفى كثير من السور المكىة
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾» (٢).

ويبدو - والله أعلم - أن إطلاق ابن عطية وابن تيمية - رحمهما
الله - يستثنى منه سورة الحج عند من يرى أنها مكىة ؛ إذ فيها قوله
تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ الآية (٣).
وأما ما ذكره مكى بن أبى طالب - رحمه الله - من أن كثيراً من
السور المكىة فيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهو قول مبالغ فيه .

(١) مجموع الفتاوى (١٦٠/١٥) .

(٢) البرهان (١٩٠/١-١٩١) ، وانظر : الإتيان (٥٢/١-٥٣) فقد نقل قول مكى وابن
الحصار معاً .

(٣) سورة الحج ، الآية (٧٧) .

المطلب الثاني : مميزات المكي والمدني

وفيه مسألتان :

توطئة : وضع أهل العلم من خلال النظر في روايات المكي والمدني المروية عن الصحابة والتابعين مميزات ، وبعبارة أدق خصائص لكل من المكي والمدني ، تلقي لنا الضوء على معرفة المكي والمدني .

وحرصاً على عدم تكرار الجهود ، وأخذاً بمبدأ التراكم العلمي فإنني سأوجز هذا المطلب ؛ إذ قد كتبت - كما سبقت الإشارة إليه - رسائل علمية متخصصة في هذين الجانبين ، أعني جانب خصائص المكي وجانب خصائص المدني ، وإليك عرضاً موجزاً في كل منهما .

المسألة الأولى : خصائص القرآن المكي :

أولاً : الخصائص الأسلوبية :

- ١ - قصر الآيات والصور .
- ٢ - كثرة أسلوب التأكيد ووسائل التقرير ترسيخاً للمعاني ، كالإكثار من القسم ، وضرب الأمثال ، والتشبيه .
- ٣ - كثرة الفواصل .
- ٤ - قوة العبارة والإيقاع (١) .

(١) انظر هذه الخصائص في : مدخل إلى علوم القرآن والتفسير للدكتور فاروق حمادة (ص ١٢٣-١٢٤) ، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص ٦٤) ، علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر (ص ٦٦-٦٧) ، علوم القرآن للدكتور عدنان زرزور (ص ١٤٣) ، دراسات في علوم القرآن للدكتور عبد الباسط بلبول (ص ٧٠-٧١) ، دراسات في علوم القرآن للدكتور فهد الرومي (ص ١٤٧) ، هامش فنون الألفان لابن الجوزي (ص ٣٣٩) ، أهم خصائص السور والآيات المكية ومقاصدها للدكتور أحمد عباس البديوي (ص : ٤٩-٥٥) .

ثانياً : الخصائص الموضوعية :

١ - تقرير أسس العقيدة ودعوة الناس جميعاً إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة.

٢ - الدعوة إلى أصول الأخلاق والتشريعات العامة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان ، كالصدقة ، والبر ، وصلة الأرحام ، وبرّ الوالدين ، وإكرام الجار ، والعدل ، والإحسان ... إلى غير ذلك من الأخلاق العامة.

٣ - الاعتناء بقصص الأنبياء مع أقوامهم وأخبار الأمم الغابرة ، والحكمة في ذلك هو ما كان لها من أثر عظيم في تثبيت النبي ﷺ والمسلمين ، ومواساتهم فيما كان يصيبهم، وإنذار أعدائهم ، وإثارة العبرة والعظة بقصص من سبقهم (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في تقرير بعض الخصائص الموضوعية للسور المكية : «فهذه الأمور - يشير شيخ الإسلام إلى ما تضمنته آيات الوصايا العشر من الأصول الاعتقادية والعملية - هي من

(١) انظر هذه الخصائص في : مناهل العرفان (١/٢٠٢-٢٠٣) ، المدخل لأبي شهبة (ص٢٢٨-٢٣١) ، علوم القرآن الكريم للدكتور عبد المنعم النمر (ص٥٤-٦٤) ، علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر (ص٦٠-٦٥) ، القرآن الكريم والدراسات الأدبية لنور الدين عتر أيضاً (ص٧٤-٧٨) ، علوم القرآن للدكتور عدنان زرزور (ص١٤١) ، مدخل إلى علوم القرآن والتفسير (ص١٢٤) ، التعبير الفني في القرآن للدكتور بكري شيخ أمين (ص٤٨) ، مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح (ص١٨٣) ، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص٦٣-٦٤) ، التعريف بالقرآن والحديث لمحمد الزفزاف (ص٦٧-٦٨) ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير للدكتور محمد لطفي الصباغ (ص١٤٦-١٤٧) ، دراسات في علوم القرآن للدكتور عبد الباسط بلبول (ص٧٠-٧١) ، دراسات في علوم القرآن للدكتور فهد الرومي (ص١٤٦-١٤٧) ، هامش فنون الأفنان (ص٣٣٩) ، أهم خصائص السور والآيات المكية ومقاصدها (ص: ٦٥-٥٥) .

الدين الذي اتفق عليه الشرائع ، كعامة ما في السور المكية ، فإن السور المكية تضمنت الأصول التي اتفقت عليها رسل الله ؛ إذ كان الخطاب فيها يتضمن الدعوة لمن لا يقر بأصل الرسالة» (١).

وقال الشاطبي - رحمه الله - : «وغالب المكى أنه مقرر لثلاثة معان، أصلها معنى واحد وهو الدعاء إلى عبادة الله تعالى : أحدها : تقرير الوجدانية لله الواحد الحق ... والثاني: تقرير النبوة للنبي محمد ﷺ وأنه رسول الله إليهم جميعاً ... والثالث: إثبات أمر البعث والدار الآخرة ... فهذه المعاني الثلاثة هي التي اشتمل عليها المنزل من القرآن بمكة في عامة الأمر ، وما ظهر بادئ الرأي خروجه عنها فراجع إليها في محصول الأمر ، ويتبع ذلك الترغيب والترهيب ، والأمثال والقصص ، وذكر الجنة والنار ، ووصف يوم القيامة ، وأشباه ذلك» (٢).

ويقول الشيخ محمود شلتوت (٣) - رحمه الله - : «ومن المعلوم أن المكى - وهو ما نزل قبل الهجرة - يتضمن أصول الدعوة ، وهي قضايا التوحيد ، والوحي ، والبعث ، كما يتضمن الإرشاد إلى أمهات الأخلاق الفاضلة ، وقد عنى في سبيل ذلك بتوجيه الأنظار إلى أدلة القضايا الثلاث ، ومناقشة حجج المشركين فيها بما لم يدع شبهة لمشرك في إشراكه ، ولا لمنكر البعث في إنكاره ، ولا لمعرض عن تصديق الرسول في

(١) مجموع الفتاوى (١٥/١٦٠) .

(٢) الموافقات (٤١٦/٣) .

(٣) تخرج بالأزهر عام ١٩١٨م وتنقل في التدريس إلى أن صار شيخاً للأزهر عام ١٩٥٨م ، وظل في هذا المنصب إلى أن توفي - رحمه الله - سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م ، من مؤلفاته تفسير القرآن الكريم - الأجزاء العشرة الأولى - وله رسالة بعنوان : القرآن والقتال . ترجمته : معجم المفسرين (٦٦٣/٢) ، الأعلام (١٧٣/٧) .

رسالته ، والمكي بعد هذا يعرض كثيراً لقصص الأولين ونتائج تكذيبهم
لرسلمهم ، أخذاً بالقوم إلى مواضع العظة والعبرة. بمن وقفوا موقفهم
وعاندوا عنادهم ، نرى كل ذلك في سورتي الأنعام والأعراف وما
شاركهما في النزول قبل الهجرة » (١).

المسألة الثانية : خصائص القرآن المدني :

أولاً : الخصائص الأسلوبية :

- ١ - طول أكثر السور والآيات المدنية .
- ٢ - الأسلوب الهادئ والحجة الباهرة عندما يتعرض لأهل الكتاب ،
والأسلوب التهكمي عندما يتعرض للمنافقين وفضح نواياهم الخبيثة (٢).

ثانياً : الخصائص الموضوعية :

- ١ - بيان جزئيات التشريع وتفاصيل الأحكام العملية في العبادات
والمعاملات ، والعلاقات الاجتماعية ، والعقوبات .
- ٢ - كشف حال المنافقين وإظهار فضائحهم والتحذير منهم .
- ٣ - بيان قواعد التشريع الخاصة بالجهاد ، وحكمة تشريعه ،

(١) تفسير القرآن الكريم - الأجزاء العشرة الأولى - للشيخ شلتوت (ص: ٥١٤) .
(٢) انظر هاتين الخصيصتين في : مدخل إلى علوم القرآن والتفسير (ص ١٢٤) ، مباحث في
علوم القرآن لمناع القطان (ص ٦٤) ، علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر
(ص ٦٨) ، علوم القرآن للدكتور عدنان زرزور (ص ١٤٤) ، دراسات في علوم القرآن
الكريم للدكتور عبد الباسط بلبول (ص ٧١) ، دراسات في علوم القرآن الكريم للدكتور
فهد الرومي (ص ١٤٩) ، هامش فنون الأفنان (ص ٣٤٠) ، خصائص السور والآيات
المدنية ضوابطها ومقاصدها للدكتور عادل أبي العلا (٣٩-٤٤) .

والأحكام المتعلقة به من الصلح ، والغنائم ، والفبيء ، والأسارى .

٤ - دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام وإقامة الحجج عليهم (١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في تقرير الخصائص الموضوعية للسور المدنية : «وأما السور المدنية ففيها الخطاب لمن يقر بأصل الرسالة ، كأهل الكتاب الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض ، وكالمؤمنين الذين آمنوا بكتب الله ورسله ، ولهذا قرر فيها الشرائع التي أكمل الله بها الدين ، كالقبلة ، والحج ، والصيام ، والاعتكاف ، والجهاد ، وأحكام المناكح ونحوها ، وأحكام الأموال بالعدل كالبيع ، والإحسان كالصدقة ، والظلم كالربا ، وغير ذلك مما هو من تمام الدين» (٢) .

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - مشيراً إلى تلك الخصائص : «وأما السور المدنية فحجاجها في الغالب مع أهل الكتاب والمنافقين ، وفيها تفصيل الأحكام الشخصية والمدنية لكثرة المسلمين المحتاجين إليها» (٣) .

(١) انظر هذه الخصائص في : مناهل العرفان (٢٠٤/١) ، المدخل لأبي شهبه (ص ٢٣١-٢٣٢) ، علوم القرآن الكريم لعبد المتعم النمر (ص ٧٠-٧٣) ، علوم القرآن الكريم لنور الدين عتر (ص ٦٥-٦٦) ، القرآن الكريم والدراسات الأدبية (ص ٧٩-٨٠) ، علوم القرآن لزرزور (ص ١٤٢) ، مدخل إلى علوم القرآن والتفسير (ص ١٢٤) ، التعبير الفني في القرآن (ص ٤٨-٤٩) ، مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (ص ١٨٣) ، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص ٦٤) ، لمحات في علوم القرآن (ص ١٤٧-١٤٨) ، التعريف بالقرآن والحديث (ص ٧١) ، دراسات في علوم القرآن لعبد الباسط بلبول (ص ٧١) ، دراسات في علوم القرآن الكريم لفهد الرومي (ص ١٤٨) ، هامش فنون الأفتان (ص ٣٤٠) ، خصائص السور والآيات المدنية (٤٥-٤٧) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٦٠/١٥) .

(٣) تفسير المنار (٣٢١/٤) .

وتقول حنان لحام (١) : « فإن المدنية تركز على الإنسان وتعلمه كيف يؤدي دوره ، ويحقق الأمة الراشدة المستخلفة في الأرض » (٢).

وبعد : فهذه هي خصائص القرآن المكي والمدني ذكرتها بإيجاز ، إلا أن الشيء الذي أود أن أؤكد قبل أن أنتقل من هذا البحث هو أن بعض هذه الخصائص خصائص غالبية كالضوابط ؛ إذ لا يعني حينما يقال : إن القسم المكي امتاز بتقرير أسس العقيدة - لا يعني ذلك - أن القسم المدني يخلو من الحديث عن العقيدة ، وإنما تعني هذه الخاصية أنها في القسم المكي أوسع منها في المدني .

يقول الأستاذ محمد قطب (٣) في هذا المقام : « تتحدث السور المدنية عن العقيدة ، ولكن حديث العقيدة هنا لا يأخذ المساحة التي كان يأخذها في السور المكية ، لأنه هناك كان للتأسيس وهو هنا للتذكير » (٤).

وتقول الدكتورة عائشة بنت الشاطيء (٥) : « إن عناية القرآن المكي

(١) كاتبة إسلامية قدمت إلى المكتبة الإسلامية دراسات عديدة ، وأكثرها في الدراسات القرآنية .

(٢) من تقديمها لكتاب : من هدي سورة البقرة (ص : ٩) .

(٣) مفكر إسلامي له مؤلفات كثيرة منها : منهج التربية الإسلامية ، ودراسات قرآنية ، ومذاهب فكرية معاصرة ، وقد فاز بجائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات الإسلامية عام ١٤٠٨ هـ .

انظر سيرته الذاتية وجهوده العلمية في : مجلة الفيصل ، العدد (١٣٣) رجب ١٤٠٨ هـ .

(٤) دراسات قرآنية لمحمد قطب (ص ٢٦٥) .

(٥) كاتبة إسلامية ذات اهتمام بالدراسات الأدبية ، والدراسات القرآنية البيانية ، من مؤلفاتها : التفسير البياني ، ومسائل ابن الأزرقي ، وقد فازت بجائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي عام ١٤١٤ هـ .

انظر سيرتها الذاتية وجهودها العلمية في : مجلة الفيصل ، العدد (٢١٠) ذو الحجة ١٤١٤ هـ .

اتجهت في العهد المكي إلى تقرير أصول الدعوة ، وفي العهد المدني إلى التشريع وبيان الأحكام ، ولا يعني هذا أن تخلو السور المكية من أحكام وتشريع ، ولا أن تخلو السور المدنية من أصول عامة للعقيدة» (١).



(١) التفسير البياني للدكتورة عائشة بنت الشاطئ (٧٩/١) .

المطلب الثالث :

عرض المنهج القرآني في الحديث عن بني إسرائيل في المرحلة المكية

لا شك أن ثمة سؤالاً يثور في الأذهان في بادئ الأمر ، وهو : ما العلاقة بين موضوع هذا المطلب وبين الموضوع الذي تتناوله هذه الدراسة ؟

ولعلّ هذا التساؤل يزول حينما نعلم أن هذا المطلب لم يعقد إلا لعلاج ظاهرة انتشرت في أوساط بعض أهل العلم ، بل أصبحت تلك الظاهرة بمثابة قاعدة علمية عندهم .

ما أكثر ما نجد في كتب التفسير من آيات تتحدث عن اليهود ، ويحكم عليها بأنها مدنيات بمجرد حديثها عن تلك الأمة الحاقدة:

ولعل مقالة الغزالي المعاصر في غاية النفاسة في مثل هذا المقام حيث يقول : «وهناك آيات تعرضت لأهل الكتاب فجاء الرواة وعدّوها مدنية ، كأن الكلام عن أهل الكتاب في مكة لا محلّ له ، والواقع أن هذه الروايات ينقصها التمهيص العلمي والتحقيق التاريخي ، وشيوعها بهذه الصورة يشبه شيوع القول بالنسخ مع ضعف سنده من ناحيتي النقل والعقل ، والغريب أن هذه الروايات الواهية هي التي أثبتتها دون غيرها نفر من الحفاظ أشرفوا على طبع هذا المصحف أخيراً في دار الكتب المصرية» (١).

ولتشعب أبعاد موضوع حديث القرآن عن بني إسرائيل في المرحلة المكية فإنني سأقتصر هنا الحديث عن الدواعي والأسباب التي أدت إلى حديث القرآن المكي عن اليهود في ذلك العهد المبكر الذي لم يكن

(١) نظرات في القرآن لمحمد الغزالي (ص ٢٦١) .

للمسلمين احتكاك بهم ، ولم يكن لهم وجود في مكة .

وتتلخص تلك الأسباب فيما يلي :

أولاً : بناء الشخصية الإسلامية بناء متميزاً عما سواها من الشخصيات التي انحرفت عن منهج الله تعالى ، ولا شك أن هذا البناء يستدعي بيان المناهج الضالة حتى تتجنب السبل الأخرى المتفرقة التي تؤدي بصاحبها إلى المزالق والمهالك ، وهكذا كان التعرض لعقائد اليهود وانحرافاتهم ومواقفهم مع أنبيائهم أمراً تقتضيه دواعي التكوين للشخصية الإسلامية المتميزة^(١).

مثال لهذا السبب : سورة الفاتحة من أوائل السور التي نزلت في المرحلة المكية ، وفيها هداية المؤمن إلى الصراط المستقيم ، وتجنبه صراط المغضوب عليهم - وهم اليهود - وصراط الضالين - وهم النصارى - كما جاء في حديث عدي بن حاتم ، وفيه : «إن المغضوب عليهم اليهود ، وإن الضالين النصارى»^(٢).

ثانياً : الاستدلال بما عندهم من العلم ، وأن ما جاء به محمد ﷺ موافق لما معهم ، والغرض في ذلك هو إدخال الطمأنينة إلى قلوب المؤمنين بالدعوة الجديدة ، فإن النفس الإنسانية تأنس بالفئات والأقوام^(٣).

مثال لهذا السبب : قوله تعالى في سورة الأنعام المكية : ﴿الَّذِينَ

(١) انظر : معركة الوجود بين القرآن والتلمود للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد

(ص ٧٨) ، معالم قرآنية في الصراع مع اليهود للدكتور مصطفى مسلم (ص ٢٧) ،

اليهود في القرآن والسنة للدكتور محمد أديب الصالح (٨٣/١) .

(٢) المسند (٥١٢/٤) برقم (١٩٣٢٩) ، طبعة المكتب الإسلامي المرقمة .

(٣) انظر : معالم قرآنية في الصراع مع اليهود (ص ٣٢) ، بنو إسرائيل في القرآن والسنة

للدكتور محمد سيد طنطاوي (١٥٠/١) .

ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾.

ثالثاً : التحذير من اليهود الذين سيلتقون بهم وجهاً لوجه في مرحلة لاحقة - وكان ذلك في المراحل الأخيرة من القرآن المكي - (٢).

مثال لهذا السبب : ففي سورة العنكبوت التي هي من أواخر السور التي نزلت في المرحلة المكية يقول تعالى : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ الآية (٣).

رابعاً : لو بدأت المعركة مع اليهود من بداية المرحلة المدنية لقال بعض المتقولين إن محمداً أخذ من اليهود ما احتاج إليه ثم حسدهم وناصبهم العداء بعد الاحتكاك بهم ، إذ على الرغم من الهجوم القرآني عليهم وعلى زيفهم وانحرافهم منذ بداية البعثة فقد وجد من قال : إن محمداً أخذ علومه من اليهود ، فكيف لو تأخر بيان ذلك إلى المرحلة المدنية؟ (٤).

مثال لهذا السبب : قال تعالى في سورة العنكبوت المكية : ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ يَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٥).

خامساً : وأخيراً تعليم الأجيال المسلمة من خلال ظلال الآيات المكية أن معركتنا مع اليهود معركة مستمرة ، وأنها معركة المنهج الرباني ضد

(١) سورة الأنعام ، الآية (٢٠) .

(٢) انظر : معالم قرآنية في الصراع مع اليهود (ص ٦٥) .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية (٤٦) .

(٤) ينظر : معركة الوجود بين القرآن والتلمود (ص ٧٨) ، معالم قرآنية في الصراع مع

اليهود (ص ٢٨-٢٩) ، اليهود في القرآن والسنة (١/١٤١) .

(٥) سورة العنكبوت ، الآية (٤٨) .

المناهج البشرية المحرفة لكلمات الله تعالى (١).

مثال لهذا السبب : في مطلع سورة الإسراء المكية ما يُعرِّفنا على طبيعة الصراع بيننا وبين اليهود حيث يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ (٢).

والخلاصة : أن الحديث عن اليهود قد أخذ قسطاً من القرآن المكي حسب مراحل الدعوة في مكة ، وبأساليب تتناسب مع أجواء السور التي ذُكروا فيها.

(١) ينظر : معركة الوجود بين القرآن والتلمود (ص ٧٩) ، معالم قرآنية في الصراع مع اليهود (ص ٢٩) ، الشخصية اليهودية من خلال القرآن للدكتور صلاح الخالدي (ص ٣٥٩-٣٦٠) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية (٤) .

المبحث الثامن :
المفسرون الذين اعتنوا بذكر المكي والمدني
- دراسة استعراضية موجزة -

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : المفسرون القدامى واهتمامهم بذكر المكي والمدني من خلال أربعة مؤلفات
المطلب الثاني : الدراسات التفسيرية المعاصرة واهتمامها بذكر المكي والمدني من خلال أربعة مؤلفات
من تلك الدراسات .

المطلب الأول :

المفسرون القدامى واهتمامهم بذكر المكي والمدني
من خلال أربعة مؤلفات

تمهيد :

إن الناظر في الدراسات التفسيرية القديمة ليجد اهتماماً بالغاً وعناية فائقة في موضوع المكي والمدني من خلال تلك الدراسات ، وبما أن المقام لا يسمح لي بعرض كل اهتمامات تلك الدراسات في موضوع المكي والمدني فإنني سأقتصر الحديث عن أربعة من المفسرين القدامى الذي يمثلون أقطاباً في موضوع المكي والمدني ، وهم : ابن عطية ، وابن الجوزي ، وابن كثير ، والسيوطي .

أولاً : «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» : لابن عطية الأندلسي .

لقد عني ابن عطية عناية فائقة بموضوع المكي والمدني من خلال تفسيره ، وسأقدم في الصفحات التالية عرضاً موجزاً بنماذج من تفسير ابن عطية تبرز من خلالها عنايته بموضوع المكي والمدني :

أ - نقولاته الكثيرة في المكي والمدني عن سبقه ، كما أن من الملاحظ أن ابن عطية - رحمه الله - كان يرى لزماً عليه أن ينسب الأقوال التي ينقلها .

فعلى سبيل المثال يقول في صدر سورة يونس : «هذه السورة هي مكية ، قال مقاتل : إلا آيتين ، وهي قوله تعالى : ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ﴾ الآيتين نزلتا بالمدينة ، وقال الكلبي : هي مكية إلا قوله : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ﴾

بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ ﴿ نزلت في اليهود بالمدينة ﴾ (١).

وفي سورة هود يقول ابن عطية - رحمه الله - : «هذه السورة مكية إلا قوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَاتِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ وقوله : ﴿ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ ونزلت في ابن سلام وأصحابه ، وقوله : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ نزلت في شأن التمار ، وهذه الثلاثة مدنية قاله مقاتل على أن الأولى تشبه المكي» (٢).

ب - يلاحظ في تفسير ابن عطية أنه كثيراً ما ينقل إجماع أهل التفسير في مكية السورة أو مدنيتهما ، ويمثل ذلك في الآيات .

فعلى سبيل المثال يقول في سورة المائدة : «هذه السورة مدنية بإجماع» (٣) ، وفي سورة آل عمران يقول : «هذه السورة مدنية بإجماع فيما علمت» (٤) ، وعند قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴾ الآية (٥) ، يقول ابن عطية : «أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة في يوم أحد» (٦).

ج - تعقباته على بعض الآيات التي ادعي مكيتها أو مدنيتهما ، وهو مسلك ليس بكثير في تفسير ابن عطية ؛ إذ قد يغلب عليه طابع عرض نقولات أهل العلم.

فعند قوله تعالى : ﴿ يَدَايِهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَ

(١) المحرر الوجيز (٣/٩) .

(٢) المصدر السابق (٩/١٥١) .

(٣) المصدر السابق (٥/٥) .

(٤) المصدر السابق (٥/٣) .

(٥) سورة النحل ، الآية (١٢٦) .

(٦) المحرر الوجيز (١٠/٢٥١) .

حِلَّةٍ ﴿الآية (١)﴾، يقول ابن عطية معقّباً على ما قاله البعض من أن قوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ حيث وقع في القرآن إنما هو مكّي ، ومن ثمّ فإن صدر سورة النساء مكّي يقول : «وما نزل بعد الهجرة فإنما هو مدني وإن نزل بمكة أو في سفر من أسفار النبي ﷺ» (٢).

وعند قوله تعالى : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٣) يقول ابن عطية معقّباً على دعوى مدنية هذه الآية : «وهذه الآية نزلت بمكة ، ثم إن رسول الله ﷺ كان يستشهد بها يوم فتح مكة وقت طعنه الأصنام وسقوطها لطعنه إياها بالمخصرة حسب ما في السير لابن هشام وفي غيرها» (٤).

هذه بعض النماذج مما ورد عن ابن عطية في تفسيره برز من خلالها اهتمام ابن عطية - رحمه الله - بموضوع المكي والمدنيّ.

ثانياً : «زاد المسير في علم التفسير» : لابن الجوزي .

يعد كتاب ابن الجوزي «زاد المسير في علم التفسير» من أهم كتب التفسير التي اهتمت بموضوع المكي والمدني ، ولا أدل على ذلك مما قاله ابن الجوزي نفسه في كتابه «فنون الأفتان في عيون علوم القرآن» حيث عقد باباً بعنوان : «باب بيان السور المكية من المدنية» ثم قال : «قد وقع في ذلك خلاف كثير ، وقد ذكرته في كتب التفسير» (٥).

ويقول أيضاً في مقدمة «زاد المسير» : «لما رأيت جمهور كتب

(١) سورة النساء ، الآية (١) .

(٢) المحرر الوجيز (٥/٤) .

(٣) سورة الإسراء ، الآية (٨١) .

(٤) المحرر الوجيز (٣٣٨/١٠) ، وانظر : سيرة ابن هشام (١٢٥٩/٤) .

(٥) فنون الأفتان (ص ٣٣٥) .

المفسرين لا يكاد الكتاب منها يفي بالمقصود كشفه حتى ينظر للآية الواحدة في كتب ، فرب تفسير أخلّ فيه بعلم الناسخ والمنسوخ أو بعضه ، فإن وجد فيه لم يوجد أسباب النزول ، أو أكثرها ، فإن وجد لم يوجد بيان المكي من المدني ، وإن وجد ذلك لم توجد الإشارة إلى حكم الآية ... وقد أدرجت في هذا الكتاب من هذه الفنون المذكورة مع ما لم أذكره مما لا يستغني التفسير عنه ما أرجو به وقوع الغناء بهذا الكتاب عن أكثر ما يجانسه» (١).

ويظهر اهتمام ابن الجوزي وحرصه على موضوع المكي والمدني من خلال نقولاته العديدة عن سبقه ، فهو يستقي مادة هذا الموضوع من مصادر كثيرة متنوعة .

ومما يسترعي الأنظار في تفسير ابن الجوزي أنك قلما تجد فيه نظرات ترجيحية في الأقوال التي ينقلها ، وإنما يسردها سرداً على لسان قائلها ، وهذا ليس في موضوع المكي والمدني فحسب؛ بل تلك الظاهرة سمة بارزة في كثير من المواضيع.

وإليك عرض بعض النماذج من تفسيره لنرى مدى اهتمام ابن الجوزي بموضوع المكي والمدني .

أ - فعند تفسيره لسورة الفاتحة يقول : «واختلف العلماء في نزولها على قولين : -

أحدهما : أنها مكية ، وهو مروي عن علي بن أبي طالب ، والحسن ، وأبي العالية، وقتادة ، وأبي ميسرة .

والثاني : أنها مدنية ، وهو مروي عن أبي هريرة ، وعبيد بن عمير ،

(١) زاد المسير (٦/١-٧) .

وعطاء الخراساني ، وابن عباس كالقولين» (١).

ب - وفي سورة البقرة يقول ابن الجوزي : «قال ابن عباس : هي أول ما نزل بالمدينة ، وهذا قول الحسن ، ومجاهد ، وعكرمة ، وجابر بن زيد ، وقتادة ، ومقاتل ، وذكر قوم أنها مدنية سوى آية ، وهي قوله عز وجل : ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تُنْزَلُ فِيهِ إِلَهُكُمْ﴾ فإنها أنزلت يوم النحر بمنى في حجة الوداع» (٢).

ج - وفي سورة الأعراف يقول ابن الجوزي : «روى العوفي ، وابن أبي طلحة ، وأبو صالح عن ابن عباس أن سورة الأعراف من المكى ، وهذا قول الحسن ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، وجابر بن زيد ، وقتادة ، وروي عن ابن عباس وقتادة أنها مكية إلا خمس آيات ، أولها قوله تعالى : ﴿وَسَلِّمْ عَنْ الْقَرْيَةِ﴾ إلى قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فإنهن مدنيات» (٣).

ومع أننا قلنا نجد في تفسير ابن الجوزي نظرات ترجيحية في المكى والمدني ، فإن ثمة بعض المواطن القليلة يعقب عليها ابن الجوزي ويدلي برأيه.

ومن تلك المواطن القليلة قوله في نقد دعوى مكية قوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية (٤) : «والصحيح أن قوله : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ نزلت بعرفة يوم عرفة ، فلهذا نسبت إلى مكة» (٥).

(١) زاد المسير (١٠/١) .

(٢) المصدر السابق (٢٠/١) .

(٣) المصدر السابق (١٦٤/٣) .

(٤) جزء من الآية (٣) من سورة المائدة .

(٥) زاد المسير (٢٦٧/٢) .

والخلاصة : أن تفسير ابن الجوزي تفسير تكثر فيه المادة العلمية في موضوع المكي والمدني ، ولا سيما فيما يتعلق بعرض نقولات أهل العلم ، إلا أنه بحاجة إلى التمييز بين ما هو صحيح يعتمد من تلك النقولات ، وبين ما هو ضعيف يطرح.

ثالثاً : «تفسير القرآن العظيم» : للحافظ ابن كثير

انفرد الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بميزة أكسبت كتابه أهمية ووزناً من بين كتب التفسير ، ألا وهي نقده لدعاوى المكي والمدني سنداً وممتناً ، والحق أن مثل هذا المسلك لا يقوم به إلا الجهابذة الذين وهبهم الله معرفة الرواية والدراية.

ومن أجل ما قدمه الحافظ ابن كثير من تعقبات واستدراكات في كثير من دعاوى المكي والمدني فإنني لا أدري ما ذا عساني أن أقول في هذا الكتاب ؟ وما ذا آخذ منه ؟ وما ذا أدع ؟

فكم من روايات فيها مقتضى دعوى مكية آية ما ، أو مدنية آية ما ، أوردها غيره من المفسرين ، ولم ينبهوا على ما فيها من علل في إسنادها أو متنها ، ولكن الحافظ ابن كثير ما كان يورد مثل تلك الروايات دون أن ينبه عليها ويبين ضعفها وسقطها .

لننتقل إلى ذكر نماذج من تفسيره لتكون دليلاً واضحاً على منهج الحافظ ابن كثير النقدي في دعاوى المكي والمدني .

أ - عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ الآية (١)، أورد من طريق ابن مردويه رواية مفادها أن الآية نزلت في حياة أبي طالب ، ثم علّق عليها بقوله : «وهذا الحديث غريب ، وفيه

(١) سورة المائدة، الآية (٦٧) .

نكارة ، فإن هذه الآية مدنية ، وهذا الحديث يقتضي أنها مكية» (١).

ب - وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ الآية (٢)، يورد الحافظ ابن كثير رواية من طريق ابن أبي حاتم مفادها أن الآية نزلت في قصة الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ، فقال تعليقا على الرواية : «هذا حديث غريب ، فإن هذه الآية مكية ، والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر» (٣).

ج - وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (٤) ، قال الحافظ ابن كثير معقبا على رواية الضحاك عن ابن عباس الدالة على نزول هذه الآية في المنافقين : «وفيه نظر ، فإن هذه الآية مكية ، والمنافقون إنما كانوا بالمدينة ، والتي نزلت في المنافقين آية المجادلة : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (٥)» (٦).

د - وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيَجْذِلُواكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (٧) يورد الحافظ ابن كثير من طرق عديدة الرواية الدالة على نزول هذه الآية في اليهود ، ومخاصمتهم للنبي ﷺ في أكل الميتة، ثم أعلَّ ابن كثير هذه الرواية

(١) تفسير ابن كثير (٢/٨١) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (٥٢) .

(٣) تفسير ابن كثير (٢/١٣٩) .

(٤) سورة الأنعام ، الآية (٢٣) .

(٥) سورة المجادلة ، الآية (١٨) .

(٦) تفسير ابن كثير (٢/١٣١) .

(٧) سورة الأنعام ، الآية (١٢١) .

من وجوه ثلاثة فقال : «وهذا فيه نظر من وجوه ثلاثة:-

أحدها : أن اليهود لا يرون إباحة الميتة حتى يجادلوا .

الثاني : أن الآية من الأنعام وهي مكية .

الثالث : أن هذا الحديث رواه الترمذي بلفظ : أتى ناس النبي ﷺ

فذكره ، وقال : حسن غريب « (١).

و - وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَأِنْ كَاذِبُوا لَيَسْتَغْفِرُوكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾

الآية (٢)، يذكر الحافظ ابن كثير ما قيل في نزول الآية في اليهود ، فيقول

معقباً على ذلك : «قيل : نزلت في اليهود ، إذ أشاروا على

رسول الله ﷺ بسكنى الشام بلاد الأنبياء وترك سكنى المدينة ، وهذا

القول ضعيف ، لأن هذه الآية مكية ، وسكنى المدينة بعد ذلك» (٣).

والخلاصة : أن تعقبات الحافظ ابن كثير في دعاوي المكي والمدني

تستحق أن تفرد بدراسة مستقلة ، فمادته العلمية في هذه الناحية خصبة ،

والله الحمد (٤).

رابعاً : «الدر المنثور في التفسير المأثور» : للسيوطي .

تتمثل أهمية كتاب «الدر المنثور في التفسير المأثور» بما حوى لنا من

روايات في موضوع المكي والمدني ، كما يعزو كل رواية إلى الكتاب

الذي أخذها منه .

وكما هو معلوم لدى أهل العلم فإن الإمام السيوطي - رحمه الله -

(١) تفسيره ابن كثير (٢/١٧٧) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية (٧٦) .

(٣) تفسير ابن كثير (٣/٥٧) .

(٤) يسر الله تعالى جمع المادة العلمية لتلك التعقبات ، وأسأل المولى أن ييسر لي خدمتها
الخدمة العلمية اللائقة.

قلما يصحح أو يضعف الروايات التي يسردها في تفسيره ، وعلى الرغم من ذلك فإن قيمة كتاب السيوطي تبقى وتمثل كما قلنا في تلك الثروة من الروايات .

وحتى لا يطول بنا الطريق لنستعرض بعض النماذج من تفسيره لنرى مدى اهتمام السيوطي بذكر روايات المكّي والمدني .

أ - ففي سورة الفاتحة يذكر السيوطي - رحمه الله - ما أخرجه الواحدي في أسباب النزول ، والثعلبي في تفسيره عن علي عليه السلام قال : «نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش» (١).

ويذكر أيضاً في نفس السورة ما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ، وابن الأعرابي في معجمه ، والطبراني في الأوسط من طريق مجاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه : «إن إبليس رنَّ (٢) حين أنزلت فاتحة الكتاب ، وأنزلت بالمدينة» (٣).

ب - وفي سورة البقرة يذكر عدة روايات في نزول هذه السورة بالمدينة ، فيذكر أن ابن الضريس أخرج في «فضائله» ، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ، وابن مردويه ، والبيهقي في «دلائل النبوة» من طرق عن ابن عباس قال : «نزلت بالمدينة سورة البقرة» (٤).

ويذكر أيضاً أن ابن مردويه أخرج عن عبد الله بن الزبير قال : «أنزل بالمدينة سورة البقرة» (٥).

(١) الدر (١٠/١) .

(٢) هي الصيحة الحزينة . انظر : النهاية (٢/٢٧١) ، لسان العرب (١٣/١٨٧) .

(٣) الدر (١١/١) .

(٤) الدر (٤٦/١) .

(٥) المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

كما يذكر السيوطي في هذه السورة ما أخرجه أبو داود في «الناسخ والمنسوخ» عن عكرمة قال : «أول سورة نزلت بالمدينة سورة البقرة» (١).
ج - وفي سورة الأنفال يقول السيوطي ما نصه : «أخرج النحاس في ناسخه ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس قال : نزلت سورة الأنفال بالمدينة ، وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير قال : نزلت بالمدينة سورة الأنفال ، وأخرج ابن مردويه عن زيد بن ثابت قال : نزلت الأنفال بالمدينة» (٢).

وبالنسبة للآيات فإن السيوطي - رحمه الله - يذكر في بعض الأحيان ما ذكر في السورة من استثناءات في بعض آياتها ، ولكنه لم يتوسع كما توسع في ذكر روايات مكِّي السور ومدنيها ، فعلى سبيل المثال :

أ - يذكر ما أخرجه النحاس عن ابن عباس أنه قال : «سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحد ، فهي مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ إلى تمام الآيات الثلاث» (٣).

ب - ويذكر كذلك ما أخرجه ابن المنذر عن أبي جحيفة قال : «نزلت سورة الأنعام جميعاً معها سبعون ألف ملك ، كلها مكية إلا ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَيْنَا﴾ فإنها مدنية» (٤).

ولعل عدم توسع السيوطي في ذكر الآيات المستثناة من السور يرجع - في نظري - إلى أن كثيراً مما قيل إنها مستثناة من سور مكية أو مدنية

(١) المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٢) المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٣) الدر (٢٤٤/٣) .

(٤) المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

مبني على ضربٍ من الاجتهاد ، والذي صح من ذلك شيء قليل .
قال ابن الحصار كما نقله عنه السيوطي : «كل نوع من المكي والمدني منه آيات مستثناة إلا أن من الناس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل» (١).

والإمام السيوطي - رحمه الله - قد بين في مقدمة «الدر المنثور» أن أصله وهو الكتاب الذي سماه «ترجمان القرآن» كان تفسيراً مسنداً عن الرسول ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم - وأنه اختصر «ترجمان القرآن» لما رأى قصور الهمم ، فحذف منه الأسانيد ، واكتفى بذكر المتن مع الغزو إلى من أخرج الرواية (٢).

وقد يتساءل متسائل فيقول : ألا يمكن أن نعلل عدم توسع السيوطي في ذكر الآيات المستثناة في كتابه : «الدر المنثور» بأنه استوفى الحديث عن ذلك في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» بما أغنى عن الإعادة في «الدر» ؛ فقد عقد في «الإتقان» فصلاً كاملاً بعنوان : في ذكر ما استثنى من المكي والمدني ؟ (٣).

والجواب : أن هذا الرأي كان مقبولاً لو كان كتاب «الإتقان» أسبق تأليفاً من كتاب «الدر» ، ولكن الثابت عكس ذلك؛ فقد جاء في آخر الإتقان ما نصه : «وقد جمعت كتاباً مسنداً فيه تفاسير النبي ﷺ ، فيه بضعة عشر ألف حديث ما بين مرفوع وموقوف ، وقد تم والله الحمد في أربع مجلدات ، وسميته «ترجمان القرآن»» (٤).

(١) الإتقان (٤٣/١) .

(٢) انظر : الدر (٩/١) .

(٣) انظر : الإتقان (٤٣/١-٥٢) .

(٤) المصدر السابق (١٨٣/٢) .

وفي ختام حديثي عن كتاب «الدر المنثور» فإنني أستطيع القول : إن السيوطي قد جمع لنا بين دفتي هذا الكتاب روايات مهمة في المكي والمدني نقلاً عن مصادر بعضها مفقودة كتفسير ابن المنذر ، وتفسير ابن مردويه ، والرد على من أنكر مصحف عثمان لابن الأنباري .
ولكن الذي يؤخذ على السيوطي - والحق يقال - عدم تعقبه لتلك الروايات صحة أو ضعفاً ، وقد شكّل هذا المسلك في تفسيره مأخذاً ينتقد بسببه - والله أعلم - .

المطلب الثاني : الدراسات التفسيرية المعاصرة واهتمامها بذكر المكي والمدني من خلال أربعة مؤلفات من تلك الدراسات

إن المتأمل في الدراسات التفسيرية المعاصرة ليجد كذلك عناية واضحة في موضوع المكي والمدني من خلال تلك الدراسات. وكما اقتضت في الدراسات التفسيرية القديمة على أربع دراسات فسأقتصر هنا كذلك على أربع دراسات هي - بحق - أبرز الدراسات التفسيرية المعاصرة في موضوع المكي والمدني .
أولاً : «محاسن التأويل» : للعلامة القاسمي (١).

إن تفسير العلامة القاسمي - رحمه الله - من التفاسير المهمة بموضوع المكي والمدني، ويتجلى ذلك في النقاط التالية:
أ - العرض الموجز في بعض الأحيان ، والمطول في أحيان أخرى في صدر كل سورة من سور القرآن ، حيث يذكر القاسمي - رحمه الله - أقوال أهل العلم فيما قيل في السورة (٢).
ب - أرجع - رحمه الله - سبب كثرة دعاوي المكي والمدني إلى الجهل بمعرفة أسباب التنزيل، واستعمال مصطلح «نزلت في كذا» عند السلف .

(١) هو محمد جمال الدين بن محمد بن سعيد المشهور بالقاسمي ، من مؤلفاته: تفسيره المسمى «محاسن التأويل» و«قواعد التحديث» ، توفي - رحمه الله - سنة (١٣٣٢هـ) .
ترجمته : معجم المفسرين (١/١٢٧) ، معجم المؤلفين (٣/١٥٧-١٥٨) .
(٢) انظر على سبيل المثال : محاسن التأويل (٦/٤٤٦-٤٤٨) ، (٩/٣٢١) ، (١٠/١٨٢) .

فكثيراً ما يحيل القاسمي - رحمه الله - القارئ عند مناقشته لدعوى المكي والمدني إلى ما سطره حول مفهوم هذا المصطلح ، فيقول على سبيل المثال مجيباً عن الآثار الدالة على مدنية أواخر آيات سورة النحل : «معرفة ما قدّمنا من معنى سبب النزول - في مقدمة التفسير - يعلم أن لا حاجة إلى الذهاب إلى أنها مدنية ألحقت بالسورة ، ولا إلى ردّ ما روي من هذه الآثار ، إذ به يتضح عدم التنافي ، والتقاء الآثار مع الآية فتذكر» (١).

ويقول في نقد مستند دعوى مدنية قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ (٢) : «وقد قدّمنا مراراً أن السلف قد يريدون بقوله : (نزلت الآية في كذا) أن لفظ الآية مما يشمل ذلك لا أنه كان سبباً لنزوله حقيقة ، وعليه فلا إشكال» (٣).

وفي نقده لمدنية قوله تعالى : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ﴾ الآية (٤) يقول : «والمراد بالنزول شمولها بنزولها المتقدم لما وقع ، لا أنها كانت سبباً في النزول - كما بيناه غير مرة -» (٥).

ويبدو أن توسيع دائرة مفهوم المصطلح المذكور جعل العلامة القاسمي - رحمه الله - يستبعد بعض أسباب النزول الصريحة ، ففي نزول أواخر النحل بالمدينة قولٌ مروي عن أبي هريرة ، وأبي بن كعب ، وابن عباس - رضي الله عنهم - قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - مشيراً إلى هذه الروايات : «وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً» (٦).

(١) المصدر السابق (١٨٠/١٠) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية (٦٠) .

(٣) محاسن التأويل (٢٤٥/١٠) .

(٤) سورة هود ، الآية (١١٤) .

(٥) محاسن التأويل (١٧٧/٩) .

(٦) الفتح (٤٣٠/٧) .

كما ثبت في روايات صحيحة بعضها في الصحيحين نزول آية هود بالمدينة^(١)، وهكذا كان من الأولى والأجدر أن لا يتناول هذا المصطلح إلا الأسباب غير الصريحة ، إذ هو موضوع لذلك ، ويكون بمنأى عن الأسباب الصريحة.

وهنا نقطة مهمة تستدعي التوضيح ، وهو أن بعض الباحثين قد عابوا على العلامة القاسمي - رحمه الله - نقولاته الكثيرة المطولة ، وهذا ليس في موضوع المكي والمدني فحسب ، بل كل الموضع التي تتناولها اللفظة التفسيرية ، وكأن العلامة القاسمي - رحمه الله - ليس له رأي شخصي - هذا ما يقوله الزاعمون - .

ولعل جواب الأستاذ سامي الكيال تخرس ألسنة هؤلاء : «إذ كثرة نقولات العلامة القاسمي لم تكن عن عجز عن الكتابة ، وإنما كان القصْدُ نَشْرَ الفكرة الإصلاحية التي كان يسعى إليها العلامة القاسمي ، وليحمل الخصوم على قبولها من خلال أقوال أهل العلم ، كما أن النقل في حد ذاته رأي ، وقديماً قيل : «اختيار المرء قطعةً من عقله»» (٢).

ومهما يكن من شيء فإن اهتمام العلامة القاسمي - رحمه الله - بموضوع المكي والمدني واضح في ثنايا تفسيره ، فكثير من مادته العلمية في الموضوع محرر قائم على انتخاب الصحيح الثابت ، واستبعاد الضعيف المنكر .

ثانياً : «تفسير القرآن الحكيم» الشهير بتفسير المنار : للشيخ محمد رشيد رضا :

(١) انظر هذه الروايات (ص : ٨١٤-٨١٧) .

(٢) الأدب العربي المعاصر في سوريا لسامي الكيال (ص ١٥٥-١٥٦) .

تتمثل أهمية «تفسير المنار» في موضوع المكي والمدني في نواح عديدة أوجزها فيما يلي :

أ - النقولات العديدة لأقوال أهل العلم فيما قيل في السورة وآياتها ، وعمدته في هذا المجال هو كتابا السيوطي - رحمه الله - : «الدر المنثور في التفسير المأثور» و «الإتقان في علوم القرآن» (١).

ب - تعبقاته على بعض دعاوي المكي والمدني ، سواء كان ذلك ما يتعلق بالسور أو الآيات .

فعلى سبيل المثال يقول - رحمه الله - تعقيباً على قول النحاس في مكية سورة النساء : «وزعم النحاس أنها كلها مكية لما ورد في سبب نزول هذه الآية من قصة مفتاح الكعبة ، وهو وهمٌ بعيد واستدلال باطل ، فإن نزول آية من السورة في مكة بعد الهجرة لا يقتضي كون السورة كلها مكية» (٢).

وفي الآيات التي قيل إنهن مستثناة من سورة يوسف يقول الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - : «وما قيل من أن الثلاث الأولى منها مدنيات فلا تصح روايته ولا يظهر له وجه ، وهو يخل بنظم الكلام ، وقد راجعت الإتقان فإذا هو ينقله ويقول : «وهو وإيه جداً، فلا يلتفت إليه»، ومن العجائب أن يذكر هذا الاستثناء في المصحف المصري ويزاد عليه الآية السابعة» (٣).

ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام أن الشيخ رشيد رضا - رحمه الله

(١) انظر : تفسير المنار (٢٨٣/٧ - ٢٨٥) ، (٥٨١/٩) ، (١٤٥/١٠) ، (٢٥٠، ٢/١٢) .

(٢) المصدر السابق (٣٢٠/٤) .

(٣) المصدر السابق (٢٥٠/١٢) .

- كثيراً ما نجد في ترجيحاته بين الأقوال يتحاكم إلى الوحدة الموضوعية في السورة^(١).

ولعل ذلك يرجع إلى اعتباره أحد رواد المدرسة التفسيرية التي لها اهتمام في إبراز الوحدة الموضوعية في السور .

ففي رده على دعوى مدنية سورة يونس يقول : «وما رواه ابن مردويه من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس من كونها مدنية غلطٌ مخالف للروايات الكثيرة عنه وعن غيره ، بل للإجماع الذي يؤيده موضوع السورة من أولها إلى آخرها، فهو يدور على إثبات أصول التوحيد ، وهدم الشرك ، وإثبات الرسالة ، والبعث والجزاء ، ودفع الشبهات عنها ، وما يتعلق بذلك من مقاصد الدين الأصلية التي هي موضوع السور المكية»^(٢).

وقال أيضاً في رده على دعوى مدنية قوله تعالى : ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أُنزِلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ...﴾ الآية^(٣) : «إن موضوع السورة لا يقبل هذا من جهة الدراية ، وهو مما لم تثبت به رواية ، وكون المراد بالذين يقرءون الكتاب في الآية اليهود لا يقتضي أن

(١) يرى الدكتور محمد أحمد السنباطي أن دراسة الوحدة الموضوعية للسورة محاولة قديمة عند بعض أهل العلم ، وأن ابن القيم - رحمه الله - هو رائد هذا المجال ، فيقول : «ويعتبر ابن القيم في هذا المجال رائداً للمدرسة الحديثة التي تهتم بأن تقدم أمام تفسير السورة الإطار العام للأهداف السامية التي جاءت السورة لتعالجها ، وتمثل الروح الذي يسري في كيان السورة ، فيربط بين أجزائها ، ويجعل كل جزء منها خادماً للآخر ومخلوفاً منه ، في سبيل تحقيق الرسالة العظمى التي قصد من السورة أن تؤديها» .

منهج ابن القيم في التفسير للدكتور السنباطي (ص ٨٤) .

(٢) تفسير المنار (١١/١٤١) .

(٣) سورة يونس ، الآية (٩٤) .

تكون نزلت في المدينة» (١).

ج - اهتم الشيخ رشيد رضا - رحمه الله - بذكر بعض القواعد المهمة في موضوع المكي والمدني ، كما ذكر بعض الخصائص التي تميز بين المكي والمدني .

ففي تقرير القاعدة الثانية التي مرت معنا في مبحث «القواعد التي يقوم عليها علم المكي والمدني» يقول الشيخ : «ولما كان وجود آيات مدنية في سورة مكية أو آيات مكية في سورة مدنية خلاف الأصل فالمختار عدم قبول القول به إلا إذا ثبت برواية صحيحة السند ، صريحة المتن ، سالمة من المعارضة والاحتمال» (٢).

وفي حديثه عن بعض خصائص السور المكية يقول : «فالسور المكية هي التي نزلت في أول الإسلام لأجل الدعوة إليه ، ولبيان أساس الدين ووكلياته من الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين ، ومن ترك الشرك والمعاصي والمنكرات المعروفة للناس بعقولهم وفطرتهم» (٣).

وفي بيان بعض خصائص القرآن المدني يقول الشيخ : «وفي هذه السور المدنية أيضاً بيان لما لا بد منه من الأحكام العملية في العبادات والمعاملات الشخصية والمدنية والسياسية والحربية ، ولأصول الحكومة الإسلامية والتشريع فيها ، كما تراه في طوال الفصل منها ، كالبقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة» (٤).

د - ضم صوته إلى صوت الجمهور في ذكر معيار التفرقة بين

(١) تفسير المنار (١١/١٤١) .

(٢) المصدر السابق (٧/٢٨٤) .

(٣) المصدر السابق (١/٣٣) .

(٤) المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

المصطلح المكي والمصطلح المدني ، فيقول في هذا الصدد بعد أن ذكر ما قيل في هذين المصطلحين من تعاريف : «والصحيح الذي عليه الجمهور أن المكي ما نزل قبل الهجرة ، والمدني ما نزل بعدها ، سواء نزل بالمدينة نفسها ، أو ضواحيها ، أو في مكة عام الفتح وعام حجة الوداع ، أو في غزوة من الغزوات» (١).

وخلاصة القول : أن «تفسير المنار» تفسير مليء بالمادة العلمية في موضوع المكي والمدني ، منها ما هو منقول من مصادر أخرى ، ومنها ما هو من آرائه الشخصية إلا أن الجدير بالذكر أن رشيد رضا - رحمه الله - لم يكمل هذا التفسير ، فبين أيدينا إلى الآية (٥٣) من سورة يوسف .
ثالثاً : «في ظلال القرآن» : لسيد قطب (٢).

يظهر اهتمام سيد قطب - رحمه الله - بموضوع المكي والمدني من خلال عرضه لمحتوى كل سورة من سور القرآن ، إذ كما هو معلوم في منهج صاحب الظلال أنه يبدأ في حديثه عن السورة بدراسة الوحدة الموضوعية للسورة ، وربط أركان بعضها ببعض الآخر .
وعلى ضوء هذا المنهج - أعني الوحدة الموضوعية للسورة - نجد أن

(١) المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٢) هو سيد قطب بن إبراهيم بن حسين الشاذلي ، ولد سنة (١٩٠٦م) من مؤلفاته «في ظلال القرآن» و«معالم في الطريق» توفي - رحمه الله - سنة (١٩٦٦م) الموافق (١٣٨٦هـ) .

ترجمته : معجم المفسرين (٢٠٢/١) ، الدراسات القرآنية المعاصرة لمحمد السديس (ص ٧٩-٨١) .

هذا وقد كتب الدكتور صلاح الخالدي دراسة وافية عن حياة سيد قطب وتفسيره الظلال بعنوان : «في ظلال القرآن دراسة وتقييم» نال بها درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

سيداً - رحمه الله - يستخدمه في ترجيحه بين الأقوال ، وإليك نماذج من منهجه المذكور :

أ - ففي سورة هود يقول سيد - رحمه الله - : «هذه السورة مكية بجملتها خلافاً لما ورد في المصحف الأميري من أن الآيات (١٢، ١٧، ١١٤) فيها مدنية ، ذلك أن مراجعة هذه الآيات في سياق السورة تلهم أنها تجيء في موضعها من السياق ، بحيث لا يكاد يتصور خلو السياق منها بادئ ذي بدء فضلاً على أن موضوعاتها التي تقررها هي من صميم الموضوعات المكية المتعلقة بالعقيدة ، وموقف مشركي قريش منها ، وآثار هذا الموقف في نفس رسول الله ﷺ ، والقلّة المسلمة معه ، والعلاج القرآني الرباني لهذه الآثار» (١).

ب - وفي سورة يوسف - ﷺ - يقول سيد - رحمه الله - : «والسورة كلها مكية لحمة واحدة عليها الطابع المكي واضحاً في موضوعاتها وفي جوها وفي ظلالها وفي إيجاءاتها» (٢).

ج - وفي رده على دعوى مدنية قوله تعالى : ﴿وَأَتُوا حَقَّ يَوْمٍ حَصَادِهِ﴾ الآية (٣)، يقول سيد : «والأمر بإيتاء حقه يوم حصاده هو الذي جعل بعض الروايات تقول عن هذه الآية إنها مدنية ، وقد قلنا في التقديم للسورة : إن الآية مكية ، لأن السياق في الجزء المكي من السورة لا يتصور تتابعه بدون هذه الآية ، فإن ما بعدها ينقطع عما قبلها لو كانت قد تأخرت حتى نزلت في المدينة» (٤).

(١) في ظلال القرآن (٤/ ١٨٣٩) .

(٢) المصدر السابق (٤/ ١٩٥٠) .

(٣) سورة الأنعام ، الآية (١٤١) .

(٤) في ظلال القرآن (٣/ ١٢٢٣) .

والحق أن المنهج الذي سلكه صاحب الظلال - رحمه الله - في حكمه على السور والآيات يؤدي على إطلاقه إلى استبعاد بعض الروايات الصحيحة ، فعلى سبيل المثال الآية (١١٤) من سورة هود يرى سيد أن استثناء هذه الآية لم يثبت ، وحجته في ذلك هو السياق وتناسق الفصول لا غير ، إذ يقول : « ... وواضح أن الآية قطعة من السياق المكي موضوعاً وجوّاً وعبارة » (١).

في حين أن بعض الروايات الصحيحة قد تضافرت في نزول هذه الآية بالمدينة.

ومهما كانت التبريرات في أهمية الوحدة الموضوعية للسورة ، فإنه لا يمكن استخدامها في إبطال الروايات الصحيحة واستبعادها .

وخلاصة القول : أن سيداً - رحمه الله - أودع لنا في ثانيا تفسيره ثروة قيمة في موضوع المكي والمدني ، ووقوع بعض الهنات التي ذكرنا لا يعني التقليل من أهمية هذا الكتاب في موضوع المكي والمدني .

رابعاً : «التحرير والتنوير» : لابن عاشور .

من خلال مطالعتي وتبعتي في تفسير «التحرير والتنوير» وجدت أن طريقة ابن عاشور - رحمه الله - في اهتمامه بموضوع المكي والمدني تتمثل فيما يلي :

أ - عرض موجز في بعض الأحيان ، ومطول في غالب الأحيان لأقوال أهل العلم في السورة وما ذكر فيها من استثناءات لآياتها (٢).

(١) المصدر السابق (٤/١٨٤٠) .

(٢) انظر : (١/١٣٥، ٢٠١) و (٤/٢١١) و (٧/١٢١-١٢٢) و (١١/٧٧-٧٨) و (١٣/٧٦-٧٥) .

ب - عند عرضه لأقوال أهل العلم في السورة فإن ابن عاشور - رحمه الله - نجده لا يترك تلك الأقوال - في الغالب - دون أن يمحس بين ما هو صحيح وبين ما هو ضعيف على حسب ما ترجح لديه .
والذي يعن النظر في ترجيحات ابن عاشور - رحمه الله - يجد كثرة التحاكم إلى السيرة والتاريخ ، فيقول - على سبيل المثال - في تقريره لأولية سورة البقرة مما نزل بالمدينة: «نزلت سورة البقرة بالمدينة بالاتفاق ، وهي أول ما نزل بالمدينة ، وحكى ابن حجر في شرح البخاري الاتفاق عليه ، وقيل : نزلت سورة المطففين قبلها بناءً على أن سورة المطففين مدنية ، ولا شك أن سورة البقرة فيها فرض الصيام ، والصيام فرض في السنة الأولى من الهجرة ... وفي البخاري عن عائشة : «ما نزلت سورة البقرة إلا وأنا عنده» تعني النبي ﷺ ، وكان بناء رسول الله على عائشة في شوال من السنة الأولى للهجرة» (١).

وفي حديثه عن وقت نزول سورة النساء يقول ابن عاشور - رحمه الله - : «ولا شك أنها نزلت بعد آل عمران ، لأن في سورة النساء من تفاصيل الأحكام ما شأنه أن يكون بعد استقرار المسلمين بالمدينة ، وانتظام أحوالهم وأمنهم من أعدائهم ، وفيها آية التيمم ، والتيمم شرع يوم غزوة المريسيع (٢) سنة خمس» (٣).

ج - اهتم ابن عاشور - رحمه الله - بأن يعقب على دعاوي

(١) المصدر السابق (٢٠١/١) .

(٢) جزء من وادي «حورة» فيه آبار زراعية ، وتسكنه قبيلة بني سليم ، وهو من ناحية قُدَيْد إلى الساحل .

انظر : معجم البلدان (١٣٩/٥) ، معجم المعالم الجغرافية (ص ٢٩٠) .

(٣) التحرير والتنوير (٢١٢/٤) .

الآيات المستثناة كاهتمامه بتحديد نزول سور القرآن .

فعلى سبيل المثال يقول في تعقيبه على الآيات اللاتي قيل إنهن مستثناة من مكية سورة يونس : «وأحسب أن هذه الأقوال ناشئة عن ظن أن ما في القرآن من مجادلة مع أهل الكتاب لم ينزل إلا بالمدينة ، فإن كان كذلك فظن هؤلاء مخطئ» (١).

وقال في نقد مستند دعوى مدنية قوله تعالى : ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ...﴾ الآية (٢) : «وهو مدخول من جهات ، وقد تقدم أن السورة كلها مكية على الصحيح» (٣).

وقال أيضاً في نقد مستند دعوى مدنية قوله تعالى : ﴿وَأَتِذَا الْقُرْآنُ يُقْرَأُ فَاسْمِعُوا بَنِيَّ وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَ الرَّسُولِ وَأُولَئِكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الآية (٤) : «وليس لها تعلق بحقوق قرابة النبي ﷺ ؛ لأن حقوقهم في المال تقررت بعد الهجرة لما فرضت الزكاة ، وشرعت المغنم والأفياء وقسمتها ، ولذلك حمل جمهور العلماء هذه الآية على حقوق قرابة النسب بين الناس» (٥).

● وخلاصة القول : أن تفسير ابن عاشور - رحمه الله - تفسير يكتسب أهمية علمية في تناول قضايا المكي والمدني ؛ إذ هو ليس سرداً وعرضاً لأقوال المتقدمين فحسب، وإنما أضاف إلى ذلك من اجتهاداته وترجيحاته الكثير النفيس.

(١) المصدر السابق (٧٨/١١) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية (٨٠) .

(٣) التحرير والتنوير (١٨٦/١٥) .

(٤) سورة الإسراء ، الآية (٢٦) .

(٥) التحرير والتنوير (٧٦/١٥) .

المبحث التاسع :

بعض الشبهات التي أثّرت حول المكي والمدني والرد عليها

من الأمور الملموسة لدى الجميع أنه على امتداد عمر الإسلام منذ ظهوره حتى الآن، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وجد وسيوجد أعداء كثيرون - ما دام الصراع قائماً بين الحق والباطل - ، هؤلاء الأعداء يتحينون كل فرصة للطعن في الإسلام عموماً وفي القرآن الكريم خصوصاً ، ونحن أمام هذه الهجمة ينبغي علينا أن نقوم بواجب الدفاع عن ديننا ، وفي مقدمة ذلك إعداد الدراسات المتخصصة في الردّ على شبهات الأعداء ودحضها بشتى الوسائل .

وفيما يلي بعض تلك الشبهات التي أثّرت حول أسلوب القرآن المكي والمدني مع تفنيد هذه الشبهات ، حتى لا ينخدع بها ضعاف النفوس من المسلمين .

الشبهة الأولى : « إن الباحث الناقد ، يلاحظ أن في القرآن أسلوبين متعارضين ، لا تربط الأول بالثاني صلة ولا علاقة ، مما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن هذا الكتاب قد خضع لظروف مختلفة ، وتأثر ببيئات متباينة ، فترى القسم المكي منه يمتاز بكل مميزات الأوساط المنحطّة ، كما نشاهد القسم المدني منه تلوح عليه أمارات الثقافة والاستنارة . فالقسم المكي يتفرد بالعنف والشدة ، والقسوة والحدّة » (١)

الرد على هذه الشبهة : إن دعوى أن القسم المكي قد تفرد بالعنف والشدة ينقضه أن في القسم المدني كذلك شدة وعنفاً ، فدعوى تفرد

(١) مناهل العرفان (٢٠٦/١) .

القسم المكّي بذلك باطله ، قال تعالى في سورة البقرة ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

وإنما اشتمل القرآن الكريم بقسميه المكّي والمدني على الشدة والعنف ، لأن ضرورة التربية الرشيدة ، في إصلاح الأفراد والشعوب ، وسياسة الأمم والدول ، تقضي أن يمزج المصلح في قانون هدايته ، بين الترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، والشدة واللين (٢) .

الشبهة الثانية : جاء في الموسوعة البريطانية ما نصه : « إن أسلوب الوحي المحمدي جاء نشراً مقفى ، أو ما يسميه العرب بالسجع ، وقد استعمل هذا الأسلوب سابقاً من قبل الكهنة ، ومن قبل المنجمين . فالسور الأولى - أي المكية - تتصف آياتها بالقصر وبقوتها الشعرية وتعبيرها الحيوي ، أما السور الأخيرة فجاءت آياتها طويلة ، مفصلة ومعقدة نثرية في مظهرها ولفتها ، ومما تسبب عنها اختلاف في ترقيم الآيات » (٣) .

الرد على هذه الشبهة : ينبغي أن نعلم - بادئ ذي بدء - أن التفرقة بين أسلوب المكّي وأسلوب المدني عند الأعداء كانت لها أبعادها ومقدماتها ونتائجها ، ومن ذلك أنهم يريدون أن يصلوا إلى إثبات أن هذا القرآن كان خاضعاً للبيئات المختلفة ، ولاشك أن هذه فرية من جملة أكاذيبهم التي لا تقوم على دليل .

والحق في سبب هذه التفرقة هو أن اختلاف الموضوع ينتج عنه تنوع

(١) سورة البقرة الآية (٢٤) .

(٢) انظر : مناهل العرفان (٢٠٧/١) .

(٣) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية للدكتور فضل حسن عباس (ص: ٤٢) .

في الأسلوب مع المحافظة على الجودة وحسن الصياغة لكل منهما .
فالقرآن المكي - كما سبق - جاء ليعالج موضوع العقيدة بشكل
رئيسي ، أما القرآن المدني فكان تركيزه على إيجاد نظام شامل لكل
متطلبات الحياة .

الشبهة الثالثة : جاء في كتاب « بحوث في تاريخ القرآن وعلومه »^(١)
للمدعو أبي الفضل مير محمد - الرافضي - مانصه : « هل هناك آيات
مدنية في سورة مكية ، أو بالعكس ؟ بقي أن نشير هنا إلى أن من البعيد
جداً وجود آيات مكية في سورة مدنية ، وكذلك العكس ، ولست
أدري : لماذا نزلت آية في مكة^(٢) لسبب اقتضى نزولها ؟ لماذا لا تجعل هذه
الآية جزءاً لسورة مكية ، نزلت في ظروف متشابهة ؟ ولماذا ينتظر الشهور
والأعوام حتى يسافر النبي - ﷺ - ^(٣) المدينة ثم تجعل حينئذ جزءاً لسورة
مدنية ؟ ولماذا يصرف النظر عن الجمع بين ما نزل في عصر ومحيط واحد ،
ومكان واحد إلى الخلط والتشريك بين آيات نزلت في ظروف وأجواء
مختلفة ؟ »^(٤) .

الرد على هذه الشبهة : إن وجود آيات مدنية في السور المكية أو
العكس - وهو نادر - أمر لا ينكره إلا المعاند الجاحد ، إلا أن الأمر -
كما سبق تفصيله - اعتماده على النقل^(٥) .

(١) هذا الكتاب من الكتب التي وقفت عليها أثناء زيارتي إلى جامعة لندن في عام
١٤١٤هـ ، وكان من ضمن المراجع التي قمت بتصويرها .

(٢) السياق يقتضي « في المدينة » .

(٣) كتابة الصلاة على النبي - ﷺ - كاملة من عندي ، وأما الرافضي فقد رمز بلفظ (ص) .

(٤) بحوث في تاريخ القرآن وعلومه لأبي الفضل مير محمد (ص: ٣٣٤) .

(٥) انظر نقولات أهل العلم في هذا الباب (ص: ١٤٦-١٤٨) .

وهنا سؤال يطرح نفسه في هذا المقام وهو : ما الحكمة من وضع آيات مدنية في السور المكية أو العكس ؟

ولعلّ كلمات الأستاذ عبد الرحمن حبنكة الميداني أفضل جواب على هذا السؤال - حسب اطلاعي - ، إذ يقول : « والتدبير الذي نجم عنه وجود آيات مدنية في سور معظم آياتها تنزيل مكّي ، وكذا وجود آيات مكية في سور معظم آياتها تنزيل مدني ، يدعو الباحث إلى السبر والتأمل ، لاكتشاف الأغراض الحكيمة من هذه الظاهرة ، وقد وفقني الله للنظر التأملّي فيها فبدا لي أن الحكمة من ذلك مراعاة اقتضائيين :

أحدهما : اقتضاء فكري موضوعي .

وثانيها : اقتضاء تربوي .

١- أما الإقتضاء الفكريّ عند إكمال الدين تنزيلاً ، فيلائمه وضع هذه الآيات بخصوصها ذات التنزيل المدني في مواضعها التي وضعت فيها من السور المكية .

٢- وأما الإقتضاء التربوي القائم على سنة التدرج ، ومراعاة حال المخاطبين الزمنية في تبليغ أحكام الدين وتعاليمه ومفاهيمه ، وتربية جماعة المؤمنين المسلمين الأوّلين ، الذين يمثلون القاعدة الرصينة الراسخة لبناء الأمة الإسلامية ، فيلائمه تأخير تنزيلها إلى الوقت المدني الذي نزلت فيه ... فكان من مقتضيات هذه الحكمة التربوية تأخير تنزيل كثير من فروع الأحكام التكليفية والمفاهيم الدينية ، والتعاليم والشرائع : إلى ما بعد تأسيس القاعدة الإيمانية ، ... هذا التدبير الرباني يتضمن تعليماً لنا أن الإقتضاء الفكري لا يمنع من تأخير البيان والتبليغ ، مراعاة للإقتضاء التربويّ ، الذي ينبغي أن يقوم على أسلوب التدرج الحكيم » (١) .

(١) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل لعبد الرحمن حبنكة الميداني (ص: ١٨٥-١٨٦).

الشبهة الرابعة : جاء في الموسوعة البريطانية « أن أسلوب السور
المكية يؤدي إلى تقطيع الفكرة ، واقتضاب المعاني ، كما أن السور المدنية
تتناول مواضيع مختلفة في سورة واحدة ، وهذا يعطي للقارئ انطباعاً بأنه
بمجرد إنشاء جاء بطريقة عشوائية » (١) .

الرد على هذه الشبهة : إن من لوازم هذه الشبهة - كما ترى -
عدم الترابط بين الآيات القرآنية مكيها ومدنيها . وهذه دعوى باطلة تدل
على بطلانها بنفسها ، والله در الدكتور محمد محمد أبي شهبه - رحمه
الله - حيث يقول في معرض رده على هذه الشبهة : « إن القول بأن
القسم المكي يمتاز بتقطع الفكرة واقتضاب المعاني بخلاف القسم المدني
قول من لم يتمعن في القرآن ، ولم يعن بدراسته ، ومن يرسل القول على
عوامله ولم يأخذ من اللغة العربية وأسرارها وآدابها بحظ وافر » (٢) .
ولو توجهنا نسأل هولاء الأعداء : أين النصوص القرآنية التي يظهر
فيها عدم الترابط ؟ لما وجدوا لهذا السؤال جواباً .

إن علم المناسبات بين آيات القرآن وسوره يفند هذه الشبهة من
أساسها ، انظر كتاباً ككتاب البقاعي « نظم الدرر في تناسب الآيات
والسور » و « أسرار التنزيل » للسيوطي (٣) . وانظر تفسيراً كتفسير

(١) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية (ص: ٧٤) .

(٢) المدخل (ص: ٢٣٤) .

(٣) لخص الإمام السيوطي - رحمه الله - هذا الكتاب في كتاب آخر سماه « تناسق الدرر
في تناسب السور » انظر : الإتيان (٢/ ٩٧٦) .
وقد أخطأ بعض الباحثين الذين توهموا أن الاسمين لكتاب واحد .

هذا وقد حقق كتاب « أسرار التنزيل » الدكتور أحمد الحمادي لنيل درجة الدكتوراه
من جامعة الإمام ، وأما « تناسق الدرر » فقد صدر عن دار الاعتصام بالقاهرة عام
١٩٦٠

الرازي فإنك واجد في هذه المؤلفات نظرات عميقة في مناسبات السور والآيات .

وخلاصة القول : أن الحديث عن شبهات المستشرقين حديث ذو شجون ، ويضيق النطاق هنا عن عرض كل تلك الشبهات والرد عليها ، وعسى الله أن يحرك همم المتخصصين في الدراسات القرآنية حول هذا الموضوع ، فيكشفوا النقاب عن أباطيلهم التاريخية والمعاصرة ، وما ذلك إلا من أجل تحصين الفكر الإسلامي ، ووضع الحقائق العلمية ناصعة مجردة من التشكيك والشبهات (١) .

→

(١٣٩٨هـ) بتحقيق عبد القادر أحمد عطا ، باسم ((اسرار ترتيب القرآن)) - وهو تصرف من المحقق - ثم أعيد طبعه عن دار الكتب العلمية باسمه الصحيح بتحقيق المحقق المذكور .

(١) في الوقت الذي نعاني تلك الهجمة الإستشراقية يبالغ بعض الباحثين المسلمين في الإشادة بجهود القوم حتى قال أحدهم : ((ما نزال حتى يومنا هذا مدينين لهم بتحقيق نصوص كثيرة في اللغة والشعر ، والأدب ، والنحو ، والتاريخ ، والجغرافيا ، وكتب البلدان والرحلات ، والقراءات القرآنية مما لم يتح لعلماء العرب تحقيقها إلى اليوم ، وكان فيهم من صرف عمره لدراسة المخطوطات العربية ، والبحث عن أماكن وجودها ، والتعريف بها ، وإصدار الفهارس لها بشكل لم يتح إلا للقلائل من علماء العرب)) . جهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي للدكتور صلاح الدين المنجد (ص: ٢١٠) مقالة منشورة في مجلة المنهل السعودية ، العدد (٤٧١) السنة (٥٥) رمضان شوال (١٤٠٩هـ) .

ولله درّ أديب العصر الدكتور شوقي ضيف فمن درر كلامه : ((إن قواعد التثبت من نسبة النص إلى صاحبه ، وجمع عدد من المخطوطات وعمل مقابلة فيما بينها في الهوامش ، مع وضع رموز لكل مخطوط يشار بها إلى تلك المخطوطات ليس من إبداع المستشرقين ، بل إن المحدثين هم الذين سبقوا غيرهم في ذلك)) .

جريدة الشرق الأوسط في حوار أجري مع الدكتور شوقي ضيف بعنوان : المستشرقون لم يضعوا قواعد التحقيق العلمي لتراثنا (ص: ٢٠) ، العدد (٥١٧٦) ٧ شعبان (١٤١٣هـ) .

المبحث العاشر : الصلوات التي تتعلق بالمكي والمدني

وفيه تسعة مطالب :

- المطلب الأول : الحضري والسفري
- المطلب الثاني : النهاري والليلي
- المطلب الثالث : الصيفي والشتائي
- المطلب الرابع : الفراشي والنومي
- المطلب الخامس : ما نزل مفرداً وما نزل جمعاً
- المطلب السادس : ما نزل مشيعاً وما نزل مفرداً
- المطلب السابع : ما تأخر حكمه عن نزوله
وما تأخر نزوله عن حكمه
- المطلب الثامن : ما نزل بمكة وحكمه مدني
وما نزل بالمدينة وحكمه مكي
- المطلب التاسع : القرآن المُحْمَل .

تمهيد :

ومما يلزم بنا الوقوف عليه في الحديث عن المكي والمدني الصلات التي تتعلق بهذا الموضوع ؛ إذ لا يخلو النازل المكي أو المدني أن يكون نزل صيفاً أو شتاءً ، أو ليلاً أو نهاراً ، أو حضراً أو سفراً ... ، وكل هذه الأمور ظروف أحاطت بنزول القرآن المكي والمدني .

وقد عني الباحثون في علوم القرآن بذكر هذه الأمور ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدلنا على العناية الفائقة والضبط الدقيق في كل ما يتعلق بموضوع المكي والمدني .

قال ابن العربي - رحمه الله - : «والذي علمناه على الجملة من القرآن في هذه الطريق : أن منه مكيّاً ومدنيّاً ، وسفريّاً وحضريّاً ، وليلياً ونهارياً ، وسمائياً وأرضياً ، وما نزل بين السماء والأرض ، وما نزل تحت الأرض في الغار» (١) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - جاعلاً إحدى سور القرآن نموذجاً تجتمع فيه بعض هذه الأنواع : «سورة الحج فيها مكي ومدني ، وليليّ ونهاريّ ، وسفريّ وحضريّ ، وشتائيّ وصيفيّ» (٢) .

وبما أن الإمام السيوطي - رحمه الله - قد عقد في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» (٣) فصلاً في معرفة هذه الأنواع فإنني لن أطيل الوقوف

(١) الناسخ والمنسوخ لابن العربي (١٦/٢) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٦٦/١٥) .

(٣) لعل السيوطي - رحمه الله - أفاد في تعداد هذه الأنواع عن تقسيم أبي القاسم

النيسابوري في نزول القرآن وجهاته إلى خمسة وعشرين وجهاً .

انظر تقسيم النيسابوري في (ص : ٣٩-٤١) من هذا البحث .

على هذه الأنواع ، فغاية ما في الأمر أنني سأذكر طرفاً من شواهد هذه
الأنواع جميعاً ، ومن أراد الاستزادة فيمكن الرجوع إلى كتاب «الإتقان»
فهو أوسع مصدر تحدث عن هذه الصلوات.



المطلب الأول : الحضريّ والسفريّ

إن أمثلة الحضريّ عديدة لا حصر لها ، وأما السفريّ فمن أمثلته :
أ - قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (١) ففي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -
أنها نزلت عشية عرفة يوم الجمعة عام حجة الوداع (٢).

ب - ومنها آية التيمم وهي - كما ترجح عندي والعلم عند الله تعالى - آية المائدة (٣) ، ونصها : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمْ يَمْسَسْهُمُ النِّسَاءُ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ الآية (٤) ، ففي صحيح البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - أنها نزلت بالبيداء (٥) وهم

(١) جزء من الآية (٣) ، سورة المائدة .

(٢) انظر تخريجه (ص : ٥٩) .

(٣) انظر أوجه الترجيح (ص : ٤١٦-٤١٧) .

(٤) سورة المائدة ، الآية (٦) .

(٥) هي أرض واسعة يراها الذهاب من المدينة إلى مكة ، وتقع غربي ذي الحليفة، وبين ذي الحليفة وذات الجيش.

انظر : الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين لغالي الشنقيطي (ص ٢٥٠) ، معجم معالم الحجاز (١/٢٦٤) .

وبهذا التحديد الذي ذكرناه رجح الحافظ ابن حجر ، وجزم به ابن التين .

انظر : الفتوح (٥١٥/١-٥١٦) .

ويرى أبو عبيد البكري أن البيداء أدنى إلى مكة من ذي الحليفة .

انظر : معجم ما استعجم (١/٢٩٠) .

وأبعد من هذا ما ذهب إليه النووي في شرح مسلم (٥٩/٤) إذ قال : «البيداء وذات

الجيش موضعان بين المدينة وخيبر» .

ج - ومنها سورة المرسلات ، ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود - واللفظ للبخاري - قال : «بينما النبي ﷺ في غار ، إذ نزلت عليه «المرسلات» فإنه ليتلوها وأنا أتلقاها من فيه ، وإن فاه لرطب بها ، إذ وثبت علينا حية ، فقال النبي ﷺ : اقتلوها ، فابتدرناها ، فذهبت ، فقال النبي ﷺ : وقيت شركم كما وقيت شرها» قال عمر - أي ابن حفص بن غياث شيخ البخاري - حفظته من أبي في غار بمنى ^(٢).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : «ووقع في رواية حفص بن غياث كما سيأتي» (معنى) وهذا أصح مما أخرجه الطبراني في الأوسط من طريق أبي وائل عن ابن مسعود قال : «بينما نحن عند النبي ﷺ على حراء» ^(٣).

(١) انظر : صحيح البخاري مع الفتح (١٢١/٨) برقم (٤٦٠٨) ، كتاب التفسير ، باب ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٥٥٧/٨) برقم (٤٩٣٤) ، كتاب التفسير ، باب ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ ، وانظر : صحيح مسلم (١٧٥٥/٤) برقم (٢٢٣٤) ، كتاب السلام ، باب قتل الحيات وغيرها .

(٣) الفتح (٥٥٥/٨) .

المطلب الثاني : النهاري والليلي

إن أمثلة النهاري كثيرة إذ أغلب القرآن نزل نهاراً .
قال أبو القاسم النيسابوري : «نزل أكثر القرآن نهاراً» (١) .
وأما الليلي فمن أمثلته :

أ - آية الثلاثة الذين خلفوا وهي قوله تعالى : ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ الآية (٢) ، ففي الصحيحين من حديث كعب بن مالك - واللفظ للبخاري - وفيه : «فأنزل الله توبتنا على نبيه ﷺ حين بقي الثلث الأخير من الليل ، ورسول الله ﷺ عند أم سلمة» (٣) .

ب - سورة الفتح ، ففي صحيح البخاري أن نزولها كان ليلاً ، فقد أخرج الإمام البخاري بسنده عن زيد بن اسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً ، فسأله عمر بن الخطاب عن شي فلم يجبه رسول الله ﷺ ، ثم سأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، فقال عمر بن الخطاب : ثكلت أم عمر ، نزلت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك ، قال عمر : فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل في القرآن ، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي ، فقلت : لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن ، فجئت

(١) التنزيل وترتيبه (٢٢٦ق/أ) ، وانظر : البرهان للزركشي (١/١٩٨) .

(٢) سورة التوبة ، الآية (١١٨) .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (١٩٣/٨) برقم (٤٦٧٧) ، كتاب التفسير ، باب ﴿وَعَلَى

الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ ، وانظر : صحيح مسلم (٢١٢٠-٢١٢٨) برقم (٢٧٦٩) ،

كتاب التوبة ، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه .

رسول الله ﷺ فسلمتُ عليه ، فقال: لقد أنزل عليَّ الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ (١).
وقد يقول قائل هنا : «فما تصنع بحديث جابر مرفوعاً» (٢) :
«أصدق الرؤيا ما كان نهاراً لأن الله خصني بالوحي نهاراً» (٣).
والجواب على هذا السؤال كما ذكره الإمام السيوطي «أن هذا الحديث منكر لا يحتج به» (٤).

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٤٤٦/٨) برقم (٤٨٣٣)، كتاب التفسير ، باب ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ .

(٢) ما بين القوسين مقتبس من كلام الإمام السيوطي في الإتيان (٦٨/١) .

(٣) أخرجه الحاكم في تاريخ نيسابور كما ذكره السيوطي - وهو مفقود - انظر : الإتيان (٦٨/١) .

(٤) انظر : الإتيان (٦٨/١) .

المطلب الثالث : الصيفي والشتائي

أمثلة من الصيفي :

أ - أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن عمر بن الخطاب قال : «ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلالة ، وما أغلظ في شيء ما أغلظ لي فيه ، حتى طعن بأصبعه في صدري ، وقال: يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء» (١).

ب - ومن أمثلة الصيفي الآيات النازلة في غزوة تبوك ، كقوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ الآية (٢)، وكذلك قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (٣).

من أمثلة الشتائي :

قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ إلى آخر العشر الآيات (٤)، ففي صحيح البخاري بسنده عن عائشة في حديثها الطويل في قصة الإفك ، وفيه : «فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء ، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه ،

(١) صحيح مسلم (١/١٢٣٦) برقم (١٦١٧) كتاب الفرائض ، باب ميراث الكلالة .

(٢) سورة التوبة ، الآية (٤٢) .

(٣) سورة التوبة ، الآية (٨١) .

(٤) سورة النور ، الآية (١١) .

قالت : فلما سُري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سري عنه وهو يضحك ، فكانت أول كلمة تكلم بها : يا عائشة ، أما الله عز وجل فقد برأك فقالت أمي قومي إليه قالت فقلت : والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله عز وجل ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ... ﴾ العشر الآيات كلها » (١).

وقد يتساءل متسائل فيقول : لما ذا لم يكن هناك نوع «خريفي وريعي» ؟ وهل كان نزول القرآن خاصاً في الصيف والشتاء ؟ وبأي مستند تم هذا التقسيم ؟

والجواب على هذه الأسئلة من وجوه عديدة :

الوجه الأول : أن وجود ما اصطلاح عليه بالصيفي والشتائي من القرآن لا يعني إنكار ما نزل في الربيع والخريف وإنما هو اصطلاح وضعه أهل العلم ، ومعلوم «أن لا مشاحة في الاصطلاح» (٢).

الوجه الثاني : أننا لم نجد روايات صرحت باسم «الريعي والخريفي» .

الوجه الثالث : أن من العرب من يرى تقسيم فصول العام إلى شتاء وصيف فقط (٣).

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٣٠٦-٣٠٩) برقم (٤٧٥٠) كتاب التفسير ، باب ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَفْسِهِمْ خَيْرًا﴾ الآية .

(٢) قاعدة مهمة من قواعد العلم ، وقد ذكرها الحافظ ابن حجر في «النكت على كتاب ابن الصلاح» (٤٤٥/١) نقلاً عن تاج الدين التبريزي .

(٣) انظر : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للآلوسي (٢٤٤/٣) .

المطلب الرابع : الفراشي والنومي

من أمثلة الفراشي :

قوله تعالى : ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ...﴾ الآية (١)، فقد سبق في «الليالي» أنها نزلت وقد بقي الثلث الأخير من الليل ، ورسول الله ﷺ عند أم سلمة ، والحديث في الصحيحين كما سبق (٢).

وهنا يأتي إشكال وهو : كيف نجتمع بين هذا الحديث وبين ما جاء في صحيح البخاري في حق عائشة : «يا أم سلمة لا تؤذي في عائشة ، فإنه والله ما نزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها» (٣).

والجواب : تعددت أنظار أهل العلم في الجواب عن هذا الإشكال ، فقد قال القاضي جلال الدين البلقيني (٤) : «ولعل هذا كان قبل القصة التي نزل الوحي فيها في فراش أم سلمة» (٥).

وقال السيوطي - رحمه الله - معقباً على جواب القاضي : «ظفرت بما يؤخذ منه الجواب الذي أحسن من هذا ، فروى أبو يعلى في مسنده

(١) سورة التوبة ، الآية (١١٨) .

(٢) انظر : (ص : ٢١٤) .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (١٣٤/٧) برقم (٣٧٧٥) كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عائشة .

(٤) هو عبد الرحمن بن عمر بن رسلان جلال الدين البلقيني ، من مؤلفاته «مواقع العلوم من مواقع النجوم» - مفقود - توفي - رحمه الله - سنة (٨٢٤هـ).

ترجمته : طبقات المفسرين للداوودي (٢٨٢/١) ، الضوء اللامع (١٠٦/٤) .

(٥) الإتيقان (٧٢/١) .

عن عائشة قالت: «أعطيت تسعاً...» الحديث ، وفيه : «وإن كان الوحي لينزل عليه وهو في أهله فينصرفون عنه ، وإن كان لينزل عليه وأنا معه في لحافه» وعلى هذا لا معارضة بين الحديثين كما لا يخفى» (١).

قلت : لو كان إسناد أبي يعلى في هذا الحديث صحيحاً لكان هو الحاسم في هذا الإشكال ، ولكن فيه نظر : قال الهيثمي : «وفي إسناد أبي يعلى من لم أعرفهم» (٢).

من أمثلة النومي :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۚ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝ ﴾ ففي صحيح مسلم بسنده عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : «بينما رسول الله ﷺ بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ، ثم رفع رأسه مبتسماً ، فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله؟ فقال: أنزل عليّ آناً سورة ، فقرأ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۚ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝ ﴾ » (٣).

ويبدو - والله أعلم - أن تسمية هذا النوع بـ «النومي» تسمية مجازية ؛ إذ ليس في القرآن شيء نزل والنبي ﷺ نائم ، بل نزل جميعه يقظة، وبهذا استشكل كثير من أهل العلم مقتضى حديث أنس السابق.

(١) المصدر السابق مع الجزء والصفحة ، وانظر : مسند أبي يعلى الموصلي (٩١/٨) برقم (٤٦٢٦) .

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (٢٤٤/٩) .

(٣) صحيح مسلم (٣٠٠/١) برقم (٤٠٠) ، كتاب الصلاة ، باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة .

قال الرافعي (١) - رحمه الله - كما نقله عنه السيوطي : «فهم فاهمون من هذا الحديث أن السورة نزلت في تلك الإغفاءة ، وقالوا : من الوحي ما كان يأتيه في النوم ، لأن رؤيا الأنبياء وحي ، قال - أي الرافعي - : وهذا صحيح ، لكن الأشبه أن يقال : إن القرآن كله نزل في اليقظة ، وكأنه خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة في اليقظة ، أو عرض عليه الكوثر الذي وردت فيه السورة ، فقرأها عليهم ، وفسرها لهم ، ثم قال : وورد في بعض الروايات أنه أغمي عليه ن وقد يحمل ذلك على الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي ، ويقال لها برحاء الوحي» (٢).

والحق يقال : أن التوجيه الأول الذي ذكره الرافعي توجيه لا يطمئن إليه الباحث الدقيق ، فنزول السورة في تلك الحالة منصوص في الحديث فكيف نقول إذاً إن السورة نزلت قبل ذلك ؟ فتوجيهه الأخير هو أقرب إلى الصواب.

وقد نبّه الإمام السيوطي - رحمه الله - على رجحان توجيهه الأخير فقال : «الذي قاله الرافعي في غاية الاتجاه وهو الذي كنت أميل إليه قبل الوقوف عليه ، والتأويل الأخير أصح من الأول ؛ لأن قوله : «أنزل عليّ آنفاً» يدفع كونها نزلت قبل ذلك، بل نقول : نزلت في تلك الحالة،

(١) هو أبو القاسم عبد الكريم بن أبي الفضل محمد بن عبد الكريم الحسين الرافعي الشافعي ، من مؤلفاته الفتح العزيز في شرح الوجيز ، شرح مسند الشافعي ، توفي - رحمه الله - سنة (٦٢٣هـ) .

ترجمته : طبقات الشافعية للسبكي (٢٨١/٨-٢٩٣) ، السير (٢٥٢/٢٢-٢٥٥) .

(٢) الإتيان (٧٣/١) .

وليس الإغفاءة نوم^(١) ، بل الحالة التي كانت تعزيه عند الوحي^(٢) .
هذا وقد استحسن هذا التوجيه الأخير الذي ذكره الرافعي بعض
الباحثين المعاصرين الذين كتبوا في علوم القرآن ، منهم العلامة الأستاذ
الدكتور محمد أبو شهبه - رحمه الله - حيث يقول : «والقرآن
الكريم لم ينزل منه شيء إلا عن طريق جبريل - عليه السلام - ولم يأت منه
عن تكليم أو إلهام أو منام ، بل كله أوحى به في اليقظة وحيّاً جلياً ، ولا
يخالف هذا ما ورد في صحيح مسلم عن أنس ... إذ ليس المقصود
بـ«الإغفاءة» في الحديث النوم ، وإنما المقصود الحالة التي كانت تعزيه عند
نزول الوحي ، وهي الغيوبة عما حوله»^(٣) .

-
- (١) هكذا في الإتيان ، والصواب هو النصب ، لأنها خبر «ليس» ولعله من طغيان القلم ،
إذ أمثال السيوطي لا يخفى عليه مثل هذه الأمور - والله أعلم - .
(٢) الإتيان (٧٣/١) .
(٣) المدخل لأبي شهبه (ص ٦١-٦٢) ، وانظر نحو هذا التوجيه : مباحث في علوم القرآن
لمناع القطان (ص ٣٧) ، علوم القرآن للدكتور عبد المنعم النمر (ص ١٧) .

المطلب الخامس : ما نزل مفرداً وما نزل جمعاً

أما القسم الأول - وهو المفرق - فأمثله كثيرة ، قال السيوطي :
«الأول غالب القرآن» (١).

وأما الثاني فمن أمثله :

أ - سورة الكوثر : وقد سبقت الرواية الدالة على ذلك في القسم
«الفراشي والنومي» .

ب - سورة المسد : ففي صحيح البخاري بسنده عن ابن عباس «أن
النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى البطحاء» (٢) فصعد إلى الجبل فنادى : يا
صباحاه ، فاجتمعت إليه قريش فقال رأيتم إن حدثتكم أن العدو
مصباحكم أو ممسيكم ، أكنتم تصدقوني؟ قالوا : نعم ، قال فإنني نذير
لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب : ألهذا جمعتنا تبا لك ، فأنزل
الله عز وجل ﴿تَبَّتْ يُدَا أُمِّي لَهَبٍ﴾ إلى آخرها» (٣).

(١) الإتيان (١١٩/١) .

(٢) البطحاء في اللغة مسيل فيه دقاق الحصى ، والمراد به هنا بطحاء مكة الواقعة بين الحجون وبين المسجد
الحرام .

انظر : معجم معالم الحجاز (٢٢٩/١) ، أودية مكة المكرمة لعاتق البلادي (ص: ٢٠) .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (٦٠٩/٨ - ٦١٠) برقم (٤٩٧٢) ، كتاب التفسير ، باب
﴿وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ .

المطلب السادس : ما نزل مشيئاً وما نزل مفرداً

ليس المقصود بهذا المطلب ذكر ما نزل مفرداً ؛ إذ لا فرق بين ما نزل مفرداً وما نزل مفرقاً ، وأما المشيئ من القرآن فهو ما نزل جملة تحتف به الملائكة ، ومنها سورة الأنعام ، فقد ورد من طرق عديدة - كما سيأتي - أن سورة الأنعام نزلت جملة واحدة بمكة يشيئها سبعون ألف ملك^(١).

وقد يقول قائل : ما الفرق بين ما نزل مشيئاً وما نزل جمعاً ؟
والجواب : أن المشيئ من القرآن أخص مما نزل جمعاً ؛ لأن المشيئ نزل جملة معه الملائكة تحتف به عند نزوله ، فكل مشيئ مجموع ، وليس كل ما نزل جمعاً مشيئاً .

(١) انظر : (ص : ٢٩٠-٢٩٢) .

المطلب السابع :

ما تأخر حكمه عن نزوله، وما تأخر نزوله عن حكمه

إن تقدم نزول بعض آيات القرآن الكريم مع تأخر حكمها ، وكذلك تقدم حكم بعض آياته مع تأخر نزولها أمر واقع في القرآن الكريم ، وله شواهد على ذلك .

قال البغوي (١) - رحمه الله - : «يجوز أن يكون النزول سابقاً على الحكم كما قال : ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (٢) فالسورة مكية ، وظهر أثر الحل يوم الفتح ...» (٣).

ويقول الزركشي - رحمه الله - : «واعلم أنه قد يكون النزول سابقاً على الحكم» (٤).

وإليك أمثلة دالة على كلا النوعين :

أولاً : ما تأخر حكمه عن نزوله :

ومن أمثلته : قوله تعالى : ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (٥) ، فقد أخرج

(١) هو الحسين بن مسعود بن محمد البغوي الشافعي ، من مؤلفاته «معالم التنزيل» و«شرح السنة» ، توفي - رحمه الله - سنة (٥١٦ هـ) .

ترجمته : طبقات الشافعية للسبكي (٧/٧٥) ، طبقات المفسرين للدواودي (١/١٦١-١٦٢) .

هذا وقد قامت الباحثة عفاف عبد الغفور حميد بدراسة عن البغوي ومنهجه في التفسير ، نالت بها درجة الماجستير من جامعة أم القرى ، وقد صدرت الدراسة عن مكتبة الإرشاد ببغداد .

(٢) سورة البلد ، الآية (٢) .

(٣) معالم التنزيل للبغوي (٤٠٢/٨) .

(٤) البرهان للزركشي (٣٢/١) .

(٥) سورة القمر ، الآية (٤٥) .

عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ، وعن أيوب عن عكرمة أن عمر قال :
«لما نزلت ﴿سَيَهْزُمُ الْجَمْعُ﴾ جعلت أقول : أي جمع يهزم ؟ فلما كان يوم
بدر رأيت النبي ﷺ يشب في الدرع وهو يقول : ﴿سَيَهْزُمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّوْنَ
الدُّبْرَ﴾» (١).

وجه الدلالة : أن هذه الآية مكية ، ولم يكن الجهاد قد شرع في
ذلك الوقت، وبهذا استشكل عمر في الآية ، ثم تبين له حينما وقعت
غزوة بدر أن المراد بالجمع هنا جمع بدر .

وقد يتساءل متسائل فيقول : ألا يحتمل أن تكون الآية نزلت في
غزوة بدر ، وعليه لا داعي أن نقول : تأخر الحكم عن النزول -! علماً
بأن ابن الفرس (٢) قد حكى هذا القول في تفسيره (٣).

والجواب : أن سياق النص القرآني يأبى ذلك ؛ إذ الفعلان
المذكوران في الآية دالان على الاستقبال ، سيما الفعل الأول فهو
متمحض للاستقبال ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فإن أثر عمر - ﷺ

(١) تفسير عبد الرزاق (٢/٢٥٩) .

(٢) هو عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الأنصاري الغرناطي المالكي ، من مؤلفاته
«أحكام القرآن» قال الداوودي في هذا الكتاب : «وألّف كتاباً في أحكام القرآن
جليل الفائدة ، من أحسن ما وضع في ذلك» ، توفي - رحمه الله - سنة (٥٥٩هـ) .
ترجمته : الديناج المذهب (٢/١٣٣-١٣٥) ، طبقات المفسرين للداوودي (١/٣٦٢-
٣٦٥) .

هذا وقد قام الباحث عبد الله عبد الحميد بدراسة عن ابن الفرس وتفسيره مع تحقيق
سورة الفاتحة والبقرة ، نال بها درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية .
كما قام الدكتور محمد الصغير يوسف بدراسة نحو هذه ، نال بها درجة الدكتوراه من
جامعة الزيتونة بتونس.

انظر : أخبار التراث العربي ، العدد (٢٧) (ص ٣٠) .

(٣) انظر : أحكام القرآن لابن الفرس (٢/١٣٦ق/ب) .

- قد نفى هذا الاحتمال ؛ إذ هو نص في نزول الآية قبل غزوة بدر بكثير.

قال السيوطي - رحمه الله - بعد أن ذكر ما حكاه ابن الفرس من نزول الآية في بدر : «وهو مردود» (١).

ثانياً : ما تأخر نزوله عن حكمه :

ومن أمثلته : قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ الآية (٢) ، فقد سبق في السفري أن الآية نزلت بالبيداء وهم داخلون المدينة (٣) ، ومعلوم أن فرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة.

قال ابن عبد البر (٤) - رحمه الله - : «معلوم عند جميع أهل السير أن النبي ﷺ منذ افترضت عليه الصلاة لم يصل إلا بوضوء - مثل وضوئنا اليوم - وهذا ما لا يجهله عالم ، ولا يدفع إلا معاند ، وفيما ذكرنا دليل على أن آية الوضوء إنما نزلت ليكون فرضها المتقدم متلوّاً في التنزيل» (٥).

هذا وقد ذكر بعض أهل العلم أن أول الآية - وهو ما يتعلق

(١) الإقتان (٦٢/١) .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٦) .

(٣) انظر : (ص : ٢١٢) .

(٤) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد الأندلسي القرطبي المالكي ، من مولفاته «التمهيد» و«الاستذكار» ، توفي - رحمه الله - سنة (٤٦٣) .

ترجمته : وفيات الأعيان (٧٢-٦٦/٧) ، الديباج المذهب (٣٦٧/٢-٣٧٠) .

هذا وقد تناولت دراسات عديدة في حياة ابن عبد البر العلمية ، منها دراسة زميلنا مأمون عبد الرحمن الذي قام بجمع مرويات ابن عبد البر التفسيرية من خلال كتابه «التمهيد» ، ونال بها درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية .

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٧٩/١٩) .

بالوضوء - نزل مقدماً مع فرض الوضوء ، ثم نزل بقية الآية - وهو ما يتعلق بالتييم - في قصة عائشة (١).

ويكفي رداً في هذا الإشكال ما ذكره الإمام السيوطي حيث قال : «يرده الإجماع على أن الآية مدينة» (٢).

وقد يُستشكل تسمية هذه الآية بآية التيمم ؛ إذ إنها مشتملة على ذكر الوضوء فكيف يكون هذا ؟

والجواب : قال ابن عبد البر : «وفي قوله في حديث مالك : فنزلت آية التيمم ، ولم يقل آية الوضوء ما يتبين به أن الذي طرأ عليهم من العلم في ذلك الوقت حكم التيمم لا حكم الوضوء» (٣).

ويرى الحافظ ابن حجر - رحمه الله - أن تلك التسمية من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل فيقول : «وإطلاق آية التيمم على هذا من تسمية الكل باسم البعض ، لكن رواية عمرو بن الحارث التي قدمنا أن المصنف أخرجها في التفسير تدل على أن الآية نزلت جميعاً في هذه القصة» (٤).

(١) انظر : الفتح (٥١٥/١) ، والإتقان (١١٨/١) .

(٢) الإتقان (١١٨/١) .

(٣) التمهيد (٢٧٩/١٩) .

(٤) الفتح (٥١٧/١) ، ورواية عمرو بن الحارث المشار إليها أخرجها البخاري في التفسير برقم (٤٦٠٨) .

المطلب الثامن :

ما نزل بمكة وحكمه مدني ، وما نزل بالمدينة وحكمه مكّي

أولاً : ما نزل بمكة وحكمه مدني :

ومن أمثلته : قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية ، فقد نزلت بعرفة يوم عرفة كما في الصحيح^(١) ، والآية مدنية ؛ إذ إن نزولها بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة.

قال السيوطي - رحمه الله - : «وكل آية نزلت على رسول الله ﷺ قبل الهجرة فهي مكية ، نزلت بمكة أو غيرها من البلدان ، وكل آية نزلت بالمدينة بعد الهجرة فإنها مدنية ، نزلت بالمدينة أو غيرها من البلدان»^(٢).

ثانياً : ما نزل بالمدينة وحكمه مكّي :

ومن أمثلته : صدر سورة براءة ، نزل بالمدينة خطاباً لمشركي أهل مكة^(٣).

(١) انظر تخريجه : (ص : ٥٩) .

(٢) الدر (٤٤٥/٦) .

(٣) انظر : التنزيل وترتيبه (٢٢٤ق/ب) ، البرهان (١٩٦/١) ، الإتيقان (٥٥/١) .

المطلب التاسع : القرآن المحمّل

أولا : ما حُمِل من مكة إلى المدينة :

ومن أمثلته : سورة الأعلى ، ففي صحيح البخاري بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : « أول من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مُصْعَب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلنا يقرئنا القرآن ، ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء فما جاء حتى قرأت ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ في سور مثلها »^(١). واستشكل الحافظ ابن حجر - رحمه الله - ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الرواية ؛ إذ إن ذلك لم يشرع إلا عند نزول آية الأحزاب ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ الآية^(٢) ، وسورة الأحزاب مدنية كما هو معلوم ، فكيف هذا بذاك؟

يحيينا على هذا الإشكال الحافظ ابن حجر نفسه ، فقد ذكر احتمالين كلٌّ منهما يدفع هذا الإشكال :

الاحتمال الأول : قال الحافظ : «لكن لا مانع أن تتقدم الآية المذكورة على معظم السورة»^(٣).

الاحتمال الثاني : أن لفظ صلى الله عليه وسلم مقحم في الرواية من قبل الرواة ، وفي

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٥٦٩/٨) برقم (٤٩٤١) ، كتاب التفسير ، باب سورة ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٥٦) .

(٣) الفتح (٥٦٩/٨) .

هذا يقول الحافظ : «ثم من أين له أن لفظ ﷺ من صلب الرواية من لفظ الصحابي ، وما المانع أن يكون ذلك صدر ممن دونه ؟ وقد صرحوا بأنه يندب أن يصلي على النبي ﷺ ، وأن يترض عن الصحابي ولو لم يرد ذلك في الرواية» (١).

ثانياً : ما حمل من المدينة إلى مكة :

ومن أمثلته : صدر سورة براءة ، فقد ثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ أرسل علياً ليقراه على الناس في الموسم عام تسع من الهجرة (٢).

ثالثاً : ما حمل إلى الحبشة :

ومن أمثلته : سورة مريم ، ففي مسند الإمام أحمد في حديث طويل عن أم سلمة أن جعفر بن أبي طالب قرأها على النجاشي (٣).

قال السيوطي - رحمه الله - : «وينبغي أن يمثل لما حمل إلى الحبشة بسورة مريم، فقد صح أن جعفر بن أبي طالب قرأها على النجاشي» (٤).

رابعاً : ما حمل إلى الروم :

ومن أمثلته : قوله تعالى : ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ الآية (٥)، ففي صحيح البخاري أن النبي ﷺ كتب هذه الآية إلى هرقل ملك الروم (٦).

(١) المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٢) انظر : صحيح البخاري مع الفتح (١٦٨/٨) برقم (٤٦٥٦) ، كتاب التفسير ، باب ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ الآية .

(٣) المسند (١/٢٥٠-٢٥٢) برقم (١٧٣٩) طبعة المكتب الإسلامي المرقمة ، وإسناده صحيح .

(٤) الإتيقان (١/٥٥) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية (٦٤) .

(٦) انظر : صحيح البخاري (١/٤٢-٤٤) برقم (٦) كتاب بدء الوحي .

الباب الثاني:

تحرير القول في السور

وفيه تمهيد وثلاثة فصول:

الفصل الأول: السور المتفق على مكيتها

الفصل الثاني: السور المتفق على مدنياتها

الفصل الثالث: السور المختلف فيها

التمهيد :

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: تعريف السورة لغة واصطلاحاً

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف السورة لغة.

المطلب الثاني: تعريف السورة اصطلاحاً.

المطلب الأول: تعريف السورة لغة

يقتضي المنهج العلمي في البحث أن نوضح القضايا التي لها صلة قوية بالباب، كتوضيح معنى السورة لغة واصطلاحاً، فأقول: اختلف اللغويون في معنى السورة لغة؛ ويرجع هذا الاختلاف إلى اختلافهم في أصل مأخذ كلمة «السورة»، وهل هي مهموزة أم أنها غير مهموزة؟ فمن همزها جعل أصلها من «أسارت» أي أفصلت من السؤر، وهو ما بقي من الشراب في الإناء، ويقال: ما بقي من المال، وحذفت همزتها تخفيفاً^(١).

ومنه قول الأخطل^(٢):

وشارب مريح بالكأس نادمني لا بالحضور ولا فيها بسأر^(٣)
ومن لم يهمز يرى أنها مأخوذة من سور المدينة لإحاطتها بآياتها
إحاطة السور بالبنيان.

وقيل مأخوذة من السورة وهي المرتبة والمنزلة^(٤).

(١) انظر: تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، (ص: ٣٤)، المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، (ص: ٤٣٤)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي: (٢٦٧/٢)، لسان العرب: (٣٣٩/٤ - ٣٤٠).

(٢) هو غياث بن غوث التغلبي النصراني الشاعر، مات قبل موت الفرزدق بسنوات، والفرزدق مات سنة عشر. ترجمته: الشعر والشعراء، لابن قتيبة، (ص: ٣٩٣)، طبقات فحول الشعراء، للجمحي: (٤٥١/١).

(٣) ديوان الأخطل، (ص: ١٤١).

(٤) انظر: تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، (ص: ٣٤)، المفردات للراغب (ص: ٤٣٣ - ٤٣٤)، عمدة الحفاظ (ص/٢٦٧)، لسان العرب (٣٨٦/٤ - ٣٨٧).

ومنه قول النابغة الذبياني^(١) لنعمان بن المنذر:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب^(٢)

هذا وقد رجع الإمام النووي - رحمه الله - لغة ترك الهمز، فقد قال ما

نصه: « في السورة لغتان: الهمز، وتركه، والترك أفصح، وهو الذي جاء

به القرآن »^(٣).

(١) هو زياد بن معاوية بن ضباب، من أشهر شعراء العرب، وقد اشتهر شعره في سياسة القبيلة ومدح السلاطين.

ترجمته: طبقات فحول الشعراء للحمحي (١/٥٦).

(٢) ديوان النابغة الذبياني (ص: ١٨).

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي (ص: ١٧١).

المطلب الثاني: تعريف السورة اصطلاحاً

حاول العلماء أن يضعوا تعريفاً للسورة بحيث يتميز هذا المصطلح عن غيره من المصطلحات القرآنية، وقد تعددت عبارات أهل العلم في تعريف السورة وإن كان مضمونها واحداً.

وبما أن مضمون هذه العبارات واحد لنختار ثلاثة تعاريف تغنينا عن بقية التعاريف.

أ- عرّفها السمين الحلبي ^(١) بقوله: « السورة من القرآن: القطعة منه المفتحة بالبسمة المختمة بخاتمتها » ^(٢).

ب- وعرّفها الجعبري بقوله: « حدّ السورة قرآن يشتمل على آي ذوات فاتحة وخاتمة، وأقلّها ثلاث آيات » ^(٣).

ج- وقال الكافيجي ^(٤) - رحمه الله - في تعريف السورة: « السورة هي الطائفة المترجمة توقيفا، أي: المسماة باسم خاص » ^(٥).

(١) هو أحمد بن يوسف بن محمد شهاب الدين، المعروف بالسمين الحلبي، صنف الدر المصون، وعمدة الحفاظ، توفي - رحمه الله - سنة (٧٥٦ هـ).

ترجمته: بغية الوعاة: (٤٠٢/١)، طبقات المفسرين، للداودي (١٠١/١-١٠٢).

(٢) عمدة الحفاظ: (٢٦٧/٢).

(٣) البرهان، للزركشي: (٢٦٤/١). ولم أجد هذا التعريف في كتاب المفرد في معرفة العدد للجعبري، ولعله ضمن القسم الساقط من المخطوط، والله أعلم.

(٤) هو الإمام محيي الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود المشهور بالكافيجي، صنف حاشية على تفسير البيضاوي، والتيسير في قواعد علم التفسير، توفي - رحمه الله - سنة (٨٧٩ هـ).

ترجمته: الضوء اللامع: (٢٥٩/٧-٢٦١)، البدر الطالع: (١٧١/٢).

هذا وقد قام الباحث ناصر المطرودي بدراسة مسهبة عن حياة الإمام الكافيجي الشخصية والعلمية ضمن رسالته التي نال بها درجة الماجستير، والتي بعنوان: التيسير في قواعد علم التفسير، للكافيجي، تحقيق ودراسة، وقد قامت مكتبة دار القلم بدمشق بنشر هذه الرسالة.

(٥) التيسير في قواعد علم التفسير، (ص: ١٦٧).

المبحث الثاني: حكم ترتيب سور القرآن

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ترتيب سور القرآن من حيث توقيفه

وعدم توقيفه

المطلب الثاني: هل من الممكن أن تُرتَّب سور القرآن

حسب نزولها؟

المطلب الأول:

ترتيب سور القرآن من حيث توقيفه وعدم توقيفه

توطئة:

تعددت أقوال أهل العلم في حكم ترتيب سور القرآن: هل هو توقيفي أم أنه اجتهادي؟ أم أن الخلاف في ذلك خلاف لفظي؟ ومن خلال استقراي لهذه الأقوال استطعت أن أحصرها في أربعة أقوال، وفيما يلي ذكر كل قول مع أدلته:

القول الأول: أن ترتيب سور القرآن توقيفي من النبي ﷺ، فلم توضع سورة في موضعها إلا بناء على أمر النبي ﷺ أو بإشارته على حسب ما فهم الصحابة من تلاوته ﷺ.

وقد ذهب إلى هذا جلة من العلماء، منهم أبو جعفر النحاس^(١)، وابن الأنباري^(٢)، والكرماني^(٣)، وابن الحصار^(٤)،

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ، للنحاس: (٢/٤٠٠-٤٠٢).

(٢) انظر: التذكار في أفضل الأذكار، للقرطبي، (ص: ٣٠-٣١)، ومقدمة تفسير القرطبي: (٦٠/١).

(٣) ينظر: البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، للكرماني: (٤ ق/أ). والكرماني: هو تاج القراء محمود بن حمزة الكرماني، صنف البرهان، وشرح الغاية لابن مهران، توفي - رحمه الله - سنة ٥٠٥ هـ.

ترجمته: غاية النهاية، لابن الجزري: (١/٢٩١)، طبقات المفسرين، للدาวودي: (٤/٣١٢-٣١٣)، هذا وقد طبع كتاب الكرماني المذكور خطأ باسم: أسرار التكرار في القرآن، بتحقيق عبد القادر أحمد عطا، ونشرته دار الاعتصام، كما حققه أيضا الدكتور ناصر بن سليمان العمر ونال به درجة الماجستير من جامعة الإمام.

(٤) ينظر: الإتيقان: (١/١٩٤).

والطبيبي^(١)، والقاضي الباقلاني في أحد قوليه^(٢).

أدلة هذا القول:

استدل أصحاب هذا القول بعدة أدلة، وهي:

الدليل الأول: الآثار الواردة الدالة على التوقيف، منها:

أ- ما أخرجه الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: « في بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي »^(٣).
وجه الاستدلال: أن ابن مسعود رضي الله عنه ذكر هذه السور نسقاً كما هي مرتبة في المصحف.

ب- ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده من طريق عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفي عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي عن جده أوس بن حذيفة قال: « كنت في الوفد الذين أتوا رسول الله ﷺ أسلموا من ثقيف... قلنا: ما أمكثك عنا يا رسول الله قال: « طرأ عني حزب من القرآن فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه » ، فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ حين أصبحنا، قال: قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ست سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة سورة، وثلاث

(١) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: (٢/١ ق/أ).

والطبيبي هو الحسين بن عبد الله بن محمد، صنف التبيان في المعاني والبيان والبدیع، وحاشية الكشف المسمى «فتوح الغيب»، توفي - رحمه الله - سنة ٧٤٣ هـ.

ترجمته: الدرر الكامنة: (١٥٦-١٥٧)، البدر الطالع: (٢٢٩/١).

(٢) انظر: الانتصار (٤/١ ق/ب).

(٣) انظر تخريجه (ص: ١٢٢).

عشرة سورة، وحزب المفصل من ق حتى تختم^(١).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بعد أن أورد هذا الحديث: «فهذا الحديث يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان في عهد النبي ﷺ، ويحتمل أن الذي كان مرتباً حينئذ حزب من المفصل خاصة بخلاف ما عداه»^(٢).

الدليل الثاني: أن الصحابة - رضي الله عنهم - أجمعوا على ترتيب المصحف الذي كتب في عهد عثمان - رضي الله عنه - ولم يخالف في ذلك أحد، فلو لم يكن الأمر توقيفياً لحصل من أصحاب المصاحف الأخرى المخالفة في الترتيب، ولكن عدولهم عنها وعن ترتيبها بل وإحراقها دليل على أن الأمر ليس للرأي فيه مجال^(٣).

الدليل الثالث: أن مما يدل على التوقيف كون الحواميم رتبت متتابعةً، ولم ترتب المسبحات كذلك، بل فصل بين سورها بالمجادلة، والملتحنة، والمنافقون، فلو كان الترتيب اجتهادياً لما حصل الفرق بين التماثلات من السور^(٤).

الدليل الرابع: أن ترتيب سور القرآن لو كان اجتهادياً لما تأخرت السور المكية وهي من أوائل القرآن نزولاً، وتقدمت السور المدنية وهي

-
- (١) المسند: (٤٦٤/٤)، برقم (١٨٩٧٣) طبعة المكتب الإسلامي المرقمة، وإسناده حسن.
- والحديث أخرجه ابن ماجه في سننه: (٤٢٧/١)، برقم (١٣٤٥) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في كم يستحب يختم القرآن، والخطابي في غريب الحديث: (٤٥٢/٢).
- (٢) الفتح: (٦٥٨/٨).
- (٣) ينظر: مناهل العرفان، للزرقاني: (٣٥٤/١)، المدخل لدراسة القرآن الكريم، لأبي شهبه، (ص: ٣٣٠)، مدخل إلى علوم القرآن والتفسير، للدكتور فاروق حمادة، (ص ١١٥).
- (٤) ينظر: مناهل العرفان: (٣٥٥/١)، والمدخل، لأبي شهبه، (ص: ٣٣١).

من أواخرها نزولاً، فعلم بهذا أن هذا الأمر لا يهتدى إليه بعقل دون أن يكون له توقيفٌ من (١).

القول الثاني: أن ترتيب سور القرآن اجتهادي من الصحابة -رضوان الله عليهم، وقد نسب هذا القول إلى جمهور أهل العلم (٢).

أدلة هذا القول:

الدليل الأول: ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده من طريق يزيد الفارسي عن ابن عباس، وفيه قول عثمان بن عفان -رضي الله عنه-: «وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة، وبراءة من آخر القرآن، فكانت قصتها شبيهة بقصتها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، وظننت أنها منها فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطرا: بسم الله الرحمن الرحيم، قال ابن جعفر: ووضعها في الطوال» (٣).

الدليل الثاني: اختلاف الصحابة في ترتيب المصحف، فلو كان توقيفاً لما اختلفوا في ذلك، وفي هذا يقول السيوطي -رحمه الله-: «ومما استدل به لذلك -أي اجتهاد الترتيب- اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور، فمنهم من رتبها على النزول، وهو مصحف علي، كان أوله اقرأ ثم المدثر ثم ن ثم المزمل ثم تبت، ثم التكوير، وهكذا إلى آخر المكي والمدني. وكان أول مصحف ابن مسعود البقرة ثم النساء ثم آل عمران

(١) ينظر: مقدمتان في علوم القرآن -مقدمة صاحب المباني- (ص ٦٢).

(٢) انظر: البرهان في ترتيب سور القرآن، لابن الزبير الغرناطي، (ص ١٨٢)، البرهان،

للزركشي: (٢٥٧/١)، الفتح: (٦٥٥/٨)، الإتيان: (١٩٤/١).

(٣) سيأتي ذكر نص هذا الأثر كاملاً مع تخريجه والحكم عليه عند ذكر الروايات الدالة على مدنية سورة الأنفال.

على اختلاف شديد، وكذا مصحف أبيّ وغيره» (١).

القول الثالث: أنّ ترتيب بعض السور توقيفي، والبعض الآخر باجتهاد الصحابة، وقد ذهب إلى هذا بعض أهل العلم، واختلفوا في تحديد القسم الاجتهادي.

قال البيهقي - رحمه الله - بعد أن ذكر حفظ بعض الصحابة القرآن الكريم: «قال أهل العلم: إلا أنّ سورة براءة كانت من آخر ما نزل من القرآن، ولم يبين رسول الله ﷺ موضعها من التأليف، حتى خرج من الدنيا، وكانت قصتها شبيهة بالأنفال فقرنتها الصحابة بالأنفال، وبيان ذلك في حديث ابن عباس» (٢).

وقال السيوطي - رحمه الله -: «والذي ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي، وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة والأنفال» (٣).
وقال ابن عطية - رحمه الله -: «وظاهر الآثار أن السبع الطوال، والحواميم، والمفصل كان مرتبا في زمن النبي ﷺ، وكان في السور ما لم يرتب، فذاك هو الذي رتب وقت الكتب» (٤).

(١) الإتيان: (١٩٥/١).

(٢) دلائل النبوة: (١٥٢/٧).

عزا السيوطي - رحمه الله - نص البيهقي السابق إلى كتاب «المدخل إلى دلائل النبوة» للبيهقي، ولعله من طغيان القلم، فقد رجعت إلى المدخل - وهو مطبوع مع دلائل النبوة - فلم أجد شيئا من إحالته.
انظر: الإتيان (١٩٦/١).

هذا وتوجد في مكتبة الجامعة الإسلامية صورة من مخطوطة المدخل: (٧ ق) برقم (١٣٣) عن الأصل المحفوظ بالمكتبة الأحمدية بحلب.

(٣) الإتيان (١٩٨/١).

(٤) مقدمة ابن عطية - ضمن مقدمتان في علوم القرآن (ص: ٢٧٥).

ويقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: «...وترتيب بعض السور على بعض أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفياً، وإن كان بعضه من اجتهاد الصحابة»^(١).

أدلة هذا القول:

استدل أصحاب هذا القول على توقيفية بعض سور القرآن بما ورد من أدلة دالة على التوقيف، وقد سبق أن ذكرنا تلك الأدلة مفصلة^(٢). كما استدلو بأن بعض ترتيب سور القرآن كان باجتهاد الصحابة بنفس الأدلة التي استدل بها أصحاب القول الثاني^(٣).

القول الرابع: أن الخلاف الواقع بين أهل العلم حول ترتيب سور القرآن خلاف لفظي، وليس خلافاً جوهرياً، وقد قرّر هذا المذهب كل من أبي جعفر بن الزبير في كتابه «البرهان في ترتيب سور القرآن»^(٤)، والزرکشي في كتابه «البرهان في علوم القرآن»^(٥).

القول الراجح:

يبدو - والعلم عند الله تعالى - أن القول بتوقيف ترتيب سور القرآن هو أصوب هذه الأقوال، وذلك للأسباب التالية:
أولاً: أن النصوص قد دلت كما سبق على ترتيب بعض سور القرآن، وهذا لا يعني أن باقي السور لم تكن معلومة الترتيب،

(١) الفتح (٦٥٨/٨).

(٢) انظر (ص: ٢٣٨-٢٣٩).

(٣) انظر ص: ٢٤٠.

(٤) انظر: (ص ١٨٣).

(٥) انظر: (٢٥٧/١).

ومن ثم رتب بطريق الاجتهاد.

ثانياً: أن ما ذكره القائلون باجتهاد ترتيب سور القرآن من اختلاف ترتيب مصاحف بعض الصحابة لا يصلح أن يكون دليلاً على ما ذهبوا إليه، فقد يكون اختلافهم قبل علمهم بالتوقيف، فلما بلغهم ذلك رجعوا عن ترتيب مصاحفهم، ولا شك أن الأمر لو كان اجتهادياً لتمسكوا بها، ولما وافقوا في ترتيب مصحف عثمان، لأنه ليس للمجتهد أن يقلد مجتهداً آخر كما هو مقرر عند الأصوليين^(١).

ثالثاً: أن الحديث الوحيد الذي هو عمدة القائلين بالاجتهاد حديث لا تقوم به حجة، كما سيأتي تفصيل الحكم عليه؛ إذ هو مردود سنداً ومتناً، فكيف يعتمد مثل هذا في القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولقد أحسن الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - حينما قال مشيراً إلى يزيد الفارسي: «فمثل هذا الرجل لا يصلح أن تكون روايته التي انفرد بها مما يؤخذ به في ترتيب القرآن المتواتر»^(٢).

رابعاً: مما هو معلوم أن النبي ﷺ كان يختم قراءة القرآن، وكان يتعهد الصحابة في ذلك، ففي صحيح البخاري بسنده عن عبد الله بن عمرو، وفيه: «... فقال: كيف تصوم؟ قلت: أصوم كل يوم. قال: وكيف تختم القرآن؟ قلت: كل ليلة، قال: صم في كل شهر ثلاثة،

(١) انظر: منهج الفرقان في علوم القرآن، للشيخ محمد علي سلامة، (ص ١٣٢).
وللتوسع انظر القاعدة الأصولية المذكورة في: «البحر المحيط» للزركشي (٢٧٣/٦)،
وشرح الكوكب المنير (٥١٥/٤-٥١٦).
(٢) تفسير المنار (٥٨٥/٩).

واقراً القرآن في كل شهر...»(١).

والشاهد أنه كيف كانوا يختمون القرآن بدون ترتيب؟

وثبت أيضاً في الصحيح أن النبي ﷺ كان يدرس القرآن مع جبريل عليه السلام في كل رمضان، ففي البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان يعتكف في كل عام عشراً، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه»(٢).

والشاهد هل من الممكن أن نقول: إن هذه المعارضة كانت غير مرتبة؟ يقول تاج القراء برهان الدين الكرمانى في كتابه «البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان» ما نصه: «أول القرآن سورة الفاتحة، ثم البقرة، ثم آل عمران، على هذا الترتيب إلى سورة الناس، وهكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ، وهو على هذا الترتيب كان يعرض عليه الصلاة والسلام على جبريل عليه السلام كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرض عليه الصلاة والسلام في السنة التي توفي فيها مرتين»(٣).

خامساً: أن القرآن الكريم كما هو معجز بفصاحة ألفاظه ومعانيه كذلك هو معجز أيضاً بترتيب سورته وآياته، ومن هنا فإن القول باجتهاد ترتيب السور لاشك أنه يفتح مجالاً للتشكيك والطعن على هذا الكتاب من قبل أعدائه.

(١) صحيح البخاري - مع الفتح -: (٧١١/٨ - ٧١٢)، برقم (٥٠٥٢)، كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن.

(٢) صحيح البخاري - مع الفتح -: (٦٥٩/٨)، برقم (٤٩٩٨)، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ.

(٣) البرهان، للكرمانى (٤ ق/أ).

قال أبو جعفر النحاس - رحمه الله -: «... لأن تأليف القرآن من إعجازه، ولو كان التأليف عن غير الله - جلّ وعزّ - ورسول الله ﷺ - لسعد بعض الملحدين على طعنهم»^(١).

هذا كان استعراضاً موجزاً لما يتعلق بترتيب سور القرآن من حيث توقيفه أو اجتهاده، وسنعرض الآن أمراً آخر وهو بأمر الحاجة إلى الوقوف معه وقفة، وقد ألححت إليه عند حديثي عن «فوائد معرفة المكي والمدني»، ألا وهو:

إمكانية ترتيب القرآن حسب نزوله.

(١) الناسخ والمنسوخ، للنحاس (٤٠٤/٢).

المطلب الثاني:

هل من الممكن أن ترتب سور القرآن حسب نزولها؟

إن فكرة إعادة النص القرآني حسب نزوله فكرة تبناها كثير من المستشرقين وتحمسوا لها، وكان غرضهم في ذلك التشكيك في سلامة النص القرآني، فها هو المستشرق الفرنسي «بلاشير»^(١) يقول في معرض تقويمه لأعمال المستشرقين في دراسة القرآن: «اهتم بعض المؤرخين من علماء الإسلاميات أمثال «هوير، ونولدكي» بالاهتداء إلى التعاقب التاريخي في هذا المصحف للمنزلات التي نقلها محمد...، لكن نولدكي ونخبة من علماء الإسلاميات الألمان قد نجحوا في تحديد طريقة أخرى للبحث بفضل معالجتهم الجديدة للمسألة بكاملها في «تاريخ القرآن» الذي ظهر من سنة ١٩١٩ م إلى ١٩٣٨ م.

لقد تنازل هؤلاء العلماء عن مطمحهم للاهتداء إلى تسلسل النصوص القرآنية لا لبس فيه، فنجحوا في إعادة جمع هذه النصوص وفقاً لمراحل متعاقبة حدودها بحسب الأسلوب من جهة، وبحسب الموضوعات السياسية والدينية الموسعة في القرآن من جهة أخرى.

وقد أبقى الجمع الجديد للنصوص على التقسيم العام الذي كرسه

(١) ريجي بلاشير مستشرق فرنسي درس الثانوية والدراسة الجامعية في المغرب، ثم حصل على الدكتوراه من جامعة باريس سنة ١٩٣٦ م، وكان أستاذاً لكرسي اللغة والأدب العربي في «السوربون» حين تقاعد سنة ١٩٧٠ م.

ملخصاً عن كتاب: موسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي (ص: ٨٢).

المؤلفون الإسلاميون العرب إلى آيات مكية وآيات مدنية»^(١).

وقد تأثر بهذه الطريقة في ترتيب نصوص القرآن بعض الباحثين المسلمين بحجة أنها أمثل طريقة لفهم نصوص التنزيل، منهم الأستاذ محمد عزة دروزة^(٢) الذي ألف تفسيراً كاملاً بهذه الطريقة سماه «التفسير الحديث»، فيقول في مقدمة تفسيره موضحاً هدف هذه الطريقة: «إن هذه الطريقة تفيد القارئ في تتبع سور التنزيل القرآني مرحلة فمرحلة، والاستشعار بجو هذه السور حيث يكون هذا الترتيب أدعى إلى تفهم القرآن وحكمة التنزيل، كما أنه يتسق مع المنهج الذي أعتقده الأفضل لفهم القرآن وخدمته، إذ بذلك يمكن متابعة السيرة النبوية زمنياً بعد زمن، كما يمكن متابعة أطوار التنزيل ومراحلها بشكل أوضح وأدق، وبهذا وذاك يندمج القارئ في جو نزول القرآن وظروفه ومناسباته ومداه ومفهوماته، وتتجلى له حكمة التنزيل»^(٣).

ومن هؤلاء الذين هم من أبناء جلدتنا المتأثرين بهذه الفكرة المدعو يوسف الراشد الذي تقدم برسالة إلى وزارة العدل المصرية وعنوانها: «رتبوا القرآن كما أنزله الله» .

(١) القرآن: نزوله، تدوينه، ترجمته، تأثيره، لبلاشير، ترجمة الدكتور رضا سعادة (ص: ٢٦).
(٢) من مواليد نابلس بفلسطين إلا أنه أقام في دمشق فترة طويلة حتى أخذ الجنسية السورية، له مؤلفات عديدة، منها: التفسير الحديث، والدستور القرآني في شئون الحياة.
ترجمته: المؤلف له ترجمة في نهاية تفسيره، انظر: التفسير الحديث، (٢٨٠/١٢-٢٨٦).
كما قام الدكتور فريد مصطفى سليمان بدراسة ضافية عن حياة المؤلف الشخصية والعلمية ضمن رسالته التي نال بها درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر، والتي كانت بعنوان: محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم، والرسالة منشورة عن مكتبة الرشد بالرياض انظر (ص ٦٠-٣٣).

(٣) مقدمة التفسير الحديث (٨/١).

وقد كتب الدكتور محمد عبد الله دراز^(١) تقريراً عن هذه الرسالة رفعه إلى إدارة الأزهر ونص التقرير منشور في مجلة كنوز الفرقان^(٢) ، ومهما كانت التبريرات لإعادة ترتيب سور القرآن حسب نزولها فهي دعوى مردودة قطعاً لأسباب عديدة، وأستحسن أن أنقل هنا حجج الدكتور محمد عبد الله دراز لرفضه ترتيب سور القرآن حسب نزولها وقد رفعها ضمن تقريره إلى إدارة الأزهر، يقول دراز:

أولاً: إن ترتيب السور توقيفي على ما يقرره جمهور العلماء، ولم يخالف سني ولا شيعي في التزام هذا الوضع الذي كان عليه المصحف من أول يوم.

ثانياً: إن احترام قدسية الوضع المأثور يقضي بالمحافظة على النسق القائم الآن في الآيات والسور جميعاً، وإن فكرة ترتيب المصحف على حسب النزول كانت تقضي بتغيير الوضع في السور والآيات جميعاً بل هي في الآيات كانت أشدّ اقتضاء ومع ذلك فقد خولفت.

(١) ولد الدكتور دراز عام ١٨٩٤م، وحصل على الشهادة الثانوية الأزهرية في عام ١٩١٢م، وعلى الشهادة العالية في عام ١٩١٦م، ثم سافر إلى فرنسا في بعثة أزهرية واشتغل بالتحضير لدرجة الدكتوراه فكتب رسالته المشهورة «دستور الأخلاق في القرآن»، توفي الدكتور -رحمه الله- أثناء انعقاد مؤتمر إسلامي في مدينة لاهور في باكستان عام ١٩٥٨م.

ملخصاً من تقديم الناشر لكتاب «النبا العظيم»، فقد ترجم للمؤلف تحت عنوان «محبة عن حياة المؤلف». انظر: (ص: ٦).

وانظر أيضاً: الأعلام (٦/٢٤٦)، والدراسات القرآنية المعاصرة، لمحمد عبد العزيز السديس (ص: ٥٢٧-٥٢٨).

(٢) انظر العدد أكتوبر ونوفمبر عام ١٩٥١م، وقد كانت المجلة تصدر عن الاتحاد العام للقراء برئاسة الشيخ علي الضباع شيخ المقارئ بالديار المصرية، يرحمه الله.

ثالثاً: إن تغيير الترتيب يفتح مجال الشبهة أمام العصور المقبلة فيقول قائل منهم: إنه لم يبق لنا ثقة بأن هذا الكتاب بقي في كل العصور بعيداً عن كل تبديل، لأنه في عصر ما غيرت أوضاع السور فيه، فلعله قد أصابته قبل ذلك تعديلات أخرى لم تصل إلينا أنباؤها.

رابعاً: إن هذه الدعوى خارقة لإجماع المسلمين، ويحرف بها الكلم عن مواضعه التي وضعها الله فيها، ولن يكون من ورائها إلا إفساد النسق وتشويه جماله.

خامساً: إن فتح إعادة ترتيب السور حسب نزولها قد يؤدي إلى فتح باب آخر أشد خطراً على كتاب الله العزيز، فيغري بعض المتطفلين على القرآن، فيطالبون بإعادة ترتيب الآيات حسب نزولها، وفي ذلك من التحريف والتشويه لنظم القرآن، وإفساد لحسن ترتيبه ورصف آياته وكلماته ما لا يقول به إلا جاهل ببيان القرآن وإعجازه، أو ماكر يريد أن يأتي على بنيان الإسلام من أركانه^(١).

وأختم هذا العرض الموجز في مدى إمكانية ترتيب سور القرآن حسب نزولها بما قاله ابن الأنباري - رحمه الله - في كتابه «الرد على من خالف مصحف عثمان» حيث قال: «إن الله تعالى أنزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا، ثم فرق على النبي ﷺ في عشرين سنة، وكانت السورة تنزل في أمر يحدث والآية جواباً لمستخبر يسأل، ويوقف جبريل رسول الله ﷺ على موضع السورة والآية، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف، فكله عن محمد خاتم النبيين ﷺ عن رب العالمين، فمن آخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة فهو كمن أفسد نظم الآيات وغير الحروف

(١) مجلة كنوز الفرقان، العدد أكتوبر ونوفمبر عام ١٩٥١ م.

والكلمات، ولا حجة على أهل الحق في تقديم البقرة على الأنعام، والأنعام نزلت قبل البقرة، لأن رسول الله ﷺ أخذ عنه هذا الترتيب وهو كان يقول: «ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن»، وكان جبريل عليه السلام يقف على مكان الآيات»^(١).

وقبل أن أودع هذا المطلب أحببت أن أورد هنا إتماماً للفائدة فتويين للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء حول ترتيب سور القرآن حسب نزولها:

الفتوى الأولى/ فتوى رقم (٤٤٩٧) :

س: «سمعت بعض الناس يتحدث عن جمع القرآن ويقول: إنه يجمع حسب ترتيب النزول، والجمع الموجود حالياً هو عمل الخليفة أبي بكر رضي الله عنه، فهل يجوز أن يجمع القرآن حسب ترتيب نزوله، وما حكم الجمع الموجود حالياً في المصحف؟»

ج- «يجب الوقوف في ترتيب القرآن في سورة وآياته على ما هو موجود عليه الآن، ولا يجوز لأحد التعدي عليه بتغيير ترتيبه، وقد تلقى الصحابة ترتيب آياته عن رسول الله ﷺ وأجمعوا عليه، وهو ترتيب بنص الرسول ﷺ، وترتيب سورة باجتهاد الصحابة رضي الله عنهم، ونصح القارئ بتعلمه وكثرة تلاوته وتدبره...»^(٢).

(١) مقدمة تفسير القرطبي (٦٠/١)، وانظر أيضاً: الإتيان (١٩٥/١)، وكتاب «الرد على من خالف مصحف عثمان» لابن الأنباري من الكتب المفقودة التي لا يعلم لها وجود إلى الآن، ونقولات القرطبي عنه كثيرة من خلال كتابيه: الجامع لأحكام القرآن، والتذكار في الأفضل الأذكار.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء- التفسير- (٩/٤-٨)، السؤال الخامس من الفتوى رقم (٤٤٩٧).

وَقَعَ عَلَى الْفَتَاى كُلِّ مَنْ: سَمَاحَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَازٍ، وَفَضِيلَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّزَاقِ عَفِيفِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - ، وَفَضِيلَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَدِيَّانٍ، وَفَضِيلَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَعُودٍ.

الْفَتَاى الثَّانِيَّةُ: فَتَاى رَقْم (٤٧٣٥):

س: «طَيَّا نَسْخَةً مِنْ جِزْءِ عَمِّ الْمَهْمَشِ بِمَعَانِي الْكَلِمَاتِ الصَّعْبَةِ، وَلَقَدْ لَاحِظْتُ أَنَّ الْجِزْءَ الْمَذْكُورَ قَدْ رَتَبْتَ السُّورَ فِيهِ بِشَكْلِ عَكْسِي ابْتِدَاءً بِسُورَةِ النَّاسِ، وَانْتِهَاءً بِسُورَةِ عَمِّ، إِنِّى أَرْجُو التَّكْرِمَ بِإِفَادَتِنَا هَلْ يَصِحُّ هَذَا التَّرْتِيبُ، وَهَلْ تَرْتِيبُ سُورِ الْقُرْآنِ مَوْقُوفَةٌ حَسَبَ مَا وَرَدَتْ أَمْ لَا؟» (١)

ج: «يَجِبُ التَّرْتِيبُ لِسُورِ الْقُرْآنِ كَمَا فِي الْمَصْحَفِ الْعُثْمَانِيِّ، فَالْجِزْءُ الْأَخِيرُ يَبْدَأُ بِسُورَةِ عَمِّ وَيَنْتَهِي بِسُورَةِ النَّاسِ» (٢).

وَقَعَ عَلَى هَذِهِ الْفَتَاى كَذَلِكَ سَمَاحَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَازٍ، وَفَضِيلَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّزَاقِ عَفِيفِي - رَحِمَهُ اللَّهُ -، وَفَضِيلَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَدِيَّانٍ، وَفَضِيلَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَعُودٍ.

(١) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ (٩/٤)، السُّؤَالُ الْأَوَّلُ مِنَ الْفَتَاى رَقْم (٤٧٣٥).

(٢) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ (٩/٤).

المبحث الثالث

دراسة عن أسانيد الروايات التي تتكرر في هذا الباب

وقبل أن أبدأ الحديث عن السور أحب أن أذكر بين يدي ذلك دراسة وافية لأسانيد الروايات التي تتكرر في طول هذا الباب - أعني تحرير القول في السور - والتي تتعلق بروايات المكي والمدني فحسب ، هذا وإن الدافع إلى اختيار هذه الطريقة يرجع إلى ثلاثة أسباب :

أولاً : أن هذه الروايات كلها روايات تتعلق بترتيب السور المكية والمدنية فرأيت أن من المفيد والمستحسن جَمْعُهَا في مكان واحد تيسيراً على القارئ ، حيث إن الرواية ترد في مواضع متعددة من هذا الباب ، فلو ذكرنا حكمها وتخريجها في أول موضع كما يفعله بعض الباحثين ، فسوف نضطر - بلا شك - إذا وجدناها في مواضع أخرى للرجوع إلى الموضع الأول ، فجمعها في مكان واحد يختصر هاتين الخطوتين إلى خطوة واحدة .

ثانياً : أن هذه الطريقة تفيدنا عند إجراء المقارنة بين تلك الروايات ؛ فقد يذكر أحدهم الترتيب المكي والمدني معاً ، وقد يكتفي الآخر بذكر المدني لقلته بالنسبة للمكي^(١).

ثالثاً : أن هذا الصنيع هو صنيع بعض أهل العلم ، فقد كانوا يذكرون

(١) سيأتي بعد دراسة الروايات جدول فيه توضيح مدى الموافقة والمخالفة بين هذه الروايات في تعيين السور المكية والمدنية .

أسانيدهم مجتمعة في مقدمة مؤلفاتهم ، فهذا هو البغوي - رحمه الله - يقول في مقدمة تفسيره بعد أن أورد الأسانيد المتكررة في تفسيره : « فهذه أسانيد أكثرها نقلتها عن هؤلاء الأئمة وهي مسموعة من طرق سواها تركت ذكرها حذراً من الإطالة ، وربما حكيت عنهم وعن غيرهم من الصحابة أو التابعين قولاً سمعته بغير هذه الأسانيد ، بل أذكر أسانيد بعضها في موضعه من الكتاب إن شاء الله تعالى » (١).

وهاهي الأسانيد بين يديك مرتبة ترتيباً زمنياً حسب وفاة مخرجيها .

١ - إسناده رواية الزهري « تنزيل القرآن بمكة والمدينة » :

قال أبو عبد الرحمن محمد بن حسين بن محمد السلمي حدثنا إبراهيم بن حسين بن علي الهمداني حدثنا أبو يزيد الهذلي ، ثنا الوليد بن محمد الموقري قال : حدثنا محمد بن مسلم الزهري ، قال : « هذا كتاب تنزيل القرآن ، وما شاء الله تعالى أن يعلم الناس ما أنزل بمكة ، وما أنزل بالمدينة » ، ثم بدأ الزهري - رحمه الله - يعدد السور المكية والمدنية (٢).

دراسة الإسناد :

أبو عبد الرحمن محمد بن حسين بن محمد السلمي : من شيوخ الصوفية وصاحب كتاب « حقائق التفسير » .

(١) مقدمة معالم التنزيل (٣٧/١) ، ومن سلك هذا المسلك في ذكر الأسانيد ابن أبي حاتم في تفسيره . انظر القسم المطبوع (٩/١-١٠) ، والواحد في مقدمة البسيط (٣٢/١-٣٢/٢) ، والحافظ ابن حجر في العجائب في بيان الأسباب (٤/١-٤/٢) .

(٢) انظر : تنزيل القرآن للزهري (ص : ٢٣-٣٠) .

ذكر البغدادي - رحمه الله - أن محمد بن يوسف القطان قال له : « كان أبو عبد الرحمن السلمي غير ثقة ، وكان يضع للصوفية الأحاديث » (١).

وقال الذهبي - رحمه الله - : « وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديث وحكايات موضوعة ، وفي « حقائق التفسير » أشياء لا تسوغ أصلاً ، عدّها بعض الأئمة من زندقة الباطنية ، وعدّها بعضهم عرفاناً وحقيقة ، نعوذ بالله من الضلال ومن الكلام بهوى ، فإن الخير كل الخير في متابعة السنة ، والتمسك بهدي الصحابة والتابعين رضي الله عنهم » (٢).
وقال أيضاً : « ألف حقائق التفسير ، فأتى فيه بمصائب وتأويلات الباطنية ، نسأل الله العافية » (٣) .

توفي - رحمه الله - سنة (٤١٢ هـ) (٤).

إبراهيم بن الحسين بن علي الهمداني : مشهور بابن ديزيل ، قال الحاكم (٥) : « ثقة مأمون » (٦).

(١) تاريخ بغداد (٢/٢٤٨) .

(٢) السير (١٧/٢٥٢) .

(٣) تذكرة الحفاظ (٣/١٠٤٦) .

(٤) انظر : المنتظم لابن الجوزي (٦/٨) ، السير (١٧/٢٥٢) ، البداية والنهاية (١٢/١٤) .

(٥) ستأتي ترجمته ضمن دراسة أسانيد الروايات .

(٦) بواسطة السير (١٣/١٨٦) ، والنص في تاريخ نيسابور للحاكم وهو مفقود ، وقد وصل

إلينا مختصر له بالفارسية ، اختصره أحمد بن محمد بن الحسن المشهور بالخليفة النيسابوري،

وطبع بطهران بعناية الدكتور بهمن كرمي .

وقال الذهبي : « إليه المنتهى في الإتيان » (١) .

توفي - رحمه الله - سنة (٢٨١هـ) (٢) .

أبو يزيد الهذلي : عبد الله بن محمد الهذلي ، قال عنه أبو حاتم : «
شيخ ليس بمعروف» (٣) .

الوليد بن محمد الموقري : أبو بشر البلقاوي ، ضعفه كثير من
الأئمة ، ولخص القول فيه الحافظ ابن حجر - رحمه الله - فقال : «
متروك» (٤) .

محمد بن مسلم الزهري : قال عنه الحافظ ابن حجر : « متفق على
جلالته وإتقانه » (٥) .

الحكم على الإسناد :

ضعيف جداً ، ففيه الوليد بن محمد الموقري وهو متروك .

٢ - إسناد رواية أبي عبيد في كتابه « فضائل القرآن ومعالمه

وأدبه » :

قال أبو عبيد - رحمه الله - : حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن
صالح عن علي بن أبي طلحة قال : « نزلت بالمدينة سورة البقرة ، وآل
عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال ، والتوبة ، والحج ، والنور ،

(١) السير (١٨٦/١٣) .

(٢) انظر : السير (١٩٠/١٣) ، البداية والنهاية (٧٥/١١) .

(٣) الجرح والتعديل (١٥٦/٥) .

(٤) التقريب (٣٣٥/٢) .

(٥) المصدر السابق (٢٠٧/٢) .

والأحزاب ، والذين كفروا ، والفتح ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ،
والممتحنة ، والحواريون - يريد الصف - والتغابن ، ويا أيها النبي إذا
طلقتم ، ويا أيها النبي لم تحرم ، والفجر ، والليل إذا يغشى ، إنا أنزلناه في
ليلة القدر ، ولم يكن ، وإذا زلزلت ، وإذا جاء نصر الله ، وسائر ذلك
بمكة » (١).

تراجم رجال إسناد أبي عبيد :

عبد الله بن صالح : أبو صالح المصري ، كاتب الليث ، وثقه أكثر
الأئمة ، وضعفه بعضهم ، فقد حسن أبو زرعة (٢) أحاديثه ، جاء في
أسئلة البرذعي (٣) لأبي زرعة ما نصه : « قلت : أبو صالح كاتب الليث ؟
قال : ذاك رجل حسن الحديث » (٤).

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد (ص : ٣٤٠) برقم (٧٩٦) .

والأثر أخرجه أبو عمرو الداني في البيان (ص : ١٣٤) ، وذكره ابن كثير في فضائله (ص :
١٢) ، والسيوطي في الإتقان (٣٢/١) .

(٢) هو عبد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ ، صنف المسند والتفسير ، وكلاهما
مفقودان ، توفي - رحمه الله - سنة (٢٦٤هـ) .

ترجمته : الجرح (٣٢٨/١ - ٣٤٩) ، السير (٦٥/١٣ - ٨٥) .

هذا وللدكتور سعدي الهاشمي دراسة وافية عن أبي زرعة وجهوده في السنة النبوية مع
تحقيق كتابه الضعفاء وأجوبته على أسئلة البرذعي ، وقد نشر هذه الدراسة المجلس العلمي
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(٣) هو أبو عثمان سعيد بن عمرو بن عمار البرذعي ، توفي - رحمه الله - سنة (٢٩٢هـ) .

ترجمته : السير (٧٧/١٤ - ٧٨) ، الوافي بالوفيات (١٤٧/١٣) .

(٤) أجوبة أبي زرعة على أسئلة البرذعي (٤٩٢/٢) ضمن كتاب « أبو زرعة الرازي وجهوده
في السنة النبوية » .

وساق ابن عدي (١) - رحمه الله - أحاديث عديدة تفرد بها وهي منكرة ، فقال : « كان مستقيم الحديث إلا أنه يقع في أسانيده ومتونه غلط ولا يتعمد الكذب » (٢).

وقال الذهبي - رحمه الله - : « وبكل حال فكان صدوقاً في نفسه ، من أوعية العلم ، أصابه داء شيخه ابن لهيعة ، وتهاون بنفسه حتى ضعف حديثه ، ولم يترك بحمد الله ، والأحاديث التي نَقَمَها عليه معدودة في سعة ما روى » (٣).

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « صدوق كثير الغلط ، ثبت في كتابه ، وكان فيه غفلة » (٤).

وأختتم كلام أهل العلم في أبي صالح كاتب الليث بالقول الفصل الذي ذكره الحافظ ابن حجر في « هدي الساري - مقدمة فتح الباري - حيث قال بعد أن ساق كلام الأئمة فيه : « ظاهر كلام هؤلاء الأئمة أن حديثه في الأول كان مستقيماً ثم طرأ عليه فيه تخليط ، فمقتضى ذلك أن ما يجيء من روايته عن أهل الحنق كيجيى بن معين ، والبخاري ، وأبي زرعة ، وأبي حاتم فهو من صحيح حديثه ، وما يجيء من رواية الشيوخ عنه فيتوقف فيه » (٥).

(١) هو أبو أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله بن مبارك الجرجاني ، صنف الكامل في ضعفاء الرجال ، توفي - رحمه الله - سنة (٣٦٥هـ) .

ترجمته : الإرشاد للخليلي (٧٩٤-٧٩٥) ، السير (١٥٤/٦-١٥٦) .

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (١٥٢٤/٥-١٥٢٥) .

(٣) السير (٤٠٥/١٠) .

(٤) التقريب (٤٢٣/١) .

(٥) هدي الساري - مقدمة فتح الباري - (ص : ٤٣٤) .

معاوية بن صالح : بن حدير بن سعيد الحضرمي أبو عمرو الحمصي ،
قال الذهبي - رحمه الله - : « صدوق إمام » (١) ، ووثقه في « ديوان
الضعفاء » (٢).

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في معرض ترجمته لعلي بن أبي
طلحة : « ونقل البخاري من تفسيره رواية معاوية بن صالح عنه عن ابن
عباس شيئاً كثيراً في التراجم وغيرها ، ولكنه لا يسميه ، يقول : قال ابن
عباس ، أو يذكر عن ابن عباس » (٣).

وقال الحافظ أيضاً : « صدوق له أوهام » (٤).

توفي - رحمه الله - سنة (١٥٨ هـ) .

علي بن أبي طلحة : بن سالم بن مخارق الهاشمي ، يكنى أبا الحسن .
قال أبو داود : « هو إن شاء الله مستقيم الحديث إلا أنه له رأي
سوء كان يرى السيف » (٥).

وقال ابن حجر : « صدوق يخطئ » (٦).

توفي - رحمه الله - سنة (١٤٣ هـ) .

الحكم على الإسناد :

وعلى ضوء ما قرره الحافظ ابن حجر - رحمه الله - من قبول رواية

(١) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (١٥٧/٣) .

(٢) انظر : (٣٦٧/٢) برقم (٤١٦٦) .

(٣) تهذيب التهذيب (٢١٤/٤) .

(٤) التقريب (٢٥٩/٢) .

(٥) بواسطة تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (٤٩١/٢٠) ، ولم أجده في القسم

المطبوع من سؤالات الآجري لأبي داود السجستاني .

(٦) التقريب (٣٩/٢) .

أبي صالح إذا كانت من الثقات فإن هذا الإسناد صحيح إلى علي بن أبي طلحة إذ الراوي هنا عنه أبو عبيد وهو إمام حافظ .

قال ابن حجر : « أبو عبيد الإمام المشهور ، ثقة فاضل » (١) .

وقال ابن كثير بعد أن أورد الرواية : « هذا إسناد صحيح عن ابن أبي طلحة مشهور ، وهو أحد أصحاب ابن عباس الذين رووا عنه التفسير » (٢) .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن هذه الرواية نسخة ، ولا شك أن خفة الضبط في الصدوق تزول برواية النسخة ؛ إذ العمدة في هذه الحالة هو ضبط النسخة ، وقد أثنى على هذه النسخة الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - حيث قال كما أسند عنه أبو جعفر النحاس : « بمصر كتاب التأويل عن معاوية بن صالح لو جاء رجل إلى مصر فكتبه ثم انصرف ما كانت رحلته عندي ذهبت باطلاً » (٣) .

وبمناسبة الحديث عن هذا الإسناد فمن المستحسن أن نلفت النظر إلى قضية قد كثر حولها الجدل وهو الانقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس ، والتحقيق في هذا القضية أن الواسطة بينهما معروفة ، ولأجل هذا ذهب بعض أهل العلم إلى تصحيح هذا الإسناد رغم الانقطاع الذي فيه . قال الطحاوي (٤) - رحمه الله - : « واحتملنا حديث علي بن أبي

(١) التقريب (١١٧/٢) .

(٢) فضائل القرآن لابن كثير (ص : ١٣) .

(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٤٦٢/١) .

(٤) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي الحنفي ، صنف مشكل الآثار ، ومعاني الآثار ، وغيرهما من المؤلفات النافعة ، توفي - رحمه الله - سنة (٣٢١هـ) .

ترجمته : وفيات الأعيان (٧١/١-٧٢) ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي (١٠٢/١-١٠٥) .

طلحة عن ابن عباس وإن كان لم يلقه ؛ لأنه عند أهل العلم بالأسانيد إنما أخذ الكتاب الذي فيه الأحاديث عن مجاهد وعكرمة» (١).

ويقول أبو جعفر النحاس بعد أن أخرج أثراً بهذا الإسناد : « وهو صحيح عن ابن عباس ، والذي يطعن في إسناده يقول : ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس ، وإنما أخذ التفسير عن مجاهد وعكرمة ، وهذا القول لا يوجب طعناً ، لأنه أخذه عن رجلين ثقتين ، وهو في نفسه ثقة» (٢).

وقال الخليلي (٣) - رحمه الله - : « تفسير معاوية بن صالح قاضي الأندلس عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رواه الكبار عن أبي صالح كاتب الليث عن معاوية » (٤).

هذا وقد اعتمد الإمام البخاري - رحمه الله - على هذا الطريق في صحيحه لا سيما ما يتعلق بتفسير الغريب والتراجم ، وذلك فيما يعلقه عن ابن عباس . (٥) .

وفي هذا يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في كتابه الفذ في باب « العجائب في بيان الأسباب » في معرض حديثه عن الرواة الثقات :

-
- (١) شرح مشكل الآثار للطحاوي (٢٨٣/٦) .
(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٤٦١/١-٤٦٢) .
(٣) هو أبو يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد القزويني ، صنف الإرشاد في معرفة علماء الحديث ، توفي - رحمه الله - سنة (٤٤٦هـ) . ترجمته : السير (٦٦٦/٧-٦٦٨) ، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة للكتاني (ص : ١٣٠-١٣١) .
(٤) الإرشاد في معرفة علماء الحديث (٣٩٣/١) .
(٥) انظر : هدي الساري (ص : ٤٣٤-٤٣٥) ، فقد سرد - رحمه الله - الأحاديث التي رواها الإمام البخاري في صحيحه بهذا الطريق .

« ... ومن طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وعلي صدوق ، ولم يلتق ابن عباس ، لكنه إنما حمل عن ثقات أصحابه ، فلذلك كان البخاري وأبو حاتم وغيرهما يعتمدون على هذه النسخة» (١).

وجوّد الإمام السيوطي - رحمه الله - هذا الطريق فقال : « وقد ورد عن ابن عباس في التفسير ما لا يحصى كثرة ، وفيه روايات وطرق مختلفة ، فمن جيدها طريق علي بن أبي طلحة الهاشمي عنه » (٢).
وذكر شيخنا الدكتور حكمت بشير أنه وقف على رواية فيها تصريح بأن مجاهدًا هو الواسطة عند ابن زنجويه (٣) في « الأموال » ، والنسائي في « تفسيره » (٤).

٣ - إسناد رواية الحارث بن أسد المحاسبي في كتابه « فهم القرآن »:

قال الحارث - رحمه الله - : حدثنا شريح (٥) قال : حدثنا سفيان

(١) العجّاب في بيان الأسباب (٤٤/ق-أ-ب) .

(٢) الإتيان (٢٣٠/٢) .

(٣) هو حميد بن مخلد بن قتيبة الأزدي ، صنف الأموال ، والترغيب والترهيب ، توفي - رحمه الله - سنة (٢٥١هـ) .

ترجمته : السير (١٢/١٩-٢٢) ، شذرات الذهب (١٢٤/٢) .

(٤) مقدمة التفسير الصحيح - موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور - (ص : ٥٣) ، وقارن معه الأموال لابن زنجويه (٣١٢/١) برقم (٤٧٩) ، وتفسير النسائي (٥٣١/١) برقم (٢٣١) .

(٥) هكذا ورد في « فهم القرآن » المطبوع مع كتاب العقل - وكلاهما للحارث المحاسبي - بالشين المعجمة ، وهو تصحيف ، والصواب سريج بالسين المهملة .
انظر : التقريب (٢٨٥/١) ، تهذيب التهذيب (٢٦٨/٢-٢٦٩) .

عن معمر عن قتادة ، قال : « السور المدنية : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال والتوبة ، والرعد ، والحجر ، والنحل ، والنور ، والأحزاب ، وسورة محمد ﷺ ، والفتح ، والحجرات ، والحديد ، والمجادلة ، والمتحنة ، والصف ، والجمعة ، والمنافقون ، والتغابن ، والنساء الصغرى ، ويا أيها النبي لم تحرم ، ولم يكن ، وإذا جاء نصر الله والفتح ، وقل هو الله أحد ، وهو يشك في رأيت » (١).

تراجم رجال الإسناد :

سريج : بن يونس أبو الحارث المروزي ، ثقة عابد ، توفي - رحمه الله - سنة (٢٣٥هـ) (٢).

سفيان : هو ابن عيينة ، ثقة حافظ ، توفي - رحمه الله - سنة (١٩٨هـ) (٣).

معمر : بن راشد الأزدي مولاهم ، ثقة ثبت ، توفي - رحمه الله - سنة (١٥٤هـ) (٤).

قتادة : سبقت ترجمته .

الحكم على الإسناد :

صحيح إلى قتادة ولكنه مرسل .

٤ - إسناد رواية ابن الضريس في كتابه « فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة » :

(١) فهم القرآن (ص : ٣٩٥) .

(٢) انظر : التقريب (١/٢٨٥) ، تهذيب التهذيب (٢/٢٦٨-٢٦٩) .

(٣) يراجع : التقريب (١/٣١٢) ، تهذيب التهذيب (٢/٣٥٧) .

(٤) يراجع : التقريب (٢/٢٦٦) ، تهذيب التهذيب (٥/٥٠٠-٥٠٢) .

قال ابن الضريس في كتابه المذكور : « أنبأنا محمد بن عبد الله بن أبي جعفر الرازي ، قال : قال عمر بن هارون : ثنا عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عباس » ثم بدأ ابن عباس يسرد السور المكية والمدنية (١).

تراجم رجال إسناده ابن الضريس :

محمد بن عبد الله بن أبي جعفر الرازي : صدوق من العاشرة (٢) .
عمر بن هارون : بن يزيد بن جابر الثقفي مولاهم البلخي ، متروك الحديث ، توفي - رحمه الله - سنة (١٩٤هـ) (٣) .
عثمان بن عطاء : بن أبي مسلم الخراساني أبو مسعود المقدسي ، ضعيف ، توفي - رحمه الله - سنة (١٥٥هـ) (٤) .
عن أبيه : عطاء بن أبي مسلم الخراساني صدوق يهم كثيراً ، ويرسل ويدلس ، توفي - رحمه الله - سنة (١٣٥هـ) (٥) .

الحكم على الإسناد :

ضعيف ، وقد اجتمعت فيه علل ثلاث :

-
- (١) انظر : فضائل القرآن لابن الضريس (ص : ٣٣-٣٤) .
والأثر أخرجه ابن النديم في الفهرست (ص : ٢٨) ، وابن عبد الكافي في بيانه من طريق عثمان بن عطاء به (١٢ق/أ-ب) ، والبيهقي في دلائل النبوة من طريق خصيف عن مجاهد عن ابن عباس (١٤٤/٧) .
(٢) التقريب (١٧٥/٢) ، تهذيب التهذيب (١٦٣/٥) .
(٣) الضعفاء والمتروكين للنسائي (ص : ١٩١) برقم (٤٩٩) ، التقريب (٦٤/٢) .
(٤) التقريب (١٢/٢) .
(٥) التقريب (٢٢/٢) .

أولاً : الانقطاع بين عطاء بن أبي مسلم الخراساني وبين ابن عباس(١).
ثانياً : ضعف عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني .
ثالثاً : فيه رجل متروك وهو عمر بن هارون .

٥ - إسناد رواية ابن الأنباري في كتابه « الرد على من خالف مصحف عثمان »:

قال ابن الأنباري - رحمه الله - : حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، حدثنا ججاج بن منهال ، حدثنا همام عن قتادة قال : « نزل بالمدينة من القرآن : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال ، وبراءة ، والرعد ، والنحل ، والحج ، والنور ، والأحزاب ، ومحمد ، والفتح ، والحجرات ، والرحمن ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والصف ، والجمعة ، والمنافقون ، والتغابن ، والطلاق ، ويا أيها النبي لم تحرم إلى رأس العشر ، وإذا زلزلت ، وإذا جاء نصر الله ، هؤلاء السور نزلن بالمدينة ، وسائر القرآن نزل بمكة » (٢).

تراجع رجال إسناد ابن الأنباري :

إسماعيل بن إسحاق القاضي : بن حماد بن زيد أبو إسحاق القاضي ، وثقه أبو حاتم (٣) .

(١) انظر : المراسيل لابن أبي حاتم (ص : ١٣٠) ، الجرح (٦/٣٣٤) ، تهذيب الكمال (١٠٩/٢٠) ، ميزان الاعتدال (٧٣/٣) .

(٢) مقدمة تفسير القرطبي (١/٦١-٦٢) .

والأثر أخرجه أبو عمرو الداني في البيان (ص : ١٣٣) من طريق يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ، وذكره السيوطي في الإتيان (١/٣٢) .

(٣) انظر : الجرح (٢/١٥٨) .

وقال الخطيب البغدادي - رحمه الله - : « كان فاضلاً عالماً متقناً فقيهاً على مذهب مالك بن أنس ، شرح مذهبه ولخصه ، واحتج له ، وصنف المسند وكتباً عدة في علوم القرآن ، وفي أحكام القرآن ، والقراءات ، ومعاني القرآن » (١).

توفي - رحمه الله - سنة (٢٨٢هـ) (٢).

حجاج بن منهال : الأنماطي أبو محمد السلمي مولاهم ، ثقة فاضل ، توفي - رحمه الله - سنة (٢١٦هـ) (٣).

همام : بن يحيى بن دينار البصري ، ثقة ربما وهم ، توفي - رحمه الله - سنة (١٦٤هـ) (٤).

قتادة : بن دعامة السدوسي ، ثقة ثبت ، توفي - رحمه الله - سنة (١١٧هـ) (٥).

الحكم على الإسناد :

الإسناد إلى قتادة صحيح ، ولكنه مرسل .

٦ - إسناد رواية أبي جعفر النحاس في كتابه « الناسخ والمنسوخ في

كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك » :

قال أبو جعفر النحاس - رحمه الله - في صدر سورة الأنعام من كتابه المذكور : حدثنا يموت بن المزرع ، قال : حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد

(١) تاريخ بغداد (٢٨٤/٦) .

(٢) انظر : تذكرة الحفاظ (٦٢٥/٢-٦٢٦) .

(٣) انظر : التقريب (١٥٤/١) .

(٤) انظر : المصدر السابق (٣٢١/٢) .

(٥) انظر : المصدر السابق (١٢٣/٢) .

السجستاني قال : حدثنا أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، قال : حدثنا
يونس بن حبيب ، قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : سألت مجاهداً
عن تلخيص أي القرآن المدني من المكي ، فقال : سألت ابن عباس عن
ذلك فقال : « سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة ، فهي مكية إلا
ثلاث آيات منها نزلن بالمدينة فهي مدنية ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ
عَلَيْكُمْ ﴾ إلى تمام الآيات الثلاث» (١).

قال أبو جعفر : « وما تقدم من السور فهي مدنيات أعني سورة
البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، حدثني يموت بذلك الإسناد
بعينه » (٢).

هذا وقد سلك أبو جعفر النحاس - رحمه الله - بدءاً من سورة
الأنعام على أن يذكر في صدر كل سورة مكان نزولها بالإسناد المذكور
مكتفياً بقوله : « حدثني يموت بإسناده عن ابن عباس » (٣).

وقد أشار أبو جعفر في المقدمة أنه يلتزم بذكر المكي والمدني عند صدر
كل سورة فقال : « فإذا كانت السورة فيها ناسخ أو منسوخ ذكرناها
وإلا أضربنا عن ذكرها إلا أنا نذكر إنزالها أكان بمكة أم بالمدينة ؟ » (٤).

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٣١٦/٢) .

والأثر أخرجه ابن عبد الكافي في بيانه من طريق يحيى بن أحمد عن عبد العزيز بن محمد بن
إبراهيم بن الوائق بالله عن يموت بن المزرع به . انظر : بيان ابن عبد الكافي (١٣ق/أ) .
وذكره السيوطي في الإتقان (٢٧/١-٢٩) .

(٢) المصدر السابق (٣١٧/٢) .

(٣) انظر على سبيل المثال : المصدر السابق (٣٦٥/٢ ، ٤٧٢ ، ٤٧٤ ، ٤٧٨) .

(٤) المصدر السابق (٤٠٩/١) .

تراجم رجال إسناده النحاس :

- يموت بن المَزْرَع : بن يموت بن عيسى أبو بكر العبدي البصري .
قال الذهبي - رحمه الله - : « وله تأليف ، وما أعلم به بأساً » (١) .
توفي - رحمه الله - سنة (٣٠٤ هـ) (٢) .
- أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني : البصري النحوي ، قال ابن حجر : « صدوق فيه دعابة » (٣) .
- وقد جاء في سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني أن أبا داود كان لا يحدث عنه بشيء ، وقد سأله أبو عبيد الآجري مرة حديثاً من أحاديثه فقال أبو داود : « كتبته عن رجل لا أروي عنه » (٤) .
- توفي - رحمه الله - سنة (٢٥٥ هـ) (٥) .
- أبو عبيد معمر بن المثنى التيمي : النحوي ، أورده الذهبي - رحمه الله - في « ديوان الضعفاء » من أجل أنه كان يرى رأي الخوارج (٦) ، وكذلك في « المغني في الضعفاء » (٧) ، وقد لخص القول فيه الحافظ ابن حجر حيث قال : « صدوق أخباري وقد رمي برأي الخوارج » (٨) .
- توفي - رحمه الله - سنة (٢٠٩ هـ) ، وقيل (٢١٠ هـ) (٩) .

(١) السير (٢٤٨/١٤) .

(٢) انظر : المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٣) التقريب (٣٣٧/١) .

(٤) سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني في الجرح والتعديل (ص : ٢٩٨) .

(٥) انظر : السير (٢٧٠/١٢) ، التقريب (٣٣٧/١) .

(٦) انظر : (٣٧٣/٢) برقم ٤٤٠٦ .

(٧) انظر : (٦٧١/٢) برقم (٦٣٧٠) .

(٨) التقريب (٢٦٦/٢) .

(٩) انظر : الجرح (٢٥٩/٨) ، التقريب (٢٦٦/٢) .

يونس بن حبيب : أبو عبد الرحمن النحوي البصري ، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح وسكت عنه .

توفي - رحمه الله - سنة (١٨٣هـ) (١).

أبو عمرو بن العلاء : بن عمار بن العُريان المازني النحوي ، اختلف في اسمه على أقوال ، قال ابن حجر : « أشهرها زَبَّان ، ثقة من علماء العربية » (٢).

توفي - رحمه الله - سنة (١٥٧هـ) (٣).

مجاهد : بن جبر أبو الحجاج المكي المخزومي ، قال ابن حجر : « ثقة إمام في التفسير وفي العلم » (٤).

الحكم على الأثر :

إسناده ضعيف ، ففيه كل من أبي حاتم السجستاني وقد تكلم فيه ،

(١) انظر : الجرح (٢٣٧/٩) .

هذا ومما ينبغي الإشارة إليه هنا أن أهل العلم قد اختلفوا في توثيق الراوي الذي سكت عنه البخاري أو ابن أبي حاتم الرازي ما بين موثق ومجهل .
انظر بحثاً حول هذه المسألة بعنوان : سكوت المتكلمين في الرجال عن الراوي الذي لم يجرح ولم يأت بمنكر يعد توثيقاً له ، بقلم الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، نشر في مجلة كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود - العدد الثاني - عام ١٣٩٩-١٤٠٠هـ .
وقد استدرك عليه الدكتور نهاد عبيد في بحث له حول هذه القاعدة ، وتوصل إلى أن سكوت البخاري أو ابن أبي حاتم قد يكون توثيقاً ، وقد يكون تضعيفاً ، وقد يكون تجهيلاً .

انظر : مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت - السنة التاسعة العدد ٢٣ ، ربيع الأول ١٤١٥هـ .

(٢) التقريب (٤٥٤/٢) .

(٣) انظر : المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٤) المصدر السابق (٢٢٩/٢) .

وأبو عبيد معمر بن المثني أورده الذهبي في ضعيفه المغني والديوان ،
ويونس بن حبيب لم أجد من وثقه ، وقد أورده ابن أبي حاتم في الجرح
وسكت عنه ، ولأجل هذا يبدو - والله أعلم - أن تجويد الإمام
السيوطي لهذا الإسناد بحجة أنهم من علماء العربية المشهورين فيه
قصور (١).

هذه الملاحظات من جهة الإسناد ، وأما من جهة المتن فإن هذه الرواية
التي يذكرها النحاس عن شيخه يموت بن المزرع بإسناده عن ابن عباس
فيها بعض الملاحظات كذلك من حيث مدى صحة استثناء بعض الآيات
من سورها المكية أو المدنية ، وإلى هذا أشار الدكتور سليمان اللاحم -
محقق كتاب الناسخ والمنسوخ للنحاس - حيث قال : « وقد بين الغرض
من ذكر المكي والمدني في هذا الكتاب ، وأن ذلك لمعرفة الناسخ
والمنسوخ ؛ لأن المدني ينسخ المكي لا العكس .

غير أن المؤلف لم يتقص الروايات في مكان نزول السور ، وإنما اكتفى
- غالباً - بذكر رواية شيخه يموت بإسناده عن ابن عباس ، بل إنه لم
يناقش ما جاء في هذه الرواية مما فيه مخالفة للقول الصحيح أو الراجح »
(٢).

٧ - إسناد ابن عبد الكافي في رواية المكي والمدني في كتابه « بيان عدد سور القرآن وآياته وكلماته ومكيه ومدنيه » :

قال ابن عبد الكافي - رحمه الله - في كتابه المذكور : سمعت الإمام
أبا الحسن الفارسي رحمه الله قال : سمعت الإمام أبا بكر أحمد بن الحسين

(١) انظر : الإتيان (٢٩/١) .

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس (١٨٠/١) .

أنه قال : روي عن عبد الله بن عمير عن أبيه عن عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه عن ابن عباس فذكر السور المكية والمدنية معاً (١).

تراجم رجال إسناده ابن عبد الكافي :

أبو الحسن الفارسي : هو علي بن عبد الله المقرئ ، صاحب شرح كتاب «الغاية» لابن مهران ، لم أجد له توثيقاً ولا تحريماً (٢).

أبو بكر أحمد بن الحسين : بن مهران الأصبهاني الأصل النيسابوري المقرئ صاحب كتاب « الغاية في القراءات العشر » .

توفي - رحمه الله - سنة (٣٨١هـ) (٣).

قال الحاكم : « كان إمام عصره في القراءات ، وكان أعبد من رأينا من القراء ، وكان مجاب الدعوة » (٤).

عبد الله بن عمير : هو مولى أم الفضل ويقال له مولى ابن عباس أيضاً ، ثقة .

توفي - رحمه الله - سنة (١١٧هـ) (٥).

عن أبيه : عمير بن عبد الله الهلالي أبو عبد الله المدني ، ثقة .

توفي - رحمه الله - سنة (١٠٤هـ) (٦).

(١) انظر : بيان ابن عبد الكافي (١٢/ق/أ-ب) .

والأثر أخرجه ابن الضريس في فضائله (ص : ٣٣-٣٤) ، وابن النديم في الفهرست (ص :

٢٨) ، والبيهقي في دلائل النبوة (١٤٤/٧) .

(٢) له ترجمة في غاية النهاية (٥٥٦/١) .

(٣) انظر : معرفة القراء الكبار (٣٤٧/١-٣٤٨) ، غاية النهاية (٤٩/١) .

(٤) السير (٤٠٦/١٦) .

(٥) انظر : التقريب (٤٣٨/١) ، وتهذيب التهذيب (٢٢٣/٣) .

(٦) انظر : التقريب (٨٦/٢) ، وتهذيب التهذيب (٤١١/٤) .

عثمان بن عطاء وأبوه : سبق أن ترجمنا لهما .

الحكم على الإسناد :

ضعيف لعل ثلاث :

أولاً : الانقطاع بين عطاء الخراساني وبين ابن عباس .

ثانياً : الانقطاع بين ابن مهران وبين عبد الله بن عمير .

ثالثاً : ضعف عثمان بن عطاء الخراساني .

٨ - إسناد رواية أبي عمرو الداني في كتابه « البيان في عد آي

القرآن » :

روايات المكي والمدني التي أخرجها أبو عمرو الداني في كتابه المذكور وردت من طرق عديدة ، وفيما يلي تفصيلها :

الطريق الأول :

قال أبو عمر الداني : أخبرنا فارس بن أحمد ، قال : أنا أحمد بن محمد ، قال : أنا أحمد بن عثمان ، قال : أنا المفضل ، قال : أنا أحمد بن يزيد ، قال : أنا أبو كامل فضيل بن الحسين ، قال : أنا حسان بن إبراهيم ، قال : أنا أمية الأزدي عن جابر بن زيد فذكر السور المكية والمدنية معاً (١) .

تراجم رجال الإسناد :

فارس بن أحمد : بن موسى بن عمران أبو الفتح الحمصي المقرئ

(١) ينظر : البيان للداني (ص : ١٣٥-١٣٧) .

والأثر أخرجه أبو بكر محمد بن الحارث بن أبيض في جزئه المشهور كما في الإتيان (٨١/١) من طريق عبيد الله بن محمد بن أعين البغدادي عن حسان بن إبراهيم به ، والجعبري في المفرد في معرفة العدد (٣٥ق/ب-٣٦أ) من طريق أبي عمرو الداني به .

الضرير ، ترجم له الذهبي في « معرفة القراء الكبار » ، ونقل فيه قول أبي عمرو الداني : « لم ألق مثله في حفظه وضبطه » (١).

وهو المعني في قول الشاطبي (٢) في « حرز الأمانى ووجه التهاني » - متن الشاطبية - :

وقل لفظه الله أكبر وقبله لأحمد زاد ابن الحباب فهلاً
وقيل بهذا عن أبي الفتح فارس وعن قنبل بعض بتكبيره تلا (٣)
أحمد بن محمد : بن إسماعيل البناء أبو بكر محدث مصر ، قال الذهبي :
« وكان ثقة خيراً ديناً » ، توفي - رحمه الله - سنة (٣٨٥هـ) (٤).

أحمد بن عثمان : نسبه الداني إلى جده ، وهو أحمد بن محمد بن عثمان الرازي ، ذكره الذهبي في معرفة القراء أنه من كبار أئمة القراءات ، توفي - رحمه الله - سنة (٣١٢هـ) (٥).

المفضل : هو ابن شاذان أبو العباس الرازي المقرئ ، كان شيخ الإقراء بالري ، وثقه أبو حاتم الرازي (٦).

وقال أبو عمرو الداني : « لم يكن في دهره مثله في علمه ، وفهمه ، وعدالته ، وحسن اطلاعه » (٧) .

(١) معرفة القراء الكبار (٣٧٩/١) .

(٢) هو القاسم بن فيّره بن خلف الرعيّني المقرئ الضرير ، سارت الركيان بقصيدتيه « حرز الأمانى » و« عقيلة أتراب القصائد » ، توفي - رحمه الله - سنة (٥٩٠هـ) .

ترجمته : معرفة القراء الكبار (٥٧٣/٢-٥٧٥) ، غاية النهاية (٢٠/٢-٢٣) .

(٣) حرز الأمانى ووجه التهاني (ص : ٩١) .

(٤) السير (٤٦٢/١٦) .

(٥) ينظر : معرفة القراء الكبار (٢٦٩/١) .

(٦) ينظر : الجرح (٦٣/٧) .

(٧) معرفة القراء الكبار (٢٣٥/١) .

توفي - رحمه الله - في حدود (٢٩٠هـ) (١).
 أحمد بن يزيد : الحلواني أبو الحسن المقرئ ، لم يرض أبو زرعة وأبو
 حاتم الرازيان عن حديثه ، توفي - رحمه الله - سنة (٢٥٠هـ) (٢).
 أبو كامل فضيل بن الحسين : بن طلحة الجحدري ، ثقة حافظ ،
 توفي - رحمه الله - سنة (٢٣٧هـ) (٣).
 حسان بن إبراهيم : بن عبد الله الكرمانى أبو هشام العنزى ، صدوق
 يخطئ ، توفي - رحمه الله - سنة (١٨٦هـ) (٤).
 أمية الأزدي : نسبة إلى قبيلة ، وهو أمية بن زيد البصري ، أورده
 ابن حبان في الثقات (٥) ، وقال ابن حجر : « مقبول » (٦).
 جابر بن زيد : أبو الشعثاء الأزدي البصري ، ثقة فقيه ، توفي - رحمه
 الله - سنة (٩٣هـ) (٧).

الحكم على الأثر :

إسناده حسن إلى جابر بن زيد بالمتابعة ، فقد تابع أمية الأزدي - وهو
 مقبول - إبراهيم بن عبد الله الكرمانى - والد حسان - عند الجعبرى
 في « المفرد في معرفة العدد » (٨).

-
- (١) ينظر : غاية النهاية (١٠/٢) .
 (٢) ينظر : الجرح (٨٢/٢) ، ميزان الاعتدال (١٦٤/١) ، معرفة القراء الكبار (٢٢٢/١) ،
 لسان الميزان (٣٢٥/١).
 (٣) ينظر : التقريب (١١٢/٢) .
 (٤) ينظر : المصدر السابق (١٦١/١) .
 (٥) ينظر : الثقات (٧٠/٦) .
 (٦) التقريب (٨٣/١) .
 (٧) ينظر : المصدر السابق (١٢٢/١) .
 (٨) ينظر : (٣٥ق/ب) .

الطريق الثاني : خاص في ترتيب السور المدنية :

قال أبو عمرو الداني - رحمه الله - : أخبرنا فارس بن أحمد ، قال : أنا أحمد بن محمد ، قال : أنا أحمد بن عثمان ، قال : أنا الفضل بن شاذان ، قال : أنا إبراهيم بن موسى ، قال : أنا يزيد بن زريع ، قال : أنا سعيد ، عن قتادة ، قال : « المدني : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال ، وبراءة ، والرعد ، والحج ، والنور ، والأحزاب ، والذين كفروا ، وإنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، ويا أيها الذين ءامنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ، والمسبحات من سورة الحديد إلى يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ، يا أيها النبي لم تحرم ، و لم يكن الذين كفروا ، وإذا زلزلت ، وإذا جاء نصر الله مدني ، وما بقي مكى » (١).

تراجم رجال الإسناد :

تقدم قبل قليل أن ترجمت لبعض رواة هذا الإسناد بدءاً من فارس بن أحمد إلى الفضل بن شاذان ، وسأذكر هنا تراجم بقية الرواة :
إبراهيم بن موسى : بن يزيد بن زاذان التميمي أبو إسحاق الرازي الفراء المعروف بالصغير ، وثقه أبو زرعة وأبو حاتم (٢).
وقال عنه الحافظ ابن حجر : « ثقة حافظ » ، توفي - رحمه الله - سنة (٢٣٠هـ) (٣).

(١) البيان للداني (ص : ١٣٣) .

والأثر أخرجه ابن الأنباري بنحوه من طريق همام بن يحيى عن قتادة .

انظر : تفسير القرطبي (١/٦١-٦٢) .

(٢) انظر : أحوبة أبي زرعة على أسئلة البرذعي (٢/٥٢٨) ، الجرح (٢/١٣٧) .

(٣) التقريب (١/٤٤) .

يزيد بن زريع : أبو معاوية البصري ، ثقة ثبت ، توفي - رحمه الله - سنة (١٨٢هـ) (١).

سعيد : بن أبي عروبة بن مهران الشكري مولا هم أبو النضر البصري ، قال عنه الحافظ ابن حجر : « ثقة حافظ صاحب تصانيف لكنه كثير التدليس ، واختلط ، وكان من أثبت الناس في قتادة ، روى له الجماعة » (٢).

الجواب عن تدليس سعيد بن أبي عروبة :

إن تدليس سعيد بن أبي عروبة من التدليس الذي احتمله الأئمة وقبلوه ، وأخرجوا له في الصحيح ، فهو من تدليس الطبقة الثانية كالثوري وابن عيينة ، هكذا أورده الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في « تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس » (٣).

الجواب عن اختلاطه بالنسبة للروايات التي رواها يزيد بن زريع :

إن سماع يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة كان قبل الاختلاط ، والدليل على ذلك ما ذكره ابن حبان - رحمه الله - في الثقات حيث قال في ترجمته : « وبقي خمس سنين في اختلاطه ، ولا يحتج إلا بما روى عنه القدماء قبل اختلاطه مثل ابن المبارك ، ويزيد بن زريع ... » (٤). وقال ابن الكيال (٥) - رحمه الله - : « ومن سمع منه قبل اختلاطه

(١) انظر : المصدر السابق (١/٣٦٤) .

(٢) المصدر السابق (١/٣٠٢) .

(٣) انظر (ص : ٦٣) .

(٤) الثقات لابن حبان (٦/٣٦٠) .

(٥) هو محمد بن أحمد بن محمد الخطيب أبو البركات المعروف بابن الكيال ، صنف الكواكب النيرات ، توفي - رحمه الله - سنة (٩٣٩هـ) .

ترجمته : الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة (١/١٦٥-١٦٧) .

عبد الله بن المبارك ، ويزيد بن زريع ...» (١).
قتادة : سبقت ترجمته .

الحكم على الأثر :

الإسناد إلى قتادة صحيح .

الطريق الثالث : إسناد أبي عمرو الداني في ذكر المكي والمدني في مطلع كل سورة :

قال أبو عمرو الداني - رحمه الله - : « وكل ما أذكر في كتابي هذا من مكي السور ومدنيها وعدد حروفها وكلمها فهو ما حدثني به فارس بن أحمد المقرئ ، قال : أنا أحمد بن محمد ، قال : أنا أحمد بن عثمان ، قال : أنا أبو العباس المقرئ ، قال : أنا محمد بن حميد ، قال : أنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار المدني » (٢).

تراجم رجال الإسناد :

فارس المقرئ ، وأحمد بن محمد ، وأحمد بن عثمان ، وأبو العباس المقرئ تقدمت تراجمهم .

محمد بن حميد : بن حيّان أبو عبد الله الرازي .

قال البخاري : « في حديثه نظر » (٣) ، وقال الذهبي : « هو مع

(١) الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات لابن الكيال (ص : ١٩٥) .

(٢) البيان للداني (ص : ١٣٨) .

(٣) التاريخ الكبير (١/٦٩-٧٠) .

إمامته منكر الحديث ، صاحب عجائب » (١) ، وقال أيضاً : « قد أكثر النقل عنه ابن جرير في كتبه ، ووقع لنا حديثه عالياً ، ولا تركن النفس إلى ما يأتي به » (٢) .

ولخص القول فيه الحافظ ابن حجر فقال : « حافظ ضعيف » .

توفي - رحمه الله - سنة (٢٤٨هـ) (٣) .

سلمة بن الفضل : الأبرش ، مولى الأنصار ، أبو عبد الله الأزرق ، وثقه ابن معين (٤) ، قال البخاري : « عنده مناكير » (٥) ، وقال أبو زرعة : « أهل الري لا يرغبون فيه لمعان فيه من سوء رأيه ، وظلم فيه » (٦) .

وقال أبو حاتم : « لا يحتج به » (٧) ، وضعفه النسائي (٨) .

ولخص القول فيه الحافظ ابن حجر فقال : « صدوق كثير الخطأ » ، توفي - رحمه الله - سنة (١٩١هـ) (٩) .

محمد بن إسحاق : بن يسار أبو بكر المطلبي مولاهم ، صدوق يدلّس ، رمي بالتشيع والقدر ، توفي - رحمه الله - سنة (١٥٠هـ) (١٠) .

(١) السير (٥٠٣/١١) .

(٢) المصدر السابق (٥٠٥/١١) .

(٣) انظر : التقريب (١٥٦/٢) .

(٤) انظر : التاريخ لابن معين (٢٢٦/٢) برقم (٤٨٠٤) .

(٥) التاريخ الكبير (٨٤/٤) .

(٦) أجوبة أبي زرعة على أسئلة البرذعي (٣٦٢/٢) .

(٧) المرح (١٦٨/٤) .

(٨) انظر : الضعفاء والمتروكين للنسائي (ص : ١١٨) برقم (٢٥٣) .

(٩) انظر : التقريب (٣١٨/١) .

(١٠) انظر : المصدر السابق (١٤٤/٢) ، وتعرف أهل التقديس (ص : ١٣٢) .

عطاء بن يسار : أبو محمد المدني ، ثقة فاضل ، توفي - رحمه الله -
سنة (٩٤هـ) (١).

الحكم على الإسناد :

ضعيف لعل أربع :

أولاً : ضعف محمد بن حميد الرازي .

ثانياً : ضعف سلمة بن الفضل .

ثالثاً : عننة ابن إسحاق وهو مدلس .

رابعاً : جهالة البعض الذين يروي عنهم ابن إسحاق .

الطريق الرابع : إسناد آخر لأبي عمرو الداني في ذكر المكي والمدني
في مطلع كل سورة أيضاً :

قال أبو عمرو الداني - رحمه الله - : « حدثنا بالمكي والمدني سورة
سورة محمد بن عبد الله المري ، قال : أنا أبي ، قال : أنا علي بن
الحسن ، قال : أنا أحمد بن موسى ، قال : أنا يحيى بن سلام البصري عن
أئمتهم » (٢).

تراجم رجال الإسناد :

محمد بن عبد الله المُرِّي : أبو عبد الله الأندلسي المشهور بابن أبي
زَمَنِين ، قال الذهبي - رحمه الله - : « وتفنن واستبحر من العلم ،
وصنف في الزهد والرقائق ، وقال الشعر الرائق ، وكان صاحب جدّ

(١) انظر : التقريب (٢/٢٣) .

(٢) البيان للداني (ص : ١٣٨) .

وإخلاص ومجانبة للأمراء» (١).

وقال ابن عفيف (٢) : « كان من كبار المحدثين والفقهاء الراسخين في العلم » (٣).

توفي - رحمه الله - سنة (٣٩٩هـ) (٤).

أبوه : أبو محمد عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين المري ، لم أجد من وثقه (٥).

علي بن الحسن : أبو الحسن المري ، لم أقف له على توثيق (٦).

أحمد بن موسى : لم أجد له ترجمة .

يحيى بن سلام البصري : ابن أبي ثعلبة أبو زكريا .

قال أبو زرعة : « لا بأس به ربما وهم » (٧)، وقال أبو حاتم : «

صدوق » (٨)، وقال ابن عدي : « يكتب حديثه مع ضعفه » (٩).

الحكم على الأثر :

إسناده منقطع .

(١) السير (١٨٨/١٧-١٨٩) .

(٢) هو أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن عفيف الهروي ، توفي - رحمه الله - سنة (٤٧٧هـ) .

ترجمته : السير (٤٤٢/١٨-٤٤٣) .

(٣) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض (١٨٤/٧) .

(٤) انظر : السير (١٨٩/١٧) ، طبقات المفسرين للداودي (١٦٦/٢) .

(٥) له ترجمة في : ترتيب المدارك (١٨/٧) ، شجرة النور الزكية (ص : ١٠١) .

(٦) له ترجمة في : ترتيب المدارك (٢٢٦/٥) .

(٧) أجوبة أبي زرعة على أسئلة البرذعي (٣٣٩/٢) .

(٨) الجرح (١٥٥/٩) .

(٩) الكامل (٢٧٠٩/٧) .

٩ - إسناده رواية البيهقي في كتابه « دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة »:

روى البيهقي - رحمه الله - روايات ترتيب السور المكية والمدنية بإسنادين ، الإسناد الأول أورده في ترتيب السور المكية والمدنية معاً ، وأما الإسناد الثاني فقد أورده في ترتيب المكي خاصة ، وذكر سوراً سقطت من الرواية الأولى .

إسناده الرواية الأولى :

قال البيهقي - رحمه الله - تحت باب « ذكر السور التي نزلت بمكة والتي نزلت بالمدينة » : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، قال : أخبرنا أبو محمد بن زياد العدل ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، قال : حدثنا أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي ، قال : حدثنا علي بن الحسين بن الواقد ، عن أبيه ، قال : حدثنا يزيد النحوي عن عكرمة ، والحسن بن أبي الحسن ، فذكر السور المكية والمدنية معاً (١).

تراجم رجال الإسناد :

أبو عبد الله الحافظ : محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن البيهقي المشهور بالحاكم النيسابوري .

قال الذهبي - رحمه الله - : « وهو ثقة واسع العلم » (٢) ، توفي -

(١) انظر : دلائل النبوة (١٤٢/٧-١٤٣) .

والأثر ذكره السيوطي في التعبير في علم التفسير (ص : ٤٥-٤٦) ، وفي الإتيان (٣٠-٢٩/١) .

(٢) السير (١٦٦/١٧) .

رحمه الله - سنة (٤٠٥هـ) (١) .

أبو محمد بن زياد العدل : وثقه الذهبي ، توفي - رحمه الله - سنة (٣٣٨هـ) (٢) .

محمد بن إسحاق : هو الصغاني ، ثقة ثبت ، توفي - رحمه الله - سنة (٢٧٠هـ) (٣) .

يعقوب بن إبراهيم الدورقي : ثقة ، توفي - رحمه الله - سنة (٢٥٢هـ) (٤) .

أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي : ثقة ، توفي - رحمه الله - سنة (٢٣١هـ) (٥) .

علي بن الحسين بن الواقد : ذكره ابن حبان في الثقات (٦) ، وقال عنه ابن حجر : « صدوق يهم » (٧) ، توفي - رحمه الله - سنة (٢١١هـ) (٨) .

أبو هـ : الحسين بن الواقد أبو عبد الله القاضي ، ثقة له أوهام ، توفي - رحمه الله - سنة (١٥٩هـ) (٩) .

يزيد النحوي : بن أبي سعيد القرشي مولا هم ، ثقة عابد ، توفي -

(١) انظر : المصدر السابق (١٧١/١٧) .

(٢) انظر : السير (٣٩٨/١٥-٤٠٠) ، تذكرة الحفاظ (٨٥٥/٣) .

(٣) انظر : التقريب (١٤٤/٢) .

(٤) انظر : المصدر السابق (٣٧٤/٢) .

(٥) انظر : المصدر السابق (٢٧/١) .

(٦) انظر : (٤٦٠/٨) .

(٧) التقريب (٣٥/٢) .

(٨) ينظر : المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٩) ينظر : المصدر السابق (١٨٠/١) .

رحمه الله - سنة (١٣١هـ) (١).

عكرمة : بن عبد الله مولى ابن عباس ، وجه له اتهامات كثيرة ، وقد ذب عنه الحافظ ابن حجر فقال : « ثقة ثبت ، عالم بالتفسير ، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ، ولا يثبت عنه بدعة » (٢) ، توفي - رحمه الله - سنة (١٠٧هـ) (٣).

الحسن بن أبي الحسن : البصري ، قال عنه الحافظ ابن حجر : « ثقة فقيه فاضل مشهور ، وكان يرسل كثيراً ويدلس » (٤). قلت : إن تدليسه من التدليس المتحمل ؛ فهو من الطبقة الثانية كما في « تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس » (٥). توفي - رحمه الله - سنة (١١٠هـ) (٦).

الحكم على الإسناد :

حسن إلى عكرمة والحسن البصري ، وقد صححه البيهقي في « دلائل النبوة » (٧).

إسناد الرواية الثانية :

قال البيهقي - رحمه الله - : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، قال : أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، قال : حدثنا محمد بن الفضل بن جابر ،

(١) ينظر : المصدر السابق (٣٦٥/٢) .

(٢) التقريب (٣٠/٢) .

(٣) انظر : المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٤) التقريب (١٦٥/١) .

(٥) انظر : (ص : ٥٦) .

(٦) انظر : التقريب (١٦٥/١) .

(٧) انظر : دلائل النبوة (١٤٤/٧) .

قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن زرارة الرقي ، قال : حدثنا عبد العزيز بن عبد الرحمن القرشي ، قال : حدثنا خصيف عن مجاهد عن ابن عباس ، فذكر السور المكية ، وأضاف إلى سور سقطت من الرواية الأولى (١).

تراجم رجال الإسناد :

علي بن أحمد بن عبدان : أبو الحسن الشيرازي ثم الأهوازي ، قال عنه الذهبي : « ثقة مشهور ، عالي الإسناد » (٢) ، توفي - رحمه الله - سنة (٤١٥ هـ) (٣) .

أحمد بن عبيد الصفار : أبو الحسن البصري - مؤلف كتاب السنن - قال عنه الذهبي : « كان ثقة ثباتاً » (٤) ، توفي - رحمه الله - سنة (٣٤١ هـ) (٥) .

محمد بن الفضل بن جابر : لم أعثر له على ترجمة .
إسماعيل بن عبد الله بن زرارة الرقي : وثقه ابن حبان (٦) ، وقال أبو الفتح الأزدي (٧) : « منكر الحديث » (٨) ،

(١) انظر : دلائل النبوة (١٤٤/٧) .

(٢) السير (٣٩٨/١٧) .

(٣) انظر : المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٤) السير (٤٣٩/١٥) .

(٥) انظر : المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٦) انظر : الثقات (١٠٠/٨) .

(٧) هو محمد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله الأزدي الموصلية ، صنف كتاب الضعفاء ، توفي - رحمه الله - سنة (٣٧٤ هـ) .

ترجمته : تذكرة الحفاظ (٩٦٧-٩٦٨) ، طبقات علماء الحديث للصالح (١٥٨/٣) .

(٨) ميزان الاعتدال (٢٣٦/١) .

توفي - رحمه الله - سنة (٢٣٠هـ) (١) .

عبد العزيز بن عبد الرحمن القرشي : الباسي ، سأل عنه عبد الله بن أحمد أباه فقال : «عبد العزيز هو الذي يروي عن خصيف ، اضرب على أحاديثه ، هي كذب أو موضوعة» (٢) .

وأورده ابن حبان في المجروحين فقال : « يأتي بالمقلوبات عن الثقات فيكثر ، والمزقات بالأثبات فيفحش » (٣) .

وضعه النسائي (٤) ، والدارقطني (٥) .

خصيف : بن عبد الرحمن الجزري أبو عون ، صدوق سيئ الحفظ ، خلط بآخره ، ورمي بالإرجاء ، توفي - رحمه الله - سنة (١٣٧هـ) (٦) .
مجاهد : سبقت ترجمته .

الحكم على الإسناد :

إسناده ضعيف ؛ لضعف إسماعيل بن زرارة الرقي ، وعبد العزيز الباسي ، وخصيف .

ولعل من المستحسن بعد أن أوردت هذه الروايات ودرست أسانيدها أن أذكر هنا جدولاً يبين لنا مدى التوافق بين هذه الروايات ، وكذلك مدى المخالفة في تعيين السور المكية والمدنية ، وسيكون الجدول قاصراً إلى نهاية سورة الإسراء :

(١) انظر : الثقات (١٠٠/١) .

(٢) العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد (٢٦٨-٢٦٩) برقم (١٩٣٣) .

(٣) المجروحين (١٣٨/٢) .

(٤) يراجع : الضعفاء والمتروكين للنسائي (ص : ١٦٨) برقم (٤١٥) .

(٥) يراجع : الضعفاء والمتروكون للدارقطني (ص : ٢٨٢) .

(٦) انظر : التقريب (٢٢٤/١) .

أسماء المؤلفين الذين أخرجوا الروايات

السور	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧
مدنية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية
١- الفاتحة	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية
٢- البقرة	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية
٣- آل عمران	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية
٤- النساء	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية
٥- المائدة	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية
٦- الأنعام	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية
٧- الأعراف	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية
٨- الأنفال	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية
٩- التوبة	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية
١٠- يونس	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية
١١- هود	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية
١٢- يوسف	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية
١٣- الرعد	مدنية	مكية	مدنية	مكية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية	مدنية
١٤- إبراهيم	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية
١٥- الحجر	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية
١٦- النحل	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية
١٧- الإسراء	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية	مكية

(*) هذا الخط يعني أن السورة سقطت من الرواية .

الفصل الأول: **السور المتفق على مكيتها**

وفيه تسعة مباحث :

المبحث الأول: سورة الأنعام

المبحث الثاني: سورة الأعراف

المبحث الثالث: سورة يونس

المبحث الرابع: سورة هود

المبحث الخامس: سورة يوسف

المبحث السادس: سورة إبراهيم

المبحث السابع: سورة الحجر

المبحث الثامن: سورة النحل

المبحث التاسع: سورة الإسراء

المبحث الأول: سورة الأنعام

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : عرض موجز لمحتوى السورة

المطلب الثاني : الخلاف بين أهل العلم حول نزول سورة

الأنعام جملة واحدة

المطلب الثالث : بقية الروايات الدالة على مكية سورة

الأنعام

المطلب الأول: عرض موجز للسورة^(١)

سورة الأنعام هي أول سورة مكية من السور الطوال في ترتيب المصحف، ونقل ابن عبد البر - رحمه الله - الإجماع على مكيتها، فقال: «وقد أجمعوا أن سورة الأنعام مكية، وقد نزل بعدها قرآن كثير، وسنن عظيمة»^(٢).

وقد تناول معظم حديث السورة عن الأنعام بطريقة متعددة الجوانب متنوعة الأهداف تتصل بعقائد المشركين فيها^(٣).

وعنيت السورة كذلك بالاحتجاج لأصول الدين، وتفنيد شبه الملحدين، قال القرطبي - رحمه الله -: قال العلماء: «هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة لأنها في معنى واحد من الحجة، وإن تصرف ذلك بوجوه كثيرة وعليها بنى المتكلمون أصول الدين»^(٤).

صدق علماؤنا - رحمهم الله تعالى - فكل من نظر في هذه السورة نظرة تمعن وأراد استخلاص الأصول الاعتقادية سواء كانت متعلقة بالربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات وجد مبتغاه فيها.

(١) ذكر الآيات اللاتي قيل إنهن مستثناة من السورة: الآية رقم ٢٠، ٢٣، ٥٢، ٩١،

٩٣، ١١١، ١١٤، ١٢١، ١٤١، ١٤٥، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣.

(٢) التمهيد لابن عبد البر (١/١٤٦).

(٣) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (١/١٨٧) بتصرف.

(٤) تفسير القرطبي (٦/٣٨٣).

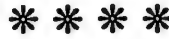
المطلب الثاني:

الخلاف الواقع بين أهل العلم حول نزول سورة الأنعام جملة واحدة

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: صورة هذا الخلاف:

مما هو معلوم أنه قد وردت آثار عديدة تدلّ على نزول سورة الأنعام جملة واحدة، وقد وقع خلاف بين أهل العلم في فهم تلك الآثار وصورته على النحو التالي: هل المراد بتلك الآثار نزول جميع آيات السورة بمكة مرة واحدة، أم أن هناك آيات استثنت منها وصح به النقل؟ وفيما يلي عرض لهذا الخلاف، أما الخلاف في الآيات المستثناة فسيأتي الحديث عنه - إن شاء الله - في موضعه.



المسألة الثانية: القائلون بأن سورة الأنعام نزلت جملة واحدة بمكة، لكن لا يمنع هذا نزول بعض آياتها بالمدينة وأدلتهم:

يرى جمهور المفسرين أن السورة نزلت جملة بمكة كما تدل عليه الآثار الواردة في ذلك، ولكن لا يمنع هذا أن تكون بعض آياتها نزلت بالمدينة، واختلفوا في تعيين تلك الآيات، فمن قائل آية، وقيل آيتان، وقيل ثلاث آيات، وقيل ست، إلى غير ذلك من الأقوال.^(١)

(١) انظر رأي الجمهور في: المحرر الوجيز (١/٦)، تفسير القرطبي (٣٨٢/٦)، مصاعد النظر (١١٥-١١٦)، الإتيقان (٤٣/١)، التحرير والتنوير لابن عاشور (١٢١/٧). هذا وقد نقل صاحب التحرير والتنوير عن ابن عطية ((أن النقاش حكى أن سورة

أدلة الجمهور على نزول سورة الأنعام جملة واحدة:-

استدل الجمهور على نزول سورة الأنعام جملة واحدة بالآثار الدالة على ذلك، وهذه الآثار وإن كان فيها ضعف إلا أن مجموعها لاشك أنه يقوي بعضها بعضاً، ولهذا قال الإمام السيوطي -رحمه الله- بعد أن ذكر بعض تلك الآثار: «فهذه شواهد يقوي بعضها بعضاً»^(١)، ومن تلك الآثار:

أولاً: ما أخرجه أبو عبيد من طريق علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: «نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة، ونزل معها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح»^(٢)

ثانياً: ما أخرجه الطبراني في المعجم الصغير من طريق إبراهيم بن نائلة عن إسماعيل بن عمرو عن يوسف بن عطية عن ابن عون عن نافع

→

الأنعام كلها مدنية)) ولعل هذا سهو من الشيخ ابن عاشور -رحمه الله- إذ قال ابن عطية عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية بعد أن ذكر أن هذه الآية مدنية على قول من قال: إنما نزلت في بني إسرائيل قال ما نصه: «وكذلك حكى النقاش أنها مدنية» إذ أفراد النقاش هو الآية لا السورة كلها كما نقله صاحب التحرير خطأ - والله أعلم -.

انظر: المحرر الوجيز (١٠٤/٦)، والتحرير والتنوير (١٢١/٧).

(١) الإتيان (١٢٠/١).

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد (ص: ٣٤٠) (٧٩٧).

وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، انظر: التقريب (٣٧/٢) وفيه يوسف بن مهران، قال عنه الحافظ ابن حجر: «(لين الحديث)» التقريب (٣٨٣/٢) والآخر أخرجه ابن الضريس في فضائله (ص: ٩٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٢١٥/١٢) برقم (١٢٩٣٠) كلاهما من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد به. وزاد السيوطي نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه. انظر: الدر (٢٤٣/٢).

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «نزلت عليّ سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجلّ بالتسبيح والتحميد» (١)

ثالثا: ما أخرجه أبو الشيخ (٢) - رحمه الله - عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - مرفوعاً «أنزلت عليّ سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجلّ بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل» (٣)

رابعا: ما أخرجه البيهقي - رحمه الله - من طريق عمر بن طلحة عن نافع بن مالك أبي سهيل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «نزلت سورة الأنعام ومعها موكب من الملائكة سدّ ما بين الخافقين لهم زجلّ بالتسبيح والأرض بهم ترتج، ورسول الله ﷺ يقول: سبحان الله العظيم، سبحان الله العظيم ثلاث مرات» (٤).

خامسا: أخرج ابن مردويه (٥) - رحمه الله - من طريق شريك عن

(١) المعجم الصغير (٨١/١) وفي إسناده يوسف بن عطية الصفار، قال عنه الحافظ ابن حجر: «متروك» التقريب (٣٨١/٢).

والأثر أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤٤/٣) في ترجمة عبد الله بن عون، وفي ذكر أخبار أصبهان (١٨٩/١) وابن مردويه كما في تفسير ابن كثير (١٢٧/٢).

(٢) هو عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، صنف العظيمة، وأحلاق النبي ﷺ، وله تفسير كما في طبقات المفسرين للدواودي، توفي - رحمه الله - سنة (٣٦٩هـ). ترجمته: ذكر أخبار أصبهان (٩٠/٢)، طبقات المفسرين للدواودي (٢٤٦/١-٢٤٨).

(٣) الدر المنثور (٢٤٤/٣).

(٤) شعب الإيمان للبيهقي (٤٧٠/٢) برقم (٣٤٣٣).

وفي إسناده رجال البيهقي أبو بكر السالمي لم أقف له على ترجمة، وبقية رجاله ثقات، والأثر أخرجه الطبراني في المعجم الكبير كما في المجموع (٢٣/٧)، وقد بحث عنه في المعجم الكبير فلم أجده، ولعله من القسم المفقود من روايات أنس بن مالك - رضي الله عنه -.

وهو في المعجم الأوسط (٢٢٩/٧) برقم (٦٤٤٣).

(٥) هو أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، صنف التفسير الكبير،

ليث عن شهر عن أسماء بنت يزيد قالت: «أنزلت سورة الأنعام على رسول الله ما بين السماء والأرض»^(١).
وهناك آثار أخرى عديدة بنفس المعنى.

→

والمستخرج على صحيح البخاري، توفي -رحمه الله- سنة (٤١٠ هـ).
ترجمته: السير (٣٠٨/١٧-٣١١)، طبقات المفسرين للداوودي (٩٤/١-٩٥) وما
أن تفسير ابن مردويه من التفاسير المفقودة فقد قام مجموعة من طلبة الدراسات العليا
بالجامعة الإسلامية بالمدينة بجمع هذا التفسير من خلال المؤلفات التي تنقل عنه، وذلك
في رسائل علمية بإشراف شيخنا الدكتور حكمت بشير.
(١) الدر المنثور (٣/٢٤٣).

وإسناده ضعيف ففيه ليث بن أبي سليم، قال عنه الحافظ ابن حجر: «(صدوق اختلط
أخيراً ولم يتميز حديثه فترك)» التقريب (١٣٨/٢) وفيه شهر بن حوشب قال عنه
الحافظ: «(صدوق كثير الإرسال والأوهام)» التقريب (١/٣٥٥).
وشريك المذكور في الإسناد هو ابن عبد الله الكوفي، صدوق يخطئ كثيراً. انظر:
التقريب (١/٣٥١).

وإضافة إلى ذلك ففي الأثر علل أخرى نذكر منها:-

أولاً: أن ذكر نزول سورة الأنعام هنا لعله وهم من الرواة لأن أسماء بنت يزيد
الأنصارية حديثها خاص في سورة المائدة كما سيأتي.

ثانياً: لعل هذا الأثر من مراسيل شهر بن حوشب، ويكون ذكر أسماء هنا كذلك وهما
من الرواة، ويؤيد هذا ما أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده، ولكن ليس فيه ذكر
المسير، قال: أخبرنا جرير عن ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب «(نزلت سورة
الأنعام ومعها زحل من الملائكة قد نظموا السماء الدنيا إلى الأرض)».

مسند إسحاق بن راهويه (٤/٢٦٥ ق/أ) وانظر المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية
لابن حجر (٣/٣٢٩) برقم (٣٦١١).

أدلة الجمهور على مدنية بعض آيات سورة الأنعام

استدل الجمهور على مدنية بعض آيات السورة بما ورد من روايات في أسباب نزول تلك الآيات، إضافة إلى ما فيها من بعض ملامح القرآن المدني، ومنها:

الدليل الأول: ما أخرجه الإمام ابن ماجه من طريق أسباط عن السدي عن أبي سعيد الأزدي عن أبي الكنود عن خباب بن الأرت في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قال: «جاء الأقرع بن حابس التميمي^(١)، وعيينة بن حصن الفزاري^(٢)، فوجدا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب، قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي ﷺ حقروهم، فأتوه فخلوا به، وقالوا: إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عندك، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال: «نعم»، قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً، قال: فدعا بصحيفة، ودعا عليا ليكتب، ونحن قعود في ناحية، فنزل جبريل عليه السلام فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ

(١) الأقرع بن حابس بن عقال صحابي من المؤلفات قلوبهم، وشهد فتح مكة، وحينئذ والطائف.

ترجمته: (الإصابة: ٥٨/١)، الاستيعاب (١٠٣/١).

(٢) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر صحابي من المؤلفات قلوبهم أيضاً أسلم قبل الفتح، وشهد حينئذ والطائف.

ترجمته: (الإصابة ٥٤/٣)، الاستيعاب (١٢٤٩/٣).

مِنْ شَيْءٍ فَتَقَطَّرْدُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ ، ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن ، فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ ﴿١١﴾ ثم قال : وَإِذْ جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ ﴿١٢﴾ قال : فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته ، وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا ، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا ، فأنزل : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ لِيَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ [ولا تجالس الأشراف] تَرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَمَنْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا [يعني عيينة والأقرع] وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (قال : هلاكاً) قال : أمر عيينة والأقرع ، ثم ضرب لهم مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا ، قال خباب : فكنا نقعد مع النبي ﷺ ، فإذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم ﴿١٣﴾ (١)

(١) سنن ابن ماجه (١٣٨٢/٢-١٣٨٣) برقم (٤١٢٧) كتاب الزهد، باب مجالسة الفقراء وفي إسناده الحديث أسباط بن نصر ((صدوق كثير الخطأ يغرب)) التقريب (٥٣/١) وفيه السدي وهو الكبير ((صدوق وقد يهيم ورمي بالتشيع)) التقريب (٧٢-٧١/١) وأبو سعيد الأزدي وثقه ابن حبان، وتوثيقه مراتب كما هو معلوم لدي أهل الصناعة، ولا أدري من أي مرتبة هو -والله أعلم-. انظر: الثقات لابن حبان (٥٦٥/٥)، وأبو الكنود هو عبد الله بن عامر قال عنه الحافظ ابن حجر: ((مقبول))، التقريب (٤٢٤/١)، وذلك عند المتابعة، ولم أجد له متابعا، فالظاهر أن الحديث ضعيف من جهة السند، ورغم هذا كله فإن البوصيري قد صحح هذا الحديث في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (٢١٨/٤-٢٢٠)، وتبعه في ذلك الشيخ ناصر الدين الألباني -حفظه الله- في صحيح سنن ابن ماجه. انظر: (٣٩٦/٢) برقم (٣٣٢٩).

هذا وقد انتقد الحافظ ابن كثير -رحمه الله- الحديث من ناحية المتن فقال في تفسيره بعد أن أورده من ابن أبي حاتم: ((وهذا حديث غريب، فإن هذه الآية مكية، والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن إنما أسلما بعد الهجرة بدهر)).

تفسير ابن كثير (١٣٩/٢) وانظر الأثر في تفسير ابن أبي حاتم سورة الأنعام برقم ٢٩٤

وجه الاستدلال: إن وجه الاستدلال بهذا الأثر على مدينة هذه الآيات هو أنه لا يعرف للأقرع بن حابس وعيينة بن حصن مجئ إلى رسول الله ﷺ إلا في المدينة، وهذا دليل على أن القصة جرت في المدينة، وعليه فالآيات نزلت في ذلك الوقت.

الدليل الثاني: ما أخرجه الطبري - رحمه الله - في تفسيره من طريق ابن جريج عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ قال: نزلت في مسيلمة^(١) أخي بني عدي بن حنيفة فيما كان يسجع ويتكهن به ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح^(٢).

وجه الاستدلال: إن وجه الاستدلال بهذا الأثر على مدينة هذه الآية هو أن مسيلمة الكذاب - لعنه الله - كما هو معلوم لم يدع النبوة إلا بعد أن وفد على النبي ﷺ مع قومه بني حنيفة بالمدينة، طامعاً في أن

→

(٢٧٥)، وأخرجه كذلك الآجري في أخلاق حملة القرآن (ص: ٤٩-٥٠) برقم (٤٦).

(١) مسيلمة - لعنه الله - هو ابن ثمامة بن كثير من بني حنيفة، قتله وحشي - عليه السلام -.

ترجمته: تاريخ الطبري (٣/٢٨١)، جمهرة أنساب العرب للكلبي (ص: ٣١٠).

(٢) تفسير الطبري (١١/٥٣٣) برقم (١٣٥٥٥) وفي إسناده الحسين بن داود المصيصي سنيد: قال عنه الحافظ: ((ضعيف مع إمامته ومعرفته)) التقريب (١/٣٣٥) وفيه أيضاً عننة ابن جريج.

وعبد الله بن سعد المذكور في الرواية هو أخو عثمان بن عفان بن من الرضاعة، وكان من كتاب الوحي، ثم ارتد، وقد أمر رسول الله ﷺ بقتله يوم فتح مكة، وقد أجاره عثمان بن عفان - عليه السلام -، ثم أسلم بعد ذلك ومات سنة (٥٩ هـ).

ترجمته: الإصابة (٢/٣١٦-٣١٨) الاستيعاب (٣/٩١٨-٩٢٠).

يجعل له رسول الله ﷺ الأمر بعده، فلما رجع خائباً ادعى النبوة، وكان ذلك كما يقول ابن الأثير^(١) في آخر سنة عشر^(٢)، وعليه فالآية مدنية بناءً على أنها نزلت في مسيلمة.

الدليل الثالث: أخرج البيهقي في «السنن الكبرى» قال: أخبرنا أبو سعد الماليني أنبأ أبو أحمد بن عدي الحافظ أنبأ الساجي ثنا ابن المثنى ثنا عبد الصمد عن يزيد بن درهم عن أنس بن مالك : ﴿وَأَتَوْا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قال: الزكاة^(٣).

وجه الاستدلال: إن هذا الأثر يقتضي أن تكون الآية مدنية النزول في هذه السورة المكية؛ لأن الزكاة إنما شرعت بالمدينة في السنة الثانية من الهجرة النبوية.

تلك هي بعض أدلة القائلين بوجود آيات مدنية في هذه السورة المكية، وسيأتي مزيد من التفصيل لتلك الأدلة عند الحديث عن الآيات المستثناة من هذه السورة.



(١) هو المؤرخ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، صنف أسد الغابة والكمال في التاريخ، توفي -رحمه الله- سنة (٦٣٠ هـ).

ترجمته: وفيات الأعيان (٣/٣٤٨-٣٥٠) الوافي بالوفيات (١٢/١٨٨-١٨٩).

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/٢٠٤-٢٠٥).

(٣) السنن الكبرى (٤/١٣٢) كتاب الزكاة باب ما ورد في قوله تعالى : ﴿وَأَتَوْا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾.

وإسناده حسن، ففيه عبد الصمد بن الوارث (صدوق) التقريب (١/٤٠٧)، ويزيد بن درهم قال ابن معين: «بصري ليس بشيء» ن وثقه أبو حاتم.

انظر: التاريخ لابن معين (٢/٦٦٩)، الجرح (٩/٢٦٠) وبقية رجاله ثقات.

المسألة الثالثة : القائلون بأن سورة الأنعام نزلت جملة واحدة بمكة ولا يصح استثناء شيء من آياتها وأدلتهم.

يرى أصحاب هذا القول أن سورة الأنعام نزلت جملة واحدة بمكة وأنه لا يصح استثناء شيء من آيات السورة، إذ لم يصح به نقل في ذلك، وهذا القول هو قول محققي المفسرين كالطبري، وابن كثير، ومن يرى هذا الرأي ابن الحصار كما نقله عنه السيوطي، والشيخ محمد رشيد رضا من المعاصرين^(١).

أدلة هذا القول

استدل أصحاب هذا القول لتأييد رأيهم بالأدلة التالية:-

الدليل الأول: تضافر الآثار الدالة على أن سورة الأنعام نزلت جملة واحدة بمكة، مما لم يترك مجالاً أن يقال: إن آية كذا مدنية^(٢).

الدليل الثاني: أن الروايات التي اعتمد عليها القائلون باستثناء بعض آيات السورة روايات لا تخلو من مقال، ومن هنا لم يعتمدوها المحققون من أهل العلم.

(١) انظر رأي الطبري وابن كثير في مواضع الآيات اللاتي قيل إنهن مدنيات، فلهما - رحمهما الله - مناقشات جادة في دعاوي مدنية تلك الآيات، فعلى سبيل المثال انظر: تفسير الطبري (٥٢٤/٧-٥٢٥) ت: أحمد ومحمود شاكر عند قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ وابن كثير عند هذه الآية كذلك (١٦١/٢) وعند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (١٣١/٢).

وانظر رأي ابن الحصار في الإقتان (٤٣/١)، ورشيد رضا في تفسير المنار (٢٨٤/٧-٢٨٦).

(٢) انظر الآثار التي ساقها ابن كثير في مطلع سورة الأنعام في تفسيره (١٢٦/٢-١٢٧).

قال ابن الحصار: «استثنى منها -أي سورة الأنعام- تسع آيات ولا يصح به نقل خصوصاً قد ورد أنها نزلت جملة»^(١).

* * * *

المسألة الرابعة : القائلون بضعف الأخبار الدالة على نزول سورة الأنعام جملة واحدة بمكة .

يرى أصحاب هذا القول ضعف الأخبار الدالة على أن سورة الأنعام نزلت جملة واحدة، وعدم الاعتماد على تلك الأخبار، ومن يرى هذا الرأي ابن الصلاح^(٢)، إذ قال في فتاويه في إجابة سؤال وجه إليه - رحمه الله -، ونص هذا السؤال وجوابه كالتالي: «الذي تفعله الأئمة في هذا الزمان من قراءة سورة الأنعام في قيام رمضان جملة واحدة بناءً على أنه ﷺ قال: أنزلت عليّ سورة الأنعام جملة واحدة معها سبعون ألف ملك، فهل لهذا صحة أو لا؟

أجاب - رضي الله عنه - فعلهم هذا بدعة، ولا أصل صحيح لذلك فيما علمناه، الابتداع إنما هو في تخصيص الأنعام بذلك على الوجه الذي يتعارفونه، لا في مطلق قراءة سورة كاملة بالأنعام^(٣)، أو غيرها في ركعة واحدة.

(١) الإتيان (٤٣/١).

(٢) هو تقي الدين أبو عمرو عثمان بن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشافعي، صاحب كتاب «(علوم الحديث)» المشهور بمقدمة ابن الصلاح. توفي - رحمه الله - سنة (٦٤٣ هـ).

ترجمته: وفيات الأعيان (٢/٢٤٣-٢٤٥)، طبقات الشافعية للسبكي (٨/٣٢٦-٣٣٦).

(٣) لعل الصواب: لا في مطلق قراءة سورة الأنعام كاملة.

والخير المذكور في ذلك قد رويناه من حديث أبي بن كعب عن النبي ﷺ ، وفي إسناده ضعف، ولم نر له إسناداً صحيحاً، وقد روي ما يخالفه، فروي أنها لم تنزل جملة واحدة، بل نزلت آيات منها بالمدينة، اختلفوا في عددها، قيل ثلاث آيات، هي قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ إلى آخر الآيات، وقيل غير ذلك، وسائرهما نزل بمكة» (١).

ويميل العلامة الألوسي (٢) - رحمه الله - إلى هذا الرأي إذ قال في تفسيره بعد أن ذكر بعض الروايات الواردة في فضل سورة الأنعام، وحكم عليها بالضعف قال: «ولعل الأخبار بنزول هذه السورة جملة أيضاً كذلك» (٣).

ويقول أيضاً: «ويؤيد ما أشرنا إليه من ضعف الأخبار بالنزول جملة ما قاله ابن الصلاح»، فنقل قول ابن الصلاح في فتاويه ثم عقب عليه بقوله: «ومن هذا يعلم ما في دعوى الإمام - أي الرازي - اتفاق الناس على القول بنزولها جملة فتدبر» (٤).

(١) فتاوى ومسائل ابن الصلاح (١/٢٤٨-٢٤٩).

(٢) هو شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله بن محمود الألوسي - صاحب روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - توفي - رحمه الله - سنة (١٢٧٠ هـ). ترجمته: معجم المفسرين (٢/٦٦٥)، معجم المؤلفين (١٢/١٧٥).

هذا وقد قام الدكتور محسن عبد الحميد بدراسة وافية عن الألوسي ومنهجه في تفسيره نال بها درجة الماجستير من كلية الآداب بجامعة القاهرة، وقد صدرت عن مطبعة المعارف ببغداد.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي (٧/٧٦).

(٤) المصدر السابق مع الجزء والصفحة.

وليعلم أنه إذا أطلق لقب «الإمام» في كتب من بعد الرازي من المفسرين والأصوليين والمتكلمين فإن هذا اللقب ينصرف إلى الرازي، وكثيراً ما يستخدمه الألوسي في تفسيره.

المسألة الخامسة: بيان القول الراجح:

والذي يبدو -والله أعلم- من خلال النصوص السابقة أن القول القائل بأن سورة الأنعام نزلت جملة واحدة بمكة، وأنه لا يصح استثناء شيء من آيات السورة هو الأوفق، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: أن خبر نزول السورة جملة واحدة مروى عن جمع من الصحابة، منهم ابن عباس، وأنس بن مالك، وابن مسعود، وابن عمر، وأبي بن كعب، وأبو جحيفة، وهؤلاء هم أعرف الناس بحقائق التنزيل، وأعلمهم بدقائق التأويل، كما روي هذا الخبر عن غير واحد من التابعين، فكثرة هذه الروايات في قضية لا مجال للرأي فيها تدل على أن لها أصلاً صحيحاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «والأئمة كانوا يروون ما في الباب من الأحاديث التي لم يعلم أنها كذب من المرفوع والمسند والموقوف وآثار الصحابة والتابعين، لأن ذلك يقوي بعضه بعضاً»^(١).

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخرجها دلّ ذلك على أن لها أصلاً»^(٢).

ويقول أيضاً في هذا المعنى: «إن كثرة الطرق إذا اختلفت المخارج تزيد المتن قوة»^(٣).

وقال السيوطي -رحمه الله- بعد أن أورد مجموعة من الآثار الدالة على نزول السورة جملة واحدة بمكة: «فهذه شواهد يقوي بعضها

(١) الصفدية لابن تيمية (١/٢٨٧).

(٢) الفتح (٨/٢٩٣).

(٣) القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد لابن حجر (ص: ٨٩).

بعضاً»(١).

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - في معرض ترجيحه للقول بنزول سورة الأنعام جملة واحدة بمكة: «فكثرة الروايات في مسألة لا مجال فيها للرأي فتكون اجتهادية، ولا للهوى فتكون موضوعة، ولا لغلط الرواة فتكون معلولة، لا بد أن يكون لها أصل صحيح»(٢).

ثانياً: أن معظم الرواة الذين رووا الآيات المستثناة من مكية السورة لم يدركوا عهد التنزيل، اللهم إلا ابن عباس في استثنائه الآيات الثلاث : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى تمام الآيات الثلاث(٣)، وأبو حنيفة في استثنائه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾ الآية(٤)، على أنه قد روي عنهما نزول السورة جملة واحدة.

ثالثاً: أن النقاد من المفسرين المعتمدين قد ضربوا صفحاً عن قول القائل: إن في السورة آيات مدنية، فهذا هو الحافظ ابن كثير - رحمه الله - ساق في مطلع سورة الأنعام الروايات التي تدل على أن سورة الأنعام نزلت جملة واحدة بمكة، ولم يذكر رواية واحدة تثبت أن فيها آية مدنية(٥)، كما أن له وقفات جادة مع بعض الآيات اللاتي ادعي أنهن مدنيات، وذلك عند تفسيره لتلك الآيات، والحافظ ابن كثير كما هو معلوم من المفسرين القلائل الذين تفننوا في اختيار الروايات والتمييز بين صحيحها وسقيمها.

(١) الإتيان (١/١٢٠).

(٢) تفسير المنار (٧/٢٨٥).

(٣) سورة الأنعام الآيات (١٥١-١٥٣).

(٤) سورة الأنعام الآية (١١١).

(٥) انظر تفسير ابن كثير (٢/١٢٦-١٢٧).

رابعاً: أن الروايات الدالة على نزول السورة جملة واحدة روايات مثبتة، والروايات الدالة على استثناء بعض آياتها روايات نافية، وكما هو مقرر في الأصول فإن المثبت مقدم على النافي عند التعارض^(١).

قال صاحب المراقي:

وناقِل ومثبت والامر بعد النواهي ثم هذا الآخر^(٢)
وهنا نكون قد بلغنا نهاية المطاف في مناقشة نزول هذه السورة،
أهي نزلت جملة واحدة أم أن فيها آيات صح استثنائها منها؟

وبعد إنهاء هذه القضية ثمة سؤال جدير بالإجابة، وهو: كيف نجتمع بين ما قررنا من أن سورة الأنعام نزلت جملة واحدة وبين ما يقال في بعض الآيات بأنها نزلت في كذا؟

والجواب: لا استبعاد في ذلك إذا عرفنا القواعد التي يقوم عليها علم أسباب النزول؛ إذ لا يلزم أن يكون السبب مقارناً لنزول الآية، فقد يقع الحكم ويتأخر نزول الآية، وله أمثلة في القرآن الكريم، كآية الجمعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣) فالآية مدنية، ومعلوم أن فرض الجمعة كان بمكة^(٤).

(١) للتوسع في هذه القاعدة انظر: العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى الحنبلي (١٠٣٦/٣)، البحر المحيط للزركشي (١٧٢/٦).

(٢) متن مراقي السعود (ص: ١٦٦).

(٣) سورة الجمعة رقم ٩.

(٤) انظر: المبحث الذي عقدناه بعنوان: الصلات التي تتعلق بالمكي والمدني، المطلب السابع: ما تأخر حكمه عن نزوله، وما تأخر نزوله عن حكمه. (ص: ٢٢٤).

ولقد تولى - بدوره - دفع هذا الإشكال الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - فقال: «ويمكن أن يدفع الإشكال:

أولاً: بأنه لم يقل أحد بأن لكل آية من آيات هذه السورة سبباً، وإنما قيل ذلك في زهاء العشر من آياتها.

وثانياً: أن ما قيل في أسباب نزول تلك الآيات بعضه لا يصح والبعض الآخر لا يدل على نزول تلك الآيات متفرقة، وإنما قالوا: إن آية كذا نزلت في كذا، أو في قول المشركين كيت وكيت، وهذا هو الأكثر، فإذا صح كان معناه أن تلك الآيات نزلت بعد تلك الوقائع، والأقوال مبنية حكم الله فيها، وهذا لا ينافي نزولها دالة على ذلك في ضمن السورة»^(١).

ولعل هذه الأسطر تكون كافية فيما قيل في نزول سورة الأنعام، وما أثير حولها من مناقشات - والله أعلم -.

(١) تفسير المنار (٧/٢٨٦).

المطلب الثالث :

بقية الروايات الدالة على مكية سورة الأنعام

١- أخرج ابن الضريس من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس فذكر فيما نزل بمكة وما أنزل بالمدينة، وسورة الأنعام من القسم المكي^(١).

٢- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق فضيل بن الحسين عن حسان بن إبراهيم عن أمية الأزدي عن جابر بن زيد فعدد السور المكية والمدنية وسورة الأنعام من القسم المكي^(٢).

٣- وأخرج البيهقي من طريق علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن فذكرا السور المكية والمدنية، وسورة الأنعام ضمن القسم المكي^(٣).

٤- وأخرج ابن الأنباري من طريق همام بن يحيى عن قتادة، فأورد السور المدنية، وقال في القسم المكي: «وسائر القرآن نزل بمكة» ومنها سورة الأنعام^(٤).

٥- وأخرج أبو عبيد من طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة فذكر السور المدنية، وقال في القسم المكي: «وسائر ذلك بمكة» ومنها سورة الأنعام^(٥).

(١) انظر: فضائل القرآن لابن الضريس (ص: ٣٤).

(٢) انظر: البيان للداني (ص: ١٣٦).

(٣) انظر: دلائل النبوة (١٤٢/٧-١٤٣).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١/٦١-٦٢).

(٥) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (ص: ٣٤٠) برقم (٧٩٦).

٦- وذكر الزهري ترتيب السور المكية والمدنية، والأنعام من القسم المكي^(١).

٧- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق أحمد بن موسى عن يحيى بن سلام البصري عن أئمة أن سورة الأنعام مكية^(٢).

٨- وأورد أبو القاسم النيسابوري ترتيب السور المكية والمدنية وسورة الأنعام معدودة من القسم المكي^(٣).

٩- وذكر ابن شیطا في روايته للمكي والمدني السور المدنية، وكان في القسم المكي: «وباقى سور القرآن الخمس والثمانون مكية...» ومنها سورة الأنعام^(٤).

(١) ينظر: تنزيل القرآن (ص: ٤٧).

(٢) ينظر: البيان للداني (ص: ١٥١).

(٣) ينظر: التنزيل وترتيبه (٢٢٣ ق/أ).

(٤) ينظر: فنون الأفتان (ص: ٣٣٧-٣٣٨).

المبحث الثاني: سورة الأعراف

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : عرض موجز للسورة من حيث محتواها

وذكر أقوال أهل العلم فيها

المطلب الثاني: الروايات الدالة على مكة السورة

المطلب الثالث : بعض روايات أسباب النزول الدالة

على مكة السورة.

المطلب الأول:

عرض موجز للسورة من حيث محتواها

وذكر أقوال أهل العلم فيها^(١).

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: عرض موجز لمحتوى السورة.

سورة الأعراف هي أطول سورة مكية في القرآن الكريم، وهي كغيرها من السور المكية تقرر أصول الإسلام من توحيد الله، وإقامة الأدلة على وحدانيته، وإثبات النبوة والرسالة لمن اصطفاهم الله بذلك. والسورة في طريقة عرض الحقائق التي ذكرتها قد سلكت مسلكين:

المسلك الأول: أسلوب التذكير بالنعم

المسلك الثاني: أسلوب التخويف من العذاب العقيم

أما أسلوب التذكير بالنعم فنراه واضحاً في لفتها أنظار الناس إلى ما يلمسونه ويحسونه من نعمة تمكينهم في الأرض، ونعمة تمتع الإنسان بما في هذا الكون من خيرات سخرها الله له.

وأما أسلوب الإنذار والتخويف فهو ظاهر في جو السورة، إذ قد سجلت السورة جزاء المكذبين بأمر الله، وهذه ظاهرة كثيراً ما تتكرر الإشارة إليها في سور القرآن المكي، وما ذلك إلا لتحذير أهل مكة أن يصيبهم ما أصاب الأمم من قبلهم^(٢).

(١) ذكر الآيات اللاتي قيل إنهن مستثناة من السورة: الآيات ١٦٣-١٧١، وكذلك الآية ٢٠٤.

(٢) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم للدكتور عبد الله شحاتة (ص: ٩٣-٩٤) بتصرف.

هذا وقد احتلت الأحداث التاريخية أكبر مساحة في آيات السورة، وتناولت هذه الأحداث عرض جانب من حركة تاريخ الوجود البشرية على وجه الأرض، وأبرزت السورة من خلال ذلك بعض الدوافع والأسباب التي تسبب في هلاك الأمم^(١).

ولسيد قطب - رحمه الله - كلام نفيس فيه توضيح ما تتضمنه السورة من حقائق فيقول: «هذه السورة مكية كسورة الأنعام، وموضوعها الأساسي موضوع القرآن المكي، العقيدة، ولكن ما أشد اختلاف المجالين اللذين تتحرك فيهما السورتان في معالجة هذا الموضوع الواحد، وهذه القضية الكبيرة...، إن موضوع سورة الأنعام هو العقيدة، وموضع سورة الأعراف هو العقيدة، ولكن بينما سورة الأعراف تعالج العقيدة في ذاتها، وتعرض موضوع العقيدة وحقيقتها، وتواجه الجاهلية العربية في حينها - وكل جاهلية أخرى كذلك - مواجهة صاحب الحق الذي يصدع بالحق، ... بينما سورة الأنعام تتخذ هذا المنهج وتسلك ذلك الطريق، نجد سورة الأعراف - وهي تعالج موضوع العقيدة كذلك - تأخذ طريقا آخر، وتعرض موضوعا في مجال آخر، إنها تعرضه في مجال التاريخ البشري، في مجال رحلة البشرية كلها مبتدئة بالجنة والملا الأعلى، وعائدة على النقطة التي انطلقت منها»^(٢).



(١) قام الأخ الزميل سعيد سيلا بدراسة عن أسباب هلاك الأمم الماضية في القرآن الكريم نال بها درجة الماجستير من قسم التفسير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢) في ظلال القرآن (١٢٤٣/٣ - ١٢٤٤).

المسألة الثانية: أقوال أهل العلم في السورة.

نقل غير واحد من المفسرين الإجماع على مكية سورة الأعراف، فقد نقل الماوردي - رحمه الله - عن الحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة، وجابر بن زيد أن سورة الأعراف مكية كلها^(١). وقال العلامة الألويسي - رحمه الله - : «وأخرج غير واحد عن ابن عباس وابن الزبير أنها - أي سورة الأعراف - مكية ولم يستثنا شيئاً»^(٢). ويقول الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - : «الأعراف مكية بالإجماع، وقد أطلق القول في ذلك عن ابن عباس وابن الزبير»^(٣). ورغم هذا الإجماع الذي نقله هؤلاء الأئمة نجد أنه قد جاء في إحدى روايات عطاء الخراساني عن ابن عباس أن سورة الأعراف مدنية^(٤)، وهي رواية شاذة لا يعتد بها، إذ الروايات الثابتة عن ابن عباس تدلنا على أن سورة الأعراف مكية. وقد يقول قائل: كيف تكون السورة مما اتفق على مكيتها، وتوجد فيه مخالفة لإحدى روايات ابن عباس. والجواب على هذا كما ذكرت أن هذه الرواية شاذة، وعلى فرض ثبوتها فإن مخالفة الواحد أو الاثنين من أهل الاجتهاد لا تقدر في انعقاد الإجماع عند بعض محققي الأصوليين، وإنما الذي يقدر فيه ما زاد على ذلك^(٥).

(١) انظر: النكت والعيون (١٩٨/٢).

(٢) روح المعاني (٧٤/٨).

(٣) تفسير المنار (٢٩٤/٨).

(٤) انظر: الفهرست لابن النديم (ص: ٢٨).

(٥) انظر هذه القاعدة الأصولية في: التبصرة في أصول الفقه لأبي إسحاق الشيرازي

قال صاحب المراقي:

والكل واجب وقيل لا يضر الاثنان دون من عليهما كثر^(١).



→

(ص: ٣٦١) أصول السرخسي لأبي بكر السرخسي (١/٣١٦)، الإبهاج في شرح
المنهاج لعلي بن عبد الكافي السبكي وولده تاج الدين (٢/٣٧٥) مذكرة أصول الفقه
للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ص: ١٥٣).

(١) متن مراقي السعود (ص: ١١٣).

المطلب الثاني: الروايات الدالة على مكية السورة

- ١- أخرج ابن الضريس من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس فذكر فيما نزل بمكة وما أنزل بالمدينة، وسورة الأعراف من القسم المكي^(١).
- ٢- وأخرج النحاس من طريق أبي عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس قال: «سورة الأعراف نزلت بمكة فهي مكية»^(٢).
- ٣- وأخرج ابن مردويه بسنده عن عبد الله بن عباس قال: «سورة الأعراف نزلت بمكة»^(٣).
- ٤- وأخرج ابن مردويه بسنده عن عبد الله بن الزبير قال: «أنزل بمكة الأعراف»^(٤).
- ٥- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق فضيل بن الحسين عن حسان بن إبراهيم عن أمية الأزدي عن جابر بن زيد فذكر السور المكية والمدنية، وسورة الأعراف من القسم المكي^(٥).
- ٦- وأخرج أبو بكر بن الأنباري من طريق همام بن يحيى عن قتادة فذكر السور المدنية، وقال في القسم المكي: «وسائر القرآن نزل بمكة» ومنها سورة الأعراف^(٦).
- ٧- وأخرج أبو عبيد من طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي

(١) راجع: فضائل القرآن لابن الضريس (ص: ٣٣-٣٤).

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٣٥٨/٢).

(٣) الدر (٤١٢/٣).

(٤) المصدر السابق مع الجزء والصفحة.

(٥) انظر: البيان للداني (ص: ١٣٦).

(٦) ينظر: تفسير القرطبي (٦١/١-٦٢).

طلحة فذكر السور المدنية، وقال في القسم المكي: «وسائر ذلك بمكة»
ومنها سورة الأعراف^(١).

٨- وأورد الزهري ترتيب السور المكية والمدنية، وسورة الأعراف
ضمن القسم المكي^(٢).

٩- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق أحمد بن موسى عن يحيى
بن سلام البصري عن أئمة أن سورة الأعراف مكية^(٣).

١٠- وذكر أبو القاسم النيسابوري ترتيب القرآن المكي والمدني،
وعدّ سورة الأعراف ضمن القسم المكي^(٤).

١١- وأورد ابن شيطا في روايته للمكي والمدني السور المدنية،
وقال في القسم المكي: «وباقى سور القرآن الخمس والثمانون مكية»
ومنها سورة الأعراف^(٥).

(١) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (ص: ٣٤٠) برقم (٧٩٦).

(٢) ينظر: تنزيل القرآن (ص: ٢٦).

(٣) ينظر: البيان للداني (ص: ١٥٥).

(٤) ينظر: التنزيل وترتيبه (٢٢٣ ق/أ).

(٥) ينظر: فنون الأفنان (ص: ٣٣٧-٣٣٨).

المطلب الثالث :

بعض روايات أسباب النزول الدالة على مكية السورة

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال: «كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة، فتقول: من يعيرني تطوفاً تجعله على فرجها وتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله

فنزلت هذه الآية: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(١).

وجه الدلالة: أن هذا الحديث يدل على نزول هذه الآية في الوقت الذي كانت العرب تبتدع ابتداعات في شعيرة الحج، وهذا كان في المرحلة المكية، وقد كان للعرب ابتداعات في تلك الشعيرة، منها إنساء الشهور، وتعليق الأصنام في الكعبة مع التمسح بها، والتخرج من السعي بين الصفا والمروة، وكذلك التخرج من التجارة في أيام الحج، إلى غير ذلك من ابتدعاتهم^(٢).

وقد يقول قائل: كيق توفق بين هذا السبب الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه وبين ما أخرجه الحاكم في «المستدرک» من أن السبب المذكور قد نزل في شأنه قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ

(١) صحيح مسلم (٣٢٠/٤) برقم (٣٠٢٨) كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: ﴿

خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

(٢) أفدت من تعداد تلك الابتداعات من إملاءات شيخنا الدكتور عبد العزيز محمد

عثمان إبان تدريسه لنا مادة التفسير الموضوعي في السنة التحضيرية.

وَالطُّيْبَتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴿١﴾ الْآيَةُ (٢).

والجواب على هذا الإشكال ذكره الشيخ مقبل الوادعي فقال:
«فلعل الآيتين نزلتا معاً لهذا السبب» (٣).



(١) سورة الأعراف الآية (٣٢).

(٢) انظر: المستدرک (٣١٩-٣٢٠) وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) الصحيح المسند من أسباب النزول (ص: ٩٥).

المبحث الثالث: سورة يونس

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: عرض موجز لمحتوى السورة

المطلب الثاني: أقوال أهل العلم في السورة

المطلب الثالث: الروايات الدالة على مكية السورة

المطلب الأول: عرض موجز لمحتوى السورة^(١)

تتحدث سورة يونس عن الأهداف الكبرى لرسالة الإسلام «من إثبات أصول التوحيد، وهدم الشرك، وإثبات الرسالة، والبعث والجزاء، ودفع الشبهات عنها، وما يتعلق بذلك من مقاصد الدين الأصلية التي هي موضوع السور المكية»^(٢)

وهكذا يجد المتأمل في موضوعات هذه السورة ملامح القرآن المكي.

يقول سيد قطب - رحمه الله - بعد أن ذكر الخصائص العامة للقرآن المكي: «والموضوع الرئيسي في سورة يونس هو ذات الموضوع العام للقرآن المكي الذي سبق بيانه في الفقرة السابقة، والسورة تتناول محتوياته وفق طريقته الخاصة التي تحدد شخصيتها وملاحظتها»^(٣).

(١) ذكر الآيات اللاتي قيل إنهن مستثناة من مكية السورة: الآية رقم (٤٠، ٥٨، ٥٩، ٩٤، ٩٥، ٩٦).

(٢) ما بين القوسين مقتبس من تفسير المنار انظر: (١٤١/١).

(٣) في ظلال القرآن (١٧٤٦/٣).

المطلب الثاني : أقوال أهل العلم في السورة

أجمع أهل التفسير على أن سورة يونس مكية^(١)، غير أنه قد ورد في رواية ضعيفة أخرجه ابن مردويه في تفسيره من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس أن سورة يونس مدنية^(٢).

وإضافة إلى ضعف هذه الرواية فهي ليست هي المشهورة عن ابن عباس بل المشهور عنه أن سورة يونس مكية^(٣).

قال العلامة العيني^(٤) - رحمه الله -: «وفي رواية ابن مردويه عن ابن عباس فيها روايتان: (الأولى) وهي المشهورة عنه هي مكية، (الثانية) مدنية.»^(٥)

وقال السيوطي - رحمه الله -: «المشهور أنها مكية، وعن ابن عباس روايتان، فتقدم في الآثار السابقة عنها أنها مكية،... وأخرج - أي ابن مردويه - من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس أنها مدنية، ويؤيد المشهور ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس

(١) انظر نقل الإجماع في: النكت والعيون (٤٢٠/٢)، المحرر الوجيز (٣/٩)، مصاعد النظر (١٦٢/٢) البصائر (٢٣٨/١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكانبي (٤٢١/٢)، التحرير والتنوير (٧٧/١١).

(٢) انظر: الإقتان (٣٥/١)، والتحبير (ص: ٤٩)، روح المعاني (٥٨/١١)، تفسير المنار (١٤١/١١).

(٣) انظر نص الرواية المشهورة عن ابن عباس (ص: ٣٢٠).

(٤) هو أبو البقاء بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى توفي - رحمه الله - سنة (٨٥٥ هـ).

ترجمته: الضوء اللامع (١٣١/١٠-١٣٥) التبر المسبوك في ذيل السلوك للسخاوي (ص: ٣٧٥).

(٥) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للعيني (٢٨٣/٨).

قال: « لما بعث الله محمداً ﷺ - رسولا أنكرت العرب ذلك - أو من أنكر ذلك منهم -، فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فأنزل الله تعالى ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ﴾ الآية» (١).

وقال أيضاً - رحمه الله -: «وقد توافقت الأقوال التي حكيناها على أن سورة يونس مكية.» (٢)

ويقول العلامة الألوسي - رحمه الله في بيان الرواية الصحيحة عن ابن عباس: «والمعول عليه عند الجمهور الرواية الأولى - أي القول بمكية السورة-» (٣).

وقال العلامة الشوكاني (٤) - رحمه الله -: «وحكي عن الحسن وعكرمة وعطاء وجابر - أي ابن زيد - أنها مكية من غير استثناء» (٥).

(١) الإتيان (٣٥/١).

والأثر الذي ذكره السيوطي عن ابن أبي حاتم أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/١٥) برقم (١٧٥٢٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره، سورة يونس، برقم (١٨٦٤) كلاهما من طريق عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس، وإسنادهما فيه ضعف للانقطاع بين الضحاك وابن عباس، انظر بالتفصيل أقوال أهل العلم في هذا الانقطاع (ص: ٥٩٣).

والأثر زاد السيوطي نسبته إلى أبي الشيخ وابن مردويه انظر: الدر (٤/٣٤٠).

(٢) التحرير (ص: ٤٩).

(٣) روح المعاني (٥٨/١١).

(٤) هو محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني، كان زيدياً ثم رجع إلى مذهب أهل السنة، صنف فتح القدير في التفسير، ونيل الأوطار، توفي - رحمه الله - سنة (١٢٥٠ هـ).

ترجمته: معجم المفسرين (٥٩٣/٢)، معجم المؤلفين (٥٣/١١).

هذا وقد قام الدكتور محمد حسن الغماري بدراسة وافية عن الشوكاني وتفسيره نال بها درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى، وعنوانها: الشوكاني مفسراً، وطبعها دار الشروق بجدة في عام ١٤٠١ هـ.

(٥) فتح القدير (٤٢١/٢).

وقال ابن عاشور - رحمه الله -: «وهي مكية في قول الجمهور، وهو المروي عن ابن عباس في الأصح عنه»^(١).

وأطال الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - في ردّه على رواية عطاء الخراساني عن ابن عباس القائلة بمدينة سورة يونس، فمما قال في تفسيره: «وما رواه ابن مردويه من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس من كونها مدنية غلط مخالف للروايات الكثيرة عنه وعن غيره، بل للإجماع الذي يؤيده موضوع السورة من أولها إلى آخرها،.. وعثمان بن عطاء ضعيف متروك لا يحتج بروايته فيما يحتمل الصواب، فكيف ينظر إليها في مثل هذه المسألة»^(٢).

ولا يفوتني أن أذكر هنا قبل أن انتقل إلى الروايات الدالة على مكية السورة أن ابن الفرس والسخاوي قد حكيا عن بعض أهل العلم أن أول السورة إلى رأس أربعين آية مكّي، والباقي مدني^(٣)، وهذا القول ضعيف لا يستند إلى أيّ دليل يذكر.

(١) التحرير والتنوير (٧٧/١١).

(٢) تفسير المنار (١٤١/١١).

(٣) انظر: أحكام القرآن لابن الفرس (٢/٤٨٨ ق/ب) جمال القراء (١٢/١) الإتيان (٤٤/١ - ٤٥) تفسير القاسمي (٤/٩).

المطلب الثالث: الروايات الدالة على مكية السورة

١- أخرج ابن الضريس من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس مذكر فيما نزل بمكة وما أنزل بالمدينة، وسورة يونس ضمن القسم المكي^(١).

٢- وأخرج النحاس من طريق أبي عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس قال: «نزلت سورة يونس بمكة فهي مكية»^(٢).

٣- وأخرج ابن مردويه من طريق عطية العوفي عن ابن عباس قال: «نزلت سورة يونس بمكة»^(٣).

٤- وذكر ابن الجوزي في تفسيره من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن سورة يونس مكية^(٤).

٥- وأخرج ابن مردويه من طريق خصيف عن مجاهد عن عبد الله ابن الزبير قال: «أنزلت سورة يونس بمكة»^(٥).

٦- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق فضيل بن الحسين عن حسان بن إبراهيم عن أمية الأزدي عن جابر بن زيد فعُدّ السور المكية

(١) ينظر فضائل القرآن لابن الضريس (ص: ٣٤).

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢/٤٧٠).

(٣) الدر (٣٣٩/٤) إسناده مسلسل بالضعفاء.

والأثر ذكره السيوطي في الإتيان (٣٥/١) وفي التحبير (ص: ٤٩).

(٤) انظر: زاد المسير (٣/٤).

(٥) الدر (٣٣٩/٤)، وفي إسناده خصيف بن عبد الرحمن الجزري (صدوق سيئ الحفظ،

خلط بآخره، ورمي بالإرجاء). التقريب (١/٢٢٤).

والأثر ذكره السيوطي في الإتيان (٣٥/١)، وفي التحبير (ص: ٤٩).

- والمدينة ، وسورة يونس ضمن القسم المكي (١).
- ٧- وأخرج البيهقي من طريق علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن فذكرا السور المكية والمدينة، وسورة يونس من القسم المكي (٢).
- ٨- وأخرج أبو بكر بن الأنباري من طريق حجاج بن منهال عن همام عن قتادة فعُدَّ السور المدينة، وقال في القسم المكي: «وسائر القرآن نزل بمكة» ومنها سورة يونس (٣).
- ٩- وأخرج أبو عبيد من طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة، فذكر السور المدينة، وقال في القسم المكي: «وسائر ذلك بمكة» ومنها سورة يونس (٤).
- ١٠- وذكر الزهري -رحمه الله- السور المكية والمدينة وسورة يونس ضمن القسم المكي (٥).
- ١١- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق أحمد بن موسى عن يحيى بن سلام البصري عن أئمته أن سورة يونس مكية (٦).

(١) انظر: البيان للداني (ص: ١٣٦).

(٢) ينظر: دلائل النبوة للبيهقي (١٤٢/٧-١٤٣)، وقد عبرت الرواية اسم السورة باسم (التاسعة) على حسب ترتيب المصحف، قال البيهقي تعليقا على ذلك: «والتاسعة يريد سورة يونس» دلائل النبوة (١٤٣/٧).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (١/٦١-٦٢).

(٤) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (ص: ٣٤٠) برقم (٧٩٦) تحقيق نجاتي جوهرى وانظر تحقيق وهي غاوجي (ص: ٢٢١).

(٥) ينظر: تنزيل القرآن (ص: ٢٧).

(٦) ينظر: البيان للداني (ص: ١٦٣).

١٢- وذكر أبو القاسم النيسابوري ترتيب القرآن المكي والمدني
وسورة يونس ضمن القسم المكي^(١).

١٣- أورد ابن شيطا في روايته للمكي والمدني السور المدنية، وقال
في القسم المكي: « وباقي سور القرآن الخمس والثمانون مكية... »
ومنها سورة يونس^(٢).

(١) ينظر: التنزيل وترتيبه (٢٢٣ ق/أ).

(٢) ينظر: فنون الأفتان (ص: ٣٣٧-٣٣٨).

المبحث الرابع: سورة هود

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: عرض موجز للسورة من حيث محتواها

وذكر أقوال أهل العلم فيها.

المطلب الثاني: الروايات الدالة على مكية السورة

المطلب الثالث: بعض روايات أسباب النزول الدالة

على مكية السورة

المطلب الأول:

عرض موجز للسورة من حيث محتواها وذكر أقوال أهل العلم فيها (١)

سورة هود من السور المكية التي نزلت على رسول الله ﷺ في وقت كانت الدعوة تواجه طغيان قريش الذي بلغ في أوج حاله. وكان نزولها بعد نزول سورة يونس (٢).

قال العلامة الألوسي - رحمه الله -: «(وجه اتصالها بسورة يونس عليه السلام أنه ذكر في سورة يونس قصة نوح عليه السلام مختصرة جداً جملة فشرحت في هذه السورة وبسطت فيها ما لم تبسط في غيرها من السور ولا سورة الأعراف على طولها، ولا سورة ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ التي أفردت لقصته، فكانت هذه السورة شرحاً لما أجمل في تلك السورة وبسطاً له، ثم إن مطلعها شديد الارتباط بمطلع تلك، فإن قوله تعالى: ﴿الرَّكْبُ أَهْكَمَتْ آيَتُهُ﴾ نظير قوله سبحانه هناك: ﴿الرَّكْبُ أَهْكَمَتْ آيَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾، بل بين مطلع هذه وختام تلك شدة ارتباط أيضاً، حيث ختمت بنفي الشرك واتباع الوحي، وافتتحت هذه ببيان الوحي والتحذير من الشرك» (٣).

هذا وقد حكى كثير من أهل التفسير الإجماع على مكية هذه السورة (٤)، والحق أن الناظر في موضوعات آيات السورة يجزم أنها

(١) ذكر الآيات اللاتي قبل إنهن مستثناة من السورة: الآية رقم (١٢، ١٧، ١٤).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣١٢/١٢).

(٣) روح المعاني (٢٠٢/١١).

(٤) انظر: نقل الإجماع في: «المحرر الوجيز (١٥١/٩)، تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر

مكية، فكثير من آيات السورة تتحدث عن إثبات التوحيد، والنبوة، والمعاد، والرد على الكفار فيما أنكروه من هذا كله.

يقول سيد قطب -رحمه الله- مبيناً القضايا التي تعالجها السورة: «نجد تركيب السورة يحتوي على ثلاثة قطاعات متميزة:

القطاع الأول: يتضمن حقائق العقيدة في مقدمة السورة ويشغل حيزاً محدوداً.

القطاع الثاني: يتضمن حركة هذه الحقيقة في التاريخ ويشغل معظم سياق السورة.

القطاع الثالث: يتضمن التعقيب على هذه الحركة في حيز كذلك محدود، وواضح أن قطاعات السورة بجملة تتفاوت وتتناسق في تقرير الحقائق الاعتقادية الأساسية التي يستهدفها سياق السورة كله، وأن كل قطاع منها يقرر هذه الحقائق وفق طبيعة وطريقة تناوله لهذه الحقائق، وهي تختلف بين التقرير، والقصص، والتوجيه»^(١).

→

للکواشي (١٢١/٢ ق/ب)، البحر (١١٨/٦) مصاعد النظر (١٧٠/٢)، البصائر

(١/٢٥٥)، روح المعاني (٢٠٢/١١)، التحرير والتنوير (٣١١/١٢).

(١) في ظلال القرآن (١٨٤٤/٤).

المطلب الثاني: الروايات الدالة على مكية السورة

١- أخرج الترمذي - رحمه الله - من طريق أبي إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شئت، قال: «شيتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعمّ يتساءلون، وإذا الشمس كورت»^(١).

وجه الدلالة: إن السور المذكورة في الحديث كلهن مكيات، كما أن بين هذه السور أوجه تشابه ظاهرة أخرى، وهي أن السور قد أطلن النفس عن الحديث في قضايا البعث والجزاء والحساب، وهذه المقاصد من المقاصد الأساسية التي تتحدث عنه السور المكية. قال الطيبي - رحمه الله - في شرحه لهذا الحديث: «...وذلك لما في هذه السور من أهوال يوم القيامة، والمثالات النوازل بالأمم الماضية أخذ مني مأخذه حتى شئت قبل أوانه»^(٢).

(١) سنن الترمذي مع تحفة الأحوذى (١٣٠/٩ - ١٣١) برقم (٣٥١٥)، أبواب التفسير، سورة الواقعة.

وقال: «(هذا حديث حسن غريب لانعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه)». والحديث أخرجه أبو بكر المروزي في مسند أبي بكر (ص: ٦٨ - ٦٩) برقم (٣٠) والدارقطني في العلل وأطال ذكر علل هذا الحديث، (١/٩٣ - ٢١١) السؤال (١٧) والحاكم في المستدرک (٢/٣٤٣) وقال: «(صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه)». ووافقه الذهبي.

وأبو نعيم في الحلية (٤/٣٥٠) في ترجمة أبي إسحاق السبيعي. وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/١١٣) برقم (٢٦٢٧) وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/٦٧٦ - ٦٧٩) برقم (٩٥٥) وفي مختصر الشمائل الحمدي للترمذي (ص: ٤٠).

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى «الكاشف عن حقائق السنن»

٢- وأخرج ابن الضريس من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس فذكر فيما نزل بمكة وما نزل بالمدينة، وسورة هود من القسم المكي^(١).

٣- وأخرج النحاس من طريق أبي عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس قال: «نزلت سورة هود بمكة، فهي مكية»^(٢).

٤- وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير قال: «نزلت سورة هود بمكة»^(٣).

٥- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق فضيل بن الحسين عن حسان بن إبراهيم عن أمية الأزدي عن جابر بن زيد فذكر السور المكية والمدنية وسورة هود من القسم المكي^(٤).

٦- وأخرج البيهقي من طريق علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن فذكر السور المكية والمدنية وسورة هود من القسم المكي^(٥).

٧- وأخرج ابن الأنباري من طريق حجاج بن منهال عن همام عن قتادة فعُدَّ السور المدنية، وقال في القسم المكي: «وسائر القرآن نزل بمكة» ومنها سورة هود^(٦).

→

(١/٢٨٠).

(١) ينظر: فضائل القرآن لابن الضريس (ص: ٣٤).

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢/٤٧٢).

وزيادة على التخريج السابق زاد الإمام السيوطي نسبة هذا الأثر إلى أبي الشيخ وابن مردويه. انظر: الدر (٤/٣٩٦).

(٣) الدر (٤/٣٩٦).

(٤) ينظر: البيان للداني (ص: ١٣٦).

(٥) ينظر: دلائل النبوة (٧/١٤٢-١٤٣).

(٦) ينظر: تفسير القرطبي (١/٦١-٦٢).

٨- وأخرج أبو عبيد من طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة، فذكر السور المدنية، وقال في القسم المكي: «وسائر ذلك بمكة» ومنها سورة هود^(١).

٩- وذكر الزهري - رحمه الله - السور المكية والمدنية، وسورة هود ضمن القسم المكي^(٢).

١٠- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق أحمد بن موسى عن يحيى بن سلام البصري عن أئمة أن سورة هود مكية^(٣).

١١- وذكر أبو القاسم النيسابوري ترتيب السور المكية والمدنية وسورة هود من القسم المكي^(٤).

١٢- وعدد ابن شيطا في روايته للمكي والمدني السور المدنية، وقال في القسم المكي: «وباقى سور القرآن الخمس والثمانون مكية...» ومنها سورة هود^(٥).

(١) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (ص: ٣٤٠) برقم (٧٩٦).

(٢) ينظر: تنزيل القرآن (ص: ٢٧).

(٣) ينظر: البيان للداني (ص: ١٦٥).

(٤) ينظر: التنزيل وترتيبه (٢٢٣ ق/أ).

(٥) ينظر: فنون الأفنان (ص: ٣٣٧-٣٣٨).

المطلب الثالث:

بعض روايات أسباب النزول الدالة على مكية السورة

أخرج الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه بسنده عن محمد بن عباد بن جعفر أنه «سمع ابن عباس يقرأ : (أَلَا إِنَّهُمْ تَنْتُونِي صُدُورُهُمْ) قال سألتها عنها فقال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم»^(١).

وجه الدلالة: إن ظاهر الآية يدل على أن الصنيع الذي تحكيه الآية صنيع أهل النفاق، ولكن الرجوع إلى سبب النزول يبين لنا أن الآية تحكي صنيع فئة من المؤمنين في المرحلة المكية^(٢)، فعلوا ذلك ظناً منهم بأن الله سبحانه وتعالى يخفى عليه ما تكنه نفوسهم.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - منتقداً ما أخرجه الطبري - رحمه الله - بإسناده عن عبد الله بن شداد من نزول هذه الآية في المنافقين: «وهذا بعيد فإن الآية مكية»^(٣).

وقال المناوي^(٤) - رحمه الله - مشيراً إلى أن رواية البخاري تدل

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٨/٢٠٠: ٢) برقم (٤٦٨١) كتاب التفسير، باب ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يُنْتُونُ صُدُورُهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

(٢) ولأهمية معرفة السبب في تفسير الآية ذكر العلماء ضمن فوائد أسباب النزول الاستعانة على فهم المعنى المراد في الآية.

انظر مزيداً من التفصيل: مقدمة أسباب النزول للواحدي (ص: ٨)، مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص: ٣٨)، الإتيان (٩٣/١).

(٣) الفتح (٨/٢٠٠)، وانظر أثر عبد الله بن شداد في تفسير الطبري (٢٣٣/١٥) برقم (١٧٩٣٩).

(٤) هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين زين الدين المناوي، صنف الفتح السماوي

على نزول الآية في ناس من المؤمنين قال: «الثابت في البخاري أنها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يستحيون أن يتخلوا أو يجامعوا، فيفضوا بفروجهم إلى السماء»^(١).

ويقول الدكتور عبد العزيز الحميدي^(٢) مبينا ما يدل عليه حديث ابن عباس في البخاري: «وقد بين ابن عباس في هذا الحديث أن الآية نزلت في أناس كانوا يستخفون عند قضاء الحاجة وعند مجامعة النساء حتى لا يفضوا بعوراتهم إلى السماء حياء من الله تعالى، وبناء على هذا تكون هذه الآية قد نزلت في المسلمين، لأن الكفار لا يصدر منهم مثل هذا العمل غالباً»^(٣).

وثمة أمر آخر يدلنا على ضعف القول القائل بنزول الآية في المنافقين، وهو أن من مستلزمات هذا القول كون الضمائر في الآية عائدة على النبي ﷺ، وهذا لا يتناسب أن يحمل الآية عليه؛ إذ العلم بما يسره الشخص ويعلنه وما في صدره مما اختص به الله تبارك وتعالى.

→

بتخريج أحاديث تفسير البيضاوي، وفيض القدير، توفي - رحمه الله - سنة (١٠٣١ هـ).

ترجمته: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي (٢/٤١٢-٤١٦)، الأعلام (٦/٢٠٤).

(١) الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير القاضي البيضاوي للمناوي (٢/٧١٧-٧١٨).

(٢) عميد كلية أصول الدين بجامعة أم القرى سابقاً، وعميد معهد الدعوة وإعداد الدعاة التابع لرابطة العالم الإسلامي حالياً.

(٣) تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة للدكتور عبد العزيز الحميدي (١/٤٨٠).

قال الطبري - رحمه الله - في ترجيحه بين الأقوال التي فسرت بها الآية: «فأولى التأويلات بتأويل ذلك، تأويل من قال: إنهم كانوا يفعلون ذلك جهلاً، منهم بالله أنه يخفى عليه ما تضره نفوسهم أو تناجوه بينهم، وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالآية، لأن قوله: ﴿لَيْسَتْخَفُوا مِنْهُ﴾ بمعنى: ليستخفوا من الله، وأن الهاء في قوله: ﴿مِنْهُ﴾ عائدة على اسم الله ولم يجر لمحمد ذكر قبل، فيجعل من ذكره ﷺ وهي في سياق الخبر عن الله، فإذا كان ذلك كذلك بأن تكون من ذكر الله أولى» (١).

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بعد أن أورد رواية عبد الله بن شداد: «وعود الضمير إلى الله أولى لقوله: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾» (٢).

(١) تفسير الطبري (٢٣٨/١٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٥٢/٢).

المبحث الخامس: سورة يوسف

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : عرض موجز للسورة من حيث محتواها

وذكر أقوال أهل العلم فيها.

المطلب الثاني : الروايات الدالة على مكية السورة.

المطلب الأول :

عرض موجز للسورة من حيث محتواها
وذكر أقوال أهل العلم فيها ^(١).

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: عرض موجز للسورة من حيث محتواها:

سورة يوسف إحدى السور المكية التي تناولت جوانب كثيرة من خصائص القرآن المكي، ومن أبرزها قصص الأنبياء، فقد استغرقت قصة نبي الله يوسف -عليه السلام- جميع آيات السورة تقريباً، وما ذلك إلا للاستفادة بما في هذه القصة من حكم وعبر ومواعظ، وهذا ما قرره سبحانه وتعالى في مستهل القصة بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلِّسَّائِلِينَ﴾ ^(٢) كما قرره أيضاً في التعقيب الأخير على القصة بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ^(٣).

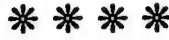
هذا وإن المتأمل في الوحدة الموضوعية في سورة يوسف يجد أنها تتكون من قسمين: القسم القصصي، والقسم التعقيبي، وفي هذا يقول الدكتور حسن باجودة: «وإذا نظرنا إلى وحدة الأحداث الموضوعية في سورة يوسف بشقيها القصصي والتعقيبي في ضوء فهم الوحدة

(١) ذكر الآيات اللاتي قيل إنهن مستثناة من مكية السورة: الآية رقم (١، ٢، ٣، ٧).

(٢) سورة يوسف الآية (٧).

(٣) سورة يوسف الآية (١١١).

الموضوعية نجد أن وحدة السورة متماسكة إلى أبعد درجات التماسك بحيث إن كل جزئية تفضي إلى التي تليها، ولا يمكن حذف جزئية واحدة، أو إضافة جزئية أخرى يفتقر إليها»^(١).



المسألة الثانية: أقوال أهل العلم في السورة:

حكى غير واحد من أهل التفسير الإجماع على مكية سورة يوسف - عليه السلام - قال الماوردي - رحمه الله - : «وهي مكية كلها»^(٢).
وقال ابن الجوزي - رحمه الله - : «هي مكية بالإجماع»^(٣).
وقال البقاعي - رحمه الله - : «مكية كلها إجماعاً»^(٤).
ويقول العلامة الألوسي - رحمه الله - : «مكية كلها على المعتمد»^(٥).

وما قيل من استثناء بعض آيات هذه السورة فهو قول في غاية من الضعف.

قال السيوطي - رحمه الله - مشيراً إلى هذا القول: «وهو واه جداً لا يلتفت إليه»^(٦).

وسياتي مزيد من أقوال أهل العلم في الرد على هذا الاستثناء.

(١) مقدمة كتاب: الوحدة الموضوعية في سورة يوسف عليه السلام للدكتور حسن باجودة (ص: ١).

(٢) النكت والعيون (٥/٣).

(٣) زاد المسير (١٧٦/٤).

(٤) مصاعد النظر (١٨٤/٢).

(٥) روح المعاني (١٧٠/١٢) وانظر أيضاً في نقل هذا الإجماع: الوسيط للواحدى (٥٩٩/٢) والإكلیل علی مدارك التنزيل لمحمد عبد الحق الهندي (٥٣/٥).

(٦) الإتيقان (٤٥/١).

المطلب الثاني: الروايات الدالة على مكية السورة

١- في حديث رفاعه بن رافع^(١) الذي أخرجه الحاكم في «المستدرک» فيه ما يدل على نزول سورة يوسف بمكة ونصه: قال الحاكم: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزاهد الأصبهاني، ثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل ثنا إبراهيم بن يحيى بن محمد المدني الشجري، حدثني أبي عن عبد بن يحيى عن معاذ بن رفاعه بن رافع الزرقى عن أبيه رفاعه بن رافع وكان قد شهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه خرج وابن خالته معاذ بن عفراء حتى قدما مكة، فلما هبطا من الثنية رأيا رجلا تحت شجرة، قال: وهذا قبل خروج الستة الأنصاريين، قال فلما رأيناه كلمناه، فقلنا نأتي هذا الرجل نستودعه حتى نطوف بالبيت، فسلمنا عليه تسليم الجاهلية، فرد علينا بسلام أهل الإسلام وقد سمعنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأنكرنا فقلنا من أنت؟ قال: أنزلوا فنزلنا فقلنا: أين الرجل الذي يدعي ويقول ما يقول: فقال: أنا، فقلت: فاعرض عليّ، فعرض علينا الإسلام، وقال: من خلق السماوات والأرض والجبال؟ قلنا: خلقهن الله، قال: فمن خلقكم؟ قلنا الله، قال: فمن عمل هذه الأصنام التي تعبدونها؟ قلنا نحن، قال: فالخالق أحق بالعبادة أم المخلوق؟ فأنتم أحق أن تعبدكم وأنتم عملتموها، والله أحق أن تعبدوه من شيء عملتموه، وأنا أدعو إلى عبادة الله وشهادة أن لا إله إلا الله، وأنني رسول الله، وصلة الرحم، وترك العدوان، وبغض

(١) صحابي أنصاري: شهد بدرًا، والمشاهد كلها، توفي -رحمه الله- سنة (٤١ هـ) وقيل (٤٢ هـ).

ترجمته: الإصابة (٥١٧/١)، الاستيعاب (٤٩٧/٢-٤٩٩).

الناس^(١)، قلنا لا والله لو كان الذي تدعو إليه باطلا لكان من معالي ومحاسن الأخلاق، فأمسك راحلتنا حتى نأتي البيت فجلس عنده معاذ بن عفراء، قال فجئت البيت فطفت وأخرجت سبعة أقداح، فجعلت له منها قدحا، فاستقبلت البيت فقلت: اللهم إن كان ما يدعو إليه محمد حقا فأخرج قدحه سبع مرات، فضربت بها، فخرج سبع مرات، فصحت أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فاجتمع الناس عليّ وقالوا مجنون رجل صبا، قلت: بل رجل مؤمن، ثم جئت إلى أعلى مكة، فلما رأني معاذ قال: لقد جاء رفاة بوجه ما ذهب بمثله، فجئت وآمنت، وعلمنا رسول الله ﷺ سورة يوسف، وقرأ باسم ربك الذي خلق، ثم خرجنا راجعين إلى المدينة، فلما كنا بالعقيق^(٢) قال معاذ إني لم أطرق أهلي ليلاً قط فبت بنا حتى نصبح، فقلت: أييت ومعني ما معي من الخبر، ما كنت لأفعل، وكان رفاة إذا خرج سافراً ثم قدم عرض قومه^(٣).

(١) في المستدرک ((وترك العدوان بغضب الناس)) وهو تصحيف، والتصويب من الدر انظر: (٤٩٤/٤).

(٢) من أشهر أودية المدينة المنورة، يأتيها من الشمال، وله ذكر كثير في أشعار العرب، وفي كتب البلدانيات، وبعضه داخل في حرم المدينة ... وهو ما حاذى جبل عير إلى جهة المدينة.

انظر: معجم المعالم الجغرافية (ص: ٢١٣) أخبار الوادي المبارك ((العقيق)) لمحمد حسن شراب (ص: ٣١-٣٢).

(٣) المستدرک (١٥٠-١٤٩/٤).

قال الحاكم: ((هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)) المستدرک (١٥٠/٤).

قلت: وفي إسناده إبراهيم بن يحيى المدني الشجري.

قال الأزدي: ((منكر الحديث)) تهذيب التهذيب (١١٤/١).

وقال الذهبي: ((صاحب مناكير)) الميزان (٥٧/١).

وقال الحافظ ابن حجر: ((لين الحديث)) التقريب (٤٥/١).

وجه الدلالة: إن قدوم رافع من المدينة إلى مكة وتعلمه من النبي ﷺ سورة يوسف لدليل على مكيتها.

قال العلامة الآلوسي - رحمه الله - بعد أن ذكر بعض الروايات الدالة على مكة السورة: «وهو الذي يقتضيه ما أخرجه الحاكم وصححه عن رفاع بن رافع من حديث طويل يحكي فيه قدوم رافع مكة وإسلامه وتعليم رسول الله ﷺ إياه هذه السورة، ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾» (١).

١- أخرج ابن الضريس من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس فذكر فيما نزل بمكة وما أنزل بالمدينة، وسورة يوسف من القسم المكي (٢).

٢- وأخرج النحاس من طريق أبي عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس قال: «نزلت سورة يوسف بمكة فهي مكة» (٣).

٣- وأخرج ابن مردويه بسنده عن عبد الله بن الزبير ؓ قال: «أنزلت سورة يوسف بمكة» (٤).

٤- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق فضيل بن الحسين عن حسان بن إبراهيم عن أمية الأزدي عن جابر بن زيد، فذكر السور المكية والمدنية، وسورة يوسف من القسم المكي (٥).

(١) روح المعاني (١٢/١٧٠).

(٢) انظر: فضائل القرآن لابن الضريس (ص: ٣٤).

(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢/٤٧٤) وزيادة في التخريج السابق لهذا الأثر فقد عزا السيوطي إلى أبي الشيخ وابن مردويه. انظر: الدر (٤/٤٩٤).

(٤) الدر (٤/٤٩٤).

(٥) انظر: البيان للداني (ص: ١٣٦).

٥- وأخرج البيهقي من طريق علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن فذكرا السور المكية والمدنية، وسورة يوسف من القسم المكي^(١).

٦- وأخرج أبو بكر بن الأنباري من طريق حجاج بن منهال عن همام عن قتادة فذكر السور المدنية، وقال في القسم المكي: «وسائر القرآن نزل بمكة» ومنها سورة يوسف^(٢).

٧- وأخرج أبو عبيد من طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة، فذكر السور المدنية، وقال في القسم المكي: «وسائر ذلك بمكة» ومنها سورة يوسف^(٣).

٨- وذكر الزهري -رحمه الله- السور المكية والمدنية، وسورة يوسف من القسم المكي^(٤).

٩- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق أحمد بن موسى عن يحيى بن سلام البصري عن أئمة أن سورة يوسف مكية^(٥).

١٠- وذكر أبو القاسم النيسابوري ترتيب السور المكية والمدنية، وعدّ سورة يوسف ضمن القسم المكي^(٦).

١١- وأورد ابن شيطا في رواية له في المكي والمدني السور المدنية، وقال في القسم المكي: «وباقى سور القرآن الخمس والثمانون مكية» ومنها سورة يوسف^(٧).

(١) انظر: دلائل النبوة (١٤٢/٧-١٤٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٦٢-٦١/١).

(٣) انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (ص: ٣٤٠) برقم (٧٩٦).

(٤) انظر: تنزيل القرآن (ص: ٢٧).

(٥) انظر: البيان للداني (ص: ١٦٧).

(٦) انظر: التنزيل وترتيبه (٢٢٣ ق/أ).

(٧) انظر: فنون الأفتان (ص: ٣٣٧-٣٣٨).

المبحث السادس : سورة إبراهيم ﷺ

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول : عرض موجز للسورة من حيث محتواها

وذكر أقوال أهل العلم فيها.

المطلب الثاني : الروايات الدالة على مكة السورة

المطلب الثالث : بعض روايات أسباب النزول الدالة

على مكة السورة

المطلب الأول:

عرض موجز للسورة من حيث محتواها
وذكر أقوال أهل العلم فيها^(١)

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: عرض موجز للسورة من حيث محتواها:

سورة إبراهيم من السور المكية التي عاجلت قضايا العقيدة، ويكاد يكون محور السورة الرئيسي قضية «الرسالة والرسول». يقول سيد قطب - رحمه الله - في عرضه للسورة: «هذه السورة - سورة إبراهيم - مكية، وموضوعها الأساسي موضوع السور المكية الغالب، العقيدة في أصولها الكبيرة: الوحي، والرسالة والتوحيد والبعث والحساب والجزاء»^(٢).

ويقول الدكتور عبد الله شحاته: «ومع أن سورة إبراهيم تتضمن عدة حقائق رئيسية في العقيدة إلا أن حقيقتين رئيسيتين تظهران أكثر من غيرهما في السورة: الحقيقة الأولى: وحدة الرسالة والرسول ووحدة دعوتهم...»

والحقيقة الثانية: بيان نعمة الله على البشر، وزيادة النعمة بالشكر ومقابلة أكثر الناس لها بالجحود والكفران»^(٣).

(١) ذكر الآيات اللاتي قيل إنهن مستثناة من السورة: الآيات (٢٨-٣٠).

(٢) في ظلال القرآن (٤/٢٠٧٧).

(٣) أهداف كل سورة ومقاصدها (ص: ١٦١).

المسألة الثانية: أقوال أهل العلم في السورة.

أجمع المفسرون على مكية سورة إبراهيم، قال ابن الجوزي - رحمه الله -: «مكية من غير خلاف قد علمناه بينهم إلا ما روي عن ابن عباس وقتادة»^(١).

وقال أبو حيان^(٢) - رحمه الله -: «هذه السورة مكية كلها في قول الجمهور»^(٣).

ويقول العلامة الآلوسي - رحمه الله - بعد أن أورد رواية ابن عباس وابن الزبير - رضي الله عنهما - على مكية هذه السورة: «والظاهر أنهما أرادا أنها كلها كذلك، وهو الذي عليه الجمهور»^(٤).

وقال ابن عاشور - رحمه الله -: «وهي مكية كلها عند الجمهور»^(٥).

هذه شذرات من أقوال أهل العلم عن السورة، وسيأتي ذكر مزيد من أقوال نقاد أهل العلم عند ذكر الآيات المستثناة من السورة.

(١) زاد المسير (٣٤٣/٤) تنبيه: لا يعني قول ابن الجوزي المذكور أن ابن عباس وقتادة يعارضان مكية السورة، وإنما يعني أنهما يريان استثناء بعض آياتها، وسيأتي توضيح ذلك مفصلاً.

(٢) هو محمد بن يوسف بن علي أثير الدين المشهور بأبي حيان الأندلسي، من مؤلفاته البحر المحيط في التفسير، والتذيل والتكميل في شرح التسهيل. توفي - رحمه الله - سنة (٧٤٥ هـ).

ترجمته: الدرر الكامنة (٧٠/٥-٧٦) طبقات المفسرين للدواودي (٢٨٧/٢-٢٩١). هذا وللدكتور محمد عبد النعم الشافعي دراسة وإفية عن أبي حيان ومنهجه في التفسير، نال بها درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر.

(٣) البحر المحيط (٤٠٥/٦).

(٤) روح المعاني (١٧٦/١٣).

(٥) التحرير والتنوير (١٧٧/١٣).

المطلب الثاني: الروايات الدالة على مكية السورة

١- أخرج الإمام البخاري بسنده عن ابن عباس قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ ﴿هُمْ كَفَارُ أَهْلِ مَكَّةَ﴾. (١)

وجه الدلالة: في أثر ابن عباس -رضي الله عنها- دليل على أن الآية عني بها كفار مكة، ومعلوم أن الخطاب الموجه إلى كفار مكة غالباً ما يكون في السور المكية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «...فإن السور المكية تضمنت الأصول التي اتفقت عليها رسل الله إذ كان الخطاب فيها يتضمن الدعوة لمن لا يقر بأصل الرسالة» (٢).

٢- وأخرج ابن الضريس من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس فذكر فيما نزل بمكة وما أنزل بالمدينة، وسورة إبراهيم ضمن القسم المكي (٣).

٣- وأخرج النحاس من طريق أبي عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس قال: «سورة إبراهيم مكية سوى آيتين منها، نزلت بالمدينة، وهما قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ ﴿إِلَى آخِرِ الْآيَتِينَ﴾» (٤).

٤- وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نزلت سورة إبراهيم عليه السلام بمكة» (٥).

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٢٢٩/٨) برقم (٤٧٠٠) كتاب التفسير، باب ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾.

(٢) مجموع الفتاوى (١٦٠/١٥).

(٣) انظر: فضائل القرآن لابن الضريس (ص: ٣٤).

(٤) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٤٨٠/٢).

(٥) الدر (٣/٥).

٥- وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهما قال: «نزلت سورة إبراهيم عليه السلام بمكة» (١).

٦- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق فضيل بن الحسين عن حسان بن إبراهيم عن أمية الأزدي عن جابر بن زيد، فذكر السور المكية والمدنية، وسورة إبراهيم من القسم المكي (٢).

٧- وأخرج البيهقي من طريق علي بن الحسين بن واقد عن أمية عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن، فعددا السور المكية والمدنية، وسورة إبراهيم من القسم المكي (٣).

٨- وأخرج أبو بكر بن الأنباري من طريق حجاج بن منهال عن همام عن قتادة، فذكر السور المدنية، وقال في القسم المكي: «وسائر القرآن نزل بمكة» ومنها سورة إبراهيم (٤).

٩- وأخرج أبو عبيد من طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة، فذكر السور المدنية، وقال في القسم المكي: «وسائر ذلك بمكة» ومنها سورة إبراهيم (٥).

١٠- وذكر الزهري ترتيب السور المكية والمدنية، وسورة إبراهيم معدودة ضمن القسم المكي (٦).

١١- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق أحمد بن موسى عن

(١) المصدر السابق مع الجزء والصفحة.

(٢) انظر: البيان للداني (ص: ١٣٦).

(٣) انظر: دلائل النبوة (٧/١٤٢-١٤٣).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١/٦١-٦٢).

(٥) انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (ص: ٣٤٠) برقم (٧٩٦).

(٦) ينظر: تنزيل القرآن (ص: ٢٨).

يحيى بن سلام البصري عن أئمته أن سورة إبراهيم مكية^(١).
١٢- وذكر أبو القاسم النيسابوري ترتيب السور المكية والمدنية،
وسورة إبراهيم معدودة من القسم المكي^(٢).
١٣- وفي رواية ابن شیطا في المكي والمدني قال بعد ذكره السور
المدنية: «وباقى سور القرآن الخمس والثمانون مكية» ومنها سورة
إبراهيم^(٣).

(١) ينظر: البيان للداني (ص: ١٧١).

(٢) ينظر: التنزيل وترتيبه (٢٢٣ ق/أ).

(٣) ينظر: فنون الأفنان (ص: ٣٣٧-٣٣٨).

المطلب الثالث:

بعض روايات أسباب النزول الدالة على مكية السورة

أخرج الإمام النسائي من طريق علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال: «نزلت في عذاب القبر، يقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ودين محمد ﷺ (١) فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٢).

وجه الدلالة: في الحديث دليل على أن الآية نزلت في شأن عذاب القبر، وقد سبق في خصائص القرآن المكي أن الحديث عن أمور البعث وأهوال الآخرة من خصائص المكي (٣).

قال الشاطبي -رحمه الله-: «وغالب المكي أنه مقرر لثلاثة معان: ...

والثالث: إثبات أمر البعث والدار الآخرة...» (٤).

(١) هكذا في تفسير النسائي ، ولعله سقط من المخطوط . والله أعلم .

(٢) تفسير النسائي (١/٦١٩) برقم (٢٨٤) وإسناده صحيح . والحديث أورده الشيخ مقبل الوداعي في الصحيح المسند من أسباب النزول انظر (ص: ١٢٣).

(٣) انظر: (ص ١٦٩-١٧٠) .

(٤) الموافقات (٣/٤١٦) .

المبحث السابع : سورة الحجر

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : عرض موجز لمحتوى السورة .

المطلب الثاني : أقوال أهل العلم في السورة .

المطلب الثالث : الروايات الدالة على مكانة السورة .

المطلب الأول : عرض موجز لمحتوى السورة (١)

تستهدف هذه السورة كغيرها من السور المكية إلى إظهار المقاصد الأصلية للعقيدة الإسلامية ، الوجدانية ، والنبوة ، والبعث والجزاء ، ولذا فإن محور السورة يدور حول مصارع المكذبين لرسول الله في شتى الأزمان ومختلف العصور .

يقول سيد قطب - رحمه الله - في عرضه للسورة : « محور هذه السورة الأول : هو إبراز طبيعة المكذبين بهذا الدين ودوافعهم الأصلية للتكذيب ، وتصوير المصير المخوف الذي ينتظر الكافرين المكذبين ... وحول هذا المحور يدور السياق في عدة جولات متنوعة الموضوع والمجال ، ترجع كلها إلى ذلك المحور الأصيل » (٢).

(١) ذكر الآيات اللاتي قيل إنهن مستثناة من السورة : الآية رقم (٢٤ ، ٨٧ ، ٩٠ ،

٩١) .

(٢) في ظلال القرآن (٤/٢١٢٢-٢١٢٣) .

المطلب الثاني : أقوال أهل العلم في السورة

- أجمع أهل التفسير على أن سورة الحجر مكية ، قال ابن الجوزي - رحمه الله - : «وهي مكية كلها من غير خلاف نعلمه» (١).
- وقال أبو حيان - رحمه الله - : «هذه السورة مكية بلا خلاف» (٢).
- ويقول الفيروزآبادي - رحمه الله - : «السورة مكية إجماعاً» (٣).
- وقال البقاعي - رحمه الله - : «مكية كلها إجماعاً» (٤).
- ويقول ابن عاشور - رحمه الله - : «وهي مكية كلها ، وحكي الاتفاق عليه» (٥).

(١) زاد المسير (٣٧٩/٤) .
(٢) البحر المحيط (٤٦٣/٦) .
(٣) البصائر (٢٧٢/١) .
(٤) مصاعد النظر (٢٠٢/٢) .
(٥) التحرير والتنوير (٥/١٤) .

المطلب الثالث : الروايات الدالة على مكة السورة

١ - أخرج ابن الضريس من طريق عطاء الخرساني عن ابن عباس فذكر فيما نزل بمكة وما أنزل بالمدينة ، وسورة الحجر من القسم المكي (١).

٢ - وأخرج النحاس من طريق أبي عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس قال: « نزلت سورة الحجر بمكة ، فهي مكة » (٢).

٣ - وأخرج ابن مردويه بسنده عن ابن عباس قال : « نزلت سورة الحجر بمكة » (٣).

٤ - وأخرج أبو عمرو الداني من طريق فضيل بن الحسين عن حسان بن إبراهيم عن أمية الأزدي عن جابر بن زيد ، فذكر السور المكية والمدنية ، وسورة الحجر ضمن القسم المكي (٤).

٥ - وأخرج البيهقي من طريق علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن ، فذكرا السور المكية والمدنية ، وسورة الحجر من القسم المكي (٥).

٦ - وأخرج ابن الأنباري من طريق حجاج بن منهال عن همام عن قتادة ، فعدد السور المدنية ، وقال في القسم المكي : « وسائر القرآن

(١) ينظر : فضائل القرآن لابن الضريس (ص : ٣٤) .

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢/٤٨٢) .

(٣) الدر (٥/٦١) ، والأثر له شاهد عن عبد الله بن الزبير ، انظر : المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٤) ينظر : البيان للداني (ص : ٣٦) .

(٥) ينظر : دلائل النبوة (٧/١٤٢-١٤٣) .

نزل بمكة » ، ومنها سورة الحجر (١).

٧ - وأخرج أبو عبيد من طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة ، فذكر السور المدنية ، وقال في القسم المكي : « وسائر ذلك بمكة » ، ومنها سورة الحجر (٢).

٨ - وأورد الزهري السور المكية والمدنية ، وسورة الحجر من القسم المكي (٣).

٩ - وأخرج أبو عمر الداني من طريق أحمد بن موسى عن يحيى بن سلام البصري عن أئمة أن سورة الحجر مكية (٤).

١٠ - وأورد أبو القاسم النيسابوري السور المكية والمدنية ، وسورة الحجر من القسم المكي (٥).

١١ - وأورد ابن شيطا السور المدنية ثم قال : « وباقي سور القرآن الخمس والثمانون مكية » ، ومنها سورة الحجر (٦).

(١) ينظر : تفسير القرطبي (١/٦١-٦٢) .

(٢) ينظر : فضائل القرآن لأبي عبيد (ص : ٣٤٠) برقم (٧٩٦) .

(٣) ينظر : تنزيل القرآن (ص : ٢٧) .

(٤) ينظر : البيان للداني (ص : ١٧٣) .

(٥) ينظر : التنزيل وترتيبه (٢٢٣ق/أ) .

(٦) ينظر : فنون الأفنان (ص : ٣٣٧-٣٣٨) .

المبحث الثامن : سورة النحل

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : عرض موجز لمحتوى السورة

المطلب الثاني : أقوال أهل العلم في السورة

المطلب الثالث : الروايات الدالة على مكانة السورة

المطلب الأول : عرض موجز لمحتوى السورة (١).

سورة النحل كغيرها من السور المكية عاجلت موضوع العقيدة من الألوهية ، والنبوة ، والبعث والحساب ، كما تحدثت السورة عن أدلة القدرة الإلهية في هذا الكون الدالة على وحدانيته من خلق السماوات والأرض ، وما فيهما من كواكب ونجوم وجبال وبحار .
وأوضحت السورة كذلك نعم الله تعالى الكثيرة التي منحها عباده ، ولأجل هذا سُمي سورة النعم (٢).

يقول سيد قطب - رحمه الله - في عرضه للسورة : « وهي كسائر السور المكية تعالج موضوع العقيدة الكبرى : الألوهية ، والوحي ، والبعث ، ولكنها تلم بموضوعات جانبية أخرى تتعلق بتلك الموضوعات الرئيسية ، تلم بحقيقة الوحدانية الكبرى التي تصل بين دين إبراهيم - عليه السلام - ودين محمد - ﷺ - وتلم بحقيقة الإرادة الإلهية والإرادة البشرية فيما يختص بالإيمان والكفر والهدي والضلال ، وتلم بوظيفة الرسل ، وسنة الله في المكذبين لهم ، وتلم بموضوع التحليل والتحریم وأوهام الوثنية حول هذا الموضوع ... ثم تضيف إلى موضوعات العقيدة موضوعات المعاملة : العدل ، والإحسان ، والإنفاق ، والوفاء بالعهد ، وغيرها من موضوعات السلوك القائم على العقيدة ، وهكذا هي مليئة حافلة من ناحية الموضوعات التي تعالجها » (٣).

(١) ذكر الآيات اللاتي قيل إنهن مستثناة من السورة : الآية رقم (٤١ ، ١٠١ ، ١٠٣ ،

١١٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨) .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير (٦٠١/٢) ، مساعد النظر (٢١٤/٢) .

(٣) في ظلال القرآن (٢١٥٨/٤) .

المطلب الثاني : أقوال أهل العلم في السورة

لم يختلف جمهور أهل العلم في مكية سورة النحل (١) اللهم إلا ما روي عن قتادة من القول بمدنية هذه السورة (٢) .

وحكى الأصم (٣) عن بعض أهل العلم مثل قول قتادة (٤) ، كما روي عن قتادة أيضاً وجابر بن زيد أنهما يقولان : إن أول السورة إلى الآية الأربعين مكِّي ، وما بعدها إلى آخر السورة مدني (٥) .

والحق أن القول القائل بمدنية سورة النحل قول مخالف لما عليه جمهور أهل العلم ، وهو قول شاذ لا ينبغي أن يلتفت إليه .

وأما ما روي عن قتادة في روايته الثانية وجابر بن زيد من أن أول السورة إلى الآية الأربعين مكِّي ، وما بعدها مدني فيناقضه أمور ، وهي على النحو التالي :

أولاً : حديث عثمان بن مظعون الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده فيه تصريح بأن الآية رقم (٩٠) كانت مقروءة لدى النبي ﷺ في العهد المكِّي ونصه كما يلي : قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر قال

(١) انظر رأي الجمهور في : النكت والعيون (١٧٧/٣) ، المحرر الوجيز (١٥٧/١٠) ، مصاعد النظر (٢٧٠/٢) ، البصائر (٢٧٨/١) ، التحرير والتنوير (٩٣/١٤) .

(٢) أخرجه الحارث المحاسبي في فهم القرآن (ص : ٣٩٥) من طريق سفيان عن معمر عن قتادة ، وابن الأنباري كما في تفسير القرطبي (١/٦١-٦٢) من طريق حجاج بن المنهال عن همام عن قتادة .

(٣) هو أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف ، توفي - رحمه الله - سنة (٣٤٦هـ) .

ترجمته : السير (٤٥٢/١٥-٤٦٠) ، الوافي بالوفيات (٢٢٣/٥) .

(٤) انظر : غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري (٤٣/١٤) .

(٥) انظر : البيان لللداني (ص : ١٣٦) ، مصاعد النظر (٢٠٩/٢) ، البصائر (٢٧٨/١) ، روح المعاني (٨٩/١٤-٩٠) ، التحرير والتنوير (٩٣/١٤) .

حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر حدثنا عبد الله بن عباس قال « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء بيته بمكة جالس إذ مر به عثمان بن مظعون فكشر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجلس ؟ قال : بلى ، قال : فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبله فبينما هو يحدثه إذ شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره إلى السماء فنظر ساعة إلى السماء فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الأرض فتحرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جلسه عثمان إلى حيث وضع بصره وأخذ ينغض رأسه كأنه يستفقه ما يقال له وابن مظعون ينظر فلما قضى حاجته واستفقه ما يقال له شخص بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء كما شخص أول مرة ، فأتبعه بصره حتى توارى في السماء فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى قال : يا محمد فيم كنت أجالسك وأتيك ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة قال وما رأيته فعلت قال رأيته تشخص ببصرك إلى السماء ثم وضعته حيث وضعته على يمينك فتحرفت إليه وتركتني فأخذت تنغض رأسك كأنك تستفقه شيئاً يقال لك قال وفطنت لذلك قال عثمان نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني رسول الله أنفا وأنت جالس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فما قال لك ؟ قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ قال عثمان فذلك حين استقر الإيمان في قلبي وأحببت محمداً » (١).

(١) المسند (٣٢٩-٣٣١) برقم (٢٩٢٢) طبعة أحمد شاكر ، والحديث حسنه الحافظ

ابن كثير فقال : «وقد ورد في نزول هذه الآية الكريمة حديث حسن» ، ثم ذكر

ثانياً : قد ورد عن ابن عباس بأسانيد صحيحة نزول خواتيم النحل بمكة ، كما ورد عنه القول بمدنيتهن (١) ، فإطلاق أن ما بعد الآية الأربعين مدني تحكم بلا دليل .

ثالثاً : وعلى فرض تسليم أن أربعين آية من أول السورة مكية ، وما بعدها مدني ، فإن من الملاحظ أن هذا القول يستلزم عليه أن تكون سورة النحل مدنية بناء على المعيار الذي وضعه جمهور أهل العلم في وصف السورة بأنها مكية أو مدنية (٢) .

يضاف إلى ذلك أن جابر بن زيد القائل بهذا القول لا يرى مدنية سورة النحل كما أورد أبو عمرو الداني روايته في ترتيب السور المكية والمدنية (٣) .

→

فقال : « إسناده جيد متصل حسن قد بين فيه السماع المتصل » . تفسير ابن كثير (٦٠٤/٢) .

وقال الهيثمي : « رواه أحمد وإسناده حسن » . المجمع (٥٢/٧) .

وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند . انظر : (٣٢٩/٤) .

وقد يقول قائل : كيف يتم تحسين هذا الحديث وفيه شهر بن حوشب المعروف بضعفه ؟

والجواب على هذا السؤال كما ذكره الإمام أحمد : « لا بأس بحديث عبد الحميد بن بهرام عن شهر » .

تهذيب الكمال (٤١١/١٦) .

(١) انظر : (ص : ٨٣٣-٨٣٦) .

(٢) انظر هذا المعيار في : (ص : ٤٢) .

(٣) انظر : البيان للداني (ص : ١٣٥-١٣٦) .

المطلب الثالث : الروايات الدالة على مكية سورة النحل

١ - أخرج ابن الضريس من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس فذكر فيما نزل بمكة وما أنزل بالمدينة ، وسورة النحل من القسم المكي (١).

٢ - وأخرج النحاس من طريق أبي عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس قال: « وسورة النحل نزلت بمكة فهي مكية ، سوى ثلاث آيات من آخرها فإنهن نزلن بين مكة والمدينة في منصرف رسول الله ﷺ من أحد... » (٢).

٣ - وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « نزلت سورة النحل بمكة » (٣).

٤ - وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير قال : « نزلت سورة النحل بمكة » (٤).

٥ - وأخرج البيهقي من طريق علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن فذكرا السور المكية والمدنية ، وسورة النحل من القسم المكي (٥).

٦ - وأخرج ابن الأنباري من طريق حجاج بن منهال عن همام عن قتادة ، فذكر السور المدنية ، وقال في القسم المكي : « وسائر ذلك

(١) انظر : فضائل القرآن لابن الضريس (ص : ٣٤) .

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٤٨٤/٢) .

(٣) الدر (١٠٧/٥) .

(٤) المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٥) انظر : دلائل النبوة (١٤٢/٧-١٤٣) .

نزل بمكة » ، ومنها سورة النحل (١).

٧ - وأخرج أبو عبيد من طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة ، فذكر السور المدنية ، وقال في القسم المكي : « وسائر ذلك بمكة » (٢).

٨ - وأورد الزهري ترتيب السور المكية والمدنية ، وسورة النحل ضمن القسم المكي (٣).

٩ - وأخرج أبو عمرو الداني من طريق أحمد بن موسى عن يحيى بن سلام البصري عن أئمة أن سورة النحل مكية (٤).

١٠ - وعدد أبو القاسم النيسابوري السور المكية والمدنية ، وسورة النحل معدودة من القسم المدني (٥).

١١ - وقال ابن شيطا في روايته للمكي والمدني بعد أن أورد السور المدنية : « وباقي سور القرآن الخمس والثمانون مكية » ، ومنها سورة النحل (٦).

(١) انظر : تفسير القرطبي (١/٦١-٦٢) .

(٢) انظر : فضائل القرآن لأبي عبيد (ص : ٣٤٠) برقم (٧٩٦) .

(٣) انظر : تنزيل القرآن (ص : ٢٨) .

(٤) ينظر : البيان للداني (ص : ١٧٥) .

(٥) ينظر : التنزيل وترتيبه (٢٢٣ق/أ) .

(٦) ينظر : فنون الأفنان (ص:٣٣٧-٣٣٨) .

المبحث التاسع :سورة الإسراء

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : عرض موجز للسورة من حيث محتواها

وذكر أقوال أهل العلم فيها .

المطلب الثاني : الروايات الدالة على مكية السورة .

المطلب الثالث : بعض روايات أسباب النزول الدالة

على مكية السورة .

المطلب الأول :

عرض موجز للسورة من حيث محتواها
وذكر أقوال أهل العلم فيها^(١)

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : عرض موجز لمحتوى السورة :

تعالج سورة الإسراء كغيرها من السور المكية قضية العقيدة ،
والسورة إضافة إلى ذلك تضم موضوعات أخرى ، ومن أبرزها الحديث
عن شخص الرسول ﷺ ورسالاته من خلال حادثة الإسراء ، وتحدثت
السورة كذلك عن بني إسرائيل ، وكان حديثها عن تلك الأمة متميزاً
عن كل سور القرآن التي تحدثت عنهم .

ففي الوقت الذي تحدثت سورة البقرة ، والأعراف ، وطه ، عن
مخالفة بني إسرائيل لهدي الأنبياء ، تحدثت سورة الإسراء حينما تناولت
قضيتهم عن الجذور التاريخية والفكرية للأمة اليهودية .

وهكذا كانت تسميتها ببني إسرائيل منطقية متطابقة مع موضوع
السورة .

وفي السورة أيضاً تقرير لبعض القضايا التشريعية ، ولعل السبب في
ذلك أنها من أواخر القرآن المكي ، فهي إذاً ممهدة للعهد المدني .

يقول سيد قطب - رحمه الله - في عرضه للسورة : « هذه السورة
- سورة الإسراء - مكية ، وهي تبدأ بتسبيح الله وتنتهي بحمده ،

(١) ذكر الآيات اللاتي قيل إنهن مستثنى من السورة : الآية رقم (٢٦) ، (٢٩) ، (٣٢) ، (٣٣) ،

(٥٧) ، (٦٠) ، (٧٣) ، (٧٤) ، (٧٥) ، (٧٦) ، (٧٧) ، (٧٨) ، (٧٩) ، (٨٠) ، (٨١) ، (٨٥) ، (٨٨) ، (١٠١) ،

(١٠٧) ، (١٠٨) ، (١٠٩) .

وتتضمن موضوعات شتى معظمها عن العقيدة ، وبعضها عن قواعد السلوك الفردي والجماعي وآدابه القائمة على العقيدة إلى شيء من القصص عن بني إسرائيل يتعلق بالمسجد الأقصى الذي كان إليه الإسراء ... ولكن العنصر البارز في كيان السورة ومحور موضوعاتها الأصيل هو شخص الرسول ﷺ ، وموقف القوم منه في مكة « (١) ».



المسألة الثانية : أقوال أهل العلم في السورة :

أجمع المفسرون على أن سورة الإسراء مكية ، قال الفيروزآبادي - رحمه الله - : «السورة مكية باتفاق» (٢).

وقال البقاعي - رحمه الله - : « مكية إجماعاً » (٣) .

ويقول العلامة الألوسي - رحمه الله - : « وهي كما أخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير رضي الله تعالى عنهم مكية ، وكونها كذلك بتمامها قول الجمهور » (٤).

وقال ابن عاشور - رحمه الله - : « ... أن السورة كلها مكية على الصحيح » (٥).

وقال أيضاً في حديثه عن تحديد وقت نزول السورة : « ويظهر أنها

(١) في ظلال القرآن (٤/٢٢٠٨) .

(٢) البصائر (١/٢٨٨) .

(٣) مصاعد النظر (٢/٢٢٨) .

(٤) روح المعاني (١٥/٢) .

(٥) التحرير والتنوير (١٥/١٨٦) .

نزلت في زمن كثرت فيه جماعة المسلمين بمكة ، وأخذ التشريع المتعلق بمعاملات جماعتهم يتطرق إلى نفوسهم ، فقد ذكرت فيها أحكام متتالية لم تذكر أمثال عددها في سورة مكية غيرها عدا سورة الأنعام ، وذلك من قوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ (١) (٢).

(١) سورة الإسراء ، الآيات (٢٣-٣٨) .

(٢) التحرير والتنوير (٦/١٥) .

المطلب الثاني : الروايات الدالة على مكة السورة

١ - الأحاديث الدالة على حادثة الإسراء والمعراج ، إذ الإسراء كان قبل الهجرة باتفاق أهل العلم .
قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « والإسراء كان قبل الهجرة بلا خلاف »^(١).

ومن تلك الأحاديث ما أخرجه الإمام البخاري بسنده عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - في حديث طويل وفيه : « كان أبو ذر يحدث أن رسول الله قال : فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة ... »^(٢).

٢ - أخرج الإمام البخاري بسنده عن ابن مسعود قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء : « إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي »^(٣).

وجه الدلالة : في الأثر دليل على أن سورة الإسراء من القرآن الأول الذي نزل بمكة .

قال أبو عبيد تعليقاً على هذا الأثر : « قوله : « من تلادي » : يقول : من أول ما أخذت من القرآن شبهة بتلاد المال القديم ، ومعناه :

(١) الفتح (٥٤٨/١) .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٥٤٧/١) برقم (٣٤٩) كتاب الصلاة ، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء .

من أحسن من اعتنى بجمع أحاديث الإسراء والمعراج الحافظ ابن كثير في تفسيره ، وقد جرد تلك الأحاديث مع الإضافة في بعض التعليقات الشيخ إسماعيل الأنصاري ، وطبعها في رسالة مستقلة .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (٦٥٤/٨) برقم (٤٩٩٤) كتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن .

أنَّ ذلك كان بمكة» (١).

ويقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « والغرض منه هنا أن هذه السور نزلن بمكة وأنها مرتبة في مصحف ابن مسعود كما هي في مصحف عثمان » (٢).

٣ - وأخرج ابن الضريس من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس فذكر في النزول المكي والمدني ، وسورة الإسراء من القسم المكي (٣).

٤ - وأخرج النحاس من طريق أبي عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس قال: « نزلت سورة بني إسرائيل بمكة ، فهي مكية » (٤).

٥ - وأخرج ابن مردويه بسنده عن ابن عباس قال : « نزلت سورة بني إسرائيل بمكة » (٥).

٦ - وأخرج أبو عمرو الداني من طريق فضيل بن الحسين عن حسان بن إبراهيم عن أمية الأزدي عن جابر بن زيد ، فذكر السور المكية والمدنية ، وسورة الإسراء من القسم المكي (٦).

٧ - وأخرج البيهقي من طريق علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن ، فذكرا السور المكية والمدنية ، وسورة الإسراء من القسم المكي (٧).

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد (ص : ٢٢١) .

(٢) الفتح (٦٥٧/٨) .

(٣) انظر : فضائل لابن الضريس (ص : ٣٤) .

(٤) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٤٨٩/٢) .

(٥) الدر (١٨١/٥) .

(٦) انظر : البيان للداني (ص : ١٣٦) .

(٧) انظر : دلائل النبوة (١٤٢/٧-١٤٣) .

٨ - وأخرج ابن الأنباري من طريق حجاج بن منهال عن همام عن قتادة ، فذكر السور المدنية ، وقال في القسم المكي : « وسائر القرآن نزل بمكة » ، ومنها سورة الإسراء (١).

٩ - وأخرج أبو عبيد من طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة ، فذكر السور المدنية ، وقال في القسم المكي : « وسائر ذلك بمكة » ، ومن بينها سورة الإسراء (٢).

١٠ - وأورد الزهري ترتيب السور المكية والمدنية ، وسورة الإسراء من القسم المكي (٣).

١١ - وأخرج أبو عمرو الداني من طريق أحمد بن موسى عن يحيى بن سلام البصري عن أئمة أن سورة الإسراء مكية (٤).

١٢ - وذكر أبو القاسم النيسابوري ترتيب السور المكية والمدنية ، وسورة الإسراء ضمن القسم المكي (٥).

١٣ - وأورد ابن شيطا في روايته للمكي والمدني السور المدنية ثم قال : « وباقي سور القرآن الخمس والثمانون مكية » ، ومنها سورة الإسراء (٦).

(١) انظر : تفسير القرطبي (١/٦١-٦٢) .

(٢) انظر : فضائل القرآن لأبي عبيد (ص : ٣٤٠) برقم (٧٩٦) .

(٣) انظر : تنزيل القرآن (ص : ٢٧) .

(٤) انظر : البيان للداني (ص : ١٧٧) .

(٥) انظر : التنزيل وترتيبه (٢٢٣ق/أ) .

(٦) انظر : فنون الألفان (ص : ٣٣٧-٣٣٨) .

المطلب الثالث :

بعض روايات أسباب النزول الدالة على مكية السورة

١ - أخرج الإمام البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ قال: «نزلت ورسول الله ﷺ مخفف بمكة، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله، ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ أي بقراءتك فيهم فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿وَاتَّبَعَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾»^(١).

٢ - وأخرج الإمام أحمد من طريق الأعمش عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا، وأن ينحي الجبال عنهم فيزدرعوا^(٢) فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم، قال: لا بل

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٢٥٧/٨) برقم (٤٧٢٢)، كتاب التفسير، باب ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾.

وأخرجه مسلم في صحيحه (٣٢٩/١) برقم (٤٤٦)، كتاب الصلاة، باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإسرار إذا خاف من الجهر مفسدة.

(٢) هكذا في المسند وهي لغة فصيحة بمعنى الزرع. انظر: لسان العرب (١٤١/٨).

أستأني بهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ
إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ ^(١).



(١) المسند (٢٥٨/١) برقم (٢٣٣٣) طبعة شاكر .

والحديث أخرجه البزار . انظر : كشف الأستار (٥٥/٣) برقم (٢٢٢٤) ، والنسائي
في تفسيره (٦٥٥/١) برقم (٣١٠) ، والطبري في تفسيره (١٠٨/١٥) ، والحاكم في
المستدرك (٣٦٢/٢) ، وصححه ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الدلائل (٢٧١/٢) ،
والواحدي في أسباب النزول (ص : ٢٨٨) ، كلهم من طريق جرير عن الأعمش به .
وصححه الهيثمي . انظر : مجمع الزوائد (٥٣/٧) ، وأحمد شاكر في تعليقه على
المسند .

الفصل الثاني :

السور المتفق على مدنيّتها

وفيه ستة مباحث :

- المبحث الأول: سورة البقرة**
- المبحث الثاني: سورة آل عمران**
- المبحث الثالث: سورة النساء**
- المبحث الرابع: سورة المائدة**
- المبحث الخامس: سورة الأنفال**
- المبحث السادس: سورة التوبة**

المبحث الأول: سورة البقرة

وفيه ثلاثة مطالب :

**المطلب الأول : عرض موجز للسورة من حيث محتواها
وذكر أقوال أهل العلم فيها**

المطلب الثاني : الروايات الدالة على مدنية السورة

**المطلب الثالث : بعض روايات أسباب النزول الدالة
على مدنية السورة**

المطلب الأول:

عرض موجز للسورة من حيث محتواها
وذكر أقوال أهل العلم فيها (١)

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: عرض موجز لمحتوى السورة

سورة البقرة أطول سورة في القرآن الكريم ، وتعالج معظم آيات السورة الأحكام التشريعية من عبادات ومعاملات، وفي أبواب النكاح، والطلاق، إلى غير ذلك من الأحكام التشريعية التفصيلية.

ومع أن الإطار العام الذي رسمته السورة هو الحديث عن التشريعات التفصيلية فإن السورة لم تخل من الحديث عن العقيدة ففيها كثير من أدلة التوحيد، كما ذكّرت مبدأ خلق الإنسان.

ومن لطائف ما وقفت عليه في تصوير الوحدة الموضوعية لسورة البقرة هو ما ذكره الدكتور محمد عبد الله دراز حيث قال: «اعلم أن هذه السورة على طولها تتألف وحدتها من: مقدمة، وأربعة مقاصد، وخاتمة على هذا الترتيب:

المقدمة: في التعريف بشأن هذا القرآن، وبيان أن ما فيه من الهداية قد بلغ حداً من الوضوح لا يتردد فيه ذو قلب سليم، وإنما يعرض عنه من لا قلب له، أو كان في قلبه مرض.

المقصد الأول: دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام
المقصد الثاني : دعوة أهل الكتاب دعوة خاصة إلى ترك باطلهم،

(١) ذكر الآيات اللاتي قيل إنهن مستثناة من السورة، الآية رقم (١٠٩، ٢٧٢، ٢٨١).

والدخول في هذا الدين الحق.

المقصد الثالث: في عرض شرائع هذا الدين تفصيلاً

المقصد الرابع: ذكر الوازع والنازع الديني الذي يبعث على ملازمة

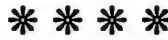
تلك الشرائع ويعصم عن مخالفتها

الخاتمة: في التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة لتلك

المقاصد، وبيان ما يرجى لهم في آجلهم وعاجلهم»^(١).

ثم بدأ الدكتور الدراز -رحمه الله- تفصيل تلك الأمور بأسلوب

جذاب فريد.



المسألة الثانية: أقوال أهل العلم في السورة:

أجمع المفسرون على أن سورة البقرة مدنية، قال الحافظ ابن كثير -
رحمه الله- «والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف وهي من أوائل ما نزل
بها»^(٢).

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «واتفقوا على أنها - أي
البقرة - مدنية، وأنها أول سورة أنزلت بها»^(٣).

ومع أن في السورة آيات من أوائل ما نزل بالمدينة كذلك فيها آيات
من أواخر ما نزل بالمدينة، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه
الله-: «والبقرة وإن كانت مدنية بالاتفاق وقد قيل إنها أول ما نزل

(١) النبأ العظيم للدكتور دراز (ص: ١٥٨-١٥٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٣٧/١).

(٣) الفتح (١٠/٨).

بالمدينة فلا ريب أن هذا في بعض ما نزل وإلا فتحریم الربا إنما نزل متأخراً، وقوله : ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ من آخر ما نزل، وقوله : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ نزل عام الحديبية سنة ست باتفاق العلماء» (١).

وقد يقول قائل: ذكرتم أنفاً نقلاً عن الحافظ ابن حجر - رحمه الله - أن سورة البقرة هي أول سورة أنزلت بالمدينة، فكيف نوفق بين هذا القول وبين ما أخرجه الواحدي في أسباب النزول بسنده عن علي بن الحسين زين العابدين من أن سورة المطففين هي أول سورة أنزلت بالمدينة؟ (٢).

هذا من جهة، ومن جهة أخرى قد ذكر النجم النسفي (٣) في تفسيره المسمى «التيسير في التفسير» أن سورة القدر هي أول سورة أنزلت بالمدينة (٤)، فأبي قول أصوب في الأقوال الثلاثة؟

(١) مجموع الفتاوى (١٧/١٩٣).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص: ١٣).

(٣) هو أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد، صاحب التيسير في التفسير، والعقائد النسفية

الموجودة ضمن مجموع أمهات المتون، توفي - رحمه الله - سنة (٥٣٧ هـ)

ترجمته: طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ٨٨)، طبقات المفسرين للداودي (٢/٧-٩).

(٤) انظر: التيسير في التفسير للنجم النسفي (٤٥/١ ق/أ).

وانظر: الإتيقان (٨١/١) نقلاً عن النسفي، ولعل الدكتور مصطفى البغا خالف الصواب

حينما ظن أن النسفي الذي ذكره السيوطي هو صاحب «مدارك التنزيل وحقائق

التأويل» المشهور بتفسير النسفي؛ إذ إنه علق على نقل السيوطي بقوله: «ولم أجد هذا

الكلام - يعني كون سورة القدر أول سورة نزلت بالمدينة - للنسفي عند تفسيره سورة

القدر» الإتيقان (٨١/١) هامش رقم (٢).

أولاً: الجواب عما أخرجه الواحدي من أولية سورة المطففين مما نزل
بالمدينة

إن في إسناد الواحدي لهذه الرواية علياً بن الحسين الواقدي.
قال الإمام البخاري عنه: «كنت أمرّ عليه طرفي النهار ولم أكتب
عنه»^(١).

وقال أبو حاتم الرازي: «ضعيف الحديث»^(٢).

وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق يهمل»^(٣).

ثانياً: الجواب عما ذكره النجم النسفي من أولية سورة القدر مما نزل
بالمدينة :

إن ما ذكره النجم النسفي من أولية سورة القدر مما نزل بالمدينة قول
حكاه عن الواقدي، ومعلوم عند أهل العلم أن الواقدي متروك
الحديث^(٤).

(١) التاريخ الكبير (٢٦٧/٦)

(٢) الجرح (١٧٦/٦)

(٣) التقريب (٣٥/٢)

(٤) انظر بالتفصيل أقوال أهل العلم في الواقدي (ص: ٥٧٩-٥٨٠) .

المطلب الثاني: الروايات الدالة على مدنية السورة

١- أخرج الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه بسنده عن يوسف بن ماهك قال: «إني عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إذ جاءها عراقي فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك وما يضرك، قال: يا أم المؤمنين أريني مصحفك، قالت: لم؟ قال: لعلي أولف القرآن عليه، فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أية قرأت قبل، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لاتشربوا الخمر لقالوا لاندع الخمر أبداً، ولو نزل لاتزنوا لقالوا لاندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ﴾ وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السور»^(١).

وجه الاستدلال: إن وجه الاستدلال بحديث عائشة على مدنية سورة البقرة هو أنه من المعلوم أن النبي ﷺ لم يدخل على عائشة إلا بالمدينة المنورة، وكان ذلك في شوال من السنة الأولى للهجرة^(٢).

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٦٥٤/٨) كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، حديث رقم (٤٩٩٣).

قال الحافظ ابن حجر: «لم أقف على اسمه -أي الرجل العراقي-».

الفتح (٦٥٥/٨).

(٢) جزم ذلك الحافظ ابن حجر في الإصابة (٣٥٩/٤).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - معلقا على هذا الحديث: «وأشارت - أي عائشة - بقولها «وأنا عنده» أي بالمدينة، لأن دخولها عليه إنما كان بعد الهجرة اتفاقا» (١).

٢- وأخرج الإمام البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا» (٢).

وجه الدلالة: إن آخرية آية الربا تقتضي أن تكون الآية مدنية النزول، وهي من آيات سورة البقرة (٣).

٣- وأخرج ابن الضريس من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس قال: «ما نزل من القرآن بمكة وما أنزل منه بالمدينة، الأول فالأول...» فقال بعد أن عدد السور المكية: «ثم أنزل بالمدينة سورة البقرة...» (٤).

٤- وأخرج النحاس بسنده عن ابن عباس أن سورة البقرة مدنية (٥).

٥- وأخرج ابن مردويه بسنده عن ابن عباس قال: «نزلت بالمدينة سورة البقرة» (٦).

٦- وأخرج ابن مردويه بسنده عن عبد الله بن الزبير قال: «أنزل

(١) الفتح (٦٥٦/٨).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٥٢/٨) برقم (٤٥٤٤) كتاب التفسير، باب ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾.

(٣) انظر بالتفصيل أقوال أهل العلم في آخر آية نزلت على النبي ﷺ والجمع بين تلك الأقوال: (ص: ٥٢١) هامش رقم (١).

(٤) فضائل القرآن لابن الضريس (ص: ٣٤).

(٥) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (٣١٦/٢-٣١٧).

(٦) الدر المنثور (٤٦/١) والأثر ذكره ابن كثير في تفسيره (٣٧/١) من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس.

بالمدينة سورة البقرة»^(١).

٧- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق فضيل بن الحسين عن حسان بن إبراهيم عن أمية الأزدي عن جابر بن زيد فذكر السور المكية والمدينة، وسورة البقرة من القسم المدني^(٢).

٨- وأخرج أبو داود في «الناسخ والمنسوخ» له بسنده عن عكرمة قال: «أول سورة نزلت بالمدينة سورة البقرة»^(٣).

٩- وأخرج البيهقي من طريق علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن فذكرا السور المكية والمدينة، وسورة البقرة من القسم المدني^(٤).

١٠- وأخرج الحارث المحاسبي من طريق سفيان بن عيينة عن معمر عن قتادة قال: «السور المدنية: البقرة...»^(٥).

١١- وأخرج أبو بكر بن الأنباري من طريق حجاج بن منهال عن همام عن قتادة قال: «نزل بالمدينة من القرآن البقرة...»^(٦).

١٢- وأخرج أبو عبيد من طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة قال: «نزلت بالمدينة سورة البقرة...»^(٧).

١٣- وذكر الإمام الزهري -رحمه الله- السور المكية والمدينة، وجعل

(١) الدر (٤٦/١) والأثر ذكره ابن كثير في تفسيره (٣٧/١) من طريق خصيف عن مجاهد عن عبد الله بن الزبير.

(٢) انظر: البيان للداني (ص: ١٣٦).

(٣) الدر (٤٦/١).

(٤) ينظر: دلائل النبوة (٧/١٤٢-١٤٣).

(٥) فهم القرآن (ص: ٣٩٥).

(٦) تفسير القرطبي (١/٦١-٦٢).

(٧) فضائل القرآن لأبي عبيد (ص: ٣٤٠) برقم (٧٩٦).

سورة البقرة ضمن القسم المدني^(١).

١٤- وأخرج ابن أشته^(٢) من طريق ابن وهب عن سليمان بن بلال قال: «سمعت ربيعة يسأل: لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة بحكمة، وإنما أنزلنا بالمدينة؟ فقال: قدّمنا وألف القرآن على علم ممن ألف به، ومن كان معه فيه، واجتماعهم على علمهم بذلك، فهذا مما ينتهي إليه ولا يسأل عنه»^(٣).

١٤- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق أحمد بن موسى عن يحيى بن سلام البصري عن أئمتته أن سورة البقرة مدنية^(٤).

١٥- وأورد أبو القاسم النيسابوري ترتيب القرآن المكي والمدني، وجعل سورة البقرة ضمن القسم المدني^(٥).

١٦- وعدّد ابن شيطا في روايته للمكي والمدني السور المدنية ومنها سورة البقرة^(٦).

(١) انظر: تنزيل القرآن (ص: ٢٩).

(٢) هو محمد بن عبد الله أبو بكر الأصبهاني المقرئ النحوي، من مؤلفاته المصاحف، والمفيد في القراءات الشاذة، توفي - رحمه الله - سنة (٣٦٠ هـ). ترجمته: معرفة القراء الكبار (١/٣٢١)، بغية الوعاة (١/١٤٢).

(٣) الإتيقان (١/١٩٨-١٩٩) وإسناد رجاله ثقات.

(٤) ينظر: البيان للداني (ص: ١٤٠).

(٥) ينظر: التنزيل وترتيبه (٢٢٣ ق/ب).

(٦) ينظر: فنون الأفتان (ص: ٣٣٧-٣٣٨).

المطلب الثالث :

بعض روايات أسباب النزول الدالة على مدنية السورة

١- أخرج الإمام البخاري - رحمه الله - بسنده عن البراء بن عازب قال: «إن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده - أو قال أحواله - من الأنصار، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل من صلى معه، فمرّ على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة، فداروا - كما هم - قبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب، فلما ولّى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك.

قال زهير: حدثنا أبو إسحاق عن البراء في حديثه هذا أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا، فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾^(١).

وجه الدلالة: في الحديث دليل واضح على أن هذه الآية ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ مدنية، لأن تحول النبي ﷺ في صلاته إلى الكعبة كان في منتصف رجب سنة اثنتين من الهجرة^(٢).

٢- وأخرج الإمام البخاري بسنده عن البراء قال: «كان أصحاب

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١/١١٨) كتاب الإيمان باب الصلاة من الإيمان، حديث رقم (٤٠).

(٢) ينظر: تاريخ خليفة بن خياط (ص: ٦٤)، الفتح (١/١٢٠).

محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فغلبته عيناه، فجاءته امرأته، فلما رآته قالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فنزلت هذه الآية ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ ففرحوا بها فرحاً شديداً، ونزلت ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَيْضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ (١).

وجه الدلالة: ورد في الحديث آية من سورة البقرة تتناول بالتفصيل بعض أحكام الصيام، ومعلوم أن مشروعية الصيام كانت في المدينة لعشر من شهر شعبان في السنة الثانية من الهجرة (٢).

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن قيس بن صرمة الأنصاري الذي نزلت الآية في شأنه من الأنصار، ومعلوم بداهة أنه لم يكن ثمة قرآن نزل في شأن الأنصار إلا في المرحلة المدنية.

٣- وأخرج البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت عكاظ ومجنة وذو الحجاز أسواقاً في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في المواسم، فنزلت ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١٥٤/٤) برقم (١٩١٥) كتاب الصوم، باب قول الله

تعالى جل ذكره ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ الآية.

(٢) ينظر: المجموع شرح المذهب للنووي (٣٥٠/٦).

في مواسم الحج»^(١).

وجه الدلالة: في الأثر تصريح بأن قوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ نزل في تأثم بعض الصحابة التجارة في موسم الحج، وكما هو مذهب جمهور أهل العلم أن تاريخ مشروعية الحج كان في أواخر سنة تسع من الهجرة^(٢).

وهكذا تكون هذه الآية مدنية وهي من آيات سورة البقرة.

٤- وأخرج الإمام البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا قرأها رسول الله ﷺ على الناس، ثم حرم التجارة في الخمر»^(٣).

وجه الدلالة: في الحديث دليل على أن آيات من آخر سورة البقرة نزلت في شأن تحريم الربا، وتبتدئ تلك الآيات من قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَأَقْبُوا يَوْمًا تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٤).

وتحريم الربا كما هو معلوم لم يكن إلا في المرحلة المدنية.
وقد يقول قائل: هل يفهم ما ذكرتم أن تحريم الربا نزل في الآيات

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٣٤/٨) برقم (٤٥١٩) كتاب التفسير، باب ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾.


(٢) انظر تاريخ فرضية الحج في: مجموع الفتاوى (٣٩٩/١٧).

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (٥١/٨) برقم (٤٥٤٠) كتاب التفسير، باب ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾.

(٤) سورة البقرة الآيات (٢٧٥-٢٨١).

المذكورة آنفا.

الجواب: قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في شرحه لحديث «آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا»: «المراد بالآخيرة في الربا تأخر نزول الآيات المتعلقة به من سورة البقرة، وأما حكم تحريم الربا فنزوله سابق لذلك بمدة طويلة على ما يدل عليه قوله تعالى في آل عمران في أثناء قصة أحد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَصْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ (الآية)» (١).



(١) الفتح (٨/٥٣).

المبحث الثاني: سورة آل عمران

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : عرض موجز للسورة من حيث محتواها

وذكر أقوال أهل العلم فيها

المطلب الثاني: الروايات الدالة على مدنية السورة

المطلب الثالث : بعض روايات أسباب النزول الدالة

على مدنية السورة

المطلب الأول:

عرض موجز للسورة من حيث محتواها
وذكر أقوال أهل العلم فيها

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: عرض موجز لمحتوى السورة:

احتوت سورة آل عمران تشريعات متنوعة لم تفرض إلا بعد أن استقرت الجماعة المسلمة، كفريضة الحج، والجهاد في سبيل الله، فقد عرضت السورة غزوة بدر الأولى، وأحد، وحمراء الأسد، وبدر الآخرة، كما تناولت السورة الحديث عن الربا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مشيراً إلى وقوع فرضية الحج في هذه السورة: «... وفيها - أي في السورة - فرض الحج، وإنما فرض سنة تسع أو عشر، لم يفرض في أول الهجرة باتفاق المسلمين»^(١). وقال أيضاً مشيراً إلى أن مما يقتضي مدنية السورة نزولها بعد أن أمر بالهجرة والجهاد: «فهو سبحانه قد ذكر قصة مريم والمسيح في هاتين السورتين: (إحدهما) مكية نزلت في أول الأمر مع السور الممهدة لأصول الدين، وهي سورة كهعص. (والثانية) مدنية نزلت بعد أن أمر بالهجرة والجهاد، ولهذا تضمنت مناظرة أهل الكتاب ومباهلتهم»^(٢).

ورغم أن سورة آل عمران اشتملت على تلك التشريعات إلا أن الناظر إلى السورة يجد أن الطابع العام للسورة والموضوع الذي استأثر بالنصيب الأكبر من حديثها هو تقرير وجود الله

(١) مجموع الفتاوى (٣٩٩/١٧).

(٢) دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية (٦٠/٢).

وربوبيته واستحقاقه وحده للعبادة.

وهنا سؤال يفرض نفسه وهو أن العناية بالعقيدة وما يتصل بالإيمان بوجود الله، ووجوب توحيدهِ بالعبادة من خصائص السور المكية كما سبق^(١)، فلماذا ذكر في سورة مدنية؟

لعل من المستحسن أن أنقل في هذا المقام كلاماً جيداً للأستاذ محمد قطب يبين فيه الفرق في عرض قضية العقيدة بين السور المكية والمدنية فيقول: «تحدث السور المدنية عن العقيدة، ولكن حديث العقيدة هنا لا يأخذ المساحة التي كان يأخذها في السور المكية، لأنه هناك كان للتأسيس، وهو هنا للتذكير، لقد تأسست العقيدة بالفعل في فترة التريّة العقديّة في مكة، واليوم يقوم مجتمع مسلم ودولة مسلمة تحتاج إلى تنظيمات وتشريعات، وتحتاج إلى جهاد لحمايتها من أعدائها بادئ ذي بدء، ثم لنشر الإسلام فيها بعد، ومن ثم يحتل هذان الموضوعان الجديدان معظم المساحة في السور المدنية، التنظيمات والتشريعات، والجهاد في سبيل الله، ولكن الذي يسترعي النظر أن حديث العقيدة لم ينقطع ليبدأ الحديث عن هذين الموضوعين، بل استمرّ على ذات النمط المكيّ وإن كان في حيز أقلّ»^(٢).

وهكذا يتضح من خلال كلام الأستاذ محمد قطب أن هدف عرض العقيدة في السور المدنية يختلف عن هدف عرضها في السور المكية، فههدفها في السور المدنية هو تذكير بما ترسخ في الفترة المكية، لتنبثق منها التوجيهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

(١) انظر: (ص: ١٣٨) .

(٢) دراسات قرآنية (ص: ٢٦٥) .

المسألة الثانية: ذكر أقوال أهل العلم في السورة:

لم يقع خلاف بين علماء التفسير في مدنية سورة آل عمران، بل حكى بعضهم الإجماع على ذلك.
قال ابن عطية - رحمه الله -: «هذه السورة مدنية بإجماع فيما علمت»^(١).

وقال القرطبي - رحمه الله -: «هذه السورة مدنية بإجماع»^(٢).
ويقول البقاعي - رحمه الله -: «مدنية إجماعاً هكذا قالوا»^(٣).
وهذا الإجماع الذي نقله هؤلاء الأئمة هو المتفق مع الروايات الدالة على مدنية السورة الآتية قريباً.

ورغم وضوح ذلك نجد أن النجم النسفي يذكر في تفسيره أنها مكية، وينسب هذا القول إلى عكرمة والحسن البصري، فيقول في تفسيره «مكية في قول عكرمة والحسن البصري، مدنية في قول عامة أهل التفسير»^(٤).

ولم أقف - حسب إطلاعي - على من نسب إلى عكرمة والحسن البصري هذا القول غير النجم النسفي، وهو قول شاذ مخالف لإجماع أهل

(١) المحرر الوجيز (٥/٣).

(٢) تفسير القرطبي (١/٤).

(٣) مصاعد النظر (٦٤/٢).

وانظر أيضاً بصائر ذوي التمييز (١٥٨/١) التحرير والتنوير (١٤٣/٣).

(٤) التيسير في التفسير للنجم النسفي (١٥٠/١ ق/أ).

التفسير، ومن حيث وجود آيات مكية في هذه السورة المدنية فإنني لم أقف على من قال بذلك اللهم إلا ما ذكره الجعبري في «شرح الشاطبية» من أن خمس آيات من هذه السورة مكية، ولم يعين الجعبري تلك الآيات (١).

وإلى عرض الروايات الدالة على مدنية السورة.

(١) انظر: كنز المعاني شرح حرز الأمانى للجعبري (١/١٣٧ ق/أ).

المطلب الثاني: الروايات الدالة على مدينة السورة

- ١- أخرج ابن الضريس من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس فذكر السور المكية والمدنية، وسورة آل عمران من القسم المدني^(١).
- ٢- وأخرج النحاس بسنده عن ابن عباس أن سورة آل عمران مدينة^(٢).
- ٣- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق فضيل بن الحسين عن حسان بن إبراهيم عن أمية الأزدي عن جابر بن زيد فعُدَّ السور المكية والمدنية وسورة آل عمران من القسم المدني^(٣).
- ٤- وأخرج البيهقي من طريق علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن فذكرا السور المكية والمدنية، وسورة آل عمران ضمن القسم المدني^(٤).
- ٥- وأخرج الحارث المحاسبي من طريق سفيان بن عيينة عن معمر عن قتادة فعُدَّ السور المدنية ومنها سورة آل عمران^(٥).
- ٦- وأخرج ابن الأنباري من طريق حجاج بن منهال عن همام عن قتادة فذكر السور المدنية، وقال في القسم المكي: «وسائر القرآن نزل بمكة» ومن القسم المدني سورة آل عمران^(٦).
- ٧- وأخرج أبو عبيد من طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي

(١) انظر: فضائل القرآن لابن الضريس (ص: ٣٤).

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (٣١٦/٢-٣١٧).

(٣) انظر: البيان للداني (ص: ١٣٦).

(٤) انظر: دلائل النبوة (١٤٢/٧-١٤٣).

(٥) انظر: فهم القرآن (ص: ٣٩٥).

(٦) انظر: تفسير القرطبي (٦١/١-٦١).

طلحة فذكر السور المدنية، ومنها سورة آل عمران^(١).

٨- وأورد الزهري ترتيب السور المكية والمدنية، وسورة آل عمران ضمن القسم المدني^(٢).

٩- وأخرج ابن أشته من طريق ابن وهب عن سليمان بن بلال قال: «سمعت ربيعة يسأل: لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة بمكة، وإنما أنزلتا بالمدينة؟ فقال: قدمتا، وألف القرآن على علم من ألفه به، ومن كان معه فيه، واجتماعهم على علمهم بذلك، فهذا مما ينتهي إليه ولا يسأل عنه»^(٣).

١٠- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق أحمد بن موسى عن يحيى بن سلام البصري عن أئمة أن سورة آل عمران مدنية^(٤).

١١- وذكر أبو القاسم النيسابوري ترتيب القرآن المكي والمدني وسورة آل عمران من القسم المدني^(٥).

١٢- وعدد ابن شيطا في روايته للمكي والمدني السور المدنية، ومنها سورة آل عمران^(٦).

(١) انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (ص: ٣٤٠) برقم (٧٩٦).

(٢) انظر: تنزيل القرآن (ص: ٣٠).

(٣) الإتيان (١/ ١٩٨-١٩٩) وسبق الكلام على إسناده. انظر: (ص: ٣٧٦).

(٤) انظر: البيان للداني (ص: ١٤٣).

(٥) ينظر فنون الأفتان (ص: ٣٣٧-٣٣٨).

(٦) ينظر التنزيل وترتيبه (٢٢٣ ق/ب).

المطلب الثالث :

بعض روايات أسباب النزول الدالة على مدنية السورة

١- أخرج الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك يقول: «كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلاً، وكان أحب أمواله إليه يبرحاء^(١). وكانت مستقبله المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما أنزلت ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبو طلحة فقال يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله ﷺ: بخ ذاك مال رابح، ذاك مال رابح، وقد سمعت ما قلت وإنني أرى أن تجعلها في الأقربين، قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه»^(٢).

وجه الدلالة: أن تصدق أبي طلحة على مزرعته «بيرحاء» عقب نزول قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ دلالة على مدنية تلك الآية.

٢- وأخرج الإمام البخاري - رحمه الله - بسنده عن أبي سعيد

(١) اختلف في نطق هذه اللفظة إلى عشرة أوجه ذكرها ابن الأثير والحافظ ابن حجر وهي أرض لأبي طلحة تقع حالياً شمال المسجد النبوي الشريف في المنطقة المعروفة بباب المجيدي على بعد (٨٤) متراً من المسجد النبوي.

انظر الأوجه اللغوية في هذه اللفظة: النهاية (١/١١٤)، الفتاح (٣/٣٨٢) وانظر تحديد مكانها في: الدر الثمين (ص: ١٦٢).

(٢) صحيح البخاري مع الفتاح (٧١/٨) برقم (٤٥٥٤) كتاب التفسير - باب ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ الآية.

الخدري ﷺ «إن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ الآية» (١).

وجه الدلالة: في الحديث دلالة على أن قوله تعالى : ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ الآية، نزلت في شأن المنافقين، وكما سبقت الإشارة إليه في ضوابط المدني أن الآيات التي تتحدث عن النفاق والمنافقين لم تنزل إلا بالمدينة (٢).

٣- وأخرج الإمام مسلم - رحمه الله - بسنده عن أنس - رضي الله عنه - «أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه فجعل يسלט الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله فأنزل الله عز وجل ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية» (٣).

وجه الدلالة: في الحديث دلالة على أن الآية المذكورة نزلت عقب غزوة أحد، وكما هو ثابت في كتب السيرة أن غزوة أحد وقعت في شوال من السنة الثالثة للهجرة (٤).

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٨١/٨) برقم (٤٥٦٧) كتاب التفسير، باب ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾.

(٢) انظر (ص: ١٣٥).

(٣) صحيح مسلم (١٤١٧/٣) برقم (١٧٩١) كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد.

(٤) انظر تاريخ الغزوة في: تاريخ خليفة بن خياط (ص: ٦٧) الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر (ص: ١٥٣) المنتظم (١٦١/٣).

وقد يقول قائل: كيف نوفق بين هذه الرواية وبين ما جاء في البخاري عن ابن عمر -رضي الله عنه- «أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول: اللهم العن فلاناً وفلاناً بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إلى قوله ﴿فَأَنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾»^(١).

والجواب على هذا الإشكال ذكره الحافظ ابن حجر -رحمه الله- فقال: (وطريق الجمع بينه -أي حديث أنس- وبين حديث ابن عمر أنه ﷺ دعا على المذكورين بعد ذلك في صلاته فنزلت الآية في الأمرين معاً)»^(٢).

٤- ومما استدل به على مدنية سورة آل عمران مما يتعلق في سبب النزول قصة وفد نجران^(٣)، فقد أجمع علماء التفسير وكتاب السيرة على أن صدر سورة آل عمران إلى الآية (٨٣) وهي قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ نزل في قصة وفد نجران، وما جرى بين أعضاء ذلك الوفد وبين رسول الله ﷺ من نقاش، ولم يكن ذلك الوفد وفد على الرسول ﷺ إلا في المدينة، بل في مسجده عليه الصلاة والسلام كانت تلك المناقشة كما في رواية ابن

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٧٣/٨-٧٤) برقم (٤٥٥٩) كتاب التفسير، باب ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

(٢) الفتح (٧٥/٨).

(٣) مدينة عريقة التاريخ عند العرب، وتقع في الجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية بين صعدة وأبها. معجم المعالم الجغرافية (ص: ٣١٤).

إسحاق في السيرة»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في معرض رده على من قال: إن صدر سورة آل عمران نزل بسبب سؤال اليهود عن حروف المعجم في ﴿الم﴾: «فهذا نقل باطل، أما أولاً: فلأنه من رواية الكلبي، وأما ثانياً: فهذا قد قيل إنهم قالوه في أول مقدم النبي ﷺ إلى المدينة، وسورة آل عمران إنما نزل صدرها متأخراً لما قدم وفد نجران بالنقل المستفيض المتواتر»^(٢).

إن الخلاف الواقع بين أهل العلم في قصة وفد نجران هو تاريخ قدوم ذلك الوفد، هل كان قدومهم قبل عام الوفود أم أن قدومهم مع الوفود في العام التاسع، إذ قد كانت تلك السنة اشتهرت بأنها سنة الوفود، وقبل أن أذكر أقوال أهل العلم في تاريخ قدوم الوفد لنذكر القصة كما وردت في كتب التفسير والسيرة التي روت هذه القصة.

أخرج ابن أبي حاتم - رحمه الله - في تفسيره من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه عن الربيع قوله: ﴿الم﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ قال: «إن النصراني أتوا النبي ﷺ، فخاصموه في عيسى بن مريم، وقالوا له: من أبوه؟ فقالوا على الله الكذب والبهتان، لا إله إلا الله لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، فقال لهم النبي ﷺ: ألسنتم تعلمون أن ربنا حي لا يموت، وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا: بلى، قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟ قالوا: لا، قال: أفلسنتم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟ قالوا: بلى، قال: فهل يملك عيسى من ذلك

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٦١٠-٦١١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/٣٩٨-٣٩٩).

شيئا إلا ما علم؟ قالوا: لا، قال: فإن ربنا صوّر عيسى في الرحم كيف شاء، ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعتة كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يغذي الصبي، ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب، ويحدث الحدث؟ قالوا: بلى، قال: فيكف يكون هذا كما زعمتم؟ فعرفوا ثم أبوا إلا جحوداً، فأنزل الله ﴿الم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (١).

(١) تفسير ابن أبي حاتم - القسم المطبوع (٢/٢٠-٢١) برقم (١٨) وإسناده حسن؛ لأن رواية أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس رواية عن نسخة مشهورة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مشيراً إلى شهرة هذا الإسناد عند أهل العلم: «هكذا رواه ابن أبي حاتم بالإسناد المعروف عن الربيع بن أنس» دقائق التفسير (٣٠٤/٥).

وحكم بعض أهل العلم بصحة هذا الطريق، فقد قال الإمام السيوطي - رحمه الله - «وأما أبي بن كعب فعنه نسخة كبيرة يرويها أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عنه، وهذا إسناد صحيح، وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم منها كثيراً، وكذا الحاكم في مستدركه، وأحمد في مسنده». الإتيان (١٢٣٣/٢).

وقد أخرج قصة وفد نجران مطولة ابن إسحاق في السيرة، انظر: سيرة ابن هشام (٢/٦١٠-٦١١)، وابن سعد في الطبقات (١/٣٥٧)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/٣٨٢-٣٩٢)، وأصل القصة في الصحيح عن حذيفة بن اليمان. انظر: صحيح البخاري مع الفتح (٧/٦٩٥) برقم (٤٣٨٠) كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران.

كما ساق الإمام ابن القيم - رحمه الله - القصة في زاد المعاد (٣/٦٢٩-٦٣٨) وأعقبها بفصل رائع أسماه «فقه قصة وفد نجران».

تاريخ قدوم وفد نجران:

اختلف العلماء في تاريخ قدوم وفد نجران إلى فريقيين:
الفريق الأول: جمهور المفسرين، ويرون أن قدوم الوفد كان في العام التاسع، وفي هذا يقول الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: «سورة آل عمران مدنية، لأن صدرها إلى ثلاث وثمانين آية منها نزل في وفد نجران، وكان قدومهم في سنة تسع من الهجرة»^(١).

أدلة الفريق: استدلل الفريق الأول بما يلي:

الدليل الأول: ما ثبت أن أهل نجران هم أول من أدّى الجزية إلى رسول الله ﷺ، وآية الجزية إنما أنزلت بعد الفتح، وهي قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية (٢) (٣).

الدليل الثاني: ما ورد في كتاب «الخراج» للإمام أبي يوسف^(٤)، «والطبقات الكبرى» لابن سعد^(٥) من وثيقة كتبت بالعهد النبوي لنصارى نجران، وكان من شهود تلك الوثيقة أبو سفيان^(٦) ومما هو معلوم أن أبا

(١) تفسير ابن كثير (٣٥١/١).

(٢) سورة التوبة الآية (٢٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٣٧٧/١-٣٧٨) بتصرف.

(٤) هو القاضي يعقوب بن إبراهيم الكوفي -صاحب أبي حنيفة- توفي -رحمه الله- سنة (١٨٢ هـ).

ترجمته: الجواهر المضنية في طبقات الحنفية (٦١١/٣-٦١٣)، تاج التراجم لابن قُطُوبغا (ص: ٣١٥-٣١٧).

(٥) هو محمد بن سعد البصري صاحب الطبقات الكبرى توفي -رحمه الله- سنة (٢٣١ هـ).

ترجمته: تاريخ بغداد (٣٢١/٥)، وفيات الأعيان (٣٥١/٤).

(٦) انظر الخراج للإمام أبي يوسف (ص: ٤٠) والطبقات الكبرى لابن سعد (٥٤-٥٣/٢).

سفيان قد أسلم في فتح مكة.

الدليل الثالث: ما اشتهر من أن سنة تسع كانت سنة الوفود، ومن هنا نجد أن الحافظ ابن كثير - رحمه الله - ذكر هذه القصة في حوادث السنة التاسعة^(١).

الفريق الثاني: يرى هذا الفريق أن قدوم الوفد كان قبل عام الوفود، وممن يرى هذا الرأي ابن عاشور، والأستاذ محمد عزة دروزة - رحمهما الله تعالى -.

يقول ابن عاشور بعد أن ذكر القصة: «فمن ظنّ من أهل السير أن وفد نجران وفدوا في سنة تسع فقد وهم وهماً أنجرّ إليه من اشتهار سنة تسع بأنها سنة الوفود، والإجماع على أن سورة آل عمران من أوائل المدنيات، وترجيح أنها نزلت في وفد نجران يعينان أن وفد نجران كان قبل سنة الوفود»^(٢).

ويقول الأستاذ دروزة مبدياً رأيه في هذا الصدد: «وإجماع الروايات على أن الفصل الأول - أي من هذه السورة - في صدد هذا الوفد، ومجيء هذه السورة في روايات ترتيب النزول كثلاثة سورة أو ثمانية سورة مدنية قد يسوغان القول إن وفد نجران قد قدم في وقت مبكر جداً من العهد المدنيّ رغم ما يبدو لأول وهلة من عدم احتمال ذلك، استناداً إلى ما هو معروف من ظروف السيرة النبوية في أوائل العهد المدني»^(٣).

ويوضح الأستاذ دروزة رأيه أكثر فيقول في كتابه «سيرة الرسول

(١) انظر: البداية والنهاية (٥/٤٨-٥١).

(٢) التحرير والتنوير (٣/١٤٦).

(٣) التفسير الحديث (٨/٧٠-٧١).

صورة مقتبسة من القرآن الكريم» : «ومهما يكن من أمر فالذي نميل إليه هو أن قدوم الوفد كان بعد صلح الحديبية أي في أواخر السنة الهجرية السادسة»^(١).

ولعل التكلف في ربط الآيات القرآنية على وفق نزولها هو الذي جعل الشيخ بن عاشور والأستاذ دروزة يلجئان إلى هذا الرأي، فهما يريدان أن يكون قدوم وفد نجران قريباً من غزوة أحد التي أنزل الله فيها ما يقارب ستين آية.

ولا حاجة لهذا التكلف، فليس من الضروري أن يكون ترتيب الآيات في السورة تابعاً لترتيب نزولها؛ فكثيراً ما نرى آيات متقدمة في الذكر ومتأخرة في النزول، فترتيب الآيات في السور مستقل عن ترتيب نزولها، ومن هنا لا مانع أن يكون صدر سورة آل عمران الذي نزل بمناسبة قدوم وفد نجران في العام التاسع من الهجرة متأخراً في النزول عما في وسط السورة من آيات نزلت في غزوة أحد التي كانت في السنة الثالثة من الهجرة. المهم هو وحدة الموضوع والاتساق فيها بين الآيات رغم اختلاف أوقات نزولها، وتعدد أسبابه، فالتفاوت الزمني لا يؤثر في ترابط أجزاء السورة، وهذا في الحقيقة وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم .

ولعلّ سائلاً يسأل فيقول: كيف نجتمع بين ما ثبت في صحيح البخاري من كتابة قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ الآية^(٢) إلى هرقل ملك الروم^(٣) - ومعلوم أن

(١) (٢٣٧/٢).

(٢) سورة آل عمران الآية (٦٤).

(٣) انظر: صحيح البخاري مع الفتح (٤٢/١) برقم (٦) كتاب بدء الوحي.

الكتب كانت قبل الفتح وبعد الحديبية ولم يقع خلاف بين المؤرخين في ذلك - وبين القول إن صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية نزل في وفد نجران؟

والجواب: جمع الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بين هذين القولين بعدة احتمالات، وإن كان بعض تلك الاحتمالات تبدو ضعيفة، كما جمعه الحافظ ابن حجر - رحمه الله -.

يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في الجمع بين القولين: «والجواب من وجوه: أولاً: يحتمل أن هذه الآية نزلت مرتين، مرة قبل الحديبية، ومرة بعد الفتح.

ثانياً: يحتمل أن صدر سورة آل عمران نزل في وفد نجران إلى هذه الآية، وتكون هذه الآية نزلت قبل ذلك، ويكون قول ابن إسحاق إلى بضع وثمانين آية ليس بمحفوظ لدلالة حديث أبي سفيان.

ثالثاً: يحتمل أن قدوم وفد نجران كان قبل الحديبية، وأن الذي بذلوه مصالحة عن المباهلة لاعلى وجه الجزية.

رابعاً: يحتمل أن رسول الله ﷺ لما أمر بكتب هذا في كتابه إلى هرقل لم يكن نزل بعد، ثم أنزل القرآن موافقة له ﷺ، كما نزل بموافقة عمر بن الخطاب في الحجاب وفي الأسارى، وفي عدم الصلاة على المنافقين، وفي قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وفي قوله: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَ أَرْوَاجاً﴾ الآية» (١).

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٧٩-٣٨٠).

واستبعد الحافظ ابن حجر - رحمه الله - إلى احتمال تعدد نزول الآية ، فيقول : «وجوز بعضهم نزولها مرتين، وهو بعيد»^(١).
 ومال الحافظ - رحمه الله - إلى احتمال أن الآية من موافقات النبي ﷺ، فيقول في هذا الصدد: «وقيل إن النبي ﷺ كتب ذلك قبل نزول الآية فوافق لفظه لفظها لما نزلت، والسبب في هذا أن هذه الآية نزلت في قصة وفد بجران، وكانت قصتهم سنة الوفود سنة تسع، وقصة أبي سفيان كانت قبل ذلك سنة ست.»^(٢).

وخلاصة القول: أن مدنية سورة آل عمران واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، وما ذكره النجم النسفي من نسبة مكية هذه السورة إلى عكرمة والحسن البصري لا يصح نسبته إليهما؛ إذ إن روايتهما في ترتيب السور المكية والمدنية أخرجها البيهقي - رحمه الله - وفيها ثبت أن سورة آل عمران ثالث سورة في ترتيب القرآن المدني^(٣).

(١) الفتح (٥٢/١).

(٢) المصدر السابق مع الجزء والصفحة.

(٣) انظر دلائل النبوة (١٤٣/٧).

المبحث الثالث: سورة النساء

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: عرض موجز للسورة من حيث محتواها

وذكر أقوال أهل العلم فيها.

المطلب الثاني: الروايات الدالة على مدنية السورة

المطلب الثالث: بعض روايات أسباب النزول الدالة

على مدنية السورة.

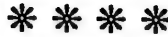
المطلب الأول:

عرض موجز للسورة من حيث محتواها
وذكر أقوال أهل العلم فيها^(١)

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: عرض موجز لمحتوى السورة

إن نظرة عاجلة لمحتوى سورة النساء توحى لناظرها أن هذه السورة مدنية، فالقارئ للسورة يرى في أسلوبها وموضوعاتها سمات القرآن المدني، فهي تتحدث بإسهاب عن المبادئ والأصول التي يقام عليها المجتمع الإسلامي، بدءاً من الأسرة فالمجتمع والدولة. وهكذا تتجلى في السورة الخصائص التي اختصت بها السور المدنية^(٢).



(١) ذكر الآيات اللاتي قيل إنهن مستثناة من السورة، الآية رقم (١، ٥٨).
(٢) أفرد الدكتور محمد محمد المدني كتاباً خاصاً في معالجة سورة النساء لقضايا المجتمع بعنوان: «المجتمع المثالي كما تنظمه سورة النساء» وهو من منشورات الدار المصرية للنشر والتوزيع.

المسألة الثانية: ذكر أقوال أهل العلم في السورة.

أجمع المفسرون على أن سورة النساء مدنية^(١)، ولم أجد أحداً قال بمكيته اللهم إلا ما ذهب إليه النحاس في «معاني القرآن» من مكية السورة واستند في ذلك إلى أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ الآية^(٢)، نزل بمكة في قصة مفتاح الكعبة^(٣).

وقد نوقش على رأي النحاس بما يلي:

أولاً: ورد في البخاري بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - في حديث طويل وفيه «وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده»^(٤) ومعلوم أن النبي ﷺ لم يدخل على عائشة إلا بالمدينة.

قال الإمام البقاعي - رحمه الله - بعد أن أشار إلى رأي الجمهور ورأي النحاس أيضاً: «والظاهر الأول - أي رأي الجمهور - فإن في البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - فذكر الحديث ثم قال: «ولا خلاف أن النبي ﷺ إنما بنى بها بالمدينة»^(٥).

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: «وأشارت بقولها «وأنا عنده» أي بالمدينة، لأن دخولها عليه إنما كان بعد الهجرة اتفاقاً»^(٦).

(١) انظر نقل الإجماع في: الإيضاح لمكي (ص: ٢٠٧)، مصاعد النظر (٢/٨٦)، بصائر ذوي التمييز (١/١٦٩).

(٢) سورة النساء الآية (٥٨).

(٣) انظر: معاني القرآن للنحاس (٢/٧).

(٤) سبق تخريجه انظر: ص: ٣٧٣.

(٥) مصاعد النظر (٢/٨٦-٨٧).

(٦) الفتحة (٨/٦٥٦).

ثانياً: وعلى فرض أن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ مكّي، فهل يلزم أن تكون السورة كلها مكية؟

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في معرض شرحه لحديث عائشة السابق: «وفي الحديث ردّ على النحاس في زعمه أن سورة النساء مكية، مستنداً إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ نزلت بمكة اتفاقاً في قصة مفتاح الكعبة، لكنها حجة واهية، فلا يلزم من نزول آية أو آيات من سورة طويلة بمكة إذا أنزل معظمها بالمدينة أن تكون مكية، بل الأرجح أن جميع ما نزل بعد الهجرة معدود من المدني»^(١).

ويقول السيوطي -رحمه الله- مشيراً إلى عدم وجاهة رأي النحاس «إذا تأملت ما أوردناه من أسباب نزول آيات هذه السورة عرفت الردّ على من قال بأنها مكية»^(٢).

وانطلاقاً من مبدأ ضرورة الجمع بين الأقوال وعدم اعتماد الناقد على مقالة واحدة فإنني رجعت إلى مؤلفات النحاس المتوفرة بين أيدينا^(٣)، وذلك للوصول إلى الرأي الذي استقر عليه الإمام النحاس أخيراً، وقد تبين لي من خلال تلك المراجعة أن النحاس -رحمه الله- رجع عن القول بمكية سورة النساء، إذ وجدته يقول بمدنيتهما في كتابه «الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك»، حيث قال بعد أن ذكر

(١) الفتح (٦٥٦/٨).

(٢) لباب النقول في أسباب النزول (ص: ٨٦).

(٣) من المؤلفات التي رجعت إليها غير معاني القرآن: الناسخ والمنسوخ، وإعراب القرآن، والقطع والانتناف.

مكية سورة الأنعام بسنده عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ما نصه: «وما تقدم من السور مدنيات أعني سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة حدثني يموت بذلك الإسناد بعينه»^(١).

كما تبين لي أن كتاب «معاني القرآن» من أسبق تأليفات النحاس، فكثيراً ما يجد القارئ لمؤلفاته إحالات إلى ذاك الكتاب ولا سيما في كتابيه «الناسخ والمنسوخ» و«إعراب القرآن»^(٢)، وهكذا ينبغي أن يكون التعامل مع أقوال أهل العلم فيقدم القول المتأخر على القول المتقدم، فكثير من العلماء يقول قولاً يظنّ صحته، ثم يرجع عنه إلى قول آخر^(٣)، وهذا من فضائلهم.

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٣١٧/٢).

(٢) فعلى سبيل المثال يقول النحاس في الناسخ والمنسوخ (١٣٨/٢) عند قوله تعالى: ﴿وَلِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمَعِ فَانْكُحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ الآية: «في هذه الآية إشكال وتفسير ونحو، وقد ذكرنا ما فيها إلا ما كان من النسخ». وذكر النحاس -رحمه الله- هذا الإشكال والجواب عنه في معاني القرآن. انظر: (١٣-١٤/٢).

وفي قوله تعالى: ﴿لَوْلَا كُتِبَ مِنَ اللَّهِ سَبَقٌ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يقول النحاس في الناسخ والمنسوخ (٣٩٣/٢): «قيل: المعنى لولا أن الله تعالى سبق منه أنه لا يعذب أحداً إلا بعد التقدم إليه لعاقبكم قبل، وقيل لولا أنه سبق من الله تعالى أنه لا يعذب أحداً على صغيرة إذا اجتنب الكبائر لعاقبكم، وفيه غير هذا قد ذكرته».

انظر هذه الإحالة في: معاني القرآن (١٧٠-١٧١/٣).

هذا وقد نسب حاجي خليفة إلى النحاس تفسيراً، ولعل المراد بهذا التفسير كتابه «معاني القرآن» ففيه مادة تفسيرية واسعة، ويؤيد ما قلته قول حاجي خليفة نفسه: «قصد فيه الإعراب، لكنه ذكر القراءات التي يحتاج أن يبين إعرابها، والعلل فيها، وما يحتاج فيه من المعاني». كشف الظنون (٤٦٠/١).

(٣) فهل يجوز على سبيل المثال أن ينسب إلى ابن عباس القول بجواز نكاح المتعة.

ويرى علقمة^(١) أن صدر سورة النساء نزل بمكة بدليل افتتاحها بخطاب ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، وسائرهما بالمدينة^(٢).

ورأي علقمة هذا غير وجيه؛ إذ إن الافتتاح بخطاب ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وإن كان من سمات القرآن المكي إلا أنه ضابط غير مطرد في جميع القرآن كما سبق تفصيله^(٣).

قال ابن عاشور - رحمه الله - مناقشا دعوى نزول صدر هذه السورة بمكة: «والحق أن الخطاب بياأيها الناس لا يدل إلا على إرادة دخول أهل مكة في الخطاب، ولا يلزم أن يكون ذلك بمكة ولا قبل الهجرة، فإن كثيراً مما فيه يأيها الناس مدني بالاتفاق»^(٤).

والآن آن الأوان لتعرض الروايات الدالة على مدنية السورة.

(١) هو ابن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي، توفي ر - رحمه الله - سنة (١٦٢)

ترجمته: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨٦/٦)، تذكرة الحفاظ (٤٥/١).

(٢) انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (ص: ٢٢٢)، مصنف ابن أبي شيبة (٥٢٢/١٠) برقم

(١٠١٩١) تفسير أبي المظفر السمعاني (٨١/١ ق/ب - ٨٢ ق/أ)، تفسير القرطبي (١/٥)

فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان (١٩٢/٢).

(٣) انظر (ص: ١٦٢).

(٤) التحرير والتنوير (٢١٢/٤).

المطلب الثاني: الروايات الدالة على مدنية السورة

١- في حديث البخاري السابق عن عائشة -رضي الله عنها- وفيه «وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده»^(١).

٢- أخرج الإمام البخاري بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «آخر سورة نزلت براءة وآخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾»^(٢).

وجه الدلالة: إن وصف الآخريّة بهذه الآية، وهي من آيات سورة النساء يقتضي أن تكون الآية مدنية النزول، كما أنه لا يوجد في القرآن الكريم آية قيل بأنها من آخر ما نزل من القرآن وهي في سورة مكية، فكل الآيات التي ذكرت لها الآخريّة تدرج ضمن سور مدنية.

٣- وأخرج ابن مردويه بسنده عن زيد بن ثابت قال: «نزلت سورة النساء بالمدينة»^(٣).

٤- وأخرج ابن الضريس من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس فذكر السور المكية والمدنية، وسورة النساء من القسم المدني^(٤).

٥- وأخرج النحاس بسنده عن ابن عباس أن سورة النساء مدنية^(٥).

٦- وأخرج ابن مردويه بسنده عن عبد الله بن الزبير قال: «نزلت سورة النساء بالمدينة»^(٦).

(١) انظر تخريجه (ص: ٣٧٣).

(٢) صحيح البخاري مع الفتحة (١١٧/٨) برقم (٤٦٠٥) كتاب التفسير، باب ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ الآية.

(٣) تفسير ابن كثير (١/٤٥٨).

(٤) انظر: فضائل القرآن لابن الضريس (ص: ٣٤).

(٥) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢/٣١٦-٣١٧).

(٦) تفسير ابن كثير (١/٤٥٨).

٧- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق فضيل بن الحسين عن حسان بن إبراهيم عن أمية الأزدي عن جابر بن زيد فذكر السور المكية والمدنية وسورة النساء من القسم المدني^(١).

٨- وأخرج البيهقي من طريق علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن فذكر السور المكية والمدنية، وسورة النساء من القسم المدني^(٢).

٩- وأخرج الحارث المحاسبي من طريق سفيان بن عيينة عن معمر عن قتادة فذكر السور المدنية ومنها سورة النساء^(٣).

١٠- وأخرج ابن المنذر بسنده عن قتادة قال: «نزل بالمدينة النساء»^(٤).

١١- وأخرج ابن الأنباري من طريق حجاج بن منهال عن همام عن قتادة فذكر السور المدنية، وقال في القسم المكي: «وسائر القرآن نزل بمكة» ومن القسم المدني سورة النساء^(٥).

١٢- وأخرج أبو عبيد من طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة فذكر السور المدنية، ومنها سورة النساء^(٦).

١٣- وذكر الزهري ترتيب السور المكية والمدنية، وسورة النساء من القسم المدني^(٧).

(١) انظر: البيان للداني (ص: ١٣٦).

(٢) انظر: دلائل النبوة (١٤٢/٧-١٤٣).

(٣) انظر: فهم القرآن (ص: ٣٩٥).

(٤) الدر المنثور (٤٢٢/٢).

(٥) انظر: تفسير القرطبي (٦٢-٦١/١).

(٦) انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (ص: ٣٤٠) برقم (٧٩٦).

(٧) انظر: تنزيل القرآن (ص: ٣٠).

- ١٤- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق أحمد بن موسى عن يحيى بن سلام البصري عن أئمة أن سورة النساء مدنية^(١).
- ١٥- وذكر أبو القاسم النيسابوري ترتيب السور المكية والمدنية وسورة النساء من القسم المدني^(٢).
- ١٦- وعدد ابن شيطا في روايته للمكي والمدني السور المدنية، ومنها سورة النساء^(٣).

(١) انظر: البيان للداني (ص: ١٤٦).

(٢) انظر: التنزيل وترتيبه (٢٢٣ق/ب).

(٣) انظر: فنون الألفان (ص: ٣٣٧-٣٣٨).

المطلب الثالث :

بعض روايات أسباب النزول الدالة على مدنية السورة

١- أخرج الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه بسنده عن عروة بن الزبير قال: «خاصم الزبير رجلا من الأنصار في شريح من الحرّة^(١)، فقال النبي ﷺ: اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك، فقال الأنصاري يا رسول الله، أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجهه، ثم قال: اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر^(٢)، ثم أرسل الماء إلى جارك، واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة، قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾^(٣).

وجه الدلالة: في الحديث دليل على أن الآية نزلت بسبب مخاصمة الزبير مع الأنصاري، ومما هو معلوم أن ما نزل من القرآن في شأن الأنصار كان في المرحلة المدنية.

٢- وأخرج الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه بسنده عن

(١) والشريح جمع شَرَج هو مسيل الماء، وأضيف إلى الحرّة لكونها فيها، والحرّة أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت بالنار، والمراد بها هنا موضع معروف بالمدينة.

انظر: النهاية (٤٥٦/٢)، الفتح (٤٤/٥).

(٢) المراد به هنا المُسَنَّة وهو ما رفع حول المزرعة كالجدار.

انظر: النهاية لابن الأثير (٢٤٦/١).

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (١٠٣/٨) برقم (٤٥٨٥) كتاب التفسير، باب ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾.

وأخرجه البخاري أيضا في كتاب الشرب والمساقاة برقم (٢٣٦٠، ٢٣٦١، ٢٣٦٢) وفي الصلح برقم (٢٧٠٨).

زيد بن ثابت ؓ قال: ﴿فَمَالَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ﴾ رجع ناس من أصحاب النبي ﷺ من أحد وكان الناس فيهم فرقتين: فريق يقول يقتلهم، وفريق يقول لا، فنزلت ﴿فَمَالَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ﴾ (١).

وجه الدلالة: في الحديث دليل على أن الآية نزلت بعد الانصراف من غزوة أحد، وكما سبقت الإشارة إليه أن غزوة أحد وقعت في شوال من السنة الثالثة للهجرة (٢)، كما أن النفاق لم يكن إلا بالمدينة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مضعفاً قول من قال بمكية سورة الحديد: «وقد قيل إنها مكية وهو ضعيف، لأن فيها ذكر المنافقين وذكر أهل الكتاب، وهذا إنما نزل بالمدينة» (٣).

٣- وأخرج الإمام البخاري - رحمه الله - بسنده عن سهل بن سعد الساعدي أنه رأى مروان بن الحكم في المسجد، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره «أن رسول الله ﷺ أُملى عليه (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) فجاء ابن أم مكتوم وهو يُملئها عليّ، قال: يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان أعمى - فأنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي، فثقلت عليّ حتى خفت أن ترض فخذي، ثم سُري عنه فأنزل الله ﷻ ﴿غَيْرُ أُولَى الصَّرَرِ﴾» (٤).

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١٠٤/٨) برقم (٤٥٨٩) كتاب التفسير، باب ﴿فَمَالَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ﴾ الآية.

(٢) انظر: (ص: ٣٨٩).

(٣) مجموع الفتاوى (١٩٣/١٧).

(٤) صحيح البخاري مع الفتح (١٠٨/٨) برقم (٤٥٩٢) كتاب التفسير باب (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) الآية.

وجه الدلالة: في الحديث دلالة على أن الآية نزلت في أهل الأعذار الذين يباح لهم ترك الجهاد من العمى والأعرج والمرضى، وكما سبق في مميزات المدني أن الجهاد وما يتعلق به من أحكام لم يكن إلا في المرحلة المدنية^(١).

٤- وأخرج الإمام مسلم - رحمه الله - بسنده عن أبي سعيد الخدري «أن رسول الله ﷺ يوم حنين بعث جيشاً إلى أوطاس^(٢)، فلقوا عدواً فقاتلوهم فظهروا عليهم وأصابوا لهم سبايا، فكان ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ تخرجوا من غشيانهم من أجل أزواجهن من المشركين، فأنزل الله عز وجل في ذلك ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أي فهن حلال لكم إذا انقضت عدتهن»^(٣).

وجه الدلالة: في الحديث دلالة على أن الآية نزلت في شأن سبايا غزوة حنين، قال ابن القيم - رحمه الله - مشيراً إلى السبب الذي ذكرناه «وهو الصحيح»^(٤).

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : «فإن الآية نزلت في ذلك»^(٥).

(١) انظر (ص: ١٧١-١٧٢).

(٢) واد في ديار هوازن، فيه كانت وقعة حنين، ويسمى الآن أم خرمان.

انظر: معجم البلدان (١/٣٣٤)، معجم المعالم الجغرافية (ص: ٣٤-٣٥)، تعليقات حمد الجاسر على كتاب المناسك لأبي إسحاق الحربي (ص: ٣٤٦).

(٣) صحيح مسلم (١٠٧٩/٢) برقم (١٤٥٦) كتاب الرضاع، باب جواز وطء المسبية بعد الاستبراء وإن كان لها زوج انفسخ نكاحها بالسي.

(٤) زاد المعاد (١٣١/٥).

(٥) تفسير ابن كثير (٤٨٤/١) وانظر ما يؤيد ذلك أيضاً في: أضواء البيان (١/٣٢٠).

وكما هو ثابت في كتب السير والتاريخ فإن حيناً وقعت في شوال من السنة الثامنة للهجرة^(١).

وخلاصة القول: لو لم تكن معنا أدلة أخرى في مدنية سورة النساء غير الموضوعات التي عاجلتها السورة لكفى.

قال القرطبي - رحمه الله -: «ومن تبين أحكامها علم أنها مدنية لاشك فيها»^(٢).

(١) انظر: البداية والنهاية (٣٢١/٤)، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني (٥٩٦-٥٩٧).

(٢) تفسير القرطبي (١/٥).

المبحث الرابع: سورة المائدة

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : عرض موجز لمحتوى السورة

المطلب الثاني : أقوال أهل العلم في السورة

المطلب الثالث : الروايات الدالة على مدنية السورة

المطلب الرابع : بعض روايات أسباب النزول الدالة

على مدنية السورة

المطلب الأول: عرض موجز لمحتوى السورة^(١)

سورة المائدة من أواخر سور القرآن نزولاً، ولأجل هذا قد تحدث عن أمرين بارزين في حديث القرآن المدني، وهما:

الأمر الأول: تشريع ينظم شؤون المسلمين في خاصة أنفسهم وفي معاملة من يخالطون.

الأمر الثاني: إرشادات لطرق المحاجّة والمناقشة وبيان الحق في المزايم التي كان يثيرها أهل الكتاب، مما يتصل بالعقائد والأحكام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مشيراً إلى أن جماع حديث هذه السورة هو الأحكام التشريعية: «أجمع سورة في القرآن لفروع التشريع من التحليل والتحريم والأمر والنهي»^(٢).

ويقول سيد قطب - رحمه الله - في حديثه عن السورة: «نجد في هذه السورة موضوعات شتى، الرابط بينها جميعاً هو هذا الهدف الأصيل الذي جاء القرآن كله لتحقيقه: إنشاء أمة، وإقامة دولة، وتنظيم مجتمع، على أساس من عقيدة خاصة، وتصور معين، وبناء جديد، الأصيل فيه أفراد الله سبحانه بالألوهية والربوبية، والقوامة، والسلطان، وتلقي منهج الحياة وشريعتها، ونظامها، وموازينها وقيمها منه وحده بلا شريك»^(٣).

(١) ذكر الآيات اللاتي قيل إنهن مستثناة من السورة: الآية رقم (٣، ٦٧، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/٤٤٨)، وانظر: دقائق التفسير (٣/٥).

(٣) في ظلال القرآن (٢/٨٢٥).

المطلب الثاني: أقوال أهل العلم في السورة

أجمع أهل التفسير على أن سورة المائدة مدنية^(١)، غير أنهم اختلفوا في تفسير بعض الروايات الدالة على نزول السورة دفعة واحدة، هل المراد حملها على ظاهرها؟ أم الاعتماد على روايات أخرى دالة على نزول آيات السورة في أوقات متفرقة؟ وفيما يلي أدلة كلا الفريقين:

أدلة القائلين بنزول السورة دفعة واحدة:

١- استدلوا بحديث أسماء بنت يزيد، ففي مسند الإمام أحمد من طريق ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت: «إني لآخذة بزمام العضباء^(٢)، ناقة رسول الله ﷺ إذ أنزلت عليه المائدة كلها، فكانت من ثقلها تدق^(٣) بعضد الناقة^(٤)».

٢- ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده من طريق ابن لهيعة عن يحيى بن

(١) انظر نقل الإجماع في: المحرر والوجيز (٥/٥)، تفسير القرطبي (٦/٣٠)، مضاعف النظر (٢/١٠٤)، بصائر ذوي التمييز (١/١٧٨).

(٢) علم للناقة، منقول من قولهم: ناقة عضباء: أي مشقوقة الأذن، ولم تكن مشقوقة الأذن، انظر: النهاية (٣/٢٥١).

(٣) الدق هو الكسر والرض في كل وجه. انظر: لسان العرب (١٠/١٠٠).

(٤) المسند (٦/٥٠٤) برقم (٢٧٥٦٢) طبعة المكتب الإسلامي المرقمة وفي الإسناد شهر بن حوشب، وليث بن أبي سليم، وكلاهما فيه ضعف كما سبق. انظر: (ص: ٢٩٢) هامش رقم (١).

والأثر أخرجه الإمام أحمد في مسنده أيضا (٦/٥٠٧) برقم (٢٧٥٧٩) من طريق سفيان عن ليث به، والطبري في التفسير (٩/٥٢٩) برقم (١١١٠٧) والطبراني في المعجم الكبير (٢٤/١٧٨) برقم (٤٤٩).

عبد الله أن أبا عبد الرحمن الحبلي حدثه قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: «أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته فلم تستطع أن تحمله فنزل عنها»^(١).

أدلة القائلين بنزول آيات السورة في أوقات وأزمنة مختلفة

استدل القائلون بنزول آيات السورة في فترات مختلفة بطائفة من الأدلة أهمها ما يلي:

١- في صحيح البخاري بسنده عن عمر بن الخطاب أن قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ الآية، نزلت عشية عرفة، يوم الجمعة، عام حجة الوداع^(٢).

٢- وفي الصحيح أيضا عن عائشة -رضي الله عنها- أن آية التيمم -وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ...﴾ الآية^(٣) -نزلت بالبيداء، وذلك بعد انتهائهم من غزوة المريسيع^(٤)، كما حزم بذلك ابن عبد البر، حيث قال: «والسفر المذكور فيه كان في غزوة المريسيع إلى بني المصطلق بن خزاعة في سنة ست من الهجرة»^(٥).

(١) المسند (٢٣٤/٢) برقم (٦٦٤٠) طبعة المكتب الإسلامي المرقمة.

قال الحافظ ابن كثير: «(تفرد به أحمد)» تفسير ابن كثير (٣/٢)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد وفيه ابن لهيعة، والأكثر على ضعفه، وقد يحسن حديثه وبقية رجاله ثقات.» مجمع الزوائد (١٦/٧).

(٢) انظر نص الأثر وتخرجه (ص: ٥٩).

(٣) سورة المائدة الآية (٦)

(٤) انظر نص الأثر وتخرجه (ص: ٢١٢-٢١٣).

(٥) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه «الموطأ» من معاني الرأي والآثار (١٤١/٣).

٣- وفي الصحيح أيضا عن ابن مسعود قال: «شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إليّ مما عدل به: أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: لانقول كما قال قوم موسى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك، وبين يديك وخلفك، فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره، يعني قوله» (١).

وجه الدلالة: في الحديث ما يفيد أن الصحابة -رضوان الله عليهم- كانوا على علم قبل غزوة بدر بهذه الآيات التي وردت في سورة المائدة، والتي تحكي موقف بني إسرائيل من نبيهم موسى -عليه السلام- وذلك عندما دعاهم إلى دخول الأرض المقدسة.

الاعتراض الذي اعترض به على القائلين بنزول السورة في فترات مختلفة والجواب عنه:

اعترض على القائلين بنزول السورة في فترات مختلفة بأن قولهم: إن آية التيمم هي آية المائدة، ليس محل اتفاق بين أهل العلم، فقد ذهب بعضهم إلى أنها آية النساء (٢)، قال القرطبي -رحمه الله- معقباً على توقف ابن العربي في تعيين أي الآيتين أرادت عائشة بقولها: «فأنزل الله آية التيمم» (٣): «أما قوله -أي ابن العربي- «فلا نعلم آية آية عنت عائشة»

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٣٣٥/٧) برقم (٣٩٥٢) كتاب المغازي، باب قول الله

تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِجْرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾.

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَءُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سَكْرَى﴾ الآية.

(٣) جزء من حديث عائشة، انظر: صحيح البخاري مع الفتح (٥١٤/١) برقم (٣٣٤)

كتاب التيمم، باب قول الله تعالى ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾.

فهي هذه الآية على ما ذكرنا»^(١)، ويعني القرطبي بالآية آية النساء.
قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في توجيه قول القرطبي:
«وجهه بأن آية المائدة تسمى آية الوضوء، وآية النساء لا ذكر فيها
للوضوء فيتجه تخصيصها بآية التيمم»^(٢).

الجواب عن الاعتراض:

يجاب عن هذا الاعتراض بما يلي:

أولاً: أن رواية الإمام البخاري - رحمه الله - عن عمرو بن الحارث
فيها تصريح بأن آية التيمم هي المائدة، ونصها كالتالي: قال الإمام
البخاري: حدثنا يحيى بن سليمان، قال: حدثني ابن وهب، قال أخبرني
عمرو أن عبد الرحمن بن القاسم حدثه عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها
قالت «سقطت قلادة لي بالبيداء، ونحن داخلون المدينة - فأناخ النبي ﷺ
ونزل فثنى رأسه في حجري راقداً، أقبل أبو بكر فلكزني^(٣) لكزة شديدة
وقال: حبست الناس في قلادة؟ في الموت لمكان رسول الله ﷺ وقد
أوجعني، ثم إن النبي ﷺ استيقظ، وحضرت الصبح، فالتمست الماء فلم
يوجد، فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ الآية، فقال
أسيد بن حضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتم إلا
بركة لهم»^(٤).

(١) تفسير القرطبي (٢٣٣/٥).

ونص كلام ابن العربي كما في أحكام القرآن (٥٦١/١-٥٦٢): «وهي - أي آية التيمم - معضلة ما وجدت لدائها من دواء عند أحد، هما آيتان فيهما ذكر التيمم، إحداهما في النساء والأخرى في المائدة، فلا نعلم أية آية عنت عائشة».

(٢) الفتح (٥١٧/١).

(٣) اللكز هو الدفع في الصدر بالكف انظر: النهاية (٢٦٨/٤)، لسان العرب (٤٠٦/٥).

(٤) صحيح البخاري مع الفتح (١٢١/٨) برقم (٤٦٠٨) كتاب التفسير، باب ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: «وخفي على الجميع ما ظهر للبخاري من أن المراد بها آية المائدة بغير تردد لرواية عمرو بن الحارث إذ صرح فيها بقوله: فنزلت ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ (الآية)» (١).

ويقول السيوطي - رحمه الله - «ولا شك أن الذي مال إليه البخاري من أنها آية المائدة هو الصواب للتصريح بها في الطريق المذكور» (٢).

ثانياً: ترجم الإمام البخاري - رحمه الله - لحديث عائشة في كتاب التيمم بقوله: قول الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ (٣) وهذا دليل واضح على أن المراد بآية التيمم هي آية المائدة، إذ لا يوجد في آية النساء لفظ «منه»، وفي هذا يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: «ظهر لي أن البخاري أراد أن يبين أن المراد بالآية المبهم في قول عائشة في حديث الباب «فأنزل الله آية التيمم» أنها آية المائدة» (٤).

وفي تسمية آية المائدة بأيدة التيمم يقول الشيخ عبد العزيز الزمزمي في منظومته التفسيرية:

والسفريّ كآية التيمم مائدة بذات جيش فاعلم (٥)
وخلاصة القول: أن السورة لم تنزل دفعة واحدة في زمان معين، وإنما نزل بعضها في السنوات التي سبقت صلح الحديبية، ونزل معظم السورة

(١) الفتح (١/٥١٧).

(٢) لباب النقول (ص: ٨٨).

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (١/٥١٤).

(٤) الفتح (١/٥١٥).

(٥) التيسير شرح منظومة التفسير (ص: ٤٧).

بعد ذلك ، كما أن الروايات التي مفادها أن السورة نزلت دفعة واحدة
يمكن أن تحمل على أن المراد بها مجموع السورة لاجمعها -والله أعلم-.



المطلب الثالث: الروايات الدالة على مدنية السورة

١- أخرج النسائي من طريق معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير قال: «دخلت على عائشة فقالت لي: هل تقرأ سورة المائدة؟ قلت: نعم، قالت: أما إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه، وسألتها عن خلق رسول الله ﷺ، قالت: القرآن»^(١).

٢- وأخرج الترمذي من طريق ابن وهب، عن يحيى عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال: «آخر سورة أنزلت سورة المائدة والفتح»^(٢).

(١) تفسير النسائي (٤٢٧/١) برقم (١٥٨) وصحح المحققان إسناده، والأثر أخرجه النحاس في ناسخه (٢٣٢/٢)، والحاكم في المستدرک (٣١١/٢)، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى (١٧٢/٧) كلهم من طريق معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية به.

هذا وقد ورد في آخر ما نزل من السور روايات عديدة مختلفة، ففي الصحيحين عن البراء بن عازب «أن آخر سورة نزلت براءة» صحيح البخاري مع الفتح (١٦٧/٨) برقم (٤٦٥٤)، وصحيح مسلم (١٢٣٧/٣) برقم (١٦١٨). وعند مسلم عن ابن عباس: «أن آخر سورة نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾» صحيح مسلم (٢٣١٨/٤) برقم (٣٠٢٤).

فيتحصل من هذه الروايات أن آخر ما نزل من السور: المائدة، وبراءة، والنصر، إلا أنه من البلهي أن آخرية المائدة وبراءة ليست بالنظر إلى السورة بتمامها، فإنهما لم ينزلا دفعة واحدة، وإنما نزلت كلتاها في مناسبات مختلفة، وبهذا يتعين أن المراد من الآخريه فيهما آخرية البعض الذي تم نزول كل منهما.

وأما آخرية سورة النصر فإنها آخر سورة نزلت كاملة غير مفرقة -والله أعلم-.

(٢) سنن الترمذي مع تحفة الأحوذى (٣٤٦/٨) برقم (٣٢٥٨) كتاب التفسير، سورة المائدة.

٣- وأخرج ابن الضريس من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس فذكر السور المكية والمدنية، وسورة المائدة من القسم المدني^(١).

٤- وأخرج النحاس من طريق أبي عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس أن سورة المائدة مدنية^(٢).

٥- وأخرج الإمام أحمد من طريق ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت: «إني لآخذه بزمام العضباء ناقة رسول الله ﷺ إذا أنزلت عليه المائدة كلها، فكادت من ثقلها تدق بعضد الناقة»^(٣).

وجه الدلالة: إن أسماء بنت يزيد هذه أنصارية، ولا يعرف لها مجئ إلى رسول الله ﷺ قبل هجرته، ولا هي معدودة فيمن بايع النبي ﷺ في العقبة الثانية حتى يقال: إنها لقيته قبل الهجرة، الأمر الذي يجعلنا نجزم أن مسيرها هذا مع النبي ﷺ كان بعد الهجرة، كما أن الإبهام الموجود في روايتها في تاريخ نزول السورة تفسره الروايات الأخرى الدالة على أن السورة من آخر سور القرآن نزولاً.

٦- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق فضيل بن الحسين عن حسان بن إبراهيم عن أمية الأزدي عن جابر بن زيد فعُدَّ السور المكية

→

وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

وأخرجه الحاكم في المستدرک (٣١١/٢)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

والمقصود بسورة الفتح في رواية الترمذي ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ بدليل حديث ابن عباس في صحيح مسلم الآنف الذكر.

(١) انظر: فضائل القرآن لابن الضريس (ص: ٣٤).

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (٣١٦/٢-٣١٧).

(٣) انظر تخريجه والحكم عليه (ص: ٤١٣).

والمدينة ، وسورة المائدة من القسم المدني^(١).

٧- وأخرج البيهقي من طريق علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن فذكرا السور المكية والمدينة، وسورة المائدة من القسم المدني^(٢).

٨- وأخرج الحارث المحاسبي من طريق سفيان بن عيينة عن معمر عن قتادة فذكر السور المدنية ومنها سورة المائدة^(٣).

٩- وأخرج الطبري في تفسيره، قال: حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال ثال: ثنا همام عن قتادة قال: «المائدة مدنية»^(٤).

١٠- وأخرج أبو عبيد من طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة فذكر السور المدنية، ومنها سورة المائدة^(٥).

١١- وفي ترتيب الزهري في المكي والمدني عدت سورة المائدة ضمن القسم المدني^(٦).

١٢- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق أحمد بن موسى عن يحيى بن سلام البصري عن أئمة أن سورة المائدة مدنية^(٧).

(١) انظر: البيان للداني (ص: ١٣٦).

(٢) انظر: دلائل النبوة (١٤٢/٧-١٤٣).

(٣) انظر: فهم القرآن (ص: ٣٩٥).

(٤) تفسير الطبري (٥٣١/٩) برقم (١١١٠).

وفي إسناده المثنى بن إبراهيم الآملي، وهو مجهول.

والأثر عزاه السيوطي إلى ابن المنذر، انظر: الدر (٣/٣).

وأخرجه ابن الأنباري كما في تفسير القرطبي، انظر: (٦١/١-٦٢).

(٥) انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (ص: ٣٤٠) برقم (٧٩٦).

(٦) انظر: تنزيل القرآن (ص: ٣١).

(٧) انظر: البيان للداني (ص: ١٤٩).

١٣- وأورد أبو القاسم النيسابوري ترتيب القرآن المكي والمدني،
وسورة المائدة معدودة من القسم المدني^(١).

١٤- وفي رواية ابن شيظا للمكي والمدني السورة معدودة من القسم
المدني^(٢).

(١) انظر: التنزيل وترتيبه (٢٢٣ ق/ب).

(٢) انظر: فنون الأفتان (ص: ٣٣٧-٣٣٨).

المطلب الرابع :

بعض روايات أسباب النزول الدالة على مدنية السورة

١- في حديث البخاري عن عائشة -رضي الله عنها- فيه التصريح بأن قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ الآية، نزلت على النبي ﷺ وهو في طريق عودته إلى المدينة^(١).

٢- وأخرج الإمام البخاري بسنده عن أنس ؓ قال: «كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة، فنزل تحريم الخمر، فأمر مناديا فنادى، فقال أبو طلحة: أخرج فانظر ما هذا الصوت، قال فخرجت فقلت: هذا مناد ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، فقال لي: اذهب فأهرقها، قال فجرت في سكك المدينة، قال وكانت خمرهم يؤمئذ الفضيخ^(٢)، فقال بعض القوم: قتل قوم وهي في بطونهم، قال فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا﴾^(٣).

وجه الدلالة: في الحديث دليل على أن الآية المذكورة نزلت بعد تحريم الخمر، ومعلوم أن تحريم الخمر كان بالمدينة المنورة. قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: «والذي يظهر أن تحريمها كان عام الفتح سنة ثمان»^(٤).

٣- وأخرج الإمام مسلم بسنده عن البراء بن عازب - ؓ - قال: مرّ

(١) انظر تحريجه : (ص: ٢١٢) .

(٢) هو شراب يتخذ من البُسْر. انظر: النهاية (٤٥٣/٣).

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (٢٨/٨) برقم (٤٦٢٠) كتاب التفسير، باب ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية.

(٤) الفتح (١٢٨/٨).

على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يهودي مُحَمَّمًا^(١) مجلوداً فدعاهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال: هكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم، قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، بجده الرجم، ولكنه كثر في أشرفنا فكنّا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والضعيف، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه» فأمر به فرجم، فأنزل الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ يقول: اتقوا محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢).

وجه الدلالة: في الحديث دلالة على أن الآيات (٤١-٤٥) من سورة المائدة نزلت في شأن مخاصمة النبي ﷺ لليهود في كيفية إقامة الحدود، وإقامة الحدود لم تشرع - كما سبق في ضوابط المدني ومميزاته - إلا بالمدينة.

(١) أي مُسَوِّد الوجه، من الحَمَمَة وهي الفحمة. انظر: النهاية (٤٤٤/١).

(٢) صحيح مسلم (١٣٢٧/٣) برقم (١٧٠٠) كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى.

المبحث الخامس : سورة الأنفال

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : عرض موجز للسورة من حيث محتواها

وذكر أقوال أهل العلم فيها.

المطلب الثاني : الروايات الدالة على مدنية سورة الأنفال

المطلب الثالث : بعض روايات أسباب النزول الدالة على

مدنية السورة

المطلب الأول:

عرض موجز للسورة من حيث محتواها
وذكر أقوال أهل العلم فيها^(١)

وفيه مسألان:

المسألة الأولى: عرض موجز لمحتوى السورة

إن المحور الذي تدور عليه آيات السورة -ألا وهو موضوع الجهاد- من أقوى الأدلة التي تدلنا على مدنية سورة الأنفال، فالسورة جاءت لمعالجة بعض النواحي الحربية التي ظهرت إثر غزوة بدر، كما تضمنت كثيراً من التشريعات الحربية والإرشادات التي يجب على المؤمنين اتباعها فيما بينهم، وكذلك بينهم وبين المحاربين والمسلمين.

وهي لم تكتف بالحديث عن الجهاد المادي فحسب، وإنما تحدثت كذلك عن الجهاد المعنوي، واتخاذ الوسائل والاحتياطات اللازمة له، من إخلاص النية لله تعالى، والصبر والسمع والطاعة للقيادة، والبعد عن التنازع والاختلاف ومن أجل ما تحدثت السورة عن كثير من مسائل الجهاد قد سمي بعض الصحابة سورة بدر^(٢)، كما سماها بعض المفسرين سورة الجهاد^(٣).

(١) ذكر الآيات اللاتي قيل إنهن مستثناة من السورة: الآية رقم: (٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣،

٣٤، ٣٥، ٣٦، ٦٤).

(٢) هو قول مروى عن ابن عباس كما أخرجه أبو الشيخ وابن مردويه انظر: الدر (٣/٤).

(٣) انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري (٣٤/٢)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٨١/٣)، مصاعد النظر (١٤٤/٢) ..

المسألة الثانية: أقوال أهل العلم في السورة.

أجمع أهل التفسير على مدنية سورة الأنفال، وفيما يلي نذكر نقولات بعضهم الدالة على هذا الإجماع:
قال ابن عطية - رحمه الله -: «هي مدنية كلها، كذا قال أكثر الناس»^(١).

وقال الفيروز آبادي: «اعلم أن هذه السورة مدنية بالإجماع»^(٢).
وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: «فقد اتفقوا على أن الأنفال مدنية، لكن قيل إن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية نزلت بمكة، ثم نزلت سورة الأنفال بالمدينة، وهذا غريب جداً»^(٣).

ويقول البقاعي - رحمه الله -: «مدنية إجماعاً نزلت في بدر»^(٤).
وقال الآلوسي - رحمه الله -: «مدنية كما روي عن زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وجاء ذلك في رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما»^(٥).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله -: «سورة الأنفال مدنية كلها، كما روي عن الحسن وعكرمة وجابر بن زيد وعطاء وعبد الله بن الزبير وزيد بن ثابت»^(٦).

وستأتي في مباحث قادمة دراسة مستفيضة للآيات اللاتي قيل إنهن مستثناة من السورة.

(١) المحرر الوجيز (٣/٨).

(٢) البصائر (٢٢٢/١).

(٣) الفتح (٦٥٧/٨).

(٤) مصاعد النظر (١٤٤/٢).

(٥) روح المعاني (١٥٧/٩).

(٦) تفسير المنار (٥٣٦/٩).

المطلب الثاني: الروايات الدالة على مدنية السورة

١- أخرج الإمام البخاري بسنده عن سعيد بن جبير قال: «قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الأنفال، قال: نزلت في بدر»^(١).
وجه الدلالة: من المعلوم في السيرة أن غزوة بدر كانت في السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة، وهذا يقتضي أن تكون السورة مدنية النزول^(٢).

٢- وأخرج الإمام أحمد من طريق عوف بن أبي جميلة عن يزيد الفارسي قال: قال ابن عباس: «قلت لعثمان بن عفان ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المثني فقرنتم بينهما ولم تكتبوا، قال ابن جعفر بينهما سطرًا: بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطوال؟ ما حملكم على ذلك؟ قال عثمان: إن رسول الله ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد، وكان إذا نزل عليه شيء يدعو بعض من يكتب عنده يقول: ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وينزل عليه الآيات فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وينزل عليه الآية فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة وبراءة من آخر القرآن، فكانت قصتها شبيهة بقصتها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها،

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١٥٦/٨) برقم (٤٦٤٥) كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾.

(٢) انظر تاريخ الغزوة في: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٩/٢)، سيرة ابن هشام (٦٦٥/٢).

وظننت أنها منها، فمن ثم قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطرًا بسم الله الرحمن الرحيم، قال ابن جعفر: ووضعتها في الطوال»^(١).

(١) المسند (٣٢٩/١-٣٣١) برقم (٣٩٩) طبعة شاكر.

وفي إسناده يزيد الفارسي وهو مختلف فيه، فقليل هو يزيد بن هرمز، وقيل غيره، قال الحافظ ابن حجر بعد ذكره ترجمة يزيد بن هرمز: «وهو غير يزيد الفارسي على الصحيح» التقريب (٣٧٢/٢).

وقال ابن حجر في يزيد الفارسي: «مقبول» التقريب (٣٧٣/٢) والحديث أخرجه الإمام أبو داود (٤٩٨/١) برقم (٧٨٦) كتاب الصلاة، باب من جهر بها، والترمذي، انظر سنن الترمذي مع تحفة الأحوذ (٣٧٩/٨-٣٨١) برقم (٣٢٨٢) التفسير، سورة التوبة.

وقال: «هذا حديث حسن لانعرفه إلا من حديث عوف بن يزيد الفارسي عن ابن عباس» وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢٢١/٢) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

وقد ضعفه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند من أجل يزيد الفارسي، فقال: «وفي إسناده نظر كثير، بل هو عندي ضعيف جداً، بل هو حديث لأصل له، يدور إسناده في كل رواياته على يزيد الفارسي».

وذكر الشيخ أحمد شاكر أن ماجاء في نسخة الترمذي - طبعة بولاق - من قوله «حسن صحيح» أن التصحيح زيادة خطأ، وأن النسخ الصحيحة التي شرحها المباركفوري ليس فيها هذا.

وضعف كذلك الشيخ شاكر الحديث من جهة المتن فقال: «وفيه تشكيك في معرفة سور القرآن الثابتة بالتواتر القطعي قراءة وسماعاً وكتابة في المصاحف، وفيه تشكيك في إثبات البسملة في أوائل السور كأن عثمان كان يثبتها برأيه وينفيها برأيه، وحاشاه من ذلك...» وختم الشيخ شاكر كلامه على هذا الحديث بقوله: «فلا عبرة بعد هذا كله في هذا الموضوع بتحسين الترمذي ولا بتصحيح الحاكم ولا بموافقة الذهبي، وإنما العبرة بالحجة والدليل».

انظر مما سبق من كلام الشيخ أحمد شاكر في تعليقاته على المسند (٣٢٩/١-٣٣١). وضعفه كذلك الشيخ ناصر الدين الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ص: ٣٨٠-٣٨١) برقم (٥٩٩) وفي ضعيف سنن أبي داود (ص: ٧٨) برقم (١٦٨). وضعف قبلهما ابن عطية فقال: «وهذا القول يضعفه النظر أن يختلف في كتاب الله هكذا» المحرر الوجيز (١٢٤/٨).

٣- وأخرج ابن الضريس من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس فذكر فيما نزل من القرآن بمكة وما نزل بالمدينة، وسورة الأنفال من القسم المدني^(١).

٤- وأخرج النحاس من طريق أبي عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس قال: «ونزلت سورة الأنفال بالمدينة فهي مدنية»^(٢).

٥- وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: «نزلت سورة الأنفال بالمدينة»^(٣).

٦- وأخرج ابن مردويه عن زيد بن ثابت قال: «نزلت الأنفال بالمدينة»^(٤).

٧- وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير قال: «نزلت بالمدينة سورة الأنفال»^(٥).

٨- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق فضيل بن الحسين عن حسان بن إبراهيم عن أمية الأزدي عن جابر بن زيد، فذكر السور المكية والمدنية، وسورة الأنفال من القسم المدني^(٦).

٩- وأخرج البيهقي من طريق علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن فذكرا السور المكية

(١) ينظر: فضائل القرآن لابن الضريس (ص: ٣٤).

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٣٦٥/٢).

(٣) الدر (٣/٤).

(٤) المصدر السابق مع الجزء والصفحة.

(٥) المصدر السابق مع الجزء والصفحة.

(٦) انظر: البيان للداني (ص: ١٣٦).

والمدينة وسورة الأنفال من القسم المدني^(١).

١٠- وأخرج الحارث المحاسبي من طريق سفيان بن عيينة عن معمر

عن قتادة فذكر السور المدنية ومنها سورة الأنفال^(٢).

١١- وأخرج أبو عبيد من طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي

طلحة فعدد السور المدنية، ومنها سورة الأنفال^(٣).

١٢- وأورد الزهري ترتيب السور المكية والمدنية، والأنفال معدودة

من القسم المدني^(٤).

١٣- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق أحمد بن موسى عن

يحيى بن سلام البصري عن أئمة أن سورة الأنفال مدنية^(٥).

١٤- وأورد أبو القاسم النيسابوري ترتيب السور المكية والمدنية،

وسورة الأنفال معدودة من القسم المدني^(٦).

١٥- وعدد ابن شيطا السور المدنية، ومنها سورة الأنفال^(٧).

(١) انظر: دلائل النبوة (١٤٢/٧-١٤٣).

(٢) انظر: فهم القرآن (ص: ٣٩٥).

(٣) انظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (ص: ٣٤٠) برقم (٧٩٦).

(٤) انظر: تنزيل القرآن (ص: ٢٩).

(٥) انظر: البيان للداني (ص: ١٥٨).

(٦) انظر: التنزيل وترتيبه (٢٢٣ ق/ب).

(٧) انظر: فنون الأفنان (ص: ٣٣٧-٣٣٨).

المطلب الثالث :

بعض روايات أسباب النزول الدالة على مدنية السورة.

١- أخرج الإمام البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزل ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم أن لا يفر واحد منهم من عشرة، فجاء التخفيف فقال ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ قال: فلما خفف الله من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم»^(١).

وجه الدلالة: إن وجه الاستدلال بهذا الحديث هو أن الآية الأولى نزلت في وجوب مصابرة الواحد للعشرة، ثم خفف الله عز وجل في الآية الثانية وأوجب مصابرة الواحد للاثنتين فقط، وهذا في الجهاد، ومعلوم أن فرض الجهاد كان بعد الهجرة إلى المدينة، بعد أن صار للمسلمين أرض يمتلكون السيادة عليها.

٢- وأخرج الإمام مسلم بسنده عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: «أخذ أبي من الخمس سيفاً، فأتى به النبي ﷺ، فقال: هب لي هذا، فأبى، فأنزل الله عز وجل ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾»^(٢).

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١٦٣/٨) برقم (٤٦٥٣) كتاب التفسير، باب ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ الآية.

(٢) صحيح مسلم (١٣٦٧/٣) برقم (١٧٤٨) كتاب الجهاد والسير، باب الأنفال. وأخرجه مسلم أيضاً مطولاً في فضائل سعد - ﷺ - (١٨٧٧/٤-١٨٧٨) برقم (١٧٤٨).

٣- وأخرج الإمام مسلم أيضا بسنده عن عمر بن الخطاب قال: «لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة رجالاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مَدَّ يديه فجعل يهتف بربه اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لاتعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَوِّفِينَ﴾ فأمده الله بالملائكة.» (١).

٤- وأخرج الطبراني من طريق موسى بن يعقوب الزمعي عن عبد الله بن يزيد مولى الأسود بن سفيان عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة عن حكيم بن حزام قال: «لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ فأخذ كفا من الحصباء (٢)، فاستقبلنا به، فرمانا بها، وقال: «شاهت الوجوه» فانهمزنا، فأنزل الله عز وجل ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾» (٣).

(١) صحيح مسلم (٣/١٣٨٣-١٣٨٤) برقم (١٧٦٣) كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم.

(٢) هو الحصى الصغير، انظر: النهاية (١/٣٩٣).

(٣) المعجم الكبير (٣/٢٠٣) برقم (٣١٢٨).

قال الهيثمي: «(وإسناده حسن)» المجمع (٦/٧٧) والحديث أورده مقبل الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص: ٩٩-١٠٠).

المبحث السادس : سورة التوبة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : عرض موجز للسورة من حيث محتواها

وذكر أقوال أهل العلم فيها.

المطلب الثاني : الروايات الدالة على مدنية السورة

المطلب الثالث : بعض روايات أسباب النزول الدالة

على مدنية السورة.

المطلب الأول:

عرض موجز للسورة من حيث محتواها
وذكر أقوال أهل العلم فيها^(١).

وفيه مسألان:

المسألة الأولى: عرض موجز لمحتوى السورة

إن الناظر في آيات السورة ليجد أن معظم آياتها تتحدث عن غزوة تبوك التي وقعت في شهر رجب من العام التاسع للهجرة^(٢)، كما أن فيها آيات تحكي عن غزوة حنين التي كانت في شوال من السنة الثامنة للهجرة^(٣).

وفي السورة حديث مطول مع المنافقين، وما ذلك إلا لخطورتهم على المجتمع الإسلامي، وفيه بيان حكم الله في معاملة المسلمين مع المشركين وأهل الكتاب.

يقول سيد قطب - رحمه الله - في عرضه للسورة: «هذه السورة مدنية من أواخر ما نزل من القرآن ومن ثم قد تضمنت أحكاماً نهائية في

(١) ذكر الآيات اللاتي قيل إنهن مستثناة من السورة: الآية رقم (١١٣، ١٢٨، ١٢٩).

(٢) انظر تاريخ الغزوة في: سيرة ابن هشام (١٣٦٨/٤) البداية والنهاية (٤٠٣/٥) هذا وقد أورد الإمام البخاري - رحمه الله - هذه الغزوة في صحيحه بعد ذكره حجة الوداع، ونبه الحافظ ابن حجر - رحمه الله - على أن هذا فيه تقديم وتأخير فقال: «هكذا أورده المصنف هذه الترجمة بعد حجة الوداع، وهذا خطأ، وما أظن ذلك إلا من النساخ، فإن غزوة تبوك كانت في شهر رجب من سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف» الفتح (٧١٤/٧).

(٣) انظر تاريخ الغزوة في: سيرة ابن هشام (١٢٨٣/٤) البداية والنهاية (٣٢١/٤).

العلاقات بين الأمة المسلمة وسائر الأمم في الأرض، كما تضمنت تصنيف المجتمع المسلم ذاته، وتحديد قيمه ومقاماته وأوضاع كل طائفة وكل طبقة من طبقاته، ووصف واقع هذا المجتمع بجملته، وواقع كل طائفة منه، وكل طبقة وصفاً دقيقاً مصوراً مبيناً»^(١).



المسألة الثانية: أقوال أهل العلم في السورة.

حكى غير واحد من أهل التفسير الإجماع على مدنية سورة التوبة، وإليك طرفاً من أقوال هؤلاء المفسرين.

قال النحاس - رحمه الله -: «لا أعلم خلافاً أنها من آخر ما نزل بالمدينة»^(٢).

وقال الماوردي - رحمه الله -: «مدنية عند جميعهم»^(٣).

ويقول البقاعي - رحمه الله -: «وهي مدنية إجماعاً»^(٤).

ويقول العلامة الألوسي - رحمه الله -: «مدنية كما روي عن ابن عباس، وعبد الله بن الزبير، وقتادة، وخلق كثير، وحكى بعضهم الاتفاق عليه»^(٥).

وقال ابن عاشور - رحمه الله -: «وهي مدنية بالاتفاق»^(٦).

(١) في ظلال القرآن (٣/١٥٦٤).

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢/٣٩٦).

(٣) النكت والعيون (٢/٣٣٦).

(٤) مصاعد النظر (٢/١٥١).

(٥) روح المعاني (١٠/٤٠).

(٦) التحرير والتنوير (١٠/٩٧).

المطلب الثاني: الروايات الدالة على مدنية السورة

١- أخرج الإمام البخاري -رحمه الله- بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «آخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلِمَةِ﴾ وآخر سورة نزلت براءة»^(١).

٢- وأخرج البخاري أيضا بسنده عن أبي هريرة قال: «بعثني أبو بكر رضي الله عنه في تلك الحجة في المؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، قال حميد: ثم أردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب، فأمره أن يؤذن براءة، قال أبو هريرة: فأذن معنا عليّ في أهل منى يوم النحر براءة، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان»^(٢).

وجه الدلالة: في الحديث دلالة واضحة على أن أول سورة براءة نزل عام حجة أبي بكر -رضي الله عنه، وكان ذلك في العام التاسع من الهجرة، قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: «وأول هذه السورة الكريمة نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك وهم بالحج، ثم ذكر أن المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم على عادتهم في ذلك، وأنهم يطوفون بالبيت عراة، فكره مخالطتهم، وبعث أبا بكر الصديق -رضي الله عنه - أميراً على الحج تلك السنة ليقم للناس مناسكهم ويعلم المشركين أن لا يحجوا بعد عامهم هذا، وأن ينادي في الناس ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فلما قفل أتبعه بعلي بن أبي

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١٦٧/٨) كتاب التفسير، باب ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ حديث رقم (٤٦٥٤).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (١٦٨/٨) كتاب التفسير، باب ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ حديث رقم (٤٦٥٦).

طالب - ﷺ - ليكون مبلغاً عن رسول الله ﷺ لكونه عصبه له»^(١).
 وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : «اتفقت الروايات على أن
 حجة أبي بكر - ﷺ - كانت سنة تسع»^(٢).
 وقال أيضاً: «إن أول براءة نزل عقب فتح مكة في سنة تسع عام حج
 أبي بكر»^(٣).

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣٤٤).

وقد ظن بعض الروافض أن بعث النبي ﷺ علياً على أثر أبي بكر دليل بتفضيل عليّ على
 أبي بكر، وليس هذا بشيء، وقد أجاد الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - في الرد على من
 ظن ذلك، فقال: «فإن توهم متوهم أن في أخذ (براءة) من أبي بكر - ﷺ - وتسليمها
 إلى علي - ﷺ - تفضيلاً لعليّ على أبي بكر، فقد جهل، لأن النبي ﷺ أجرى العرب في
 ذلك على عادتهم، قال الزجاج: وقد جرت عادة العرب في عقد عهدها ونقضها، أن
 يتولى ذلك على القبيلة رجل منها... زاد المسير (٣/٢٩٦) وانظر كلام الزجاج في:
 معاني القرآن (٢/٤٢٨).

(٢) الفتاح (٨/١٧٣).

(٣) المصدر السابق (٨/١٦٧).

وقد يشكل بما ذكرنا من أن حج أبي بكر - ﷺ - كان سنة تسع ماجاء عن عبد الرزاق
 مرسلاً عن سعيد بن المسيب في قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قال: «لما قفل
 النبي ﷺ زمان حنين اعتمر من الجعرانة وأمر أبا بكر على تلك الحجة». .
 تفسير عبد الرزاق (٢/٢٦٥) وانظر أيضاً: المصنف (٥/٣٥٢) ومعلوم أن عمرة الجعرانة
 كانت في ذي القعدة من السنة الثامنة للهجرة، وإضافة إلى ذلك أن أمير الحج في عمرة
 الجعرانة كان عتاب بن أسيد فكيف هذا بما ذكرنا؟
 انظر هذا الإشكال في: تفسير ابن كثير (٢/٣٤٦) وانظر تاريخ عمرة الجعرانة في:
 البداية والنهاية (٤/٣٦٤).

وقد أجاب الحافظ ابن حجر - رحمه الله - على هذا الإشكال فقال: «يمكن رفع
 الإشكال بأن المراد بقوله «ثم أمر أبا بكر» يعني بعد أن رجع إلى المدينة، وطوى ذكر
 من ولي الحج سنة ثمان فإن النبي ﷺ لما رجع من العمرة إلى الجعرانة فأصبح بها توجه هو
 ومن معه إلى المدينة، إلى أن جاء أوان الحج فأمر أبا بكر، وذلك سنة تسع، وليس المراد
 ↵

٣- وأخرج الإمام مسلم بسنده عن سعيد بن جبير قال: «قلت لابن عباس سورة التوبة، قال التوبة، قال بل هي الفاضحة ما زالت تنزل ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى منا أحد إلا ذكر فيها...» (١).

وجه الدلالة: دلّ الحديث على أن من أسماء سورة التوبة الفاضحة، وقد سميت بذلك لكشفها وفضحها أحوال المنافقين، ومعلوم أن النفاق لم يظهر إلا في المدينة.

٤- الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وسبق معنا في سورة الأنفال، وفيه: «وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وبراءة من آخر القرآن، فكانت قصتها شبيهة بقصتها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، وظننت أنها منها، فمن ثم قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطرًا، بسم الله الرحمن الرحيم، قال ابن جعفر: ووضعتها في الطوال» (٢).

٥- وأخرج ابن الضريس من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس فذكر فيما نزل بمكة وما أنزل بالمدينة، وسورة التوبة من القسم المدني (٣).

→

أنه أمر أبا بكر أن يحج في السنة التي كانت فيها عمرة الجعرانة، وقوله «وعلى تلك الحجة» يريد الآتية بعد رجوعهم إلى المدينة» الفتح (١٧٣/٨)، هذا وقد ذكر الحافظ ابن كثير والحافظ ابن حجر -رحمهما الله- أثر عبد الرزاق السابق مرفوعاً عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، ولم أجد هذا الرفع لا في تفسيره ولا في المصنف، وقد وجدته عند ابن خزيمة في صحيحه.

انظر: صحيح ابن خزيمة (٣٦٢/٤)، تفسير ابن كثير (٣٤٦/٢)، الفتح (١٧٣/٨).

(١) صحيح مسلم (٢٣٢٢/٤) برقم (٣٠٣١) كتاب التفسير.

(٢) سبق تخريجه والكلام على إسناده مفصلاً، انظر: (ص: ٤٢٨-٤٢٩).

(٣) فضائل القرآن لابن الضريس (ص: ٣٤).

٦- وأخرج أبو الشيخ بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نزلت براءة بعد فتح مكة» (١).

٨- وأخرج ابن عبد الكافي من طريق أبي عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس قال: «سورة التوبة مدنية في قولهم جميعاً» (٢).

٩- وأخرج ابن مردويه بسنده عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: «أنزل بالمدينة سورة براءة» (٣).

١٠- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق فضيل بن الحسين عن حسان بن إبراهيم عن أمية الأزدي عن جابر بن زيد فعُدّ السور المكية والمدنية، وسورة التوبة من القسم المدني (٤).

١١- وأخرج البيهقي من طريق علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن فذكرا السور المكية والمدنية وسورة التوبة من القسم المدني (٥).

١٢- وأخرج الحارث المحاسبي من طريق سفيان بن عيينة عن معمر عن قتادة فذكر السور المدنية ومنها سورة التوبة (٦).

(١) المصدر السابق مع الجزء والصفحة.

(٢) بيان ابن عبد الكافي (٢٤ ق/أ).

وأخرج نحوه النحاس دون أن يذكر إسناده في هذه المرة علماً بأن إسناده عبد الكافي هو نفس إسناده النحاس المتكرر في صدر كل سورة.
انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (٣٩٦/٢).

(٣) الدر (١١٩/٤).

(٤) البيان للداني (ص: ١٣٧).

(٥) دلائل النبوة (١٤٢/٧-١٤٣).

(٦) ينظر: فهم القرآن (ص: ٣٩٥).

١٣- وأخرج ابن المنذر عن قتادة قال: «مما نزل في المدينة براءة»^(١).

١٤- وأخرج أبو عبيد من طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة فذكر السور المدنية، ومنها سورة التوبة^(٢).

١٥- وذكر الزهري السور المكية والمدنية، والتوبة معدودة من القسم المدني^(٣).

١٦- وأخرج أبو عمرو الداني من طريق أحمد بن موسى عن يحيى بن سلام البصري عن أئمة أن سورة التوبة مدنية^(٤).

١٧- وأورد أبو القاسم النيسابوري السور المكية والمدنية، وسورة التوبة ضمن القسم المدني^(٥).

١٨- وفي رواية ابن شيطا في المكي والمدني السورة ضمن القسم المدني^(٦).

(١) الدر(٤/١١٩).

(٢) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (ص: ٣٤٠) برقم (٧٩٦).

(٣) ينظر: تنزيل القرآن (ص: ٣١).

(٤) ينظر: البيان للداني (ص: ١٦٠).

(٥) ينظر: التنزيل وترتيبه (٢٢٣ ق/ب).

(٦) ينظر: فنون الأفنان (ص: ٣٣٧-٣٣٨).

المطلب الثالث :

بعض روايات أسباب النزول الدالة على مدنية السورة

١- أخرج الإمام البخاري - رحمه الله - بسنده عن أبي مسعود الأنصاري قال: «لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رثاء، فنزلت ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ الآية» (١).

وجه الدلالة: إن وجه دلالة هذا الحديث لمدينة السورة من وجهين:
الوجه الأول: في الحديث ذكر الأمر بالصدقة، والمراد بها هنا الزكاة المفروضة بدليل ما جاء في كتاب الزكاة بلفظ «لما نزلت آية الصدقة» (٢) وهي قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (٣) ولم يرد الحديث عن الزكاة في القرآن المكّي بصيغة الأمر، ولكنها وردت بصيغة الخبر (٤).

الوجه الثاني: في الحديث ذكر النفاق، ومعلوم أن النفاق لم ينشأ إلا في المرحلة المدنية، إذ لم يكن أمام الكفار حينما قامت الدولة الإسلامية في المدينة إلا أحد طريقتين: إما الجلاء عن المدينة، وإما البقاء فيها والتظاهر بالإسلام نفاقاً.

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١٨١/٨) برقم (٤٦٦٨) كتاب التفسير، باب ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾.

(٢) جزء من حديث البخاري في كتاب الزكاة، انظر: صحيح البخاري مع الفتح (٣٣٢/٣) برقم (١٤١٥) كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرّة.

(٣) سورة التوبة الآية (١٠٣).

(٤) انظر: فقه الزكاة للدكتور يوسف القرضاوي (١/٦٠).

٢- وأخرج الإمام البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله، فقال: يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: إنما خيرني الله فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً وَسَأَزِيدَهُ عَلَى السَّبْعِينَ﴾ قال: إنه منافق، قال: فصلي عليه رسول الله ﷺ، فأنزل الله ﷻ ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ (١).

وجه الدلالة: في الحديث دليل على أن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ الآية، نزلت في صلاة النبي ﷺ على عبد الله بن أبي - قبحه الله -، وقد كان موته في ذي القعدة من العام التاسع للهجرة (٢).

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١٨٤/٨) برقم (٤٦٧٠) كتاب التفسير، باب ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾.

(٢) انظر: البداية والنهاية (٣١/٥)، الفتح (١٨٥/٨).

هذا وقد أنكر بعض العلماء حديث صلاة النبي ﷺ على عبد الله بن أبي رغم اتفاق الشيخين على إخراجهم، ووجه إنكارهم هو التخيير المذكور في الحديث مع أن ظاهر الآية أن «أو» للتسوية في عدم نفع الاستغفار لهم، لقوله تعالى في آخر الآية: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

ومن أنكر صحة هذا الحديث كما ذكره الحافظ ابن حجر - رحمه الله - القاضي أبو بكر الباقلاني، وإمام الحرمين، والغزالي، والداود - أحد شراح البخاري - وقد أعطى الحافظ ابن حجر - رحمه الله - هؤلاء المنكرين جوابهم الشافي حينما قال: «وذلك ينادي على منكري صحته بعدم معرفة الحديث وقلة الاطلاع على طريقه».

ودفع الحافظ ابن حجر - رحمه الله - الإشكال المتوهم بين الآية والحديث فقال: «ولعل الذي نزل أولاً وتمسك النبي ﷺ به قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾».

لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿١٨٩﴾ إلى هنا خاصة، ولذلك اقتصر في جواب عمر على التخيير وعلى ذكر السبعين، فلما وقعت القصة المذكورة كشف الله عنهم الغطاء، وفضحهم على رءوس الملأ، ونادى عليهم بأنهم كفروا بالله ورسوله، ولعل هذا هو السر في اقتصار البخاري في الترجمة من هذه الآية على هذا القدر إلى قوله ﴿فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ ولم يقع في شيء من نسخ كتابه تكميل الآية، كما جرت به العادة من اختلاف الرواة عنه في ذلك» .

وعتم الحافظ - رحمه الله - في كلامه على دفع الإشكال بقوله: «وإذا تأمل المتأمل المنصف وجد الحامل على من رد الحديث أو تعسف في التأويل ظنه بأن قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ نزل مع قوله: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي نزلت الآية كاملة؛ لأنه لو فرض نزولها كاملة لاقتزن بالنهي العلة، وهي صريحة في أن قليل الاستغفار وكثيره لا يجدي، وإلا فإذا فرض ما حررته أن هذا القدر نزل متراحياً عن صدر الآية ارتفع الإشكال» .

انظر مما سبق: الفتح (١٨٩/٨-١٩١).

ومن اعترض على هذا الحديث من المعاصرين الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - حيث قال في تفسيره: «ولكن حديث معارضة عمر بطريقه مشكل ومضطرب من وجوه» تفسير المنار (٥٧٧/١٠) ثم عدد الشيخ رشيد رضا - رحمه الله - الأوجه التي يراها أنها تدل على اضطراب الحديث في رأيه.

قلت: إن هذا هجوم على السنة النبوية الصحيحة بسبب شبهات تافهة، ولو سلطنا هذا المسلك لفقدنا الثقة بما ورد إلينا من السنة النبوية الصحيحة. ولعلي قد أطلت في الحديث عن الإشكال ودفعه على ضوء ما قاله شيخ الحفاظ ابن حجر - رحمه الله -، ولو لا أنني رأيت أن هذا خروج عن موضوع الرسالة لذكرت أكثر مما أثبتته هنا، والذي حملي على تلك الإطالة هو ما وجدته عند بعض من يطلق عليهم أنهم مؤرخو العصر أو مفكروه، وجدتهم يشككون في صحة هذا الحديث في متنه تارة وفي إسناده تارة أخرى. انظر: تفسير المنار (٥٧٧/١٠-٥٨٠) والتفسير الحديث للأستاذ محمد غزوة دروزة (١٩٩/١٢).

وكثيراً ما يرد الأستاذ دروزة - رحمه الله - الأحاديث الصحيحة بدعوى معارضتها لسياق الآيات، ولا نشك أن كل هذا وهم توهمه الأستاذ - رحمه الله -، ونسأل الله - عز وجل - أن يغفر لكل هؤلاء الذين أنكروا صحة الحديث ولنا جميعاً، إنه سميع مجيب .

الفصل الثالث : السور المختلف فيها

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : سورة الفاتحة
المبحث الثاني : سورة الرعد

المبحث الأول: سورة الفاتحة

وفيه عشرة مطالب :

المطلب الأول : عرض موجز لبيان وجه الخلاف في السورة

المطلب الثاني : القائلون بمكية سورة الفاتحة وأدلتهم

المطلب الثالث : القائلون بمدنية سورة الفاتحة وأدلتهم

المطلب الرابع : القائلون بتكرر نزول الفاتحة وأدلتهم

المطلب الخامس : القائلون بأن النصف الأول من سورة الفاتحة

نزل بمكة ونصفها الأخير نزل بالمدينة ودليلهم

المطلب السادس: بيان القول الراجح

المطلب السابع : مناقشة أدلة القائلين بمدنية الفاتحة

المطلب الثامن : مناقشة أدلة القائلين بتكرر نزول الفاتحة

المطلب التاسع : مناقشة دليل القائلين بأن النصف الأول من سورة

الفاتحة نزل بمكة والنصف الأخير نزل بالمدينة

المطلب العاشر : الاعتراض الذي اعترض به على رأي الجمهور

والجواب عنه

المطلب الأول:

عرض موجز لبيان وجه الخلاف في السورة

سورة الفاتحة من السور المختلف فيها، حيث تعددت أقوال العلماء في السورة على النحو التالي:

- ١- إنها مكية
 - ٢- إنها مدنية
 - ٣- إن السورة تكرر نزولها تارة بمكة وتارة بالمدينة
 - ٤- إن النصف الأول من سورة الفاتحة نزل بمكة ونصفها الأخير نزل بالمدينة
- وإليك بيان كل قول وأدلته مع مناقشة ما يحتاج إلى مناقشة

المطلب الثاني: القائلون بمكية سورة الفاتحة وأدلتهم

ذهب الجمهور إلى أن الفاتحة مكية، وهو المروي عن علي بن أبي طالب وابن عباس وأبي ميسرة^(١)، وأبي العالية^(٢)، والحسن البصري، وقتادة، وغيرهم^(٣).

أدلة هذا القول:

استدل الجمهور على مكية سورة الفاتحة بما يلي:
الدليل الأول: قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^(٤).

وجه الدلالة: قال الجمهور: إن سورة الحجر مكية بإجماع^(٥). وقد ورد تفسير السبع المثاني بالفاتحة مسنداً إلى النبي ﷺ عن أبي هريرة^(٦)،

(١) هو عمرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي. توفي -رحمه الله- في ولاية عبيد الله بن زياد.

ترجمته: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٠٦/٦)، حلية الأولياء (١٤١/٤-١٤٧).

(٢) هو رفيع بن مهران الرياحي، الإمام المقرئ، والحافظ المفسر. توفي -رحمه الله- سنة (١٩٣).

ترجمته: معرفة القراء الكبار (٦٠/١-٦١)، طبقات المفسرين للدواودي (١٧٨/١-١٧٩).

(٣) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (١٩/١ ق/ب)، المحرر الوجيز (٦١/١)، تفسير ابن كثير (٩/١-١٠)، الدر المنثور (١٠/١-١١)، روح المعاني (٣٣/١-٣٤).

(٤) سورة الحجر الآية (٨٧).

(٥) انظر نقل الإجماع : (ص : ٣٤٨).

(٦) أخرجه البخاري في الصحيح، انظر صحيح البخاري مع الفتح (٢٣٢/٨) برقم (٤٧٠٤) كتاب التفسير، باب ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ الآية.

وأبي بن كعب^(١)، وأبي سعيد بن المعلّى^(٢). ومن هنا فإن الآية دالة على تقديم نزول الفاتحة على سورة الحجر.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: « يستنبط من تفسير السبع المثاني بالفاتحة أن الفاتحة مكية، وهو قول الجمهور خلافاً لمجاهد ، ووجه الدلالة أنه سبحانه امتنّ على رسوله بها، وسورة الحجر مكية اتفاقاً، فيدل على تقديم نزول الفاتحة عليها»^(٣).

الدليل الثاني: ما أخرجه أبو نعيم من طريق محمد بن إسحاق قال: وحدثني إسحاق بن يسار عن رجل من بني سلمة قال: لما أسلم فتيان بني سلمة أسلمت امرأة عمرو بن الجموح وولده، قال لامرأته: لاتدعي أحداً من عيالك في أهلك حتى ننظر ما يصنع هؤلاء، قالت: أفعل، ولكن هل لك أن تسمع من ابنك فلان ما روى عنه، قال: فلعله صبا، قالت: لا،

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١١٤/٥) برقم (٩٣٣٤) طبعة شاكر. والترمذي في سننه انظر: سنن الترمذي مع تحفة الأحوذى (١٤٤/٨-١٤٥) برقم (٣٠٣٦) كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب. وابن خزيمة في صحيحه (٢٥٢/١) برقم (٥٠٠)، والحاكم في المستدرک (٥٥٧/١) - (٥٥٨).

وقال الترمذي: « هذا حديث حسن صحيح ». وقال الحاكم: « صحيح على شرط مسلم » ووافقه الذهبي. وصححه الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي في تحقيقه لصحيح ابن خزيمة. والشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣١٣) برقم (٢٣٠٧) وفي تحقيقه لمشكاة المصابيح للتبريزي (٦٦٠/١) برقم (٢١٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، انظر: صحيح البخاري مع الفتح (٧-٦/٨) برقم (٤٤٧٤) كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب. وأخرجه أيضاً برقم (٤٦٤٧) وبرقم (٤٧٠٣).

(٣) الفتح (٩/٨).

ولكن كان مع القوم، فأرسل إليه، فقال: أخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل، فقرأ عليه ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ فقال: ما أحسن هذا وأجمله، وكلّ كلامه مثل هذا؟ فقال: يأبته وأحسن من هذا، قال: فهل لك أن تباعه، قد صنع ذلك عامة قومك» (١).

وجه الدلالة: إن تعلم معاذ بن عمرو بن الجموح الفاتحة من النبي ﷺ قبل الهجرة، وقراءته على أبيه عقب بيعة العقبة الثانية لدليل على مكية الفاتحة، وكما هو ثابت في السيرة أن معاذ بن عمرو بن الجموح كان ممن شارك في بيعة العقبة الثانية التي وقعت في العام الثاني عشر من البعثة (٢).
الدليل الثالث: مما هو معلوم بالضرورة أن فرض الصلاة كان بمكة، وما حفظ أنه كان في الإسلام قط صلاة بغير فاتحة الكتاب، ولا أدلّ على ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» (٣).

قال القرطبي - رحمه الله - معلقاً على هذا الحديث: « وهذا خبر عن الحكم لا عن الابتداء» (٤).
وقال الواحدي - رحمه الله - : « ولم يكن الله ليؤمنن على رسوله

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم (٤١٣/١) برقم (٢٢٨).

وجود إسناده الشيخ محمد بن رزق الطرهوني. انظر: صحيح السيرة النبوية (١٩/١)، والأثر ذكره السيوطي في الخصائص الكبرى (٢٨٧/١).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٤٨٣/٢)، البداية والنهاية (١٦٤/٣-١٦٥).

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (٢٧٦/٢) برقم (٧٥٦) كتاب الأذان باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها.

(٤) تفسير القرطبي (١١٥/١).

بإيتائه فاتحة الكتاب وهو بمكة، ثم ينزلها بالمدينة، ولا يسعنا القول بأن رسول الله ﷺ قام بمكة بضعة عشرة سنة يصلي بلا فاتحة الكتاب هذا مما لا تقبله العقول» (١).

ويقول أبو العباس الإقليشي (٢) - رحمه الله - مشيراً إلى هذا الدليل: «واحتج بطريق النظر من قال إنها مكية بكون الصلاة فرضت على النبي ﷺ بمكة، وقد قال ﷺ: كل صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج، فلو صليت الصلاة دون فاتحة الكتاب، كانت خداجاً، فهي إذاً منزلة قبل الصلاة» (٣).

الدليل الرابع: أخرج الثعلبي في تفسيره من طريق مروان بن معاوية عن العلاء بن المسيب عن الفضيل بن عمرو عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش» (٤).
الدليل الخامس: ما أخرجه البيهقي من طريق يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن أبيه عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل في حديث

(١) أسباب النزول (ص: ٢٠)، وانظر البسيط للواحدي (١/٢١ ق/ب).

(٢) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى الإقليشي الأندلسي توفي - رحمه الله - سنة (٥٥١ هـ).

ترجمته: السير (٢٠/٣٥٨)، الوافي بالوفيات (٨/١٨٣-١٨٤).

(٣) تفسير العلوم والمعاني المستودعة في السبع المثاني لأبي العباس الإقليشي (ص: ٩٠).

(٤) الكشف والبيان (١/١٩ ق/ب).

ورجال إسناد الثعلبي كلهم من الثقات.

والأثر أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٩) من طريق أبي يحيى القصري عن مروان بن معاوية، وفي البسيط له أيضاً (١/١٩ ق/ب) وقال بعد أن أورد الأثر: "وعلى هذا أكثر العلماء".

وأخرجه أيضاً البطريز ندي في الدرر الثمينة في فضائل الآيات والسور العظيمة (٢٣٥ ق/أ) ضمن مجموع.

طويل يحكي فيه عن قصة بدء الوحي، وفيه: «... فلما خلا ناداه يا محمد قل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حتى بلغ ﴿وَلَا الصَّالِّينَ﴾...» (١) الحديث.

وجه الدلالة: إن هذا الحديث وإن كان مرسلًا إلا أن فيه دلالة على أن الفاتحة من أوائل ما نزل من القرآن.

قال البيهقي - رحمه الله -: «فهذا منقطع، فإن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعد ما نزلت عليه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، و﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾» (٢).

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في التعليق على مرسل أبي ميسرة: «وهو مرسل له ثقات. فإن ثبت حمل على أن ذلك كان بعد قصة غار حراء، ولعله كان بعد فترة الوحي» (٣).

(١) دلائل النبوة للبيهقي (١٥٨/٢-١٥٩).

«مرسل صحيح الإسناد» كذا قاله الحافظ ابن حجر في العجاب (٩ق/ب).

والأثر أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٩) بنحوه، وفي البسيط أيضاً (١٩/١ ق/ب)، والوسيط (١/٥٨).

هذا ويرى بعض أهل العلم اعتماداً على هذا المرسل أن الفاتحة أول ما نزل من القرآن، حتى عزا الزمخشري هذا القول إلى أكثر المفسرين.

انظر: الكشف (٤/٢٧٠).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - رداً على قول الزمخشري: «... أكثر المفسرين إلى أن أول سورة نزلت فاتحة الكتاب، كذا قال: - أي الزمخشري - والذي ذهب أكثر الأئمة إليه هو الأول - أي أولية اقرأ - وأما الذي نسبته إلى الأكثر فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال بالأول».

الفتح (٨/٥٨٤).

(٢) دلائل النبوة (٢/١٥٩).

(٣) العجاب (٨ ق/ب).

المطلب الثالث: القائلون بمدينة سورة الفاتحة وأدلتهم

يرى بعض أهل العلم أن سورة الفاتحة مدنية، وقد روي هذا القول عن أبي هريرة، وعبد الله بن عبيد بن عمير، وسودة بن زياد، وعطاء بن يسار، ومجاهد، وعطاء الخراساني، وابن شهاب الزهري وغيرهم^(١).

أدلة هذا القول:

استدل أصحاب هذا القول بما يلي:

الدليل الأول: ما أخرجه ابن أبي شيبة فقال: حدثنا أبو الأحوص عن منصور عن مجاهد عن أبي هريرة قال: «نزلت فاتحة الكتاب بالمدينة»^(٢).

الدليل الثاني: أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما - قال: «بينما جبريل عليه السلام قاعدٌ عند النبي ﷺ سمع نقيضا من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦١/١)، جمال القراء (١١/١)، تفسير القرطبي (١١٥/١) الإتيان (٣٥-٣٤/١).

(٢) المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة (٥٢٢/١٠) برقم (١٠١٨٨) ورجال إسناده كلهم من الثقات.

والأثر أخرجه ابن الأعرابي في معجمه (٤٦١ ق/أ) من طريق ابن أبي شيبة به بلفظ «إن إبليس رنَّ حين أنزلت فاتحة الكتاب وأنزلت بالمدينة».

والطبراني في الأوسط (٣٩٧/٥) برقم (٤٧٨٥).

وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط شبيه المرفوع، ورجاله رجال الصحيح» .
مجمع الزوائد (٣١٤/٦).

وقال السيوطي: «ورد عن أبي هريرة بإسناد جيد» ثم ذكر رواية الطبراني في الأوسط. انظر: الإتيان (٣٥/١).

وأخرجه أيضا أبو الشيخ في العظمة (١٦٧٩/٥) برقم (١١٢٤) وفيه زيادة.

وأبو نعيم في الحلية (٢٩٩/٣) مثل رواية أبي الشيخ.

إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبيّ قبلك، فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف فيهما إلا أوتيته» (١).
وجه الدلالة: في الحديث دلالة على أن الفاتحة نزلت حينما نزلت خواتيم سورة البقرة ، ومعلوم أن خواتيم البقرة مدنية باتفاق.

(١) صحيح مسلم (٥٥٤/١) برقم (٨٠٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة.

المطلب الرابع: القائلون بتكرر نزول الفاتحة وأدلتهم

يرى أصحاب هذا القول أن سورة الفاتحة من السور التي تكرر نزولها ، تارة بمكة وتارة بالمدينة .

وقد حكى هذا القول الثعلبي^(١)، والبغوي، والزحشري، والفخر الرازي، والسخاوي، والزرکشي، والسيوطي، ولم ينسبوه إلى قائله^(٢).

أدلة هذا القول:

استدل أصحاب هذا القول بما يلي:

الدليل الأول: أنه لا مانع من تكرر نزول شيء من القرآن، ومن فوائد ذلك كما ذكره الزركشي أنه قد ينزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه، وتذكيراً به عند حدوث سببه خوف نسيانه، وهذا كما قيل في الفاتحة نزلت مرتين، مرة بمكة وأخرى بالمدينة^(٣).

الدليل الثاني: أن تسمية سورة الفاتحة بالمشاني دليل على نزولها بمكة

(١) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الثعلبي، له من المؤلفات الكشف والبيان عن تفسير القرآن، والعرائس في قصص الأنبياء عليهم السلام، توفي - رحمه الله - سنة (٤٢٧ هـ).

ترجمته: طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ٢٨)، طبقات المفسرين للدوادوي (٦٧، ٦٦/١).

هذا وقد قام الدكتور محمد أشرف علي الملباري بدراسة وافية عن الثعلبي وتفسيره بعنوان: الثعلبي ودراسة كتابه الكشف والبيان عن تفسير القرآن، نال بها درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة.

(٢) انظر: الكشف والبيان (١٩/١ ق/ب)، معالم التنزيل (٤٩/١)، الكشف (٢٣/١)،

تفسير الرازي (١٨٤/١)، جمال القراء (٣٤/١) البرهان (٢٩/١)، الإقتان (١١٣/١).

(٣) انظر: البرهان (٢٩/١).

تارة وبالمدينة تارة أخرى.

قال الثعلبي - رحمه الله - بعد أن ذكر القول بمكية سورة الفاتحة والقول بمدنيتهما: «ولفق بعض العلماء بين هذين القولين، فقال: إنها مكية مدنية، نزل بها جبريل مرتين، مرة بمكة، ومرة بالمدينة، حين حلّها رسول الله ﷺ تعظيما وتفضيلا لهذه السورة على ما سواها فلذلك سميت مثاني» (١).

(١) الكشف والبيان (١٩/١ ق/ب).

المطلب الخامس:

القائلون بأن النصف الأول من سورة الفاتحة نزل بمكة
ونصفها الأخير نزل بالمدينة ودليلهم

لم أقف على أحد نسب إليه هذا القول، وقد حكاه أبو الليث
السمرقندي^(١) في تفسيره دون أن يعزوه إلى أحد^(٢).

دليل هذا القول:

يبدو - والله أعلم - أن هذا القول اعتمد على ما جاء في آخر الفاتحة
من قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾؛ إذ كل الآيات التي
تتحدث عن اليهود مدنيات لدى بعض أهل العلم^(٣).

(١) هو نصر بن محمد بن إبراهيم أبو الليث السمرقندي الحنفي، توفي - رحمه الله - سنة
(٣٧٥ هـ).

ترجمته: طبقات المفسرين للداوودي (٣٤٦/٢)، تاج التراجم لابن قطلوبغا (ص ٣١٠)،
هذا وللدكتور عبد الرحيم الزقة مقالة بعنوان: السمرقندي ومنهجه في التفسير، منشورة
في مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد، العدد الخامس ١٩٧٩ م، ص: ٣٧٠-٣٩٠.

(٢) انظر: بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢٢١/١).

(٣) ورد عن النبي ﷺ تفسير المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى.

أخرجه الإمام أحمد في المسند بسنده عن عدي بن حاتم مطولا (٥١٢/٤) برقم
(١٩٣٢٩) - طبعة المكتب الإسلامي المرقمة - والطبري في التفسير مكتفيا بالشاهد
(١٨٥/١) برقم (١٩٣) و(١٩٣/١) برقم (٢٠٧).

المطلب السادس: بيان القول الراجع

بعد أن استعرضت الأقوال السابقة ودليل كل قول ترجح لديّ -
والعلم عند الله تعالى - أن سورة الفاتحة مكية، وذلك لما يلي:

أولاً: تضافر الأدلة الصحيحة على هذا القول.

ثانياً: امتناع الامتنان بالشيء قبل إيتائه غالباً ؛ لأن الله سبحانه
وتعالى امتن على رسوله ﷺ - بسورة الفاتحة بقوله ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ
الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ والآية من سورة الحجر، ومعلوم أن سورة الحجر
مكية اتفاقاً.

ولعل من المستحسن أن أورد هنا نماذج من أقوال أهل العلم تبين
لنا صحة الاستدلال بقوله تعالى: ﴿ ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ
الْعَظِيمَ ﴾ ﴾ على مكية سورة الفاتحة :

أ- قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: « وفاتحة الكتاب نزلت
بمكة بلا ريب كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي
وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: « هي السبع
المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته» وسورة الحجر مكية بلا ريب، وفيها
كلام مشركي مكة وحاله معهم» (١).

وغلّط شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- من قال إن الفاتحة نزلت
بالمدينة، فقد قال بعد أن حكم على الغلط أيضاً قول من قال: إن سورة «
الكافرون» نزلت بالمدينة، قال: « وكذلك قول من قال: الفاتحة لم تنزل
إلا بالمدينة غلط بلا ريب، ولو لم تكن معنا أدلة صحيحة تدلنا على ذلك

(١) مجموع الفتاوى (١٧/١٩٠-١٩١).

لكان من قال: إنها مكية معه زيادة علم» (١).

ب- وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بعد أن استعرض الخلاف في نزول الفاتحة: « والأول - أي القول بمكيته - أشبه لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ » (٢).

ج- ويقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: « يستنبط من تفسير السبع المثاني بالفاتحة أن الفاتحة مكية وهو قول الجمهور، خلافاً لمجاهد، ووجه الدلالة أنه سبحانه امتن على رسوله بها، وسورة الحجر مكية اتفاقاً، فيدل على تقديم نزول الفاتحة عليها » (٣).

د- وقال البيضاوي (٤) - رحمه الله -: « وقد صح أنها مكية لقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ﴾ وهو مكي » (٥).

هـ- وقال الكواشي (٦) - رحمه الله - بعد أن ذكر الخلاف في مكان نزول هذه السورة: « والأول - أي نزولها بمكة - أصح لقوله تعالى:

(١) المصدر السابق (١٧/١٩١).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٩٠-١٠).

(٣) الفتح (٨/٩).

(٤) هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي ناصر الدين البيضاوي صنف تفسيره المسمى « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » و « منهاج الأصول » توفي - رحمه الله - سنة (٦٨٥هـ). ترجمته: طبقات المفسرين للداوودي (١/٢٤٨-٢٤٩)، طبقات الشافعية للسبكي (٨/١٥٧-١٥٨)، وأرخ في وفاته سنة (٦٩١هـ).

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٥).

(٦) هو أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع موفق الدين الكواشي الشافعي.

صنف تفسيره المسمى « تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر في تفسير القرآن العزيز » وله مختصر لهذا التفسير. توفي - رحمه الله - سنة (٦٨٠هـ).

ترجمته: طبقات المفسرين للداوودي (١/١٠٠-١٠١)، طبقات الشافعية للسبكي (٨/٤٢).

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ وسورة الحجر مكية، فلم يكن يمن عليه بها قبل نزولها» (١).

و- ويقول أبو العباس الإقليشي في حديثه عن أسباب تسمية الفاتحة بالمثاني: «أن يكون سماها بذلك من نص قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ وتكون سورة الحمد نزلت على هذا قبل سورة الحجر» (٢).

ز- وقال ابن بنت الملق (٣): «وقد نزلت الفاتحة بمكة حتى امتن الله سبحانه بالفاتحة على نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ وسورة الحجر مكية» (٤).

ح- ويقول الفيروزآبادي -رحمه الله-: «اختلف العلماء في موضع نزولها، فقليل: نزلت بمكة، وهو الصحيح، لأنه لا يعرف في الإسلام صلاة بغير فاتحة الكتاب» (٥).

ثالثاً: أن القضايا التي تحدثت عنها السورة من أولها إلى آخرها قضايا خصائص السور المكية؛ إذ السورة تناولت قضايا العقيدة من الإيمان بصفات الله وأسمائه، والبعث والجزاء، وإفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة، والاستعانة، إلى غير ذلك من القضايا التي تميز بها القرآن المكي، والتي كان الغرض منها ترسيخ العقيدة في نفوس المسلمين أولاً.

(١) تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر في تفسير القرآن العزيز (٥ ق/أ).

(٢) تفسير العلوم والمعاني المستودعة في السبع المثاني (ص: ٨٤-٨٥).

(٣) هو محمد بن عبد الدائم بن محمد بن سلامة ناصر الدين المعروف بابن بنت الملق، مفسر صوفي. توفي -رحمه الله- سنة (٧٩٧ هـ).

ترجمته: إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر (٥٠٣/١)، الدرر الكامنة (٤/١١٤-١١٥).

(٤) التجارة الراجعة في الدلالة على مقاصد الفاتحة لابن بنت الملق (٥٩/أ).

(٥) البصائر (١/١٢٨).

المطلب السابع: مناقشة أدلة القائلين بمدنية الفاتحة

مناقشة دليلهم الأول :

نوقش حديث أبي هريرة الذي استدل به القائلون بمدنية الفاتحة بأن الجملة الأخيرة من الحديث - « وأنزلت بالمدينة » - إدراج من قول مجاهد. قال الإمام السيوطي - رحمه الله - الذي جوّد إسناده هذا الحديث: « ويحتمل أن الجملة الأخيرة مدرجة من قول مجاهد » (١).

ومما يؤيد هذا الاحتمال ما أخرجه مقاتل في تفسيره بلفظ « لما نزلت فاتحة الكتاب رنّ إبليس » (٢).

ومعلوم كما هو مقرر في كتب الأصول أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط الاستدلال به (٣).

مناقشة دليلهم الثاني:

نوقش هذا الدليل بأنه ليس المراد في دلالة الحديث أن الفاتحة نزلت في ذاك الوقت، وإنما أريد به الإخبار بفضلها، وهكذا ترجمه الإمام مسلم في صحيحه « باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة... » (٤).

قال القرطبي - رحمه الله - بعد أن ذكر هذا الحديث: « فهذا الحديث يدلّ على أنها مدنية، وأن جبريل لم ينزل بها، وليس كذلك، بل نزل بها جبريل عليه السلام بمكة، لقوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ وهذا

(١) الإتيان (٣٥/١).

(٢) تفسير مقاتل (١٢/١).

(٣) انظر هذه القاعدة في: البحر المحیط في أصول الفقه للزركشي (١٥٣/٣).

(٤) انظر تخريجه (ص: ٤٥٣-٤٥٤).

يقتضي جميع القرآن، فيكون جبريل عليه السلام نزل بتلاوتها بمكة، ونزل الملك بفضلها وثوابها بالمدينة، فتتفق الآثار^(١).

وللمزيد في مناقشة دعوى مدنية الفاتحة أقول: إن أهل العلم شنعوا على قول مجاهد بمدنية الفاتحة، فقد نقل الثعلبي - رحمه الله - قول الحسين بن الفضل^(٢): «لكل عالم له هفوة، وهذه بادرة من مجاهد لأنه تفرد بها والعلماء على خلافه»^(٣).

ولعل مقالة الذهبي - رحمه الله - يحسن ذكرها في مثل هذا المقام، حيث قال في ترجمته لمجاهد منبهاً على حاله: «ولمجاهد أقوال وغرائب في العلم والتفسير تستنكر»^(٤).

ومما يستدعي الانتباه أيضاً في هذا المقام أن الحافظ ابن حجر - رحمه الله - يرى عدم صحة نسبة القول بمدنية الفاتحة إلى كل من أبي هريرة، والزهري، وعطاء بن يسار، فيقول: «وأغرب بعض المتأخرين فنسب القول بذلك - أي بمدنية الفاتحة - لأبي هريرة، والزهري، وعطاء بن يسار»^(٥).

(١) التذكار في أفضل الأذكار (ص: ٢٢٩).

(٢) هو العلامة المفسر الحسين بن الفضل بن عمير أبو علي البجلي الكوفي، ثم النيسابوري، توفي - رحمه الله - سنة (٢٨٢ هـ).

ترجمته: طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ٤٨)، طبقات المفسرين للدواودي (١/١٥٩ - ١٦٠).

(٣) الكشف والبيان (١/١٩٩ ق/أ).

(٤) السير (٤/٤٥٥).

(٥) الفتحة (٩/٨).

المطلب الثامن: مناقشة أدلة القائلين بتكرار نزول الفاتحة

مناقشة دليلهم الأول :

ولئن كان في القرآن الكريم ما تكرر نزوله كما صرح به غير واحد من أهل العلم^(١)، إلا أن غاية ما في الأمر لو سلمنا للقائلين بتكرار نزول الفاتحة بذلك أن الفاتحة نزلت على حرف بمكة، ونزلت بقية وجوها في المدينة، وهذا التوجيه استحسنته أئمة أجلاء كالسخاوي وعماد الدين الكندي^(٢) - رحمهما الله تعالى -.

قال السخاوي بعد أن حكى القول بتكرار نزول الفاتحة: «إن قيل فما فائدة نزولها مرة ثانية؟ قلت: يجوز أن تكون نزلت أول مرة على حرف واحد، ونزلت في الثانية ببقية وجوها، نحو ملك، مالك، والسرط، والصرط، ونحو ذلك»^(٣).

ويقول عماد الدين الكندي معللاً القول بنزول الفاتحة مرتين: «ولعلمهم يعنون بنزولها مرتين أن جبريل نزل حين حولت القبلة، فأخبر الرسول ﷺ أن الفاتحة ركن في الصلاة كما كانت بمكة، فظن ذلك نزولاً لها مرة أخرى، أو أقرأه قراءة أخرى لم يقرأها له بمكة، فظن ذلك إنزالاً»^(٤).

(١) انظر من صرح بذلك (ص: ٨٤٢-٨٤٣).

(٢) هو أبو الحسن بن أبي بكر بن أبي الحسن الكندي النحوي، من مؤلفاته الكفيل بمعاني التنزيل، توفي - رحمه الله - سنة (٧٤١هـ).

ترجمته: الدرر الكامنة (١٦١/٢)، بغية الوعاة (٥٣٢/١).

(٣) جمال القراء (٣٤/١).

(٤) الإتيقان (١١٥/١).

مناقشة دليلهم الثاني:

وأما قولهم إن تسمية سورة الفاتحة بالمثاني للدليل على نزولها بمكة مرة وبالمدينة مرة أخرى فهو قول غير سديد؛ إذ إن الثنية هنا بمعنى التكرير بناءً على ما شاع عند العرب من استعمال المثني في مطلق المكرر، نحو ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾، وقولهم: لبيك وسعديك، وعليه فيكون المراد بالمثاني هنا مثل المراد بالمثاني في قوله تعالى: ﴿كَذِبًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِيَ﴾ أي مكرر القصص والأغراض^(١).

قال أبو المظفر السمعاني^(٢) - رحمه الله - بعد أن ذكر أن من أسباب تسمية سورة الفاتحة بالمثاني نزولها مرتين قال: «وهذه رواية غريبة»^(٣). وقال القرطبي - رحمه الله - في معرض نقده القول بتكرار نزول الفاتحة «وقد قيل إنها مكية مدنية نزل بها جبريل عليه السلام مرتين، حكاه الثعلبي وغيره، وما ذكرناه - أي نزولها بمكة - أولى»^(٤). ويقول ابن عاشور - رحمه الله - في هذا المقام: «وقيل سميت المثاني لأنها ثنيت في النزول فنزلت بمكة ثم نزلت في المدينة وهذا قول بعيد جداً»^(٥).

(١) روح المعاني (٧٩-٧٨/١٤) بتصرف.

(٢) هو منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي الشافعي، من مؤلفاته التفسير المشهور باسمه، والقواطع في أصول الفقه، توفي - رحمه الله - سنة (٤٨٩ هـ).

ترجمته: طبقات المفسرين للداوودي (٣٣٩/٢-٣٤٠)، طبقات الشافعية للسبكي (٣٤٦-٣٣٥/٥).

هذا وقد حقق تفسير السمعاني في رسائل علمية بالجامعة الإسلامية بالمدينة، وبعض تلك الرسائل نشرت حديثاً.

(٣) تفسير أبي المظفر السمعاني (٣٥٥/١) القسم المطبوع.

(٤) التذكار في أفضل الأذكار (ص: ٢٢٩).

(٥) التحرير والتنوير (١٣٥/١).

ويعمضي ابن عاشور في رده على هذا القول فيقول: « وقد اتفق على أنها مكية فأى معنى لإعادة نزولها بالمدينة» (١).



(١) المصدر السابق مع الجزء والصفحة.

المطلب التاسع:

مناقشة دليل القائلين بأن النصف الأول من سورة الفاتحة
نزل بمكة والنصف الأخير نزل بالمدينة.

لا أظن أن هذا القول يستحق مزيداً من المناقشة ولعلّ ذكر قولين من
أقوال نقاد المفسرين تكفيها مؤنة طول مناقشة هذا القول.

١- قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- بعد أن ذكر هذا القول: «
وهو غريب جداً» (١).

٢- وقال العلامة الآلوسي -رحمه الله- مبيناً ضعف هذا القول: «
وقيل بعضها مكّي وبعضها مدني ولا يخفى ضعفه» (٢).

(١) تفسير ابن كثير (١/١٠).

(٢) روح المعاني (١/٣٣).

المطلب العاشر:

الاعتراض الذي اعترض به على رأي الجمهور والجواب عنه.

ذكر الاعتراض

اعترض على استدلال الجمهور بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ على مكية سورة الفاتحة، أن الله سبحانه وتعالى امتن على نبيه ﷺ بأمور قبل إيتائه إياها، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾، وامتنان سورة الفاتحة على النبي ﷺ من هذا الباب، وعليه فإن الاستدلال بتلك الآية على مكية سورة الفاتحة استدلال في غير محله (١).


الجواب عن هذا الاعتراض:

أجاب الجمهور عن هذا الاعتراض بأن ورود اللام، و«قد» وما يتضمن السياق من معنى القسم، كل هذا ينبئ عن سبق وقوع هذه المنة. قال العلامة الآلوسي - رحمه الله - بعد أن ذكر الإشكال الناشئ من قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قال: «وهذا - يعني قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ - وإن كان خلاف الظاهر لاسيما مع إيراد اللام، وكلمة «قد»، ووروده في معرض المنة، والغالب فيها سبق الوقوع» (٢).

(١) روح المعاني (٣٤/١) بتصرف.

(٢) روح المعاني (٣٤/١).

ويقول العلامة المفسر صديق حسن خان^(١) - رحمه الله -: « وظاهر قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ﴾ الآية أنه قد تقدم إتياء السبع على نزول هذه الآية »^(٢).



-
- (١) هو أبو الطيّب محمد صديق حسن خان القنوجي، من مؤلفاته فتح البيان في مقاصد القرآن، ونيل المرام من تفسير الآيات الأحكام. توفي - رحمه الله - سنة (١٣٠٧ هـ). ترجمته: معجم المفسرين (٥٣٩/٢)، معجم المؤلفين (٩٠/١٠).
- (٢) فتح البيان في مقاصد القرآن (٢٠٥/٥).

المبحث الثاني: سورة الرعد

وفيه ثمانية مطالب :

المطلب الأول: عرض موجز في بيان وجه الخلاف في السورة

المطلب الثاني: القائلون بأن سورة الرعد مكية وأدلتهم

المطلب الثالث: القائلون بمدنية سورة الرعد وأدلتهم

المطلب الرابع: القائلون بأن سورة الرعد مكية من حيث الجملة

مع اشتمالها على آيات مدنية.

المطلب الخامس: القائلون بأن سورة الرعد مدنية

من حيث الجملة مع اشتمالها على آيات مكية

المطلب السادس: بيان القول الراجح

المطلب السابع : مناقشة الروايات التي مفادها أن بعض

آيات السورة مدنيات

المطلب الثامن : الاعتراضات التي اعترض بها على رأي الجمهور

والجواب عنها.

المطلب الأول:

عرض موجز في بيان وجه الخلاف في السورة

سورة الرعد من السور المختلف في مكيتها أو مدنيتها، والخلاف في هذه السورة على النحو التالي:

أ- هل السورة مكية كلها؟

ب- هل السورة مدنية كلها؟

ج- هل السورة مكية من حيث الجملة مع اشتغالها على آيات مدنية؟

د- هل السورة مدنية من حيث الجملة مع اشتغالها على آيات مكية؟
قال العلامة القاسمي - رحمه الله -: «وللسلف رأيان في أنها مكية أو مدنية، ويقال إنها مدنية إلا قوله ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية، ويقال من أولها إلى آخر: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ﴾ مدني، وباقيها مكِّي» (١).
وبعد هذا العرض العام هاك تفصيل ما أجمل:

(١) تفسير القاسمي (٣٢١/٩).

المطلب الثاني: القائلون بأن سورة الرعد مكية وأدلتهم

ورد القول بأن سورة الرعد مكية كلها في رواية مجاهد عن ابن عباس^(١).

ومن طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس^(٢)، وهو مروى عن سعيد بن جبير، وعطاء بن يسار^(٣)، وقتادة في رواية عنه^(٤)، وإليه ذهب جمهور المفسرين^(٥).

أدلة هذا القول:

الدليل الأول: أخرج النحاس في ناسخه بسنده عن مجاهد عن ابن عباس قال: «سورة الرعد نزلت بمكة فهي مكية»^(٦).

الدليل الثاني: ما ذكره ابن الجوزي -رحمه الله- في تفسيره أنه قد جاء في رواية عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس أن سورة الرعد مكية^(٧).
الدليل الثالث: أن بعض روايات أسباب نزول آيات السورة تدلنا على مكيّتها.

(١) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (٤٧٨/٢).

(٢) انظر: زاد المسير (٢٩٩/٤).

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (٤٧٩/٢)، مصاعد النظر (١٨٩/٢)، الإتيان (٣٦/١).

(٤) انظر: زاد المسير (٢٩٩/٤)، التحرير والتنوير (٧٥/١٣).

(٥) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (٤٧٨/٢-٤٧٩)، المحرر الوجيز (٣/١٠)، البحر المحيط (٤٠٢/٦)، تفسير ابن كثير (٥٤٠/٢)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٣٩٨/٢)، بصائر ذوي التمييز (٢٦٢/١)، الإكليل على مدارك التنزيل -حاشية على تفسير النسفي- للعلامة محمد عبد الحق الهندي المكي (٨٤/٥).

(٦) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٤٧٨/٢).

(٧) انظر: زاد المسير (٢٩٩/٤).

قال البقاعي - رحمه الله -: «والأحاديث الواردة في سبب نزول : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ﴾ تدل على أنها مكية» (١).

ومن تلك الأسباب ما أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حيث قال: حدثنا محمد بن إسماعيل بن عليّ الأنصاري، حدثنا خلف بن تميم المصيصي، عن عبد الجبار بن عمر الإيلي عن عبد الله بن عطاء بن إبراهيم، عن جدته أم عطاء مولاة الزبير بن العوام، قالت: سمعت الزبير بن العوام يقول: «لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ صاح رسول الله ﷺ على أبي قُبَيْس (٢): «يا آل عبد مناف، إني نذير» فجاءته قريش، فحذروهم وأنذروهم، فقالوا: تزعم أنك نبيّ يوحى إليك، وأن سليمان سُخِّرَ له الريحُ والجبال، وأن موسى سُخِّرَ له البحر، وأن عيسى كان يحيي الموتى؟ فادع الله أن يسيّر عنا هذه الجبال، ويفجّر لنا الأرض أنهاراً، فتتخذها محارث فنزرع ونأكل، وإلا فادع الله أن يحيي لنا موتانا فنكلهمم ويكلمونا، وإلا فادع الله أن يصير هذه الصخرة التي تحتك ذهباً فننحت منها ويُغنينا عن رحلة الشتاء والصيف، فإنك تزعم أنك كهيتهم! فبينما نحن حوله إذ نزل عليه الوحي، فلما سرّي عنه قال: «والذي نفسي بيده، لقد أعطاني ما سألتهم، ولو شئت لكان، ولكنه خيرني بين أن تدخلوا من باب الرحمة، فيؤمن مؤمنكم، وبين أن يكلكم إلى ما اخترتم لأنفسكم فتضلوا عن باب الرحمة ولا يؤمن مؤمنكم، فاخترت باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم، وأخبرني إن أعطاكم ذلك ثم

(١) مصاعد النظر (٢/١٨٩).

(٢) بلفظ التصغير هو اسم الجبل المشرف على الكعبة من جهة مطلع الشمس.

انظر: معجم المعالم الجغرافية (ص: ٢٤٩) معالم مكة التاريخية والأثرية (ص: ١١).

كفرتم أنه معذبكم عذاباً لا يعذب به أحدٌ من العالمين» فنزلت : ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ حتى قرأ ثلاث آيات، ونزلت : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ الآية» (١).

الدليل الرابع: أن المتأمل في مضمون هذه السورة والقضايا التي تناولتها آيات السورة ليجد أنها مكية تماماً.

وفي هذا يقول أبو جعفر بن الزبير الغرناطي: «والسورة بجملتها غير حائدة عن تلك الأغراض المحملة في الآيات الأربع المذكورات من آخر سورة يوسف، ومعظم السورة وغالب آياتها في التنبيه وبسط الدلالات والتذكير بعظيم ما أودعت من الآيات» (٢).

وقال ابن عاشور -رحمه الله-: «ومعانيها جارية على أسلوب القرآن المكي من الاستدلال على الوحدانية، وتقريع المشركين وتهديدهم، والأسباب التي أثارت القول بأنها مدنية أخبار واهية» (٣).

ويقول سيد قطب -رحمه الله-: «إن افتتاح السورة وطبيعة الموضوعات التي تعالجها، وكثيراً من التوجيهات فيها... كل أولئك يدلّ دلالة واضحة على أن السورة مكية، وليست مدنية كما جاء في بعض الروايات والمصاحف» (٤).

(١) مسند أبي يعلى الموصلي (٢/٤٠-٤١) برقم (٦٧٩).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٨٨): "رواه أبو يعلى من طريق عبد الجبار بن عمر الإيلي، عن عبد الله بن عطاء بن إبراهيم، وكلاهما وثق، وقد ضعفهما الجمهور".

وقال محقق مسند أبي يعلى: "إسناده ضعيف" (٢/٤١).

(٢) البرهان في ترتيب سور القرآن (ص: ٢٣٥).

(٣) التحرير والتنوير (١٣/٧٦).

(٤) في ظلال القرآن (٤/٢٠٦٦).

المطلب الثالث: القائلون بمدنية السورة وأدلتهم:

يرى بعض أهل العلم أن سورة الرعد مدنية كلها، وقد جاء ذلك في رواية عطية العوفي عن ابن عباس^(١)، وعطاء الخراساني عن ابن عباس^(٢)، ومجاهد عن ابن الزبير^(٣). وفي رواية عكرمة والحسن البصري عند البيهقي^(٤)، وقتادة في رواية عنه^(٥)، وهو مروي كذلك عن جابر بن زيد^(٦)، والزهري^(٧)، وابن جريج^(٨).

أدلة هذا القول:

استدل القائلون بمدنية سورة الرعد بأدلة عديدة، وهي كما يلي:
الدليل الأول: ما أخرجه أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نزلت سورة الرعد بالمدينة»^(٩).

(١) أخرجه أبو الشيخ وابن مردويه كما في الدر (٥٩٩/٤) وانظر أيضا: الإتيان (٣٦/١)،

روح المعاني (٨٤/١٣).

(٢) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص: ٣٤)، وابن عبد الكافي في بيانه (١٢) ق/ب).

(٣) أخرجه ابن مردويه كما في الدر (٥٩٩/٤)، وانظر أيضا، روح المعاني (٨٤/١٣).

(٤) انظر: دلائل النبوة (١٤٢/٧-١٤٣).

(٥) أخرجه الحارث المحاسبي في فهم القرآن (ص: ٣٩٥)، وابن الأنباري في الرد على من خالف مصحف عثمان رضي الله عنه. انظر: تفسير القرطبي (٦١/١-٦٢)، وأبو عمرو الداني في البيان (ص: ١٣٣)، وأبو الشيخ كما في الإتيان (٣٦/١).

(٦) انظر: زاد المسير (٢٩٩/٤).

(٧) انظر: تنزيل القرآن للزهري (ص: ٣٠).

(٨) انظر: روح المعاني (٨٤/١٣)، والتحرير والتنوير (٧٥/١٣).

(٩) الدر (٥٩٩/٤).

الدليل الثاني: ما أخرجه ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: «نزلت الرعد بالمدينة» (١).

الدليل الثالث: ما تدل عليه بعض روايات أسباب نزول آيات السورة ومنها:

أ- ما أخرجه الطبراني - رحمه الله - في المعجم الكبير، فقال: حدثنا مسعدة بن سعد العطار، ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثني عبد العزيز بن عمران، حدثني عبد الرحمن، وعبد الله ابنا زيد بن أسلم عن أبيهما، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس « أن أربد بن قيس بن جزي بن خالد بن جعفر بن كلاب، وعامر بن الطفيل بن مالك قدما المدينة على رسول الله ﷺ، فانتهايا إلى رسول الله ﷺ وهو جالس، فجلسا بين يديه، فقال عامر بن الطفيل: يا محمد ما تجعل لي إن أسلمت؟ قال رسول الله ﷺ: « لَكَ ما للمسلمين وَعَلَيْكَ ما عليهم » قال عامر بن الطفيل: أتعجل لي الأمر إن أسلمت من بعدك؟ قال رسول الله ﷺ: ليس ذلك لك ولا لقومك، ولكن لَكَ أَعِنَّةُ الْخَيْلِ » (٢) قال: أنا الآن في أعنة خيل نجد، اجعل لي الوبر ولك المدر (٣)، قال رسول الله ﷺ: « لا »، فلما قفل من عند رسول الله ﷺ، قال عامر: أما والله لأملأنها عليك خيلاً

(١) المصدر السابق مع الجزء والصفحة.

(٢) الأَعِنَّة هي جمع عِنَان وهي سير اللجام الذي تمسك به الدابة.

انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١/١٠٩)، الصحاح للجوهري (٦/٢١٦٧)، القاموس المحيط للفيروز آبادي (٤/٢٤٩).

(٣) الوبر يراد به أهل القرى والبوادي، والمدر يراد به المدن والأمصار، والمعنى أن تكون له زعامة البادية وللرسول ﷺ زعامة المدن والحضر.

انظر: النهاية لابن الأثير (٤/٣٠٩)، (٥/١٤٥).

ورجالاً، فقال رسول الله ﷺ: «يمنعك الله» فلما خرج أريد وعامر، قال عامر: يا أريد أنا أشغل منك محمداً بالحديث، فاضربه بالسيف، فإن الناس إذا قتل محمداً لم يزيدوا على أن يرضوا بالدية ويكرهوا الحرب، فسنعطيهم الدية، قال أريد: أفعل، فأقبلا راجعين إليه، فقال عامر: يا محمد قم معي أكلمك، فقام معه رسول الله ﷺ، فخليا إلى الجدار ووقف معه رسول الله ﷺ يكلمه، وسلّ أريد السيف، فلما وضع يده على قائم السيف يبست على قائم السيف، فلم يستطع سلّ السيف، فأبطأ أريد على عامر بالضرب، فالتفت رسول الله ﷺ، فرأى أريد وما يصنع، فانصرف عنهما، فلما خرج عامر وأريد من عند رسول الله ﷺ حتى إذا كانا بالحرّة حرة واقم^(١)، نزلا فخرج إليهما سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا: اشخصا يا عدوي الله لعنكما الله، قال عامر: من هذا ياسعد؟ قال: هذا أسيد بن حضير الكاتب، قال: فخرجا حتى إذا كانا بالرقم^(٢) أرسل الله عز وجل على أريد صاعقة، فقتله، وخرج عامر حتى إذا كان بالحرّ، أرسل الله عليه قرحة^(٣) فأخذته فأدركه الليل في بيت امرأة من بني سلول، فجعل يمس قرحته في حلقه، ويقول: غدة كغدة الجمل في بيت سلولية، يرغب أن يموت في بيتها، ثم ركع^(٤) فرسه

(١) إحدى حرتي المدينة وهي الشرقية.

انظر: معجم البلدان (٢/٢٨٧)، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى للسهمودي (٤/١١٨٨)، تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً لأحمد ياسين الخياري (ص: ٢٣٥).

(٢) موضع قريب من الحرّة الغربية.

انظر: تاريخ معالم المدينة المنورة (ص: ٢٣٩).

(٣) القرح هو جرب شديد لا يكاد ينجو منه الشخص، انظر: لسان العرب (٢/٥٥٧).

(٤) هكذا في المعجم الكبير وهو تصحيف، والصواب: "ثم ركع".

انظر: المعجم الأوسط (١٠/٦١).

فأحضره حتى مات عليه راجعاً، فأنزل الله عز وجل فيهما ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ إلى قوله: ﴿مَالِكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَاَل﴾ قال: المعقبات من أمر الله يحفظون محمداً، ثم ذكر أربد وما قبله (١) به قال ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ (٢).
وجه الدلالة: في الحديث دلالة واضحة على أن أربد وعامر قدما المدينة وتحاورا مع النبي ﷺ، وفيهما نزلت الآيات، وهذا يقتضي أن تكون تلك الآيات مدنيات.

قال ابن عطية - رحمه الله -: «والظاهر عندي أن المدني فيها كثير، وكل ما نزل في شأن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة فهو مدني» (٣).
وقال البقاعي - رحمه الله -: «والأحاديث الواردة في سبب نزول آية الرعد في أربد وعامر بن الطفيل وغيرهما تدل على أنها مدنية» (٤).
ويقول السيوطي - رحمه الله -: «ويؤيد القول بأنها مدنية ما أخرجه الطبراني وغيره عن أنس أن قوله تعالى ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ نزل في قصة أربد بن قيس وعامر بن الطفيل حين قدما المدينة على رسول الله ﷺ» (٥).

(١) هكذا في المعجم الكبير وهو تصحيف، والصواب ما في الأوسط «وما قتله به» انظر: المعجم الأوسط (٦١/١٠).

(٢) المعجم الكبير (٣١٢/١٠-٣١٣) برقم (١٠٧٦٠).
وأخرجه أيضا في الأوسط بنحوه (٥٩/١٠-٦١) برقم (٩١٢٣)
قال الهيثمي في المجمع (٤٥/٧): «رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه ... وفي إسنادهما عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف».

(٣) المحرر الوجيز (٣/١٠).

(٤) مصاعد النظر (١٨٩/٢).

(٥) الإتيان (٣٦/١).

ب- أخرج الطبري - رحمه الله - في تفسيره فقال: حدثني المثنى قال: ثنا إسحاق بن سليمان، عن أبي بكر بن عياش عن ليث عن مجاهد قال: « جاء يهودي إلى النبي ﷺ، فقال: أخبرني عن ربك من أي شيء هو، من لؤلؤ أو من ياقوت؟ فجاءت صاعقة فأخذته، فأنزل الله: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقُ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ » (١).
وجه الدلالة: في الأثر دليل على أن يهودياً سأل النبي ﷺ عن ربه، وفيه نزلت الآية، ومعلوم أن جدال اليهود مع النبي ﷺ - دون أن تكون هناك واسطة كفار قريش - لم يكن إلا بالمدينة.

قال ابن عاشور - رحمه الله -: « ولما كان عامر بن الطفيل إنما جاء المدينة بعد الهجرة، وكان جدال اليهود لا يكون إلا بعد الهجرة أقدم أصحاب هذه الأخبار على القول بأن السورة مدنية أو أن هذه الآيات منها مدنية » (٢).

ج- أخرج الطبري - رحمه الله - في تفسيره فقال: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: قوله: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ﴾ الآية (٣)، قال: «هذا لما كاتب رسول الله ﷺ قريشاً في الحديبية كتب: بسم الله الرحمن الرحيم، قالوا: لا تكتب الرحمن، وما ندري ما الرحمن، ولا تكتب إلا: باسمك اللهم،

(١) تفسير الطبري (٣٩١/١٦) برقم (٢٠٢٦٧).

إسناده مرسل، وإضافة إلى ذلك ففيه ليث بن أبي سليم صدوق اختلط أخيراً، ولم يتميز حديثه فترك. التقريب (١٣٨/٢).

وفيه أيضاً المثنى بن إبراهيم مجهول، فالإسناد ضعيف إذاً.

(٢) التحرير والتنوير (١٠٧/١٣).

(٣) سورة الرعد الآية (٣٠).

قال الله : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (١)

وجه الدلالة: في الأثر دليل على أن هذه الآية يعنى بها صلح الحديبية، ومعلوم أن خروج النبي ﷺ إلى الحديبية كان في ذي القعدة من السنة السادسة (٢)، وهذا يقتضي أن تكون الآية مدنية.

د- أخرج الترمذي - رحمه الله - في سننه من طريق عبد الملك بن عمير عن ابن أخي عبد الله بن سلام قال: « لما أريد عثمان جاء عبد الله بن سلام فقال له عثمان ماجاء بك؟ قال: جئت في نصرتك، قال: اخرج إلى الناس فاطردهم عني فإنك خارج خير لي منك داخل، قال فخرج عبد الله بن سلام إلى الناس فقال: أيها الناس إنه كان اسمي في الجاهلية فلان، فسماني رسول الله ﷺ عبد الله، ونزلت في آيات من كتاب الله، نزلت في: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) ونزلت في: ﴿ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (٤) إن لله سيفا مغمودا عنكم وإن الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه نبيكم فالله الله في هذا الرجل أن تقتلوه، فوالله إن قتلتموه لتطردن حيرانكم الملائكة ولتسلن

(١) تفسير الطبري (٤٤٦/١٦) برقم (٢٠٣٩٨).

إسناده مرسل ضعيف، ففيه الحسين بن داود المصيصي المشهور بسنيد، ضعيف، وفيه أيضا عنينة ابن جريج وهو مدلس.

مزيدا من التفصيل في الحكم على هذا الإسناد انظر (ص: ٥٤١).

والأثر أخرجه الثعلبي في تفسيره بنحوه (٢/٧٤٩ ق/أ)، والواحدي في البسيط (٤/١٧ ق/ب).

(٢) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٤/٩٠) تحت باب: تاريخ خروج النبي ﷺ إلى الحديبية.

(٣) سورة الأحقاف الآية (١٠).

(٤) سورة الرعد الآية (٤٣).

سيف الله المغمود عنكم فلا يغمد إلى يوم القيامة، قال: فقالوا اقتلوا اليهودي واقتلوا عثمان.»^(١)

وجه الدلالة: في الأثر دليل على أن آية الرعد ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً يَبْنِي وَيُنْشِئُ﴾ الآية، نزلت في عبد الله بن سلام، وإسلام عبد الله كما هو ثابت في صحيح البخاري كان بالمدينة في أول مقدم النبي ﷺ إليها^(٢). قال أبو حيان - رحمه الله - معقباً على ماروي عن مجاهد وقتادة من نزول هذه الآية في عبد الله بن سلام: «وهذان القولان لا يستقيمان إلا على أن تكون الآية مدنية، والجمهور على أنها مكية»^(٣).

(١) سنن الترمذي مع تحفة الأحوذى (٩/٩٨-٩٩) برقم (٣٤٧٣) كتاب التفسير، سورة الأحقاف.

قال الترمذي: "هذا حديث غريب"، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ص: ٤١٤-٤١٥) برقم (٦٤٢)

والحديث أخرجه الطبري في تفسيره مختصراً (١٦/٥٠١) برقم (٢٠٥٣٥).

(٢) انظر: صحيح البخاري مع الفتح (٧/٣١٩) برقم (٣٩٣٨) كتاب مناقب الأنصار.

(٣) البحر المحيط (٦/٤٠٢).

المطلب الرابع :
القائلون بأن سورة الرعد مكية من حيث الجملة
مع اشتغالها على آيات مدنية

ذهب بعض أهل العلم إلى أن سورة الرعد مكية من حيث الجملة، ولكن لا يمنع هذا أن تكون بعض آياتها مدنية: إذ قد ثبت ذلك في بعض الروايات.

وبما أنني ذكرت آنفا أدلة من قال بمكية السورة كلها، وكذلك أدلة من قال بمدنية السورة كلها فإنه لم يبق لي في هذا المقام إلا أن أذكر أسماء أصحاب هذا الرأي دون ذكر أدلة أخرى؛ إذ القائل بهذا الرأي يستدل على مكية السورة من حيث الجملة بنفس الأدلة الدالة على مكية السورة، والتي استدلل بها أصحاب القول الأول.

كما يستدل على مدنية بعض آياتها ببعض الأدلة التي استدلل بها أصحاب القول الثاني.

وإليك ذكر أصحاب هذا القول مرتبين ترتيباً زمنياً حسب وفياتهم:

أ- روي عن عبد الله بن عباس كما عزا الغزنوي إليه^(١).

ب- مروى أيضاً عن قتادة، حكاه عنه المهدوي^(٢).

(١) انظر: مصاعد النظر (١٩١/٢).

(٢) انظر: التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل للمهدوي (٥٤ ق/ب)، وانظر: المحرر الوجيز (٣/١٠) نقلاً عن المهدوي. والمهدوي هو أحمد بن عمار بن أبي العباس، صنف التحصيل، وشرح الهداية - في توجيه القراءات - توفي - رحمه الله - في حدود (٤٤٠ هـ).

ترجمته: معرفة القراء (٣٩٩/١)، طبقات المفسرين للداوودي (٥٦/١-٥٧).

هذا وقد قام الباحث علي بن محمد الهرموش بدراسة عن المهدوي ومنهجه في التحصيل

ج- مقاتل بن سليمان كما في تفسيره^(١)، وحكاه عنه البقاعي^(٢).

د- النقاش كما نقله عنه ابن عطية^(٣)

ه- قال ابن عطية - رحمه الله -: «والظاهر عندي أن المدني فيها كثير، وكل ما نزل في شأن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة فهو مدني»^(٤)

و- وقال السيوطي - رحمه الله - محاولاً الجمع بين الأقوال: «والذي يجمع به بين الاختلاف أنها مكية إلا آيات منها»^(٥).

ز- ويقول الألوسي - رحمه الله - معقّباً على إنكار سعيد بن جبير والشعبي من أن يكون قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ نزل في عبد الله بن سلام قال: «وهذا لا يعول عليه، فمن حفظ حجة على من لم يحفظ، وأجيب عن شبهة ابن جبير بأنهم قد يقولون إن السورة مكية وبعض آياتها مدنية. فلتكن هذه من ذاك»^(٦).

→

مع تحقيق سورة الفاتحة والبقرة، حصل بها على درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

كما قام أخونا الدكتور حازم حيدر بتحقيق كتاب شرح الهداية - في توجيه القراءات - نال بها درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة. وقد صدر أخيراً عن مكتبة الرشد بالرياض في مجلدين.

(١) انظر: تفسير مقاتل (٣٦٤/٢).

(٢) انظر: مصاعد النظر (١٩١/٢).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٣/١٠).

(٤) المحرر الوجيز (٣/١٠).

(٥) الإتيقان (٣٦/١).

(٦) روح المعاني (١٧٥/١٣).

المطلب الخامس:

القائلون بأن سورة الرعد مدنية من حيث الجملة
مع اشتغالها على آيات مكية.

روي هذا القول عن ابن عباس أيضا كما حكى عنه أبو القاسم
الأصبهاني^(١) في تفسيره^(٢)، وروي كذلك عن قتادة كما أخرجه ابن
المنذر وأبو الشيخ في تفسيرهما ، فقد جاء في الدر المنثور للسيوطي ما
نصه: «وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن قتادة رضي الله عنه قال: سورة
الرعد مدنية إلا آية مكية ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا
قَارَعَةٌ﴾»^(٣).

وجاء في الإتيقان ما نصه: «أخرج أبو الشيخ -رحمه الله- عن قتادة
قال: سورة الرعد مدنية إلا آية ، قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا
صَنَعُوا قَارَعَةٌ﴾»^(٤).

(١) هو إسماعيل بن محمد بن الفضل القرشي الأصبهاني المشهور بقوام السنة، صنف
الإيضاح في التفسير، والحجة في بيان المحجة، توفي -رحمه الله- سنة (٥٣٥ هـ).
ترجمته: السير (٨٠/٢٠-٨٨)، طبقات لمفسرين للداوودي (١١٤/١-١١٥).
(٢) الإيضاح في التفسير لأبي القاسم الأصبهاني نسخة غير مرقمة برقم (٧٨٩٢) وانظر
أيضا: مصاعد النظر (١٩١/٢) نقلا عن أبي القاسم الأصبهاني.
هذا وقد حقق قسم من تفسير أبي القاسم الأصبهاني في رسائل علمية بالجامعة
الإسلامية بالمدينة.

(٣) الدر المنثور (٥٩٩/٤).

(٤) الإتيقان (٤٥/١).

المطلب السادس: بيان القول الراجح

بعد العرض السابق لرأي كل قول من الأقوال الأربعة، وبيان أدلة كل قول، ترجح لديّ -والعلم عند الله تعالى- القول بأن سورة الرعد كلها مكية، وذلك لما يلي:

أولاً: أن الطرق التي ورد فيها القول بمكية السورة عن ابن عباس من بينها طرق صحيحة كطريق عليّ بن أبي طلحة، بخلاف الطرق التي ورد فيها القول بمدنية السورة فهي طرق ضعيفة.

ثانياً: من خلال دراستي للآيات التي قيل إنهنّ مستثناة من مكية السورة تبين لي أن الروايات الدالة على مدنية تلك الآيات روايات لا تقوم بها حجة، وسيأتي -قريباً- بيان ذلك مفصلاً.

ثالثاً: أن القول بأن سورة الرعد مكية كلها هو قول جمهور المفسرين.

قال النحاس: -رحمه الله-: «وروى حميد عن مجاهد قال: سورة الرعد مكية، ليس فيها ناسخ ولا منسوخ، وروى سعيد عن قتادة قال: سورة الرعد مدنية إلا آية واحدة، قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارَعَةٌ﴾ والقول الأول أولى لأنه المتعارف» (١).

وقال أبو حيان -رحمه الله-: «والجمهور على أنها مكية» (٢). ويقول ابن الحصار في منظومته الرائية التي أوردها ضمن كتابه «الناسخ والمنسوخ»: «

فالرعد مختلف فيها متى نزلت وأكثر الناس قالوا الرعد كالقمر» (٣)

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢/٤٧٨-٤٧٩).

(٢) البحر والمحيط (٦/٤٠٢).

(٣) الإتيان (١/٣٣) وكتاب الناسخ والمنسوخ لابن الحصار مفقود لا يعرف له وجود

رابعاً: أن المتأمل في سورة الرعد ليجد فيها خصائص القرآن المكي في مبناها اللغوي من حيث تفسير ألفاظها، وفي مضمونها المعنوي كالعناية بأسس العقيدة، وتصديق مواقف الكافرين، وتثبيت فؤاد النبي ﷺ.



→

إلى الآن.

وقوله: "الرعد كالقمر" أي أن سورة الرعد كسورة القمر من حيث مكية كل منهما. هذا وقد أورد المنظومة المذكورة أيضاً المراكشي في كتابه الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة في أثناء ترجمته لابن الحصار. انظر: السفر الثامن، القسم الأول (ص: ٢١١).

المطلب السابع:

مناقشة الروايات التي مفادها أن بعض آيات السورة مدنيات.

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: مناقشة الرواية التي مفادها أن قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ الآية إلى قوله ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ مدني.

لقد سبق أن ذكرت ضمن الأدلة التي استدلت بها القائلون بمدنية السورة أن قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ الآية إلى قوله تعالى : ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ نزل في قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس مع النبي ﷺ ، وقد نوقش هذا السبب بما يلي:

أولاً: أن هذه الرواية ضعيفة كما كان مبيناً في الحكم عليها عند تخريجها (١).

ثانياً: أن سياق الآيات لا يدل على القصة إلا باحتمال بعيد.

قال الطبري - رحمه الله - بعد أن أورد القصة عن ابن زيد: « وهذا الذي قاله ابن زيد في تأويل هذه الآية قول بعيد من تأويل الآية مع خلافه أقوال من ذكرنا قوله من أهل التأويل، وذلك أنه جعل الهاء في قوله : ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ﴾ من ذكر رسول الله ﷺ، ولم يجر له في الآية التي قبلها ولا في الأخرى ذكر، إلا أن يكون أراد أن يردّها على قوله : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ لَهُ مُعَقِّبَتٌ﴾ ، فإن أراد ذلك فذلك بعيد لما بينهما من الآيات بغير ذكر الخبر عن رسول الله ﷺ، وإذا كان كذلك فكونها عائدة على «من» التي في قوله : ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِآيَاتِ اللَّهِ أَقْرَبُ، لَأَنَّهُ قَبْلُهَا، وَالْخَبَرُ

(١) انظر : (ص: ٤٧٧) هامش رقم (٢) .

بعدها عنه» (١).

المسألة الثانية: مناقشة الرواية الدالة على أن يهودياً سأل النبي ﷺ عن ربه، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾.

إن هذه الرواية قد نوقشت بما يلي:
أولاً: أن إسناده مرسل ضعيف (٢).

ثانياً: أن الرواية المعتمدة في سبب نزول هذه الآية ليس فيها ما يدل على كون الآية مدنية، بل لفظ الرواية يقتضي أن نزول الآية كان قبل الهجرة ونصها كما يلي:

قال البزار: حدثنا عبدة بن عبد الله، أنبا يزيد بن هارون، أنبا ديلم بن عزوان، ثنا ثابت عن أنس، قال: «بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله تبارك وتعالى، فقال: أيش ربك الذي تدعوني إليه؟ من حديد هو؟ من نحاس هو؟ من فضة هو؟ من ذهب هو؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأعاده النبي ﷺ الثانية، فقال مثل ذلك، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأرسله إلى الثالثة، فقال مثل ذلك، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأرسل الله تبارك وتعالى عليه صاعقة فأحرقته، فقال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى قد أرسل على صاحبك صاعقة فأحرقته فنزلت هذه الآية: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾» (٣).

(١) تفسير الطبري (٣٨٢/١٦).

(٢) للمزيد من التفصيل انظر: (ص: ٤٧٨) هامش رقم (١).

(٣) كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة (٥٤/٣) برقم (٢٢٢١) قال الهيثمي في المجمع (٤٥/٧): "ورجال البزار رجال الصحيح غير ديلم بن عزوان" ←

ثالثا : أن بعض نقاد المفسرين انتقد جعل قصة عامر بن الطفيل وأريد بن قيس أو قصة اليهودي سببا للآية.

قال ابن عاشور -رحمه الله-: « ولما كان عامر بن الطفيل إنما جاء المدينة بعد الهجرة، وكان جدال اليهود لا يكون إلا بعد الهجرة أقدم أصحاب هذه الأخبار على القول بأن السورة مدنية، أو أن هذه الآيات منها مدنية، وهي أخبار ترجع إلى قول بعض الناس بالرأي في أسباب النزول، ولم يثبت في ذلك خبر صحيح صريح، فلا اعتداد بما قالوه فيها. ولا يخرج السورة عن عداد السور المكية» (١).

المسألة الثالثة: مناقشة الرواية الدالة على أن قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ

→

وهو ثقة".

والأثر أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٠٤/١) برقم (٦٩٢) من طريق ديلم به، وأبو يعلى في مسنده من طريقين، طريق ديلم به (٨٧/٦-٨٨) برقم (٣٣٤١)، ومن طريق علي بن أبي سارة عن ثابت به (٨٩/٦) برقم (٣٣٤٢)، وهذا الطريق ضعيف لضعف علي بن أبي سارة. انظر: التقريب (٣٧/٢).

وأخرجه أيضا النسائي في تفسيره (٦١١/١-٦١٣) برقم (٢٧٩) من طريق علي بن أبي سارة عن ثابت به. والطبري في التفسير (٣٩٢/١٦) برقم (٢٠٧٠)، والطبراني في الأوسط (٢٨٦/٣) برقم (٢٦٢٣) والعقيلي في الضعفاء الكبير (٢٣٢/٣-٢٣٣) كلهم كذلك من طريق علي بن أبي سارة عن ثابت به.

وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢٨٣/٦) وفي الأسماء والصفات (٣٧/٢-٣٨) برقم (٦٠٥) والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٨٨/٥) برقم (١٧١٠) كلاهما من طريق ديلم به.

وللأثر شاهد مرسل صحيح الإسناد عن عبد الرحمن بن صبحار العبدي أخرجه الطبري في التفسير (٣٩١/١٦) برقم (٣٠٢٦٦٦)، والخراطي في مكارم الأخلاق (٩٤٣/٢) برقم (١٠٥٧).

(١) التحرير والتنوير (١٠٧/١٣).

أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبَّتُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ
بِالرَّحْمَنِ ﴿١﴾ الآية مدني بناءً على أنه نزل في صلح الحديبية.

نوقشت هذه الرواية بما يلي:

أولاً: أن إسنادها مرسل ضعيف^(١).

ثانياً: أن نص الرواية يبدو أنه استنباط من معنى الآية، ولأجل هذا

ليس في الرواية التصريح بالسببية.

ثالثاً: أن رواية الصحيح ليس فيها ذكر لهذه الآية أصلاً، ففي حديث

البخاري الطويل في قصة يوم الحديبية روى بسنده عن مسور بن مخرمة

ومروان وفيه: «... فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم

كتاباً، فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ «بسم الله الرحمن الرحيم،

فقال سهيل: أما «الرحمن» فوالله ما أدري ما هي، ولكن اكتب «باسمك

اللهم» كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لانكتبها إلا «بسم الله

الرحمن الرحيم» فقال النبي ﷺ «اكتب باسمك اللهم...»^(٢).

رابعاً: انتقد بعض المفسرين مقتضى هذه الرواية، وفي هذا يقول ابن

جزري - رحمه الله - في تفسيره: «قيل إنها نزلت في أبي جهل، وقيل

نزلت في قريش حين عاهدهم رسول الله ﷺ عام الحديبية، فكتب الكاتب

بسم الله الرحمن الرحيم، فقال قائلهم: نحن لانعرف الرحمن، وهذا

ضعيف، لأن الآية نزلت قبل ذلك، ولأن تلك القصة إنما أنكروا فيها

التسمية فقط»^(٣).

(١) للمزيد من التفصيل انظر : (ص: ٤٧٩) هامش رقم (١) .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٣٨٨/٥) برقم (٢٧٣١) كتاب الشروط باب الشروط في
الجهاد...

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢/٢٤٧).

وقال ابن عاشور - رحمه الله -: « ويَعِدُهُ _ أي صحة السبب - أن
السورة مكية كما تقدم » (١).

المسألة الرابعة: مناقشة الرواية الدالة على أن قوله تعالى: ﴿ قُلْ كَفَىٰ
بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ نزل في عبد الله بن سلام.
سبق أن ذكرت ضمن أدلة القائلين بمدينة السورة رواية الترمذي
بسنده عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام، وكان مقتضى هذه
الرواية أن قوله تعالى ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ
الْكِتَابِ ﴾ مدني بناءً على أن الآية نزلت في عبد الله بن سلام، وقد
نوقش هذا السبب بما يلي:

أولاً: أن هذه الرواية ضعيفة كما كان مبيناً في الحكم عليها (٢).
ثانياً: أن كثيراً من نقاد المفسرين انتقدوا القول بنزول الآية في
عبد الله بن سلام، وإليك نماذج من أقوالهم:

أ- أخرج الطبري - رحمه الله - في تفسيره من طريق سعيد بن
منصور عن أبي عوانة عن أبي بشر قال: « سألت سعيد بن جبير عن قول
الله ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ أهو عبد الله بن سلام؟ قال: فكيف وهذه
السورة مكية، وكان سعيد يقرؤها ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (٣).

ب- ومن أنكر نزول الآية في عبد الله بن سلام الشعبي - رحمه الله -
فقد أورد البغوي في تفسيره قول الشعبي: « السورة مكية وعبد الله بن
سلام أسلم بالمدينة » (٤).

(١) التحرير والتنوير (١٣/١٤١).

(٢) انظر: (ص: ٤٨٠) هامش رقم (١).

(٣) تفسير الطبري (١٦/٥٠٥-٥٠٦) برقم (٢٠٥٥٦).

(٤) معالم التنزيل (٤/٣٢٨).

ج- وقال النحاس - رحمه الله - بعد أن ذكر قول سعيد بن جبير السابق: «أنكر هذا سعيد بن جبير؛ لأن السورة مكية وعبد الله بن سلام إنما أسلم بالمدينة» (١).

د- وقال ابن عبد البر - رحمه الله - في ترجمة عبد الله بن سلام تعقيباً على قول من قال إن قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ نزلاً في عبد الله بن سلام قال: «فالقولان جميعاً لاوجه لهما عند الاعتبار» (٣).

هـ- ويقول أبو حيان - رحمه الله - معقباً على قول قتادة ومجاهد في نزول الآية في عبد الله بن سلام: «وهذان القولان لا يستقيمان إلا على أن تكون الآية مدنية، والجمهور على أنها مكية» (٤).

و- وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - معقباً على ما روي عن مجاهد من نزول الآية في عبد الله بن سلام: «وهذا القول غريب؛ لأن هذه الآية مكية، وعبد الله بن سلام إنما أسلم في أول مقدم النبي ﷺ المدينة» (٥).

وقال أيضاً مبيناً القول الصحيح في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾: «والصحيح في هذا أن ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ اسم جنس يشمل علماء أهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد ﷺ ونعته في كتبهم المتقدمة من بشارات الأنبياء به كما قال تعالى: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٤٧٩/٢).

(٢) سورة الأحقاف الآية (١٠).

(٣) الاستيعاب (٩٢٣/٣).

(٤) البحر المحیط (٤٠٢/٦).

(٥) تفسير ابن كثير (٥٤٠/٢) وانظر قول مجاهد في تفسيره (ص: ٣٣١).

لِلَّذِينَ يَقُولُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (٢) وأمثال ذلك مما فيه من الأخبار عند علماء بني إسرائيل أنهم يعلمون ذلك من كتبهم المنزلة» (٣).

ز- ويقول العلامة القاسمي - رحمه الله -: «ويروى عن مجاهد أنه عنى ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ عبد الله بن سلام، ونوقش بأن السورة مكية، وإسلامه كان بالمدينة» (٤).

ثالثاً: وعلى فرض صحة نزول الآية في عبد الله بن سلام فإنه لا ينافي كون الآية مكية، إذ قد يكون الكلام إخباراً عما سيشهد به. قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - تعقباً على قول بعض المفسرين من أن قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (٥) نزل في عبد الله بن سلام مع أن سورة الأحقاف مكية، قال: «ولا مانع أن تكون جميعها مكية، وتقع الإشارة فيها إلى ما سيقع بعد الهجرة من شهادة عبد الله بن سلام» (٦).

(١) جزء من الآية (١٥٦) سورة الأعراف.

(٢) سورة الشعراء الآية (١٩٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٥٤٠/٢).

(٤) محاسن التأويل للقاسمي (٣٧٨/٩).

(٥) جزء من الآية (١٠) سورة الأحقاف.

(٦) الفتح (١٦٢/٧).

المطلب الثامن:

الاعتراضات التي اعترض بها على رأي الجمهور والجواب عنها

اعترض على رأي الجمهور باعتراضين، وإليك ذكر الاعتراضين والجواب عنهما:

الاعتراض الأول: أن ما ذهب إليه الجمهور من أن إسلام عبد الله بن سلام لم يكن إلا بالمدينة غير مسلم، إذ قد أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة رواية مفادها أن إسلامه كان بمكة، ثم رجع إلى المدينة فكنم إسلامه إلى أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة» (١).

وهكذا فإن اعتراض الجمهور في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ﴾ بأنه عبد الله بن سلام ليس وارداً في الآية.

الجواب عن هذا الاعتراض:

أجاب الجمهور على الاعتراض السابق بما يلي:
أولاً: أن رواية أبي نعيم إسناده ضعيف، ففيه محمد بن مصفى بن بهلول، قال عنه الحافظ ابن حجر: «صدوق له أوهام، وكان يدلّس» (٢).
وقد عنعن في الرواية، وفيه أيضاً الوليد بن مسلم وهو مدلس كذلك وقد عنعن (٣).

ثانياً: أن القول بأن إسلام عبد الله بن سلام كان بمكة من أحاديث الأخبار - أي من الروايات الإسرائيلية -، ومعلوم أن الروايات الإسرائيلية

(١) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم (٢/٤٥٨-٤٦٠) برقم (٢٤٦).

(٢) التقريب (٢/٢٠٨)، وانظر تعريف أهل التقديس (ص: ١٠٩).

(٣) انظر: التقريب (٢/٣٣٦)، تعريف أهل التقديس (ص: ١٣٤).

تنقسم على ثلاثة أقسام من حيث الاستشهاد بها، وهي على النحو التالي:

أ- ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح.

ب- ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه

ج- ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا

نؤمن به، ولا نكذبه، وتجاوز حكايته^(١).

ورواية أبي نعيم من القسم الثاني، وذلك لمخالفتها لما ثبت في صحيح

البخاري من أن إسلامه كان حينما قدم النبي ﷺ المدينة.^(٢)

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- بعد أن ذكر القول المعتمد عند

الجمهور -في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال: «وقد

ورد في حديث الأحبار عن عبد الله بن سلام بأنه أسلم بمكة قبل

الهجرة»^(٣) ثم أورد رواية أبي نعيم المذكورة.

الاعتراض الثاني: أن القراءة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ

الْكِتَابِ﴾ تناقض ما ذهب إليه الجمهور من أن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ

عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ يراد به علماء أهل الكتاب عموماً.

وقد ورد في ذلك حديث مرفوع، ففي مسند أبي يعلى من طريق

عبد الرحيم بن موسى عن سليمان بن أرقم عن الزهري، عن سالم عن

أبيه -عبد الله بن عمر- قال: «قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ

الْكِتَابِ﴾»^(٤).

(١) انظر هذا التقسيم في: مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ص: (٩٠-٩١)

(٢) تفسير ابن كثير (٤/١) نقلاً عن ابن تيمية. ، الإسرائيليات والموضوعات في كتب

التفسير لأبي شعبة (ص: ١٠٦-١٠٨)، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير للدكتور

رمزي نعناعة (ص: ٨٢-٨٥).

(٢) انظر تخريجه (ص: ٤٨٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٥٤٠).

(٤) مسند أبي يعلى الموصلي (٩/٤٢٤) برقم (٥٥٧٤).

الجواب عن هذا الاعتراض:

أجاب الجمهور على هذا الاعتراض بما يلي:

أولاً: أن الحديث الوارد في هذه القراءة ضعيف، ففي إسناده سليمان بن أرقم وهو متروك الحديث^(١)، وفيه عبد الرحيم بن موسى « مجهول »^(٢).

قال الطبري - رحمه الله - بعد أن أورد هذا الحديث من طريق هارون الأعور عن الزهري به: « وهذا خبر ليس له أصل عند الثقات من أصحاب الزهري »^(٣).

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بعد أن ذكر الحديث وتعليق الطبري عليه: « وقد رواه الحافظ أبو يعلى في مسنده من طريق هارون^(٤) بن موسى هذا عن سليمان بن أرقم وهو ضعيف عن الزهري عن سالم عن أبيه مرفوعاً كذلك ولا يتيين، والله أعلم »^(٥).

وقال الهيثمي: « رواه أبو يعلى، وفيه سليمان بن أرقم، وهو متروك »^(٦).

والحديث ضعفه الإمام السيوطي^(٧).

ثانياً: أن هذه القراءة من القراءات الشاذة^(٨)، ومعلوم عند أهل العلم

(١) انظر: الجرح لابن أبي حاتم الرازي (١٠٠/٤ - ١٠١).

(٢) انظر: ميزان الاعتدال (٦٠٧/٢).

(٣) تفسير الطبري (٥٠٦/١٦).

(٤) في مسند أبي يعلى "عبد الرحيم" ولعله هو الصواب.

(٥) تفسير ابن كثير (٥٤٠/٢).

(٦) مجمع الزوائد (١٥٨/٧) باب القراءات.

(٧) انظر: الدر (٦٦٨/٤).

(٨) انظر: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني (٣٥٨/١)،

أن القراءة الشاذة لا يستشهد بها اللهم إلا في قضايا النحو واللغة، فهي أوثق -من هذه الناحية- من آيات الشعر المجهولة القائل، بل أوثق ممن عرف قائلها^(١).

ثالثاً: أن من مستلزمات هذه القراءة عطف الصفة على الموصوف وهذا غير جائز في القواعد العربية.

قال ابن عطية -رحمه الله- بعد أن ذكر هذه القراءة والمعنى الذي يراد بها: «ويعترض هذا القول بأن فيه عطف الصفة على الموصوف، وذلك لا يجوز وإنما تعطف الصفات بعضها على بعض»^(٢)

وخلاصة القول: أن سورة الرعد مكية للأدلة السابقة الذكر، وأما الروايات التي مقتضاها أن بعض آيات السورة مدنيات فهي ليست إلا مناسبات تفسير الآيات بالأمثلة، ولا يلزم أن تكون أسباباً مباشرة

→

مختصر في شواذ القراءات المنسوب لابن خالويه (ص: ٦٧)، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للبنا الدمياطي (١٦٣/٢) القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب للشيخ عبد الفتاح القاضي (ص: ٥٧).

(١) في علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق للدكتور السيد رزق الطويل (ص: ٦٦) بتصرف يسير.

(٢) المحرر الوجيز (١٠/٥٤-٥٥).

أورد الكرمانى -رحمه الله- هذه القراءة في غرائب التفسير وعجائب التأويل. وذكر أن التفسير الذي يستلزم على هذه القراءة من التفاسير الغريبة العجيبة. انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرمانى (١/٥٧٢).

الباب الثالث :

تحرير القول في الآيات

وفيه تمهيد وأربعة فصول :

الفصل الأول : الآيات المدعى مكيتها في السور المدنية

الفصل الثاني : الآيات المدعى مديتها في السور المكية

الفصل الثالث : الآيات المدنية في السور المكية

الفصل الرابع : الآيات المكية التي تكرر نزولها بالمدينة .

التمهيد :

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف الآية لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني : حكم ترتيب آيات القرآن الكريم

المبحث الأول : تعريف الآية لغة واصطلاحاً

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الآية لغة

الآية في اللغة هي العلامة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴾ (١) .

ومنه أيضاً قول النابغة الذبياني :

تَوَهَّمْتُ آيَاتَ لَهَا فَعَرَفْتُهَا
لستة أعوام وذا العامُ سابعُ (٢)
وقد سميت آية القرآن آية لأنها علامة لانفصال ما قبلها عما بعدها .
وقيل لكونها جمعت حروفاً من القرآن الكريم .

ومنه قول الشاعر :

خَرَجْنَا مِنَ النَّقِيِّينَ لَاحِيٍّ مِثْلُنَا بَأَيَاتِنَا نُزْجِي اللَّقَاحَ الْمَطَافِلَا (٣)
هذا وقد اختلف النحويون في وزن آية وفي إعلاها في أقوال عديدة لا
يتسع هذا المقام لذكرها (٤) .

(١) جزء من الآية (٢٤٨) سورة البقرة .

(٢) ديوان النابغة (ص: ٧٩) .

(٣) انظر هذا البيت في الدر المصون (٣٠٨/١) ، البصائر (٨٦/١) .

(٤) انظر تعريف الآية لغة والخلاف في وزنها وفي إعلاها في :

الكتاب لسيبويه (٣٨٧/٢) ، سر صناعة الإعراب لابن جني (٦٥٩-٦٦٠) المفردات (ص: ١٠١-١٠٣) مقدمة المحرر الوجيز (٤٧/١) ، جمال القراء (٤٠/١-٤٢) مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبدائع وإعجاز القرآن (ص: ٥٠٧) عمدة الحفاظ (١٦٧-١٧٠) الدر المصون (٣٠٧-٣٠٩) لسان العرب (٦٢/١٤) البصائر (٨٥-٨٦) التيسير في قواعد علم التفسير (ص: ١٦٧) .

المطلب الثاني : تعريف الآية اصطلاحاً:

وأما في اصطلاح علوم القرآن الكريم فالآية كما عرفها الجعبري بقوله : « حد الآية قرآن مركب من جمل ولو تقديراً ، ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة »^(١) .

ويقول الكافيحي - رحمه الله - : « طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل »^(٢) .

(١) البرهان للزركشي (٢٦٦/١) .

(٢) التيسير في قواعد علم التفسير للكافيحي (ص: ١٦٧) .

المبحث الثاني : حكم ترتيب آيات القرآن الكريم

وفيه أربع مسائل :

المسألة الأولى : الإجماع على توقيفية ترتيب الآيات

أجمعت الأمة على أن ترتيب آيات القرآن الكريم في سورها توقيفي ، وقد نقل هذا الإجماع غير واحد من أهل العلم .
قال ابن الزبير الغرناطي : « إن ترتيب الآيات في سورها وقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين » (١) .
وقال الزركشي - رحمه الله - : « فأما الآيات في كل سورة ووضع البسمة أوائلها فترتيبها توقيفي بلاشك ، ولا خلاف فيه ، ولهذا لا يجوز تنكيسها » (٢) .

ويقول السيوطي - رحمه الله - : « الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك » (٣) .

* * * *

المسألة الثانية : النصوص الدالة على توقيفية ترتيب الآيات في

سورها :

تضافرت النصوص الدالة على أن ترتيب آيات القرآن الكريم في سورها توقيفي ، ومن تلك النصوص :

(١) البرهان لابن الزبير الغرناطي (ص: ١٨٢) .

(٢) البرهان للزركشي (١/ ٢٥٦) .

(٣) الإتيقان (١/ ١٨٩) .

١- النصوص السابقة التي دلت على أن ترتيب السور توقيفي^(١) .
٢- ما أخرجه الإمام البخاري بسنده عن عبد الله بن الزبير قال : « قلت لعثمان بن عفان ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ قد نسختها الآية الأخرى ، فلم تكتبها أو تدعها ؟ قال : يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه »^(٢) .

فقول عثمان - رضي الله عنه - « لا أغير شيئاً منه من مكانه » يدلنا على أن وضع كل آية في مكانها أمر توقيفي لا مدخل للرأي فيه ، وفي هذا يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - تعليقاً على هذا الأثر : « وفي جواب عثمان هذا دليل على أن ترتيب الآي توقيفي ، وكأن عبد الله بن الزبير ظن أن الذي ينسخ حكمه لا يكتب ، فأجابه عثمان بأن ذلك ليس بلازم ، والمتبع فيه التوقف »^(٣) .

٣- وأخرج الإمام مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب قال : « ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلالة ، وما أغلظ في شيء ما أغلظ لي فيه ، حتى طعن بأصبعه في صدري ، وقال : يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء »^(٤) فلو لم يكن الترتيب توقيفياً من قبل لما وصف النبي ﷺ الآية بأنها آخر آية في السورة ، إذ كيف تتميز لهم عن غيرها بوصف يكون مجهولاً من عندهم .

٤- وأخرج الإمام أحمد من طريق ليث عن شهر بن حوشب عن

(١) انظر : (ص : ٢٣٨-٢٣٩) .

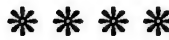
(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٤١/٨) برقم (٤٥٣٠) كتاب التفسير ، باب ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ الآية .

(٣) الفتح (٤٢/٨) .

(٤) انظر تحريجه (ص : ٢١٦) .

عثمان بن أبي العاص قال : « كنت عند رسول الله ﷺ جالساً إذ شخص ببصره ثم صوبه حتى كاد أن يلزقه بالأرض ، قال : ثم شخص ببصره فقال : أتاني جبريل عليه السلام فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

٥- وأخرج الترمذي من طريق يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن شماس عن زيد بن ثابت قال : « كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع ، فقال رسول الله ﷺ : طوبى للشام ، فقلنا لأي ذلك يا رسول الله ؟ قال لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها » (٢) .. قال البيهقي - رحمه الله - تعليقاً على هذا الحديث « وهذا يشبه أن يكون أراد به تأليف ما نزل من الكتاب ، والآيات المتفرقة في سورها ، وجمعها فيها بإشارة النبي ﷺ » (٣) .



-
- (١) المسند (٢٩٨/٤) برقم (١٧٨٨٣) طبعة المكتب الإسلامي المرقمة .
قال الحافظ ابن كثير بعد أن أورد هذا الحديث من طريق الإمام أحمد : « وهذا إسناد لا بأس به » تفسير ابن كثير (٦٠٥/٢) والحديث له شاهد عند أحمد أيضاً . انظر (ص : ٣٥٣-٣٥٤) من هذا البحث .
- (٢) سنن الترمذي مع تحفة الأحوذى (٣١٥/١٠-٣١٦) برقم (٤٢١٣) ، أبواب المناقب ، باب فضل الشام واليمن ، والحديث حسنه الترمذي ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٤/٣) برقم (٣٠٩٩) .
- (٣) دلائل النبوة (١٤٧/٧) .

المسألة الثالثة : الأدلة العقلية الدالة على توقيفية ترتيب الآيات :

رغم أن الأدلة النقلية السابقة فيها الكفاية للتدليل على توقيفية ترتيب الآيات ، رغم ذلك لعلّ من المستحسن ذكر بعض الأدلة العقلية تمييزاً لجزئيات البحث وربطه بكلياته ، ومن تلك الأدلة :

١- إن في القرآن الكريم آيات ذكر فيها الناسخ مقدماً في ترتيب التلاوة على المنسوخ ، ومعلوم أن الناسخ متأخر عن المنسوخ في النزول قطعاً ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَكْنَ بِأَفْئِسَةٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ الآية (١) فإنها ناسخة لقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لَّأَزْوَاجِهِمْ مَتَعًا إِلَى الْحَوْلِ ﴾ الآية (٢) .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على توقيفية ترتيب الآيات ، إذ الآية الأولى كما ترى متقدمة في ترتيب التلاوة متأخرة في التنزيل .

٢- إن تقدم بعض السور المدنية في ترتيب القرآن الكريم على السور المكية وكذلك وجود آيات مدنية في سورة مكية أو العكس ، كل هذه الأمور تشهد على توقيفية ترتيب الآيات .

قال مكّي بن أبي طالب - رحمه الله - : « ... ألا ترى أن كثيراً من المكّي بعد المدني ، والمكّي نزل أولاً » (٣) .

* * * *

(١) سورة البقرة الآية (٢٣٤) .

(٢) سورة البقرة الآية (٢٤٠) .

(٣) الإيضاح (ص: ١٨٣) .

المسألة الرابعة : شذرات من أقوال أهل العلم حول توقيفية ترتيب الآيات :

١- قال القاضي الباقلاني - رحمه الله - : « ترتيب الآيات أمر واجب ، وحكم لازم ، فقد كان جبريل يقول : « ضعوا آية كذا في موضع كذا » » (١) .

وقال أيضاً : « ... وأن الأمة ضبطت عن النبي ﷺ ترتيب أي كل سورة وموضعها ، وعرفت مواقعها ، كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة » (٢) .

٢- وقال مكّي بن أبي طالب - رحمه الله - : « ترتيب الآيات في السور بأمر من النبي ﷺ » (٣) .

٣- وقال البغوي - رحمه الله - : « الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ من غير أن زادوا فيه أو نقصوا فيه شيئاً ، ... وكان رسول الله ﷺ يلقي أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل صلوات الله عليه إياه على ذلك ، وإعلامه عن نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في السور التي يذكر فيها كذا ، فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد ، لا في ترتيبه ، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على الترتيب الذي هو

(١) الانتصار (١/٤٤٠ق/ب) .

(٢) المصدر السابق ونفس اللوحة والوجه .

(٣) البرهان للزركشي (١/٢٥٦) ، الإتيان (١/١٩٣) .

وقد رجعت للوقوف على هذا النص إلى القسم الموجود من تفسير مكّي المخطوط ، وكذلك كتابه الإيضاح ، والرعاية ، والإبانة ، والكشف ، فلم أوفق .

في مصاحفنا» (١) .

٤- ويقول ابن الحصار - رحمه الله - : « ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي ، كان رسول الله ﷺ يقول : « ضعوا آية كذا في موضع كذا » وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ ، ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف » (٢) .

٥ - وقال القرطبي - رحمه الله - : « ولا خلاف أن مبدأ نزول القرآن بمكة ، وأن منه مكياً ومدنياً ، وأن ترتيب سورته وآيه توقيف » (٣) .

٦ - ويقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « ولا خلاف أن ترتيب آيات كل سورة على ما هي عليه الآن في المصحف توقيف من الله تعالى ، وعلى ذلك نقلته الأمة عن نبيها ﷺ » (٤) .

(١) شرح السنة للبغوي (٤/٥٢١-٥٢٢) .

(٢) الإتيان (١/١٩٤) .

(٣) التذكار (ص : ٣٠) .

(٤) الفتح (٨/٦٥٦) .

الفصل الأول :

الآيات المدعى مكيتها في السور المدنية

وفيه خمسة مباحث :

- المبحث الاول : الآيات المدعى مكيتها في سورة البقرة**
- المبحث الثاني : الآيات المدعى مكيتها في سورة النساء**
- المبحث الثالث : الآيات المدعى مكيتها في سورة المائدة**
- المبحث الرابع : الآيات المدعى مكيتها في سورة الأنفال**
- المبحث الخامس : الآيات المدعى مكيتها في سورة التوبة**

المبحث الأول :

الآيات المدّعى مكيّتها في سورة البقرة

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :

في قوله تعالى : ﴿ فَاعْتَفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١).

يرى أبو عبيدة (٢) أن هذه الآية مكية ؛ لما فيها من ترك القتال والإعراض والصفح عن المشركين، إذ إن كل آية - على حد قول أبي عبيدة - فيها ترك القتال فهي مكية.

ونص عبارته يقول في معرض شرحه لهذه الآية : «وهذا قبل أن يؤمر بالهجرة والقتال ، فكل أمر نهى عن مجاهدة الكفار فهو قبل أن يؤمر بالقتال وهو مكِّي» (٣).

مناقشة قول أبي عبيدة :

إن الرجوع إلى سبب نزول الآية ينفي أي احتمال في مكية الآية ؛ فقد نزلت الآية كما هو واضح في سياق صدر الآية في أهل الكتاب، قال تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ رَدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ﴾ الآية (٤).

ومعلوم أن اليهود لم تكن بمكة وإنما كانت بالمدينة ،

(١) جزء من الآية (١٠٩) ، سورة البقرة .

(٢) هو معمر بن المثنى التيمي البصري النحوي ، ألف مجاز القرآن ، وأمثال العرب ، توفي - رحمه الله - سنة (٢٠٩هـ) .

ترجمته : إشارة التعيين (ص ٣٥٠-٣٥١) ، بغية الوعاة (٢/٢٩٤) .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٥٠) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (١٠٩) .

قال ابن عطية - رحمه الله - مشيراً إلى ضعف رأي أبي عبيدة : «وَحَكَمَهُ
بأن الآية مكية ضعيف؛ لأن معاندات اليهود إنما كانت بالمدينة» (١).

وأخرج أبو الشيخ من طريق الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد أنه
أخبره أن رسول الله ﷺ ركب على حمار، فقال لسعد : «ألم تسمع ما
قال أبو الحباب - يريد عبد الله بن أبي - قال كذا وكذا ، فقال سعد بن
عبادة : اعف عنه واصفح ، فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله
وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه يعفون
عن أهل الكتاب والمشركين ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى
يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾» (٢).

وورد في سبب نزول الآية أيضاً أنها نزلت في كعب بن الأشرف
اليهودي (٣)، فقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق الزهري ، عن
عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه ، أن كعب بن
الأشرف اليهودي كان شاعراً ، وكان يهجو النبي ﷺ ، وفيه أنزل الله :
﴿ وَكَيِّدْ مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ
بِأَمْرِهِ ﴾ (٤).

(١) المحرر الوجيز (٣٢٩/١) .

(٢) أخلاق النبي ﷺ وآدابه لأبي الشيخ (ص ٤١-٤٢) ، وإسناده صحيح ، واصل الحديث
في صحيح البخاري لكن ليس في البخاري ذكر سبب النزول .

انظر : صحيح البخاري مع الفتح (٧٨-٧٩) برقم (٤٠٦٦) ، كتاب التفسير ، باب
﴿ وَكَتَمْنَا عَنْهُمْ مَنْ ذَكَرُوا آلَ اللَّهِ الْغَيْبَ ﴾ الآية .

وأخرجه أيضاً في الأدب ، باب كنية المشرك (٦٠٧/١٠) برقم (٦٢٠٧) .

(٣) راجع أقوال أهل العلم حول تعدد الأسباب (ص : ١٠٩-١١٠) .

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٣٣١/١) برقم (١٠٩٠) ، وإسناده صحيح .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بعد أن أورد قصة كعب بن الأشرف ، ونزول
﴿

وأصرح من هذه الروايات رواية البيهقي في «دلائل النبوة» فيها تصريح بنزول الآية حين قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة.

قال البيهقي : أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي ، قال : أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان ، قال : حدثنا عبد الكريم بن الهيثم ، قال : حدثنا أبو اليمان ، قال : حدثنا شعيب عن الزهري ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان أحد الثلاثة الذين تيب عليهم يريد كعب بن مالك - «أن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعراً ، وكان يهجو رسول الله ﷺ ، ويحرض عليه كفار قريش في شعره ، وكان رسول الله ﷺ قدم المدينة وأهلها أخلاطاً ، منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة رسول الله ﷺ ، ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوثان ، ومنهم اليهود وهم أهل الحلقة^(١) والحصون ، وهم حلفاء للحيين : الأوس والخزرج ، فأراد رسول الله ﷺ حين قدم المدينة استصلاحهم كلهم ، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشرك ، والرجل يكون مسلماً وأخوه مشرك ، وكان المشركون واليهود من أهل المدينة حين قدم رسول الله ﷺ يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه أشد الأذى ، فأمر الله تعالى رسوله والمسلمين

→

الآية فيه من طريق الواحدي قال : «وهذا سند صحيح ، وعلى هذا فالجمع في قوله : ﴿يُرْذَوْنَكُمْ﴾ لكعب ومن تابعه ويستقيم الكلام» . العجاف في بيان الأسباب (٣٩ق/أ) .

والأثر أخرجه عبد الرزاق في تفسيره مختصراً عن معمر عن الزهري ، انظر : تفسير عبد الرزاق (٥٥/١) ، والواحدى بأطول من هذا السياق ، انظر : أسباب النزول (ص ٣٥-٣٦) .

(١) الحلقة : السلاح ، وقيل : هي الدروع خاصة . انظر : النهاية (٤٢٧/١) .

بالصبر على ذلك والعفو عنهم ، ففيهم أنزل الله جل ثناؤه : ﴿وَلَسَّمْعُنَ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْيَ كَثِيرًا﴾ (١) ، وفيهم
أنزل الله : ﴿وَذَكَيْرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ (٢) .

وقد يقول قائل : أليست هذه الآية منسوخة بالآيات الدالة على قتال
الكفار ، والتي نزلت في المرحلة المدنية ، إذ إن المدني ينسخ المكّي ؟
والجواب : أن مثل هذا الوهم توهمه أبو عبيدة - رحمه الله - كما
ذكرنا ، والتحقيق أن ليس ثمة نسخ ؛ إذ لا تعارض بين آيات الأمر بالعفو
والصفح وبين آيات القتال ، ذلك أن كلاً منهما في حالة معينة ، فأيات
القتال في حال قوة الأمة ، وآيات العفو في حال ضعف الأمة .

قال ابن الجوزي - رحمه الله - في معرض رده على دعوى النسخ في
هذه الآية : «واعلم أن تحقيق الكلام دون التحريف فيه أن يقال : إن هذه
الآية ليست بمنسوخة ؛ لأنه لم يأمر بالعفو مطلقاً ، وإنما أمر به إلى غاية ،
ويبين الغاية بقوله : ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ وما بعد الغاية يكون حكمه
مخالف لما قبلها ، وما هذا سبيله لا يَكُونُ أحدهما ناسخاً للآخر ، بل يكون
الأول قد انقضت مدته بغايته والآخر محتاجاً إلى حكم آخر» (٣) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مشيراً إلى أن الآيات
التي تدعو إلى الصبر على الأذى ، وعدم مجابهة الكفار تطبق في حالة
ضعف المسلمين ، وأما الآيات التي تدعو إلى الجهاد والقوة فهي تطبق في
حالة قوة المسلمين ، قال : « وصارت تلك الآيات في حق كل مؤمن

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٨٦) .

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٣/١٩٦-١٩٧) ، وإسناده صحيح .

(٣) نواسخ القرآن لابن الجوزي (ص١٣٧) .

مستضعف لا يمكنه نصر الله ورسوله بيده ولا بلسانه فينتصر بما يقدر عليه من القلب ونحوه ، وصارت آية الصغار على المعاهدين في حق كل مؤمن قوي يقدر على نصر الله ورسوله بيده أو لسانه ، وبهذه الآيات ونحوها كان المسلمون يعملون في آخر عمر رسول الله ﷺ وعلى عهد خلفائه الراشدين ، وكذلك هو إلى يوم قيام الساعة ... فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح والعفو عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين ، وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين ، وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» (١)

وقال الزركشي - رحمه الله - : «وليس حكم المسايقة ناسخاً لحكم المسالبة بل كل منهما يجب امتثاله في وقته» (٢).

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : «والآية غير منسوخة على التحقيق» (٣).

ونستخلص مما سبق أن الآية نزلت في الفترة التي كان رسول الله ﷺ باشر تأسيس دولته الإسلامية في المدينة وقبل مرحلة الإذن بالقتال ، إذ إن الإذن بالقتال كان بعد أن استقر الرسول ﷺ في المدينة ، وأسس الدولة الإسلامية ، وأقام دعائم الدعوة ، عندئذ كان الإذن بالقتال، حين نزل قوله تعالى : ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ﴾ الآية (٤).

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية (ص : ٢٢٨-٢٢٩).

(٢) البرهان للزركشي (٤٣/٢) .

(٣) أضواء البيان (٨٤/١) .

(٤) سورة الحج ، الآية (٣٩) .

ومما تحسن الإشارة إليه في هذا المقام أن العفو أعم من أن يكون في القتال فحسب، وكم كان النبي ﷺ يعفو عن المشركين واليهود بالمن والفداء ! إلى غير ذلك من الأمور التي دونتها كتب السيرة والتاريخ .
ومن جهة أخرى لا يكون العفو إلا عند القدرة على الانتقام ، أما في مكة فقد أمر المسلمون بالصبر على الأذى ؛ إذ لم تكن لهم دولة ولا قوة، ولم يسم أحد من العلماء مرحلة عفو ، بل كانت مرحلة صبر على الأذى.

يقول الشيخ محمد عبده^(١) كما نقله عنه الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره : «وفي أمره تعالى لهم بالعفو والصفح إشارة إلى أن المؤمنين على قلتهم هم أصحاب القدرة والشوكة ؛ لأن الصفح إنما يطلب من القادر على خلافه»^(٢).

وخلاصة القول : أن دعوى مكية هذه الآية كانت مبنية على توهم أن العفو والصفح لم يكونا إلا في المرحلة المكية فحسب ، وقد أزلنا هذا الوهم - بحمد الله - إذ لا تعارض في الحقيقة كما بينا بين الآيات التي

(١) هو محمد عبده بن حسن خير الله ، كان من كبار مؤسسي المدرسة المعروفة باسم «مدرسة التجديد والإصلاح» ، وصار مفتياً للديار المصرية سنة (١٣١٧هـ) واستمر إلى أن توفي سنة (١٣٢٣هـ) .

ترجمته : معجم المفسرين (٢/٥٦٦-٥٦٧) ، معجم المؤلفين (١٠/٢٧٢) .
هذا وللدكتور عبد الله محمود شحاتة دراسة بعنوان : منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم، نال بها درجة الماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، وقد نشرت الرسالة ضمن سلسلة مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة .

(٢) تفسير المنار (١/٤٢١) .

تأمر بالعفو والصفح ونحو ذلك وبين الآيات التي تأمر بالقتال - والله
أعلم - .



المطلب الثاني :

في قوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (١).

لم أجد أحداً عزي إليه القول بمكية هذه الآية ، وقد أوردتها الإمام السيوطي - رحمه الله - ضمن الآيات اللاتي قيل إنهن مستثناة من سورة البقرة (٢).

والحقيقة التي لا مفرّ منها أنني لم أقف - حسب اطلاعي - على مستند يستند إليه القول بمكية الآية اللهم إلا ما يستشف من الآية من معنى المرحلة المكية ، وهو أمر ينقضه بعض أسباب النزول التي ذكرت للآية .

فمن الأسباب التي ذكرها المفسرون للآية ما أخرجه النسائي - رحمه الله - في تفسيره من طريق الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : «كانوا يكرهون أن يرضخوا (٣) لأنسابهم من المشركين فسألوا ، فرضخ لهم ، فنزلت هذه الآية : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ الآية» (٤).

وجاء التعيين بأن هؤلاء من الأنصار عند الطبري من طريق الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : «كان ناس

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٧٢) .

(٢) انظر : الإتيان (٤٣/١) .

(٣) الرضخ هو العطية . انظر : النهاية (٢٢٨/٢) ، لسان العرب (١٩/٣) .

(٤) تفسير النسائي (٢٨٢/١-٢٨٣) برقم (٧٢) ، وصحح المحققان إسناده .

من الأنصار لهم أنساب وقراة من قريظة والنضير ، وكانوا يتقون أن يتصدقوا عليهم ، ويريدونهم أن يسلموا ، فنزلت : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ الآية « (١) .

ومن الأسباب التي ذكرت للآية أيضاً ما أورده الرازي - رحمه الله - في حديثه عن أسباب نزول الآية ، فقال : « في بيان سبب النزول وجوه :

أحدها : أن هذه الآية نزلت حين جاءت نثيلة (٢) أم أسماء بنت أبي بكر إليها تسألها ، وكذلك جدتها ، وهما مشركتان ، أتيا أسماء يسألانها شيئاً ، فقالت : لا أعطيكما حتى أستمّر رسول الله ﷺ فإنكما لستما على ديني ، فاستأمرته في ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية ... » (٣) . وهذا السبب وإن كان دالاً على نزول هذه الآية بالمدينة إلا أن جعله سبباً للآية فيه نظر من وجهين :

أولاً : الثابت في الروايات الصحيحة أن الذي نزل في قصة أسماء مع أمها هو قوله تعالى : ﴿لَا يَنْهَيْكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٤) . ففي صحيح البخاري بسنده عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : « أتتني أُمِّي رَاغِبَةً فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ أَأَصْلَهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ » قال ابن عيينة : فأنزل الله تعالى فيها : ﴿لَا يَنْهَيْكُمُ اللَّهُ عَنِ

(١) تفسير الطبري (٥/٥٨٨) برقم (٦٢٠٥) .

(٢) هكذا في تفسير الرازي وهو تصحيف ، والصواب : قتيلة ، كما في الإصابة . انظر : (٣٨٨/٤-٣٨٩) .

(٣) تفسير الرازي (٧/٨٢) .

(٤) سورة الممتحنة ، الآية (٨) .

الَّذِينَ لَمْ يَقْتُلُوا فِي الدِّينِ ﴿١﴾.

وإدراج ابن عيينة الذي يقرر أن الآية نزلت في قصة أسماء مع أمها قد وقع موصولاً عن عبد الله بن الزبير عند الإمام أحمد (٢).

ثانياً : أن قصة أسماء مع أمها باللفظ الذي أورده الرازي في تفسيره فيه نكارة ؛ إذ ورد هذا اللفظ من طريق الكلبي كما أخرجہ الواحدي (٣).

وخلاصة القول : يبدو - والله أعلم - أن دعوى مكية هذه الآية ما هي إلا وهم توهمه البعض ، وهو أن الآية تحمل معنى من معاني المرحلة المكية ، وكما هو معروف في القواعد أن الموهوم لا يعارض المحقق (٤) كما سبق أن ذكرت عدم التعارض بين الآيات التي تحمل مثل ذلك المعنى وبين الوصف بأنها مدنيات (٥).

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٤٢٧/١٠) برقم (٥٩٧٨) كتاب الأدب ، باب صلة الوالد المشترك .

(٢) انظر : المسند (٦/٤) برقم (١٦٠٩٢) بسند صحيح - طبعة المكتب الإسلامي المرقمة - وانظر أيضاً : مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير (٢٢٥/٤) .

(٣) انظر : أسباب النزول (ص : ٩٠) .

(٤) انظر هذه القاعدة في : موسوعة القواعد الفقهية للبورنو (٨٥/١) .

(٥) يقول الدكتور عبد العزيز القارئ مشيراً إلى أن القول بمكية هذه الآية قول مرجوح : « لم يذكر أهل العلم من المستثني في سورة البقرة إلا آيتين هما : الآية (١٠٩) وهي قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ ، والآية (٢٧٢) ، وهي قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾ ، والراجح أنهما مدنيتان » .

التقرير العلمي عن مصحف المدينة النبوية حرره الدكتور عبد العزيز القارئ (ص : ٣٧) .

المطلب الثالث :

في قوله تعالى : ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١).

ذهب الماوردي إلى أن هذه الآية مكية بناء على أنها نزلت يوم النحر في حجة الوداع، وفي هذا يقول : «مدنية - أي سورة البقرة - في قول الجميع إلا آية واحدة منها وهي قوله : ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية ، فإنها نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى» (٢).

مناقشة ما ذهب إليه الماوردي من القول بمكية الآية:

إن قول الماوردي في مكية هذه الآية مبني على الاصطلاح القائل : إن ما نزل في مكة مكّي ، وما نزل في المدينة مدني ، وقد فصلنا أقوال أهل العلم في عدم اطراد هذا الاصطلاح هناك بما يغني عن الإعادة هنا (٣)، ولكن لا مانع أن نستأنس هنا ببعض تلكم الأقوال من أجل مناسبة مناقشة قول الماوردي.

قال ابن عطية - رحمه الله - : «وكل ما نزل من القرآن بعد هجرة النبي ﷺ فهو مدني سواء ما نزل بالمدينة أو في سفر من الأسفار أو بمكة ،

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٨١) .

(٢) النكت والعيون (٦٣/١) .

(٣) للتوسع في تلك الأقوال انظر : ص (٤٦-٤٧) .

وإنما يرسم بالمكي ما نزل قبل الهجرة» (١).

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في معرض شرحه لحديث البخاري : «لبث النبي ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن ، وبالمدينة عشر سنين» (٢) قال : «ويستفاد من حديث الباب أن القرآن نزل كله بمكة والمدينة خاصة ، وهو كذلك ، لكن نزل كثير منه في غير الحرمين ؛ حيث كان النبي ﷺ في سفر حج أو عمرة أو غزاة ، ولكن الاصطلاح أن كل ما نزل قبل الهجرة فهو مكّي وما نزل بعد الهجرة فهو مدني ، سواء نزل في البلد حال الإقامة أو في غيرها حال السفر» (٣).

وقال برهان الدين البقاعي - رحمه الله - بعد أن أورد دعوى مكية هذه الآية بصيغة التمييز قال : «وهو قول من لم يتحقق الفرق الذي تقدم بين المكّي والمدني» (٤).

هذه هي مناقشة دعوى مكية هذه الآية من حيث الاصطلاح المكّي أو المدني.

وأما نزول الآية يوم النحر في حجة الوداع فإنني لم أجده رواية

(١) المحرر الوجيز (٥/٥) .

(٢) أخرجه البخاري بسنده عن عائشة وابن عباس ، صحيح البخاري مع الفتح (٦١٨/٨) برقم (٤٩٧٨، ٤٩٧٩) كتاب فضائل القرآن ، باب كيف نزل الوحي ، وأول ما نزل . قال الحافظ - رحمه الله - في الفتح : «وأما حديث الباب فيمكن أن يجمع بينه وبين المشهور بوجه آخر ، وهو أنه بعث على الأربعين ، فكانت مدة المقام ستة أشهر إلى أن نزل عليه الملك في شهر رمضان من غير فترة ، ثم فتر الوحي ، ثم تواتر وتتابع ، فكانت مدة تواتره وتتابعه بمكة عشر سنين من غير فترة» . الفتح (٦١٩/٨) .

(٣) الفتح (٦٢٠/٨) .

(٤) مصاعد النظر (٦-٥/٢) ، وانظر الفرق المشار إليه عند البقاعي في المصاعد (١٦١/١).

صحيحة تدل على ذلك ، فالروايات الصحيحة كلها تنص على أن الآية من آخر القرآن نزولاً.

ففي تفسير النسائي من طريق يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال : « آخر شيء نزل من القرآن ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ » (١).

(١) تفسير النسائي (٢٩٠/١) برقم (٧٧) وصحح المحققان إسناده.

والأثر أخرجه أبو عبيد في فضائله بإسناد فيه انقطاع (ص ٢٢٤) ، والطبري في التفسير (٣٩-٤٠) برقم (٦٣١١) ، والنحاس في معاني القرآن (٣١٢/١) ، والطبراني في المعجم الكبير (٣٧١/١١) برقم (١٢٤٠) ، والبيهقي في دلائل النبوة (١٣٧/٧) كلهم من طريق الحسين بن واقد عن يزيد النحوي به .

هذا وقد ورد في آخر ما نزل من الآيات أقوال متعددة غير القول الذي ذكرنا ، ففي البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا » صحيح البخاري مع الفتح (٥٢/٨) برقم (٤٥٤٤) ، وقد جمع الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بين قولي ابن عباس فقال : « وطريق الجمع بين هذين القولين أن هذه الآية - أي ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا﴾ هي ختام الآيات المنزلة في الربا إذ هي معطوفة عليهن » . الفتح (٥٣/٨) .

ومن الأقوال أيضاً ما أخرجه البخاري ومسلم عن البراء بن عازب قال : « آخر سورة نزلت براءة ، وآخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ » . صحيح البخاري مع الفتح (١١٧/٨) برقم (٤٦٠٥) ، وصحيح مسلم (١٢٣٦/٣) برقم (١٦١٨) .

وأجاب الحافظ ابن حجر عن آخرية هذه الآية فقال : « وأما ما سيأتي في آخر سورة النساء من حديث البراء : « آخر سورة نزلت براءة ، وآخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلِمَةِ﴾ فيجمع بينه وبين قول ابن عباس بأن الآيتين نزلتا جميعاً فيصدق أن كلا منهما آخر بالنسبة لما عدهما ، ويحتمل أن تكون الآخرة في آية النساء مقيدة بما يتعلق بالمواريث مثلاً ، بخلاف آية البقرة ، ويحتمل عكسه ، والأول أرجح لما في آية البقرة من الإشارة إلى معنى الوفاة المستلزمة لخاتمة النزول » . الفتح (٥٣/٨) .

وقال الحافظ أيضاً في معرض شرحه لحديث آخرية آية النساء : « وأصح الأقوال في آخرية الآية قوله تعالى : ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ » . الفتح (١٦٧/٧) . قلت : وهكذا بقية الأقوال التي قيلت بأنها من آخر ما نزل من القرآن فهي أواخر مقيدة .

ومما يحتاج إلى التنبيه في هذا المقام أن ذكر نزول هذه الآية يوم النحر بمنى قد ورد من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس^(١) ، وعلى فرض صحة نزول الآية يوم النحر بمنى فإنه ليس دليلاً على مكية هذه الآية ؛ إذ إن كل ما نزل بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة معدود من المدني ، ولو كان نزل في غير المدينة بناء على القول الراجح في تعريف المكي والمدني كما سبق .

قال الزركشي - رحمه الله - معقباً على قول الماوردي هذا : «ونزولها هناك - أي منى - لا يخرجها عن المدني بالاصطلاح الثاني أن ما نزل بعد الهجرة مدني سواء كان بالمدينة أو بغيرها»^(٢).

وخلاصة القول : أن دعوى مكية هذه الآية انطلقت من منظور مكاني ، ولو انطلقت من منظور زماني لما ترددت في مدنية الآية ؛ إذ الآية من آخر القرآن نزولاً - والله أعلم - .

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٣٧/٧) .

والكلبي هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشير ، وطريقه أوهى طرق ابن عباس في التفسير ؛ لأنه متروك الحديث .

قال الذهبي في ترجمته : «كان رأساً في الأنساب إلا أنه شيعي متروك الحديث» . السير (٢٤٨/٦) .

وقال أبو حاتم الرازي : «الناس مجمعون على ترك حديثه لا يشتغل به» . الجرح (٢٧٠/٧) .

وأما أبو صالح فهو باذام مولى أم هانئ ، قال عنه الحافظ في التقریب (٩٣/١) : «ضعيف مدلس» .

(٢) البرهان (١٨٨/١) .

المبحث الثاني :

الآيات المدعى مكيتها في سورة النساء

وفيه مطلبان :

المطلب الأول :

في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١).

لم يقل أحد من أهل العلم - حسب اطلاعي - إن صدر سورة النساء مكى اللهم إلا علقمة بن قيس الكوفي - رحمه الله - (٢).

ولعل افتتاح السورة بخطاب : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ هو الدافع إلى القول بمكية هذه الآية عند علقمة ، فقد أخرج أبو عبيد من طريق الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال : « كل شي من القرآن : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فإنه أنزل بالمدينة ، وما كان : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فإنه أنزل بمكة » (٣).

وبما أنه قد مر معنا مراراً ما قيل في صحة هذا الضابط وعدم صحته (٤) فإنني لن أقف معه طويلاً ، فغاية ما في الأمر أنني سأعرض فيما يلي شذرات من أقوال أهل العلم حول دعوى مكية هذه الآية :

١ - قال ابن عطية - رحمه الله - مشيراً إلى رأي علقمة : « وقد قال بعض الناس: إن قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ حيث وقع إنما هو

(١) سورة النساء ، الآية (١) .

(٢) انظر : تفسير أبي المظفر السمعاني (١/٨١ ق/ب - ٨٢ ق/أ) ، تفسير القرطبي (١/٥) ، فتح البيان (١٩٢/٢) .

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد (ص : ٢٢٢) ، وإسناده مرسل ، وقد أسنده البزار عن ابن مسعود . انظر: (ص : ٥٣) .

(٤) انظر : (ص : ١٦٣) .

مكي ، فيشبه أن يكون صدر هذه السورة مكيّاً ، وما نزل بعد الهجرة
فإنما هو مدني ، وإن نزل بمكة أو في سفر من أسفار النبي ﷺ » (١).

٢ - وقال القرطبي - رحمه الله - : « وأما من قال : إن قوله :
﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ ﴾ مكي حيث وقع فليس بصحيح ، فإن البقرة مدنية وفيها
قوله : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ ﴾ في موضعين » (٢).

٣ - ويقول رشيد رضا - رحمه الله - بعد حديثه عن خصائص
السور المدنية : « فإذا فطنت لهذا تجلّى لك أفنّ (٣) رأي من قال إن هذه
السورة مكية ، ومن قال أيضاً إن أوائلها نزلت في مكة ، فلا شيء من
أحكامها كان مما يحتاج إليه في مكة قبل الهجرة » (٤).

٤ - ويقول ابن عاشور - رحمه الله - في نقد دعوى نزول صدر
هذه السورة بمكة : « والحق أن الخطاب بيا أيها الناس لا يدل إلا على
إرادة دخول أهل مكة في الخطاب ، ولا يلزم أن يكون ذلك بمكة ولا قبل
الهجرة ، فإن كثيراً مما فيه يا أيها الناس مدني بالاتفاق » (٥).

وخلاصة القول : أن دعوى مكية هذه الآية اعتمادها على ضابط
غير مطرد في سور القرآن وآياته ، مما يوحي بضعفها وعدم وجاهتها -
والله أعلم - .

(١) المحرر الوجيز (٥/٤) .

(٢) تفسير القرطبي (١/٥) .

(٣) الأفنّ : هو ضعف العقل والرأي ، يقال : رجل مأفون أي ضعيف العقل والرأي . انظر
: لسان العرب (١٩/١٣) .

(٤) تفسير المنار (٣٢١/٤) .

(٥) التحرير والتنوير (٢١٢/٤) .

المطلب الثاني :

في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (١).

استثنى البعض (٢) من مدنية سورة النساء قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ الآية .

مستند القول بمكية هذه الآية :

يستند هذا القول إلى ما روي في سبب نزول هذه الآية من أنها نزلت في شأن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة (٣) في قصة مفتاح الكعبة .

(١) سورة النساء ، الآية (٥٨) .

(٢) انظر : النكت والعيون (٤٤٦/١) ، المحرر الوجيز (٥/٤) ، مصاعد النظر (٨٦/٢) -

(٨٧) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (٤١١/١) ، فتح البيان (١٩٢/٢) .

(٣) هو أحد الصحابة الكرام - ﷺ - قتل أبوه طلحة وعمه عثمان بن أبي طلحة بأحد ، ثم أسلم عثمان بن طلحة في الحديبية ، وهاجر مع خالد بن الوليد ، وشهد الفتح مع النبي ﷺ ، فأعطاه مفتاح الكعبة ، توفي - ﷺ - سنة (٤٢هـ) . انظر : الإصابة (٤٦٠/٢) .

هذا وقد خلط كثير من المفسرين بين عثمان بن طلحة بن أبي طلحة وعمه عثمان بن أبي طلحة ، ونُبّه على ذلك الحافظ ابن كثير - رحمه الله - فقال بعد أن عرّف كلاً منهما : « وإنا نبهنا على هذا النسب ؛ لأن كثيراً من المفسرين قد يشتبه عليه هذا بهذا » . تفسير ابن كثير (٥٢٨/١) .

كما وقع غلط فادح في تفسير الثعلبي ، ونقل عنه البغوي في تفسيره وهو القول إن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أسلم يوم الفتح ، وقد أنكر الحافظ ابن حجر في ذلك فقال : « (وقع في تفسير الثعلبي بغير سند في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ أن عثمان المذكور إنما أسلم يوم الفتح بعد أن دفع له النبي ﷺ مفتاح البيت ،

فقد أخرج الطبري في تفسيره من طريق حجاج عن ابن جريج قال :
«قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ الآية قال : نزلت في
عثمان بن طلحة بن أبي طلحة قبض منه النبي ﷺ مفاتيح الكعبة ، ودخل
بها البيت ، فخرج وهو يتلو هذه الآية ، فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح ،
قال : وقال عمر بن الخطاب : لما خرج رسول الله ﷺ وهو يتلو هذه
الآية فداؤه أبي وأمي ما سمعته يتلوها قبل ذلك» (١).

مناقشة هذا المسند :

من خلال النظر إلى مستند القول بمكية هذه الآية يبدو أن هذا القول
انطلق من منظور مكاني ، بينما المعتمد في تمييز المكي من المدني هو
الضابط الزماني كما بينا سابقاً .

نعم ! نزول الآية في شأن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة وردت عدة
روايات مرسلة ومنقطعة تتقوى في مجموعها (٢)، كما أن أصل القصة وأمر

→

وهذا منكر ، فالمعروف أنه أسلم وهاجر مع عمرو بن العاص وخالد بن الوليد ، وبهذا
جزم ابن عبد البر في الاستيعاب» . الإصابة (٢/٤٦٠) ، وانظر أيضاً : العجاب في بيان
الأسباب (٩٦ق/أ) ، وللتوسع انظر : الكشف والبيان للثعلبي (٢/٩٩ق/أ-ب) ،
الاستيعاب لابن عبد البر (٣/١٠٣٤) ، معالم التنزيل للبغوي (٢/٢٣٨) .

(١) تفسير الطبري (٨/٤٩١-٤٩٢) برقم (٩٨٤٦) وإسناده منقطع .
كما أن فيه الحسين بن داود وهو سنيد صاحب التفسير ، قال عنه الحافظ ابن حجر :
ضعيف مع إمامته ومعرفته . التقريب (١/٣٣٥) .

(٢) منها أثر الطبري الذي أوردناه قبل قليل ، وكذلك ما أخرجه ابن إسحاق في السيرة
بإسناد حسنه الحافظ ابن حجر . انظر : سيرة ابن هشام (٤/١٢٥٣-١٢٥٤) ، وانظر
تحسين الحافظ في الفتح (٧/٦١٢) ، وعبد الرزاق في المصنف (٥/٨٣-٨٥) برقم
(٩٠٧٣) ، والواحد في أسباب النزول (ص ١٥٨) .

النبي ﷺ بعثمان بن طلحة أن يأتي بمفتاح الكعبة ثابت في صحيح البخاري .

فقد أخرج الإمام البخاري - رحمه الله - بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفا أسامة بن زيد ومعه بلال ومعه عثمان بن طلحة من الحجة حتى أناخ في المسجد، فأمره أن يأتي بمفتاح البيت فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فمكث فيه نهارا طويلا ثم خرج فاستبق الناس فكان عبدا لله بن عمر أول من دخل ، فوجد بلالا وراء الباب قائما فسأله أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأشار له إلى المكان الذي صلى فيه ، قال عبدا لله : فنسيت أن أسأله كم صلى من سجدة ؟» (١).

ولعل سائلا يسأل فيقول : ألا يمكن أن يكون النبي ﷺ كان قارئاً للآية في معرض الاستشهاد ، ولم تكن الآية نزلت في ذلك الوقت ؟ وهو رأي يراه الشيخ محمد رشيد رضا إذ يقول : «الظاهر أنها نزلت قبل فتح مكة ، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلاها يومئذ استشهداً» (٢).

الجواب : لولا أن بعض الروايات فيها تصريح بنزول الآية يوم الفتح لكان هذا الاحتمال أقرب إلى الصواب .

فعند عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ما يدل على أن الوحي كان

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٦١١/٧) برقم (٤٢٨٩) كتاب المغازي ، باب دخول النبي ﷺ من أعلى مكة .

(٢) تفسير المنار (١٦٨/٥-١٦٩) .

ينزل على النبي ﷺ آنذاك ، وفيه : «أن رسول الله ﷺ قال لعثمان بن طلحة يوم الفتح : ائتني بمفتاح الكعبة ، فأبطأ عليه ، ورسول الله ﷺ قائم ينتظره ، حتى إنه لينحدر منه مثل الجمان من العرق ...» (١).

ولعل ما تدل عليه الآية من العموم وما احتوته من تشريع عام هو الذي جعل الشيخ محمد رشيد رضا يستبعد الروايات الدالة على نزول الآية في شأن عثمان بن طلحة لكننا نقول : إن عموم الحكم لا ينافي خصوص السبب كما هو مقرر في الأصول (٢).

قال صاحب المراقي :

واجزم بإدخال ذوات السبب وارو عن الإمام ظناً تصب (٣)
والآية وإن نزلت في شأن عثمان بن طلحة إلا أن حكمها عام يشمل جميع الأمانات، سواء كانت قولية أو فعلية أو اعتقادية ، بناء على ما روي عن جمع من الصحابة من جهة (٤)، وبناءً على القاعدة الأصولية التفسيرية الدالة على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب من جهة أخرى .

وخلاصة القول : أن القائلين بمكية هذه الآية لاحظوا الاعتبار المكاني ، ولو لاحظوا الاعتبار الزمني - وهو الصواب - لما قالوا إنها مكية ؛ إذ الآية نزلت بعد الهجرة في فتح مكة - والله أعلم - .

(١) المصنف لعبد الرزاق (٨٣/٥-٨٥) برقم (٩٠٧٣) ، وإسناده مرسل .

(٢) انظر هذه القاعدة ومفرداتها في : البحر المحيط للزركشي (٣/٢١٠-٢١٥) .

(٣) متن مراقي السعود (ص ٨١) .

(٤) روي القول بعموم خطاب الآية عن ابن عباس ، والبراء بن عازب ، وابن مسعود ،

وأبي بن كعب ، فقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره بسند فيه رجل مبهم عن ابن عباس

قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ الآية ، قال : مهمة للبرّ

والفاجر . تفسير ابن أبي حاتم ، سورة النساء برقم (٣٤٨٣) .

المبحث الثالث :
الآيات المدعى مكيثها في سورة المائدة
وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :

في قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (١).

سبق أن ذكرت أن سورة المائدة مدنية ، وأنها من آخر سور القرآن
نزولاً، غير أنه ذهب إلى القول بمكية هذه الآية الشعبي (٢)، وأبو جعفر بن
بشر (٣) ، كما نقله الآلوسي في تفسيره (٤)، وأبو سليمان الدمشقي (٥)،
كما نقله ابن الجوزي في تفسيره (٦)، وعلاء الدين الخازن (٧) كما في

(١) جزء من الآية (٣) سورة المائدة .

(٢) هو عامر بن شراحيل الهمداني ، كان من كبار التابعين ، توفي - رحمه الله - سنة

(١٠٤هـ) ، وقيل : سنة (١٠٥هـ) ، وقيل : سنة (١٠٩) .

ترجمته : وفيات الأعيان (١٢/٣) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري
بردي (٢٥٣/١) .

(٣) لم أقف له على ترجمة .

(٤) ينظر : روح المعاني (٤٧/٦) .

(٥) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عسكر العنسي الداراني الدمشقي ، توفي - رحمه الله -
سنة (٢١٥هـ) .

ترجمته : وفيات الأعيان (١٣١/٣) ، المقتنى في سرد الكنى (٢٩١/١) .

(٦) ينظر : زاد المسير (٢٦٧/٢) .

(٧) هو علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ، توفي - رحمه الله - سنة
(٧٢٥هـ) .

ترجمته : الدرر الكامنة (١٧١/٣) ، طبقات المفسرين للدواودي (٤٢٦/١-٤٢٧) .

هذا وللدكتور عيادة الكبيسي بحث قيم في تفسير الخازن والإسرائيليات ، منشور في
حولية الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد - العدد الثاني (١٤١٥هـ) .

تفسيره^(١)، ونظام الدين النيسابوري^(٢) كما في «غرائب القرآن» له^(٣).

مستند القول بمكية هذه الآية :

يستند هذا القول إلى ما روي في الصحيح من أن هذه الآية نزلت بعرفة ففي صحيح البخاري بسنده عن طارق بن شهاب : «قالت اليهود لعمر : إنكم تقرأون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً ، فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت، وأين نزلت ، وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت، يوم عرفة وإنا والله بعرفة، قال سفيان : وأشك كان يوم الجمعة أم لا : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾»^(٤).

مناقشة هذا المستند :

من خلال النظر إلى مستند هذا القول يتبين لنا أنه لا داعي إلى مزيد

(١) انظر : تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل) (٢/٢) .

(٢) هو الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري ، توفي - رحمه الله - سنة (٧٢٨) . ترجمته : الدرر الكامنة (١٢٠/٢) .

(٣) انظر : (٢٩/٦) .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح (١١٩/٨) برقم (٤٦٠٦) ، كتاب التفسير ، باب ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية.

هذا وقد جازمت روايات أخرى بأن ذلك كان يوم جمعة ، انظر : صحيح البخاري مع الفتح (٥٩/١٣) برقم (٧٢٦٨) ، كتاب الاعتصام بالسنة ، وصحيح مسلم (٣١٢/٤) برقم (٣٠١٧) ، كتاب التفسير .

ومن هنا قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - معلقاً على شك سفيان : «وشك سفيان - رحمه الله - إن كان في الرواية فهو تورع ، حيث شك هل أخبره شيخه بذلك أم لا، وإن كان شك في كون الوقوف في حجة الوداع كان يوم جمعة ، فهذا ما إخاله يصدر عن الثوري - رحمه الله - فإن هذا أمر معلوم مقطوع به، لم يختلف فيه أحد من أصحاب المغازي والسير ، ولا من الفقهاء ، وقد وردت في ذلك أحاديث متواترة لا يشك في صحتها ... والله أعلم ...» . تفسير ابن كثير (١٤/٢) .

من التعليق في القول بمكية هذه الآية ؛ إذ قد مرَّ معنا نظائر هذا القول (١) ،
فنزول الآية بعرفة لا يعني أن الآية مكية إذا عرف أن ذلك كان بعد
الهجرة ، قال ابن الجوزي - رحمه الله - معقّباً على قول أبي سليمان
الدمشقي في مكية هذه الآية : «والصحيح أن قوله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ
دِينَكُمْ﴾ نزلت بعرفة يوم عرفة ، فلهذا نسبت إلى مكة» (٢) .

وقال برهان الدين البقاعي - رحمه الله - في معرض حكايته الإجماع
على مدنية سورة المائدة : «مدنية إجماعاً ، وإن أنزل ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ
دِينَكُمْ﴾ الآية بعرفة ، فإن العبرة في المدني بالنزول بعد الهجرة» (٣) .

وخلاصة القول : أن هذه الآية مدنية كغيرها من آيات السورة بناء
على التعريف المختار في المكي والمدني عند الجمهور ، والله أعلم .

(١) انظر : (ص : ٥١٩) .

(٢) زاد المسير (٢/٢٦٧) .

(٣) مصاعد النظر (٢/١٠٤) .

المطلب الثاني :

في قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (١).

لم أقف على أحد يرى مكية هذه الآية إلا أنه قد ورد في «المعجم الكبير» للطبراني رواية مفادها أن الآية نزلت في حياة أبي طالب ، ونص هذه الرواية كالتالي :

قال الطبراني : حدثنا يعقوب بن غيلان ، ثنا أبو كريب ، ثنا عبد الحميد الحماني ، عن النضر أبي عمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : «كان رسول الله ﷺ يحرس ، فكان يرسل معه أبو طالب كل يوم رجلاً من بني هاشم يحرسونه ، حتى إذا نزلت عليه هذه الآية : ﴿يَسْأَلُهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ، قال : فأراد عمه أن يرسل معه من يحرسه ، فقال : إن الله قد عصمني من الجن والإنس» (٢).

مناقشة هذه الرواية :

لا أظن أن هذه الرواية تثير أي إشكال وقد عرفنا ضعفها ، وزيادة في

(١) سورة المائدة ، الآية (٦٧) .

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٢٥٦/١١-٢٥٧) برقم (١١٦٦٣) ، وإسناده ضعيف ، ففيه النضر بن عبد الرحمن أبو عمر الخزاز قال عنه الحافظ ابن حجر : متروك. التقريب (٣٠٢/٢) ، وقال الهيثمي : «رواه الطبراني وفيه النضر بن عبد الرحمن وهو ضعيف» .
المجمع (٢٠/٧) .

التوضيح نذكر ما قاله بعض أهل العلم حول نزول هذه الآية في قصة أبي طالب، وبعد ذلك نذكر الرواية المعتمدة في سبب نزول هذه الآية.

١ - قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بعد أن أورد رواية نحو هذه في تفسيره من طريق ابن مردويه قال : «وهذا الحديث غريب ، وفيه نكارة ، فإن هذه الآية مدنية ، وهذا الحديث يقتضي أنها مكية» (١).

وقال في هذه الرواية التي معنا بعد أن أورها من طريق ابن مردويه أيضاً ، وذكر أن الطبراني أخرجه كذلك قال : «وهذا أيضاً حديث غريب ، والصحيح أن هذه الآية مدنية بل هي من أواخر ما نزل بها» (٢).

٢ - وقال السيوطي - رحمه الله - بعد أن ذكر عدة روايات في سبب نزول هذه الآية قال : «ومن غريب ما ورد في سبب نزولها ما أخرجه ابن مردويه والطبراني عن ابن عباس» فذكر الرواية وعلق عليها بقوله : «وهذا يقتضي أن الآية مكية والظاهر خلافه» (٣).

الرواية المعتمدة في سبب نزول هذه الآية :

إن الرواية المعتمدة في سبب نزول هذه الآية والتي تشهد لها الروايات الصحيحة هي ما أخرجه ابن حبان من طريق مؤمل بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا نزل منزلاً نظروا أعظم شجرة يرونها ، فجعلوها للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فينزل تحتها ويترك أصحابه بعد ذلك في ظل الشجر ، فينما هو

(١) تفسير ابن كثير (٢/٨١).

(٢) المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٣) لباب النقول في أسباب النزول (ص ٩٥) .

نازل تحت شجرة وقد علق السيف عليها إذ جاء أعرابي فأخذ السيف من الشجرة ، ثم دنا من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو نائم فأيقظه فقال: يا محمد من يمنعك مني فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : الله ، فأُنزل الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١).

وخلاصة القول : أن دعوى مكية هذه الآية ضعيفة جداً ؛ إذ الروايات الواردة في ذلك كلها ضعيفة ولا حجة فيها لشدة ضعفها ، ومن هنا لا يعضد بعضها البعض الآخر.

وقد ذكرنا الرواية المعتمدة في سبب نزول هذه الآية ، وأقوال أهل العلم في إبطال هذه الدعوى ، وفيه كفاية للتدليل على أن هذه الآية نزلت بالمدينة تبعاً لسورتها ، والله أعلم.

(١) موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان للهيتمي (ص ٤٣٠) برقم (١٧٣٩) ، وحسن إسناده .
الشيخ مقبل الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول . انظر : (ص ٨٧) .
وأصل الحديث في الصحيحين ولكن ليس فيه ذكر سبب نزول الآية ، وفيه التصريح بأن القصة كانت إحدى غزوات رسول الله ﷺ ، بل جاء في رواية يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة كما قال الحافظ في الفتح «كنا مع رسول الله ﷺ بذات الرقاع» . انظر : صحيح البخاري مع الفتح (٧/٤٩٠-٤٩١) ، كتاب المغازي ، باب ذات الرقاع ، حديث رقم (٤١٣٥) ، ومسلم في الفضائل ، باب توكله على الله وعصمته الله تعالى له من الناس (٤/١٧٨٦-١٧٨٧) برقم (١٣) ، وانظر كلام الحافظ في الفتح : (٧/٤٩١) .

المطلب الثالث :

في قوله تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ
وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ﴾ (١).

لم أجد - حسب اطلاعي - أحداً نسب إليه القول بمكية هذه
الآيات إلا أنه قد ورد في تفسير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن
ابن عباس أن هذه الآيات نزلت في النجاشي وأصحابه (٢)، ولا شك أن
مقتضى هذا السبب يوهم بأن هذه الآيات مكية النزول.

مناقشة القول بمكية هذه الآية :

ومع أن رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس صحيحة السند كما
سبق (٣)، إلا أن الحافظ ابن كثير - رحمه الله - أعلاها هنا من جهة المتن
فإنه بعد أن أشار إليها باختصار قال : «وهذا القول فيه نظر ، لأن هذه
الآية مدنية، وقصة جعفر مع النجاشي قبل الهجرة» (٤).
وتعقبه العلامة القاسمي فقال : «إن نظره مدفوع ، فإنه حكى في هذه

(١) سورة المائدة ، الآيات (٧٢-٨٦) .

(٢) انظر : تفسير الطبري (١٠/٤٩٩-٥٠٠) برقم (١٢٣١٧) .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ، سورة المائدة برقم (٤٢٨) ، والآجري في
الشرعية (ص ٤٤٩-٤٥٠) ، وله شاهد عن عبد الله بن مسعود أخرجه النسائي في
تفسيره (٤٤٣/١) برقم (١٦٨) .

(٣) انظر أقوال أهل العلم في هذه الرواية (ص : ٢٥٩-٢٦١) .

(٤) تفسير ابن كثير (٨٨/٢) .

الآية بعد الهجرة ما وقع قبلها ، ونظائره في التنزيل كثيرة ، ولا إشكال فيه ، وظاهر أن المقصود بهذه الآية التعريض بعناد اليهود الذين كانوا حول المدينة ، وهم يهود بني قريظة والنضير ، وبعناد المشركين أيضاً ، وقساوة قلوب الفريقين ، وأنه كان الأجدر بهما أن يعترفوا بالحق كما اعترف به النجاشي وأصحابه»^(١).

وأيّاً كان الاختلاف بين الحافظ ابن كثير والعلامة القاسمي حول مقتضى هذا السبب هل يستلزم منه القول بمكية الآيات أم لا؟ - أيّاً كان هذا الاختلاف - فإنهما يتفقان أن هذه الآيات مدنيات، وأن القول بمكيتهن غير صحيح.

ويبدو أن هذه الرواية ليس المراد بها أن حادثة النجاشي وأصحابه هي السبب المباشر لنزول الآيات ، بل المراد أن هذه الحادثة مما تتناوله هذه الآيات، وهذا هو ما يقوله القاسمي - رحمه الله - وهو توجيه وجيه؛ إذ كثيراً ما تقع وقائع بعد نزول آية أو قبلها ، فتذكر الآية للاستشهاد في واقعة ما ، فيظن من سمعها حينئذ أنها نزلت في تلك الواقعة ، وقد تنبه إلى هذا الأمر بعض المحققين من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية والزركشي رحمهما الله تعالى .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح هذا الأمر : «قولهم : نزلت هذه الآية في كذا يراد به تارة سبب النزول ، ويراد به أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب، كما تقول : عنى بهذا الآية كذا»^(٢). وقال الزركشي : «والعالم قد يحدث له حوادث ، فيتذكر أحاديث

(١) محاسن التأويل (٦/٣٣٧) .

(٢) مقدمة في أصول التفسير (ص ٣٨) .

وآيات تتضمن الحكم في تلك الواقعة ، وإن لم تكن خطرت له تلك الحادثة قبل ، مع حفظه لذلك النص ، وما يذكره المفسرون من أسباب متعددة لنزول الآية قد يكون من هذا الباب، لا سيما وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال : «نزلت هذه الآية في كذا» فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم لا أن هذا كان السبب في نزولها أولاً^(١).

هذا وللعلامة وليّ الله الدهلوي ^(٢) كلام جيد حول هذه المسألة أحببت أن أذكره هنا إتماماً للفائدة، فيقول : «والذي يظهر من استقراء كلام الصحابة والتابعين أنهم لا يستعملون «نزلت في كذا» لمحض قصة كانت في زمنه ﷺ ، وهي سبب نزول الآية ، بل ربما يذكرون بعض ما صدقت عليه الآية مما كان في زمنه ﷺ ويقولون : «نزلت في كذا» ولا يلزم هناك انطباق جميع القيود ، بل يكفي انطباق أصل الحكم فقط» ^(٣).

وخلاصة القول : أن انطباق هذه الآيات على حادثة النجاشي وأصحابه لا يعني أنهم نزلن حينئذ، بل المراد كما سبق أن هذه الحادثة مما تتناوله هذه الآيات ومن الأفراد الداخلة فيها ، وليست هي السبب المباشر لنزول الآيات ، والله أعلم.

(١) البرهان (٣١/١-٣٢) .

(٢) هو العلامة وليّ الله أحمد بن عبد الرحيم العمري الدهلوي، من مؤلفاته : حجة الله

البالغة، والإنصاف في بيان أسباب الاختلاف ، توفي - رحمه الله - سنة (١١٧٦هـ) .

ترجمته : معجم المفسرين (٤٤/١) ، معجم المؤلفين (١٦٩/١٣) .

هذا وللباحث خليل الرحمان سجاد الندوي دراسة عن الإمام الدهلوي ومنهجه في

التفسير وعلوم القرآن ، نال بها درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٣) الفوز الكبير في أصول التفسير للدهلوي (ص ٥٥) .

المبحث الرابع :
الآيات المدعى مكيثها في سورة الأنفال
وفيه سبعة مطالب :

المطلب الأول :

في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ (١) .

ذهب مقاتل بن سليمان ، وأبو المظفر السمعاني ، ونظام الدين النيسابوري إلى مكية هذه الآية (٢) ، كما روي القول بمكية الآية عن ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد .

فقد أخرج الطبري - رحمه الله - في تفسيره من طريق ابن جريج عن عكرمة قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال : « هذه مكية » ، ثم ذكر الطبري - رحمه الله - القول الذي روي عن مجاهد قال : قال ابن جريج : قال مجاهد : « هذه مكية » (٣) .

وأما ما روي عن ابن عباس فإنني لم أقف على سند هذه الرواية ، فغاية ما في الأمر أن الماوردي - رحمه الله - حكى في تفسيره عن ابن عباس أن في السورة سبع آيات مكيات مستثناة من مدنية السورة ، بدءاً

(١) سورة الأنفال ، الآية (٣٠) .

(٢) انظر : تفسير مقاتل (٩٧/٢) ، وتفسير أبي المظفر السمعاني (١٦٩/١ ق/ب) ، وتفسير النيسابوري المسمى «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» (١١٧/٩) .

(٣) تفسير الطبري (٥٠٢/١٣) برقم (١٥٩٧٦) ، وإسناده ضعيف ؛ ففيه الحسين بن داود المصيصي سنيد وهو ضعيف . انظر : التقريب (٣٣٥/١) ، وفيه ابن جريج مدلس من الثالثة وقد عنعن . انظر : التقريب (٥٢٠/١) ، وطبقات المدلسين لابن حجر (ص ٩٥)

قال الأستاذ أحمد شاكر - رحمه الله - في تعليقه على هذا الأثر : «والقطع بأن هذه الآية أو اللاتي تليها آيات نزلت بمكة أمر صعب لا يكاد المرء يطمئن إلى صوابه ، والاعتراض على ذلك له وجوه كثيرة لا محل لذكرها هنا» .

من قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى آخر الآيات السبع (١) ،
وحكاية القرطبي أيضاً في تفسيره (٢) .

مستند القول بمكية هذه الآية :

يستند هذا القول إلى ما أخرجه الطبري - رحمه الله - في تفسيره من
طريق ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن عبيد بن عمير عن
المطلب بن أبي وداعة : أن أبا طالب قال لرسول الله ﷺ : ما يأتمر بك
قومك ؟ قال : « يريدون أن يسحروني أو يقتلونني أو يخرجوني » ،
فقال : من أخبرك بهذا ؟ قال : « ربي » ، قال : نعم الرب ربك
فاستوص به خيراً ، قال : « أنا أستوص به ! بل هو يستوص بي » ،
قال : فنزلت ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ (٣) .

مناقشة هذا المستند :

نوقش هذا المستند إضافة إلى ضعف إسناده بأن متنه منكر ، قال
الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بعد أن أورد هذا الأثر في تفسيره :

(١) يراجع : النكت والعيون (٢/٢٩٢) .

(٢) يراجع : تفسير القرطبي (٧/٣٦٠) .

(٣) تفسير الطبري (١٣/٤٩٢-٤٩٣) برقم (١٥٩٦٣) .

وفي إسناده ابن جريج ، وقد عنعن فالإسناد ضعيف .

هذا وقد صحح الأستاذ أحمد شاكر - رحمه الله - إسناده هذا الأثر ، ولا أدري كيف
هذا ! وفيه مدلس من الثالثة وقد عنعن .

قال الإمام أحمد - رحمه الله - : « إذا قال ابن جريج : قال فلان ، وقال فلان ،
وأخبرت جاء بمناكير ، وإذا قال : أخبرني ، وسمعت به فحسبك به » .

وقال الدارقطني : « شر التدليس تدليس ابن جريج ؛ فإنه قبيح التدليس ، لا يدلّس إلا
فيما سمعه من مجروح » .

تعريف أهل التقديس لابن حجر (ص ٩٥) .

« وذكر أبي طالب في هذا غريب جداً بل منكر ! لأن هذه الآية مدنية ، ثم إن القصة واجتماع قريش على هذا الائتمار والمشاورة على الإثبات أو النفي أو القتل إنما كان ليلة الهجرة ، وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو من ثلاث سنين لمّا تمكنوا منه واجترأوا عليه بسبب موت عمه أبي طالب الذي يحوطه وينصره ويقوم بأعبائه » (١).

ومما يمكن أن يرد على دعوى مكية هذه الآية أن حديث الآية عن مكر قريش في العهد المكي لا يعني نزول الآية في ذلك الوقت ، بل الآية تُذكر الرسول ﷺ بنعمة الله في حمايته وإنقاذه من شبكة مكر الكافرين .

أخرج الطبري - رحمه الله - في تفسيره من طريق محمد بن إسحاق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في قصة الهجرة مطولة ، وفي نهايتها قال : « فأتى جبريل النبي ﷺ ، فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه تلك الليلة ، وأذن الله له عند ذلك بالخروج ، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة الأنفال ، يذكره نعمه عليه وبلاءه عنده : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣١٤-٣١٥) .

ذكر الأستاذ أحمد شاكر - رحمه الله - في تعليقه على تفسير الطبري أن نقد ابن كثير لهذا الرواية ليس له وجه ، وأن هذا الخبر لا علاقة له بأمر الهجرة ، واستدل على ذلك بما أخرجه ابن إسحاق في السيرة ، ومفاده أن قريشاً اجتمعوا ائتمار رسول الله ﷺ يوماً في الحجر ، وكان ذلك في حياة أبي طالب ، فحمل الأستاذ شاكر رواية الطبري على تلك القصة . انظر : تفسير الطبري (١٣/٤٩٤) .

قلت : نعم لقد همت قريش مؤامرات عديدة قبل مؤامرة ليلة الهجرة ، ولكن لم تعرف هذه الألفاظ : «يسحروني - وفي بعض الروايات يسجنوني - أو يقتلونني أو يخرجوني» إلا مؤامرة ليلة الهجرة ، الأمر الذي يجعل ذكر أبي طالب هنا مستبعداً بل منكرأ كما قاله الحافظ ابن كثير .

الْمَذْكُرِينَ ﴿١﴾» .

من خلال هذه الرواية يتضح لنا أن هذه الآية الكريمة نزلت تذكيراً للنبي ﷺ بما كان من حاله وحال قومه معه في العهد المكي .

فهناك كثير من الآيات المدنية تتحدث عن أمور كانت في مكة قبل الهجرة ، ففي هذه السورة نفسها نجد قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعِفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَدَكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢) ، أليس هذا في العهد المكي؟ والآية مدنية باتفاق أهل العلم .

قال البغوي - رحمه الله - في تفسيره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعِفُونَ﴾ قال : « هذه الآية معطوفة على قوله : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ واذكر إذ يمكر بك الذين كفروا ، وإذ قالوا اللهم ؛ لأن هذه السورة مدنية ، وهذا المكر والقول إنما كانا بمكة ، ولكن الله ذكرهم بالمدينة ، كقوله تعالى : ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ

(١) تفسير الطبري (١٣/٤٩٤-٤٩٦) برقم (١٥٩٦٥) .

وفي إسناده الطبري عن عنة ابن إسحاق ، ولكن يشهد له ما أخرجه أحمد في المسند مختصراً (٨٧/٥) برقم (٣٢٥١) طبعة شاكر ، وابن أبي حاتم بنحوه في تفسيره ، سورة الأنفال برقم (٣٨٣) من طريق محمد بن إسحاق عن ابن أبي ليلى عن مجاهد به ، والطبراني مختصراً في المعجم الكبير (١١/٤٠٧) برقم (١٢١٥٥) من طريق عثمان الجزري عن مقسم عن ابن عباس .

والأثر صححه السيوطي في الإتيان فقال : « استثنى منها : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعِفُونَ﴾ قال مقاتل : نزلت بمكة ، قلت : يرد ما صح عن ابن عباس أن هذه الآية بعينها نزلت بالمدينة » . الإتيان (١/٤٤) .

(٢) سورة الأنفال ، الآية (٢٦) .

مَعَنَا ﴿الآيَةُ﴾^(١) « (٢) » .

وقال أيضاً مشيراً إلى هذه الآيات والآيات التي بعدها : « والأصح أنها نزلت بالمدينة ، وإن كانت الواقعة بمكة » (٣)

وقال ابن العربي - رحمه الله - منتقداً دعوى مكية هذه الآية : « قد قيل إن سورة الأنفال مدنية إلا قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ فإنهما مكيتان ، فإن كان هذا بنقل صحيح فيها ونعمت ، وإن كان بحكم الظن فإن هاتين الآيتين جرت قصتهما بمكة ، فلا يصح هذا ؛ لأن القصة قد تجري بمكة وتذكر بالمدينة » (٤) .

ومثل هذا التوجيه وجه المفسرون قولي عكرمة ومجاهد ، بمعنى أنهما أرادا الإشارة إلى القصة لا إلى الآية .

قال ابن عطية - رحمه الله - مشيراً إلى هذا التوجيه : « وحكى الطبري عن عكرمة ومجاهد أن هذه الآية مكية ، وحكى عن ابن زيد أنها نزلت عقب كفاية الله رسوله المستهزئين بما أحله بكل واحد منهم ... ويحتمل عندي قول عكرمة ومجاهد : هذه مكية أن أشارا إلى القصة لا إلى الآية » (٥) .

(١) سورة التوبة ، الآية (٤٠) .

(٢) تفسير البغوي (٣/٣٤٩) .

(٣) المصدر السابق (٣/٣٢٣) .

(٤) الناسخ والمنسوخ لابن العربي (٢/٢٢٤) .

(٥) المحرر الوجيز (٨/٤٧) ، وما يؤيد احتمال ابن عطية ما قاله القرطبي في تفسيره فقال :

« مدنية في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء » ، ويعني به السورة كلها ، بدليل أنه

ذكر بعد ذلك استثناء ابن عباس للآيات السبع فحسب . انظر : تفسير القرطبي

(٤/٣٦٠) .

ويقول أبو حيان - رحمه الله - : « وهذه الآية مدنية كسائر
السورة ، وهو الصواب ، وعن عكرمة ومجاهد أنها مكية ... ويتأول قول
عكرمة ومجاهد على أنهما أشارا إلى قصة الآية لا إلى وقت نزولها » (١) .
والخلاصة : أن هذه الآية مدنية ، وحديثها عن مكر قريش في
الماضي لا يعني مكية الآية ؛ إذ هي تذكر الرسول ﷺ بنعمة الله في الإنجاء
من القوم ، والله أعلم .

→

وأوضح من هذا ما قاله صديق حسن خان في فتح البيان حيث قال : « صرح كثير من
المفسرين بأنها مدنية ، لم يستثنوا منها شيئاً ، وبه قال الحسن وعكرمة وجابر بن زيد
وعطاء وعبد الله بن الزبير وزيد بن ثابت » .

فتح البيان في مقاصد القرآن (٣/٤) .

(١) البحر المحيط (٣٠٩/٥) .

المطلب الثاني :

في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (١)

ورد القول بمكية هذه الآية من أبي المظفر السمعاني ونظام الدين النيسابوري (٢) ، إضافة إلى ما جاء في رواية ابن عباس في استثنائه الآيات السبع (٣) ، ويبدو أن هذه الآية كسابقتها وهو أن الدافع إلى القول بمكيته هو ما تحكيه من أحداث كانت قبل الهجرة ، فقد قال المفسرون : إن الآية نزلت في النضر بن الحارث ، وذلك أنه سمع أحاديث أهل الحيرة (٤) . وكان كثير السفر إلى بلاد فارس ، وسمع أخبار الرهبان وقصص الملوك ، فلما قدم إلى مكة ، وسمع القرآن ، ورأى ما فيه من أخبار الأنبياء والأمم ، قال : لو شئت لقلت مثل هذا (٥) .

مناقشة القول بمكية هذه الآية :

ورغم أن حديث الآية عن أحداث كانت قبل الهجرة لا يلزم منه أن تكون الآية مكية ، إذ القصة كما يقول ابن العربي : « قد تجري بمكة

(١) سورة الأنفال الآية (٣١) .

(٢) انظر : تفسير أبي المظفر السمعاني (١٦٩/١ ق/ب) ، تفسير النيسابوري (١١٧/٩) .

(٣) انظر : النكت والعيون (٢٩٢/٢) ، تفسير القرطبي (٣٦٠/٧) .

(٤) والحيرة : بالكسرة ثم السكون مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة ، على موضع يقال له : النحف : وكانت مسكن ملوك العرب ، في الجاهلية ، وقد احتلت اليوم مدينة النحف موقع الحيرة .

انظر : معجم البلدان (٣٧٦/٢-٣٨٠) ، معجم ما استعجم (٤٣٨/١-٤٣٩) ، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ١٠٨) .

(٥) انظر : المحرر الوجيز (٥٠/٨) ، زاد المسير (٢٦٤/٣) ، تفسير ابن كثير (٣١٦/٢) .

وتذكر بالمدينة» (١) رغم ذلك وردت آثار تدل على نزول الآية عقب غزوة بدر ، وهي آثار مرسلة إلا أن بعض هذه المراسيل صحيحة السند ، منها مرسل سعيد بن جبير فقد أخرجه الطبري في تفسيره من طريق شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال : « قتل النبي ﷺ يوم بدر صبراً : عقبة بن أبي معيط ، وطُعَيْمَة بن عديّ ، والنضر بن الحارث ، وكان المقداد أسر النضر ، فلما أمر بقتله ، فقال المقداد : أسيري ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم أغن المقداد من فضلك ، فقال المقداد : هذا الذي أردت ، وفيه أنزلت هذه الآية ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا ﴾ (٢) » .

وخلاصة القول : أن الآية لم تنزل عقب قول النضر وأمثاله حتى نقول إنها مكية؛ بل نزولها تأخر إلى غزوة بدر للأسباب السالفة الذكر ، من أن الآية تذكر المؤمنين بما كان من شدة جحود كفار مكة ومواقفهم وتحدياتهم تجاه هذا الدين من ناحية ، والآثار التي سبق ذكرها من ناحية أخرى ، والله أعلم .

(١) الناسخ والمنسوخ لابن العربي (٢/٢٢٤) .

(٢) تفسير الطبري (٥٠٤/١٣) برقم (١٥٩٧٩) وأبو بشر المذكور في الإسناد هو جعفر بن

إياس ، ثقة من أثبت الناس في سعيد بن جبير . التقريب (١/١٢٩) .

وبقية رجال إسناد الطبري كلهم ثقات أيضاً .

هذا وقد ورد في بعض كتب التفاسير المطعم بن عدي بدل طعيمة بن عدي ، قال ابن

كثير : « وهو غلط لأن المطعم بن عدي لم يكن حياً يوم بدر ، ولهذا قال رسول الله ﷺ

يومئذٍ : لو كان المطعم بن عدي حياً ثم سألتني في هؤلاء لنتى لو هبتهم له يعني

الأسرى ؛ لأنه كان قد أجاز رسول الله ﷺ يوم رجع من الطائف » . تفسير ابن كثير

(٣١٦/٢) .

وانظر الخطأ في : الطبري (٥٠٤/١٣) برقم (١٥٩٨٠) ، النكت والعيون (٣١٣/٢) .

المطلب الثالث :

في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ إِنَّا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١) .

ثبت القول بمكية هذه الآية من أبي المظفر السمعاني ، ونظام الدين النيسابوري (٢) ، كما روي عن ابن عباس القول بمكية الآية أيضاً (٣) .

مستند القول بمكية هذه الآية :

يستند هذا القول إلى ما ورد في الصحيح وغيره من أن هذه الآية نزلت في قول أبي جهل (٤) ، كما ورد في بعض الروايات أن القائل بذلك هو النضر بن الحارث (٥) . ولا شك أن هذه الأقوال قيلت في العهد المكي ، إذ إن كلاً من أبي جهل والنضر بن الحارث قد ماتا في بدر ،

(١) سورة الأنفال الآية (٣٢) .

(٢) انظر : تفسير أبي المظفر السمعاني (١٦٩/١ ق/ب) ، تفسير النيسابوري (١١٧/٩) .

(٣) انظر : النكت والعيون (٢٩٢/٢) ، تفسير القرطبي (٣٦٠/٧) .

(٤) انظر : صحيح البخاري مع الفتح (١٥٨/٨) كتاب التفسير ، باب ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ الآية ، حديث رقم (٤٦٤٨) ، وأخرجه أيضاً حديث رقم (٤٦٤٩) .

قال الحافظ معلقاً على هذا الحديث : « ظاهر في أنه القائل ذلك ، وإن كان هذا القول نسب إلى جماعة ، فعله بدأ به ورضي الباقر فنسب إليهم ، وقد روى الطبراني من طريق ابن عباس أن القائل ذلك هو النضر بن الحارث قال : فأنزل الله تعالى ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ وكذا قال مجاهد وعطاء والسدي ، ولا ينافي ذلك ما في الصحيح لاحتمال أن يكونوا قالاه ، ولكن نسبته إلى أبي جهل أولى » فتح الباري (١٥٩/٨) .

(٥) أخرجه الطبراني عن ابن عباس كما قال الحافظ ابن حجر ، وقد بحث عنه في المعجم الكبير إذ هو الكتاب الذي اعتنى فيه الإمام الطبراني بذكر روايات أسباب النزول ، ومع ذلك لم أعثر عليه ، ولعله في القسم المفقود من مسند ابن عباس .

وعليه فالآية مكية - في نظر أصحاب هذا القول - .

مناقشة هذا المستند :

لا خلاف بين العلماء أن هذه الآية نزلت في أبي جهل وأمثاله القائلين بمثل هذا القول ، ففي الصحيح روى البخاري بسنده عن عبد الحميد بن كريد - صاحب الزيادي - سمع أنس بن مالك رضي الله عنه « قال أبو جهل ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ اتَّبِعْنَا بَعْدَ آلِيمٍ ﴾ فنزلت ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ « الآية (١) .

ولكن الخلاف وقع في تحديد وقت نزول هذه الآية ، هل كان نزولها عقب هذا القول فتكون مكية ؟ أم أن نزولها تأخر إلى غزوة بدر لمناسبة هزيمة قريش وتذكير الرسول ﷺ بما كانوا عليه من مكابرة في الحق وجدال في الباطل ؟ وأرى أن الرأي الثاني هو الراجح ، وذلك للأسباب التالية :

أولاً : القول بأن سورة الأنفال كلها مدنية هو قول جمهور المفسرين ، قال ابن عطية : « هي مدنية كلها ، كذا قال أكثر الناس » (٢) وقال صديق حسن خان : « صرح كثير من المفسرين بأنها مدنية لم يستثنوا منها شيئاً ، وبه قال الحسن وعكرمة ، وجابر بن زيد ، وعطاء ، وعبد الله بن الزبير ، وزيد بن ثابت » (٣) .

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١٥٨/٨) كتاب التفسير ، باب ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ حديث رقم (٤٦٤٨) .

(٢) المحرر الوجيز (٣/٨) .

(٣) فتح البيان (٣/٤) .

ثانياً : أن لفظ « إذ » في قوله ﴿ وَإِذْ قَالُوا ﴾ لدليل على أن الآية تحكي حال قریش قبل الهجرة ، إذ التقدير في الآية : واذكر إذ قالوا .
قال ابن هشام النحوي (١) : « والغالب على المذكورة في أوائل القصص في التنزيل أن تكون مفعولاً به بتقدير « أذكر » » (٢) .
ثالثاً : لا يلزم من وقوع حادثة في مكة أن تكون الآيات التي نزلت بها كذلك ؛ إذ الحادثة قد تقع في مكة وتذكر آياتها بالمدينة لمناسبة ما .
قال صديق حسن خان معقياً على ما حكاه القرطبي عن ابن عباس من استثناء الآيات السبع قال : « قلت وإن كان في شأن الواقعة التي وقعت بمكة فلا يلزم أن تكون كذلك ، فالآيات نزلت بالمدينة تذكيراً له بما وقع في مكة ، فهذا القول - أي الاستثناء - ضعيف ، والأول - أي مدينة الكل - هو الأصح » (٣) .

ويقول الأستاذ محمد شعباني في تعليقه على كتاب « البرهان في ترتيب سور القرآن » لأبي جعفر بن الزبير الغرناطي : « وإذا تخللت السورة بعض آيات عن حال كفار مكة ومكرهم برسول الله ﷺ فإن ذلك لا يقتضي نزولها في مكة ، بل ورود مثل هذه الآيات تأتي لمناسبة معينة » (٤) .

(١) هو الإمام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري صاحب أوضح المسالك ، وشذور الذهب ، توفي - رحمه الله - سنة (٧٦١هـ) .

ترجمته : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (٢/٦٨-٧٠) ، الدرر الكامنة (٢/٤١٥-٤١٧) .

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/٨٠) وانظر بالتفصيل المعاني التي تأتي « إذ » في العربية : مغني اللبيب (١/٨٠-٨٦) .

(٣) فتح البيان (٤/٣) .

(٤) البرهان في ترتيب سور القرآن (ص: ٢١٥) هامش رقم (١٦٦) .

(تنبيه) : هوامش تعليقات الكتاب متسلسلة بأرقام متتابعة من أول الكتاب إلى نهايته .

وخلاصة القول : أن القول بمعية هذه الآية قول يفتقد الدليل ، فكل ما يعتمد عليه يبدو أنه استنباط من معنى الآية ، وهو استنباط يعوزه الدليل في رأيي ، إذ وصف الآية لحال قريش في الماضي لا يعني نزولها حينذاك .



المطلب الرابع :

في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يُصَلُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

تعددت أقوال العلماء في هاتين الآيتين إلى ثلاثة أقوال :

القول الأول : ذهب الجمهور كما سبق أن سورة الأنفال كلها مدنية (٢) ، وبناءً على هذا فإن استثناء هاتين الآيتين لا يصح عند الجمهور .

القول الثاني : وذهب أبو القاسم النيسابوري وأبو المظفر السمعاني ، ونظام الدين النيسابوري ، وأبو حيان ، إضافة إلى قول ابن عباس أن الآيتين مكيتان (٣) .

القول الثالث : إن الجملة الأولى في الآيتين وهي قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ نزلت بمكة ، والجملة الثانية ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ نزلت بعدما خرج النبي ﷺ إلى المدينة ،

(١) سورة الأنفال الآيتان (٣٣-٣٤) .

(٢) انظر قول الجمهور (ص : ٤٨٣) .

(٣) انظر : التنزيل وترتيبه لأبي القاسم النيسابوري (٢٢٧ ق/أ) تفسير أبي المظفر السمعاني

(١٦٩/١ ق/ب) تفسير النيسابوري (١١٧/٩) البحر المحيط (٣١١/٥) وانظر قول ابن

عباس في : النكت والعيون (٢٩٢/٢) وتفسير القرطبي (٣٠٦/٧) .

وقوله تعالى ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُتُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.....﴾ الآية ، نزل بعد بدر .

وإليه ذهب ابن أبزى (١) كما أخرج عنه الطبري في تفسيره (٢) ، والذي يعيننا من هذه الأقوال هو قول ابن أبزى ومناقشته ، أما القول بمكية الآيتين فلعل ما ذكرته في نظائرها فيه كفاية .

مناقشة قول ابن أبزى :

وفضلاً أن رواية ابن أبزى إسنادها ضعيف ، فهي تبدو أيضاً أنها لون من التفسير للآيتين ، ولتتضح الصورة نسوق هنا نص الرواية كما أوردها الطبري في تفسيره من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن ابن أبزى قال : « كان النبي ﷺ بمكة ، فأنزل الله عليه ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ قال : فخرج النبي ﷺ إلى المدينة ، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قال : فكان أولئك البقية من المسلمين الذين بقوا فيها يستغفرون - يعني مكة - فلما خرجوا أنزل الله عليه ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُتُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ قال : فأذن الله له في

(١) هو سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى - بمفتوحة فساكنة ويفتح زاي وبقصر - الخزاعي - مولاهم الكوفي ، ثقة. انظر ضبط اسمه : المغني في ضبط أسماء الرجال للفتني (ص: ١٦) ، وانظر ترجمته : السير (٤/٤٨١) ، تهذيب التهذيب (٣١٨/٢) .

(٢) انظر تفسير الطبري (٥٠٩/١٣) برقم (١٥٩٩٠) وفي إسناد ابن حميد وهو محمد بن حميد بن حيان أبو عبد الله الرازي وهو ضعيف . التقريب (١٥٦/٢) . وفيه يعقوب القمي وجعفر بن أبي المغيرة وكلاهما صدوق يهم . ولا متابع لهما فالإسناد ضعيف .

فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم» (١) .

ولعل مراد ابن أبزى من هذا الباب - أعني باب التفسير - وليس مراده أن جزءاً من الآيتين نزل في مكة ، والبقية نزلت في المدينة ، فهذا أمر لا يسعفه الدليل ، فالآيتان مدينتان أنزلتا للتذكير بماضي المشركين مع الرسول ﷺ وموقفهم من حيال دعوته .

ومما يضعف قول ابن أبزى أن الآيتين مرتبطتان ارتباطاً قوياً بما قبلهما ، ويتضح ذلك من خلال رواية الصحيح السابقة في نزول قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ الآية (٢) ، ومن خلال سياق الآيات أيضاً .

وقد يقول قائل : كيف نجتمع بين ما ورد في الصحيح من أن قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ إلى آخر الآيتين نزل بمناسبة قول أبي جهل - لعنه الله - فقد قال تعالى حاكياً عن قوله : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ اثْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ، وبين ما أخرجه الطبري وابن أبي حاتم في تفسيريهما كلاهما من طريق أبي حذيفة عن عكرمة بن عمار عن أبي زميل عن ابن عباس واللفظ للطبري قال : « إن المشركين كانوا يطوفون بالبيت يقولون : لبيك لا شريك لك لبيك ، فيقول النبي ﷺ قد قد ، فيقولون : لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ، ويقولون : غفرانك غفرانك ، فأنزل الله ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ » (٣) .

(١) تفسير الطبري (١٣/٥٠٩) برقم (١٥٩٩٠) .

(٢) انظر الحديث (ص: ٤٨٣) .

(٣) تفسير الطبري (١٣/٥١١-٥١٢) برقم (١٦٠٠٠) وتفسير ابن أبي حاتم ، سورة

قلت : هذا من باب تعدد الأسباب ، ولا مانع أن تنزل الآية في هذا
وذاك إذ كلتا الروايتين صحيحتان .



→

الأنفال ، (برقم ٣١٤) والأثر صحيح وجزء منه له شاهد عند مسلم في صحيحه ،
كتاب الحج ، باب التلبية وصفتها ووقتها ، (٨٤٣/٢) برقم (١١٨٥) .

المطلب الخامس :

في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (١).

ذهب إلى القول بمكية هذه الآية أبو المظفر السمعاني (٢) ، ونظام الدين النيسابوري (٣) ، وهو قول مروى عن ابن عباس كما سبق (٤) .
ولعلنا لا نأتي بشيء جديد فيما يتعلق بمسند هذا القول ومناقشته ، ففيما سبق في نظائرها غنية وكفاية .
ورحم الله الإمام البغوي فقد قال مشيراً إلى دعوى استثناء الآيات السبع : « والأصح أنها نزلت بالمدينة ، وإن كانت الواقعة بمكة » (٥).

(١) سورة الأنفال ، الآية (٣٥) .

(٢) انظر : تفسير أبي المظفر السمعاني (١/١٦٩ق/ب) .

(٣) انظر : تفسير النيسابوري (٩/١١٧) .

(٤) انظر : (ص ٥٤١) .

(٥) معالم التنزيل (٣/٣٢٣) .

المطلب السادس :

في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (١).

هذه الآية هي آخر الآيات السبع التي قيل إنهن مستثناة من مدنية السورة في قول ابن عباس (٢) ، وثبت القول بمكية هذه الآية أيضاً من أبي المظفر السمعاني ، ونظام الدين النيسابوري ، فهما يريان أيضاً استثناء الآيات السبع اعتماداً على ما روي عن ابن عباس في ذلك (٣) .
ولا أدري كيف استساغ القائلون بمكية هذه الآية القول بذلك رغم ورود آثار عديدة بنزول الآية عقب غزوة بدر .

فقد أخرج الطبري في تفسيره من طريق سلمة عن ابن إسحاق قالاً : ثنا محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحسين بن عبد الرحمن وعمرو بن سعد بن معاذ قالوا : « لما أصابت (٤) المسلمون يوم بدر من كفار قريش

(١) سورة الأنفال ، الآية (٣٦) .

(٢) انظر : النكت والعيون (٢/٢٩٢) ، تفسير القرطبي (٧/٣٦٠) .

(٣) انظر : تفسير أبي المظفر السمعاني (١/١٦٩ ق/ب) ، تفسير النيسابوري (٩/١١٧) .

(٤) هكذا في الطبري ، ولعل الصواب « لما أصاب » بالتذكير ؛ لأن الفاعل هنا جمع

المذكر السالم ، فلا تتصل به تاء التأنيث ، قال ابن مالك في الألفية :

وتاء تأنيث تلي الماضي إذا كان لأنثى كأبت هند الأذى

وإنما تلزم فعل مضمَر متصل أو مفهم ذات حر

ألفية ابن مالك في النحو والصرف (ص ٣٢) .

وعند ابن أبي حاتم « لما أصيب أصحاب بدر » بالبناء للمجهول .

من أصحاب القليب ورجع فُلهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بعيره ، مشى عبد الله بن ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم بيدر ، فكلّموا أبا سفيان بن حرب ، ومن كان له في تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش إن محمداً قد وترككم (١) ، وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربته لعلنا أن ندرك منه ثأراً بمن أصيب منا ، ففعلوا قال : ففيهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ إِلَى قَوْلِهِ : وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (٢) .

وأخرج الطبري أيضاً آثاراً أخرى مفادها أن الآية نزلت في أبي سفيان وإنفاقه الأموال في أحد لقتال رسول الله ﷺ (٣) .
وأيّاً كان السبب فإن نزول الآية بعد غزوة بدر واضح من أسباب النزول التي ذكرت للآية .

قال الطبري - رحمه الله - في الجمع بين السبيين : « والصواب من القول في ذلك عندي ما قلنا ، وهو أن يقال : إن الله أخبر عن الذين كفروا به من مشركي قريش أنهم ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، لم يخبرنا بأي أولئك عني ، غير أنه عم بالخبر الذين كفروا ، وجائز أن

(١) الوتر : هو النقص ، يقال : وتره يتره ترة إذا نقصه .

انظر : النهاية في غريب الحديث (١٤٩/٥) .

(٢) تفسير الطبري (١٣/٥٣٢-٥٣٣) برقم (١٦٠٦٣) ، وإسناده حسن فقد صرح ابن إسحاق بالسماع ، والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره بنحوه ، سورة الأنفال (برقم ٣٧١) ، والبيهقي بنحوه أيضاً في دلائل النبوة (٣/٢٢٤-٢٢٥) .

(٣) انظر الآثار التي أخرجه الطبري عن سعيد بن جبير وابن أبيزى ومجاهد والحكم بن عتيبة (١٣/٥٣٠-٥٣٢) برقم (١٦٠٦٥ ، ١٦٠٥٨ ، ١٦٠٦١) .

يكون عنى المنفقين أموالهم لقتال رسول الله ﷺ وأصحابه بأحد ، وجائز أن يكون عنى المنفقين منهم ذلك ببدر ، وجائز أن يكون عنى الفريقين ، وإذا كان ذلك كذلك ، فالصواب في ذلك أن يعمّ كما عمّ جلّ ثناؤه الذين كفروا من قريش « (١) .

وبنحو هذا قال ابن كثير في تفسيره ، فإنه بعد أن ذكر السببين قال : « وعلى كل تقدير فهي عامة وإن كان سبب نزولها خاصاً » (٢) .

(١) تفسير الطبري (٥٣٤/١٣) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣٢٠/٢) .

المطلب السابع :

في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١)

ورد القول بمكية هذه الآية عن ابن العربي ، إذ يقول بعد انتقاده دعوى مكية قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية ، وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ الآية (٢) قال : « وإنما الذي نزل بمكة في الصحيح قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ » (٣).

مستند ابن العربي في مكية هذه الآية :

ولعل الذي دفع ابن العربي إلى تصحيح مكية الآية هو ما روي في بعض الآثار من أنها نزلت في إسلام عمر بن الخطاب - ؓ - فقد أخرج البزار في مسنده قال : حدثنا عبد الرحمن بن الفضل بن الموفق الكوفي ثنا الحماني أبو يحيى ثنا النضر أبو عمر عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : « لما أسلم عمر قال المشركون : قد انتصف القوم منا ، وأنزل الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ » (٤) .

(١) سورة الأنفال ، الآية (٦٤) .

(٢) انظر نقد ابن العربي دعوى مكية الآيتين (ص ٥٤٥) .

(٣) الناسخ والمنسوخ لابن العربي (٢/٢٢٤) .

(٤) كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة للهيثمي (١٧٢/٣) برقم (٢٤٩٥) ، قال البزار في الحكم على هذا الإسناد : « لا نعلمه بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد ، والنضر متروك » . كشف الأستار (١٧٢/٣) .

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « النضر بن عبد الرحمن أبو عمر الخزاز

وعند الطبراني من طريق إسحاق بن بشير الكاهلي عن خلف بن خليفة عن أبي هاشم الرماني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « أسلم مع النبي ﷺ تسعة وثلاثون رجلاً وامرأة ، وأسلم عمر تمام الأربعين ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ » (١) .

مناقشة هذا المسند :

نوقش هذا القول بأن الروايات التي استند إليها ضعيفة ، وفضلاً عن ذلك فإن جعل الآية نزلت في إسلام عمر بن الخطاب - ﷺ - لا يصح ، وذلك لما يلي :

أولاً : الثابت في كتب السيرة أن عدد المؤمنين المهاجرين إلى أرض الحبشة ثلاثة وثمانون رجلاً سوى النساء والأبناء (٢) ، وإسلام عمر كان

→

متروك . . التقريب (٣٠٢/٢) .

والأثر أخرجه الطبراني في الكبير مختصراً (٢٥٥/١١) برقم (١١٦٥٩) ، وبنحوه (٦٠/١٢) برقم (١٢٤٧٠) .

(١) المعجم الكبير (٦٠/١٢) برقم (١٢٤٧٠) ، قال الهيثمي في المجمع (٣١/٧) : « رواه الطبراني ، وفيه إسحاق بن بشير الكاهلي وهو كذاب » .

(٢) انظر : السيرة وأخبار الخلفاء لابن حبان (ص ٧٢-٧٧) ، الدرر لابن عبد البر (ص ٥٤-٥٥) .

قال الحافظ في الفتح : « إن إسلام عمر كان بعد المبعث بست أو بسبع سنين » . فتح الباري (٢١٦/٧) .

قلت : والراجح أنه كان في سنة ست . انظر : صحيح السيرة النبوية للطهروني (١٤٢/٢) .

وأما الهجرة إلى الحبشة فقد كانت في رجب من السنة الخامسة للبعثة .

انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٠٤/١) ، الفتح (٢٢٧/٧) ، المواهب اللدنية للقسطلاني (٢٤٠/١) .

بعد هجرة الحبشة ، فكيف يكون تمام الأربعين ؟! .
قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بعد أن ذكر قول ابن إسحاق في
أن إسلام عمر كان بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى
الحبشة قال : « قلت - ابن كثير - : هذا يردُّ قول من زعم أنه كان تمام
الأربعين من المسلمين ، فإن المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين ،
اللهم إلا أن يقال إنه كان تمام الأربعين بعد خروج المهاجرين » (١).
وقال الحافظ ابن كثير أيضاً في نقده دعوى مكية هذه الآية : « وقد
روي عن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير أن هذه الآية نزلت حين أسلم
عمر بن الخطاب ، وكمل به الأربعون ، وفي هذا نظر ؛ لأن هذه الآية
مدنية ، وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى الحبشة ، وقبل الهجرة إلى
المدينة » (٢).

(١) البداية والنهاية (٣/٧٧) ، وقد أفرد الحافظ ابن كثير - رحمه الله - ما روى عمر بن
الخطاب - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ ، وما ورد عنه من آثار بكتاب مستقل سَمَّاه : « مسند
الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم » ،
والكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي ، وحققه أيضاً لنيل درجة
الدكتوراه من جامعة أم القرى الدكتور مطر بن أحمد الزهراني .
كما أفرد ابن كثير - رحمه الله - في سيرة عمر - رضي الله عنه - كتاباً خاصاً ، ولا زال
مفقوداً .

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٣٣٧) ، وأخرج مرسل سعيد بن المسيب أبو الشيخ كما في الدر
المشثور (٤/١٠١) ، وأما مرسل سعيد بن جبير فقد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره .
انظر : تفسير ابن أبي حاتم ، سورة الأنفال برقم (٦٢٣) ، وفي إسناده يعقوب القمي
صدوق يهم .
انظر : التقريب (٢/٣٧٦) ، وكذلك جعفر بن أبي المغيرة صدوق يهم . انظر التقريب
(١/١٣٣) .

ثانياً : لو سلّمنا نزول الآية في إسلام عمر بن الخطاب - ﷺ -
لكان هذا السبب يوحى بأن معنى الآية : حسبك الله وحسبك من اتبعك
من المؤمنين كأمثال عمر بن الخطاب - ﷺ .

وهذا التفسير وإن جاز نحويّاً إلا أنه ليس بجائز كتفسير معتمد للآية ،
وكما هو مقرر في القواعد التفسيرية واللغوية أن المعنى الشرعي والإعراب
إذا تهاذبا النص فالمعول عليه هو المعنى الشرعي (١) .

قال القرطبي - رحمه الله - مبيناً خطورة الاعتماد على القواعد
الإعرابية فحسب : « أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية ، من
غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن ، وما فيه من
الألفاظ المبهمة والمبدلة ... فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط
المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ، ودخل في زمرة من فسّر القرآن
بالرأي ، والنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير أولاً ليتقّى به مواضع
الغلط ، ثم بعد ذلك يتم الفهم والاستنباط » (٢) .

ولابن القيم - رحمه الله - كلام نفيس في هذا المقام حيث يقول :
« وينبغي أن يتفطن هاهنا لأمر لا بد منه ، وهو أنه لا يجوز أن يحمل
كلام الله عز وجل ويفسر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله
تركيب الكلام ، ويكون الكلام به له معنى ما ؛ فإن هذا المقام غلط به
أكثر المعربين للقرآن ؛ فإنهم يفسرون الآية ويعربونها بما يحتمله تركيب
تلك الجملة ... بل للقرآن عرف خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره

(١) انظر هذه القاعدة التفسيرية اللغوية في : الخصائص لابن جني (٣٨٤/١) ، الإتيقان
(٥٨٤/١) .

وانظر كذلك الفرق بين تفسير الإعراب وتفسير المعنى : الإتيقان (٥٨٤/١) .

(٢) مقدمة تفسير القرطبي (٣٤/١) .

بغيره ، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانيه » (١) .
 وقد أطال ابن القيم - رحمه الله - في الردّ على القائلين بأن « من »
 في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ معطوفة
 على لفظ الجلالة ، ويمنعون عطفها على الكاف المجرورة في قوله :
 « حسبك » بدعوى أنه لا يجوز العطف على الضمير المجرور بدون إعادة
 الجار ، وهو مذهب البصريين (٢) ، فقال ما ملخصه : « أي الله وحده
 كافيك ، وكافي أتباعك ، فلا يحتاجون معه إلى أحد ، وها هنا تقديران :
 أحدهما : أن تكون الواو عاطفة « من » على الكاف المجرورة ،
 ويجوز العطف على الضمير بدون إعادة الجار على المذهب المختار ،
 وشواهد كثيرة ، وشبه المنع منه واهية .

- (١) التفسير القيم لابن القيم (ص ٢٦٨) جمعه محمد أويس الندوي .
 (٢) انظر مذهب البصريين في هذه المسألة : البحر المحيط لأبي حيان (٣٤٨/٥) ، الدر
 المصون (٦٣١/٥-٦٣٤) .
 وللتوسع انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين لابن
 الأنباري (٤٦٣/٢-٤٧٤) .
 ويبدو - والله أعلم - أن مذهب الكوفيين هو الراجح في هذه المسألة ، فقد جاء في
 التنزيل : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ بالخفض ، وهي قراءة حمزة ، قال
 الشاطبي - رحمه الله - في حزر الأمانى :

وحمزة والأرحام بالخفض مجمل
 متن الشاطبية المسمى « حزر الأمانى ووجه التهاني » (ص ٤٧) .

فالأوجب أن تكون القواعد النحوية خاضعة للقرآن الكريم ، لا أن يكون القرآن الكريم
 خاضعاً لها .

هذا وقد رجح ابن مالك في هذه المسألة رأي الكوفيين فقال في الألفية :
 وعود حافض لدى عطف على ضمير خفض لا زماً قد جعل
 وليس عندي لازماً إذ قد أتى في النظم والنثر الصحيح مثبثاً
 ألفية ابن مالك في النحو والصرف (ص ٤٨) .

والثاني : أن تكون الواو واو المعية ، وتكون « من » في محل نصب عطفاً على الموضع ، فإن حسبك في معنى كافيك ، أي الله يكفيك ويكفي من اتبعك « (١) .

ويعضي ابن القيم - رحمه الله - في رده على القائلين بعطف « من » على لفظ الجلالة فيقول : « وهذا وإن قال به بعض الناس فهو خطأ محض لا يجوز حمل الآية عليه ؛ فإن الحسب والكفاية لله وحده كالتوكل والتقوى والعبادة ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَتَاكَ بِنَصَرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴾ ففرق بين الحسب والتأييد ، فجعل الحسب له وحده ، وجعل التأييد له بنصره وبعباده » (٢) .

وبعد أن فندنا التفسير القائل : إن الآية نزلت في إسلام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من جهة السند والمتن ثمة سؤال جدير بالإجابة ، وهو : ما هو التفسير الصحيح لهذه الآية ؟

والجواب : أن التفسير الصحيح لهذه الآية نقله شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فقال : « وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي هو وحده حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين ، هذا هو قول الصواب الذي قاله جمهور السلف والخلف » (٣) .
ويؤيد المعنى الذي نقله شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ما أخرجه الطبري - رحمه الله - في تفسيره من طريق سفيان الثوري عن

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣٥/١-٣٦) ، وانظر أيضاً : التفسير القيم لابن القيم (ص ٢٩٢) .

(٢) زاد المعاد (٣٦/١) ، وانظر : التفسير القيم لابن القيم (ص ٢٩٢) ، وتابع بقية الرد فقد ذكر - رحمه الله - ما تحسن مطالعته والوقوف عليه .

(٣) مجموع الفتاوى (٢٩٣/١) .

شاذب أبي معاذ عن الشعبي ، قال : في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال : «حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين الله» (١) .

هذا وقد روي عن ابن عباس أيضاً أن الآية نزلت في الأوس والخزرج (٢) ، وهو قول مردود كسابقه لما يستلزم عليه من فساد معنى الآية .

كما ذكر بعض المفسرين أن الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال ، وبعد البحث لم أجد رواية صحيحة تنص على ذلك ، فغاية ما في الأمر أن معنى الآية يوحي التمهيد لأمر المؤمنين بالقتال والتوكل على الله تبارك وتعالى ، والله أعلم (٣) .

(١) تفسير الطبري (٤٩/١٤) برقم (١٦٢٦٥) ، ورجاله ثقات غير شاذب أبي معاذ فقد سكت عنه البخاري وابن أبي حاتم .

انظر : التاريخ الكبير (٢٦١/٤) ، الجرح والتعديل (٣٧٨/٤) .

(٢) انظر : المحرر الوجيز (١٠٦/٨) .

(٣) انظر : المحرر الوجيز (١٠٦/٨) ، فتح البيان (٦٤/٤) ، التحرير والتنوير (٦٦/١٠) .

وهذا القول مروى عن النقاش - صاحب شفاء الصدور - وهو مجمع على ضعفه ، فقد نقل النهي - رحمه الله - في السير قول أبي بكر البرقاني قال : «كل حديث النقاش منكرو» . السير (٥٧٥/١٥) .

المبحث الخامس :

الآيات المدعى مكيتها في سورة التوبة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول :

في قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ الآية (١).

تعددت أقوال العلماء في هذه الآية فمن قائل : إن الآية نزلت في استغفار النبي ﷺ لعمه أبي طالب ، ومقتضى هذا النزول - على حسب فهمه - أن الآية مكية ومستثناة من مدنية سورة التوبة (٢) .
واستبعد آخرون نزول الآية في استغفار النبي ﷺ لأبي طالب ؛ وذلك لتباعد زمن موت أبي طالب الذي كان قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين وزمن نزول سورة التوبة التي هي من أواخر ما نزل بالمدينة (٣) .

(١) سورة التوبة ، الآية (١١٣) .

(٢) انظر : الإقتان (٤٤/١) فقد قال السيوطي : « واستثنى بعضهم ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾ الآية لما ورد أنها نزلت في قوله عليه الصلاة والسلام لأبي طالب : « لا تستغفرون لك ما لم أنه عنك » » هذا وقد اغترّ أحد الباحثين المعاصرين بمقتضى هذا السبب ولم يحاول الجمع بين هذه الرواية والروايات الأخرى فحكم على الآية بأنها مكية، انظر : خصائص السور والآيات المدنية للدكتور عادل أبي العلا (ص: ٢٢٥) .

(٣) انظر ما نقله الثعلبي عن الحسين بن الفضل في الكشف والبيان (١٥٢/٦ ق/ب) .
وقد وصل الأمر لدى بعض أصحاب هذا القول إلى إنكار الروايات الصحيحة ، ومن هؤلاء الشيخ ابن عاشور - رحمه الله - فإنه بعد أن نقل تضعيف ابن العربي لحديث حسنة الإمام الترمذي وهو الحديث الذي معنا في الرواية الثانية قال :
« وأما ما روي في أسباب النزول أن هذه الآية نزلت في استغفار النبي ﷺ لأبي طالب أو أنها نزلت في سؤال ربّه أن يستغفر لأمه آمنة حين زار قبرها بالأبواء فهما خبران واهيان لأن هذه السورة نزلت بعد ذلك بزمن طويل » .
التحرير والتنوير (٤٤/١١) وانظر تضعيف ابن العربي للحديث في عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي (٢٥٠/١١) وقد أطال الكلام على الآية التي معنا .

كما عدّ بعضهم الآية مما تعدد نزولها . (١)
 وأياً كان الأمر فإن الجزم برأي واحد في هذه الآية يرجع إلى عدم
 الجمع بين الروايات والسبر في طرق هذه الروايات .
 وليتضح لنا مدى التعارض بين الروايات الواردة في نزول هذه الآية
 فلنذكر أولاً هذه الروايات ، وبعد ذلك نحاول الجمع بينها والإجابة عن
 الإشكالات التي تطرح عليها :

الرواية الأولى : أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن
 سعيد بن المسيب عن أبيه قال : « لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه
 النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية ، فقال النبي ﷺ : أي عمّ
 قل لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله ، فقال أبو جهل وعبد الله بن
 أبي أمية : يا أبا طالب ، أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال النبي ﷺ
 لأستغفرن لك ما لم أنه عنك ، فنزلت ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ
 يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ
 الْجَحِيمِ ﴾ » (٢) .

الرواية الثانية : وأخرج الإمام أحمد في مسنده من طريق سفيان
 الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الخليل عن عليّ قال : « سمعت رجلاً

(١) انظر الإتيان (١٠٦/١) وهذا القول هو القول الذي ترجح عند الإمام السيوطي - رحمه
 الله - .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (١٩٢/٨) كتاب التفسير ، باب ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ
 يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ حديث رقم (٤٦٧٥) والحديث أخرجه البخاري أيضاً
 في الجنائز ، حديث رقم (١٣٦٠) . وفي مناقب الأنصار برقم (٣٨٨٤) وفي كتاب
 التفسير أيضاً ، تفسير سورة القصص ، برقم (٤٧٧٢) . وفي كتاب الإيمان والنذور
 برقم (٦٦٨١) .

يستغفر لأبويه وهما مشركان ، فقلت : تستغفر لأبويك وهما مشركان ؟ قال : أليس قد استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك؟ فذكرت ذلك للنبي ﷺ ، فنزلت ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ إلى آخر الآيتين . قال عبد الرحمن : فأنزل الله ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾ (١) .

الرواية الثالثة : أخرج الحاكم من طريق ابن وهب عن أيوب بن هاني عن مسروق بن الأجدع عن ابن مسعود قال : « خرج رسول الله ﷺ ينظر في المقابر ، وخرجنا معه ، فأمرنا فجلسنا ثم تخطا القبور حتى انتهى إلى قبر منها فناجاه طويلاً ثم ارتفع نجيب رسول الله ﷺ باكياً فبكينا لبكائه ، ثم أقبل إلينا فتلقاه عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ما الذي أبكاك ؟ فقد أبكنا وأفزعنا ، فجاء فجلس إلينا فقال : أفزعكم بكائي؟ فقلنا نعم يا رسول الله ، فقال : إن القبر الذي رأيتموني أناجي فيه قبر أمي آمنة بنت وهب ، وإنني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فيه ، فاستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه ونزل علي ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ حتى ختم الآية ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾ فأخذني ما يأخذ

(١) المسند (٢/٢٤٤ برقم ١٠٨٥) طبعة شاكر ، وصححه الشيخ أحمد شاكر ، والحديث أخرجه الإمام أحمد أيضاً مختصراً (١١٦-١١٧ برقم ٧٧١) طبعة شاكر ، والترمذي وحسنه . سنن الترمذي مع تحفة الأحوذى (٨/٤٠٠-٤٠١ برقم ٣٣٠٠) ، وأبو يعلى في مسنده برقم (٦١٩) ، والحاكم في المستدرک (٢/٣٣٥) وصححه ووافقه الذهبي كلهم من طريق وكيع عن سفيان به ، وأخرجه أيضاً النسائي في الجناز برقم (٢٠٣٥) والطبري في التفسير (١٤/٥١٤-٥١٥ برقم ١٧٣٣٤) كلاهما من طريق عبد الرحمن عن سفيان به .

وحسنه الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح سنن النسائي (٢/٤٣٧ برقم ١٩٢٥) .

الولد لوالده من الرقة فذلك الذي أبكاني . » (١)

الجمع بين هذه الروايات :

جمع بعض أهل العلم - رحمهم الله - بين هذه الروايات جمعاً وجيهاً ، ومن هؤلاء أبو جعفر الطحاوي ، والواحدي ، والحافظ ابن حجر ، وبما أن جمع الحافظ ابن حجر - رحمه الله - أشملهم وأوفاهم في حل إشكال تعارض الروايات فإننا نبدأ بذكره .

رأي الحافظ ابن حجر في الجمع بين هذه الروايات :

يرى الحافظ - رحمه الله - أن قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآية لم ينزل عقب وفاة أبي طالب مباشرة ، وإنما كان نزولها متأخراً عن ذلك بمدة طويلة ، بمعنى أن نزولها كان بعد كل

(١) المستدرک (٣٣٦/٢) وقد صححه الحاكم ، وتصحيحه هذا الحديث فيه تساهل ؛ ففي إسناده ابن جريج وقد عنعن ، وفيه أيوب بن هاني وقد ضعفه الذهبي . انظر التلخيص بحاشية المستدرک (٣٣٦/٢) وقال عنه الحافظ ابن حجر : « صدوق وفيه لين » .
التقريب (٩١/١) .

ولكن الحديث يحسن بمتابعاته وشواهد ، فمن الشواهد :
أ - ما أخرجه الطبري من طريق عطية العوفي عن ابن عباس مختصراً ، وإسناده ضعيف .
انظر : تفسير الطبري (٥١٢/١٤) برقم (١٧٣٣١) .

ب - ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن ابن عباس (٣٧٤/١١) برقم (١٢٠٤٩) وضعفه الحافظ ابن كثير . انظر : تفسير ابن كثير (٤٠٨/٢) .
وأما المتابعات فمنها :

أ - ما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره مطولاً من طريق خالد بن حداث عن ابن وهب به . انظر : تفسير ابن أبي حاتم ، سورة التوبة ، الأثر (١٧٠٢) .
ب - ما أخرجه الواحدي في أسباب النزول من طريق محمد بن يعقوب الأموي عن محمد بن نصر عن ابن وهب به . انظر : أسباب النزول (ص : ٢٦٢-٢٦٣) .

الحوادث التي ذكرتها الروايات ، وفي هذا يقول في معرض شرحه لحديث وفاة أبي طالب : « أما نزول هذه الآية الثانية - أي قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ الآية - فواضح في قصة أبي طالب ، وأما نزول التي قبلها ففيه نظر ؛ ويظهر أن المراد أن الآية المتعلقة بالاستغفار نزلت بعد أبي طالب بمدة وهي عامة في حقه وفي حق غيره . » (١) .

وقال أيضاً عند تفسيره لآية التوبة : « والترجيح أن نزولها كان مترخياً عن قصة أبي طالب جداً ، وأن الذي نزل في قصته ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ » (٢)

واستدل الحافظ - رحمه الله - على تأخر نزول الآية بالأدلة التالية :
أولاً : الروايات والطرق العديدة الدالة في نزول الآية في غير قصة أبي طالب ، فقال بعد أن أورد بعض الروايات في غير قصة أبي طالب : « فهذه طرق يعضد بعضها بعضاً ، وفيه دلالة على تأخير نزول الآية عن وفاة أبي طالب . » (٣)

ووجه استشهاد الحافظ - رحمه الله - لهذه الروايات هو أنه لو كانت الآية نزلت عقب وفاة أبي طالب لم يكن النبي ﷺ يخالف أمر ربه في نهيهِ عن الاستغفار للمشرّكين .

(١) الفتح (٢٣٥/٧) وقال النووي - رحمه الله - في شرح مسلم : « وأما قوله ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ الآية فقد أجمع المفسرون على أنها نزلت في أبي طالب ، وكذا نقل إجماعهم على هذا الزجاج وغيره » .
 المنهاج على شرح صحيح مسلم (٢١٥/١) ، وانظر : معاني القرآن للزجاج (١٤٩/٤) .

(٢) الفتح ١٩٠/٨ .

(٣) الفتح (٣٦٧/٨) .

ثانياً : استغفاره ﷺ للمنافقين ، فقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ لما مات عبد الله ابن أبي بن سلول قال : ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾ وسأزيده على السبعين « (١) .

قال الحافظ - رحمه الله - مشيراً إلى ذلك : « ويؤيد تأخير النزول ما تقدم في تفسير براءة من استغفاره ﷺ للمنافقين حتى نزل النهي عن ذلك ، فإن ذلك يقتضي تأخير النزول . » (٢)

ثالثاً : ما ثبت أنه ﷺ قال يوم أحد بعد أن شج وجهه « رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » . (٣)

ومن خلال كلام الحافظ - رحمه الله - يبدو أنه يرى أن هذه الآية من باب تعدد الأسباب ، وليست من باب تعدد النزول كما يقول الإمام السيوطي - رحمه الله - (٤) ، وصرح الحافظ في ذلك بقوله : « ويؤيد تعدد السبب ما أخرجه أحمد » (٥) ، ثم ذكر رواية الإمام أحمد عن عليّ التي سبق ذكرها . (٦)

توجيه أبي جعفر الطحاوي :

وقال الطحاوي : - رحمه الله - بعد أن أورد كل الروايات التي ذكرنا : « فالله أعلم بالسبب الذي كان فيه نزول ما قد تلونا غير أنه قد

(١) جزء من حديث البخاري ، انظر : صحيح البخاري مع الفتح (٨/١٨٤ برقم ٤٦٧٠)

كتاب التفسير ، باب ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ .

(٢) الفتح (٨/٣٦٧) .

(٣) انظر : المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٤) انظر : الإتيان (١/١٠٦) .

(٥) الفتح (٨/٣٦٨) .

(٦) انظر : (ص : ٥٧٠ - ٥٧١) .

يجوز أن يكون نزول ما قد تلونا بعد أن كان جميع ما ذكرنا من سبب أبي طالب ، ومن سبب علي رضي الله عنه فيما كان سمعه من المستغفر لأبويه ، ومن زيارة النبي ﷺ قبر أمه ، ومن سؤال ربّه عز وجل عن ذلك الإذن له في الاستغفار لها ، فكان نزول ما تلونا جواباً عن ذلك كله» (١).

توجيه الواحدي :

إن توجيه الواحدي - رحمه الله - بين الروايات السابقة يتلخص كذلك بما قاله الحافظ ابن حجر والطحاوي - رحمهما الله - من تأخر نزول الآية عن وفاة أبي طالب ، حيث قال تعقياً على استبعاد الحسين بن الفضل (٢) بنزول الآية في شأن أبي طالب قال : «وهذا الاستبعاد مستبعد فأبي بأس أن يقال : كان عليه الصلاة والسلام يستغفر لأبي طالب من ذلك الوقت إلى وقت نزول الآية ، فإن التشديد مع الكفار إنما ظهر في هذه السورة» (٣) .

(١) شرح مشكل الآثار للطحاوي (٢٨٦/٦) .

(٢) ونصه كما في الكشف والبيان للثعلبي : « وهذا - أي نزول الآية في أبي طالب - بعيد ؛ لأن السورة من آخر ما نزل من القرآن ، ومات أبو طالب في عفوان الإسلام والنبي ﷺ بمكة . » الكشف والبيان (١٥٢/٦ ق/ب) .

(٣) بواسطة روح المعاني (٣٣/١١) ، ولم أجد هذا النص في كتب الواحدي المتوفرة بين يديّ كأسباب النزول ، والوجيز في التفسير ، والوسيط بين الوجيز والبسيط ، والآثران طبعاً أخيراً ، فقد صدر الأول عن دار القلم بدمشق في مجلدين بتحقيق صفوان الداودي ، وأما الآخر فقد صدر عن دار الكتب العلمية ببيروت في أربعة مجلدات بتحقيق مجموعة من المحققين تصرفوا في عنوان الكتاب حيث سموه « الوسيط في تفسير القرآن المجيد » . كما لم أجد هذا النص أيضاً في كتاب الواحدي الكبير « البسيط في التفسير » الذي مازال مخطوطاً ، وتوجد في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة نسخة مصورة من هذا التفسير برقم (٨٨٢٩) عن الأصل المحفوظ في مكتبة شهيد علي في استنبول بتركيا ، كما توجد نسخة أخرى برقم (٩٢٧١) عن الأصل المحفوظ في دار

وذكر العلامة الألوسي - رحمه الله - أن هذا التوجيه اعتمد عليه جمع من العلماء واستحسنوه ، فإنه قال بعد أن ذكر قول الواحدي : « وعليه لا يراد بقوله : فنزلت في الخبر أن النزول كان عقب القول بل يراد أن ذلك سبب النزول ، فالفاء فيه للسببية لا للتعقيب ، واعتمد على هذا التوجيه كثير من جلة العلماء وهو توجيه وجيه . » (١)

→

الكتب المصرية ، وكلتا النسختين سقطت منهما سورة التوبة .
وغالب الظن أن نص الواحدي المذكور في هذا التفسير ، ويقوي هذا الظن أمور ثلاثة :
أولاً: مما هو معلوم أن الواحدي - رحمه الله - تلميذ للثعلبي ، ولأجل هذا كثيراً ما ينقل عن تفسير الثعلبي ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « وأما الواحدي فإنه تلميذ الثعلبي ، وهو أحبر منه بالعربية ، لكن الثعلبي فيه سلامة من البدع ، وإن ذكرها تقليداً لغيره » . مقدمة في أصول التفسير (ص : ١١١) .
وقد ذكر الثعلبي استبعاد الحسين بن الفضل في نزول الآية في أبي طالب عند تفسيره لآية التوبة ، فلا مانع إذاً أن يذكر الواحدي ذلك الاستبعاد مع التعقيب الذي نقله عنه الألوسي عند تفسيره لتلك الآية .

انظر : الكشف والبيان (١٥٢/٦ ق/ب) ، وروح المعاني (٣٣/١١) .
ثانياً : لا يعلم للواحدي تفسير غير تفاسيره الثلاثة «الوجيز» ، و«الوسيط» ، و«البسيط» ، فإذا لم نجد النص في تفسيره الوجيز ، والوسيط ، إضافة إلى كتابه «أسباب النزول» ، فلا مناص إذاً بوجود النص في القسم الساقط من البسيط .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مشيراً إلى تفاسير الواحدي الثلاثة : « وتفسيره - أي الثعلبي - وتفسير الواحدي البسيط والوسيط والوجيز فيها فوائد جلية ، وفيها غث كثير من المنقولات الباطلة وغيرها » . مقدمة في أصول التفسير (ص : ١١١) .

ثالثاً : نقولات الواحدي عن الحسين بن الفضل كثيرة في كتابه البسيط أكثر من مؤلفاته الأخرى ، فقد أحصيت منها في سورة الفاتحة فقط ثلاثة نقولات ، ومما سبق أجدني مطمئناً إلى أن تعقيب الواحدي لقول الحسين بن الفضل يوجد في كتابه «البسيط في التفسير» . - والله أعلم - .

(١) روح المعاني (٣٣/١١) ، وانظر المعاني التي ترد بها الفاء في العربية : مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري النحوي (١٦١-١٦٨) .

وخلاصة القول : أن هذه الآية من الآيات التي تعدد أسبابها ، وقد تأخر نزولها كما سبق بيانه ، وبهذا يمكن أن تجمع بين الروايات ، أما ما ذكره الإمام السيوطي - رحمه الله - من القول بتعدد النزول (١) ، فلا أرى اللجوء إلى ذلك إلا إذا تعذر الجمع ، والجمع قد أمكن هنا .
قال صاحب المراقي :

والجمع واجب متى ما أمكنا إلا فلأخير نسخ بينا (٢)
وقد يقول قائل : لماذا لا نأخذ الرواية الراجحة التي وردت في الصحيحين ونترك الروايات الأخرى الواردة في غيرهما ؟
والجواب : يلزم من ذلك ترك رواية صحيحة ، فالرواية الثانية التي أخرجها الإمام أحمد في مسنده أقلّ درجتها أنها حسنة ، وكما سبق في تخريجها حسنها الإمام الترمذي ، وصححها الحاكم ، كما صححها أيضا الأستاذ أحمد شاكر ، وحسنها الشيخ الألباني (٣) .
قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « ولا مانع أن تنزل الآية لأسباب تتقدمها فلا يعدل للترجيح مع ظهور الجمع وصحة الطرق » (٤) .

(١) انظر : الإتيان (١٠٦/١) .

(٢) متن مراقي المسعود (ص: ١٦١) .

(٣) انظر تخريج الرواية والحكم عليها : (ص : ٥٧١) .

(٤) الفتح (٤٥٦/٨) .

إشكال والجواب عنه : (١)

سبق أن قلنا إن قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾ الآية تأخر نزوله عن وفاة أبي طالب بمدة طويلة إلا أنه يشكل على هذا ما أخرجه ابن سعد في طبقاته حيث قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثني معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليّ قال : « أخبرت رسول الله ﷺ بموت أبي طالب فبكى ، ثم قال اذهب فاغسله وكفنه وواره ، غفر الله له ورحمه ، قال ففعلت ما قال ، وجعل رسول الله ﷺ يستغفر له أياماً ، ولا يخرج من بيته حتى نزل عليه جبريل عليه السلام بهذه الآية ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ ﴾ قال عليّ : وأمرني رسول الله ﷺ فاغتسلت » (٢).

وجه الإشكال :

إن هذا السبب واضح في أن نزول الآية كان قبل الهجرة ، قال العلامة الألوسي - رحمه الله - بعد أن أورد هذا السبب في تفسيره : « فإنه ظاهر في أن النزول قبل الهجرة ؛ لأن عدم الخروج من البيت فيه مغياً به ، اللهم إلا أن يقال بضعف الحديث لكن لم نر من تعرض له » (٣).

(١) الإجابة عن الإشكالات والشبهات منهج علمي معروف لدى السلف .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « ومعلوم أن العلم إنما يتم بصحة مقدماته والجواب عن معارضاته ليحصل وجود المقتضى وزوال المانع » . الصفدية لابن تيمية (٢٨٦/١) .

(٢) طبقات ابن سعد (١/١٢٣) ، وسيأتي قريباً الحكم على الأثر عند الجواب على الإشكال .

(٣) روح المعاني (١١/٣٣) .

الجواب على الإشكال :

لا تشكل علينا هذه الرواية إذا عرفنا أنها لا تنهض أمام الروايات الصحيحة السابقة ، ففي إسنادها محمد بن عمر الواقديّ - صاحب السيرة - وهو متروك الحديث ، فقد سئل أبو زرعة الرازي عن الواقديّ فقال : « ترك الناس حديثه » (١) .

وقال ابن حبان : « كان يروي عن الثقات المقلوبات ، وعن الثقات المعضلات حتى ربما سبق إلى القلب أنه كان المتعمد لذلك » (٢)
وقال ابن عديّ : « ومتون أخبار الواقديّ غير محفوظة ، وهو يئس الضعف ، والبلاء منه » (٣)

ولخص الحافظ ابن حجر القول فيه فقال : « متروك مع سعة علمه » (٤)

وهنا قضية مهمة ينبغي أن يتفطن إليها الباحثون وهي أن أهل العلم حينما يقولون إن الواقديّ متروك الحديث لا يعني أن رواياته التاريخية كلها تضرب عرض الحائط ، بل يستفاد منها فيما يتعلق بوصف الأحداث التاريخية مما ليس له علاقة بالعقيدة والشريعة .

فهاهو الذهبي - رحمه الله - يقول : « وقد تقرر أن الواقديّ ضعيف يحتاج إليه في الغزوات والتاريخ ، ونورد آثاره من غير احتجاج ، أما في الفرائض فلا ينبغي أن يذكر » (٥) .

(١) أحوية أبي زرعة على أسئلة البرذعي ضمن كتاب « أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية » للدكتور سعدي الهاشمي (٥١١/٢) .

(٢) المجروحين لابن حبان (٢٩٠/٢) .

(٣) الكامل لابن عديّ (٢٢٤٥/٦) .

(٤) التقريب (١٩٤/٢) .

(٥) السير (٤٦٩/٩) .

وقال أيضاً : « وقول من أهدره فيه مجازفة من بعض الوجوه ، كما أنه لا عبرة بتوثيق من وثقه » (١) .

ويقول أيضاً : « جمع فأوعى ، وخلط الغث بالسمين ، والخرز بالدر الثمين ، فاطرحوه لذلك ، ومع هذا فلا يستغنى عنه في المغازي وأيام الصحابة وأخبارهم » (٢) .

وها هو الحافظ ابن حجر - رحمه الله - الذي حكم على الواقديّ بأنه متروك يقول : « والواقديّ إذا لم يخالف الأخبار الصحيحة ولا غيره من أهل المغازي فهو مقبول عند أصحابنا » (٣) .

(١) المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٢) المصدر السابق (٩/٤٥٤) .

(٣) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعيّ الكبير لابن حجر (٢/٢٩١) .

المطلب الثاني :

في قوله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١﴾

ذهب إلى القول بمكية هاتين الآيتين بعض أهل التفسير ، وأوردتهم

على حسب الترتيب الزمني :

١ - مقاتل بن سليمان . (٢)

٢ - أبو القاسم النيسابوري . (٣)

٣ - ابن عطية . (٤)

٤ - ابن الفرس . (٥)

٥ - ابن الجوزي . (٦)

٦ - الرازي . (٧)

٧ - أبو حيان . (٨)

(١) سورة التوبة ، الآيتان (١٢٨-١٢٩) .

(٢) انظر : تفسير مقاتل بن سليمان (١٥٣/٢-١٥٤) .

(٣) انظر : التنزيل وترتيبه (٢٢٧ق/أ) ، وذكره الزركشي في البرهان نقلاً عن أبي القاسم النيسابوري . انظر البرهان (٢٠٢/١) .

(٤) انظر : المحرر الوجيز (١٢٣/٨) .

(٥) انظر : أحكام القرآن لابن الفرس (٢١١ق/٢) .

(٦) انظر : زاد المسير (٣٨٨/٣) .

(٧) انظر : تفسير الرازي (٢٢٣/١٥) .

(٨) انظر : البحر المحيط (٣٦٥/٥) ، والعجيب أن أبا حيان نسب هذا القول إلى الجمهور .

مستند القول بمكية هاتين الآيتين :

لم أجد أي مستند لهذا القول ، ولعلّ ما تدل عليه الآيتان من حرص الرسول ﷺ على قومه ، ورحمته بهم هو الدافع إلى القول بمكيتهما ؛ إذ أنهم ظنوا أن هذه الأمور مناسبة في المرحلة المكية .

مناقشة القول بمكية الآيتين :

إن أول أمر ينقض القول بمكية هاتين الآيتين هو ما ورد أنهما آخر القرآن نزولاً في قول أبيّ بن كعب - ؓ - .
فقد أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبيّ بن كعب : « أنهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة أبي بكر - ؓ - فكان رجال يكتبون ويملئ عليهم أبي بن كعب ، فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة ﴿ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ فظنوا أن هذا آخر ما أنزل من القرآن ، فقال لهم أبي بن كعب : إن رسول الله ﷺ أقر أنني بعدها آيتين ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ إلى ﴿ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ثم قال : هذا آخر ما أنزل من القرآن . قال : فختتم بما فتح به با الله الذي لا إله إلا هو وهو قول الله تبارك وتعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ ^(١) (٢) .

(١) سورة الأنبياء ، الآية (٢٥) .

(٢) المسند (٥/١٧٧-١٧٨ رقم ٢١٢١٨) طبعة المكتبة الإسلامية المرقمة .

وإسناده حسن ؛ لأن ما يرويّه أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية ←

وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند أيضاً من طريق علي بن زيد عن يوسف المكي عن ابن عباس عن أبي قال : « آخر آية نزلت ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ الآية » (١)

من خلال هاتين الروایتين يبدو أن دعوى المكية لا تثبت ، وثم أمر آخر ينبغي أن يلاحظ وهو أن اعتماد هذه الدعوى هو موضوع الآيتين كما ذكرت ، والاعتماد على الموضوع فحسب دون الرجوع إلى الروايات - إن كانت - منهج غير سليم ، على أن ذكر الآيتين في ختام هذه السورة جاء لمناسبة معينة بينها شيخ هذا الفن في كتابه « نظم الدرر في تناسب الآيات والسور » .

→

نسخة ، والأثر أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (ص: ٣٨) من طريق محمد بن سعيد عن أبي جعفر به ، وابن أبي داود في كتاب المصاحف بمثله ، وفيه زيادة ، (ص: ٩) وابن أبي حاتم في تفسيره ، سورة التوبة برقم (١٨٤٢) بنحوه ، والضياء المقدسي في المختارة بنحوه (٣/ ٣٦٠-٣٦١ برقم ١١٥٥) و (٣/ ٣٦١-٣٦٢ برقم ١١٥٦) ، وزاد الإمام السيوطي - رحمه الله - نسبته إلى أبي الشيخ وابن مردويه والخطيب البغدادي في تلخيص المتشابه . انظر : الدر (٣٣١/٤) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٩/٧) وقال : « رواه عبد الله بن أحمد وفيه محمد بن جابر الأنصاري وهو ضعيف . »

قلت : لم أجد في إسناده عبد الله بن أحمد هذا الرجل والله أعلم .

(١) المسند (١٥٧١٥ برقم ٢١١٠٥) طبعة المكتب الإسلامي ، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٥٨٨-٥٨٩ برقم ١٧٥١٤ ورقم ١٧٥١٥) ، والحاكم في المستدرک (٢/ ٣٣٨) ، والبيهقي في الدلائل (١٣٩/٧) ، كلهم من طريق شعبة عن علي بن زيد به .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال : « رواه عبد الله بن أحمد والطبراني ، وفيه علي بن زيد بن جدهان وهو ثقة سعي الحفظ ، وبقي رجاله ثقات » . مجمع الزوائد (٣٩/٧) .

يقول الإمام البقاعي : - رحمه الله - في الكتاب المذكور ما نصه :
« ولما أمر ﷺ أن يبلغ هذه الأشياء الشاقة جداً من أمر هذه السورة ،
وكان من المعلوم أنه لا يحمل ذلك إلا من وفقه الله تعالى ، وأما المنافقون
فيكرهون ذلك ، وكان انصرافهم دالاً على الكراهة ، عرفهم أن الأمر
كان يقتضي توفر دواعيهم على محبة هذا الداعي لهم المقتضي لملازمته
والبعد عما يفعلونه به من الانصراف عنه » (١) .

ويعضي الإمام البقاعي - رحمه الله - في بيان مناسبة الآيتين فيقول :
« وأورد سبحانه هذه الآية إيراد المخاطب المتلطف المزيل لما عندهم من
الريب بالقسم ، فكأنه قال ما لكم تنصرفون عن حضرة السماء وشمايله
العلی ، ثم أقبل عليه مسلياً له مقابلاً لإعراضهم إن أعرضوا بالإعراض
عنهم والبراءة منهم ملتفتاً إلى أول السورة الأمر بالبراءة من كل
مخالف » (٢) .

وعلاوة على ما ذكرنا فإن حديث الآيتين عن حرص الرسول ﷺ
على قومه لا يقتضي نزول الآيتين في مكة ؛ وكم من الآيات المدنية
مشملة على مثل ذلك ، أليس قول الله تبارك وتعالى ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٤٠٧/٣) .

(٢) المصدر السابق (٤٨٠/٣) ، وما ذكره الإمام البقاعي - رحمه الله - التفات آخر

السورة إلى أولها هو ما يعرف عند أهل البلاغة ردّ العجز إلى الصدر .

قال الأخضري في منظومته :

ومن ردّ عجز اللفظ على صدر ففي نثر بفقرة جلا

متن الجوهر المكنون في علم البلاغة (ص: ٥٤) .

وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ من آيات سورة آل عمران وهي مدنية باتفاق كما مرَّ (٢) .

نعم إن التحلي بالفضائل ، والصبر على المكاره ، ومكارم الأخلاق بصفة عامة مما يكثر حديثه في السور المكية ، ولكن هذا لا يعني أن السور المدنية لا تذكر بهذا .

شذرات من أقوال أهل العلم في نقد دعوى مكية الآيتين :

- ١ - قال القرطبي - رحمه الله - بعد أن ذكر ما ذهب إليه مقاتل من مكية الآيتين : « وهذا فيه بعد ؛ لأن السورة مدنية » (٣) .
- ٢ - ويقول السيوطي - رحمه الله - مبدئاً استغرابه لدعوى مكية الآيتين : « غريب ، كيف وقد ورد أنها آخر ما نزل » (٤) .
- ٣ - ويقول الآلوسي - رحمه الله - تعقيباً على رأي ابن الفرس السابق : « وهو مشكل بناءً على ما في المستدرک عن أبي بن كعب ،

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٦٤) .

(٢) انظر (ص : ٣٨٤) .

وبالنسبة للآخريّة المذكورة في الآية فقد سبق أن قلت : إن أرجح الأقوال في آخريّة الآيات هو قوله تعالى ﴿ وَأَقْوَامٌ يَوْمَئِذٍ جَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « وأصح الأقوال في آخريّة الآية قوله تعالى ﴿ وَأَقْوَامٌ يَوْمَئِذٍ جَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ » الفتح (٨/١٦٧) ، إذا آخريّة هذه الآية مقيدة بهذه السورة ، للمزيد من التفصيل انظر : (ص : ٤٥٥-٤٥٦) .

(٣) تفسير القرطبي (٣٠٣/٨) .

(٤) الإتيقان (٤٤/١) .

وأخرجه أبو الشيخ في تفسيره عن علي بن زيد عن يونس المكي عن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من أن آخر آية نزلت : ﴿لَقَدْ
جَاءَكُمْ﴾ إلخ « (١) .

٤ - وقال ابن عاشور - رحمه الله - : « وشذ ما روي عن مقاتل : أن
آيتين من آخرها مكيتان » (٢) .

وخلاصة القول : أن الآيتين مدنيتان كالسورة ، والقول بمكيتتهما
يتعارض مع ما ذكرنا من الروايات الثابتة ، كما أن هذا القول لا يستند
إلى دليل يذكر . والله اعلم .

(١) روح المعاني (٤٠/١٠) ، وانظر كلاماً نحو هذا في تفسير المنار (١٤٥/١٠) .

(٢) التحرير والتنوير (٩٧/١٠) .

الفصل الثاني :

الآيات المدعى مدنيته في السور المكية

وفيه تسعة مباحث :

المبحث الأول : الآيات المدعى مكيته في سورة الأنعام

المبحث الثاني : الآيات المدعى مكيته في سورة الأعراف

المبحث الثالث : الآيات المدعى مكيته في سورة يونس

المبحث الرابع : الآيات المدعى مكيته في سورة هود

المبحث الخامس : الآيات المدعى مكيته في سورة يوسف

المبحث السادس : الآيات المدعى مكيته في سورة إبراهيم

المبحث السابع : الآيات المدعى مكيته في سورة الحجر

المبحث الثامن : الآيات المدعى مكيته في سورة النحل

المبحث التاسع : الآيات المدعى مكيته في سورة الإسراء .

المبحث الأول :
الآيات المدعى مدنيته في سورة الأنعام

وفيه أحد عشر مطلباً :

المطلب الأول :

في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ
الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(١).

ذهب مقاتل بن سليمان - رحمه الله - إلى أن هذه الآية مدنية (٢) ،
كما ذكر السيوطي - رحمه الله - هذه الآية ضمن الآيات المستثناة من
مكية سورة الأنعام إلا أنه لم يعز القول باستثنائها إلى أحد من الأئمة (٣) .

مستند القول بمدنية هذه الآية :

يدو - والله أعلم - أن منشأ القول بمدنية هذه الآية هو أنه لما كان
الحديث في هذه الآية عن أهل الكتاب ، وأن للآية نظيرة في سورة البقرة
المدنية وهي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ
وَإِنْ فَرِقَا مِنْهُمْ لْيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^(٤) ، وكان من المعلوم أن صلة
الإسلام بأهل الكتاب كانت بعد الهجرة ، لما كان الأمر كذلك حكموا
على الآية بأنها مدنية .

فقد أخرج الطبري في تفسيره من طريق حجاج عن ابن جريج ،
قوله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ ﴾ يعني النبي ﷺ ،
قال : « زعم أهل المدينة عن أهل الكتاب ممن أسلم أنهم قالوا : والله
لنحن أعرف به من أبنائنا من أجل الصفة والنعته الذي نجده في الكتاب ،

(١) سورة الأنعام ، الآية (٢٠) .

(٢) انظر : تفسير مقاتل (٥٤٧/١) .

(٣) انظر : الإتيان (٤٣/١) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (١٤٦) .

وأما أبنائنا فلا ندري ما أحدث النساء» (١).

مناقشة هذا المسند :

سبق أن قلنا : إن القرآن المكي تحدث عن أهل الكتاب ، وإنَّ جَعَلَ حديثهم من مميزات القرآن المدني ليس مطرداً في جميع القرآن ، بل هو ضابط بالغلبة (٢) ، وعليه فإن هذه الآية كغيرها من الآيات المكية التي نزلت في مواجهة المشركين ، وذلك لتعليمهم أن أهل الكتاب الذين يعرفون الوحي والكتب السماوية يعرفون هذا القرآن .

وقد وردت روايات صحيحة تدل على أن أهل مكة كانوا يأتون أهل الكتاب ويسألونهم عن حال النبي ﷺ ، روى الترمذي بسند صحيح من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال : « قالت قريش ليهود : أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل ، فقالوا : سلوه عن الروح ، فسألوه عن الروح ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ » (٣) .

قال الزمخشري : « وهذا استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به وبصحة نبوته » (٤) .

وبالنسبة لما رواه الطبري من أن بعض أهل الكتاب قالوا : واللَّهِ

(١) تفسير الطبري (٢٩٥/١١) برقم (١٣١٣٣) ، وسبق الحكم على هذا الإسناد . انظر : (ص : ٥٤١) .

(٢) انظر بالتفصيل (ص : ١٧٥) .

(٣) سنن الترمذي مع تحفة الأحوذى (٤٦٥/٨-٤٥٨) برقم (٣٣٤٩) ، قال الحافظ ابن حجر: رجاله رجال مسلم. الفتح (٢٥٣/٨) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٦٩/٣) برقم (٢٥١٠) .

(٤) الكشف (١٠/٢) .

لنحسب أن أعرف به من أنبأنا من أجل الصفة والنعت الذي نجده في الكتاب ، وأما أنبأونا فلا ندري ما أحدث النساء فإنه ليس فيه التصريح بأن هذا هو سبب نزول الآية ، وحتى الواحد الذي كان يدخل في أسباب النزول ما ليس منها لم يذكر هذه الرواية كسبب للآية .

ومما يحتاج إلى التنبيه في هذا المقام أن بعض المفسرين يربطون بين روايات حدثت بالفعل وفيها معنى معيّن وبين معنى الآية المتضمنة للحكم ، ومن هنا يجعلون الرواية سبب نزول الآية ، وشواهد ذلك كثير وكثير ، ولو أردنا استعراض ذلك لطال بنا المقام (١) .

وأما ما يظنه البعض من أن وجود نظيرة للآية في سورة مدنية تجعل الآية كذلك مدنية فهو أمر لا يستلزم ؛ فهذا هو الحافظ ابن كثير يقول عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ الآية إلى قوله تعالى : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا ﴾ الآية (٢) قال : « تقدم تفسير هذا كله في سورة البقرة وهي مدنية ، وهذا السياق مكّي ، ونبها على الفرق بين هذا السياق وذاك بما أغنى عن إعادته هنا » (٣) .

وقال في سورة البقرة : « وهذه القصة شبيهة بالقصة التي في سورة الأعراف ، ولكن تلك مكية ، فلذلك كان الإخبار عنهم بضمير الغائب ؛ لأن الله تعالى يقص على رسوله ما فعل بهم ، وأما في هذه السورة وهي البقرة فهي مدنية ، فلهذا كان الخطاب متوجهاً إليهم » (٤) .

(١) انظر على سبيل المثال ما ذكرناه عند قوله تعالى : ﴿ لَيَجْعَلَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ ﴾ الآية

(ص : ٥٣٧) ، وكذلك ما سيأتي عند قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾

الآية ، انظر : (ص : ٥٩٧) .

(٢) سورة الأعراف ، الآيات (١٦٠-١٦٢) .

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٢٦٧) .

(٤) المصدر السابق (١/١٠٤) .

وهنا أمر آخر كذلك ينبغي الالتفات إليه وهو : أن هذه الآية مرتبطة بما قبلها وبما بعدها ، فالتلاحم بين الآيات الثلاث واضح كل الوضوح .
وفي هذا يقول سيد قطب - رحمه الله - : « وهذه الآية - كما رجحنا - مكية ، وذكر أهل الكتاب على هذا النحو - إذن - يفيد أنها كانت مواجهة للمشركون بأن هذا القرآن الذي ينكرونه يعرفه أهل الكتاب كما يعرفون أبناءهم ، وإذا كانت كثرتهم لم تؤمن به فذلك لأنهم خسروا أنفسهم ، فلم يدخلوا في هذا الدين ، والسياق قبل هذه الآية وبعدها كله عن المشركين ، مما يرجح مكيته كما قلنا من قبل في التعريف بالسورة » (١) .

والخلاصة : الآية مكية تبعاً لسورتها ، وذكر أهل الكتاب ليس بشبهة حتى يقال : إنها مدنية ، فهو لا يعدو أن يكون استشهاداً بموقفهم من القرآن ومن النبي ﷺ ، وقد تحدث القرآن المكي في آيات عديدة نحو هذا ، والله أعلم (٢) .

(١) في ظلال القرآن (٢/١٠٦) .

(٢) انظر آيات سورة الإسراء (١٠٧-١٠٩) ، وسورة القصص (٥٢-٥٣) ، والعنكبوت

(٤٧) ، وفي هذه السورة نفسها كما سيأتي الآية (١١٤) .

المطلب الثاني :

في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(١).

ذهب إلى القول بمدنية هذه الآية هبة الله بن سلامة^(٢) في كتابه «الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم»^(٣) ، كما نقل الحافظ ابن كثير في تفسيره قول الضحاک عن ابن عباس في هذه الآية : « هذه في المنافقين »^(٤) ، ومقتضى هذا التفسير عن ابن عباس أن الآية مدنية.

مناقشة القول بمدنية هذه الآية :

لو أمعنا النظر لنعرف منشأ القول بمدنية هذه الآية لتبين لنا أن الذي

(١) سورة الأنعام ، الآية (٢٣) .

(٢) هو هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي أبو القاسم الضرير المفسر المقرئ ، من مؤلفاته : الناسخ والمنسوخ ، والمسائل المثورة في النحو ، توفي - رحمه الله - سنة (٤١٠هـ) . ترجمته : غاية النهاية (٣٩/٢) ، طبقات المفسرين للدباوودي (٣٤٨/٢-٣٤٩) .

(٣) انظر : (ص ٦٧) .

(٤) تفسير ابن كثير (١٣١/٢) .

قد قيل : إن الضحاک لم يلق ابن عباس ، روى شعبة في السير عن مشاش قال : « سألت الضحاک هل لقيت ابن عباس ؟ فقال : لا » . السير (٥٩٨/٤) . وأخرج ابن سعد في الطبقات من طريق شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال : « لم يلق الضحاک ابن عباس ، إنما لقي سعيد بن جبیر بالري فأخذ عنه التفسير » . طبقات ابن سعد (٣٠١/٦) .

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في العجَاب : « إن الضحاک لم يسمع منه - أي ابن عباس - شيئاً » . العجَاب في بيان الأسباب (٥٠/أ) . ويقول أبو يعلى الخليلي : « والضحاک بن مزاحم لم يسمع من ابن عباس » . الإرشاد (٣٨٩/١) .

حملهم على هذا القول هو الخلط بين هذه الآية وبين آية المجادلة ، وهي قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (١) .

وقد صرح الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في ذلك حيث قال معقباً على أثر الضحاك عن ابن عباس الذي أوردناه قبل قليل : « وفيه نظر ؛ فإن هذه الآية مكية ، والمنافقون إنما كانوا بالمدينة ، والتي نزلت في المنافقين آية المجادلة : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ ، وكذا قال في حق هؤلاء : ﴿ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ كقوله - أي عن المشركين في سورة غافر - : ﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ من دون الله قالوا ضلُّوا عنَّا بل لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) « (٣) .

وكأن الحافظ ابن كثير - رحمه الله - يقول بلسان حاله لمن ذهب إلى أن هذه الآية مدنية : لقد أخطأتم فهي مكية وجاءكم الخطأ من أنكم ظننتم أن الحلف في آية الأنعام : ﴿ وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُفَّا مُشْرِكِينَ ﴾ هو الحلف المذكور في آية المجادلة : ﴿ فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ ، والمجادلة مدنية ، وآياتها في المنافقين .

ومما يدل على أن آية الأنعام تتحدث عن المشركين ولا علاقة لها بالحديث عن المنافقين ما أخرجه الطبري في تفسيره من طريق ابن

(١) سورة المجادلة ، الآية (١٨) .

(٢) سورة غافر ، الآيتان (٧٣-٧٤) .

(٣) تفسير ابن كثير (١٣١/٢) .

أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى : ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُفَّ الْمُشْرِكِينَ﴾ قال : « قول أهل الشرك حين رأوا الذنوب تغفر ولا يغفر الله لمشرك ، انظر كيف كذبوا على أنفسهم بتكذيب الله إياهم » (١).

ومما يؤكد مكية هذه أيضاً أن قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُفَّ الْمُشْرِكِينَ﴾ معطوف « بثم » على جملة « ثم نقول » من قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٢) ، وحرف « ثم » كما هو مقرر في القواعد النحوية موضوع للترتيب الرتبي (٣).

(١) تفسير الطبري (٣٠٣/١١) برقم (١٣١٤١) ، وابن أبي نجيح هو عبد الله بن يسار المكي الثقفي مولاهم ، قال الحافظ ابن حجر : « ثقة ، رمي بالقدر ، ورعاً دلس » .
التقريب (٤٥٦/١) .

وفي إسناد الطبري أيضاً محمد بن عمر أبو بكر الباهلي ، وأبو عاصم الضحاك بن مخلد ، وعيسى بن ميمون ، وكلهم ثقات .

هذا وقد تكلم في رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد ، فقد نقل الذهبي عن يحيى بن سعيد القطان قوله : « إنه لم يسمع التفسير كله من مجاهد بل كله عن القاسم بن أبي برة » .
وعقب الذهبي على هذا القول ، فقال : « هو من أخص الناس بمجاهد » ، ثم نقل الذهبي قول ابن المديني حيث قال : « أما التفسير فهو فيه ثقة بعلمه ، قد قفز القنطرة واحتج به أرباب الصحاح ، ولعله رجع عن البدعة ، وقد رأى القدر جماعة من الثقات وأخطأوا » . انظر : السير (١٢٥/٦-١٢٦) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وقول القائل : لا تصح رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد جوابه : أن تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد من أصح التفاسير بل ليس بأيدي أهل التفسير كتاب في التفسير أصح من تفسير ابن أبي نجيح إلا أن يكون نظيره في الصحة » .
مجموع الفتاوى (٤٠٩/١٧) .

وللمزيد من التفصيل في هذه الرواية انظر ما كتبه شيخنا الدكتور حكمت بشير في مقدمة كتابه : التفسير الصحيح - موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور - (ص ٦٠-٦٣) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (٢٢) .

(٣) انظر : الأصول في النحو لابن السراج (ص : ٣١٦) ، مغني اللبيب (١/١١٧) ، الجنى

والذي أريد أن أخلص إليه من تمهيد تلك القاعدة اللغوية هو أن سياق الآيات الثلاث ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا... انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ متماسك تماسكاً قوياً ، الأمر الذي يبعد أن يكون بعضه نزل في مكة ، والبعض الآخر في المدينة.

ولعل سائلاً يسأل فيقول : إذا قررتم أن آية الأنعام ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ تَكُنْ فَتَسْتَهُمُ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كَانُوا مُشْرِكِينَ﴾ مكية ، وأنها في المشركين الذين كانوا في مكة ، وليست في المنافقين الذين كانوا في المدينة إذا قررتم ذلك فهل مثل هذا المعنى - أي إنكار الكفار بأنهم مشركون - جاء في القرآن المكي ؟

والجواب : قد جاء في القرآن المكي مثل هذا المعنى ، فهذا هو قوله تعالى في سورة غافر المكية وهو يتحدث عن المشركين يقول : ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ (١).

ومن هنا نجد أن الحافظ ابن كثير - رحمه الله - ذكر آية غافر عند تفسيره لآية الأنعام في معرض تعقيبه على قول الضحاك عن ابن عباس الذي سبق ذكره (٢)، وما ذلك إلا لأن آية غافر نظيرة لآية الأنعام .

وخلاصة القول : أن ما اعتمدت عليه دعوى مدنية هذه الآية كان اجتهداً محضاً ، وقد بان لنا خطؤه ، ويا للأسف توضع مثل هذه الاجتهادات في بعض المصاحف ، وكأنها قضية مسلمة .

→

الداني في حروف المعاني للمرادي (ص : ٤٢٦) ، معجم القواعد العربية في النحو والصرف (ص : ٤٢٦) .

(١) سورة غافر ، الآيتان (٧٣-٧٤) .

(٢) انظر (ص : ٥٩٤) .

المطلب الثالث :

في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١).

حكى ابن عطية - رحمه الله - في تفسيره أنه من المحتمل أن تكون هذه الآية مدنية بناءً على أنها نزلت في قصة الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن الفزاري حينما وفدا إلى النبي ﷺ بالمدينة (٢).

وقد وقع التصريح بأن الآية نزلت بسبب ذلك في سنن ابن ماجه ، فقد أخرج ابن ماجه من طريق أسباط عن السدي عن أبي سعيد الأزدي عن أبي الكنود عن خباب بن الأرت في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ قال : جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين ، فلما رأوهم حول النبي ﷺ حقروهم ، فأتوه فخلوا به ، وقالوا : إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هذه الأعباء ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك ، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت ، قال : « نعم » ، قالوا : فاكتب لنا عليك كتاباً ، قال : فدعا بصحيفة ، ودعا

(١) سورة الأنعام ، الآية (٥٢) .

(٢) انظر : المحرر الوجيز (٥٦/٦-٥٧) .

وقد وفد الأقرع وعيينة إلى النبي ﷺ بالمدينة سنة تسع . انظر : الفتح (٤٥٥/٨) .

علياً ليكتب ، ونحن قعود في ناحية ، فنزل جبريل عليه السلام ، فقال : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن ، فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ ثم قال : وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه ﴿ قال : فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته ، وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا ، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا ، فأنزل : ﴿ وَأَصْبِرْ فَسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ [ولا تجالس الأشراف] تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا [يعني عيينة والأقرع] وأتبع هوده وكان أمره فرطاً ﴿ (قال : هلاكاً) قال : أمر عيينة والأقرع ، ثم ضرب لهم مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا ، قال خباب : فكنا نقعد مع النبي ﷺ ، فإذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم » (١).

مناقشة ما حكاه ابن عطية من نزول الآية في قصة الأقرع

ابن حابس وعيينة بن حصن الفزاري :

إن ما حكاه ابن عطية - رحمه الله - من نزول الآية في قصة

الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن نوقش بما يلي :

أولاً : أن هذا القول مخالف لما ثبت في صحيح مسلم من حديث

سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال : « كنا مع النبي ﷺ ستة نفر ، فقال

(١) سنن ابن ماجه (٣٨٢/٢) برقم (٤١٢٧) ، كتاب الزهد ، باب مجالسة الفقراء ، وسبق

الحكم على إسناده (ص : ٢٤٩) هامش رقم (١) .

المشركون للنبي ﷺ : اطرده هؤلاء لا يجترئون علينا ، وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل ، ورجلان لست أسميهما ، قال : فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع ، فحدث نفسه ، فأُنزل الله عز وجل : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ الآية » (١).

ثانياً : وعلى فرض صحة نزول الآيات في قصة الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فإن ما في صحيح مسلم هو المعتمد في السببية . قال الإمام السيوطي - رحمه الله - في معرض ترجيحه بين روايات أسباب النزول : « وإن ذكر واحد سبباً ، وآخر سبباً غيره ، فإن كان إسناد أحدهما صحيحاً دون الآخر فالصحيح المعتمد » (٢).

ثالثاً : أن موضوع سخرية فقراء المسلمين من قبل زعماء الكفار كان مما يكثر الأخذ والردّ فيه بين النبي ﷺ وبين زعماء الكفار ، وبهذا يمكن أن تحمل قصة الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن بأن وقع ذلك منهما ، فأجابهم رسول الله ﷺ بهذه الآية التي نزلت في نظير اقتراحهما .

أما أن يقال أن ذلك كان هو السبب فهو أمر مستبعد مخالف لما في الصحيح ؛ إذ إن السلف الصالح - رحمهم الله - قد يريدون بقولهم : « نزلت الآية في كذا » أن لفظ الآية مما يشمل ذلك ، لا أنه كان سبباً لنزول الآية حقيقة (٣).

(١) صحيح مسلم (١٨٧٨/٤) برقم (٢٤١٣) كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل سعد بن أبي وقاص .

(٢) الإتيقان (١٠٢/١) .

(٣) للمزيد من التفصيل في توضيح هذه العبارة انظر ما كتبه عند قوله تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً﴾ الآيات .

يقول الدكتور مصطفى مسلم معقّباً على ما أورده عبد الرزاق في تفسيره من نزول هذه الآية في عيينة بن حصن قال : « من المعلوم أن سورة الأنعام مكية ، وإسلام عيينة بن حصن كان بعد الهجرة ، فلعل طلبه طرد فقراء المسلمين وقع ، ولكن لم يكن سبباً لنزول الآية ، وقد وقع مثل هذا الطلب من زعماء قريش في المرحلة المكية ، فالأنسب أن تكون الآية نزلت بعد طلب القرشيين إبعاد الضعفاء من المسلمين » (١).

رابعاً انتقد بعض نقاد المفسرين نزول الآية في قصة الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن ، وفي هذا يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بعد أن أورد القصة من طريق ابن أبي حاتم : « وهذا حديث غريب ، فإن هذه الآية مكية ، والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر » (٢).

والخلاصة : أن وقوع قصة في المدينة قال به بعض السلف : نزلت الآية في تلك القصة لا يستلزم الحكم على الآية بأنها مدنية ، إذا كان لها نظائر سابقة في مكة ، كانت هي الأسباب حقيقة ، لا سيما وقد عرفنا مراد السلف بقولهم : « نزلت الآية في كذا » .

(١) تفسير عبد الرزاق (٢٠٧/٢) هامش رقم (٢) .

(٢) تفسير ابن كثير (١٣٩/٢) ، وانظر أثر ابن أبي حاتم في تفسيره ، سورة الأنعام ، برقم (٢٧٥) .

المطلب الرابع :

في قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (١)

إن البحث في مكية هذه الآية أو مدنيته عويص ، ولا أدل على ذلك مما قاله الإمام الرازي في تفسيره إذ يقول في بداية حديثه عن هذه الآية : « في هذه الآية بحث صعب » (٢). وقال أيضاً في ختام حديثه عن هذه الآية : « فهذا ما يحضرنا في هذا البحث الصعب » (٣) .

ولننظر أقوال العلماء وأدلة كل قول في هذه الآية :

للعلماء في هذه الآية قولان :

القول الأول : إن الآية مستثناة من مكية السورة ، إذ كون السورة

نزلت جملة بمكة لا يمنع وجود بعض آيات منها بالمدينة ، وقد روي هذا القول عن ابن عباس من طريق الكلبي (٤) ونسب إلى قتادة (٥) كما قد

(١) سورة الأنعام الآية (٩١) .

(٢) تفسير الرازي (٧٨/١٣) .

(٣) المصدر السابق (٨١/١٣) .

(٤) انظر : معالم التنزيل للبغوي (١٢٥/٣) .

(٥) انظر : زاد المسير (٣/٣) .

ذهب إليه جمع من المفسرين ، وهم مقاتل بن سليمان ، والنقاش (١) ،
وهبة الله بن سلامه ، والثعلبي (٢) .

أدلة هذا القول :

الدليل الأول : الآثار الواردة في سبب نزول الآية ، وهذه الآثار وإن
اختلفت في تعيين القائل ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ إلا أنها تتفق
على أنها نزلت في أهل الكتاب . ومن تلکم الآثار :

أ - ما أخرجه الطبري من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن
جبير قال : « جاء رجل من اليهود ، يقال له مالك بن الصيف ، فخاصم
النبي ﷺ ، فقال له النبي : أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى ، أما تجد
في التوراة أن الله ييغض الحبر السمين ؟ وكان حبراً سميناً فغضب وقال :
والله ما أنزل الله على بشر من شيء ، فأنزل الله ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ
قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ الآية » (٣) .

(١) والنقاش هو : أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي ، ضعفه كثير من
الأئمة ، قال أبو بكر البرقاني : « كل حديث النقاش منكر » وقال الذهبي في ختام
ترجمته : « قد اعتمد الداني في (التيسير) على رواياته للقراءات ، فإله أعلم ، فإن
قلي لا يسكن إليه وهو عندي متهم ، عفا الله عنه ، » توفي - رحمه الله - سنة
(٣٥١هـ) ، ترجمته : السير (١٥/٥٧٣-٥٧٦) ، معرفة القراء الكبار (١/٢٩٤) .
هذا وللدكتور علي بن إبراهيم الناجم دراسة عن النقاش ومنهجه في تفسير القرآن نال
بها درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى .

(٢) انظر : تفسير مقاتل (١/٥٤٧) ، المحرر الوجيز (٦/١٠٤) ، الناسخ والمنسوخ
لهبة الله بن سلامه (ص: ٦٧) الكشف والبيان للثعلبي (٢/٢٠٢ق/ب) .

(٣) تفسير الطبري (١١/٥٢١) برقم (١٣٥٣٥) وفي إسناده محمد بن حميد بن حيان أبو
عبد الله الرازي ، قال عنه الحافظ ابن حجر « حافظ ضعيف » التقريب (٢/١٥٦) ،
وفيه يعقوب القمي وجعفر بن أبي المغيرة ، وكلاهما صدوق يهيم ، فالإسناد ضعيف .
انظر : التقريب (٢/٣٧٦) (١/١٣٣) .

ب - وأخرج الطبري في تفسيره من طريق أسباط عن السدي ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ قال : قال فنحاص اليهودي : ﴿ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ ^(١).

ج - وأخرج الطبري أيضاً في تفسيره من طريق أبي معشر المدني عن محمد بن كعب القرطبي قال : « جاء ناس من يهود إلى النبي ﷺ وهو مُحْتَبٍ ، فقالوا : يا أبا القاسم ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحاً يحملها من عند الله ، فأنزل الله ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ فحشا رجل من يهود ، فقال : ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ، ولا على أحد شيئاً ، فأنزل الله ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ الآية » ^(٢) .

(١) تفسير الطبري (٥٢٢/١١) برقم (١٣٥٣٧) وفي إسناده أسباط بن نصر الهمداني قال الحافظ ابن حجر : « صدوق كثير الخطأ ، يغرب » التقريب (٥٣/١) وفيه السدي وهو الكبير إسماعيل بن عبد الرحمن قال عنه الحافظ : « صدوق يهيم ورمي بالتشيع » التقريب (٧٢-٧١/١) ومع هذا فالإسناد حسن ، لأن ما يرويه موسى بن هارون عن عمرو بن حماد عن أسباط عن السدي نسخة ، ولذلك قال العلامة أحمد شاكر عند ترجمته لموسى بن هارون الهمداني - وهو شيخ الطبري في هذا الإسناد - قال : « وما بنا من حاجة إلى ترجمته من جهة الجرح والتعديل فإن هذا التفسير الذي يرويه عن عمرو بن حماد معروف عند أهل العلم بالحديث ، وما هو إلا رواية كتب لا رواية حديث بعينه » .

مذكرة أسانيد الإمام الطبري (ص: ٦٨) من مكتبة شيخنا الدكتور حكمت بشير وعندي منها صورة . وبالنسبة لرواية أسباط عن السدي فقد ذكر الحافظ ابن حجر - رحمه الله - أنها رواية مشهورة بين أهل العلم فقال : « وأسباط بن نصر مشهور بالرواية عن السدي قد أخرج الطبري وابن أبي حاتم وغيرهما في تفاسيرهم تفسير السدي مفرقاً في السور من طريق أسباط بن نصر عنه » تهذيب التهذيب (٢٠٠/١) .

(٢) تفسير الطبري (٥٢٢/١١) برقم (١٣٥٣٨) وفي إسناده أبو معشر المدني وهو نجح بن

وجه استدلال تلك الآثار لمدينة الآية :

إن وجه الاستدلال بتلك الآثار لمدينة هذه الآية هو أن هذه الأسباب تقتضي أن تكون الآية مدنية النزول ؛ إذ المعلوم أن المناظرات التي كانت تقع بين الرسول ﷺ وبين اليهود كانت بالمدينة ، ومن هنا لا يمكن حمل الآية على تلك المناظرة إلا إذا كانت الآية نزلت بالمدينة (١) .

الدليل الثاني : إن أحوال الآية تجعلنا نقول بمدنيتها « إذ أن كفار قريش ينكرون نبوة جميع الأنبياء عليهم السلام ، فكيف يمكن إلزام نبوة موسى عليهم ؟ » (٢) .

الدليل الثالث : إن القراءة بالتاء في قوله تعالى ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَأْتِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ دليل واضح على أن الخطاب لليهود ، إذ إن هذه الأحوال لا تليق بكفار قريش وإنما تليق باليهود (٣) .

القول الثاني : يرى أصحاب هذا القول أن الآية مكية تبعاً للسورة ، وأن القائل ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ هم المشركون ، وهذا القول هو قول محققي المفسرين كالطبري وابن كثير واستدلوا لتأييد رأيهم بعدة أدلة ، وهي :

الدليل الأول : تضافر الآثار الدالة على نزول سورة الأنعام جملة

→

عبد الرحمن السندي: قال البخاري : « منكر الحديث » ، وقال ابن حجر : « ضعيف من السادسة » التاريخ الكبير (١١٤/٨) التقريب (٢٩٨/٢) .

(١) انظر : تفسير الرازي (٨٠/١٣) بتصرف .

(٢) المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٣) المصدر السابق مع الجزء والصفحة بتصرف .

واحدة بمكة مما لم يترك مجالاً أن يقال : إن آية كذا مدنية (١) .
الدليل الثاني : إن أغلب الآثار الواردة في نزول الآية في شأن أهل
الكتاب لا تخلو من مقال .

فها هو الحافظ ابن كثير - رحمه الله - يحكيه بصيغة التمريض
فيقول : « وقيل نزلت في طائفة من اليهود ، وقيل في فنحاص رجل منهم ،
وقيل في مالك بن الصيف » (٢) في الوقت الذي حكى بصيغة الجزم عن
ابن عباس ، ومجاهد ، وعبد الله بن كثير أنها نزلت في قريش (٣) .

الدليل الثالث : ويرى أصحاب هذا القول كذلك أن قوله تعالى :
﴿ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ لا يمكن أن يكون صدر من اليهود ؛ إذ
اليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء ، وفي هذا يقول الحافظ ابن
كثير - رحمه الله - : « والأول أصح - أي نزول الآية في قريش - لأن
الآية مكية ، واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء ، وقريش
والعرب قاطبة كانوا ينكرون إرسال محمد ﷺ لأنه من البشر ، كما قال :
﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ ﴾ وكقوله تعالى :
﴿ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ... ﴾
وقال هنا ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ الآية » (٤) .

الدليل الرابع : دلالة سياق الآية ، وفي هذا يقول الطبري بعد أن
استعرض أقوال العلماء في الآية « وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل
ذلك قول من قال : عني بذلك ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ مشركو

(١) انظر : هذه الآثار (ص : ٢٩٠-٢٩٢) .

(٢) تفسير ابن كثير (١٦١/٢) .

(٣) انظر المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٤) تفسير ابن كثير (١٦١/٢) .

قريش ، وذلك أن ذلك في سياق الخبر عنهم أولاً ، فإن يكون ذلك أيضاً خبراً عنهم أشبه من أن يكون خبراً عن اليهود ، ولما يجز لهم ذكر يكون هذا به متصلاً مع ما في الخبر عمن أخبر الله عنه في هذه الآية من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً من الكتب ، وليس ذلك مما تدين به اليهود بل المعروف من دين اليهود الإقرار بصحف إبراهيم وموسى ، وزبور داود ، وإذا لم يكن بما روي من الخبر بأن قائل ذلك كان رجلاً من اليهود خبرٌ صحيح متصل السند ، ولا كان على أن ذلك كان كذلك من أهل التأويل إجماع ، وكان الخبر من أول السورة ومبتدئها إلى هذا الموضع خبراً عن المشركين من عبدة الأوثان ، وكان قوله ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ موصولاً بذلك غير مفصول منه ، لم يجوز لنا أن ندعي أن ذلك مصروف عما هو به موصولٌ إلاّ بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل « (١) » .

تلك هي الأدلة التي استدل بها من قال إن الآية مكية كسائر السورة .

الترجيح : هذا ويترجح عندي - والعلم عند الله - أن الآية مكية وأنها نزلت في مشركي قريش ، ولا يمنع هذا أن تكون حوادث بالمدينة تنطبق عليها الآية ، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فقد أخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح من طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ قال : « هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم ، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير ، فقد قدر الله حق قدره ، ومن لم يؤمن بذلك فلم يؤمن بالله »

(١) تفسير الطبري (١١/٥٢٤-٥٢٥) .

حق قدره « (١) .

وأخرج ابن أبي حاتم أيضاً من طريق شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ يقول : قريش (٢) .

مناقشة أدلة القول الأول :

مناقشة دليلهم الأول : نوقش هذا الدليل بأن الآثار التي اعتمد عليها في أسباب نزول هذه الآية آثار فيها مقال ، وبالنسبة لرواية أسباط عن السدي وإن كانت تصل إلى درجة الحسن فإنه ليس فيها التصريح بأن قصة فتاح اليهودي هي السبب المباشر لنزول الآية .

مناقشة دليلهم الثاني : إن ما أثاره أصحاب القول الأول من أن كفار قريش ينكرون نبوة جميع الأنبياء عليهم السلام فكيف يمكن إلزام نبوة موسى عليهم ؟ يمكن دفع هذا القول « بأنه قد تواتر عندهم ظهور المعجزات القاهرة على يد موسى عليه السلام ، مثل انقلاب العصا ثعباناً ، وفلق البحر ، وإظلال الجبل وغيرها ، والكفار كانوا يطعنون في نبوة محمد ﷺ بسبب أنهم كانوا يطلبون منه أمثال هذه المعجزات ... فكان مجموع هذه الكلمات جارياً مجرى ما يوجب عليهم الاعتراف بنبوة موسى عليه السلام » (٣) .

وأجاب العلامة القاسمي كذلك عن هذا السؤال فقال : « ومعلوم ما كان بين قريش ويهود المدينة من التعارف ، وتسليم قريش أنهم أهل كتاب ، وأنهم أعلم منهم لأجله مما يوجب اعترافهم بحقيقة التوراة وأنها

(١) تفسير ابن أبي حاتم ، سورة الأنعام ، برقم (٥٦٠) .

(٢) المصدر السابق ، سورة الأنعام ، برقم (٥٦١) انظر الحكم على هذا الإسناد (ص :

٥٩٥) هامش رقم (١) .

(٣) تفسير الرازي (٨١/١٣) .

منزلة من لدنه تعالى « (١) .

مناقشة دليلهم الثالث : بقي لنا في مناقشة أدلة القول الأول دليلهم في قراءة الخطاب ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَأَ طِيسُ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً ﴾ والحق يقال إن إشكال قراءة الخطاب حجة قوية للقائلين بمدنية الآية ، وهو الأمر الذي أدى إلى بعض المفسرين أن يرجح قراءة الياء بدون أن يبحث أيّ تخريج لقراءة الخطاب (٢) .

وقد أجاب الإمام ابن القيم (٣) - رحمه الله - الجواب الشافي عن إشكال قراءة الخطاب فإنه قال بعد أن تساءل ذكر أهل الكتاب هنا ، وأن قوله تعالى ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَأَ طِيسُ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً ﴾ لا يصح لغير اليهود قال : « وجواب هذا السؤال أن يقال : إن الله سبحانه احتج عليهم بما يقرّبه أهل الكتابين ، وهم أولوا العلم دون الأمم التي لا كتاب لها أي إن جحدتم أصل النبوة وأن يكون الله أنزل على بشر شيئاً فهذا كتاب موسى يقرّ به أهل الكتاب وهم أعلم منكم فاسألوهم عنه ،

(١) محاسن التأويل (٦/٦٢٥) .

(٢) انظر ما قاله الطبري في ترجيح قراءة الياء على قراءة التاء (١١/٥٢٥) .

(٣) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ، صاحب المصنفات الكثيرة ، مدراج السالكين ، أعلام الموقعين عن رب العالمين ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، توفي - رحمه الله - سنة (٧٥١هـ) .

ترجمته : الدر الكامنة (٤/٢١-٢٤) . طبقات المفسرين للدراودي (٢/٩٥-٩٧) هذا وقد تناولت دراسات عديدة في ابن القيم وآثاره العلمية ، منها دراسة الدكتور محمد أحمد السنباطي في ابن القيم ومنهجه في التفسير ، وقد طبع بمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ، كما أن هناك دراسة أخرى بعنوان : جهود ابن القيم التفسيرية للدكتور صبري المتولي ، وطبعتها دار الثقافة للنشر والتوزيع .

وفي مجلة « الدارة » مقالة بعنوان : ابن القيم وحسب البلاغي في تفسير القرآن للدكتور عبد الفتاح لاشين ، أنظر العدد : (٢) ، السنة : (٧) ، (ص: ٥٦-٨٠) .

ونظائر هذا في القرآن كثيرة يستشهد سبحانه بأهل الكتاب على منكري النبوات والتوحيد ، والمعنى إنكم إن أنكرتم أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً فمن أنزل كتاب موسى ؟ فإن لم تعلموا ذلك فاسألوا أهل الكتاب ، وأما قوله تعالى : ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً ﴾ فمن قرأها بالياء فهو إخبار عن اليهود بلفظ الغيبة ، ومن قرأها بتاء للخطاب فهو خطاب لهذا الجنس الذي فعلوا ذلك أي أتجعلونه يامن أنزل عليه كذلك ، وهذا من أعلام نبوته أن يخبر أهل الكتاب بما اعتمدوه في كتابهم وأنهم جعلوا قراطيس وأبدوا بعضه وأخفوا كثيراً منه ، وهذا لا يعلم من غير جهتهم إلا بوحى من الله ولا يلزم أن يكون قوله ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِطِيسَ ﴾ خطاباً لمن حكى عنهم أنهم قالوا : ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ بل هذا استطراد من الشيء إلى نظيره وشبيهه ولازمه ، وله نظائر في القرآن كثيرة كقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۖ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۖ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ الآية ، فاستطرد من الشخص المخلوق من الطين وهو آدم إلى النوع المخلوق من النطفة وهو أولاده ، وأوقع الضمير على الجميع بلفظ واحد « (١) » .

وهكذا يبدو من خلال كلام الإمام ابن القيم - رحمه الله - أن الغرض من القراءة بالتاء هو الالتفات (٢) وهو ما عبر عنه ابن القيم

(١) بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية (١٦٤/٢) .

(٢) والالتفات هو « التعبير عن معنى بطريق من الثلاثة - أي التكلم والخطاب والغيبة -

بعد التعبير عنه بآخر منها » . تلخيص المفتاح للخطيب القزويني (ص: ٨٦) ، وانظر

أيضاً : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها للدكتور أحمد مطلوب (١/٢٢٤) ،

ومعجم البلاغة العربية للدكتور بدوي طبانة (ص: ٦١٤) .

وقال الأخضري في أرجوزته :

بلفظ « الاستطراد » .

وبمثل هذا التوجيه وجه العلامة القاسمي قراءة الخطاب فقال : « وعلى قراءة الخطاب فهو التفات من خطاب قوم إلى خطاب قوم آخرين ، وهو التفات عند الأدباء - حكاه الخفاجي - (١) وإنما جعل من الانتقال عن خطابهم إلى خطاب اليهودية تعريضاً لهم بأن إنكارهم إنزال الله تعالى من جنس فعل هؤلاء بالتوراة في البطلان وعدم الإسناد إلى برهان» (٢) .

ووجه صاحب المنار - رحمه الله - قراءة الخطاب بتكرار نزول الآية ، بمعنى أن قراءة الياء تخاطب المشركين بأن اليهود يجعلون الكتاب الذي جاء به موسى قراطيس ، وقراءة الخطاب هي التي نزلت بالمدينة في مواجهة اليهود خطاباً لهم (٣) .

والحق أن توجيه صاحب المنار توجيه لا يطمئن إليه الباحث الدقيق : إذ القول بتكرار النزول يحتاج إلى دليل صريح لا لبس فيه ، وليس ملجأً يلجأ إليه عند عدم التوفيق بين الأقوال .

والخلاصة : والذي يظهر أن هذه الآية مكية تبعاً لسورتها ، وتوجيه الخطاب في قوله تعالى : ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ إلى اليهود لا ينافي مكيته ، فالخطاب هنا للاستشهاد بأهل الكتاب ، ولقد مرَّ

→

والالتفات وهو الانتقال من بعض الأساليب إلى بعض قمن

أرجوزة الأخضر في علم البلاغة المسمى بـ (الجوهر المكنون) (ص: ٢٤) .

(١) هو أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري صاحب كتاب « غناية

القاضي وكفاية الراضي حاشية البيضاوي » توفي - رحمه الله - سنة (١٠٦٩) .

ترجمته : خلاصة الأثر (٣٣٢/١) ، معجم المفسرين (٧٥/١) .

(٢) محاسن التأويل (٦٢٥/٦) .

(٣) انظر تفسير المنار (٦١٧/٧-٦١٨) .

معنا عند حديثنا في منهج القرآن في الحديث عن بني إسرائيل في المرحلة
المكية أن الاستشهاد بموقف هؤلاء من كتابهم المنزل عليهم ومن رسالة
النبي ﷺ من ضمن الأسباب التي عرضها القرآن المكيّ عند حديثه عن بني
إسرائيل (١) .

(١) انظر : (ص: ١٧٥) .

المطلب الخامس :

في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (١).

ذهب إلى القول بمدنية هذه الآية مقاتل بن سليمان (٢) ، والثعلبي (٣) ، وهو قول مروى عن الكلبي (٤).

مستند القول بمدنية هذه الآية :

يستند هذا القول إلى ما أخرجه الطبري - رحمه الله - من طريق ابن جريج عن عكرمة أن قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ قال : نزلت في مسيلمة أخي بني عدي بن حنيفة فيما كان يسجع ويتكهن به ﴿ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح (٥).

(١) سورة الأنعام ، الآية (٩٣) .

(٢) انظر : تفسير مقاتل (٥٤٧/١) .

(٣) انظر : الكشف والبيان (٢/٢٠٢/ب) .

(٤) أخرجه أبو الشيخ كما في الإتيان (٤٣/١) ، وانظر : تنوير المقياس من تفسير ابن عباس

(ص: ٨٤) .

(٥) انظر تخريج هذا الأثر والحكم عليه (ص : ٢٩٥) هامش رقم (٢) .

وجه الدلالة :

إن هذا السبب يقتضي أن تكون الآية مدنية النزول ، إذ كما هو ثابت في كتب السيرة والتاريخ أن مسيلمة الكذاب - لعنه الله - لم يدع النبوة إلا في سنة عشر من الهجرة (١)، كما أن عبد الله بن سعد بن سرح لم يكن ارتداده إلا بعد الهجرة ، ولحق بعد ذلك بالكفار في مكة (٢) .

(١) انظر : الكامل في التاريخ (٢/٢٠٤-٢٠٥) .

(٢) انظر : الإصابة (٢/٣١٦-٣١٨) .

هذا وقد اشتهر عند بعض المفسرين أن ارتداد ابن أبي سرح من أجل قوله : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ في أثناء إملاء رسول الله ﷺ له ، حيث قال له الرسول ﷺ : هكذا أنزلت الآية ، فسكت ابن أبي سرح فقال : إن كان محمد صادقاً فقد أوحى إليّ ، وإن كان كاذباً فقد عارضته .

انظر : النكت والعيون (٢/١٤٤) الكشف (٢/٣٥) ، تفسير الرازي (١٣/٨٩) ، البحر المحيط لأبي حيان (٤/٥٨٤) .

والصواب أن الآية المذكورة من موافقات عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بعد أن قرر ذلك : « وقد روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مثل هذه القصة ، وإن كان هذا الإسناد ليس بثقة » ، ثم ذكر قصة ابن أبي سرح .

انظر : الصارم المسلول (ص : ١٣) .

وقال أيضاً : « ومما ضعفت به هذه الرواية أن المشهور أن الذي تكلم بهذا عمر بن الخطاب » .

المصدر السابق ونفس الصفحة .

إن ارتداد ابن أبي سرح كان من أجل تخيير خواتم الآي - وكان قبل العرضة الأخيرة - فكان يسأل النبي ﷺ عن خواتم الآي « يعملون » « يفعلون » « غفور رحيم » « سميع عليم » فيقول له النبي ﷺ : « اكتب أي ذلك شئت » .

انظر : المصدر السابق (ص : ١٢٨-١٢٩) .

مناقشة هذا المسند :

سبق أن ذكرت ضعف هذا الأثر الذي استند إليه القول بمدنية هذه الآية ، وعلى فرض صحته فالتحقيق أنه ليس المراد به أن قصتي مسيلمة وابن أبي سرح هما سبب نزول الآية ، وإنما الذي يراد بهذا السبب أن هاتين القصتين مما تتناولهما عموم الآية .

قال الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - « قالوا : أنزل هذا في الذين ادعوا النبوة من العرب ، وروي عن عكرمة وقتادة تخصيص مسيلمة الكذاب ، والحق أنه يدخل في عموم حكمه من ذكر ، والسورة مكية نزلت قبل ادعائهم النبوة بزمن طويل ، فالمعروف أن مسيلمة ادعى النبوة سنة عشر من الهجرة » (١) .

ويقول ابن عاشور - رحمه الله - بعد ذكره ما قيل في نزول الآية في مسيلمة : « وهذا يقتضي أن يكون مسيلمة قد ادعى النبوة قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة ، لأن السورة مكية ، والصواب أن مسيلمة لم يدع النبوة إلا بعد أن وفد على النبي ﷺ في قومه بني حنيفة بالمدينة » (٢) .

وفيما قيل في نزول الآية في عبد الله بن سعد بن أبي سرح يقول ابن عاشور - رحمه الله - : « وهذا أيضاً لا يثلج له الصدر ؛ لأن عبد الله بن أبي سرح ارتد بعد الهجرة ولحق بمكة وهذه السورة مكية » (٣) .

وخلاصة القول : أن انطباق معنى الآية على فعل مسيلمة وفعل

(١) تفسير المنار (٦٢٤/٧) .

(٢) التحرير والتنوير (٣٧٥/٧) .

(٣) المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

عبد الله بن أبي سرح أمر لا شك فيه ، ولكن الكلام على سبب النزول ،
فهل هو ما ذكر ؟ أم أن المقصود في الآية هو العموم ؟ وقد اتضح من
خلال الدراسة أن القول بالعموم هو الراجح .

قال الثعالبي (١) - رحمه الله - : « هذه ألفاظ عامة ، فكل من واقع
شيئاً مما يدخل تحت هذه الألفاظ فهو داخل في الظلم الذي عظمه الله
تعالى » (٢).

(١) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري ، من مؤلفاته : « الجواهر
الحسان في تفسير القرآن » ، توفي - رحمه الله - سنة (٨٧٦هـ) .

ترجمته : الضوء اللامع (١٥٢/٤) ، معجم المفسرين (٢٧٦/١) .

هذا وللدكتور عبد الحق الدايم دراسة عن الثعالبي ومنهجه في التفسير ، نال بها درجة
الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (٦٤٨/١) .

المطلب السادس :

في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ (١).

روي عن أبي جحيفة أن هذه الآية مدنية ، فقد أخرج ابن المنذر - رحمه الله - بسنده عن أبي جحيفة قال : « نزلت سورة الأنعام جميعاً معها سبعون ألف ملك ، كلها مكية إلا : ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ ﴾ فإنها مدنية » (٢).

مناقشة القول بمدنية هذه الآية :

لم أجد أي مستند يؤيد القول بمدنية هذه الآية ، والعجب أن الناظر إلى أسباب النزول التي ذكرت لهذه الآية لا يجد أدنى صلة بين القول بمدنيتها وبين تلك الأسباب ، ففي تفسير الطبري من طريق حجاج عن ابن جريج فيه ما يدل على نزول هذه الآية في المستهزئين الذين سألوا النبي ﷺ عن الآيات الدالة على نبوته (٣).

والحق أن المتأمل في معنى الآية وارتباطها بما قبلها يستبعد كل الاستبعاد القول بمدنيتها ، فسياق الآية مرتبط ارتباطاً وثيقاً بقوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ ﴾ الآية (٤) .

(١) سورة الأنعام ، الآية (١١١) .

(٢) الدر (٢٤٤/٣) .

(٣) انظر : تفسير الطبري (٤٧/١٣) برقم (١٣٧٥٥) .

(٤) سورة الأنعام ، الآية (١٠٩) .

وعلى ضوء هذا الارتباط رجح الإمام الطبري - رحمه الله - ما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من أن قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا﴾ هم أهل الشقاء ، وقوله : ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ هم أهل السعادة الذين سبق لهم في علمه أن يدخلوا في الإيمان ^(١) ، فيقول في هذا الصدد : «وأولى القولين في ذلك بالصواب قول ابن عباس ؛ لأن الله جل ثناؤه عم بقوله : ﴿مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا﴾ القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ ، وقد يجوز أن يكون الذين سألوا الآية كانوا هم المستهزئين الذين قال ابن جريج : إنهم عنوا بهذه الآية ، ولكن لا دلالة في ظاهر التنزيل على ذلك ، ولا خبر تقوم به حجة بان ذلك كذلك ، والخبر من الله خارج مخرج العموم ، فالقول بأن ذلك عنى به أهل الشقاء منهم أولى لما وصفنا » ^(٢).

ويقول العلامة الألوسي عند تفسيره هذه الآية : «تصريح بما أشعر به قوله عز وجل : ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ إلخ من الحكمة الداعية إلى ترك الإجابة إلى ما اقترحوا وبيان لكذبهم في إيمانهم على أبلغ وجه وأكده » ^(٣).
والخلاصة : أن دعوى مدنية هذه الآية خلاف الأصل أولاً ، وثانياً تحتاج إلى دليل صحيح سالم من المعارضة والاحتمال ، ولم أجده هنا - والله أعلم - .

(١) أخرجه الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس . انظر : تفسير الطبري

(١٣/٤٧) برقم (١٣٧٥٦).

(٢) تفسير الطبري (١٣/٤٨) .

(٣) روح المعاني (٢/٨) .

المطلب السابع :

في قوله تعالى : ﴿ أَفَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْتَغَى حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَدْرَأَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (١)

يرى مقاتل بن سليمان - رحمه الله - مدنية هذه الآية (٢) ، كما أورده الإمام السيوطي - رحمه الله - ضمن الآيات اللاتي قيل إنهن مستثناة من السورة (٣).

وبما أن مستند القول بمدنية هذه الآية هو ما تحكيه من حديث أهل الكتاب فإنني أضرب صفحاً عن عرض هذا المستند للمناقشة ؛ إذ فيما سبق من مناقشة نحو هذا القول فيه غنية وكفاية (٤).

(١) سورة الأنعام ، الآية (١١٤) .

(٢) انظر : تفسير مقاتل (٥٤٧/١) .

(٣) انظر : الإتيقان (٤٣/١) .

(٤) انظر : (ص : ٥٨٩) .

المطلب الثامن :

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيَجْذِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (١).

لم أقف على أحد يرى مدنية هذه الآية ، إلا أنهم ذكروا من أسباب نزولها أنها نزلت في مجادلة اليهود للنبي ﷺ ، فقد أخرج أبو داود في سننه من طريق عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « جاءت اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: أنأكل مما قتلنا ولا تأكل مما قتل الله ؟ فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية » (٢) .

ويقتضي هذا السبب الذي أخرجه الإمام أبو داود في سننه أن تكون الآية مدنية النزول ، إذ لم يعرف مجيء اليهود إلى النبي ﷺ إلا في المرحلة المدنية ، وأما قبل ذلك فكانت قريش هي الواسطة بين النبي ﷺ وبين اليهود .

(١) سورة الأنعام الآية (١٢١) .

(٢) سنن أبي داود (٢٤٥/٣) كتاب الأضاحي ، باب ذبائح أهل الكتاب حديث رقم (٢٨١٩) وسيأتي قريباً العلل القادحة في هذا الحديث رغم أن الشيخ ناصر الدين الألباني صحح إسناده وقال في متنه : « ذكر اليهود فيه منكر والمحفوظ أنهم مشركون » صحيح سنن أبي داود (٥٤٢/٢) برقم (٢٤٤٥) .

والحديث أخرجه الطبري في تفسيره من طريق ابن وكيع عن عمران بن عيينة به ، (٨٢/١٢) برقم (١٣٨٢٥) وابن أبي حاتم مرسلاً عن سعيد بن جبير . سورة الأنعام ، برقم (٨٣٤) .

مناقشة مستند دعوى مدنية هذه الآية :

ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله - أربع علل قاذحة في مستند دعوى مدنية هذه الآية ، وهي كالتالي :

- أولاً : أن عطاء بن السائب اضطرب فيه فمرة وصله ومرة أرسله .
- ثانياً : أن عطاء بن السائب اختلط في آخر عمره ، واختلف في الاحتجاج بحديثه ، وإنما أخرج له البخاري مقروناً بأبي البشر^(١).
- ثالثاً : أن فيه عمران بن عيينة ، أخو سفيان بن عيينة^(٢) ، قال أبو حاتم الرازي : لا يحتج بحديثه فإنه يأتي بالمناكير^(٣) .
- رابعاً : أن سورة الأنعام مكية باتفاق ، وبحيى اليهود إلى النبي ﷺ ومجادلتهم إياه إنما كان بعد قدومه المدينة ، وأما بمكة فإنما كان جداله مع المشركين عبّاد الأصنام^(٤) .

(١) وأبو البشر هو جعفر بن إياس بن أبي وحشية ، قال عنه الحافظ في التقريب : « ثقة من أثبت الناس في سعيد بن جبير » . التقريب (١٢٩/١) .

ولخص الحافظ ابن حجر كلام أهل العلم في روايات عطاء بن السائب ، فقال : « وتحصل لي من مجموع كلام الأئمة أن رواية شعبة وسفيان الثوري ، وزهير بن معاوية ، وزائدة ، وأيوب ، وحماد بن زيد عنه قبل الاختلاط لإحمد بن سلمة ، فاختلف قولهم فيه » هدي الساري مقدمة فتح الباري (ص: ٤٤٦) .

(٢) لعل الصواب « أخوا سفيان بن عيينة » بالنصب ، لأنه بدل من « عمران » الذي هو اسم « أن » المؤخر ، والبدل يتبع المبدل منه في إعرابه كما هو مقرر في القواعد النحوية .

(٣) انظر الجرح والتعديل (٣٠٢/٦) .

(٤) انظر : مختصر سنن أبي داود للمنذري ومعه تهذيب الإمام ابن القيم الجوزية (١١٣/٤) .

وأعلّ الحافظ ابن كثير - رحمه الله - كذلك هذه الرواية من وجوه ثلاثة ذكرها في تفسيره فقال بعد أن أورد هذه الرواية من طرق عديدة : « وهذا فيه نظر من وجوه ثلاثة :

أحدها : أن اليهود لا يرون إباحة الميتة حتى يجادلوا .

الثاني : أن الآية من الأنعام وهي مكية .

الثالث : أن هذا الحديث رواه الترمذي بلفظ : أتى ناس النبي ﷺ

فذكره ، وقال حسن غريب « (١) .

وهكذا يتبين لنا أن هذه الرواية التي اعتمدت عليها دعوى مدنية هذه الآية لا يمكن أن يعتمد كسب نزول للآية ؛ وذلك لضعفها ، فالعتمد في سببية هذه الآية ليس فيه ذكر اليهود ، وسياقه يوحي بأنه نزل في مشركي قريش . ونصه كالتالي :

أخرج الإمام أبو داود بسنده فقال : حدثنا محمد بن كثير ، قال أنبأنا إسرائيل حدثنا سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخِذَ إِلَى أُولِيَانِهِمْ ﴾ يقولون : « ما ذبح الله فلا تأكلوه ، وما ذبحتم أتمم فكلوه ، فأنزل الله ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ » (٢) .

(١) تفسير ابن كثير (١٧٧/٢) وانظر حديث الترمذي ، في سننه مع تحفة الأحوذى

(٣٥٤-٣٥٣/٨) ، التفسير برقم (٣٢٦٥) وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن

الترمذي (٥٠/٣) برقم (٢٤٥٤) .

(٢) سنن أبي داود (٢٤٥/٣) كتاب الأضاحي ، باب ذبائح أهل الكتاب ، حديث رقم

(٢٨١٨) وصحح إسناده الحافظ ابن كثير . انظر : تفسير ابن كثير (١٧٧/٢)

والألباني في صحيح سنن أبي داود (٥٤٢/٢) برقم (٢٤٤٤) .

والحديث أخرجه ابن ماجة في سننه (١٠٥٩/٢) كتاب الذبائح ، باب التسمية عند

الذبح ، حديث رقم (٣١٧٣) . والطبري في التفسير (٧٩/١٢) برقم (٨٤٧) ،

والحاكم في المستدرک (٢٣١/٤) وصححه ووافقه الذهبي .

وأوضح من رواية أبي داود في نزول الآية في مشركي قريش رواية النسائي من طريق هارون بن عنتره عن أبيه عن ابن عباس في قوله عز وجل ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ قال : « خاصتهم المشركون فقالوا : ما ذبح الله فلا تأكلوه وما ذبحتم أنتم أكلتموه » (١) .

قال ابن عبد البر بعد أن أورد في « التمهيد » حديث سؤال اليهود للنبي ﷺ في أكل الميتة : « هكذا في هذا الحديث : خاصته اليهود ، وإنما هو خاصهم المشركون ، لأن اليهود لا يأكلون الميتة » (٢) .

وقال أيضاً : « ولا يختلف العلماء أن قوله - عز وجل - ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ نزلت في سورة الأنعام بمكة ، وأن الأنعام مكية » (٣) .

وقال ابن القيم - رحمه الله - بعد أن ذكر حديث أبي داود في سؤال اليهود للنبي ﷺ ، ونزول الآية في ذلك : « هكذا ذكره أبو داود ، وأن الذي سأل هذا السؤال هم اليهود ، والمشهور في هذه القصة أن المشركين هم الذين أوردوا هذا السؤال ، وهو الصحيح ، ويدل عليه كون السورة مكية ، وكون اليهود يحرمون الميتة كما يحرمها المسلمون ، فكيف يوردون هذا السؤال وهم يوافقون على هذا الحكم ؟ ... ولا أحسب قوله « إن اليهود سألوا عن ذلك » إلا وهماً من أحد الرواة ، والله أعلم » (٤) .

(١) سنن النسائي (٢٧٢/٧) كتاب الأضاحي ، باب تأويل قول الله عز وجل ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ ، حديث رقم (٤٤٤٩) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي (٩٢٥-٩٢٦) برقم (٤١٣٤) .

(٢) التمهيد (٣٠١/٢٢) .

(٣) المصدر السابق (٣٠٠/٢٢) .

(٤) أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (٢٨٩/٤) .

ويقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - مبيناً أن المعتمد في سبب نزول هذه الآية هو الروايات التي ليس فيها ذكر اليهود ، قال : « فهذا - أي الروايات التي ليس فيها ذكر اليهود - هو المحفوظ ، لأن الآية مكية واليهود لا يجيئون الميتة » (١) .

وهناك رواية أخرى أخرجها الطبراني في « المعجم الكبير » وفيها كتابة فارس إلى قريش بمخاصمة النبي ﷺ في أكل الميتة ، وهذه الرواية وإن لم تصل إلى درجة الصحة إلا أنها وردت من طرق عديدة يقوى بعضها بعضاً ترتقي بمجموعها إلى درجة الحسن ، ونصها كالتالي : قال الطبراني : حدثنا علي بن المبارك الصنعاني ثنا زيد بن المبارك ثنا موسى بن عبد العزيز ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال : « لما نزلت هذه الآية ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمداً وقلوا له ما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال ، وما ذبح الله بشمشير من ذهب فهو حرام فنزلت هذه الآية ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُؤْخِنَ إِلَىٰ أُولِيَائِهِمْ لِيُجْدِلُوهُمْ ﴾ قال الشياطين من فارس وأولياؤهم من قريش » (٢) .

(١) تفسير ابن كثير (١٧٧/٢) .

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٢٤١/١١) برقم (١١٦/٤) .

والحديث أخرجه الطبري في تفسيره مراسلاً عن عكرمة (٧٨-٧٧/١٢) برقم (١٣٨٠٥) وبرقم (١٣٨٠٦) وابن أبي حاتم في تفسير سورة الأنعام مراسلاً عن عكرمة أيضاً برقم (٨٤٤) وزاد السيوطي نسبته إلى أبي الشيخ وابن مردويه ، انظر : الدر (٣٤٨/٣) .

هذا وقد ذهب بعض العلماء إلى القول بنسخ هذه الآية ، فقال الطبري رداً على هذا القول : « والصواب من القول في ذلك عندنا أن هذه الآية محكمة فيما أنزلت لم ينسخ منها شيء ، وأن طعام أهل الكتاب حلال ، وذبائحهم ذكية ، وذلك مما حرم الله علي

والخلاصة : أن ما اعتمدت عليه دعوى مدنية هذه الآية من نزول الآية في مخاصمة اليهود للنبي ﷺ ليس بمحفوظ ، فالروايات المحفوظة كما قاله ابن كثير ليس فيها ذكر لليهود، والله أعلم .

→
المؤمنين أكله بقوله ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ . معزل ، لأن الله - تعالى - إنما حرم علينا بهذه الآية الميتة ، وما أهل به للطواغيت ، وذبائح أهل الكتاب ذكية سُموا عليها أو لم يسموا ، لأنهم أهل توحيد وأصحاب كتب الله ، يدينون بأحكامها يذبحون الذبائح بأديانهم كما ذبح المسلم يدينه ، سم الله على ذبيحته أو لم يسمه ...» تفسير الطبري (١٢/٨٨) .

وقال ابن كثير معقباً على قول الطبري هذا « وهذا الذي قاله صحيح ، ومن أطلق من السلف النسخ ها هنا فإنما أراد به التخصيص والله أعلم » ، تفسير ابن كثير (٢/١٧٦) .

المطلب التاسع :

في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ
وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ
مُتَشَابِهٍ كُلًّا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا
تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (١).

لم أجد من ذكر مدينة هذه الآية اللهم إلا ما حكاه الزجاج (٢) في « معاني القرآن » (٣) ، والرازي في تفسيره (٤).

مستند القول بمدينة هذه الآية :

يستند هذا القول على دليلين :

الدليل الأول : الآية مدنية بناءً على أن المراد بالحق المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ هو الزكاة المفروضة (٥).

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٤١) .

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الزجاج النحوي ، صنف معاني القرآن ، وكتاب الاشتقاق ، توفي - رحمه الله - سنة (٣١١هـ) .

ترجمته : إشارة التعيين (ص : ١٢) ، بغية الوعاة (١/٤١١-٤١٣) .

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج (٢/٢٩٧) .

(٤) انظر : تفسير الرازي (١٣/٢٢٥) .

(٥) القول بأن المراد بالحق المذكور في الآية الزكاة المفروضة أحد أقوال العلماء ، وقد أخرج الطبري في تفسيره عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - بسند فيه يزيد بن درهم ، وإلا ففي تفسير هذا الحق المذكور في الآية أقوال عديدة .

انظر : الأثر في : تفسير الطبري (١٢/١٥٨) برقم (١٣٩٦٣) ، وانظر الأقوال في المراد بهذا الحق : تفسير القرطبي (٧/٩٩-١٠٠) ، وأضواء البيان (٢/٢١٢-٢١٣) .

ومعلوم أن الزكاة لم تفرض إلا بالمدينة في السنة الثانية من الهجرة (١).
الدليل الثاني : ما ورد من أن قوله تعالى : ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

الْمُسْرِفِينَ﴾ نزل في ثابت بن قيس بن شماس (٢) ، فقد أخرج الثوري (٣)
 في تفسيره بدون أن يذكر إسناده قال : « لما نزلت : ﴿وَأَتُوا حَقَّ يَوْمَ

حَصَادِهِ﴾ جعل ثابت بن قيس يعطي ، لا يجيء أحد إلا أعطاه ، فنزلت :

(١) انظر : الفتح (٣/٣١٣) ، وأظن الحافظ - رحمه الله - في ذكر الخلاف في مشروعية
 الزكاة ، فذكر أن أكثر العلماء يرون أنها شرعت بعد الهجرة ، ونقل قول النووي -
 رحمه الله - في الروضة أنها كانت في رمضان من السنة الثانية من الهجرة ، وقال ابن
 الأثير : كانت في السنة التاسعة من الهجرة ، وذهب ابن خزيمة إلى أن فرضها كان قبل
 الهجرة ، وبوّب باباً في صحيحه فقال : باب ذكر البيان أن فرض الزكاة كان قبل
 الهجرة إلى أرض الحبشة إذ النبي ﷺ مقيم بمكة قبل هجرته إلى المدينة .
 وسيأتي جمعنا لهذا الخلاف قريباً إن شاء الله .

انظر مما سبق : الفتح (٣/٣١٣-٣١٤) ، وانظر أيضاً رأي ابن خزيمة في صحيحه
 (١٤-١٣/٤) حديث رقم (٢٢٦٠) ، وهو حديث قصة جعفر بن أبي طالب مع
 النجاشي وفيه : « ويأمر بالصلاة والزكاة والصيام » ، وفي إسناده سلمة بن الفضل قال
 عنه الحافظ في التقریب (١/٣١٨) : « صدوق كثير الخطأ » ، وقال في الفتح
 (٣/٣١٤) : « وفي سلمة مقال » .

وابن الأثير في الكامل في التاريخ (٢/٨٠) ، والنووي في روضة الطالبين وعمدة المفتين
 (١٠/٢٠٦) .

(٢) صحابي أنصاري حزر جي ، كان يقال له : خطيب الأنصار . انظر : الإصابة
 (١/١٩٤) .

(٣) هو سفيان بن سعيد بن مسروق إمام المجتهدين في زمانه ، توفي - رحمه الله - سنة
 (١٦١هـ) .

ترجمته : وفيات الأعيان (٢/٣٨٦-٣٩١) ، طبقات المفسرين (١/١٩٣-١٩٦) .
 هذا وقد كتب الباحث هاشم المشهداني دراسة وافية عن الثوري ومنهجه في التفسير
 بعنوان : سفيان الثوري وأثره في التفسير ، نال بها درجة الماجستير من جامعة الأزهر ،
 وقد طبعت . مطبعة دار الكتاب ببغداد .

﴿وَلَا تَسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ أبق لعيالك « (١).

مناقشة مستند القول بمدينة هذه الآية :

مناقشة الدليل الأول : قد نوقش الدليل الأول بأن الحق المذكور في قوله تعالى : ﴿وَأَتُوا حَقَّ يَوْمٍ حَصَادِهِ﴾ وإن كان المراد به الزكاة المفروضة عند بعض العلماء إلا أنه ليس المراد به الزكاة المحددة ذات الأنصاء والمقادير ، وإنما المراد به أصل الزكاة الذي كان مفروضاً في مكة ، وقد استدل الحافظ ابن كثير بهذه الآية على أن أصل الزكاة كان واجباً بمكة ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (٢) حيث قال : «الأكثر على أن المراد بالزكاة ها هنا زكاة الأموال مع أن هذه الآية مكية ، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة سنة اثنتين من الهجرة ، والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات النصب والمقادير الخاصة ، وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجباً بمكة ، قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿وَأَتُوا حَقَّ يَوْمٍ حَصَادِهِ﴾ « (٣).

ومما يؤكد أن أصل الزكاة كان بمكة أن الله تبارك وتعالى قد قرن الزكاة بالصلاة في آيات مكية عديدة ، ففي سورة الأعراف المكية قال تعالى : ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٤)، وفي سورة النمل المكية قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ

(١) تفسير سفيان الثوري (ص : ١٠٩-١١٠) ، والأثر أخرجه الطبري في تفسيره عن

القاسم حدثنا حجاج عن ابن جريج . وهذا إسناد فيه ضعف ، ومراً مراراً .

انظر الأثر (١٧٤/١٢) برقم (١٤٠٤٠) ، وذكره ابن كثير في تفسيره (١٨٩/٢) .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية (٤) .

(٣) تفسير ابن كثير (٢٤٩/٣) .

(٤) سورة الأعراف ، الآية (١٥٦) .

الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿١﴾ ، وفي سورة فصلت المكية أيضاً قال تعالى : ﴿ وَبَلِّغِ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٢) إلى غير ذلك من الآيات .

والصلاة كما هو معروف قد ثبت وجوبها بمكة ، فاقتران الزكاة في هذه الآيات المكية يدل على وجوبها بمكة أيضاً .

وإذا كانت هذه الأدلة قد دلت على وجوب الزكاة بمكة واشتهر عند أكثر العلماء أنها شرعت بالمدينة فكيف نجتمع هذا بذاك ؟ والذي بدا لي من خلال استعراضي للأدلة الواردة في الزكاة في العهد المكي والمدني أن الزكاة شرعت في مكة إجمالاً ، والتي شرعت في المدينة هي ذات النصاب والمقادير الخاصة في السنة الثانية من الهجرة ؛ إذ في كثير من طابع التشريع المكي كان يتوجه إلى التأطير والتأصيل بوضع الكليات العامة لفرائض الإسلام ، وأما طابع التشريع المدني فكان يتوجه إلى تفصيل الجزئيات المندرجة في تلك القواعد العامة .

وفي هذا يقول الشاطبي - رحمه الله - : « وإنما كانت الجزئيات المشروعة بمكة قليلة ، والأصول الكلية كانت في النزول أكثر ، ثم لما خرج رسول الله ﷺ إلى المدينة ، واتسعت خطة الإسلام كملت هنالك الأصول الكلية على التدريج ، كإصلاح ذات البين والوفاء بالعهود ، وتحريم المسكرات ، وتحديد الحدود التي تحفظ الأمور الضرورية وما يكملها ، ويحسنها ، ورفع الحرج بالتخفيفات والرخص ، وما أشبه ذلك

(١) سورة النمل ، الآية (٣) .

(٢) سورة فصلت ، الآية (٧) .

كله تكميل للأصول الكلية» (١).

وقال أيضاً تحت مسألة « الأدلة المكية أصول كلية والمدنيات مقيدة ومكملة » : « وقد جاء في المكي - أي من الأصول الكلية - النطق بالشهادتين والصلاة والزكاة ، وذلك يحصل به معنى الانقياد ، وأما الصوم والحج فمدنيان من باب التكميل » (٢).

وكلام الشاطبي هذا لا يعني أن ما نزل بمكة ناقص فوق تكميله بما نزل بالمدينة ، وإنما يعني أن ما نزل بالمدينة من أحكام جزئية مندرج في الكليات التي نزلت بمكة .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في معرض نقده للحديث الذي استدل به ابن خزيمة (٣) في أن مشروعية الزكاة كانت قبل الهجرة قال : « وأولى ما حمل عليه حديث أم سلمة هذا - إن سلم من قدح في إسناده - أن المراد بقوله : « يأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام » أي في الجملة ، ولا يلزم من ذلك أن يكون المراد بالصلاة الصلوات الخمس ولا بالصيام صيام رمضان ، ولا بالزكاة هذه الزكاة المخصوصة ذات النصاب والحول والله أعلم » (٤) .

(١) الموافقات (١٠٣/٣) .

(٢) المصدر السابق (٤٩/٣) .

(٣) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة صاحب كتاب التوحيد ، توفي - رحمه الله - سنة (٣١١ هـ) .

ترجمته: الإرشاد في معرفة علماء الحديث (٨٣١/٣-٨٣٣)، الوافي بالوفيات (١٩٦/٢) .

(٤) الفتح (٣١٣/٣) .

ويقول شيخنا الدكتور أكرم العمري في حديثه عن الشعائر التعبدية في العهد المكي: « وفي المرحلة المكية شرعت الزكاة بمعناها العام ، وهو الحث على الصدقات ، وإعطاء المحروم ، وإطعام المسكين دون تحديد للأنصبة والمقادير ، فوصفت السور المكية المؤمنين بأنهم « للزكاة فاعلون » و « في أموالهم حق للسائل والمحروم » وأنه « حق معلوم » ، أما تحديد النصاب ومقادير الزكاة فقد شرع في سنة اثنتين من الهجرة » (١).

ولعل سائلاً يسأل فيقول : وهل هذه الآية - أي قوله تعالى : ﴿وَأَتُوا حَقَّ يَوْمٍ حَصَادِهِ﴾ صالحة أن تكون دليلاً على مشروعية أصل الزكاة في مكة وهي منسوخة بالآيات الدالة على وجوب الزكاة والتي نزلت بالمدينة ، وكذلك ما ورد في السنة من العشر ونصف العشر ؟ (٢).

والجواب : أن المتأمل في النصوص يرى أنه لا ضرورة للقول بالنسخ ، فالعلاقة بين هذه الآية وبين الأدلة الأخرى هي علاقة الحمل بالمبين ، والمطلق بالمقيد ، ومصطلح النسخ يشمل عدة أمور عند السلف من تخصيص العام ، وتقييد المطلق ، وتفسير المبهم ، وغير ذلك.

(١) السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم العمري (٢/٦٢٦).

(٢) قد رجح القول بنسخ هذه الآية الطبري في تفسيره (١٢/١٧٠-١٧١)، وقد روي عن ابن عباس أن قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّ يَوْمٍ حَصَادِهِ﴾ قال: «نسختها العشر ونصف العشر».

انظر: تفسير الطبري (١٢/١٦٨) برقم (١٤٠٢٠-١٤٠٢١)، وذهب أكثر العلماء إلى أن الآية محكمة.

مزياداً من التفصيل حول الخلاف انظر: النسخ في القرآن لمصطفى زيد (٢/٧٢٢-٧٢٩).

قال الشاطبي في معرض عرضه مفهوم النسخ عند السلف : « وذلك أن الذي يظهر من كلام المتقدمين أن النسخ عندهم في الإطلاق أعم منه في كلام الأصوليين ، فقد يطلقون على تقييد المطلق نسخاً ، وعلى تخصيص العموم بدليل متصل أو منفصل نسخاً ، وعلى بيان المبهم والمحمل نسخاً ، كما يطلقون على رفع الحكم بدليل شرعي متأخر نسخاً » (١) .

ويقول مكّي ابن أبي طالب - رحمه الله - بعد أن تحدث عن خلاف العلماء حول إحكام هذه الآية ونسخها : « فهذا كله يبين أنها محكمة نزلت في فرض الزكاة مجملة ، وبينها النبي ﷺ ، ويعارض كونها في الزكاة قول أكثر الناس : إن الزكاة فرضت بالمدينة ، والأنعام مكية فيصير فرض الزكاة نزل بمكة ، والله أعلم بذلك » (٢) .

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بعد عرضه العديد من الأقوال والآثار في تفسير الحق المذكور في الآية : « وقال آخرون : هذا شيء كان واجباً ثم نسخه الله بالعشر أو نصف العشر ، حكاه ابن جرير عن ابن عباس ، ومحمد بن الحنفية ، وإبراهيم النخعي ، والحسن ، والسدي ، وعطية العوفي ، وغيرهم ، واختاره ابن جرير رحمه الله ، قلت : - القائل ابن كثير - : وفي تسمية هذا نسخاً نظر ؛ لأنه قد كان شيئاً واجباً في الأصل ، ثم إنه فصل بيانه وبين مقدار المخرج وكميته ، قالوا : وكان هذا في السنة الثانية من الهجرة ، فالله أعلم » (٣) .

وهكذا يظهر لنا بوضوح أن الأدلة في وجوب الزكاة بالمدينة

(١) الموافقات (١٠٨/٣) .

(٢) الإيضاح (ص : ٢٨٥) .

(٣) تفسير ابن كثير (١٨٩/٢) .

لا تتعارض أن يراد في الآية فرض الزكاة مطلقاً .

والخلاصة : أن المراد بالزكاة الواردة في الأدلة المكية هي الزكاة المطلقة غير المحددة ، بينما المراد بالزكاة الواردة في الأدلة المدنية الزكاة المحددة المفصلة ذات الأنصباء والمقادير ، وتأخير البيان إلى وقت الحاجة سائغ في شريعتنا (١).

قال صاحب المراقي :

تأخر البيان عن وقت العمل وقوعه عند المجيز ما حصل
تأخيره للاحتياج واقع وبعضنا هو لذلك مانع (٢)
وبالنسبة للدليل الثاني الذي استند إليه القول بمدنية هذه الآية فهو
دليل لا تقوم به حجة ، وذلك لضعفه كما هو مبين في تخريج رواية هذا
الدليل والله أعلم (٣).

(١) انظر للتوسع في هذه القاعدة : البحر المحيط للزركشي (٣/٤٩٣-٤٩٤) .

(٢) متن مراقي السعود (ص : ٨٧) .

(٣) انظر تخريج الرواية المذكورة (ص : ٦٢٧) هامش رقم (١) .

المطلب العاشر :

في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١).

قرر مدنية هذه الآية ابن العربي في كتابه « أحكام القرآن » (٢) ،
والبقاعي في « نظم الدرر في تناسب الآيات والسور » (٣) ، كما نسب
هذا القول إلى أبي الحسن الحرالي (٤) .

مستند القول بمدنية هذه الآية :

إن الناظر في أقوال القائلين بمدنية الآية ليجد أن مستندهم ينحصر في
أمرين :

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٤٥) .

(٢) انظر (٢٩٠/٢) ونصه : « هذه الآية مدنية ، مكية في قول الأكثر » .

(٣) انظر : (٧٣٣/٢) ونصه : « وهذه الآية مدنية ، وأثبتها تعالى في سورة مكية إشعاراً
بأن التحريم كان مستحقاً في أول الدين ، ولكن أخر إلى حين اجتماع جماعة الإسلام
بالمدينة تأليفاً لقلوب المشركين وتيسيراً على ضعفاء الدين ... » .

(٤) انظر : مصاعد النظر (١١٦/٢) .

وأبو الحسن الحرالي هو علي بن أحمد بن حسن التحيي الأندلسي ، صنف تفسيراً سماه «
مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل » ، وقد أكثر النقل عنه البقاعي في « نظم
الدرر » و « مصاعد النظر » ، توفي - رحمه الله - سنة (٦٣٧) .

ترجمته : السير (٤٧/٢٣) ، طبقات المفسرين للداوودي (٣٩٢/١-٣٩٣) .

الأمر الأول : ما تدل به الآية من حصر المحرمات في الأشياء الأربعة المذكورة في الآية .

الأمر الثاني : ما اشتهر عند بعض المفسرين من أن الآية نزلت بعرفة يوم نزلت : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية (١).

مناقشة هذا المستند :

نوقش مستند القول بمدنية هذه الآية بالأمر التالية :
أولاً : ما سبق تحقيقه من أن سورة الأنعام نزلت جملة واحدة بمكة (٢) .

ثانياً : أن الحصر المتوهم في الآية ليس المراد به أن المحرمات في الشريعة مستقرة على هذا الحصر ، فالآية جاءت لغرض المضادة ومناقضة قول الكفار ، وليس القصد حلّ ما وراء ذلك ، فقد أخرج ابن أبي حاتم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه في قوله : ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ قال : كان أهل الجاهلية يستحلون أشياء ويحرمون أشياء فقال : ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ﴾ شيئاً فيما كنتم تستحلون إلا هذا ، يقول : ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ﴾ الآية (٣) .
وعند عبد بن حميد (٤) عن طاوس قال : « إن أهل الجاهلية كانوا

(١) انظر : أحكام القرآن لابن العربي (٢/٢٩٠) ، وتفسير القرطبي (٧/١١٦) ، نقلاً عن ابن العربي .

(٢) انظر : (ص : ٢٩٠-٢٩٢) .

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ، سورة الأنعام ، برقم (١٠٢٥) ، وصحح محققه إسناده ، والأثر أخرجه عبد الرزاق بنحوه . انظر : تفسير عبد الرزاق (٢/٢٢٠) .

(٤) هو ابن نصر الكشي ، ويقال : اسمه عبد الحميد ، توفي - رحمه الله - سنة (٢٤٩هـ) .

ترجمته : السير (١٢/٢٣٥-٢٣٨) ، العبر في خبر من غير (١/٣٥٧) .

يحرمون أشياء ويستحلون أشياء ، فنزلت : ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ الآية « (١) .

من خلال هذه الروايات تتضح لنا أهمية أسباب النزول في فهم معاني الآيات القرآنية ؛ إذ لولا السبب لظن أن المحرمات محصورة فيما ذكرته الآية ، وفي هذا يقول إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (٢) معلقاً على ما قاله الإمام الشافعي من أن الآية ليست حاصرة لما يحرم من المأكولات قال : « والذي اعتمده الشافعي في الكلام على الآية تنزيلها على سبب في النزول ، يدل عليه ما قبل الآية التي فيها الكلام وما بعدها » (٣) .
ومضى إمام الحرمين في كلامه على الآية فقال : « ظاهر الآية متروك بالإجماع ولا يعتد مع تحقيقه بخلاف مالك بعده ، فينتظم من ذلك تنزيل الآية على ما ذكره الشافعي » (٤) .

(١) الدر المنثور (٣/٣٧٢) ، بحث عن هذا الأثر في المنتخب من مسند عبد بن حميد فلم أجده ، فلعله في تفسيره الكبير الذي وجد قطعة منه مشتملة على سورة آل عمران والنساء في حواشي تفسير ابن أبي حاتم في المجلد الثاني .

(٢) هو عبد الملك بن الإمام أبو محمد عبد الله بن يوسف الشافعي الملقب بإمام الحرمين ، كان من كبار المتكلمين إلا أنه بيّن في كتابه الرسالة النظامية في الأحكام الإسلامية - المطبوع باسم العقيدة النظامية - أنه رجع إلى مذهب السلف ، توفي - رحمه الله - سنة ٤٧٨هـ .

ترجمته : وفيات الأعيان (٣/١٦٧-١٧٠) ، طبقات الشافعية للسبكي (٥/١٦٥-٢٢٢) .

(٣) البرهان في أصول الفقه لأبي المعالي الجويني (٢/١١٨٨-١١٨٩) .

(٤) المصدر السابق (٢/١١٩٠) ، هذا ونقل الزركشي - رحمه الله - في البرهان قول إمام الحرمين : « وهذا في غاية الحسن - أي أن الآية جاءت لغرض المضادة - ولو لا سبق الشافعي إلى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية » .
البرهان للزركشي (١/٢٣-٢٤) ، نقله السيوطي في الإتقان (١/٩٥) ←

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في الفتح معللاً ما نقله إمام الحرمين عن الشافعي : « وذلك - أي الآية - أنها وردت في الكفار الذين يحلون الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، ويحرمون كثيراً مما أباحه الشرع ، فكأن الغرض من الآية إبانة حالهم وأنهم يضادون الحق ، فكأنه قيل : لا حرام إلا ما حللتموه مبالغة في الرد عليهم » (١).

ثالثاً : ومما يمكن كذلك أن يجاب عن هذا الحصر أنه صادق في وقته في المرحلة المكينة؛ إذ إن هناك محرمات ثابتة في الكتاب والسنة زيادة على الأربعة المذكورة في الآية (٢).

قال ابن الجوزي - رحمه الله - في معرض رده على دعوى النسخ في هذه الآية : « وإنما الصواب عندنا أن يقال : هذه الآية نزلت بمكة ولم تكن الفرائض قد تكاملت ، ولا المحرمات اليوم قد تتأمت ، ولهذا قال :

→

نقلًا عن الزركشي .

ولم أجد هذه العبارة في كتاب البرهان لإمام الحرمين ، ولعلها في كتابه « التلخيص في أصول الفقه » المخطوط ، والله أعلم .

انظر كلام الشافعي حول هذه الآية في : الأم (٢/٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٧) ، وانظر كذلك مذهب مالك في حصر الآية في : المدونة الكبرى (٢/٦٤-٦٥) ، الموطأ (ص: ٣٣٣) .

(١) الفتح (٥٧٤/٩) .

(٢) ومن تلك المحرمات الخمر ، فقد ثبت تحريمها بنص الكتاب ، وأما تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير ، والخمر الأهلية فقد ثبت تحريم هذه الأمور في السنة بأحاديث صريحة صحيحة .

ولزيد من الفائدة انظر : السنن الكبرى للبيهقي (٩/٣٣٢) ، تفسير القرطبي (٧/١١٥-١٢٤) ، الفتح (٩/٥٦٩-٥٧٤) ، أضواء البيان (٢/٢٤٧-٢٥٨) .

﴿فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ على لفظ الماضي ، وقد كان حينئذ من قال : لا إله إلا الله ثم مات دخل الجنة ، فلما جاءت الفرائض والحدود وقعت المطالبة بها ، فكذلك هذه الآية إنما أخبرت بما كان في الشرع من التحريم يومئذ ، فلا ناسخ إذاً ولا منسوخ ، ثم كيف يدعى نسخها وهي خبر ، والخبر لا يدخله النسخ « (١) ».

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « فوقت نزول الآيات المذكورة لم يكن حراماً غير الأربعة المذكورة ، فحصرها صادق قبل تحريم غيرها بلا شك ، فإذا طرأ تحريم شيء آخر بأمر جديد فذلك لا ينافي الحصر الأول لتجدده بعده ، وهذا هو التحقيق إن شاء الله » (٢).

رابعاً: ما قيل في نزول الآية من أنها نزلت يوم عرفة مع قوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ الآية (٣) فلإني لم أجد نصاً يدل على ذلك ، فغاية ما في الأمر أن ابن العربي ذكر أنها نزلت بعرفة ونصه : « هذه الآية مدنية ، مكية في قول الأكثر ، نزلت على النبي ﷺ يوم نزل عليه قوله : ﴿الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ وذلك يوم عرفة ، ولم ينزل بعدها ناسخ فهي محكمة » (٤).

وانتقد الحافظ ابن حجر - رحمه الله - دعوى ابن العربي بمدنية هذه الآية فقال في معرض رده على ما نقله القرطبي عن ابن العربي من نزول الآية يوم عرفة : « وحكى القرطبي عن قوم - أي ابن العربي - أن آية

(١) نواسخ القرآن لابن الجوزي (ص : ٣٣٦) .

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/٢٥١) .

(٣) جزء من الآية (٣) سورة المائدة .

(٤) أحكام القرآن لابن العربي (٢/٢٩٠) ، وانظر الروايات الصحيحة في نزول قوله تعالى :

﴿الْيَوْمَ اكْمَلْتُ﴾ (ص:٤٦٦) .

الأنعام المذكورة نزلت في حجة الوداع فتكون ناسخة ، وردَّ بأنها مكية كما صرح به كثير من العلماء ، ويؤيد ما قبلها من الآيات من الردّ على مشركي العرب في تحريمهم ما حرموه من الأنعام وتخصيصهم بعض ذلك بأهلّتهم إلى غير ذلك مما سبق للردّ عليهم ، وذلك كله قبل الهجرة إلى المدينة « (١) .

وخلاصة القول : أن هذه الآية مكية ، والحصص المذكور فيها جاء لغرض مناقضة قول الكفار ومحمول على أنه يصدق في حينه ، والله أعلم .

(١) الفتح (٥٧٤/٩) ، وانظر نقل القرطبي عن ابن العربي في تفسيره (١١٦/٧) .

المطلب الحادي عشر :

في قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا
صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ
سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّدَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١).

ذهب إلى مدنية هذه الآيات الثلاث جمع من أهل العلم ، فقد روي
عن ابن عباس ، كما أخرجه النحاس في « الناسخ والمنسوخ » (٢) ،
والبغوي في تفسيره (٣) ، وقال به مقاتل بن سليمان ، وأبو القاسم
النيسابوري ، والثعلبي ، وابن عبد البر ، والفيروزآبادي (٤).

وروي عن شهر بن حوشب أن قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ
رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية ، والآية التي بعدها مدنيتان (٥).

(١) سورة الأنعام ، الآيات (١٥١-١٥٣) .

(٢) انظر (٣١٦/٢) .

(٣) انظر : (١٢٥/٣) .

(٤) انظر : تفسير مقاتل (٥٤٧/١) ، التنزيل وترتيبه لأبي القاسم النيسابوري
(٢٢٢٦ق/ب) ، الكشف والبيان (٢/٢ق/ب) ، التمهيد لابن عبد البر (١٤٦/١) ،
البصائر للفيروزآبادي (١٨٦/١) .

(٥) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (٢٦٥/٤ق/أ) ، وانظر أيضاً : المطالب العالية
(٣٢٩/٣) برقم (٣٦١١) ، قال إسحاق : أخبرنا جرير عن ليث بن أبي سليم عن شهر
بن حوشب « نزلت سورة الأنعام ومعها رجل من الملائكة قد نظموا السماء الدنيا إلى
الأرض ، وهي مكية غير آيتين ﴾ ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ والآية التي
بعدها « .

قلت : وفي إسناد إسحاق ليث بن أبي سليم وشهر بن حوشب ، وكلاهما فيه ضعف ،
←

مستند القول بمدنية هذه الآيات :

يستند القول بمدنية هذه الآيات بالأدلة التالية :

الدليل الأول : أخرج النحاس من طريق أبي عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس قال : « سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة ، فهي مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ﴾ إلى تمام الآيات الثلاث » (١).

وقال البغوي في تفسيره : وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : « نزلت سورة الأنعام بمكة ، إلا قوله ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إلى آخر ثلاث آيات ، وقوله تعالى : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فهذه الست آيات مدنيات » (٢).

الدليل الثاني : يرى القائلون بمدنية هذه الآية أن في الآيات بعض ملامح القرآن المدني وكأنهم يستشفون منها بعض التشريعات ، ومعلوم أن أغلب القواعد التشريعية كانت في المرحلة المدنية .

→

وزاد السيوطي نسبة هذا الأثر إلى الفريابي وعبد بن حميد . انظر : الدر (٢٤٤/٣) ، ولم أجده في المنتخب من مسند عبد بن حميد ، ولعله في مسنده المفقود أو في تفسيره الذي وجد منه قطعة في حواشي تفسير ابن أبي حاتم في المجلد الثاني كما أشار إليه الدكتور حكمت بشير في مقدمة التفسير الصحيح - موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور - انظر : مجلة الجامعة الإسلامية العدد (١٠١-١٠٢) (ص : ٢٦) هامش رقم (٢) .

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٣١٦/٢) وسبق الحكم على هذا الإسناد مفصلاً . انظر : (ص : ٢٦٥-٢٦٩) .

(٢) معالم التنزيل (١٢٥/٣) .

مناقشة هذا المستند :

مناقشة الدليل الأول : سبق أن ذكرنا الحكم على إسناد النحاس ، وكانت النتيجة أن في الإسناد مقالاً ، وأما الطريق الثاني المروي بهذا الاستثناء عن ابن عباس فهو من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، والكلبي متروك ، كما أن طريقه أوهى طرق التفسير عن ابن عباس (١).

مناقشة الدليل الثاني : يبدو - والله أعلم - أنه ليس هناك تنافٍ بين أن تكون هذه الآيات مكيات وبين ما ورد فيها من بعض التشريعات ، كقتل النفس ، ورعاية مال اليتيم ، وإيفاء الكيل والوزن ؛ إذ قد نزلت في الفترة المكية بعضُ آيات الأحكام الأخلاقية والسلوكية التي تتعلق بتربية المسلم أكثر من تعلقها بتنظيم قضايا الدولة المسلمة ، قال الشاطبي - رحمه الله - تحت مسألة : « الأدلة المكية أصول كلية والمدنيات مقيدة ومكملة » : « إذا رأيت في المدنيات أصلاً كلياً فتأمله تجده جزئياً بالنسبة إلى ما هو أعم منه ، أو تكميلاً لأصل كلي ، ويبان ذلك أن الأصول الكلية التي جاءت الشريعة بحفظها خمسة وهي : الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال .

أما الدين فهو أصل ما دعا إليه القرآن والسنة ، وما نشأ عنهما ، وهو أول ما نزل بمكة ، وأما النفس فظاهر إنزال حفظها بمكة ، كقوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ ﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ ... وأما العقل فهو وإن لم يرد تحريم ما يفسده وهو الخمر إلا بالمدينة ، فقد ورد في المكيات مجملًا ؛ إذ هو داخل في حرمة النفس ...

(١) مزيداً من التفصيل لهذا الطريق انظر : (ص : ٥٢٢) هامش (١) .

وأما النسل فقد ورد المكّي من القرآن بتحريم الزنى ، والأمر بحفظ الفروج إلا على الأزواج أو ملك اليمين ، وأما المال فورد فيه - أي في القرآن المكّي - تحريم الظلم ، وأكل مال اليتيم ، والإسراف ، والبغي ، ونقص المكيال أو الميزان ، والفساد في الأرض ، وما دار بهذا المعنى «(١)».

وقال الشاطبي - رحمه الله - أيضاً تحت مسألة : « المدني مبني على المكّي ، وكذا كل متأخر في النزول مع المتقدم » قال : « المدني من السور ينبغي أن يكون منزلاً في الفهم على المكّي ، وكذلك المكّي بعضه مع بعض ، والمدني بعضه مع بعض ، على حسب ترتيبه في التنزيل ، وإلا لم يصح .. » (٢) إلى أن قال الشاطبي - رحمه الله - : « وأول شاهد على هذا أصل الشريعة ، فإنها جاءت متممة لمكارم الأخلاق ، ومُصلحة لما أفسد قبل من ملة إبراهيم عليه السلام ، ويليّه تنزيل سورة الأنعام ، فإنها نزلت مُبيّنة لقواعد العقائد وأصول الدين ، وقد خرّج العلماء منها قواعد التوحيد التي صنف فيها المتكلمون ، من أول إثبات واجب الوجود إلى إثبات الإمامة ، هذا ما قالوا ، وإذا نظرت - أي سورة الأنعام - بالنظر المسوق في هذا الكتاب - أي الموافقات - تبين به من قريب بيان القواعد الشرعية الكلية التي إذا انخرم منها كليّ واحد انخرم نظام الشريعة ، أو نقص منها أصل كليّ ، ثم لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة كان من أول ما نزل عليه سورة البقرة ، وهي التي قررت قواعد التقوى المبيّنة على قواعد سورة الأنعام ... » (٣).

(١) الموافقات (٤٦/٣-٤٨) .

(٢) المصدر السابق (٤٠٦/٣) .

(٣) المصدر السابق (٤٠٦/٣-٤٠٧) ، وتابع كلام الإمام الشاطبي - رحمه الله - فكلّامه

نفيس في هذا الموضوع.

ولعل ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده يشهد لما قرره الشاطبي - رحمه الله - من أن قواعد سورة البقرة مبنية على قواعد سورة الأنعام ، فقد أخرج الإمام أحمد من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « لما نزلت : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ عزلوا أموال اليتامى حتى جعل الطعام يفسد ، واللحم يئن ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت : ﴿ وَإِنْ تَخَاطَوْهُمْ فَأَخْوَانَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ قال : فخالطوهم » (١).

ولشيخ الإسلام - رحمه الله - كلام نفيس فيه بيان أن هذه الآيات من الأصول العملية التي اتفق عليها الرسل في شرائعهم قال : « فالرسل متفقون في الدين الجامع للأصول الاعتقادية والعملية ، فالاعتقادية كالإيمان بالله ورسله وباليوم الآخر ، والعملية كالأعمال العامة المذكورة في الأنعام والأعراف وسورة بني إسرائيل ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ إلى آخر الآيات الثلاث ، وقوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِلَٰهًا ﴾ إلى آخر الوصايا ، وقوله : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ ... فهذه الأمور هي من الدين التي اتفقت عليه الشرائع كعامة ما في السور المكية ، فإن السور المكية تضمنت الأصول التي اتفقت عليها رسل الله ؛ إذ كان الخطاب

(١) المسند (٣٠٠٤/٥) برقم (٣٠٠٢) ، وحسن إسناده الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - والحديث أخرجه أبو داود في سننه (٢٩١/٣-٢٩٢) كتاب الوصايا ، باب مخالطة اليتيم في الطعام ، برقم (٢٨٧١) ، والنسائي في الوصايا أيضاً ، باب ما للوصي من مال اليتيم إذا قام عليه (٥٦٧/٦) برقم (٣٦٧١) .
وحسن الشيخ ناصر الدين الألباني إسناده في صحيح سنن أبي داود (٥٥٤/٢-٥٥٥) برقم (٢٤٩٥) ، وانظر أيضاً في صحيح سنن النسائي (٧٧٩/٢) برقم (٣٤٣٠) .

فيها يتضمن الدعوة لمن لا يقر بأصل الرسالة» (١).

ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام أن المتبوع لدعوة الأنبياء والرسل - عليهم السلام - يجد أن كل نبي كما كان يدعو لعبادة الله وحده كان بجانب هذه الدعوة يدعو إلى إصلاح المجتمع من المفساد المنتشرة فيه ، فها هو نبي الله شعيب عليه السلام وهو يدعو إلى عبادة الله وحده يتعرض لإصلاح مفسدة اجتماعية تتصل بقضايا الأموال ، قال تعالى : ﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٢).

وقال تعالى أيضاً على لسان قوم شعيب : ﴿قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلَوْتَكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَالِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ (٣).

هكذا يوضح القرآن الكريم مدى العلاقة بين العقيدة والتشريع في منهج الأنبياء ، ومن هنا يبدو أن دعوى التفريق بين العقيدة والشرعية من إفرازات العلمنة المعاصرة التي تقوم على مبدأ فصل الدين عن الدولة .

هذا ومما يؤكد أن هذه الآيات مكيات ، وأن الأحكام المذكورة فيها هي أمهات الأخلاق التي كانت مشروعة بمكة ما أخرجها أبو نعيم في دلائل النبوة بسند رجاله ثقات في حديث طويل عن ابن عباس قال : حدثني علي بن أبي طالب ، قال : « لما أمر الله نبيه ﷺ أن يعرض نفسه

(١) مجموع الفتاوى (١٥/١٥٩-١٦٠) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (٨٥) .

(٣) سورة هود ، الآية (٨٧) .

على قبائل العرب ، خرج وأنا معه ، وأبو بكر - ﷺ - وكان أبو بكر رجلاً نساباً ، فوقف على منازلهم ومضاربهم بمنى ، فسلم عليهم وردوا السلام ، وكان في القوم مفروق بن عمرو ، وهانئ بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك ، وكان أقرب القوم إلى أبي بكر مفروق ، وكان مفروق قد غلب عليهم بياناً ولساناً ، فالتفت إلى رسول الله ﷺ فقال له : إلام تدعوننا يا أخا قريش ؟ فتقدم رسول الله ﷺ فجلس وقام أبو بكر يظله بثوبه ، فقال النبي ﷺ : أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأني رسول الله ، وأن تأووني وتنصروني وتمنعوني حتى أؤدي حق الله الذي أمرني به ، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله ، وكذبت رسوله ، واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغني الحميد ، قال له : وإلام تدعوننا أيضاً يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله ﷺ : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ إلى قوله : ﴿ تَتَّقُونَ ﴾ فقال له مفروق : وإلام تدعوننا أيضاً يا أخا قريش فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض ، ولو كان من كلامهم لعرفناه ، فتلا رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ الآية ، فقال له مفروق : دعوت - والله - يا قرشي إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك ... » (١) .

قلت : فهذا الحديث دليل واضح على أن هذه الآيات كانت مقروءة

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/٢٣٧-٢٤١) ، والحديث أخرجه البيهقي في الدلائل مطولاً (٢/٤٢٢-٤٢٧) .

وقال العلامة الزرقاني في شرحه على المواهب اللدنية للقسطلاني : أخرجه الحاكم وأبو نعيم والبيهقي بإسناد حسن . شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني (٣٠٩/١) .

لدى النبي ﷺ قبل المرحلة الجهرية بالدعوة ، إذ هو استشهد بها في معرض ذكره بما تدعو إليه رسالته عليه الصلاة والسلام .

وخلاصة القول : أن الآيات الثلاث هي المعروفة باسم « الوصايا العشر » وهي وصايا أخلاقية متفقة مع منهج النبوات في الجمع بين العقيدة والتشريع ، والأحكام المذكورة فيها من قبيل القواعد الكلية التي كانت في مكة ، وشرعت جزئياتها في المدينة .

قال أبو السعود (١) في تفسيره بعد أن ذكر هذه الوصايا العشر : « وهذه أحكام عشرة لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار » (٢).

(١) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، من مؤلفاته « إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم » توفي - رحمه الله - سنة (٩٨٢هـ) .

ترجمته : الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة للغزي (٣/٣٥) ، معجم المفسرين (٢/٦٢٥-٦٢٦) .

(٢) تفسير أبي السعود (٢/٢٠٠) .

المبحث الثاني :
الآيات المدعى مدنيتهما في سورة الأعراف
وفيه مطلبان :

المطلب الأول :

في قوله تعالى : ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ الآية إلى قوله : ﴿ وَإِذْ تَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَاءً آتِيذَكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١).

اختلف المفسرون في تحديد الآيات التي قيل إنهن مدينيات ومستثناة من هذه السورة المكية إلى أربعة أقوال ، وإليك عرض الأقوال أولاً ، ثم مستندهم في مدينية هذه الآيات ، وفي النهاية نذكر الرأي الذي نرجحه :
القول الأول : إن المدني من هذه السورة آية واحدة ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ... ﴾ الآية ، وهذا القول ذهب إليه قتادة ، كما أخرجه ابن المنذر وأبو الشيخ (٢) ، والحارث المحاسبي (٣).

القول الثاني : المستثنى خمس آيات بدءاً من قوله تعالى : ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ ﴾ الآية إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْحِسَابِ وَإِنَّ لَغَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٤). وهذا القول هو قول أبي الفتح سليم الرازي (٥) ،

(١) سورة الأعراف ، الآيات (١٦٣-١٧١) .

(٢) انظر : الدر المنثور (٤١٢/٣) .

(٣) راجع : فهم القرآن المطبوع مع كتاب العقل (ص : ٣٩٥) .

(٤) سورة الأعراف ، الآيات (١٦٣-١٦٧) .

(٥) هو أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي ، له تفسير سماه « ضياء القلوب » ، ويحقق أجزاء منه في الجامعة الإسلامية بالمدينة ، توفي - رحمه الله - غارقاً في بحر القلزم عند ساحل جدة بعد الحج سنة (٤٤٧هـ) .

ترجمته : السير (١٧/٦٤٥-٦٤٧) ، طبقات المفسرين للدواودي (٢٠٢/١-٢٠٣) ، وانظر قول سليم في تفسيره : ضياء القلوب (٧٩ق/ب) .

والبغوي (١)، ونظام الدين النيسابوري (٢) ، وقد روي عن ابن عباس كما أنه رواية ثانية عن قتادة (٣).

القول الثالث : ذهب أبو القاسم النيسابوري ، والنجم النسفي ، والقرطبي ، وأبو السعود ، ومن المعاصرين سيد قطب ، والدكتور وهبة الزحيلي إلى أن المدني من هذه السورة ثماني آيات ، بدءاً من قوله تعالى : ﴿وَسَأَلْتَهُمُ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ الآية إلى قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكَذِبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (٤).

(١) ينظر : معالم التنزيل (٢١٣/٣) .

(٢) ينظر : غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري (٦٧/٨) .

(٣) ينظر : النكت والعيون (١٩٨/٢) ، زاد المسير (١٢٦/٣) ، تفسير الخازن (٢٠٨/٢) .

(٤) سورة الأعراف ، الآيات (١٦٣-١٧٠) .

تنبيه : هذا وقد ورد في كتب بعض أصحاب القول الثالث أن المدني من هذه السورة ثمان آيات تبدأ من قوله تعالى : ﴿وَسَأَلْتَهُمُ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ الآية إلى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ هَمَّ الْجِبَلُ بِالْكَسْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ وبهذا نرى أن تلك الغاية لا تدخل في الغميا، وهذه قاعدة أصولية معتمدة عند أهل العلم . راجع في هذا القاعدة: الأحكام في أصول الأحكام للآمدي (٥١٦/٢) ، وانظر قول أصحاب القول الثالث في مصادرهم وهي كالتالي مرتبة ترتيباً زمنياً : التنزيل وترتيبه لأبي القاسم النيسابوري (٢٢٦ق/ب)، التيسير في التفسير للنجم النسفي (٢٠٦ق/أ) ، تفسير القرطبي (١٦٠/٧) ، تفسير أبي السعود (٢٠٩/٣) ، في ظلال القرآن (١٣٨٣/٣) ، التفسير المنير (١٣٣/٨) .

تنبيه مهم : وقع في كتاب التنزيل وترتيبه لأبي القاسم النيسابوري تصحيف عند ذكر الآيات المدنية من هذه السورة ، فقد جاء ما نصه « سورة الأعراف مكية سوى ثلاث آيات ، قوله : ﴿وَسَأَلْتَهُمُ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ إلى قوله : ﴿وَإِذْ هَمَّ الْجِبَلُ فَوْقَهُمْ﴾ » وعند العد يظهر أنها ثمان آيات ، وهكذا نقله الزركشي في البرهان مصحفة ، وكما سبق بيانه أن باب المكي والمدني في البرهان منقول برمته من كتاب التنزيل وترتيبه ، إذاً التصحيف الواقع في كتاب البرهان للزركشي موجود في الأصل الذي نقله عنه .

انظر : التنزيل وترتيبه (٢٢٦ق/ب) ، وقارن معه البرهان (٢٠٠/١)

القول الرابع : المدني من هذه السورة تسع آيات من قوله تعالى :
﴿وَسَأَلْتَهُمَ عَنِ الْقَرْيَةِ...﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ تَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ
وَنظُنُّوْا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَاءَ آتِنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١).
وهذا القول هو قول مقاتل بن سليمان (٢) ، وأبي المظفر
السمعاني (٣) .

مستند القول بمدنية هذه الآيات :

إن الناظر في أقوال من ذهب إلى مدنية هذه الآيات يرى أنه يجمعهم
شيء واحد في استدلالهم ، وهو ما تحكيه هذه الآيات من سمات اليهود
وتحايلهم على أحكام الله تعالى ، وأقوى دليل لدى هؤلاء هو توجيه
الخطاب في قوله تعالى : ﴿وَسَأَلْتَهُمَ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ إلى النبي ﷺ بأن يسأل اليهود
المعاصرين له عن حال أصحاب القرية المسوخين إلى صور القردة
والخنازير .

وفي هذا يقول سيد قطب - رحمه الله - « والآيات من هنا أي من
قوله : ﴿وَسَأَلْتَهُمَ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ إلى قوله : ﴿وَإِذْ تَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ آيات مدنية
نزلت في المدينة لمواجهة اليهود فيها ، وضعت في السورة المكية في هذا
الموضع تكملة للحديث عما دار فيها من قصة بني إسرائيل مع نبيهم
موسى عليه السلام » (٤) .

(١) سورة الأعراف ، الآيات (١٦٣-١٧١) .

(٢) انظر : تفسير مقاتل (٢٧/٢-٢٨) .

(٣) انظر : تفسير أبي المظفر السمعاني (١٤٨/١-١٤٩/١ ق/ب-أ) .

(٤) في ظلال القرآن (١٣٨٣/٣) .

مناقشة هذا المسند :

ليس من قبيل التكرار وإنما زيادة التوضيح أقول : إن القرآن الكريم بدأ حديثه عن اليهود في العهد المكي ، والمسلمون ما يزالون فئة قليلة مستضعفة في مكة ، نعم ! إن المعركة بين المسلمين واليهود لم تظهر ملامحها الكاملة إلا بعد الهجرة ، إلا أن هذا التنبيه على خطر اليهود في وقت مبكر من عمر الدعوة لا ريب أنه صورة من صور إعجاز القرآن ، ذلك أن القرآن الكريم في حديثه عن اليهود يربط ربطاً محكماً بين طبائع وأخلاق المعاصرين منهم للنبي ﷺ ، وطبائع وأخلاق آبائهم الأولين الذين عاصروا موسى وعيسى - عليهما السلام - وما ذلك إلا لبيان أن ما عليه الأبناء من فسوق وعصيان ومحاربة لدعوة الإسلام ، إنما هو ميراث أجدادهم .

وإذا كان القرآن المكي قد تحدث عن اليهود بتلك الصورة التي سبق تفصيلها عند حديثنا عن منهج القرآن في الحديث عن بني إسرائيل في المرحلة المكية (١) ، اليس من العجيب أن يعد بعض المفسرين ما مرّ عليهم من آيات تتحدث عن اليهود أنها آيات مدنية؟

ما أحسن وما أروع ما قاله الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - في مثل هذا المقام ، فقد قال : « وهناك آيات تعرضت لأهل الكتاب فجاء الرواة وعدّوها مدنية كأن الكلام عن أهل الكتاب في مكة لا محل له ، والواقع أن هذه الروايات ينقصها التمهيص العلمي والتحقيق التاريخي ، وشيوعها بهذه الصورة يشبه شيوع القول بالنسخ مع ضعف سنده من ناحيتي العقل والنقل ، والغريب أن هذه الروايات الواهية هي التي أثبتها

(١) انظر : (ص : ١٧٥) .

دون غيرها نفر من الحفاظ أشرفوا على طبع هذا المصحف أخيراً في دار الكتب المصرية» (١) .

وقال الشيخ ابن عاشور - رحمه الله - معقّباً على بعض الآيات من سورة يونس والتي قيل إنهن مدنيات بدعوى أنها تتحدث عن أهل الكتاب : « وأحسب أن هذه الأقوال ناشئة عن ظن أن ما في القرآن من مجادلة مع أهل الكتاب لم ينزل إلا بالمدينة ، فإن كان كذلك فظن هؤلاء مخطئ » (٢).

وهنا سؤال يتبادر إلى الأذهان - في شبهة القائلين بمدنية هذه الآيات - وهو: أليس توجيه الخطاب إلى النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وَسَلِّمْهُمْ ﴾ يقتضي أن يكون في المدينة ؟ إذ لم يعرف لليهود وجود في مكة .

والجواب : أنه قد جاء في القرآن المكي نحو هذا السياق ، ففي سورة يونس المكية قال تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ (٣)، وفي سورة الإسراء المكية قال تعالى : ﴿ فَسْأَلُ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ (٤) ، وفي النحل . والأنبياء المكيّتان قال تعالى : ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٥).

وهكذا ، نرى أنه لا مانع أن تنزل هذه الخطابات والنبي ﷺ في مكة ، إذ إن عطاء كتاب الله العزيز بكر يتجدد في كل عصر وصالح لكل زمان ومكان .

(١) نظرات في القرآن (ص : ٢٦١) .

(٢) التحرير والتنوير (٧٨/١١) .

(٣) سورة يونس ، الآية (٩٤) .

(٤) جزء من الآية (١٠١) من سورة الإسراء .

(٥) جزء من الآية (٤٣) من سورة النحل ، ومن سورة الأنبياء ، الآية (٧) .

وقد وردت روايات صحيحة تدلّ على أن قريشاً كانت هي الواسطة بين النبي ﷺ وبين اليهود . ففي الترمذي بسند صحيح من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال : « قالت قريش ليهود : أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل ، فقال : سلوه عن الروح . فسألوه عن الروح ، فأنزل الله تعالى ﴿ وَسْئَلُوكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قالوا : أوتينا علماً كثيراً ، أوتينا التوراة ، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً ، فأنزلت ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِزَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ ﴾ إلى آخر الآية » (١) .

ولعل ظاناً يظن بأن حديث سورة البقرة - وهي مدنية - عن قصة أصحاب السبت يوحى بأن آيات الأعراف التي تتحدث عن هذه القصة كذلك آيات مدنيات حملاً للنظائر بعضها على البعض الآخر ؟

ولا شك أن هذا الظان قد جانب الصواب ، ولم يدرك بعد الأهداف الأساسية للقصة القرآنية ، إذ ليس بلازم أن تكون آيات القصة الواحدة كلها تنزل في مكة أو في المدينة بل من سمات القرآن الكريم تعدد ذكر القصة الواحدة فيه إيجازاً وتفصيلاً ، على أي مكان كان ذكرها ، المهم أن القصة قد ترد في كتاب الله على الوجه المناسب في تلك المرحلة إذ الهدف منها أخذ العبرة بها ، وبالتالي الإفادة مما تعطي من دروس ، قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ (٢) ، وتلك - أعني ورود القصة الواحدة بأزمنة متباعدة وأمكنة مختلفة - لمحة من لمحات الإعجاز

(١) سنن الترمذي مع تحفة الأحوذى (٤٥٦/٨ - ٤٥٨) برقم (٣٣٤٩) . قال الترمذي :

« هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه » ، وقال الحافظ ابن حجر : «

رجاله - أي الترمذي - رجال مسلم » ، الفتح (٢٥٣/٨) وصححه الشيخ الألباني في

صحيح سنن الترمذي (٦٩/٣) برقم (٢٥١٠) .

(٢) سورة يوسف الآية (١١١) .

البياني في هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (١) .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا أَمَّا وَاحِدًا أَحْيَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَدَهُ قَوْمُهُ أَنِ اصْرَبَ بَعْصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ... ﴾ إلى قوله : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ (٢) .

قال مفرقاً بين هذا السياق وسياق سورة البقرة : « تقدم تفسير هذا كله في سورة البقرة وهي مدنية وهذا السياق مكِّي ، ونبها على الفرق بين هذا السياق وذاك بما أغنى عن إعادته هنا والله الحمد والمنة » (٣) .

ومما هو جدير بالذكر كذلك أننا نجد صورة تسجيلية أخرى لقصة أصحاب السبت في سورة مكية غير الأعراف الأمر الذي يؤكد ما ذكرنا من كون القصة الواحدة في القرآن تذكر في أزمنة وأمكنة مختلفة ، فقد قال تعالى في سورة النحل ﴿ إِنَّمَا جَعَلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٤) .

ولو ذهبنا نستعرض الآيات القرآنية على هذا النحو لطال بنا المقام وامتد بنا الطريق (٥) .

(١) انظر كلاماً حول إعجاز القصة القرآنية في : مصاعد النظر (١/١٨٢) .

(٢) سورة الأعراف الآيات (١٦٠-١٦٢) .

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٢٦٧) ، وانظر الفروق بين السياقين في : الكشف (٢/١٢٤-١٢٥) ، تفسير ابن كثير (١/١٠٤) .

(٤) سورة النحل الآية (١٢٤) .

(٥) انظر على سبيل المثال قصة عبادة بني إسرائيل العجل ، فقد جاءت في سورة الأعراف المكية في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ

والخلاصة : أن هذه الآيات آيات مكية قصت لنا بعض شناعات اليهود ، وما ذلك إلا لتكوين الشخصية الإسلامية اعتقاداً وسلوكاً ، إذ إن قضية اليهود من قضايا الإعتقاد - كما قلنا سابقاً - .

قال العلامة الألوسي - رحمه الله - في تفسيره : « وأخرج غير واحد عن ابن عباس وابن الزبير أنها - أي سورة الأعراف - مكية ولم يستثنيا شيئاً » (١) .

وقال الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - في تفسيره : « الأعراف مكية بالإجماع . وقد أطلق القول في ذلك عن ابن عباس وابن الزبير » (٢) . وقال أيضاً معقّباً على ما قاله مقاتل من أن قوله تعالى ﴿ وَسَلِّهُمْ عَنْ الْقَرْيَةِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ﴾ مدنيّ قال : « وكأن قائل هذا الرأي رأى أن هذه الآيات متصل بعضها ببعض بالمعنى فلا يصح أن يكون بعضها مكياً وبعضها مدنيّاً ، وبهذا النظر نقول : إن ما قبل هذه الآيات وما بعدها في سياق واحد وهو قصة بني إسرائيل على أن الغاية وهي ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ﴾ غير داخلية في المغيا فهي بدء سياق جديد عام ، ومقتضى ذلك أن السورة كلها مكية وهو الصحيح المختار » (٣) .

→

الدنيا ... ﴿ الآية ، وجاءت كذلك في سور مدنية ، قال تعالى في سورة البقرة ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ اقْبَلُوا أَنَا بَأْسُكُمْ وَابْتِغَاءُ لِقَوْمٍ يُغْفِرُونَ ﴾ الآية وفي سورة النساء المدنية قال تعالى ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تَنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا لَهْ جَهَنَّمَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بَظُلْمَتِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ ﴾ الآية .

(١) روح المعاني (٧٤/٨) .

(٢) تفسير المنار (٢٩٤/٨) .

(٣) المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

المطلب الثاني :

في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١)

لم أقف على أحد يرى مدنية هذه الآية إلا أنه ورد من أسباب نزولها ما أخرجه الطبري - رحمه الله - في تفسيره حيث قال : حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا حفص عن أشعث عن الزهري قال : « نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار ، كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئاً قرأه ، فنزلت ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ » (٢) .

قال الإمام السيوطي - رحمه الله - مشيراً إلى هذه الرواية : « قلت : ظاهر ذلك أن الآية مدنية » (٣) .

وثمة روايات أخرى مفادها أن الآية نزلت في رفع القراءة خلف الإمام ، وفي الخطبة يوم الجمعة ، وفي العيدين ، ومعلوم بداهة أن صلاة الجمعة وصلاة العيدين لم تفرضوا إلا بالمدينة (٤) .

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤) .

(٢) تفسير الطبري (٣٤٦/١٣) برقم (١٥٥٨٣) إسناده مرسل ، وسيأتي قريباً أقوال أهل العلم في مراسيل الزهري .

(٣) لباب النقول في أسباب النزول (ص : ١٠٦) .

(٤) انظر فرضية الجمعة في المدينة صحيح البخاري مع الفتح (٤١٢/٢) برقم (٨٧٦) كتاب الجمعة ، باب فرض الجمعة ... ، وأورد الإمام البخاري - رحمه الله - تحت الباب قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ الآية مستدلاً بذلك على فرضيتها وهي آية مدنية .

وقال الحافظ ابن حجر : « واختلف في وقت فرضيتها ، فالأكثر على أنها فرضت بالمدينة وهو مقتضى ما تقدم أن فرضيتها بالآية المذكورة وهي مدنية ، وقال الشيخ أبو حامد - الغزالي - فرضت بمكة ، وهو غريب » الفتح (٤١٢/٢) .

وانظر مشروعية عيدي الفطر والأضحى في أحكام العيدين للفريابي (ص : ٥١) .

ومن تلکم الروایات ما أخرجه البيهقي - رحمه الله - من طريق عيسى بن المغيرة عن عاصم عن عمر عن حميد عن قيس عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس في هذه الآية ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ قال : « نزلت في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة ، وفي الخطبة يوم الجمعة ، وفي العيدين ، فهو عن الكلام في الصلاة » (١) .

مناقشة هذه الروایات :

أولاً : مناقشة رواية الزهري :

إن رواية الإمام الزهري - رحمه الله - رواية مرسلة ، ومعلوم عند أهل العلم أن مراسيل الزهري لم تلق قبولاً عندهم ، وذلك لروايته عن سليمان بن أرقم (٢) .

قال الشافعي - رحمه الله - كما نقله عنه الخطيب البغدادي :

(١) القراءة خلف الإمام للبيهقي (ص: ١١٥) برقم (٢٨٠) وفي إسناده عاصم بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب أبو عمر المدني ، قال البخاري : « منكر الحديث » التاريخ الكبير (٦/٤٧٨-٤٧٩) وذكره ابن حبان في المجروحين (١٢٧/٢) وقال : « منكر الحديث جداً يروى عن الثقات مالا يشبه حديث الأثبات . لا يجوز الاحتجاج به إلا فيما وافق الثقات » .

وقال الحافظ ابن حجر في التقریب : « ضعيف » (٣٨٥/١) .

وانظر بقية الروایات في المصنف لابن أبي شيبه (٢/٤٧٨) وتفسير الطبري (٣/٣٤٥) برقم (١٥٥٨٢) وابن أبي حاتم في تفسيره ، سورة الأعراف ، برقم (١٥٧٣) .

(٢) وسليمان بن أرقم هذا ، قال يحيى بن معين : « ليس يسوي فلان » التاريخ (٢/٢٢٨) .

وقال الإمام أحمد : « لا يساوي شيئاً لا يروى عنه الحديث » علل أحمد (١/٥٣٦) .

وقال أبو حاتم الرازي : « متروك الحديث » الجرح (٤/١٠٠-١٠١) .

وقال ابن عدي : « عامة ما يرويه ما لا يتابع عليه » الكامل (٣/١١٠٥) .

وقال الحافظ ابن حجر في التقریب : « ضعيف » (٣٢١/١) .

« إرسال الزهري عندنا ليس بشيء وذلك أنا نجده يروي عن سليمان بن أرقم » (١) .

وقال علي بن المديني (٢) - رحمه الله - : « مرسلات الزهري رديّة . قيل له : وحديث النذر حديث أبي سلمة ، قال : إنما سمعه الزهري من سليمان بن أرقم ، ومن ثم قلت : إن مرسلات الزهري رديّة » (٣) وقال يحيى بن سعيد القطان (٤) : « مرسل الزهري شر من مرسل غيره لأنه حافظ ، وكل ما قدر أن يسمى سمي ، وإنما يترك من لا يجب أن يسميه » (٥) .

وقال الذهبي - رحمه الله - معلقاً على قول ابن القطان هذا : « مراسيل الزهري كالمعضل لأنه يكون قد سقط منه اثنان ، ولا يسوغ

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص: ٥٤٩) وانظر أيضاً : تاريخ ابن عساكر (١٠١٧/١٥) ، والسير (٣٣٩/٥) .

(٢) هو أمير المؤمنين في الحديث أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر المعروف بابن المديني ، توفي - رحمه الله - سنة (٢٣٤هـ) .

ترجمته : السير (١١/٤١-٦٠) ، الإرشاد (٥٩٨/٢-٥٩٩) .

(٣) تاريخ ابن عساكر (١٠١٧/١٥-١٠١٨) وحديث النذر هذا أورده ابن عدي في الكامل من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب عن سليمان بن أرقم أن يحيى بن أبي كثير الذي يسكن اليمامة حدثه أنه سمع أبا سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة عن النبي ﷺ قال : « لا نذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين » الكامل في ضعفاء الرجال (١١٠٢/٣-١١٠٣) .

(٤) هو يحيى بن سعيد بن فروخ ، أمير المؤمنين في الحديث كذلك ، قال ابن المديني في حقه : « ما رأيت أحداً أعلم بالرجال من يحيى بن سعيد » ، توفي - رحمه الله - سنة (١٩٨هـ) .

ترجمته : السير (١٧٥/٩-١٨٨) وتذكرة الحفاظ (٢٩٨/١) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٣٣٨/٥) .

أن نظن به أنه أسقط الصحابي فقط، ولو كان عنده عن صحابي لأوضحه ولما عجز عن وصله ، ولو أنه يقول : عن بعض أصحاب النبي ﷺ ، ومن عدّ مرسل الزهري كمرسل سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ونحوهما فإنه لم يدر مايقول ، نعم مرسله كمرسل قتادة ونحوه « (١) .

قلت : إن ما نقلنا من أقوال أهل العلم في إرسال الإمام الزهري - رحمه الله - أمر لا يخل بإمامته وعدالته ، ولا يقلل من أهمية رواياته غير المرسلة ، لأن الإرسال وإن كان من العيوب القادحة في الرواية إلا أنه لم يكن قادحاً في الراوي .

قال الخطيب البغدادي - رحمه الله - : « الإرسال لا يتضمن التدليس ، لأنه لا يقتضي إيهام السماع ممن لم يسمع منه ، ولهذا لم يذم العلماء من أرسل الحديث » (٢) .

ولابد هنا أيضاً من توضيح أمر آخر يتعلق بروايات الزهري وهو أنه يدخل كثيراً من التفسير في أثناء الحديث ، وإدراجه من هذا القبيل معروف عند أهل العلم ، إلا أن بعضهم يتسامح في هذا النوع من الإدراج ، قال السيوطي في ألفيته بعد أن عدّد أنواع الإدراج :

وكل ذا محرم وقادح وعندي التفسير قد يسامح (٣)
فيحتمل إذاً أن يكون قول الزهري : « فنزلت ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ

(١) المصدر السابق (٣٣٩/٥) .

(٢) الكفاية (ص: ٥١٠) .

(٣) ألفية السيوطي في علم الحديث (ص: ٧٣) .

فَاسْتَمِعُوا لِلَّهِ وَأَنْصِتُوا ﴿١﴾» من إدراجہ إذ بین أیدینا نصوص واضحة تدلنا على أن الآية كانت مقروءة لدى النبي ﷺ في العهد المكي (١) .

ولأجل ما عرف من عادة الزهري في الإدراج قال له موسى بن عقبة (٢) : صاحب المغازي - « ميز قولك من قول رسول الله ﷺ » (٣) .
وقال ربيعة بن أبي عبد الرحمن (٤) له أيضاً : « إذا حدثت فبين كلامك من كلام النبي ﷺ » (٥) .

ثانيا : مناقشة الروايات التي مفادها أن الآية نزلت في خطبة الجمعة وفي العيدين :

من خلال استقراي لتلك الروايات تبين لي أنها ليست هي السبب المباشر لنزول هذه الآية . وإن كان عموم الآية يشملها ، وذلك للأسباب التالية :

-
- (١) سنأتي قريباً رواية ابن أبي حاتم عن ابن مسعود الدالة على أن الآية كانت مقروءة في العهد المكي ، انظر (ص: ٦٦١) .
- (٢) وموسى بن عقبة هو ابن عباس أبو محمد القرشي مولاہم ، وهو أول من صنف المغازي توفي - رحمه الله - سنة (١٤١هـ) .
- ترجمته : السير (٦/١١٤-١١٨) .
- هذا وقد أثنى الإمام مالك - رحمه الله - على كتاب موسى بن عقبة في المغازي ، فقال : « عليك بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازي » السير (٦/١١٥) .
- (٣) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للخطابي (٢/٥٩٣) .
- (٤) ربيعة بن أبي عبد الرحمن هو أبو عبد الرحمن القرشي التميمي مولاہم ، مشهور بريبعة الرأي توفي - رحمه الله - سنة (١٣٦هـ) .
- ترجمته : الإرشاد (١/٢٠٨-٢٠٩) ، السير (٦/٨٩-٩٦) .
- (٥) جزء القراءة خلف الإمام للبخاري (ص: ٢٨) .

١- ما عرفنا سابقاً من مصطلح السلف « نزلت الآية في كذا » فإنهم يريدون بذلك أن هذا داخل في الآية وإن لم يكن هو السبب المباشر^(١) .

قال العلامة القاسمي - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الآية : « روي عن كثير من السلف أن الآية نزلت في الصلاة ، وعن بعضهم : فيها وفي الخطبة يوم الجمعة ، وعن بعضهم : فيهما وفي خطبة الأضحى والفطر ، وقد قدمنا في مقدمة الكتاب مصطلح السلف في قولهم « نزلت هذه الآية في كذا » وبيننا أنه قد يراد بذلك أن الآية تشمل ذلك الشيء لدخوله في عمومها ، لا أنه سبب لنزولها ، وذلك في بعض المقامات ، وما هنا منه »^(٢) .

٢- ورود أدلة معتمدة تدل على أن هذه الآية كانت مقروءة لدى النبي ﷺ في العهد المكي ، فقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق عاصم عن أبي وائل « أن ابن مسعود سلم على رسول الله ﷺ فلم يردّ عليه ، فلما فرغ ، قال : إن الله يفعل ما يشاء وكان قبل ذلك يتكلم في صلاته ، ويأمر بحاجته ، فلما فرغ رسول الله ﷺ ردّ عليه ، وقال : إنها نزلت ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ »^(٣) .

(١) انظر : (ص : ٥٣٨-٥٣٩) .

(٢) محاسن التأويل (٢٣١/٧) .

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ، سورة الأعراف ، برقم (١٥٤٧) .

وفي اسناده محمد بن بكر البرساني صدوق يخطئ انظر : التقريب (١٤٧/٢-١٤٨) وفيه عاصم وهو ابن أبي النجود ، صدوق له أوهام ، حجة في القراءة ، وحديثه في الصحيحين مقرون ، انظر : التقريب (٣٨٣/١) . ويشهد للحديث ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن ابن مسعود نحوه ،

انظر : صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة ،

قلت : وقد كان تحريم الكلام في الصلاة في أثناء هجرة الحبشة بدليل ما جاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود حيث قال : « كنا نسلم على رسول الله ﷺ وهو في الصلاة فيرد علينا ، فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا ، فقلنا يارسول الله كنا نسلم عليك في الصلاة فترد علينا ، فقال : « إن في الصلاة شغلاً » » (١) .

تلك هي الأدلة التي تشهد بأن الروايات التي مقتضاها أن تكون الآية مدنية النزول غير معتد بها كسبب مباشر للآية .

ولعل من المناسب بعد ذلك أن نجيب على سؤال لعل سائلاً يسأل وهو : ألا توحى عبارة الإمام السيوطي - رحمه الله - « ظاهر ذلك أن الآية مدنية » أنه يرى مدنية هذه الآية؟

والجواب : أن تلك العبارة محمولة على أن الإمام السيوطي - رحمه الله - أراد بها مقتضى رواية الزهري ، وكلامه هذا في محله ، وعلى فرض أن الإمام السيوطي - رحمه الله - كان يرى مدنية هذه الآية في « لباب النقول » فإنه لم يورد ذلك في كتابه « الإتيقان » الذي ذكر فيه الآيات المستثناة من سورة الأعراف (٢) .

ومما هو معلوم أن كتاب « الإتيقان » من آخر مصنفات السيوطي ، في حين أن كتاب « لباب النقول في أسباب النزول » الذي ذكر السيوطي مقتضى رواية الزهري أسبق تأليفاً من الإتيقان ، فقد جاء في « الإتيقان »

→

ونسخ ما كان من إباحته ، (٣٨٢/١) برقم (٥٣٨) وفيه أيضاً عن زيد بن أرقم ، وجابر أنظر أيضاً : صحيح مسلم (٣٨٣/١) حديث رقم (٥٣٩-٥٤٠) .

(١) صحيح مسلم (٣٨٢/١) برقم (٥٣٨) كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة .

(٢) انظر : الإتيقان (٤٤/١) .

في معرض تعداد الإمام السيوطي - رحمه الله - المؤلفات التي ألفت في أسباب النزول ما نصه : « وقد ألفت فيه كتاباً حافلاً موجزاً محرراً لم يؤلف مثله في هذا النوع سميته « لباب النقول في أسباب النزول » »^(١) .

وخلاصة القول : أن قراءة النبي ﷺ لهذه الآية في العهد المكي دليل على مكيتها ، وأما الروايات التي مقتضاها أن الآية مدنية فليست هي الأسباب المباشرة لهذه الآية ، وإن كانت داخلة في عموم الآية . والله أعلم .

(١) الإتيان (٩٢/١) وأحسن من كتاب السيوطي كتاب الحافظ ابن حجر - رحمه الله - المسمى « العجائب في بيان الأسباب » إلا أن المنية أدركت مؤلفه - رحمه الله - قبل إتمامه .

وقد وصل الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في تأليفه هذا إلى سورة النساء عند قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ﴾ الآية .

وتوجد منه نسخة مصورة في مكتبة الجامعة الإسلامية برقم (٢٥٠٠) عن الأصل المحفوظ بالخزانة العمومية بمراكش . وعندي منه صورة .

المبحث الثالث :

الآيات المدعى مدنيتهما في سورة يونس

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :

في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ (١).

روي القول بمدينة هذه الآية عن ابن عباس في رواية الكلبي عن أبي
صالح عنه (٢).

مستند القول بمدينة هذه الآية :

يستند هذا القول إلى ما ذكره بعض المفسرين عن ابن عباس من أن
الآية نزلت في اليهود (٣) ، وهذا يقتضي - في نظر أصحاب هذا القول -
أن تكون الآية مدنية النزول .

مناقشة هذا المستند :

ومع أن رواية الكلبي عن أبي صالح أضعف الطرق عن ابن عباس في
التفسير إلا أن ثمة أموراً أخرى أيضاً يستدل بها على نقض القول بمدينة
هذه الآية وهي :

أولاً : ذكرنا أن منشأ هذا القول هو نزول الآية في اليهود ، لو سلمنا
لهم بذلك - وهو ليس كذلك كما سيأتي - فإنه لا يلزم أن تكون الآية
مدنية ؛ إذ الحديث عن أهل الكتاب وإن كان من مميزات القرآن المدني
إلا أنه ضابط بالغلبة كما سبق (٤) ، قال الشيخ ابن عاشور - رحمه
الله - بعد أن ذكر بعض الآيات التي ادعي بأنهن مدنيات من هذه

(١) سورة يونس ، الآية (٤٠) .

(٢) انظر : زاد المسير (٣/٤) .

(٣) انظر : تفسير القرطبي (٣٠٤/٨) ، ومساعد النظر (١٦٢/٢-١٦٣) .

(٤) انظر : (ص : ١٧٥) .

السورة قال : « وأحسب أن هذه الأقوال ناشئة عن ظن أن ما في القرآن من مجادلة مع أهل الكتاب لم ينزل إلا بالمدينة ، فإن كان كذلك فظن هؤلاء مخطئ » (١).

ثانياً : الآية عامة في جميع الكفار ، وليست خاصة في اليهود ، قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الآية : « وقوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ﴾ أي ومن هؤلاء الذين بعثت إليهم يا محمد من يؤمن بهذا القرآن ويتبعك وينتفع بما أرسلت به » (٢).

وقال القرطبي - رحمه الله - في معرض تعداد الأقوال التي فسرت بها هذه الآية : « قيل : المراد أهل مكة ، وقيل : المراد أهل الكتاب ، وقيل : عام في جميع الكفار وهو الصحيح » .

ثالثاً : أن ضمير الجمع في قوله « ومنهم » عائد إلى ما عادت إليه ضمائر ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَدَهُ ﴾ (٣) وما بعدها ، الأمر الذي يجعل أن يكون سياق هذه الآيات متماسكاً تماسكاً قوياً (٤).

والخلاصة : أن ورود دعوى مدنية هذه الآية من طريق الكلبي عن أبي صالح تكفيها من مؤنة طول المناقشة والله أعلم .

(١) التحرير والتنوير (٧٨/١١) .

(٢) تفسير ابن كثير (٤٣٣/٢) .

(٣) سورة يونس ، الآية (٣٨) .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير (١٧٥/١١) .

المطلب الثاني :

في قوله تعالى : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ أَلَلَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿١﴾.

لم أجد - فيما اطلعت عليه - من قال بمدينة هاتين الآيتين اللهم إلا هبة الله بن سلامة (٢)، وقد حكاها ابن الجوزي في تفسيره فقال : « وقال بعضهم : هي مكية إلا آيتين وهي قوله تعالى : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ والتي تليها » (٣).

مستند دعوى مدينة هاتين الآيتين :

أيد ابن سلامة - رحمه الله - دعواه في مدينة الآيتين بأنهما نزلتا في أبي بن كعب - ؓ - فقال بعد أن ذكر مدنيتهما ما نصه : « وذلك أن رسول الله ﷺ قال : يا أبي بن كعب : إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن ، فقال أبي : يا رسول الله ، وقد ذكرت هنالك ؟ فقال : « أي ، عَيْنَكَ الوحي لي » فبكى ، فنزلت فيه : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ الآية ، وهي فخر وشرف لأبي ، وحكمها باق في غيره » (٤).

(١) سورة يونس ، الآية (٥٨-٥٩) .

(٢) انظر : الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة (ص : ٧٧) .

(٣) زاد المسير (٣/٤) .

(٤) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص : ٧٧-٧٨) .

مناقشة هذا المسند :

إن ما ذكره ابن سلامة - رحمه الله - من نزول الآيتين في أبي بن كعب - ؓ - ليس بمحفوظ ، فالروايات الصحيحة ليس فيها ذكر للآيتين .

ففي البخاري عن أنس بن مالك - ؓ - قال : « إن نبي الله ﷺ قال لأبي بن كعب : إن الله أمرني أن أقرأك القرآن ، قال : آله سمانى لك ؟ فقال : نعم ، قال : وقد ذكرت عند رب العالمين ؟ قال : نعم ، فذرفت عيناه » (١) .

واخرج ابن أبي حاتم - رحمه الله - في تفسيره ما يدل على أن النبي ﷺ كان مستشهداً بقوله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ الآية ، ونص روايته كما يلي : قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان الواسطي حدثنا ابن المبارك عن الأجلح عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن أبي بن كعب قال : « قال رسول الله ﷺ : إني أمرت أن أقرأ عليك القرآن ، قال أبي : أو سمانى لك ؟ قال : نعم ، قال : فقرأ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٥٩٧/٨) كتاب التفسير ، باب سورة « لم يكن » حديث رقم (٤٩٦١) ، وفي إسناده البخاري - رحمه الله - بهذا الحديث لطيفة عجيب ذكرها الحافظ ابن حجر - رحمه الله - وهي من نوع السابق واللاحق ، ففيه أبو جعفر المنادي وليس له في البخاري سوى هذا الحديث ، وعاش بعد البخاري ستة عشر عاماً ، ولكنه عمّر وعاش مائة سنة وسنة وأشهرًا ، وقد سمع منه هذا الحديث بعينه من لم يدرك البخاري وهو أبو عمرو بن السماك فشارك البخاري روايته عن ابن المنادي هذا الحديث ، وبينهما في الوفاة ثمان وثمانون سنة .
انظر : الفتح (٥٩٧/٨-٥٩٨) ، وانظر : كتاب شيخنا عبد المحسن العباد « الفوائد المتقاة من فتح الباري وكتب أخرى » (ص : ٩٥) برقم (٣٩٠) .

فَلْيَفَرُّوا ﴿١﴾» (١).

ورواية ابن أبي حاتم وإن كان في إسناده ضعف إلا أنها تتقوى
لورودها من طرق عديدة فترتقي إلى الحسن لغيره .

ولعل من المفيد أن نذكر هنا كلاماً ذكرناه سابقاً ، ولا ينبغي أن
يغيب عن بالنا في مثل هذا المقام وهو أن كثيراً من المفسرين يخلطون بين
أسباب النزول وأمور أخرى ، كتلاوة الرسول ﷺ آية معينة للاستشهاد
بها في قضية ما ، وكاستشهاد الصحابة كذلك في مناظراتهم ، أو رواية

(١) تفسير ابن أبي حاتم سورة يونس برقم (٢١٧٤) .

وفي إسناده أجلك أبو حجة الكندي ، قال عنه الإمام أحمد : « فقد روى أجلك غير
حديث منكر » . العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد (٣٧٧/١) .

وقال الجوزجاني في أحوال الرجال له : « مفترى » . أحوال الرجال (ص : ٥٢) برقم
(٣٢) .

وقال أبو داود : « ضعيف » . سولات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني (ص :
١٧٩) برقم (١٨٠) .

وقال النسائي : « ضعيف له رأي سوء » . الميزان (٧٩/١) ، ولم أجد هذا القول في
الضعفاء والمتروكين للنسائي ، ولعله ذكره في كتاب آخر ، وقد وثقه يحيى بن معين
والعجلي .

انظر : التاريخ لابن معين (١٩/٢) برقم (١٢٧٦) ، ومعرفة الثقات للعجلي (٢١٢/١)
برقم (٤٨) .

وقال الحافظ ابن حجر في التقريب : « صدوق شيعي » . التقريب (٤٩/١) .
والجزء الأول من الحديث أخرجه الشيخان في صحيحيهما عن أبي .

انظر : صحيح البخاري مع الفتاح (٥٩٧/٨) برقم (٤٩٥٩) و (٤٩٦٠) كتاب
التفسير ، وصحيح مسلم (٥٥٠/١) برقم (٧٩٩) ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ،
باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والخداق فيه .

وأما الجزء الأخير فقد أخرجه الطبري في تفسيره (١٠٩/١٥) برقم (١٧٦٨٧) و
(١٧٦٨٨) من طريق أسلم المنقري والأجلح عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبيزى به .

حديث وافق الآية في أصل الغرض ، فيلحقون كل هذه الأمور بأسباب نزول الآية (١).

والعجيب في دعوى مدنية هاتين الآيتين أن هبة الله بن سلامة الذي ادعى مدنيتهما نراه ينقض نفسه فبعد أن ذكر نزول الآيتين في أبي بن كعب - ﷺ - ذكر أيضاً أن الآية الثانية من هاتين الآيتين ذم لقوم حرّموا ما أحل الله لهم - وهم الكفار - فقال ما نصه : « والآية ذم لقوم حرّموا ما أحل الله لهم فصار حكمها فيمن يفعل مثل ذلك إلى يوم القيامة ، وهي أول ما نزلت من القرآن » (٢).

وهكذا يبدو أن تفسيره للآية يخالف ما ذكره قبل من نزول الآية في أبي بن كعب ﷺ .

والحق هو قوله الثاني وإن كنا لا نوافقه في دعواه بأن الآية هي أول ما نزل من القرآن (٣)، فقد ذكر غير واحد من المفسرين أن الآية نزلت في الردّ على المشركين الذين يحلون ما حرّم الله ويحرمون ما أحل الله ، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : « قال ابن عباس ومجاهد والضحاك ، وقتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم : نزلت إنكاراً على المشركين فيما كانوا يحلون ويحرمون من البحائر والسوائب والوصائل » (٤).

(١) مزيداً من التفصيل لهذه القضية انظر : (ص : ٥٣٨-٥٣٩) .

(٢) الناسخ والمنسوخ (ص : ٧٨) .

(٣) ولعل مراد هبة الله بن سلامة في أولية هذه الآية خاص بموضوع التحريم والتحليل وحتى لو حملناه على هذا الحمل فإنه خلاف المشهور ، قال السيوطي - رحمه الله - في الإتيان (١/٨٥) : « أول آية نزلت في الأطعمة بمكة آية الأنعام ﴿ قل لا أجد فيما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه ﴾ الآية » .

(٤) تفسير ابن كثير (٤٣٦/٢) ، وانظر الآثار المروية عن هؤلاء الأئمة في الطبري (١١٢/١٥-١١٣) برقم (١٧٦٩٥-١٧٦٩٠) .

وهكذا يبدو لنا من خلال ما نقل عن هؤلاء الأئمة أن الآية تضع قاعدة من قواعد التشريع العملي وهو أن التحريم والتحليل هو حق الله وحده ، وقد ذكر الله عز وجل ما أجملته هذه الآية مفصلاً في آيات سورة الأنعام ، بدءاً من قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ﴾ الآية إلى قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِمَّ شُهِدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ... ﴾ الآية (١).

ومما يستدعي الانتباه هنا أيضاً أن الآية الأولى من هاتين الآيتين مناسبتها بما قبلها واتصال معناها بها واضح كل الوضوح ، فهي تفريع للآية السابقة ، فحينما ذكر الله عز وجل أن هذا القرآن يشفي الصدور ، وأنه هدى ورحمة للمؤمنين نبههم على أن ذلك فضل من الله عليهم ورحمة بهم يحق أن يفرحوا بهما .

قال الإمام البقاعي - رحمه الله - في تفسيره : « ولما وصف الله القرآن العظيم بالشفاء وما معه المقتضي لاستقامة المناهج وسداد الشرائع ، ووضوح المذاهب أشار إلى أن العاقل ينبغي له أن يخصه بالفرح لبقاء آثاره وما يدعوا إليه » (٢).

ولعل سائلاً يسأل فيقول : ألا يدل تصدير الجملة بلفظ « قل » على استئنافها ؟ لنترك جواب هذا السؤال للشيخ ابن عاشور - رحمه الله - إذ يقول ما نصه : « وحيء الأمر بالقول معترضاً بين الجملة الفرعة والجملة الفرعة عليها تنوياً بالجملة الفرعة ، بحيث يؤمر الرسول ﷺ أمراً خاصاً بأن يقولها ، وإن كان جميع ما ينزل عليه من القرآن

(١) سورة الأنعام ، الآيات (١٣٦-١٥٠) .

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٤٥٧/٣) .

مأموراً بأن يقوله « (١) .

والخلاصة : أن الآيتين مكيتان كالسورة ودعوى القول بمدنيتيهما لا تعتمد على دليل يذكر أولاً ، كما أنها خلاف الأصل ثانياً ؛ إذ الأصل أن تكون آيات هذه السورة مكيات إلا ما خرج بدليل استثنائي صحيح ، ولم نجده هنا .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : « ومنهم من يستثني من المكي آيات يدعي أنها من المدني كما في سورة الحج وغيرها ، والحق ما دلّ عليه الدليل الصحيح » (٢) .

وقال صاحب المنار - رحمه الله - : « لما كان وجود آيات مدنية في سورة مكية أو آيات مكية في سورة مدنية خلاف الأصل فالمختار عدم قبول القول به إلا إذا ثبت برواية صحيحة السند ، صريحة المتن ، سالمة من المعارضة والاحتمال » (٣) .

(١) التحرير والتنوير (١١/٢٠٤) .

(٢) فضائل القرآن لابن كثير (ص : ١٢) .

(٣) تفسير المنار (٧/٢٨٤) .

المطلب الثالث :

في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُتَمَرِّينَ ﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ
رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

ذهب إلى القول بمدينة الآيتين الأولين مقاتل بن سليمان - رحمه
الله - كما في تفسيره (٢) .

وأما القول بمدينة الآيات الثلاث فقد قال به البغوي والقمي
النيسابوري (٣) ، كما نسب إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - القول
بذلك (٤).

مستند دعوى مدينة هذه الآيات :

يستند هذا القول إلى ما تحكيه هذه الآيات من حديث أهل الكتاب ،
فقد أخرج الطبري في تفسيره من طريق ابن جريج قال : قال ابن عباس
في قوله : ﴿ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ قال : « التوراة والإنجيل
الذين أدركوا محمداً ﷺ من أهل الكتاب فأمنوا به ، يقول : فاسئلهم إن

(١) سورة يونس ، الآيات (٩٤-٩٦) .

(٢) انظر : تفسير مقاتل (٢/٢٢٤) .

(٣) انظر : معالم التنزيل (٤/١١٩) ، وتفسير النيسابوري المسمى « غرائب القرآن و رغائب

الفرقان » (١١/٤٧) .

(٤) انظر : تفسير القرطبي (٨/٣٠٤) ، والبحر المحيط (٦/٨) .

كنت في شك بأنك مكتوب عندهم» (١).

وأخرج الطبري أيضاً بسنده عن يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله تعالى : ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ قال : « هو عبد الله بن سلام كان من أهل الكتاب فأمن برسول الله ﷺ » (٢).

مناقشة هذا المستند :

وإضافة إلى ضعف أسانيد ما استند إليه القول بمدنية هذه الآيات فإن مجرد الحديث عن أهل الكتاب لا يقتضي مدنية الآيات كما سبق مراراً ؛ إذ إن استثناء آية أو آيات من سورتها المكية أو المدنية يحتاج إلى نقل صحيح من الصحابة - رضوان الله عليهم - كما أنه يحتاج إلى قرائن تحيط بذلك ، أما الاعتماد على الموضوع فحسب - وإن كان هو من القرائن - فإنه أسلوب خطر وغير دقيق ، وإن أصاب حيناً فإنه يخطئ أحياناً في نظري .

وثمة أمر آخر ينبغي أن يلاحظ في مستند دعوى مدنية هذه الآية وهو أن هذا المستند يبدو أنه من قبيل التفسير الذي يساعد على توضيح معنى

(١) تفسير الطبري (٢٠١/١٥) برقم (١٧٨٨٦) وسبق الحكم على هذا الإسناد . انظر (ص : ٤٧٥) وإضافة إلى ذلك ففيه انقطاع بين ابن جريج وابن عباس ، فبعض أهل العلم يرى الانقطاع بين ابن جريج وبين مجاهد الذي يكثر عنه في الرواية فيكيف بينه وبين ابن عباس ؟ قال البرذيجي كما نقله عنه الحافظ ابن حجر : « لم يسمع من مجاهد إلا حرفاً واحداً » . تهذيب التهذيب (٥٠٣/٣) .

(٢) تفسير الطبري (٢٠١/١٥) برقم (١٧٨٨٧) وفي إسناده ابن زيد وهو ضعيف ، قال الحافظ في التقريب (٤٨٠/١) : « عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولا هم ضعيف من الثامنة » .

الآية ، وإن كان حاله كذلك ، وليس سبباً لنزول الآيات فإن مقتضاه حينئذ لا يؤدي إلى الحكم على الآيات بأنها مكيات أو مدنيات .

قال ابن القيم - رحمه الله - تعقياً على ما روي عن ابن زيد من أن الآية قد عني بها عبد الله بن سلام ، وكذلك ما وري عن الضحاك من تفسير الآية بمؤمني أهل الكتاب قال : « ولم يقع هؤلاء ولا هؤلاء على معنى الآية ومقصودها ، وأين كان عبد الله بن سلام وقت نزول هذه الآية ، فإن السورة مكية ، وابن سلام إذ ذاك على دين قومه » (١).

وقال العلامة الألوسي - رحمه الله - معقياً على دعوى مدنية هذه الآيات : « وفسر بعضهم بالمؤمنين منهم - أي من أهل الكتاب - كعبد الله بن سلام ، وتميم الداري ونسب ذلك إلى ابن عباس ، والضحاك ، ومجاهد ، وتعقب بأن ابن سلام وغيره إنما أسلموا بالمدينة ، وهذه السورة مكية » (٢).

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - بعد أن نقل عن السيوطي الآيات التي ادعي بأنهن مدنيات من هذه السورة قال : « إن موضوع السورة لا يقبل هذا من جهة الدراية وهو مما لم تثبت به رواية وكون المراد ﴿الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ﴾ في الآية اليهود لا يقتضي أن تكون نزلت في المدينة ، وبيانه من وجهين :

أحدهما : أن المراد بالشرطية فيها الفرض لا وقوع الشك حقيقة ، ولذلك قال ﷺ : « لا أشك ولا أسأل » (٣) .

(١) احكام أهل الذمة لابن القيم (١٣/١) ، وانظر : بدائع التفسير (٤١١/٢) .

(٢) روح المعاني (١٩٠/١١) .

(٣) هذا الأثر أخرجه عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن قتادة بلفظ : بلغنا أن النبي ﷺ

قال : « لا أشك ولا أسأل » . تفسير عبد الرزاق (٢٩٨/٢) ، والطبري من طريق

←

وثانيهما: أن هذا المعنى نزل في سور مكية أخرى كقوله تعالى في سورة الإسراء : ﴿ فَسَّأَلَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ ﴾ وقوله في سورتى النحل والأنبياء : ﴿ فَسَّأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

قلت : إن هناك توجيهاً آخر في المراد بالشرطية في قوله : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ ﴾ وهو وإن كان الخطاب للرسول ﷺ فالمراد به غيره ، ونظائر هذا في القرآن كثيرة .

قال البغوي في تفسيره : « وقيل : هذا خطاب للرسول ﷺ والمراد به غيره على عادة العرب ، فإنهم يخاطبون الرجل ويريدون به غيره ، كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ خاطب النبي ﷺ والمراد به المؤمنون بدليل أنه قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ ولم يقل : « بما تعمل » وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ (٢).

وقال العلامة القاسمي - رحمه الله - : « وأيد هذا - أي أن الخطاب

→

سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ، ومن طريق معمر عن قتادة . انظر : تفسير الطبري (٢٠٢/١٥) برقم (١٧٨٩٣) وبرقم (١٧٨٩٤) .

وأخرج الطبري أيضاً في تفسيره بسنده موقوفاً على سعيد بن جبير قال : « لم يشك النبي ﷺ ولم يسأل » .

تفسير الطبري (٢٠٢/١٥) برقم (١٧٨٩٠) وبنحوه برقم (١٧٨٩١) .

(١) تفسير المنار (١٤١/١١-١٤٢) .

(٢) معالم التنزيل (١٥٠/٤) وتوجيه الخطاب إلى شخص معين مع أن المراد به غيره هو ما يعرف في علم البلاغة بالخروج عن مقتضى الظاهر ، قال الأخضري في أرجوزته مشيراً إلى ذلك :

ومن خلاف المقتضى صرف المراد ذي نطق أو سؤال لغير ما أراد

منظومة الجوهر المكنون في علم البلاغة (ص : ٢٤) .

لغير النبي ﷺ - بقوله تعالى بعد : ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي ﴾ فكانه أشار إلى أن المذكور في أول الآية رمزاً هم المذكورون بعد صراحة « (١) ».

ومما يدل أيضاً على نقض دعوى مدنية هذه الآيات أن الآية الأخيرة وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) متصلة بما بعدها اتصالاً يقتضي بأنها نزلت معها ، إذ إن قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (٣) مبالغة على قوله : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وهل يتصور أن المبالغة تنزل قبل الأصل المبالغ عليه ؟

قال القاضي عبد الجبار (٤) : « والواجب في التأويل للقرآن ملاحظة السياق الذي وردت فيه الآية ، وعدم إكراهها على أن تؤدي وجهة نظر خاصة ، ذلك أدنى للحق ، وأليق بالقرآن » (٥).

هذا وقد وصف أبو الأعلى المودودي (٦) - رحمه الله - ظاهرة

(١) محاسن التأويل (٨١/٩) .

(٢) سورة يونس ، الآية (٩٦) .

(٣) سورة يونس ، الآية (٩٧) .

(٤) هو ابن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل ، كان من شيوخ المعتزلة ، وكان شافعي المذهب ، توفي - رحمه الله - سنة (٤١٥ هـ) نسأل الله أن يعفو عنه وعنا جميعاً .

ترجمته : طبقات الشافعية للسبكي (٩٧/٥-٩٨) ، طبقات المفسرين للدواودي (٢٦٢-٢٦٣/١) .

(٥) تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار (ص : ٢٠١) .

(٦) هو أحد رجال الفكر الإسلامي في شبه القارة الهندية ، وكان قد جمع بين الثقافة المدنية والإسلامية ، أسس الجماعة الإسلامية وأصبح أميراً لها إلى أن توفي - رحمه الله - ٢٢ سبتمبر ١٩٧٩ م .

ملخصاً عن كتاب « أبو الأعلى المودودي حياته وفكره العقدي » لحمد الجمال (ص : ٧٧-٧٩) ، وكتاب « أبو الأعلى المودودي فكره ودعوته » لأسعد الجيلاني (ص : ١٧) .

تفكيك السياق القرآني بـ « الشذور المتناثرة » فقال : « وعدم الادراك الكامل لكتاب الله ، قد يجعل القارئ يستسلم لفكرة «شذور متناثرة» فتصبح كل آية من آياته معزولة عن السياق العام وتعود مسرّحاً لابتكار المعاني التي تخالف ما يريده العزيز...» (١)

والخلاصة: أن دعوى مدينة الآيات الثلاث لم تثبت به رواية معتمدة، فكل ما تعتمد عليه هو الموضوع الذي تتحدث عنه الآيات، وقد تبين لنا من خلال المناقشة أن هناك آيات من القرآن المكّي نوهت بالذين أوتوا الكتاب، واستشهدت بهم، وذلك لمعرفةهم بأن هذا القرآن هو الحق. وينبغي كذلك أن يلاحظ أن هذه السورة كما سبق نزلت في وقت قد كثر الجدل من المشركين حول صدق هذا القرآن، فجاءت هذه الآيات للاستشهاد بما في الكتب المتقدمة على ما ذكروا أن القرآن مصدق لها . وفي نزول السورة في ظل الظروف التي ذكرنا يقول سيد قطب - رحمه الله - : «نزلت هذه السورة في هذا الجو - أي جو الجدل مع المشركين - وظاهر من سياقها أنها لحمّة واحدة تواجه واقعاً متصلاً حتى ليصعب تقسيمها إلى قطاعات متميزة ، وهذا ما ينفي الرواية التي أخذ بها المشرفون على المصحف الأميري من كون الآيات ٤٠ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ مدنية ، فهذه الآيات متماسكة مع السياق ، وبعضها لا يتسق السياق بدونه أصلاً» (٢).

→

هذا وقد قام الباحث أليف الدين الترابي - أمير الجماعة الإسلامية في كشمير حالياً - بدراسة موسعة عن منهج المودودي في تفسير القرآن ، نال بها درجة الماجستير من جامعة أم القرى .

(١) مقدمة ترجمة القرآن لأبي الأعلى المودودي (ص:٩)

(٢) في ظلال القرآن (٣/١٧٥٢) .

المبحث الرابع :

الآيات المدعى مدنيتهما في سورة هود

وفيه مطلبان :

المطلب الأول :

في قوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١).

نسب القول بمدينة هذه الآية إلى ابن عباس - رضي الله عنهما (٢) - وقد ذهب إليه مقاتل بن سليمان - رحمه الله - كما في تفسيره (٣) ، ونقل قوله السخاوي وأبو حيان والخازن منسوباً إليه (٤) ، ولم أجد أي مستند لدعوى مدنية هذه الآية ، بل العجيب أن مقاتل بن سليمان الذي يرى أن هذه الآية مدنية نجده عند تفسيره لهذه الآية يذكر أنها نزلت في مشركي قريش فيقول ما نصه : « وذلك أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ في يونس ﴿ أَنْتَ بُرْءٌ أَنْ غَيْرَ هَذَا ﴾ ليس فيه ترك عبادة آلهتنا ولا عيبتها ﴿ أَوْ بَدَلَهُ ﴾ أنت من تلقاء نفسك ، فهم النبي ﷺ أن لا يسمعهم عيبتها رجاء أن يتبعوه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ » (٥).

وقد نص الحافظ ابن كثير - رحمه الله - على نزول الآية في المشركين ، كما ذكر آية مكية نظيرة هذه الآية في معرض تفسيره للآية

(١) سورة سورة هود ، الآية (١٢) .

(٢) انظر : البحر المحيط (١١٨/٦) .

(٣) انظر : تفسير مقاتل (٢٦٩/٢) .

(٤) انظر : جمال القراء (١٢/١) ، البحر المحيط (١١٨/٦) ، لباب التأويل في معاني التنزيل (٢١٦/٣) .

(٥) تفسير مقاتل (٢٧٣/٢-٢٧٤) .

التي معنا (١).

والنظيرة هي قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمَ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٢).
والذي يتضح من معنى الآية التي نحن بصددتها أنها نزلت تسلياً
لرسول الله ﷺ من عناد المشركين ، وتأمره بأن لا يأبه بعنادهم ، ولا
شك أن هذا المعنى يدل على مكية الآية ؛ إذ قد سبق أن قلنا إن من
مقاصد السور والآيات المكية إبراز قضية الرسالة والرسول ومناقشة
المشركين حول هاتين القضيتين (٣).

قال ابن عطية - رحمه الله - بعد أن ذكر ثلاث آيات قاله مقاتل
إنهن مستثناة من مكية السورة قال : « وهذه الثلاث مدنية قاله مقاتل
على أن الأولى تشبه المكي » (٤).

هذا ويرى صاحب الظلال - رحمه الله - أن آيات هذه السورة
كلها مكية دون استثناء آية منها ، وسيكون لنا معه وقفة - إن شاء
الله - فيما قاله في قوله تعالى : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَلِيلٍ إِنَّ
الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (٥).

وقد أجاد - رحمه الله - في مناقشة دعوى مدنية هذه التي نحن
بصددتها ، وكذلك قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتِيمَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَتِلْوُهُ شَاهِدٌ
مِنْهُ﴾ الآية (٦).

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٢/٤٥٥) .

(٢) سورة الحجر ، الآية (٩٧) .

(٣) انظر : (ص : ١٦٩ - ١٧٠) .

(٤) المحرر الوجيز (٩/١٥١) .

(٥) سورة هود ، الآية (١١٤) .

(٦) سورة هود ، الآية (١٧) .

ولنتقل هنا أولاً ما قاله في شأن الآيات الثلاث المستثناة من السورة بإجمال ، ثم نذكر بعد ذلك تعليقه بخصوص هذه الآية .

قال - رحمه الله - : « هذه السورة مكية بجملتها خلافاً لما ورد في المصحف الأميري من أن الآيات (١٢، ١٧، ١١٤) فيها مدنية ، ذلك أن مراجعة هذه الآيات في سياق السورة تلهم أنها تحيء في موضعها من السياق ، بحيث لا يكاد يتصور خلو السياق منها بادء ذي بدء فضلاً على أن موضوعاتها التي تقررها هي من صميم الموضوعات المكية المتعلقة بالعقيدة ، وموقف مشركي قريش منها ، وآثار هذا الموقف في نفس رسول الله ﷺ والقلّة المسلمة معه ، والعلاج القرآني الرباني لهذه الآثار » (١).

وقال - رحمه الله - في هذه الآية : « وواضح أن هذا التحدي وهذا العناد من قريش إلى الحد الذي يضيق به صدر رسول الله ﷺ بحيث يحتاج إلى التسمية عنه ، والتثبيت على ما يوحى إليه إنما كان في مكة ، وبالذات في الفترة التي تلت وفاة أبي طالب وخديجة ، وحادث الإسراء ، وجرأة المشركين على رسول الله ﷺ وتوقف حركة الدعوة تقريباً ، وهي من أقسى الفترات التي مرت بها الدعوة في مكة » (٢).

وأخيراً يبدو - والعلم عند الله تعالى - أن هذه الآية مكية ، وذلك لأُمور :

أولاً : أن القول بمدنيّتها لم يستند إلى أي دليل يذكر .
ثانياً : أن المعنى الذي تحمله هذه الآية يدل على طابعها المكّي ؛ إذ لم

(١) في ظلال القرآن (٤/١٨٣٩) .

(٢) المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

يكن النبي ﷺ يوجه أسئلة كهذه في المرحلة المدنية التي كانت فيها عزة الإسلام ورفعته .

ثالثاً : الآية لها نظائر مكية مما يدل على أن هذا المعنى كان في المرحلة المكية ، ففي سورة الحجر المكية يقول الله تعالى : ﴿ وَهَذَا نَقَلُكَ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ (١) ، وفي سورة الفرقان المكية أيضاً يقول تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ كَنْزٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ۖ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ (٢) .

(١) سورة الحجر ، الآية (٩٧) .

(٢) سورة الفرقان ، الآية (٨-٧) .

المطلب الثاني :

في قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَمِينِهِ رَبُّهُ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمَنْ قَبْلَهُ كَذَبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

انفرد مقاتل بن سليمان - رحمه الله - بالقول بمدنية هذه الآية ، واستند في ذلك إلى أن الآية نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه (٢).

مناقشة ما ذهب إليه مقاتل :

إن ما ذهب إليه مقاتل بن سليمان - رحمه الله - من نزول الآية في عبد الله بن سلام وأصحابه لم يقل به أحد من العلماء اللهم إلا من كان ناقلاً لقوله ، وقد نسب إليه (٣).

ومن خلال استقراءي للأقوال التي فسرت بها هذه الآية تبين لي أن اختلاف المفسرين في تفسيرها ينحصر في موضعين :-

الموضع الأول : اختلفوا في المراد بقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَمِينِهِ رَبُّهُ ﴾ هل المشار إليه بلفظ « من » هو النبي ﷺ أم أنه عام وتخبر الآية عن حال المؤمنين الذين هم على فطرة الله التي فطر عليها عباده من الاعتراف بأنه لا إله إلا هو (٤).

(١) سورة هود ، الآية (١٧) .

(٢) انظر : تفسير مقاتل (٢/٢٦٩) .

(٣) انظر : جمال القراء (١/١٢) ، البحر المحيط (٦/١١٨) ، تفسير الخازن (٣/٢١٦) .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير (٢/٤٥٥) بتصرف .

وقد اختار الرأي الثاني الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره واستدل على ذلك بالأحاديث الصحيحة الدالة على بقاء المؤمن على هذه الفطرة (١).

وأما الرأي الأول فهو رأي جمهور المفسرين ، وروي عن ابن عباس أيضاً (٢).

الموضع الثاني : واختلفوا أيضاً في المراد بالشاهد في قوله تعالى : ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ ، وقد أوصل ابن الجوزي - رحمه الله - الأقوال في ذلك إلى ثمانية أقوال (٣)، إلا أن أغلبها من طرق ضعيفة لا يمكن الاعتماد عليها (٤)، والذي ثبت من هذه الأقوال هو قول من قال : إن المراد بهذا الشاهد هو جبريل - عليه السلام - فقد أخرجه الطبري في تفسيره من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس (٥).

(١) انظر : المصدر السابق (٢/٤٥٥-٤٥٦) .

(٢) حكاه ابن الجوزي في تفسيره . انظر : زاد المسير (٤/٦٥-٦٦) .

(٣) انظر في هذا الأقوال : زاد المسير (٤/٦٦) .

(٤) منها القول بأنه علي بن أبي طالب - عليه السلام - أخرجه الطبري في تفسيره من طريق جابر الجعفي عن عبد الله بن نجي ، وابن أبي حاتم من طريق الأعمش عن المنهال عن عباد بن عبد الله عن علي . انظر : تفسير الطبري (١٥/٢٧٢) برقم (١٨٠٤٨) ، وضعف الأستاذ محمود شاكر إسناده الطبري لضعف جابر الجعفي .

وانظر : تفسير ابن أبي حاتم ، سورة هود برقم (٢٠٦) .

(٥) تفسير الطبري (١٥/٢٧٣) برقم (١٨٠٤٩) .

وإسناده حسن ، ففيه بشر بن معاذ وهو صدوق ، وبقية رجاله ثقات .

انظر التقريب (١/١٠١) ، وهذا الإسناد أكثر الأسانيد دوراناً عن قتادة - رحمه الله - إذ كان سعيد بن أبي عروبة أثبت الناس في قتادة ، نقله الذهبي - رحمه الله - عن ابن معين كما في السير ، انظر : السير (٦/٤١٤-٤١٥) .

ورجح الطبري - رحمه الله - هذا الرأي بعد أن استعرض عدة أقوال قيلت في المراد بهذا الشاهد (١).

ومن الأقوال التي يمكن أن تكون تفسيراً للشاهد من بين الأقوال التي ذكرها ابن الجوزي - رحمه الله - القول بأن الشاهد هو محمد ﷺ وقد ورد في ذلك روايات ضعيفة عديدة يمكن أن يقوي بعضها بعضاً (٢).

وجمع الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بين القولين ، إذ إن كلا من القولين كما يقول - رحمه الله - يرجعان إلى معنى واحد وهو تبليغ رسالة الله إلى الأمة ، فيقول في معرض هذا الجمع بعد أن ذكر القولين : « وكلاهما قريب في المعنى ؛ لأن كلا من جبريل ومحمد صلوات الله عليهما بلغ رسالة الله تعالى ، فجبريل إلى محمد ، ومحمد إلى الأمة » (٣).

ولعلي قد أطلت في ذكر أقوال يظن القارئ أنها بعيدة عن موضوع الرسالة - وليس الأمر كذلك - إذ كان قصدي من وراء هذا العرض أن ما تمسك به مقاتل بن سليمان - رحمه الله - في دعواه بمدنية هذه الآية من أن قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ قَبْلَهُ كَذَّبَ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ يعني أهل التوراة الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأصحابه أقول : كان قصدي أن ذكر كتاب موسى وأهل التوراة هنا لا يعدو أن يكون استشهاداً بمواقف تصديق بعض هؤلاء لما جاء في القرآن الكريم ،

→

وأخرج الطبري بهذا الإسناد في تفسيره ثلاثة آلاف رواية ، أفادنا ذلك شيخنا الدكتور حكمت بشير إبان تدريسه لنا مادة طبقات المفسرين ، في السنة المنهجية .

(١) انظر : تفسير الطبري (٢٧٦/٥) .

(٢) انظر الروايات في الطبري (٢٧٠/١٥) الآثار (١٨٠٣٠-١٨٠٣٨) .

(٣) تفسير ابن كثير (٤٥٦/٢) .

وبتصديق كتاب موسى - ﷺ - أيضاً لما جاء في القرآن ، على أن ذكر
عبد الله بن سلام وأصحابه لم يقل به غير مقاتل كما سبق (١).
وقد يقول قائل : إن الحديث عن كتاب موسى وأهل التوراة ألا يؤيد
ما ذهب إليه مقاتل من مدنية الآية ؟
والجواب : قد مرَّ معنا أن القرآن المكي تحدث عن بني إسرائيل
لأسباب عديدة ، وكان الاستشهاد بمواقفهم سبباً من تلك الأسباب (٢).

(١) انظر : (ص : ٦٨٤) .

(٢) انظر هذه الأسباب : (ص : ١٧٥-١٧٧) .

المبحث الخامس :
الآيات المدعى مدنيته في سورة يوسف

قوله تعالى : ﴿الرَّتْلَآءِآيَتُ الْكِذْبُ الْمُبِينُ﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (١)
﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلِّسَّائِلِينَ﴾ (٢) .

نسب القول بمدينة هذه الآيات الأربع إلى ابن عباس وقتادة (٣) ولعلّ
ما ذكره القرطبي في تفسيره من أن اليهود سألوا النبي ﷺ عن خبر يوسف
هو الدافع إلى القول بمدينة هذه الآيات . (٤)

مناقشة دعوى مدينة هذه الآيات :

ومع أننا لم نجد دليلاً واضحاً تستند إليه هذه الدعوى فإننا نرى أنها
تتناقض رويداً رويداً عند المناقشة ، وإليك الأدلة في ذلك : -
أولاً : إن صح أن مستند هذه الدعوى هو ما ذكرنا من سؤال
اليهود فإنه يبدو أن هذا ليس دليلاً كافياً للحكم على الآيات بأنهن
مدنيات ، - على الرغم من أن الاحتكاك بين المسلمين وبين اليهود كان
في المرحلة المدنية كما سبق - (٥) إذ إن استثناء آية أو آيات من سورتها
المكية أو المدنية يحتاج إلى دليل صحيح سالم من النقد والتجريح ، على أن
هذا السؤال - إن صح - تم بواسطة كفار مكة وقد نص بعض الأئمة

(١) سورة يوسف الآيات (١-٣) .

(٢) سورة يوسف الآية (٧) .

(٣) انظر : النكت والعيون (٥/٣) ، تفسير القرطبي (١١٨/٩) ، البحر المحيط (٢٣٤/٦) .

(٤) انظر : تفسير القرطبي (١١٨/٩) .

(٥) انظر : (ص : ١٧٢) ففيها الغنية لتوضيح هذه القضية .

على ذلك (١) ، ولعلّ من نافلة القول أن أكرر هنا ما ذكرته سابقاً من أن القرآن المكّي تحدث عن اليهود في بعض آياته ، وبينت السرّ في ذلك بما يغني عن الإعادة هنا . (٢)

ثانياً : أن الروايات الثابتة تنص على أن السائلين هم الصحابة - رضوان الله عليهم - ففي مسند البزار من طريق خلاد بن مسلم عن عمرو بن قيس الملائي عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن أبيه في قول الله تبارك وتعالى ﴿الرَّتِّلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُتَمِينِ﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ الآية ، قال : فنزل القرآن على رسول الله ﷺ ، قال : فتلا عليهم زماناً فقالوا : يا رسول الله لو قصصت علينا ، فأنزل الله عز وجل ﴿الرَّتِّلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُتَمِينِ﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ فقالوا : يا رسول الله لو حدثتنا ، فأنزل الله عز وجل ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا﴾ كلّ ذلك يؤمرون بالقرآن أو يؤدّون بالقرآن ، قال خلاد : وزادني فيه قالوا : يا رسول الله لو ذكرتنا فأنزل الله عز وجل ﴿الْمَيَّانِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (٣)

(١) انظر : معاني القرآن للنحاس (٣/٣٩٦) وعنه القرطبي في تفسيره (٩/١١٩) ، وانظر : البحر المحيط (٦/٢٣٤).

(٢) انظر ما ذكرناه تحت عنوان : منهج القرآن في الحديث عن بني إسرائيل في المرحلة المكّية (ص: ١٧٥) .

(٣) مسند البزار (٣/٣٥٢ برقم ١١٥٣) والحديث أخرجه أيضاً أبو يعلى في مسنده (٢/٨٧-٨٨) برقم (٧٤٠) ، والطبري في تفسيره (١٥/٥٥٣) برقم (١٨٧٧٦) ، وابن حبان في صحيحه (الإحسان) (١٤/٩٢) برقم (٦٢٠٩) وقال محققه : إسناده قوي ، والحاكم في المستدرک (٢/٣٤٥) وصححه ووافقه الذهبيّ كلهم من طريق عمرو بن محمد عن خلاد الصفار به .

فمن خلال هذه الرواية يبدو أن الآيات الثلاث الأولى جاءت كتمهيد لما جاء بعدها من قصة يوسف عليه السلام .

ثالثاً : أن دعوى مدنية هذه الآيات تؤدي إلى التفكيك في النظم القرآني . وهذا أمر لا يليق بالكلام الحسن فضلاً عن كلام رب العالمين ، فعلى سبيل المثال ، الآية السابعة من هذه السورة من الآيات التي قيل إنها مدنية ، ونصها : ﴿ لَهَذَا كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمُتَلَكِّينَ ﴾ وجاء بعدها مباشرة آيات مكية ، وهي قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غُصْبَةٌ ... ﴾ (١) إلى آخر السورة ، فالضمير في قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالُوا ﴾ راجع للإخوة المذكورين في قوله تعالى : ﴿ لَهَذَا كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ﴾ وهل يتصور أن يفهم أن ضميراً في آية مكية متقدمة نزولاً يعود على مذكور في آية مدنية متأخرة ؟ أليس هذا تقطيعاً في آيات الله تعالى إلى هذا الحد ؟ ويا للعجب نرى مثل هذا الاستثناء يوضع بين يدي السورة في بعض المصاحف وكأن لجان هذه المصاحف ترى أنه خير متفق على صحته !! (٢).

رابعاً : ضعفت دعوى مدنية هذه الآيات غير واحد من أهل العلم .

→

وذكره الهيثمي وقال : « رواه أبو يعلى والبخاري وفيه الحسين بن عمرو العنقزي وثقة ابن حبان وضعفه غيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح » المجمع (٢٢٢/١٠) . قلت : وجدت لحسين بن عمرو متابعة ، فقد تابعه إسحاق بن إبراهيم بن راهويه عند ابن حبان ، انظر صحيح ابن حبان (الإحسان) (٩٢/١٤) برقم (٦٢٠٩) ، والحديث حسنه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٣٤٣/٣) برقم (٣٦٥٢) وعزاه لأبي يعلى والبخاري ، وحسنه كذلك شيخ الإسلام ابن تيمية . انظر : مجموع الفتاوى (٤٠/١٧) .

(١) سورة يوسف الآية (٨) .

(٢) انظر ما كتبه اللجنة التي أشرفت على المصحف الأميري بين يدي سورة يوسف وهم من علماء الأزهر .

فقد قال الإمام السيوطي - رحمه الله - بعد أن ذكر ما حكاه أبو حيان من استثناء الآيات الثلاث الأول : « وهو واه جداً لا يلتفت إليه » (١) .
وقال الشيخ رشيد رضا - رحمه الله - « وما قيل من أن الثلاث الأولى منها مدنيات فلا تصح روايته ولا يظهر له وجه ، وهو يخل بنظم الكلام » (٢)

وقال أيضاً بعد أن ذكر قول السيوطي الذي أوردناه قبل قليل « ومن العجائب أن يذكر هذا الاستثناء في المصحف المصريّ ويزاد عليه الآية السابعة » (٣) .

خامساً : وهنا أمر آخر أيضاً ينبغي أن لا يغيب عن بالنا - ونحن في صدد نقد دعوى مدنية هذه الآيات - وهو أن السورة مفتحة بالأحرف المقطعة ، وقد ذكرت ضمن ضوابط المكيّ أن الافتتاح بالحروف المقطعة دليل على مكية السورة عدا البقرة ، وآل عمران ، وفي الرعد خلاف (٤) .
والخلاصة : أن دعوى مدنية هذه الآيات مردودة ، ولا ينبغي الالتفات إليها كما قال الإمام السيوطي - رحمه الله - ، ولعدم اعتبار هذا الاستثناء قد حكى ابن الجوزي والبقاعي - رحمهما الله تعالى - الإجماع على أن السورة كلها مكية (٥) .

وفي النهاية أقول : والذي ينبغي أن نعتمد عليه في هذا المقام هو الروايات المطلقة الدالة على أن سورة يوسف مكية من غير استثناء آية

(١) الإتيقان (٤٥/١) .

(٢) تفسير المنار (٢٥٠/١٢) .

(٣) المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٤) مزيداً من التفصيل لهذا الضابط انظر (ص : ١٦٣) .

(٥) انظر نقل هذا الإجماع (ص : ٣٣٤) .

منها ، هذه هي الروايات الثابتة عن ابن عباس - رضي الله
عنهما - (١) .



(١) انظر هذه الروايات (ص : ٣٣٧) .

المبحث السادس :
الآيات المدعى مدنيته في سورة إبراهيم

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ
 جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَنَسُوا الْقُرْآنَ ﴿۱﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِيُضِلُّوهُ
 عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿۲﴾ ۝

اختلف المفسرون في وجود آيات مدنية في هذه السورة المكية إلى
 أقوال أربعة ، وهي كما يلي :

القول الأول : أن سورة إبراهيم مكية بلا استثناء ، وهذا القول هو
 قول جمهور المفسرين ، قال ابن الجوزي - رحمه الله - : « مكية من غير
 خلاف علمناه بينهم إلا ما روي عن ابن عباس وقتادة » (١).

وقال أبو حيان - رحمه الله - : « هذه السورة مكية كلها في قول
 الجمهور » (٢).

وقال البقاعي - رحمه الله - : « مكية كلها ، قال الغزنوي (٣) :
 عند أكثر المفسرين » (٤).

ويقول العلامة الألوسي - رحمه الله - بعد أن ذكر رواية ابن عباس
 وابن الزبير على مكية هذه السورة : « والظاهر أنهما أرادا أنها كلها
 كذلك وهو الذي عليه الجمهور » (٥).

(١) سورة إبراهيم ، الآيات (٢٨-٣٠) .

(٢) زاد المسير (٤/٣٤٣) .

(٣) البحر المحیط (٦/٤٠٥) .

(٤) هو علي بن الحسين بن عبد الله أبو الحسن الغزنوي ، كان واعظاً شهيراً مفسراً ، توفي
 - رحمه الله - سنة (٥٥١هـ) .

ترجمته : طبقات المفسرين للدراودي (١/٤٠٤) ، النجوم الزاهرة (٥/٣٢٣) .

(٥) مصاعد النظر (٢/١٩٦) .

(٦) روح المعاني (١٣/١٧٦) .

القول الثاني: المدني من هذه السورة آية واحدة ، وهي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ ، وهذا القول مروى عن قتادة كما أخرجه الحارث المحاسبي في « فهم القرآن » (١) .

القول الثالث : المدني من هذه السورة آيتان ، وهما قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ ﴿ جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا وَيُنَاسِ الْفَرَارِ ﴾ ، وقد روي هذا القول عن ابن عباس وقتادة (٢) ، وإليه ذهب بعض المفسرين (٣) .

القول الرابع : وذهب الحسن البصري ، وهبة الله بن سلامة ، وأبو المظفر السمعاني ، والبغوي إلى أن المدني من هذه السورة ثلاث آيات ، بدءاً من قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ... ﴾ الآية إلى قوله : ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرُكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ (٤) . ونسب أبو حيان - رحمه الله - هذا القول إلى ابن عباس وقتادة أيضاً (٥) .

مستند القول بمدنية هذه الآيات :

يستند هذا القول إلى ما ورد في بعض الروايات من أن قوله تعالى :

(١) انظر : (ص : ٣٩٥) .

(٢) انظر : الناسخ والمنسوخ للنحاس (٤٨٠/٢) ، مصاعد النظر (١٩٦/٢) .

(٣) انظر : تفسير مقاتل (٣٩٤/٢) ، التنزيل وترتيبه (٢٢٦ق/ب) ، وعنه الزركشي في البرهان (٢٠٠/١) ، المحرر الوجيز (٥٧/١٠) ، غرائب القرآن للنيسابوري (٩٩/١٣) ، تفسير أبي السعود (٣٠/٥) .

(٤) انظر : تفسير الحسن البصري (٥٨/٢) جمع الدكتور محمد عبد الرحيم ، الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة (ص: ٨٣) ، تفسير أبي المظفر السمعاني (٣/٢٤٧ق/أ) ، معالم التنزيل (٣٣٣/٤) .

(٥) البحر المحيط (٤٠٥/٦) .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۖ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَنُفْسُ الْقَرَارِ﴾ نزل في قتلى بدر ، فقد أخرج النسائي في تفسيره من طريق شعبة عن القاسم بن أبي بزة ، عن أبي الطفيل ، سمع علياً عليه السلام ، وسأله ابن الكواء (١) عن هذه الآية : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۖ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ قال : « هم كفار قريش يوم بدر » (٢).

وأخرج الطبري - رحمه الله - في تفسيره من طريق أبي إسحاق قال : سمعت عمراً ذا مرق قال : سمعت علياً يقول في هذه الآية : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ قال : « بنو المغيرة وبنو

(١) هو عبد الله بن الكواء ، كان خارجياً ، ثم عاد عن مذهبهم ، وله مع علي حكايات ، وأُسئلته مع علي مشهورة ، أخرج بعضها سفيان بن عيينة في تفسيره ، وعبد الرزاق في تفسيره ، والطبري من طرق عديدة عن علي ، والضياء المقدسي في المختارة ، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح .

انظر : تفسير سفيان بن عيينة - جمع أحمد صالح محاييري - (ص : ٣٢٥) ، تفسير عبد الرزاق (٢٤١/٣-٢٤٢) ، تفسير الطبري (١٣/٢٢٠) ، الأحاديث المختارة (١٢٤/٢-١٢٦) برقم (٤٩٤) ، الفتح (٨/٤٦٤) ، وله ترجمة في لسان الميزان (٣/٣٢٩) .

(٢) تفسير النسائي (١/٦٢٢) برقم (٢٨٧) ، وصحح المحققان إسناده ، والأثر أخرجه عبد الرزاق في تفسيره مطولاً (٢/٣٤٢) ، والطبري في التفسير (١٣/٢٢٠) ، والحاكم في المستدرک (٢/٣٥٢) ، وصححه ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الدلائل (٣/٩٥) ، والضياء المقدسي في المختارة (٢/١٧٤-١٧٥) برقم (٥٥٤) كلهم عن أبي الطفيل عن علي به .

وزاد السيوطي نسبته إلى الفريابي ، وابن أبي حاتم ، وابن الأنباري ، وابن مردويه . انظر : الدر (٥/٤١) .

تمهية : أثبت في المتن نص رواية النسائي رغم أقدمية عبد الرزاق منه ذلك أن عبد الرزاق قد خلط في روايته عدة تفاسير مختلفة كلها مروية عن علي بن أبي طالب عليه السلام .

انظر : تفسير عبد الرزاق (٢/٣٤٢) .

أمية ، فأما بنو المغيرة فقطع الله دابرهم يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين » (١).

مناقشة هذا المستند :

نوقشت الأدلة التي استدلت بها أصحاب القول بمدنية الآيات السابقة بما يلي :

أولاً : أن الروايات التي استند إليها هذا القول ليس فيها التصريح بأن قتلى أصحاب بدر هم السبب المباشر لنزول هذه الآيات ، فهذه الروايات تبدو أنها لون من ألوان التفسير، والغرض منها توضيح معنى نص الآية ، ولأجل هذا قد تغاضى بعض من ألف في أسباب النزول عن إيراد هذه الروايات في كتبهم كسبب للآيات (٢).

(١) تفسير الطبري (٢٢٠/١٣) ، والأثر أخرجه ابن أبي حاتم . انظر : تفسير ابن كثير (٥٥٧/٢) ، والطبراني في الأوسط (٤٣٤/١-٤٣٥) برقم (٧٨٠) ، والحاكم في المستدرک (٣٥٢/٢) كلهم من طريق أبي إسحاق عن عمرو ذي مرّ به . قال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي . المستدرک مع التلخيص (٣٥٢/٢).

وقال الهيثمي : « رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه عمرو ذو مرّ ، ولم يرو عنه غير أبي إسحاق السبيعي ، وبقيّة رجاله ثقات » . المجمع (٤٧/٧) . والأثر له شاهد عن عمر رضي الله عنه أخرجه الطبري ، وفي إسناده علي بن زيد ، وهو ضعيف . انظر : تفسير الطبري (٢١٩/١٣) .

(٢) لم يورد الواحدي هذه الروايات في أسبابه ، بل لم يذكر لآيات هذه السورة سبباً ، وكذلك الشيخ عبد الفتاح القاضي في كتابه : « أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين » ، والشيخ مقبل الوادعي في « الصحيح المسند من أسباب النزول » ، وذكر السيوطي في لباب النقول رواية واحدة أخرجه الطبري عن عطاء بن يسار . انظر : لباب النقول (ص : ١٣١) .

وغني عن القول أن أكرر هنا ما ذكرته سابقاً من أن السلف -
رحمهم الله تعالى - قد يطلقون القول بأن الآية نزلت في كذا ، ويريدون
أن الآية تتضمن ذلك الحكم .

قال الزركشي - رحمه الله - : « وقد عرف من عادة الصحابة
والتابعين أن أحدهم إذا قال : « نزلت هذه الآية في كذا » فإنه يريد
بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم ، لا أن هذا كان السبب في نزولها
أولاً » (١).

ولو أردنا أن نضرب أمثلة لإطلاقات الصحابة في هذا الباب لطلال بنا
المقام ، ولكنني أكتفي هنا بمثال واحد يعيننا في هذه الآيات :

أخرج الطبري - رحمه الله - في تفسيره بسند مسلسل بالعوفيين عن
ابن عباس قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ
جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا ﴾ فهو جبلة بن الأيهم والذين اتبعوه من العرب فلحقوا
بالروم (٢).

قلت : وجبلة هذا كانت قصته في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقد
تنصر هو وأتباعه ولحقوا بالروم (٣).

(١) البرهان للزركشي (٣١/١-٣٢) .

(٢) تفسير الطبري (٢٢٣/١٣) ، وإسناد العوفيين مسلسل بالضعفاء ، وقد مر معنا مراراً .

(٣) ذكر الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في « البداية والنهاية » أن جبلة بن الأيهم كان
ملك نصارى العرب ، واسمه المنذر بن الحارث ، ونقل عن ابن عساكر أنه لم يسلم
قط ، وهكذا صرح به الواحدي ، وسعيد بن عبد العزيز ، ونقل عن الواقدي أنه ارتد
في خلافة عمر ، ثم قال : « ورواه الواقدي عن معمر وغيره عن الزهري عن عبيد الله
←

هذا مثال واحد بين عشرات الأمثلة لروايات أسباب النزول والتي توجد فيها مغالطات تاريخية (١).

قال أبو حيان - رحمه الله - : « وعن ابن عباس في جيلة بن الأيهم ولا يريد أنها نزلت فيه ؛ لأن نزول الآية قبل قصته ، وقصته كانت في خلافة عمر ، وإنما يريد ابن عباس أنها تُخص من فعل فعل جيلة إلى يوم القيامة » (٢).

ثانياً : الروايات الواردة في الصحيح ليس فيها تعيين بأن المعنيين في الآيات هم قتلى بدر ، أو بنو أمية وبنو مخزوم ، أو جيلة وأتباعه ، وإنما فيها الإطلاق بأنهم كفار مكة ، ففي البخاري بسنده عن ابن عباس ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾ قال : « هم كفار مكة » (٣).

→

ابن عبد الله عن ابن عباس ، وساق ذلك بأسانيده إلى الصحابة ، وهذا القول هو أشهر الأقوال .

البداية والنهاية (٦٥/٨-٦٦) ، وانظر أيضاً مزيداً من التفصيل لقصته : جمهرة أنساب العرب (ص: ٣٧٢) .

(١) جعل الدكتور عصام الحميدان الخطأ التاريخي الذي يقع في بعض روايات أسباب النزول مأخذاً من المآخذ التي أخذت على علم أسباب النزول ، وبرهن على ذلك بعدة روايات أوردها في رسالته : « أسباب النزول واثرها في التفسير » - رسالة ماجستير . انظر : (ص : ٦٦٢-٦٦٣) .

وحقاً إن هذه الرسالة أجود ما كتب حديثاً في موضوع أسباب النزول ، فعجباً لو قامت دور النشر بطبع هذه الرسالة لَكُنْ أضفن إلى المكتبة القرآنية إضافة علمية مهمة ، ولكان الباحثون ومحبو العلم استفادوا فوائد كثيرة من هذه الدراسة التي سدت ثغرة كبيرة في هذا المجال .

(٢) البحر المحيط (٤٣٥/٦) .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (٢٢٩/٨) كتاب التفسير ، باب ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾ حديث رقم (٤٧٠٠) .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بعد أن ذكر هذه الرواية : « وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية هو جبلة بن الأيهم والذين اتبعوه من العرب فلحقوا بالروم ، والمشهور الصحيح عن ابن عباس هو القول الأول ، وإن كان المعنى يعم جميع الكفار ، فإن الله تعالى بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين ، ونعمة للناس ، فمن قبلها وقام بشكرها دخل الجنة، ومن ردّها وكفر دخل النار » (١).

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بعد أن استعرض الأقوال التي ذكرنا فيمن تعني هذه الآيات : « والأول - أي نزول الآية في كفار مكة - المعتمد ، ويحتمل أن يكون مراده - أي ابن عباس - أن عموم الآية يتناول هؤلاء أيضاً » (٢).

وقال الشيخ ابن عاشور - رحمه الله - في تفسيره : « وهي مكية كلها عند الجمهور وعن قتادة إلا آيتي ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَبَنَسَ أَهْرَارُ ﴾ ، وقيل : إلى قوله : ﴿ فَإِنْ مَصِيرُكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ نزل في المشركين في قضية بدر ، وليس ذلك إلا توهماً » (٣).

ثالثاً : وعلى فرض أن هذه الآيات تعني بقتلى بدر فإنه لا يستلزم أن تكون مدنيات، ونظائر هذا في القرآن كثيرة ، قال تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ الآية (٤)، وقال تعالى أيضاً : ﴿ وَفُخِّ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِيهِ

(١) تفسير ابن كثير (٥٥٧/٢) .

(٢) الفتح (٣٥٣/٧) .

(٣) التحرير والتنوير (١٧٧/١٣) .

(٤) سورة النحل ، الآية (١) .

السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴿١﴾ الآية (١) ، ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ الآية (٢) ، ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾ الآية (٣) ، ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ الآية (٤) ، إلى غير ذلك من آيات التنزيل .

فقد أخرج عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن قتادة ، وعن أيوب عن عكرمة أن عمر قال : « لما نزلت ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ﴾ جعلت أقول : أي جمع يهزم ؟ فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يشب في الدرع وهو يقول : ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ » (٥) .

أليس هذا نصاً مكياً يحكي لنا ما سيحصل من هزيمة ستلحق قريشاً في غزوة بدر التي لم يحن موعدها وقت نزول هذه الآية ؟
إن التعبير بصيغة الماضي مع إرادة المستقبل تنزيلاً لتحقيق وقوعه منزلة الواقع أمر واقع في القرآن الكريم ، ولا غضاضة في ذلك ، وقد ذكرت الشواهد القرآنية التي تشهد بذلك ، بل إنه ضربٌ من ضروب الإعجاز القرآني ، وقد عدَّ الباقلاني - رحمه الله - قضية الإخبار عن الغيوب من جملة الوجوه التي يكون هذا القرآن معجزاً (٦) .

(١) سورة الزمر ، الآية (٦٨) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (٤٤) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية (٤٨) .

(٤) سورة الأعراف ، الآية (٥٠) .

(٥) تفسير عبد الرزاق (٢/٢٥٩) ، وعند ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير : « فعرفت تأويلها يومئذ » . تفسير ابن كثير (٤/٢٨٦) .

(٦) انظر : إعجاز القرآن للباقلاني (ص : ٦٢) ، ومظاهر الإعجاز البياني في أسلوب القرآن الكريم لكاتب هذه السطور (ص : ١٨) بحث قدم لنيل الشهادة العالية « الليسانس » إلى كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية في العام الجامعي (١٤١٢هـ) .

قال العلامة الأخضري (١) - رحمه الله - في منظومته الفريدة في علم
البلاغة المسماة بـ« الجواهر المكنون » مشيراً إلى أن المضارع قد يعبر بصيغة
الماضي ، وقد يكون الأمر عكس ذلك ، قال :

وصيغة الماضي لآت أوردوا وقلبوا لنكتة وأنشدوا (٢)

والخلاصة : أن انطباق معنى هذه الآيات على قصة قتلى بدر ،
وقصة جيلة بن الأيهم لا يعني أنهم نزلن في ذلك ، فسياق الآيات عام في
جميع الكفار .

قال أبو حيان - رحمه الله - : « «الذين بدلوا» ظاهره أنه عام في
جميع المشركين ، قاله الحسن ، بدلوا بنعمة الإيمان الكفر » (٣).

وعلى فرض أن هذه الآيات أريد بها قتلى بدر ، فالأمر كما ذكرنا
من أن السياق وإن كان ماضياً إلا أنه استعمل استعمال المضارع .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - معقباً على قول من قال : إن
قوله تعالى : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ﴾ (٤) نزل في
عبد الله بن سلام ومن ثم فإن الآية مدنية ، قال : « ولا مانع أن تكون
جميعها - أي سورة الأحقاف - مكية ، وتقع الإشارة فيها إلى ما سيقع

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن عامر الأخضري ، صاحب متن السلم في المنطق ، والجواهر
المكنون في البلاغة ، توفي - رحمه الله - سنة (٩٨٣هـ) .

ترجمته : معجم المؤلفين (١٨٧/٥ - ١٨٨) ، الأعلام (٣/ ٣٣١) .

(٢) متن الجواهر المكنون (ص : ٢٤) ، وللتوسع في هذه المسألة انظر : تأويل مشكل القرآن
لابن قتيبة (ص : ٢٩٥) ، الإكسير في علم التفسير للطوفي (ص : ١٤٧) ، المدخل لعلم
تفسير كتاب الله تعالى للحدادي (ص : ٢٣٣ - ٢٣٥) .

(٣) البحر المحيط (٦/ ٤٣٥) .

(٤) جزء من الآية (١٠) سورة الأحقاف .

من شهادة عبد الله بن سلام « (١) .

وقال ابن عاشور - رحمه الله - : « واستعمال صيغة المضى في ﴿ أَحْلُوا ﴾ لقصد التحقيق ؛ لأن الإحلال متأخر زمنه ، فإن السورة مكية » (٢) .

(١) الفتح (١٦٢/٨) .

(٢) التحرير والتنوير (٢٢٩/١٣) .

المبحث السابع :

الآيات المدعى مدنيته في سورة الحجر

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :

في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُتَخَّرِينَ﴾^(١).

استحسن الإمام السيوطي - رحمه الله - استثناء قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُتَخَّرِينَ﴾ من مكية سورة الحجر .

مستند السيوطي في استحسانه مدينة الآية :

استند الإمام السيوطي - رحمه الله - في تأييد استحسانه المذكور إلى ما روي في سبب نزول هذه الآية من أنها نزلت في أناس كانوا يستأخرون في الصفوف في الصلاة من أجل النظر إلى النساء ، وفي هذا يقول السيوطي - رحمه الله - بعد أن حكى عن بعض أهل العلم استثناء قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ الآية^(٢) قال : « وينبغي استثناء قوله : ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُتَقَدِّمِينَ﴾ لما أخرجه الترمذي وغيره في سبب نزولها ، وأنها في صفوف الصلاة »^(٣) .

ولتضح الرؤية أسوق هنا نص الرواية التي استند إليها السيوطي في استثنائه لهذه الآية، ثم أورد بعد ذلك وجه دلالة الرواية عنده .

قال الإمام أحمد في مسنده : حدثنا سريج ، حدثنا نوح بن قيس ، عن عمرو بن مالك النكري ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس قال :

(١) سورة الحجر ، الآية (٢٤) .

(٢) سورة الحجر ، الآية (٨٧) .

(٣) الإتيان (٤٥/١) .

« كانت امرأة حسناء تصلي خلف رسول الله ﷺ ، قال : فكان بعض القوم يستقدم في الصف الأول لئلا يراها ، ويستأخر ^(١) بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر ، فإذا ركع نظر من تحت إبطيه ، فأنزل الله في شأنها: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَّخِذِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَّخِذِينَ﴾ » (٢) .

(١) يستأخر ويستقدم : أي يتقدم ويتأخر ، فالسين والتاء في الفعلين ليستا دالين على الطلب .

(٢) المسند (٢٧٨/٤) برقم (٢٧٨٤) طبعة شاكر ، وصححه الشيخ أحمد شاكر ، والشيخ الألباني في مواضع عديدة من مؤلفاته ، في صحيح سنن الترمذي (٦٦/٣) برقم (٢٤٩٧) ، وفي صحيح سنن النسائي (١٨٩/١) برقم (٨٣٨) ، وفي صحيح سنن ابن ماجه (١٧٢/١) برقم (٨٥٨) ، وفي السلسلة الصحيحة (٦٠٥/٥) برقم (٢٤٧٢) .

وأعله الترمذي والحافظ ابن كثير كما سيأتي تفصيله عند مناقشة المستند . هذا وقد جاء في تعليقات محققي مسند الإمام أحمد - طبعة مؤسسة الرسالة التي أشرفت على مشروع الموسوعة الحديثية - ما نصه : « تنبيه : قد سبق لنا أن حسناً إسناده هذا الحديث في تعليقنا على «صحيح ابن حبان» ، وقد تبين لنا هنا أنه ضعيف لا يستحق التحسين فاقضى التنبيه » . مسند الإمام أحمد (٦/٥) الهامش .

وانظر تحسين الجماعة المذكور في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٢٦/٢) - (١٢٧) هامش رقم (١) .

والأثر أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (ص : ٣٥٤) برقم (٢٧١٢) ، والترمذي في سننه .

انظر : سنن الترمذي مع تحفة الأحوذى (٤٣٦/٨ - ٤٣٧) برقم (٣٣٢٩) ، وابن ماجه في السنن (٣٣٢/١) برقم (١٠٤٦) ، والنسائي في تفسيره (٦٣١/١) برقم (٢٩٣) ، وحسنه المحققان ، والطبري في التفسير (٢٦/١٤) ، وابن حبان في صحيحه (الإحسان) (١٢٦/٢) برقم (٤٠١) ، والطبراني في المعجم الكبير (١٧١/١٢) برقم (١٢٧٩١) ، والحاكم في المستدرک (٣٥٣/٢) ، وصححه ، ووافقه الذهبي ، والبيهقي في السنن الكبرى (٩٨/٣) ، كلهم من طرق عن نوح بن قيس به .

وجه دلالة الرواية عند السيوطي :

لعل استدلال الإمام السيوطي - رحمه الله - بهذه الرواية في مدينة قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُتَخَّرِينَ﴾ مبني على أن شهود النساء الصلاة في جماعة لم يكن إلا بالمدينة (١).

مناقشة مستند السيوطي في استحسانه مدنية الآية :

إن ما استدل به الإمام السيوطي - رحمه الله - على القول بمدنية الآية يناقش بما يلي :

أولاً : أن بعض نقاد المفسرين أنكر متن هذه الرواية .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بعد أن وصف الرواية بشدة الغرابة : « وهذا الحديث فيه نكارة شديدة » (٢) .

وقال ابن عاشور - رحمه الله - بعد أن أورد الرواية في تفسيره : « لا يصح وهو خبر وإي لا يلاقي في انتظام الآيات ، ولا يكون إلا من التفاسير الضعيفة » (٣) .

ثانياً : أن بعض طرق الحديث لم يرد فيه لابن عباس ذكر ، وإنما هي موقوفة على أبي الجوزاء ، وهذا يشير إلى احتمال أن يكون هذا الكلام من كلام أبي الجوزاء ، وليس من كلام ابن عباس .

قال الإمام أبو عيسى الترمذي - رحمه الله - بعد أن أورد الحديث

(١) انظر مشروعية ذهاب النساء إلى صلاة الجماعة في : مجموع الفتاوى (١٨٣/٢٤) ،

الفتح (٤٠٢/٢-٤٠٥، ٤٤٤) .

(٢) تفسير ابن كثير (٥٦٩/٢) .

(٣) التحرير والتنوير (٤٠/١٤) .

في سننه من طريق نوح بن قيس : « وروى جعفر بن سليمان هذا الحديث عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء نحوه ، ولم يذكر فيه عن ابن عباس ، وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح » (١) .

وقال القرطبي - رحمه الله - بعد أن أورد الرواية : « وروي عن أبي الجوزاء ولم يذكر ابن عباس وهو أصح » (٢) .

واستظهر ابن كثير - رحمه الله - هذا الاحتمال فقال بعد أن أورد رواية عبد الرزاق من طريق جعفر بن سليمان - وليس فيه ذكر لابن عباس - : « فالظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء فقط ، ليس فيه لابن عباس ذكر » (٣) .

ثالثاً : أن التفسير المروي لهذه الآية عن جمهور السلف لا يدل على المعنى الذي تدل عليه الرواية السابقة ، فقد روي عن ابن عباس نفسه ، وعكرمة ، ومجاهد ، والضحاك ، ومحمد بن كعب القرظي ، والشعبي وغيرهم ، وهو اختيار الطبري - رحمه الله - أن المراد بـ « المستقدمين » كل من مات من لدن آدم عليه السلام ، « والمستأخرين » من هو حيّ ومن سيأتي إلى يوم القيامة (٤) .

رابعاً : التفسير الذي اعتمد عليه الإمام السيوطي - رحمه الله - لمدينة الآية تفسير يذهب اتصال معنى الآية بما قبلها وما بعدها ، ولا

(١) سنن الترمذي مع تحفة الأحوذى (٤٣٨/٨) .

(٢) تفسير القرطبي (١٤/١٠) .

(٣) تفسير ابن كثير (٥٧٠/٢) ، وانظر رواية عبد الرزاق المشار إليها في تفسيره

(٣٤٨/٢) ، وقد جاء في إسناد الرواية عمرو بن مالك العنبري وهو تصحيف ،

والصواب « النكري » . انظر : التقريب (٧٧/٢) .

(٤) انظر : تفسير الطبري (٢٦-٢٣/١٤) ، تفسير ابن كثير (٥٦٩/٢) .

يساعده سياق الآيات ؛ فسياق الآيات كان يتحدث عن الإحياء والإماتة
فما الذي أدخل قضية صلاة الجماعة والمرأة الحسنة .

قال ابن عطية - رحمه الله - بعد أن أورد ذلك التفسير : « وما
تقدم الآية من قوله : ﴿ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ ، وما تأخر من قوله : ﴿ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَحْشُرُهُمْ ﴾ يضعف هذه التأويلات ؛ لأنها تذهب اتصال المعنى » (١) .

هذه خلاصة ما نوقش به مستند الإمام السيوطي - رحمه الله - في
مدنية الآية ، ولا يفوتني في ختام هذه المناقشة أن أشير إلى أن بعض
الباحثين المعاصرين أدرج هذه الرواية ضمن الروايات التي يضرب بها
كمثال على المآخذ التي أخذت على روايات أسباب النزول ، فقد أورد
الدكتور عصام الحميدان هذه الرواية ضمن الروايات التي دست على
الإسلام من قبل المغرضين الذين يريدون إساءة الإسلام - على حد قول
الدكتور - .

وفي هذا يقول الدكتور عصام بعد أن تكلم على قصة الغرائيق :
« ويشبه هذا أو دونه ما أخرجه الترمذي والنسائي والحاكم وغيرهم عن
ابن عباس رضي الله عنهما » فذكر الرواية ثم قال في تعليقه : « وهذا
السبب يبين أن بعض الصحابة - حاشاهم - لا يأتون للمسجد للصلاة
فقط ، وإنما هم ليستمتعوا كذلك بالنظر إلى وجه هذه المرأة الحسنة ،
ولعمري إن لم يكن هذا شركاً أصغر في القصد فهو قدح في نزاهة وتقوى
وإيمان وإخلاص صحابة رسول الله ﷺ رضي الله عنهم أجمعين ، وإن كنا
لا ندعي العصمة للصحابة ، إلا أن السبب المذكور يوضح - كما هو
ظاهره - أن هذه القضية ليست قضية شخص بعينه لكنها قضية عدة

(١) المحرر الوجيز (١٠/١٢٢-١٢٣) .

أشخاص « (١) .

ويعضى الدكتور عصام في نقده لمتن الرواية فيقول : « وأيضاً نقول :
ألم يكن رسول الله ﷺ على علم بما يجري في مسجده ؟ أم أنه علم
وسكت ؟ ألم يكن بمقدوره إرجاع هذه المرأة للصفوف الخلفية ؟ ألم يكن
أمهات المؤمنين يصلين في ذات المكان ويرين ذلك ؟ إنني لا أشك في
نكارة هذا السبب وشذوذه ، بل وإدخاله - بطريقة ما - في حديث
الثقات ؛ فإن الحديث سنده جيد إلا أنه بالرغم من ذلك لم يوقف (٢)
الإمام الحافظ ابن كثير في إصدار حكمه بنكارتة ، ونحن نوافقه على
ذلك « (٣) .

(١) أسباب النزول وأثرها في التفسير لعصام الحميدان (ص : ٦٦١) .

(٢) لعل الصواب « لم يتوقف » .

(٣) أسباب النزول وأثرها في التفسير (ص : ٦٦١-٦٦٢) .

المطلب الثاني :

في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴾ (١)

جاء في مجمع البيان للطبرسي عن الحسن البصري أن سورة الحجر
مكية إلا قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴾ (٢) ...
وإليه ذهب أبو السعود في تفسيره (٣) .

مستند دعوى مدنية هذه الآية :

تستند هذه الدعوى على دليلين ، وهما كالتالي :

الدليل الأول : أن تفسير السبع المثاني بأنها السبع الطوال لدليل على
مدنية هذه الآية (٤) ؛ إذ إن أغلب هذه السور مدنيات ، وتفسيرها بذلك

(١) سورة الحجر ، الآية (٨٧) .

(٢) انظر : مجمع البيان للطبرسي (٣٢٦/٦) .

هذا ولم أجد هذا القول الذي نسب إلى الحسن البصري في تفسير الحسن البصري الذي
جمعه الدكتور محمد عبدالرحيم كرسالة دكتوراه قدمها إلى جامعة الأزهر ، وقد طبعته
دار الحديث بالقاهرة في مجلدين .

كما لم أجد أيضاً في تفسيره الذي جمعه بالاشتراك الدكتور عمر يوسف كمال ،
والدكتور شير علي شاه ، وأصله كان أيضاً رسالتين علميتين لنيل درجة الدكتوراه في
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وقد طبع أخيراً بمطبعة الجامعة العربية أحسن العلوم
- كراتشي - باكستان - في خمسة مجلدات .

(٣) انظر : تفسير أبي السعود (٦٣/٥) .

(٤) يعلم أن ثمة خلافاً بين أهل العلم في السابعة من السبع الطوال ، فمنهم من يرى أنها
الأنفال والتوبة باعتبارهما سورة واحدة ، ومنهم من يقول : إنها يونس ، ومن قائل :
إنها الكهف .

انظر الخلاف في ذلك : تفسير الطبري (١٤/٥٢-٥٣) ، المحرر الوجيز (١٠/١٤٨-١٤٩) .

(١٤٩) .

جاءت به الآثار .

فقد أخرج الإمام أبو داود في سننه من طريق الأعمش عن مسلم
البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « أوتي رسول الله ﷺ
سبعاً من المثاني الطُّول ، وأوتي موسى ستاً ، فلما ألقى الألواح رفعت
ثنتان وبقين أربع » (١).

وأخرج الطبري في تفسيره من طريق سفيان عن يونس عن ابن
سيرين عن ابن مسعود في قوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ ﴾ قال : «
السبع الطُّول» (٢).

مناقشة هذا الدليل :

ومع أننا لا نمنع وصف السبع الطوال بأنها المثاني ، بل وصف القرآن
كله بذلك ، كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا
مَثَانًى ﴾ (٣) إلا أن السنة الصحيحة تدل على أن المراد بالمثاني في قوله

(١) سنن أبي داود (٧٢/٢) ، كتاب الصلاة ، باب من قال : هي من الطوال ، حديث رقم
(١٤٥٩) .

والأثر أخرجه أيضاً النسائي في سننه (٤٧٧/٢) ، كتاب الافتتاح ، باب تأويل قوله
تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ ﴾ حديث رقم (٩١٤) ، والطبري في تفسيره
(٥٢/١٤) ، كلاهما من طريق جرير عن الأعمش به ، والطبراني في المعجم الكبير
(٥٩/١١) برقم (١١٠٣٨) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود
(٢٧٤/١) برقم (١٢٩٥) .

(٢) تفسير الطبري (٥١/١٤) ، وفي إسناده يحيى بن اليمان ، قال الحافظ ابن حجر : «
صدوق عابد يخطئ كثيراً» . التقريب (٣٦١/٢) ، ولكن الأثر له شواهد ، منها الأثر
الذي قبله عن ابن عباس ، وفيه أيضاً عن ابن عمر بإسناد فيه رجل مبهم . انظر :
الطبري (٥٢/١٤) .

(٣) سورة الزمر ، الآية (٢٣) .

تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ هي الفاتحة .

ففي صحيح البخاري بسنده عن أبي سعيد بن المعلى قال : « مرَّ بي النبي ﷺ وأنا أصلي فدعاني ، فلم آته حتى صلينا ، ثم أتيت فقال : « ما منعك أن تأتيني؟ » فقلت : كنت أصلي ، فقال : ألم يقل الله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ ثم قال : «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد؟ » فذهب النبي ﷺ ليخرج فذكرته ، فقال : « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته» (١) .

وجاء في البخاري أيضاً عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم » (٢) .
ولا شك أن أقوال الصحابة لا تنهض أمام هذه الأحاديث الصحيحة
قال صاحب المراقي :

وكثرة الدليل والرواية مرجح لدى ذوي الدراية

وقوله فالفعل فالتقرير فصاحة وألغي الكثير (٣)

هذا وقد رجح الطبري - رحمه الله - أن المراد بالسبع المثاني هي الفاتحة ، فقد قال بعد أن استعرض خلاف أهل التأويل في ذلك : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : عنى بالسبع المثاني : السبع

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٢٣٢/٨) كتاب التفسير ، باب ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ حديث رقم (٤٧٠٣) .

(٢) المصدر السابق (٢٣٢/٨) ، حديث رقم (٤٧٠٤) .

(٣) متن مراقي السعود (ص : ١٦٤) .

اللواتي هنَّ آيات أم الكتاب ؛ لصحة الخبر بذلك عن رسول الله ﷺ» (١)،
ثم ذكر حديث أبي هريرة الذي سبق ذكره آنفاً .

وبهذا الترجيح الذي رجحه الطبري - رحمه الله - رجح ابن عبد البر - رحمه الله - كذلك فقال : « وقد روي عن ابن عباس في قوله : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ أنها فاتحة الكتاب ، وروي عنه السبع الطُّول : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال وبراءة ، وهو قول مجاهد ، وسعيد بن جبير ؛ لأنها تنبئ فيها حدود القرآن والفرائض ، والقول الأول أثبت عنه ، وهو الصحيح في تأويل الآية ؛ لأنه قد ثبت عن النبي ﷺ من وجوه صحاح» (٢).

وما أحسن ما قاله ابن العربي في هذا المقام فإنه قال بعد أن استعرض خلاف أهل العلم في المراد بالسبع المثاني : « وبعد تفسير النبي ﷺ فلا تفسير ، وليس للمعترض إلى غيره إلا النكير » (٣) .
وقال العلامة القاسمي - رحمه الله - في تفسيره : « وقد روي عن بعض السلف تفسير السبع بالسور الطوال الأول ، وهذا لم يقصد به إلا أن اللفظ الكريم يتناولها ، لا أنها هي المعنية ؛ كيف لا ، وهذه السورة مكية ، وتلك مدنيات ! » (٤) .

(١) تفسير الطبري (٥٩/١٤) .

(٢) التمهيد (٢٢١/٢٠) .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (١١٣/٣) .

(٤) محاسن التأويل (٦٩/١٠) .

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - بصدد ترجيحه للقول بأن الفاتحة هي السبع المثاني ، قال بعد أن ذكر حديث أبي سعيد بن المعلى وحديث أبي هريرة اللذين سبق ذكرهما : « فهذا نص من النبي ﷺ أن المراد بالسبع المثاني والقرآن العظيم فاتحة الكتاب ، وبه تعلم أن قول من قال إنها السبع الطوال غير صحيح ؛ إذ لا كلام لأحد معه ﷺ ، ومما يدل على عدم صحة ذلك القول أن آية الحجر هذه مكية ، وأن السبع الطوال ما أنزلت إلا بالمدينة ، والعلم عند الله تعالى » (١) .

ولعل سائلاً يسأل بعد هذا فيقول : كيف جاز عطف القرآن على السبع المثاني وهي منه ، والعطف يقتضي المغايرة ؟

قلت : الجواب على هذا من وجهين :

الوجه الأول : أنه من باب عطف العام على الخاص (٢) .

الوجه الثاني : أن الصفات قد تغايرت هنا ، وبهذا جاز العطف ، قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - مشيراً إلى هذا الوجه : « وإنما عطف القرآن العظيم على السبع المثاني مع أن المراد بهما واحد وهو الفاتحة لما علم في اللغة العربية من أن الشيء الواحد إذا ذكر بصفتين مختلفتين جاز عطف إحداهما على الأخرى تنزيلاً لتغاير الصفات منزلة تغاير الذوات ، ومنه قوله تعالى : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ الَّذِي خَلَقَ

(١) أضواء البيان (١٩٥/٣) .

(٢) انظر : الروض الريان في أسئلة القرآن لشرف الدين بن ريان (١٨٠/١) .

فَسَوَّى  الَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿١﴾ (٢) .

الدليل الثاني : تستند دعوى مدنية هذه الآية أيضاً إلى ما أخرجه
الواحدي عن الحسين بن الفضل : « أن سبع قوافل وافت من بُصْرَى (٣)
وأذرعَات (٤) ليهود قريظة والنضير في يوم واحد ، فيها أنواع من البرّ (٥) ،
وأوعية الطيب والجواهر ، وأمتعة البحر ، فقال المسلمون : لو كانت هذه
الأموال لنا لتقوينّا بها فأنفقناها في سبيل الله ، فأَنزَلَ اللهُ تعالى هذه الآية ،
وقال : لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير لكم من هذه القوافل ، ويدل
على صحة هذا قوله على أثرها : ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ (٦) .

(١) سورة الأعلى ، الآيات (١-٣) .

(٢) أضواء البيان (١٩٥/٣) ، مزيداً من التفصيل لهذه القاعدة انظر : شرح ابن عقيل على
ألفية ابن مالك (٢٠١/٢-٢٠٢) ، قطر الندى وبل الصدى (ص : ٤١٦-٤١٧) ،
دراسات لأسلوب القرآن الكريم لمحمد عبد الخالق عضيمة (٣/٥٦٢-٥٦٥) .
قال ابن مالك - رحمه الله - :

ونعت غير واحد إذا اختلف فعاطفاً فرقه لا إذا اختلف

الألفية (ص : ٦٠) .

(٣) بُصْرَى : بالضم والقصر ، موضع بالشام من أعمال دمشق ، وهي مشهورة عند العرب
قديماً وحديثاً ، ورد ذكرها كثيراً في أشعارهم .

انظر : معجم البلدان (١/٥٢٢) ، معجم ما استعجم (١/٢٥٣-٢٥٤) .

(٤) أذرعَات : بلد في أطراف الشام ، يجاور أرض البلقاء وعمّان .

انظر : معجم البلدان (١/١٥٨) ، معجم ما استعجم (١/١٣٠-١٣٢) .

(٥) البرّ : الثياب ، وقيل : هو ضرب من الثياب ، وقيل : متاع البيت من الثياب خاصة .

انظر : لسان العرب (٥/٣١١-٣١٢) مادة بز .

(٦) أسباب النزول للواحدي (ص : ٢٧٧) .

وجه الاستدلال :

إن هذا السبب صريح في أن هذه الآية نزلت بالمدينة ، إذ لم يكن لليهود بني قريظة والنضير وجود في مكة ، وعليه فالآية مدنية .

مناقشة هذا الدليل :

نوقش هذا السبب بأنه ضعيف ، قال العلامة الآلوسي - رحمه الله - بعد أن أورد هذا السبب في تفسيره : « وتعقب بأنه ضعيف أو لا يصح ، لأن السورة مكية وقريظة والنضير كانوا بالمدينة ، فكيف يصح أن يقال ذلك وهو كما ترى ؟! » (١) .

وكم كنت أتعجب لهذا السبب وأنا أبحث عن سند له ، إذ الواحد الذي أوردته في كتابه لم يذكر له إسناداً ، وإنما اكتفى بعزوه إلى الحسين بن الفضل ، ولا شك أن هذا السبب قد تضمن غلطة تاريخية واضحة ؛ إذ كيف تكون هذه الآية تنزل في المدينة ويستدل بها في نفس الوقت على مكية سورة الفاتحة .

وقد ذكرنا سابقاً أن أقوى دليل عند الجمهور بمكية سورة الفاتحة هو دلالة قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ (٢) .

هذا ولشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كلام نفيس جداً في هذا المقام حيث يقول : « وفاتحة الكتاب نزلت بمكة بلا ريب كما دلّ

(١) روح المعاني (١٤/٨٠) .

(٢) انظر : (ص : ٤٤٨) .

عليه قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته، وسورة الحجر مكية بلا ريب ، وفيها كلام مشركي مكة وحاله معهم « (١).

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « يستنبط من تفسير السبع المثاني بالفاتحة أن الفاتحة مكية وهو قول الجمهور ، ووجه الدلالة أنه سبحانه امتنَّ على رسوله بها ، وسورة الحجر مكية اتفاقاً ، فيدل على تقديم نزول الفاتحة عليها» (٢).

ولعل المقالة التي قالها ابن الجوزي - رحمه الله - في أمارات الحديث المنكر تصدق على هذا السبب إن لم تكن أشد ، فإنه قال : « الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم ، وينفر منه قلبه غالباً » (٣).

وخلاصة القول : أن هذه الآية مكية ، ولو لم تكن معنا أدلة أخرى تدلنا على ذلك لكفى الاستدلال بها على مكية الفاتحة دليلاً ، والله أعلم .

(١) مجموع الفتاوى (١٧/١٩٠-١٩١) .

(٢) الفتح (٩/٨) .

(٣) الموضوعات لابن الجوزي (١/١٠٣) .

المطلب الثالث :

في قوله تعالى : ﴿ كَمَا أُنزِلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿ (١) .

روي القول بمدينة هاتين الآيتين عن الحسن البصري - رحمه الله - (٢) ، ولعل تفسير « المقتسمين » بأنهم أهل الكتاب هو الدافع إلى القول بمدينةتهما ، وقد أشار الشيخ ابن عاشور - رحمه الله - بذلك ، فقال : « واستثناء قوله تعالى : ﴿ كَمَا أُنزِلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ » بناء على تفسيرهم « المقتسمين » بأهل الكتاب وهو صحيح ، وتفسير « جعلوا القرآن عِضِينَ » أنهم قالوا : ما وافق منه كتابنا فهو صدق ، وما خالف كتابنا فهو كذب ، ولم يقل ذلك إلا يهود المدينة » (٣) .

مناقشة القول بمدينة هاتين الآيتين :

وقبل أن نبدأ المناقشة ينبغي أن نستعرض خلاف أهل العلم في المراد بالمقتسمين ، إذ إن استيعاب الأقوال ، ثم تمييز صحيحها من ضعيفها ، ومن ثم الوصول إلى نتيجة صحيحة هو المنهج الصحيح عند ذكر المسائل الخلافية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « فهذا أحسن ما يكون

(١) سورة الحجر ، الآيتان (٩٠-٩١) .

(٢) انظر : مجمع البيان للطبرسي (٣٢٦/٦) ، روح المعاني للآلوسي (٢/١٤) ، التحرير والتنوير (٥/١٤) .

(٣) التحرير والتنوير (٥/١٤) .

في حكاية الخلاف أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام ، وأن ينبه على الصحيح منها ، ويطل الباطل ، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته ، لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لافائدة تحته ، فيشتغل به عن الأهم ، فأما من حكى خلافاً في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص ، إذ قد يكون الصواب في الذي تركه ، أو يحكى الخلاف ويطلقه ، ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو أيضاً ناقص « (١) .

وإليك ذكر أقوال أهل العلم في المراد بالمقتسمين :

تعددت أقوال أهل العلم في تحديد من هم المقتسمون المعنيون في الآية الكريمة إلى أقوال ثلاثة ، وهي كالتالي :

القول الأول : أن المراد بالمقتسمين الذين يحلفون على تكذيب الرسل ، كقوم صالح ، قال تعالى : ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ... ﴾ الآية (٢) .

وهذا القول مروى عن عبد الرحمن بن زيد كما أخرجه الطبري عنه (٣) .

قال ابن عطية - رحمه الله - مشيراً إلى ضعف هذا القول : «ويقلق هذا التأويل مع قوله : ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْفِرْعَانَ عِزِينَ ﴾ » (٤) .

القول الثاني : أن المقتسمين هم اليهود والنصارى ، إذ إنهم جزأوا هذا الكتاب فآمنوا بما وافق هواهم وكفروا بغيره ، ويشهد لهذا القول

(١) مقدمة في أصول التفسير (ص : ٩٢-٩٣) ، وانظر أيضاً : مجموع الفتاوى (٣٦٨/١٣) .

(٢) سورة النمل ، الآية (٤٩) .

(٣) انظر : تفسير الطبري (٦٣/١٤) ، وعبد الرحمن بن زيد ضعيف كما سبق .

(٤) المحرر الوجيز (١٥١/١٠) .

قوله تعالى : ﴿ أَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ ^(١) ، وقوله تعالى أيضاً : ﴿ وَيَقُولُونَ نُوْمُنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ﴾ ^(٢) ، وهذا القول مروى عن ابن عباس كما في الصحيح ، ففي البخاري بسنده عنه قال : « ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ هم أهل الكتاب ، جزأوه أجزاءً فآمنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه » ^(٣) .

وفسر في الرواية التي تلي هذه الرواية أن المراد بأهل الكتاب هنا هم اليهود والنصارى ^(٤) ، وبنحو هذا روي عن مجاهد ، والحسن ، والضحاك ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير وغيرهم ^(٥) .

القول الثالث : المقتسمون هم كفار مكة ، حيث اقتسموا القرآن بأقوالهم الباطلة ، فمنهم من قال : إنه شعر ، ومنهم من قال : إنه سحر ، وقال بعضهم : كهانة ، وقال بعضهم : أساطير الأولين ، وقال آخرون : اختلقه محمد ﷺ ، وكل هذه الأقوال الباطلة لها شواهد من كتاب الله تعالى ، وهذا القول مروى أيضاً عن ابن عباس ^(٦) .

وبعد هذا الاستعراض لأقوال أهل العلم في المراد بالمقتسمين في الآية الكريمة يبدو أنه ليس هناك تنافٍ بين القول الثاني والقول الثالث ؛ إذ الأوصاف التي ذكرتها الآيتان تنطبق على كلا الفريقين .

(١) جزء من الآية (٨٥) سورة البقرة .

(٢) جزء من الآية (١٥٠) سورة النساء .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (٢٣٣/٨) كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ حديث رقم (٤٧٠٥) .

(٤) انظر : المصدر السابق مع الجزء والصفحة ، حديث رقم (٤٧٠٦) .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير (٥٧٨/٢) .

(٦) انظر : تفسير ابن كثير (٥٧٩/٢) نقلاً عن ابن أبي حاتم ، وسيأتي قريباً نص هذه الرواية .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - بعد أن استعرض الأقوال الثلاثة على الترتيب الذي أوردناه في هذا البحث : « والقرينة في الآية الكريمة تؤيد القول الثالث ، ولا تنافي الثاني بخلاف الأول ؛ لأن قوله : ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ أظهر في القول الثالث ، لجعلهم له أعضاء متفرقة بحسب اختلاف أقوالهم الكاذبة ، كقولهم : شعر ، سحر ، كهانة إلخ » (١).

بقي لي بعد هذا أن أجيب على السؤال المطروح في بساط البحث ، والذي وراء كل هذه الأقوال وهو : ما مدى صحة القول بمدنية الآيتين بناءً على أن المراد بالمقتسمين اليهود والنصارى ، وقد جاء ذلك في البخاري عن ابن عباس كما سبق ؟ .

والجواب : تبين من خلال دراستي للروايات الواردة في الآيتين أن تفسير ابن عباس « المقتسمين » بأنهم هم اليهود والنصارى لا يعني أن الآيتين نزلتا فيهما النزول المباشر ، بل قد ثبت عنه أن السبب المباشر في نزول قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ كان في شأن كفار قريش ، فقد أخرج ابن أبي حاتم من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذا شرف فيهم ، وقد حضر الموسم فقال لهم : يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فاجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ويردّ قولكم بعضه بعضاً ، فقالوا : يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقول به ، قال : بل أنتم قولوا

(١) أضواء البيان (٣/١٩٨) .

لأسمع ، قالوا : نقول كاهن ، قال : ما هو بكاهن ، قالوا : فنقول مجنون ، قال : ما هو بمجنون ، قالوا : فنقول شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، قالوا : فنقول ساحر ، قال : ما هو بساحر ، قالوا : فما ذا نقول ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول أن تقولوا هو ساحر ، فتفرقوا عنه بذلك ، وأنزل الله فيهم : ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْهَرَآنَ عِضِينَ ﴾ أصنافاً ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَبْنَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أولئك النفر الذين قالوا لرسول الله ﷺ ﴿(١)﴾.

(١) تفسير ابن كثير (٥٧٩/٢) ، وقد حسن هذا الإسناد جمع من أهل العلم ، رغم جهالة محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، كما قال الحافظ في التقریب (٢٠٥/٢) ، حسنه الحافظ ابن حجر نفسه في مواضع في الفتح .

انظر : (٣٨٦/٧) عند حديثه في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَأُولَى الْأَبْصَرِ ﴾ ، وانظر أيضاً : (٧٩/٨) عند حديثه في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَخِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ .

وذكر في مقدمة العجاب في بيان الأسباب أن هذا الإسناد ضمن أسانيد الثقات عن ابن عباس .

انظر : العجاب (٤٤/ب) .

واعتمد على هذا الإسناد كذلك الهيثمي . انظر : المجمع (١٧/٢) وقارن مع الطبراني في المعجم الكبير (٦٨/١٢) برقم (١٢٤٩٨) .

وحسنه السيوطي في الإتيان فقال : « وهي طريق جيدة وإسنادها حسن ، وقد أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيراً ، وفي معجم الطبراني الكبير منها أشياء » . الإتيان (١٢٣٢/٢) .

هذا وقد ذكر شيخنا الدكتور حكمت بشير في مقدمة كتابه « موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور » أربع قرائن تؤيد تحسين هذا الطريق ، وإليك ذكرها بإيجاز : أولاً : أن الحافظ ابن حجر - رحمه الله - ذكر هذا الإسناد ضمن أسانيد الثقات عن ابن عباس في مقدمة كتابه « العجاب في بيان الأسباب » .

ثانياً : أن أبا داود روى لمحمد بن أبي محمد وسكت عنه ، فرواية أبي داود له وسكوته عنه تؤيد حكم الحافظ ابن حجر أن إسناده حسن .

←

وعلى فرض أن سبب النزول المباشر لهاتين الآيتين هو أهل الكتاب ؛ فإن هذا لا يقتضي أن تكونا مدنيتين ؛ ذلك ولئن كان احتكاك المسلمين باليهود كان في المرحلة المدنية كما سبق تفصيله إلا أن وصفهم القرآن بتلك الأوصاف التي ذكرته الآيتان كان هذا في كلتا المرحلتين المكية والمدنية .

قال الشيخ ابن عاشور - رحمه الله - مبيناً أن تفسير « المتقسمين » بأنهم أهل الكتاب لا يقتضي مدنية الآيتين : « لو سلم هذا التفسير من جهتيه فقد يكون ، لأن اليهود سمعوا القرآن قبل هجرة النبي ﷺ بقليل ، فقالوا ذلك حينئذ ، على أنه روي أن قريشاً لما أهمهم أمر النبي ﷺ استشاروا في أمره يهود المدينة » (١) .

والخلاصة : الذي اتضح من خلال دراسة الروايات الواردة في الآيتين أن السبب المباشر لنزول هاتين الآيتين هو رواية ابن أبي حاتم من طريق

→

ثالثاً : أن الحافظ ابن كثير - رحمه الله - أورد هذا الطريق وغيره عند تفسير لقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، وفي النهاية قال : « وهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس » علماً بأن ابن كثير صَدَّرَ الأسانيد بطريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت .
رابعاً : أن الطبراني روى من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت .

قال الهيثمي في الحكم على هذا الطريق : « رجاله موثقون » .
انظر : مجلة الجامعة الإسلامية العدد (١٠١-١٠٢) السنة (٢٦) (ص : ٤٦-٤٨) بتصرف .

مزيداً من التفصيل في كلام أهل العلم حول جهالة محمد بن أبي محمد ، وسكوت بعضهم عنه ، كما وثقه آخرون . انظر ما كتبه الدكتور حكمت بشير في مقدمة كتابه المذكور ، فقد استوفى فضيلته بحثاً في ذلك .

(١) التحرير والتنوير (٦/١٤) .

محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس ، والتي سبق ذكرها ؛ إذ فيه التصريح بأن تلك القصة المذكورة في الرواية كانت هي سبب نزول قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْفِرْعَانَ عِزِينَ ﴾ .

وأما رواية البخاري عن ابن عباس من حمل « المقتسمين » بأنهم أهل الكتاب فيبدو أنها من باب التفسير والاستبطاء ، وليست هي السبب المباشر لنزول الآيتين ، وكما سبق أنفاً فإنه لا منافاة بين الروایتين ، من حيث تفسير كل منهما .

هذا ومن القواعد المقررة في علم أسباب النزول أنه إذا كانت هناك روايتان ثابتتان ، وكانت إحداهما مصرحة بالسببية ، والثانية غير صريحة ، فتقدم الصريحة على غير الصريحة ، هذا إذا كان عبّر بلفظ يدل على النزول كقوله : « نزلت في كذا » ، فما بالك برواية لا يوجد فيها ما يشعر بالنزول !

قال السيوطي - رحمه الله - : « وإن عبّر واحد بقوله : « نزلت في كذا » وصرح الآخر بذكر سبب خلافه فهو المعتمد ، وذاك استنباط ، ومثاله ما أخرجه البخاري عن ابن عمر قال : أنزلت ﴿ سَأَوْكُمْ حَرْثَ لَكُمْ ﴾ في إتيان النساء في أدبارهن ، وتقدم عن جابر التصريح بذكر سبب خلافه فالمعتمد حديث جابر ؛ لأنه نقل ، وقول ابن عمر استنباط منه » (١)

(١) الإتيان (١٠٢/١) وحديث جابر المذكور أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ونصه : « كانت اليهود تقول : إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها كان الولد أحول فنزلت : ﴿ سَأَوْكُمْ حَرْثَ لَكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ » صحيح مسلم (١٠٥٨/٢) ، كتاب النكاح ، باب جواز جماع امرأته في قبلها من قدامها ومن ورائها - من غير تعرض للدبر - حديث رقم (١٤٣٥) .

المبحث الثامن :
الآيات المدعى مدنيتهما في سورة النحل
وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول :

في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآ جَزَا لَآخِرَةً أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

جزم مقاتل بن سليمان - رحمه الله - بمدينة هذه الآية ، (٢) كما لا يخفى علينا أن قتادة وجابر بن زيد يريان مدينة الآية بناءً على مذهبهم القائل : إن هذه الآية إلى آخر السورة مدني . (٣)

مستند القول بمدينة هذه الآية :

يستند القول بمدينة هذه الآية إلى دليلين ، وهما :

الدليل الأول : ما روي من أن هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين في مكة ظلمهم المشركون ، فهاجروا إلى رسول الله ﷺ بالمدينة بعد ما لحق بهم الأذى ، أخرج الطبري في تفسيره من طريق عطية العوفي عن ابن عباس ، قوله : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ ﴾ الآية ، قال : « هم قوم هاجروا إلى رسول الله ﷺ بعد ظلمهم وظلمهم المشركون » (٤) .

وذكر القرطبي - رحمه الله - أن الكلبي صرح بأسماء هؤلاء فقال - أي القرطبي - « نزلت في صهيب ، وبلال ، وخباب ، وعمار ، عذبهم أهل مكة حتى قالوا لهم ما أرادوا ، فلما خلوهم هاجروا إلى المدينة قاله الكلبي » (٥) .

(١) سورة النحل الآية (٤١) .

(٢) ينظر : تفسير مقاتل (٥٨/٢) .

(٣) انظر : (ص : ٣٥٣) .

(٤) تفسير الطبري (١٠٧/١٤) وتقدم الكلام على هذا الإسناد انظر : (ص : ٥٧٢) .

(٥) تفسير القرطبي (١٠٧/١٠) والكلبي متروك كما سبق انظر : (ص : ٥٢٢) .

الدليل الثاني : ما روي أيضاً من أن سبب نزول الآية هو قصة أبي جندل بن سهيل بن عمرو (١) . فقد أخرج الطبري في تفسيره أيضاً من طريق عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن داود بن أبي هند . قال : « نزلت ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ في أبي جندل بن سهيل » (٢)

مناقشة هذا المسند :

مناقشة الدليل الأول : ومع أن إسناد العوفيين مسلسل بالضعفاء كما هو معروف ، فإن القول الصحيح عند جمهور أهل العلم هو أن هذه الآية نزلت في مهاجري الحبشة ، وإن كانت تتناول من حيث المعنى مهاجري المدينة ، ومن هنا قال ابن عطية - رحمه الله - بعد أن ضعف الأقوال القائلة : إنها نزلت في الذين بقوا في مكة ثم هاجروا إلى المدينة ، أو نزلت في أبي جندل بن سهيل « وعلى كل قول فالآية تتناول بالمعنى كل من هاجر أولاً وآخرًا » (٣) .

(١) وأبو جندل بن سهيل بن عمرو صحابي قرشي جاء إلى النبي ﷺ قبل فراغ كتاب الحديدية ، وقد كان من ضمن الشروط التي اشترط بها سهيل بن عمرو أنه قال : لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ، وخليت بيننا وبينه ، فرد رسول الله ﷺ أبا جندل بن سهيل يومئذ إلى أبيه ، واستشهد أبو جندل باليامة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة .

ترجمته : الإصابة (٣٤/٤) .

(٢) تفسير الطبري (١٠٧/١٤) وإسناده معضل .

(٣) المحرر الوجيز : (١٨٧/١٠) .

وقال ابن عطية أيضاً مبيناً أن الصحيح عند جمهور أهل العلم هو نزول هذه الآية في مهاجري الحبشة « لما ذكر الله تعالى كفار مكة الذين أقسموا أن الله لا يبعث من يموت وردّ على قولهم ، ذكر مؤمني مكة المعاصرين لهم ، وهم الذين هاجروا إلى أرض الحبشة ، هذا قول الجمهور ، وهو الصحيح في سبب الآية ، لأن هجرة المدينة لم تكن وقت نزول الآية » (١) .

والعجيب أن قتادة الذي كان يرى مدنية هذه الآية إلى آخر السورة نجده يُروى عنه بإسناد حسن أن الآية تعني في شأن مهاجري الحبشة ، فقد أخرج الطبري في تفسيره من طريق يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ، قوله : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ ﴾ الآية ، قال : « هؤلاء أصحاب محمد ظلّمهم أهل مكة فأخرجوهم من ديارهم حتى لحق طوائف منهم بالحبشة ، ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك ، فجعلها لهم دار هجرة ، وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين » (٢) .

هذا وقد حاول البعض الجمع بين قولي قتادة بما لا يخلو عن تكلف حيث قالوا : يحمل قول قتادة في نزول الآية في مهاجري الحبشة أنه أراد نزولها بين المهجرتين بالمدينة وعليه ، فالآية مدنية كقوله السابق (٣) . ولعلّ الباحث المتأمل لهذا الجمع يدرك ما ذكرت من التكلف في محاولة التوفيق بين قولي قتادة ، إذ كيف ينزل الوحي بالمدينة والنبي ﷺ بمكة ؟ .

(١) المصدر السابق (١٠/١٨٦) .

(٢) تفسير الطبري (١٤/١٠٧) تقدم الكلام عن هذا الإسناد مفصلاً ، انظر (ص : ٢٧٥ - ٢٧٦) .

(٣) ينظر روح المعاني (٤٦/١٤) بتصرف .

ألم يكن ﷺ بمكة فترة ما بين الهجرتين ؟

مناقشة الدليل الثاني : وأما ما روي من نزول هذه الآية في أبي

جندل بن سهيل فيناقضه أمور وهي :

أولاً : أن إسناده هذه الرواية مع ما فيه من مقال ليس في الرواية

التصريح بأن قصة أبي جندل هي سبب نزول الآية (١) .

ثانياً : أن الصحيح عند جمهور أهل العلم كما سبق أن هذه الآية

نزلت في مهاجري الحبشة ، وقصة أبي جندل كما أورده الإمام

البخاري - رحمه الله - في صحيحه كانت عام الحديبية (٢) .

قال ابن عطية - رحمه الله - بعد أن ذكر قول من قال : إن الآية

نزلت في أبي جندل بن سهيل « وهذا ضعيف ، لأن أمر أبي جندل كان

والنبي ﷺ بالمدينة » (٣) .

والخلاصة : أن دعوى مدنية هذه الآية تستند على أدلة ضعيفة ،

فالاعتماد في نزول هذه الآية هو ما ذهب إليه الجمهور من أنها نزلت في

مهاجري الحبشة ، وإن كان المعنى يعم كل من هاجر بعد .

قال ابن عطية - رحمه الله - « وأما قوله ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ

بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴾ فمكي في شأن هجرة الحبشة » (٤) .

وقال العلامة الألوسي - رحمه الله - بعد عرض دعوى القائلين

بمدنية الآية : « والذي ينبغي أن يعول عليه أن السورة مكية إلا آيات ،

(١) انظر مقصود السلف بقولهم « نزلت الآية في كذا » (ص : ٤٧٢) .

(٢) يراجع : صحيح البخاري مع الفتح (٧/٥١٩ برقم ٤١٨٠ و٤١٨١) كتاب المغازي ، باب غزوة الحديبية .

(٣) المحرر الوجيز (١٠/١٨٦) .

(٤) المصدر السابق (١٠/١٥٧) .

ليست هذه منها ، بل هي مكة نزلت بين المهجرتين فيمن ذكره
الجمهور» (١) .

(١) روح المعاني (١٤٦/١٤) .

المطلب الثاني :

في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

أورد القرطبي - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ مَا تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ... ﴾ (٢) الآية سبباً مشتركاً - في نظره - بين هذه الآية وبين قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ... ﴾ الآية ، فقال ما نصه : « وسببها أن اليهود لما حسدوا المسلمين في التوجه إلى الكعبة ، وطعنوا في الإسلام بذلك ، وقالوا : إن محمداً يأمر أصحابه بشيء ، ثم ينهاهم عنه ، فما كان هذا القرآن إلا من جهته ، ولهذا يناقض بعضه بعضاً ، فأنزل الله ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ﴾ وأنزل ﴿ مَا تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ ... ﴾ (٣) .

ومقتضى هذا السبب الذي أورده القرطبي - رحمه الله - في تفسيره أن قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ﴾ الآية مدني .

مناقشة هذا السبب :

لا أدري من أين استمدّ القرطبي - رحمه الله - أن قصة تحويل القبلة هي سبب نزول قوله تعالى ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ... ﴾ إذ مما هو

(١) سورة النحل الآية (١٠١) .

(٢) سورة البقرة الآية (١٠٦) .

(٣) تفسير القرطبي (٦١/٢) .

معلوم أن تحويل القبلة وقع بعد الهجرة بستة عشر شهراً أو سبعة عشر -
الشك - في رواية البخاري . (١) وعند مسلم فيه الجزم بأن ذلك كان
بعد مضي ستة عشر شهراً من الهجرة (٢) ، وقد سبق أن قلنا : إن سورة
النحل مكية فكيف يلتئم هذا بذاك ؟

هذا وإن الطبري - رحمه الله - الذي يعتبر تفسيره موسوعة في
روايات أسباب النزول لم يجعل هذه القصة سبباً لنزول هذه الآية ، ولم
يرو ذلك عن أحد من الصحابة أو التابعين ، كما أن السيوطي - رحمه
الله - لم يذكره أيضاً في «الدر المنثور» .

ومعلوم أن السيوطي - رحمه الله - قلما تفوته رواية تفسيرية مسندة
في هذا الكتاب فضلاً عن روايات أسباب النزول .

ومما يدلّ على نقض ما يستلزمه كلام القرطبيّ من نزول هذه الآية
بعد الهجرة أننا لو سلمنا - جدلاً - بما يستلزمه كلام القرطبيّ فلا بدّ أن
نعتبر ضمير الجماعة في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾ عائداً إلى
اليهود ، إذ هم أصحاب قصة تحويل القبلة .

وقد حكى الله عنهم بقوله ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَدَهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ
الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ (٣) غير أن عود الضمير إلى اليهود لا يسمح به سياق

(١) ينظر : صحيح البخاري مع الفتح (١١٨/١) برقم (٤٠) كتاب الإيمان ، باب الصلاة
من الإيمان .

(٢) ينظر : صحيح مسلم (٣٧٤/١) برقم (٥٢٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب
تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « والجمع بين الروایتين سهل بأن يكون من جزم
بسته عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحويل شهراً ، وألغى الزائد ، ومن جزم بسبعة
عشر عدّهما معاً ، ومن شك تردد في ذلك » . الفتح (١٢٠/١) .

(٣) سورة البقرة الآية (١٤٢) .

الآية إطلاقاً .

ففي الآية التي قبل هذه الآية يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا سُلِّطْنَا عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ... ﴾ (١) ومعلوم أن أسلوب القرآن قد جرى غالباً استعمال مادة «الشرك» في الذين أشركوا بالله دون غيرهم . (٢)
قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - مبيناً أن القائلين ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾ هم المشركون : « يخبر تعالى عن ضعف عقول المشركين وقلة ثباتهم وإيقانهم وأنه لا يتصور منهم الإيمان ، وقد كتب عليهم الشقاوة ، وذلك أنهم إذا رأوا تغيير الأحكام ناسخها بمنسوخها قالوا لرسول الله ﷺ ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾ » (٣) .

وخلاصة القول : لعل القرطبي - رحمه الله - أراد التنظير بين الآيتين فيما يتعلق بقضية النسخ ، أما إذا أراد أن ما ذكر هو سبب نزول قوله تعالى ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ﴾ فلكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة . والله أعلم .

(١) سورة النحل الآية (١٠٠) .

(٢) ينظر : الروض الريان في أسئلة القرآن (٦١١/٢-٦١٢) ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص : ١٤٥-١٤٧) وأضواء البيان - تنمية الشيخ عطية محمد سالم - (٣٩٧/٩-٣٩٩) .

(٣) تفسير ابن كثير (٦٠٧/٢) .

المطلب الثالث :

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِثُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيُّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (١) .

ذكر الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في معرض ذكره سبب نزول هذه الآية تفسيراً للضحاك بن مزاحم - رحمه الله - ومفاده أن البشر المذكور في الآية هو سلمان الفارسي - عليه السلام - ، وهذا التفسير - في ظاهره - يقتضي أن تكون هذه الآية مدنية ، وليست كذلك إذ مما هو معلوم أن إسلام سلمان الفارسي كان بالمدينة (٢) .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - معقباً على هذا التفسير : « وهذا القول ضعيف ، لأن هذه الآية مكية ، وسلمان إنما أسلم بالمدينة » (٣) .

هذا وقد ورد سبب صحيح لهذه الآية يدل على مكيتها ، فقد أخرج الطبري في تفسيره من طريق هشيم عن حصين عن عبد الله بن مسلم الحضرمي (٤) أنه كان لهم عبدان من أهل عير اليمن (٥) ، وكانا طفلين ،

(١) سورة النحل الآية (١٠٣) .

(٢) ينظر : الإصابة (٦٢/٢) .

(٣) تفسير ابن كثير (٦٠٨/٢) .

(٤) هكذا في الطبري « عبد الله بن مسلم » وهو صحابي ، وعند ابن عبد البر في الاستيعاب والحافظ ابن حجر في الإصابة « عبيد بن مسلم » وعند البغوي في معرفة الصحابة كما نقله الحافظ ابن حجر « عبيد الله » بالإضافة. انظر الاستيعاب (١٠١٩/٣) . والإصابة (٤٤٦-٤٤٧) .

(٥) هكذا في الطبري « عير اليمن » وهي - بكسر العين - القافلة إبلاً أو غيرها ، وفي

وكان يقال لأحدهما يسار ، والآخر جبر ، فكانا يقرآن التوراة ، وكان رسول الله ﷺ ربما جلس إليهما ، فقال كفار قريش : إنما يجلس إليهما يتعلم منهما ، فأنزل الله تعالى : ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (١) .

وتذهب رواية أخرى ضعيفة إلى أن الآية نزلت في قين أعجمي اسمه بلعام ففي الطبري أيضاً من طريق مسلم بن عبد الله الملائي عن مجاهد عن

→

الحديث « أنهم كانوا يتربصون عيرات قريش » أي إبليس ودوابهم التي كانوا يتحرون عليها . انظر : النهاية في غريب الحديث (٣/٣٢٩) ، لسان العرب (٤/٦٢٤) . وعند الثعلبي في الكشف والبيان (٢/٢٥٥ ق/أ) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ٢٨١) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٤/٣٣٢) « عين التمر » وهي بلدة قرية غربي الكوفة ، وأكثر نخلها العشب - وهي التمر اليابس - ويحمل منها إلى سائر الأماكن . انظر : معجم البلدان (٤/١٩٩) . مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفى الدين البغدادي (٢/٩٧٧) .

ويبدو - والله أعلم - أن رواية الطبري هي الأصوب ، وذلك لسببين : أولاً : أن الصحابي الذي روى الرواية هو عبد الله بن مسلم الحضرمي ، وحضر موت بلدة في اليمن .

ثانياً : جاء في الرواية التي أخرجها البغوي في معرفة الصحابة كما ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة وصحح إسنادهما أنهما من أهل نجران ، ولا شك أن هذه الرواية تؤيد رواية الطبري . انظر : الإصابة (٢/٤٤٧) .

(١) تفسير الطبري (١٤/١٧٨) وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في الإصابة (٢/٤٤٧) ونصه بعد أن أورد هذه الرواية : « وسنده صحيح وسماع حصين منه - أي عبد الله بن مسلم - يدل على تأخر وفاته إلى بعد الثمانين » .

وصححه أيضاً الشيخ مقبل الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص : ١٢٤-١٢٥) ، وقد تصحفت عنده كلمة « غير اليمن » إلى « غير اليمن » فليعلم . والأثر أخرجه ابن أبي حاتم بنحوه كما في لباب النقول (ص : ١٣٤) ، والواحدي في أسباب النزول بنحوه أيضاً ، وسنده ضعيف . انظر : (ص : ٢٨١) .

ابن عباس قال : « كان رسول الله ﷺ يعلم قيناً (١) بمكة ، وكان اسمه بلعام ، وكان أعجمي اللسان ، وكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل من عنده ويخرج من عنده ، فقالوا : إنما يعلمه بلعام ، فأنزل الله هذه الآية ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ... ﴾ الآية » (٢) .

والخلاصة : أن هذه الآية مكية تبعا لسورتها ، وأضحى من المستبعد أن ينهض تفسير الضحاك الذي ضعفه الحافظ ابن كثير - رحمه الله - أمام السبب الصحيح الدال على مكيتها ، والله أعلم .

(١) والقين هو الحداد ، وقيل كل صانع ، وجمعه أقيان وقيون . ينظر : النهاية في غريب الحديث (١٣٥/٤) ولسان العرب (٣٥٠/١٣) .

(٢) تفسير الطبري (١٧٧/١٤) وضعفه السيوطي في لباب النقول ، انظر : (ص: ١٣٤) ففيه مسلم بن عبد الله الملائني وهو ضعيف التقريب (٤١١/٢) .
والأثر زاد السيوطي نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه انظر : الدر (١٦٧/٥) .

المطلب الرابع :

في قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْهُمْ
بِالتَّوْبَةِ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ
أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١) .

أخرج الدارقطني (٢) - رحمه الله - في سننه أثراً عن ابن عباس ،
وفيه أن هذه الآية نزلت عقب غزوة أحد ، ومقتضى هذا الأثر أن الآية
مدنية .

ولتتضح لنا الصورة نورد نص الأثر :

قال الدارقطني : نا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ، نا الحكم بن
موسى ، نا إسماعيل بن عياش ، عن عبد الملك بن أبي عتبة (٣) أو غيره ،
عن الحكم بن عتيبة عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لما
انصرف المشركون عن قتلى أحد ، انصرف رسول الله ﷺ ، فرأى منظراً
أساءه ، رأى حمزة ؓ قد شق بطنه ، واصطلم (٤) أنفه ،

(١) سورة النحل الآية (١٢٥) .

(٢) هو أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد ، وقد قيل إنه أملى كتابه العلل الموجود من
حفظه ، وقد حقق هذا الكتاب الدكتور محفوظ الرحمن زين الله لنيل درجة الدكتوراه
في قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وطبع أخيراً بدار طيبة بعض الأجزاء
منه ، توفي - رحمه الله - سنة (٣٨٥هـ) .

ترجمته : وفيات الأعيان (٢٩٧/٣ - ٢٩٩) ، طبقات علماء الحديث للصالحى
(١٨٧-١٨٣/٣) .

(٣) هكذا في سنن الدارقطني . وعند الواحدى : عبد الملك بن أبي غنيرة وهو الصواب .
انظر أسباب النزول (ص: ٢٨٣) ، وتقريب التهذيب (١/٥١٨) .

(٤) الاصطلام هو الاستئصال ، واصطلم القوم أي أيّدوا . انظر : لسان العرب
(٣٤٠/١٢) .

وجدعت^(١) أذناه ، فقال : لولا أن يحزن النساء أو يكون سنة بعدي لتركته ، حتى يبعثه الله من بطون السباع والطير ، لأمثلن مكانه بسبعين رجلاً ، ثم دعى ببردة فغطى بها وجهه ، فخرجت رجلاه ، فغط رسول الله ﷺ وجهه ، وجعل على رجله شيئاً من الإذخر^(٢) ثم قدمه فكبر عليه عشراً ، ثم جعل يجاء بالرجل فيوضع وحمزة مكانه ، حتى صلى عليه سبعين صلاة ، وكان القتلى سبعين . فلما دفنوا وفرغ منهم نزلت هذه الآية ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ فصير رسول الله ﷺ ولم يمثل بأحد»^(٣) .

ومما يثير العجب في هذا المقام أن ابن عاشور - رحمه الله - نسب إلى القرطبي تفسيراً يقتضي أن تكون هذه الآية مدنية ، مع أن المتأمل في نص الإمام القرطبي لا يفهم منه ما فهم منه ابن عاشور . ولتجلى لنا الصورة نذكر نص كلام القرطبي ثم نردف بعد ذلك تعليق ابن عاشور.

(١) والجدة القطع ، وقيل هو القطع البائن في الأنف والأذن والشفة . انظر : المصدر السابق (٤١/٨) .

(٢) الإذخر بكسر الهمزة حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب . انظر النهاية في غريب الحديث (٣٣/١) .

(٣) سنن الدارقطني (١١٨/٤) برقم (٤٧) وإسناده ضعيف ففيه إسماعيل بن عياش الشامي وهو يغلط ويخلط في حديث غير الشاميين ، انظر : التقريب (٣٢٣/١) وقد روى عن عبد الملك بن أبي غنّية وهو كوفي . انظر : التقريب (٥١٨/١) . وقال الدارقطني بعد أن أورد هذا الحديث : لم يروه غير إسماعيل بن عياش وهو مضطرب الحديث عن غير الشاميين . سنن الدارقطني (١١٨/٤) . والحديث أخرجه الواحدي من طريق الدارقطني نفسه . انظر : أسباب النزول (ص: ٢٨٢-٢٨٣) .

قال القرطبي - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الآية :

« هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف ، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة ، فهي محكمة في جهة العصاة من الموحدين ، ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين وقد قيل : إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورجي إيمانه بها دون قتال فهي فيه محكمة » (١) .

هذا وقد أخذ ابن عاشور - رحمه الله - مقطعاً من كلام القرطبي السابق وهو قوله « هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش » ثم علق عليه بقوله : « أي في مدة صلح الحديبية » (٢) ومن ثم بنى ابن عاشور على تعليقه هذا أن القرطبي يرى مدنية هذه الآية فيقول بعد أن ذكر أثر ابن عباس الذي أوردناه قبل قليل - ذكره من طريق الواحدي - : « ولا أحسب ما ذكره - أي الواحدي والقرطبي - صحيحاً ولعل الذي غرّ من رواه قوله ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ

(١) تفسير القرطبي (٢٠٠/١٠) وما ذهب إليه القرطبي - رحمه الله - من أن الآية منسوخة بالقتال في حق الكافرين مخالف لما عليه جمهور المحققين ، إذ لا تنافي بين القتال والمجادلة بالتي هي أحسن ، قال ابن الجوزي : « وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن هذه الآية منسوخة بآية السيف ، وفيه بعد ، لأن المجادلة لا تنافي بالقتال ، ولم يقل له اقتصر على جدالهم فيكون المعنى : جادلهم فإن أبوا فالسيف ، فلا يتوجه نسخ » نواسخ القرآن (ص: ٣٨٧) .

هذا وقد سبق أن ذكرنا مزيداً من التفصيل أنه لا تعارض بين آيات الأمر بالعفو والصفح عن المشركين وبين آيات الأمر بالقتال ، وذلك عند قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ... ﴾ الآية انظر : (ص : ٥١٢-٥١٣) .

(٢) التحرير والتنوير (٣٢٦/١٤) .

مَا غَوَّيْتُمْ بِهِ ﴿١﴾ بل موقع الآية متصل بما قبله غير محتاج إلى إيجاد سبب نزول « (١) » .

ويبدو - والله أعلم - أن القرطبي لم يرد بقوله « في وقت الأمر بمهادنة قريش » هدنة الحديبية ، بل أراد المرحلة التي كان الشعار المعلن للمسلمين ﴿ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ (٢) وسياق تنمة عبارته يوحى بذلك .

وخلاصة القول : أن هذه الآية مكية ، ولكن مضمون ما تأمر به أمر كما قال القرطبي « ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة » (٣) .

قال ابن القيم - رحمه الله - مبيناً أن التلطف مع الكفار والجدال معهم بالتي هي أحسن لم يكن في المرحلة المكية فحسب ، وإنما كان كذلك - بجانب الجهاد - في المرحلة المدنية أيضاً ، قال : « والمقصود أن رسول الله ﷺ لم يزل في جدال الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم إلى أن توفي ، وكذلك أصحابه من بعده ، وقد أمر الله سبحانه ، بمجادلهم بالتي هي أحسن في السور المكية والمدنية ، وأمره أن يدعوهم بعد ظهور الحجة إلى المباهلة ، وبهذا قام الدين ، وإنما جعل السيف ناصراً للحجة ، وأعدل السيوف سيف ينصر حجج الله وبيناته ، وهو سيف رسوله وأمته » (٤) .

(١) المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٢) جزء من الآية (٧٧) من سورة النساء .

(٣) تفسير القرطبي (٢٠٠/١٠) .

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (٦٤٢/٣) .

المبحث التاسع :
الآيات المدعى مدنيته في سورة الإسراء
وفيه اثنا عشر مطلباً

المطلب الأول :

في قوله تعالى : ﴿وَأَتِذَا الْقُرْىَ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ
تَبْذِيرًا﴾ (١).

نسب القول بمدينة هذه الآية إلى علي بن الحسين زين العابدين (٢) ،
كما نسب أيضاً إلى الحسن البصري القول بذلك (٣) ، ولعل الذين نسبوا
إليهما ذلك القول اعتمدوا على ما روي عنهما أنهما قالوا : نزلت في
قراءة الرسول ﷺ (٤).

(١) سورة الإسراء ، الآية (٢٦) .

(٢) انظر : بيان ابن عبد الكافي (٣٢ق/أ) ، معالم التنزيل (٨٩/٥) ، المحرر الوجيز
(٢٨١/١٠) .

وعلي بن الحسين زين العابدين هو ابن الحسين بن علي بن أبي طالب يكنى أبا الحسن
ويقال أبا الحسين ، توفي - رحمه الله - سنة (٩٤هـ) .
ترجمته : وفيات الأعيان (٢٦٦/٣) .

(٣) ينظر : بيان ابن عبد الكافي (٣٢ق/أ) ، روح المعاني (٢/١٥) .

(٤) ينظر : زاد المسير (٢٧/٥) ، البحر المحيط (٤٠/٧) ، التحرير والتنوير (٧٦/١٥) .
هذا ولم أجد أي سند لما روي عن الحسن البصري من أنه فسر القراءة هنا بأنها قراءة
الرسول ﷺ ، بل وجدت عند الطبري بسند حسن من طريق عبد الوارث بن سعيد ،
قال : ثنا حبيب المعلم ، قال : سأل رجل الحسن ، قال : أعطني قرابتي زكاة مالي ،
فقال : إن لهم في ذلك لحقاً سوى الزكاة ، ثم تلا هذه الآية : ﴿وَأَتِذَا الْقُرْىَ
حَقَّهُ﴾ . تفسير الطبري (٧١/١٥) .

وذكر ابن الجوزي في تفسيره أن الحسن قال في تفسير المراد بالقراءة هنا : «إنه قراءة
الرجل من قبل أبيه وأمه» .

زاد المسير (٢٧/٥) ، وانظر أيضاً تفسير الحسن البصري جمع الدكتور محمد عبد الرحيم
(٨٢/٢) نقلاً عن ابن الجوزي .

منشأ الخلاف في مكة هذه الآية أو مدنيها :

إن منشأ الخلاف في هذه الآية هو اختلاف أهل التفسير في تفسير ذي القربة في الآية الكريمة ، فمنهم من فسر القربة هنا بأنها قرابة الرسول ﷺ ، ومقتضى هذا التفسير أن الآية مدنية ، إذ إن حقوق قرابة النبي ﷺ لم تشرع إلا في المرحلة المدنية (١) ، ومنهم من فسر - وهو قول جمهور المفسرين - بقرابة الرجل من قبل أبيه وأمه ، وذلك أن سياق هذه الآية كان عقب أن تحدث الله تبارك وتعالى ببر الوالدين ، فَحَمَلَهَا على قرابة النسب إذاً أولى من الحمل على غيرها (٢).

مسند القول بمدنية هذه الآية :

تستند هذه الدعوى على دليلين وهما :

الدليل الأول : ما أخرجه الحافظ البزار في مسنده حيث قال : حدثنا

عباد بن يعقوب ، حدثنا أبو يحيى التيمي ، حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد الخدري - ؓ - قال : « لما نزلت : ﴿وَأَتَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاهما فدك » (٣)(٤).

(١) ينظر : التحرير والتنوير (٧٦/١٥) .

(٢) ينظر : تفسير الطبري (٧٢/١٥) .

(٣) وفدك بالتحريك ، وآخره كاف ، قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان ، وقيل : ثلاثة أفاعها الله على رسوله ﷺ سنة سبع صلحاً ، فهي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب . معجم البلدان (٢٧٠/٤) .

(٤) كشف الأستار (٥٥/٣) برقم (٢٢٢٣) وانظر أيضاً : مختصر زوائد مسند البزار لابن حجر (٩٠/٢) برقم (١٤٧٦) ، والأثر أخرجه أبو يعلى في مسنده من طريق عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري مثله (٣٣٤/٢) برقم (١٠٧٥) و (٥٣٤/٢) برقم (١٤٠٩) ، وزاد السيوطي نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

انظر : الدر (٢٧٣/٥) ، وقال البزار : « لا نعلم رواه إلا أبو سعيد ، ولا حدث به عن

الدليل الثاني : ما أخرجه الطبري في تفسيره من طريق الصباح بن يحيى المزني عن السدي عن أبي الديلم قال : قال علي بن الحسين عليهما السلام لرجل من أهل الشام : «أقرأت القرآن ؟ قال : نعم ، قال : أفما قرأت في بني إسرائيل : ﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ قال : وإنكم للقرابة التي أمر الله جل ثناؤه أن يؤتى حقه ؟ قال : نعم » (١).

مناقشة هذا المستند :

لقد تبين من خلال الحكم على الروایتين اللتين استندت إليهما دعوى مدنية هذه الآية ضعف تلك الروایتين ، وأنهما لا تقوم بهما حجة ، وعلاوة على ذلك فإن الروايات الصحيحة تدلنا على أن هذه الآية لا علاقة لها بقرابة الرسول ﷺ ، لا من قريب ولا من بعيد، ففي مسند الإمام أحمد من طريق خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أنس بن مالك أنه قال : أتى رجل من بني تميم رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إني ذو مال كثير وذو أهل وولد وحاضرة ، فأخبرني كيف أنفق وكيف أصنع ، فقال رسول الله ﷺ : « تخرج الزكاة من مالك فإنها طهرة

→

عطية إلا فضيل ، ورواه عن فضيل أبو يحيى ، وحيد بن حماد ، وابن أبي الخوار » . كشف الأستار (٥٥/٣) .

وقال الهيثمي : « رواه الطبراني وفيه عطية العوفي وهو ضعيف متروك » . المجمع (٥٢/٧) .

قلت : وقد فات الهيثمي أن ينسبه إلى البزار وأبي يعلى ، وقال الحافظ ابن حجر : « هما - أي فضيل وعطية - ضعيفان » . مختصر زوائد مسند البزار (٩٠/٢) .

(١) تفسير الطبري (٧٢/١٥) ، قال أحمد شاکر تعليقاً على هذا الإسناد : « ضعيف جداً أو باطل » . مذكرة أسانيد الإمام الطبري (ص : ٦٠) .

تطهرك ، وتصل أقباءك ، وتعرف حق السائل والجار والمسكين ، فقال :
يا رسول الله أقلل لي ، فقال : ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ
وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا﴾ فقال : حسبي يا رسول الله إذا أديت الزكاة إلى رسولك
فقد برئت منها إلى الله ورسوله ، فقال رسول الله ﷺ : « نعم إذا أديتها
إلى رسولي فقد برئت منها ، فلك أجرها ، وإثمها على من بدلها » (١).

وهكذا يبدو من خلال رواية الإمام أحمد عدم وجاهة قول من قال :
إن القرابة هنا قرابة الرسول ﷺ .

نماذج من أقوال المفسرين تدلنا أيضاً على ضعف التفسير القائل :
إن المراد بالقرابة هنا قرابة النبي ﷺ :

١ - قول الطبري : قال الطبري - رحمه الله - بعد أن ذكر
التفسيرين اللذين ذكرنا واللذان كانا منشأ الخلاف في مكية هذه الآية أو
مدنيتها ما نصه : « وأولى التأويلين عندي بالصواب تأويل من تأول أنها
بمعنى وصية الله عباده بصلة قرابات أنفسهم وأرحامهم من قبل آبائهم
وأمهاتهم ، وذلك أن الله عز وجل عقَّب ذلك عقيب حضه عباده على
بر الآباء والأمهات ، فالواجب أن يكون ذلك حضاً على صلة أنسابهم
دون أنسابهم التي لم يجر لها ذكر » (٢).

٢ - قول ابن عطية : وقال ابن عطية - رحمه الله - حاكياً خلافاً

(١) المسند (١٧٢/٣) برقم (١٢٣٧٩) طبعة المكتب الإسلامي المرقمة .
والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك من طريق الليث عن خالد بن يزيد به (٣٦١/٢)
، وقال : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، وسكت عنه الذهبي .
وقال الهيثمي : « رواه أحمد والطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح » . المجمع
(٦٦/٣) .

(٢) تفسير الطبري (٧٢/١٥) .

أهل التفسير في المراد بالقرابة هنا : « اختلف المتأولون في ذوي القربى ، فقال الجمهور : إن الآية وصية للناس كلهم بصلة قراباتهم ، خوطب بذلك النبي ﷺ والمراد الأمة ، وألحق في هذه الآية ما يتعين له من صلة الرحم وسدّ الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه ، قال بنحو هذا الحسن وعكرمة وابن عباس وغيرهم .

وقال علي بن الحسين في هذه الآية : هم قرابة النبي ﷺ ، أمر النبي ﷺ بإعطائهم حقوقهم من بيت المال ، والقول الأول أبين ، ويعضده العطف بالمسكين وابن السبيل » (١).

٣ - قول الحافظ ابن كثير : وقال ابن كثير - رحمه الله - بعد أن أورد رواية البزار السابقة في تفسيره : « وهذا الحديث شكل لو صح إسناده ؛ لأن الآية مكية وفدك إنما فتحت مع خير سنة سبع من الهجرة فكيف يلتزم هذا مع هذا ؟ فهو حديث منكر ، الأشبه أنه من وضع الرافضة ، والله أعلم » (٢).

٤ - قول الآلوسي : وقال الآلوسي - رحمه الله - بعد أن ذكر قول من قال : إن المراد بالقرابة هنا هي قرابة الرسول ﷺ : « وضعف بأنه لا قرينة على التخصيص ، وأجيب بأن الخطاب قرينة ، وفيه نظر » (٣).

وقال أيضاً مشيراً إلى ضعف رواية البزار السابقة : « وما أخرجه البزار ... لا يدل على تخصيص الخطاب به عليه الصلاة والسلام ، على أن في القلب من صحة الخبر شيء (٤) بناءً على أن السورة مكية ،

(١) المحرر الوجيز (٢٨١/١٠) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣٩/٣) .

(٣) روح المعاني (٦٢/١٥) .

(٤) هكذا في روح المعاني بالرفع ، والصواب هو النصب لكونه اسم « أن » المؤخر ولعله خطأ مطبعي .

وليست هذه الآية من المستثنيات ، وفدك لم تكن إذ ذاك تحت تصرف رسول الله ﷺ ، بل طلبها رضي الله تعالى عنها إرثاً بعد وفاته عليه الصلاة والسلام كما هو المشهور ، يأبى القول بالصحة كما لا يخفى» (١).

٥ - قول الشوكاني : وقال الشوكاني - رحمه الله - بعد أن أورد

في تفسيره رواية الطبري عن علي بن الحسين زين العابدين السابقة : « وأقول : ليس في السياق ما يفيد هذا التخصيص ولا دل على ذلك دليل ، ومعنى النظم القرآني واضح إن كان الخطاب مع كل من يصلح له من الأمة ؛ لأن معناه أمر كل مكلف متمكن من صلة قرابته بأن يعطيهم حقهم وهو الصلة التي أمر الله بها ، وإن كان الخطاب للنبي ﷺ ، فإن كان على وجه التعريض لأمته فالأمر فيه كالأول ، وإن كان الخطاب له من دون تعريض فأمته أسوته ، فالأمر له ﷺ بإيتاء ذي القربى حقه أمر لكل فرد من أفراد أمته ، والظاهر أن هذا الخطاب ليس خاصاً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بدليل ما قبل هذه الآية ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ وما بعدها وهي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ » (٢).

٦ - قول ابن عاشور : وقال ابن عاشور - رحمه الله - : « وليس

لها تعلق بحقوق قرابة النبي ﷺ ؛ لأن حقوقهم في المال تقررت بعد الهجرة لما فرضت الزكاة وشرعت المغانم والأفياء وقسمتها ، ولذلك حمل جمهور العلماء هذه الآية على حقوق قرابة النسب بين الناس » (٣).

وبعد : فهذه أقوال نقاد التفسير وفرسانه بين أيدينا تؤيده الروايات

(١) روح المعاني (١٥/٦٢-٦٣) .

(٢) فتح القدير (٣/٢٢٤) .

(٣) التحرير والتنوير (١٥/٧٦) .

الصحيحة كما سبق فأين هذا إذاً من تفسير أشبه ما يكون كما قال
الحافظ ابن كثير « أنه من وضع الرافضة » (١).



(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٩) .

المطلب الثاني :

في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (١).

أورد الإمام السيوطي - رحمه الله - في « لباب النقول » رواية من طريق ابن مردويه ، ومقتضى هذه الرواية أن الآية المذكورة مدنية ، وفيما يلي نصها : « وأخرج أيضاً - أي ابن مردويه - عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال لعائشة : أنفق ما على ظهر كفي ، قال : إذن لا يبقى شيء فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ الآية » (٢).

وجه الدلالة : في الرواية دلالة واضحة على أن الحوار وقع بالمدينة إذ مما هو معلوم أن النبي ﷺ لم يدخل بعائشة إلا بالمدينة (٣)، ولأجل هذا قال الإمام السيوطي - رحمه الله - بعد إيراده الرواية : « وظاهر ذلك أنها مدنية » (٤).

مناقشة هذه الرواية :

لم أجد من ذكر هذه الرواية من أصحاب التفاسير المعتمدة ، فقد ساق الحافظ ابن كثير - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الآية روايات عديدة كلها في باب الإنفاق ، ولم يعرج على هذه الرواية (٥).

(١) سورة الإسراء ، الآية (٢٩) .

(٢) لباب النقول (ص : ١٣٦) ، والحديث أورده السيوطي أيضاً في الدر (٢٧٦/٥) ،

وذكره الشوكاني في فتح القدير (٢٢٥/٣) ، وانظر أيضاً : مرويَات أم المؤمنين عائشة

في التفسير للدكتور سعود الفنينان (ص : ٢٣٦) برقم (٣٨٤) .

(٣) انظر النصوص وأقوال أهل العلم الدالة على ذلك (ص : ٣٧٣-٣٧٤) .

(٤) لباب النقول (ص : ١٣٦) .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير (٤٠/٣-٤١) .

ولعل إهمال محققي المفسرين لهذه الرواية فيه إشارة إلى ضعفها ،
ويبدو - والله أعلم - أن الرواية معلومة متناً ، وقد أشار إليه الإمام
الشوكاني - رحمه الله - فقال : « ويقدح في ذلك أنه ﷺ لم يتزوج
بعائشة إلا بعد الهجرة » (١).

والخلاصة : لو كان إسناد ابن مردويه في الرواية بين أيدينا لوجدنا
القول الفصل فيها ، ولكن مخالفة الرواية للروايات الصحيحة تجعلنا نقول
بإعلاها .

(١) فتح القدير (٢٢٥/٣) .

المطلب الثالث :

في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (١).

نسب القول بمدينة هاتين الآيتين إلى الحسن البصري (٢) ، ولم أجد أي أثر عن الحسن يثبت مدى صحة هذه النسبة .
ويبدو - والله أعلم - أن ما يستشف من الآيتين من الحديث عن بعض التشريعات هو الدافع إلى القول بمدينة هاتين الآيتين - رحمه الله - في نقده لدعوى مدينة الآية الأولى : « وقد زعم بعض المفسرين أن هذه الآية مدنية كما تقدم في صدر السورة ولا وجه لذلك الزعم » (٣).
ويعضي ابن عاشور في نقده بعد ذلك إلى الآية الثانية فيقول : « ولما رأى بعض المفسرين أن الحكم الذي تضمنته هذه الآية لا يناسب إلا أحوال المسلمين الخالصين استبعد أن تكون نازلة بمكة فزعم أنها مدنية ، وقد بينا وجه مناسبتها وأبطلنا أن تكون مكية (٤) في صدر هذه السورة » (٥).

(١) سورة الإسراء ، الآيتان (٣٢-٣٣) .

(٢) انظر : روح المعاني (٢/١٥) .

(٣) التحرير والتنوير (٩١/١٥) .

(٤) هكذا في التحرير والتنوير ، وهو تصحيف ، والصواب : « مدنية » .

(٥) المصدر السابق (٩٦/١٥) .

وهذه الإحالة التي يكررها ابن عاشور - رحمه الله - هي قوله في صدر السورة : «وأحسب أن منشأ هاته الأقوال أن ظاهر الأحكام التي اشتملت عليها تلك الأقوال يقتضي أن تلك الآي لا تناسب حالة المسلمين فيما قبل الهجرة ، فغلب على ظن أصحاب تلك الأقوال أن تلك الآي مدنية ويظهر أنها نزلت في زمن كثرت فيه جماعة المسلمين بمكة ، وأخذ التشريع المتعلق بمعاملات جماعتهم يتطرق إلى نفوسهم ، فقد ذكرت فيها أحكام متتالية لم تذكر أمثال عددها في سورة مكية غيرها عدا سورة الأنعام ، وذلك من قوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِنِّيَّ ﴾ إلى قوله : ﴿ كُلُّ ذَاكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ ^(١) » (٢).

والحق أن دعوى خلو السور المكية من التشريعات دعوى منقوضة علماً بأنها من الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام حول القرآن المكي والمدني ، وغرضهم من هذه الشبهة هو الوصول إلى نتيجة هي أن القرآن من صنع محمد ﷺ ، وأنه تأثر بالوضع الذي كان يعيش فيه (٣).
إن القرآن المكي قد تحدث عن التشريعات ولكن بطريقة إجمالية ، وهذا أمر لا بد منه في تربية الأفراد والجماعات إلى طريق الحق ، إذ فيه سياسة التدرج في التشريعات ، وتربية الأهم على المهم .

(١) سورة الإسراء ، الآيات (٢٣-٣٨) .

(٢) التحرير والتنوير (٦/١٥) .

(٣) انظر هذه الشبهة والرد عليها في : مناهل العرفان (٢١٨/١) ، المدخل لأبي شعبة

(ص : ٢٤٣) .

ولا أدل على حديث السور المكية عن قضايا التشريع من آيات الوصايا العشر التي قد مرت معنا في سورة الأنعام (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مشيراً إلى بعض الآيات المكية التي تضمنت قضايا تشريعية : « فهذه الأمور - أي ما تضمنته آيات الوصايا العشر - هي من الدين الذي اتفقت عليه الشرائع ، كعمامة ما في السور المكية ، فإن السور المكية تضمنت الأصول التي اتفقت عليها رسل الله ، إذ كان الخطاب فيها يتضمن الدعوة لمن لا يقر بأصل الرسالة » (٢).

وقال الشيخ محمود شلتوت : « ومن المعلوم أن المكي - وهو ما نزل قبل الهجرة - يتضمن أصول الدعوة ، وهي قضايا التوحيد ، والوحي ، والبعث ، كما يتضمن الإشارة إلى أمهات الأخلاق الفاضلة ... » (٣).

وتقول الدكتورة عائشة بنت الشاطي : « إن عناية القرآن المكي اتجهت في العهد المكي إلى تقرير أصول الدعوة ، وفي العهد المدني إلى التشريع ، وبيان الأحكام ، ولا يعني هذا أن تخلو السور المكية من أحكام وتشريع ، ولا أن تخلو السور المدنية من أصول عامة للعقيدة » (٤).

وخلاصة القول : أن الآيتين مكيّتان ، وحديثهما عن بعض التشريعات ليس مدعاة للحكم على الآيتين بأنهما مدنيّتان ، إذ ذلك التشريع من أمهات الفضائل التي كان القرآن المكي يدعو إليها .

(١) انظر : (ص : ٦٣٩) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/١٦٠) .

(٣) تفسير القرآن الكريم - الأجزاء العشرة الأولى - للشيخ شلتوت (ص : ٥١٤) .

(٤) التفسير البياني للدكتورة عائشة بنت الشاطي (١/٧٩) .

المطلب الرابع :

في قوله تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (١).

ذهب إلى القول بمدنية هذه الآية الحسن البصري (٢)، ولم أتمكن - بعد البحث - من الوقوف على مستند هذا القول حتى يعرض للمناقشة ، ومهما يكن الأمر فإن القول يعارضه ما عليه جمهور أهل العلم من أن آيات سورة الإسراء كلها مكية .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - مشيراً إلى عدم صحة استثناءات آيات هذه السورة : « قيل في جميع ذلك إنه مدني ، ولا يثبت شيء من ذلك ، والجمهور على أن الجميع مكيات ، وشذ من قال خلاف ذلك » (٣).

وقال الألوسي - رحمه الله - : « وهي - أي سورة الإسراء - كما أخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير رضي الله تعالى عنهم مكية ، وكونها كذلك بتمامها قول الجمهور » (٤).

(١) سورة الإسراء ، الآية (٥٧) .

(٢) انظر : روح المعاني (٢/١٥) .

(٣) الفتح (٢٨٩/٨) .

(٤) روح المعاني (٢/١٥) .

المطلب الخامس :

في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (١).

عدّ مقاتل بن سليمان - رحمه الله - هذه الآية ضمن الآيات المدنية من هذه السورة (٢) ، كما أورده السيوطي - رحمه الله - كذلك ضمن الآيات المستثناة من السورة ولم يعز إلى أحد القول بذلك (٣).

مستند مقاتل في قوله بمدنية الآية :

يستند مقاتل بن سليمان - رحمه الله - في القول بمدنية هذه الآية إلى التفسير الذي روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من أنه فسّر الرؤيا هنا رؤيا رسول الله ﷺ أنه يدخل مكة في سنة الحديبية ، فردّه المشركون ، فافتتن المسلمون بذلك ، فنزلت الآية (٤) ، ولتتضح الصورة لنورد نص الرواية كما أخرجها الطبري في تفسيره بالإسناد المسلسل بالضعفاء العوفيين فقال : قوله : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ قال : « يقال إن رسول الله ﷺ أُرِيَ أنه دخل مكة هو وأصحابه ،

(١) سورة الإسراء ، الآية (٦٠) .

(٢) انظر : تفسير مقاتل (٥١٢/٢) .

(٣) انظر : الإتيقان (٤٦/١) .

(٤) ينظر : تفسير القرطبي (٢٨٢/١٠) .

وهو يومئذ بالمدينة ، فعجل رسول الله ﷺ السير إلى مكة قبل الأجل ،
فرده المشركون ، فقالت (١) أناس : قد ردَّ رسول الله ﷺ وقد كان
حدثنا أنه سيدخلها ، فكانت رجعتهم فتنهم » (٢).

مناقشة هذا المسند :

لا أظن أن تفسير ابن عباس السابق يحتاج منا إلى مزيد من المناقشة
وقد عرفنا أنه قد روي بإسناد مسلسل بالضعفاء ، ولكن زيادة في
التوضيح أقول : إن التفسير الصحيح عن ابن عباس لمعنى هذه الرؤيا
أخرجه الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه فقد قال بسنده عنه -
رضي الله عنهما - ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا﴾ الآية قال : « هي عين أريها
رسول الله ﷺ ليلة أسري به : ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ قال : شجرة
الزقوم » (٣).

ومما يثير العجب في أن أبا شامة المقدسي (٤) استحسّن التفسير

(١) هكذا في الطبري بالتأنيث ، ولعل الصواب هو التذكير لأن الفاعل مذكر عاقل .

قال ابن مالك في ألفيته (ص : ٣٢) :

وتاء تأنيث تلي الماضي إذا كان لأنثى كأبت هند الأذى

(٢) تفسير الطبري (١١٢/١٥) .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (٢٥٠/٨) برقم (٤٧١٦) كتاب التفسير ، باب ﴿وَمَا جَعَلْنَا
الرُّؤْيَا﴾ التي أَرَيْنَاكَ الْإِفْتِنَةَ لِلنَّاسِ والحديث أخرجه البخاري أيضاً في مناقب الأنصار
برقم (٣٨٨٨) وفي كتاب القدر أيضاً برقم (٦٦١٣) .

(٤) هو شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي ، له من المؤلفات
إبراز المعاني من حرز الأماني - شرح الشاطبية - والمرشد الوجيز إلى علوم تتعلق
بالكتاب العزيز ، توفي - رحمه الله - سنة (٦٦٥هـ) .

ترجمته : طبقات الشافعية للسبكي (١٦٥-١٦٨) ، فوات الوفيات
(٢٦٩/٢-٢٧١) .

الضعيف المروي عن ابن عباس ، بل علق صحة القول بمدنية هذه الآية بصحة ذلك التفسير ، فيقول ما نصه : «وهذا التفسير حسن إلا أنه متوقف على ثبوت كون هذه الآية مدنية ؛ فإن السورة مكية إلا ما استثنى منها ، وهو ثمان آيات ، من قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ﴾ إلى قوله : ﴿سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ لكن إن صح النقل في تفسير هذه الآية عن ابن عباس فهذه الآية أيضاً مدنية » (١).

والواقع كما سبق آنفاً أن هذا التفسير روي بإسناد مسلسل بالضعفاء فلا يمكن الاعتماد عليه ، ويبدو - والله أعلم - أن الذين رووا هذا التفسير عن ابن عباس قد اشتبه عليهم بين الرؤيا المذكورة في هذه الآية وبين الرؤيا المذكورة في آية الفتح إذ الرؤيا التي رآها النبي ﷺ أنه سيدخل مكة هو وأصحابه كانت في العام السادس من الهجرة ، وقد نزل في العام الذي يليه - أي عام عمرة القضاء - قوله : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّعْيَا بِالْحَقِّ لَدْخُلُكَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ...﴾ الآية (٢).

أقوال أخرى ضعيفة أيضاً وردت في تفسير المراد بالرؤيا هنا :

ومن الأقوال الضعيفة في معنى هذه الرؤيا ما أخرجه ابن أبي حاتم عن يعلى بن مرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : «أريت بني أمية على منابر الأرض ، وسيتملكونكم ، فتجدونهم أرباب سوء» ، واهتم رسول الله ﷺ لذلك فأنزل الله ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّعْيَا الَّتِي أَرَبْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ (٣).

(١) نور المسرى في تفسير آية الإسراء لأبي شامة المقدسي (ص : ١١٢) .

(٢) سورة الفتح ، الآية (٢٧) ينظر تحديد وقت نزول الآية في : تفسير ابن كثير (٢١٥/٤) .

(٣) الدر (٣٠٩/٥) .

وينحو هذا أخرجه ابن مردويه في تفسيره عن الحسين بن علي - رضي الله عنهما - (١) ، وروي عن سعيد بن المسيب نحو ذلك أيضاً (٢) . قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بعد أن أورد رواية عطية العوفي عن ابن عباس السابقة ، وكذلك الروايات الواردة في شأن بني أمية قال : « وأسانيد الكل ضعيفة » (٣) .

وقال السيوطي - رحمه الله - : « وأسانيدها ضعيفة » (٤) . ومن الأقوال أيضاً ما حكاه الرازي في تفسيره عن بعض أهل العلم أنهم أولوا الرؤيا هنا رؤيا رسول الله ﷺ مصارع كفار قريش يوم بدر (٥) .

الأدلة العقلية على أن المراد بالرؤيا هنا هي رؤيا ليلة الإسراء :

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فيه دليل واضح على أن الرؤيا هي رؤيا ليلة الإسراء ؛ إذ رؤيا المنام لا يفتن بها أحد ، قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « ومن الأدلة الواضحة على ذلك - أي كون الرؤيا رؤيا ليلة الإسراء - أنها لو كانت رؤيا منام لما كانت فتنة ، ولا سبباً لتكذيب قريش ؛ لأن المنام ليست محل إنكار ؛ لأن المنام قد يرى فيه ما لا يصح ، فالذي جعله الله فتنة هو ما رآه بعينه

(١) المصدر السابق (٣١٠/٥) .

(٢) عز السيوطي قول سعيد إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر .

انظر : الدر (٣١٠/٥) ، وانظر رواية البيهقي في الدلائل (٥٠٩/٦) .

(٣) الفتح (٢٥٠/٨) .

(٤) لباب النقول (ص : ١٣٨) .

(٥) انظر : تفسير الرازي (٢٣٧/٢٠) ، وانظر أيضاً : التحرير والتنوير (١٤٦/١٥) .

من الغرائب والعجائب» (١).

الدليل الثاني : أن لفظ « الرؤيا » في الآية بمعنى الرؤية - أي رؤية العين - فإنه قد يقال لرؤية العين رؤيا ، فقد نقل صاحب اللسان (٢) - رحمه الله - قول العربي الراعي :

فكبر للرؤيا وهشَّ فؤاده وبشَّر نفساً كان قبل يلومها (٣)
وعلَّق على هذا البيت بقوله : « وعليه فسَّر قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا
الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَىٰ نَكَاحًا إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ » (٤).

(١) أضواء البيان (٣/٣٩١-٣٩٢).

وليعلم أنني لم أتحدث في صدد الحديث عن هذه الآية ما يتعلق برؤية النبي ﷺ ربه هل كانت يقظة أم مناماً ؟ وهل كان الإسراء بروحه أم بروحه وجسده ؟ إذ ليس هذا مجال بحثنا ، ومن أراد الاطلاع على ذلك فليرجع إلى : نور المسرى في تفسير آية الإسراء لأبي شامة المقدسي (ص : ١٠٤-١٢٧) ، وزاد المعاد (٢/٣٤-٤٢) ، وتفسير ابن كثير (٣/٢٤-٢٦) ، والسيرة النبوية له (٢/١٠٤-١٠٧) ، والفتح (٧/٢٥٩) و (٨/٤٧٣-٤٧٥) ، وأضواء البيان (٣/٣٩١-٣٩٦).

كما أن هناك دراسات حديثة جادة تحدثت عن هذا الموضوع كدراسة الدكتور محمد محمد أبي شهبة « الإسراء والمعراج » ، ودراسة الدكتور رفعت فوزي « أحاديث الإسراء والمعراج دراسة توثيقية » .

(٢) هو أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، توفي - رحمه الله - سنة (٧١١هـ) .

ترجمته : الدرر الكامنة (٥/٣١-٣٣) ، بغية الوعاة (١/٢٤٨) .

هذا وللدكتور رضوان علي دراسة بعنوان : استخراج تفسير القرآن من لسان العرب ، استخلصها من خلال تفاسير أهل اللغة لآيات الذكر الحكيم .

انظر : أخبار التراث العربي ، العدد (٢١) (ص : ١٩) ، السنة (١٤٠٦هـ) .

(٣) لسان العرب (١٤/٢٩٧) .

(٤) المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

ومنه قول أبي الطيب المتنبي (١) :

مضى الليل الذي لك لا يمضي ورؤياك أحلى في العيون من الغمض (٢)
وقد يقول قائل : إن لفظ « الرؤيا » لا يطلق إلا على رؤيا المنام ،
فكيف يصح إذاً تفسيرها بهذه الآية ؟

والجواب على السؤال ذكره بعض أهل العلم ، قال الحافظ ابن
حجر - رحمه الله - في معرض شرحه لحديث ابن عباس السابق : «
واستدل به على إطلاق لفظ الرؤيا على ما يرى بالعين في اليقظة » (٣).
وقال أيضاً بعد إيراد بيت المتنبي الذي ذكرناه آنفاً : « وهذا
التفسير - أي تفسير ابن عباس - يرد على من خطأه » (٤).

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : « وما زعمه
بعض أهل العلم من أن الرؤيا لا تطلق بهذا اللفظ إلا على رؤيا المنام
مردود ، بل التحقيق أن لفظ الرؤيا يطلق في لغة العرب على رؤية العين
يقظة أيضاً » (٥).

ويقول الدكتور محمد أبو شهبه - رحمه الله - رداً على هذه

(١) هو أحمد بن حسين بن حسن الجعفي الكوفي ، كان شاعراً بلغ الذروة في الشعر ، قتل
سنة (٣٥٤هـ) .

ترجمته : تاريخ بغداد (٤/١٠٢-١٠٥) برقم (١٧٥٨) ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء
لابن الأنباري (ص: ٢١٩-٢٢٣) .

(٢) ديوان المتنبي (٢/٢١٩) ، والشرط الثاني من البيت أورده صاحب اللسان . انظر :
(١٤/٢٩٧) .

(٣) الفتح (٨/٢٥٠) .

(٤) المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٥) أضواء البيان (٣/٣٩٢) .

الشبهة : « وليس أدل على ردّ استدلالهم بهذه الآية من قول ابن عباس في تفسيرها : هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به ... و مراد ابن عباس برؤيا العين جميع ما عاينه ﷺ ليلة أسري به من العجائب السماوية والأرضية » (١).

الدليل الثاني : أن مجيء الوصف في قوله تعالى : ﴿التّي أَرَيْكَ﴾ دليل على أن الرؤيا هنا هي رؤيا عين ، قال ابن عاشور - رحمه الله - : « ويؤيد القول بأن المراد رؤيا عين قوله تعالى : ﴿التّي أَرَيْكَ﴾ فإنه وصف للرؤيا ليعلم أنها رؤية عين » (٢).

نماذج من أقوال بعض المفسرين تدلنا على أن المراد بالرؤيا هنا هي رؤيا ليلة الإسراء وأن القول بغير ذلك قول ضعيف :

١ قول الطبري : قال الطبري - رحمه الله - بعد أن استعرض الأقوال التي فسرت بهذه الرؤيا : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : عنى به رؤيا رسول الله ﷺ ما رأى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس ، وبيت المقدس ليلة أسري به ، وقد ذكرنا بعض ذلك في أول هذه السورة ، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية إنما نزلت في ذلك ، وإياه عنى الله عز وجل بها » (٣).

٢ - قول الرازي : قال الرازي - رحمه الله - مرجحاً أن المراد بالرؤيا هنا هي رؤيا ليلة الإسراء : « وهو الأصح وهو قول أكثر

(١) الإسراء والمعراج لأبي شهبة (ص : ٢٩) .

(٢) التحرير والتنوير (١٥/١٤٦) .

(٣) تفسير الطبري (١٥/١١٣) .

المفسرين أن المراد بها ما أراه الله تعالى ليلة الإسراء» (١).

٣ - قول القرطبي : قال القرطبي - رحمه الله - معقباً على التفسير

المروى عن ابن عباس من أن هذه الرؤيا هي رؤيا رسول الله ﷺ أنه يدخل مكة عام الحديبية قال : «وفي هذا التأويل ضعف ، لأن السورة مكية ، وتلك الرؤيا كانت بالمدينة» (٢).

٤ - قول ابن كثير : قال ابن كثير - رحمه الله - بعد أن أورد في

تفسيره حديث البخاري عن ابن عباس الذي سبق ذكره (٣) : «وهكذا فسر ذلك - أي الرؤيا - بليلة الإسراء مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، ومسروق ، وإبراهيم ، وقتادة ، وعبد الرحمن بن زيد ، وغير واحد» (٤).

٥ - قول صديق حسن خان : قال - رحمه الله - بعد أن ذكر

الأقوال التي قيلت في نزول هذه الآية : «وقد تعارضت هذه الأسباب ولم يمكن الجمع بينها فالواجب المصير إلى الترجيح ، والراجح كثرة صحة كون سبب نزول هذه الآية قصة الإسراء فتعين ذلك» (٥).

٦ - قول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : يقول - رحمه الله - بعد

أن ذكر قول الجمهور في تفسير هذه الرؤيا : «وزعم بعض أهل العلم : أن المراد بالرؤيا في قوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْتَكَ...﴾ الآية رؤيا منام ، وأنها هي المذكورة في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا

(١) تفسير الرازي (٢٣٨/٢٠).

(٢) تفسير القرطبي (٢٨٢/١٠).

(٣) انظر : (ص : ٦٥٩).

(٤) تفسير ابن كثير (٥٢/٣).

(٥) فتح البيان (٣٧٥/٥).

بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ... ﴿الآية﴾ ، والحق الأول « (١) .

هذا وقد ذكر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - أن بعض أهل العلم استنبط من قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ مكية هذه الآية ، بدليل أن هناك آيات مكية ومدنية فسرت معنى هذه الإحاطة ، فيقول : « قال بعض أهل العلم : ومن الآيات التي فصلت بعض التفصيل في هذه الإحاطة قوله تعالى : ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّوْنَ الدُّبْرَ﴾ (٢) وقوله : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سُبُحَانَ﴾ الآية (٣) ، وقوله : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (٤) وفي هذا أن هذه الآية مكية ، وبعض الآيات المذكورة مدني ، أما آية القمر وهي قوله : ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ﴾ الآية فلا إشكال في البيان بها لأنها مكية « (٥) .

ولعل سائلاً يسأل بعد كل ما ذكرنا من أدلة نقلية وعقلية وأقوال لبعض نقاد المفسرين في تفسير المراد بالرؤيا هنا فيقول : ألا يمكن تفسير هذه الرؤيا بالروايات الضعيفة السابقة باعتبار أن الرؤيا كانت في مكة ، وتلك الوقائع كانت بالمدينة بعد ذلك ؟

قلت : حكي بعض محققي المفسرين الإجماع على أن المراد بالرؤيا هنا هي رؤيا ليلة الإسراء ، هذا من جهة (٦) ، ومن جهة ثانية أن رواية ابن عباس في البخاري نص في ذلك كما سبق ، وهي مقدمة على غيرها

(١) أضواء البيان (٣/٣٩٢) .

(٢) سورة القمر ، الآية (٤٥) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (١٢) .

(٤) جزء من الآية (٦٧) سورة المائدة .

(٥) أضواء البيان (٣/٦٠٢-٦٠٣) .

(٦) حكاية الطبري في تفسيره . انظر (ص : ٧٦٣) من هذا البحث .

بلا شك ، ومعلوم أن من القواعد التي يقوم عليها منهج أهل السنة والجماعة عدم العدول عن النص الصحيح ، وعدم معارضته بالمعقول في نفس الوقت (١).

وخلاصة القول : أن دعوى مدنية هذه الآية دعوى من الضعف بمكان ، فالمعتمد في تفسير الرؤيا هو رواية ابن عباس في البخاري ، والله أعلم .

(١) انظر هذه القاعدة في : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص : ٣٥٤) ، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١ / ٢٠٨ - ٢٠٩) .

المطلب السادس :

في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾ ﴿١﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ ﴿٢﴾ إِذَا الْأَذْقَانِكَ ضَعْفَ الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ ﴿٣﴾ .

هذه الآيات من الآيات التي قيل إنهن مدنيات ومستثناة من هذه السورة المكية .

وقد ذهب إلى مدنيتهن بعض المفسرين مع اختلافهم في القدر المدني من هذه الآيات ، فمنهم من يقول : إن الآيات الثلاث كلهن مدنيات ، وهذا القول هو قول مقاتل بن سليمان (٢) ، والغزنوي (٣) ، وأبي شامة المقدسي (٤) ، ونظام الدين النيسابوري (٥) ، وقد نسب إلى ابن عباس وقتادة (٦) .

كما يرى آخرون أن المدني من هذه الآيات آية واحدة ، وإليه ذهب أبو القاسم النيسابوري حيث قال : « سورة بني إسرائيل مكية غير قوله

(١) سورة الإسراء ، الآيات (٧٣-٧٥) .

(٢) ينظر : تفسير مقاتل (٥١٢/٢) .

(٣) ينظر : مصاعد النظر (٢٢٨/٢) .

(٤) ينظر : نور المسرى في تفسير آية الإسراء (ص : ١١٢) .

(٥) ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/١٥) .

(٦) ينظر : بيان ابن عبد الكافي (٣٢ق/أ-ب) ، النكت والعيون (٢٢٣/٣) ، زاد المسير

(٣/٥) ، روح المعاني (٢/١٥) .

تعالى : ﴿وَإِنْ كَاذِبُوا لَيَفْتِنُنَاكَ عَنِ الذِّى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يعني ثقيفاً (١) ، وله قصة « (٢) .

وقد ذكره الزركشي نقلاً عن أبي القاسم النيسابوري (٣) .

مستند القول بمدينة هذه الآيات :

قال السيوطي - رحمه الله - : « ومن جعلها مدينة استدل بما أخرج ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس أن شعباً قال للنبي ﷺ : أجلنا سنة حتى يُهدى إلى آلهتنا ، فإن قبضنا الذي يهدى للآلهة أحرزناه (٤) ، ثم أسلمنا فهم أن يؤجلهم » (٥) .

وجه الدلالة : إن وجه دلالة هذه الرواية على مدينة هذه الآيات هو أن الشعب المذكور في الرواية هم وفد من قبيلة ثقيف كما جاء في رواية الطبري من طريق عطية العوفي - نفسه - عن ابن عباس (٦) .
وقد ذكر الحافظ ابن كثير - رحمه الله - أن قدوم ذلك الوفد على

-
- (١) هي قبيلة منازلها في جبل الحجاز ، بين مكة والطائف .
انظر : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لكحالة (١٤٧/١) ، معجم قبائل الحجاز لعاتق البلادي (ص : ٦٦-٦٧) .
- (٢) التنزيل وترتيبه (٢٢٦ق/ب) .
- (٣) انظر : البرهان (٢٠١/١) هذا ، وقد نسب الدكتور عادل أبو العلا نص أبي القاسم النيسابوري السابق إلى الزركشي ، ولعله لم يدر أن باب المكّي والمدني في البرهان منقول برمته من كتاب « التنزيل وترتيبه » لأبي القاسم النيسابوري .
انظر : خصائص السور والآيات المدنية ضوابطها ومقاصدها (ص : ١٤٧) .
- (٤) بفتح الراء وإسكان الزاي ، يقال : أحرز الشيء إذا حفظه وصانه عن الأخذ .
انظر : النهاية في غريب الحديث (٣٦٦/١) ، لسان العرب (٣٣٣/٥) .
- (٥) لباب النقول في أسباب النزول (ص : ١٣٩) ، وقال السيوطي تعليقاً على هذه الرواية : « وإسناده ضعيف » .
- (٦) انظر : تفسير الطبري (١٢٩/١٥-١٣٠) .

رسول الله ﷺ كان في رمضان سنة تسع من الهجرة ، وكان ذلك الشهر قد رجع من تبوك وقدم المدينة^(١).

مناقشة هذا المسند :

ومع أن دعوى مدنية هذه الآيات استندت على رواية ضعيفة لا تستوجب منا مزيداً من التعليق إذ هي سلسلة بالضعفاء العوفيين ، فإن هناك أموراً أخرى ينبغي أن نضعها بعين الاعتبار :

ومن ذلك ما ذكره البعض في سبب نزول هذه الآيات مستدلاً بذلك على مكية هذه الآيات ، فقد ذكر السيوطي - رحمه الله - في « لباب النقول » ما أخرجه ابن مردويه وابن أبي حاتم من طريق إسحاق^(٢) عن محمد عن عكرمة عن ابن عباس قال : « خرج أمية بن خلف وأبو جهل بن هشام ورجال من قريش ، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد تعال تمسح بآلهتنا وندخل معك في دينك ، وكان يجب إسلام قومه ، فرق لهم ، فأنزل الله : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ نَصِيرًا ﴾ »^(٣).

وقد جَوَّد السيوطي - رحمه الله - إسناد هذه الرواية ، وقال : « هذا أصح ما ورد في سبب نزولها »^(٤).

(١) انظر : البداية والنهاية (٢٦/٥) .

(٢) هكذا في لباب النقول ، والصواب محمد بن إسحاق كما في الدر (٣١٨/٥) .

(٣) لباب النقول (ص : ١٣٨) هذه الرواية إحدى الروايات في سبب نزول هذه الآيات كما قيل .

وانظر بقية الروايات في لباب النقول (ص : ١٣٨-١٣٩) ، وسيأتي أن المعتمد عند أهل العلم أن كل هذه الأسباب ضعيفة بل باطلة كما قال بعضهم .

(٤) لباب النقول (ص : ١٣٨) .

قلت : لقد تبين من خلال بحثي في رواية ابن إسحاق في السيرة أنه لم يذكر نزول هذه الآيات أصلاً ، فقد وجدته ذكر هذه القصة وأن الذي نزل فيه قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ... ﴾ إلى آخر السورة (١) ، ففعل السيوطي - رحمه الله - وقف على رواية أخرى غير رواياته في السيرة .

لنعد إذاً إلى ما ذكرنا آنفاً من أن ثمة أموراً ينبغي أن توضع بعين الاعتبار ، وهي :

أولاً : لا يغيب عن بالنا أن علماءنا - رحمهم الله تعالى - لم يقتصروا عند الحكم على الروايات على إسناد الرواية فحسب ، بل تجاوز الأمر إلى البحث في المسائل المتعلقة بالمتن ، ولا أدل على ذلك في تعريفهم للحديث الصحيح حيث قالوا : « هو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ، ولا يكون شاذاً ولا معللاً » (٢).

فالشذوذ والعللة قد يقعان في المتن كما يقعان في الإسناد أيضاً . ولو أردنا أن نستعرض نقد أهل العلم لبعض متون الروايات لطال بنا المقام ، ولكن لنضرب مثالين قد مرّ معنا في هذا البحث :

المثال الأول : قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - منتقداً نزول قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ... ﴾ الآية (٣) في قصة

(١) ينظر : سيرة ابن هشام (٣٧٤/١) .

(٢) علوم الحديث المشهور بمقدمة ابن الصلاح (ص : ٨) .

(٣) سورة الأنعام ، الآية (٥٢) .

الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن قال بعد أن أوردها من ابن أبي حاتم :
« وهذا حديث غريب ، فإن هذه الآية مكية ، والأقرع بن حابس وعيينة
إنما أسلما بعد الهجرة بدھر » (١).

المثال الثاني : أورد ابن كثير أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَأَتَتْ
ذَا الْقُرْنَىٰ حَقُّهُ...﴾ الآية (٢) رواية البزار عن أبي سعيد الخدري حيث
قال : « لما نزلت : ﴿وَأَتَتْ ذَا الْقُرْنَىٰ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاهما
فدك » (٣).

ثم قال ابن كثير تعليقاً على هذه الرواية : « وهذا الحديث مشكل لو
صح إسناده ؛ لأن الآية مكية ، وفدك إنما فتحت مع خير سنة سبع من
الهجرة فكيف يلتئم هذا مع هذا ؟ فهو حديث منكر ، الأشبه أنه من
وضع الرافضة والله أعلم » (٤).

ورحم الله الإمام الثوري فعبارته نفيسة في هذا المقام حيث يقول :
« لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ » (٥).

(١) تفسير ابن كثير (١٣٩/٢) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية (٢٦) .

(٣) انظر تخريج الرواية (ص : ٧٤٥) .

(٤) تفسير ابن كثير (٣٩/٣) .

(٥) الكفاية للخطيب البغدادي (ص : ١٩٣) ، ولعل الإمام ابن القيم - رحمه الله - أجود
من كتب في موضوع نقد متون السنة من خلال كتابه النفيس : « المنار المنيف في
الصحيح والضعيف » ، كما أن هناك دراسات حديثة تناولت هذا الموضوع أيضاً
منها :

١ - منهج النقد في علوم الحديث للدكتور نور الدين عتر .

٢ - مقاييس نقد متون السنة للدكتور مسفر الدميني .

٣ - منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي لصلاح الدين الأدلي .

ولكن ما زال موضوع النقد بصفة عامة يحتاج إلى مزيد من الجهد والعناية في كل
الدراسات الإسلامية ليس في علوم السنة فحسب .

ثانياً : وعلى ضوء ما قررنا في الفقرة السابقة من اهتمام علمائنا بموضوع المتن نجد أن المحققين قد تكلموا على الأسباب التي قيلت في هذه الآيات ، وذلك لمساسها بعصمة الرسول ﷺ ، إذ كيف يتصور من النبي ﷺ أن تُحدّث نفسه باستلام آلهة هؤلاء القوم ؟

ألا يمس هذا جوهر رسالته عليه الصلاة والسلام - أعني التوحيد - حاشا لرسول الله ﷺ أن يكون كذلك وهو القدوة للمسلمين .

فها هو الطبري - رحمه الله - يقول بعد أن استعرض ما قيل في الفتنة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ ﴾ : « فلا شيء فيه أصوب من الإيمان بظاهره حتى يأتي خبر يجب التسليم له ببيان ما عني بذلك منه » (١).

وقال القفال الشاشي (٢) - رحمه الله - كما نقله الرازي في تفسيره : « قد ذكرنا في سبب نزول هذه الآية الوجوه المذكورة ، ويمكن أيضاً تأويلها من غير تقييد بسبب يضاف نزولها فيه ؛ لأن من المعلوم أن المشركين كانوا يسعون في إبطال أمر رسول الله ﷺ بأقصى ما يقدرون عليه ، فتارة كانوا يقولون : إن عبدت آلهتنا عبدنا إلهك فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ (٣)، وعرضوا عليه الأموال الكثيرة والنسوان الجميلة ليترك

(١) تفسير الطبري (١٥/١٣٠) .

(٢) هو الإمام العلامة أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي الشافعي القفال الكبير ،

توفي - رحمه الله - سنة (٣٦٥هـ) .

ترجمته : السير (١٦/٢٨٣-٢٨٥) ، طبقات الشافعية للسبكي (٣/٢٠٠-٢٢٢) ،

طبقات المفسرين للدواودي (٢/١٩٨-٢٠٠) .

(٣) سورة القلم ، الآية (٩) .

ادعاء النبوة ، فأنزل الله : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ (١) ، ودعوه إلى طرد المؤمنين عن نفسه ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ (٢) فيجوز أن تكون هذه الآيات نزلت في هذا الباب ، وذلك أنهم قصدوه أن يفتنوه عن دينه ، وأن يزيلوه عن منهجه ، فبين تعالى أنه يشبهه على الدين القويم والمنهج المستقيم ، وعلى هذا الطريق فلا حاجة في تفسير هذه الآيات إلى شيء من تلك الروايات « (٣) .

وقال ابن الجوزي - رحمه الله - تعقياً على الرواية القائلة : إن النبي ﷺ هم أن يلم بأهله الكفار ، وكذلك رواية قصة وفد ثقيف والتي كانت من طريق عطية قال : « وهذا باطل لا يجوز أن يظن برسول الله ﷺ ، ولا ما ذكرنا عن عطية من أنه هم أن ينتظرهم سنة ، وكل ذلك محال في حقه وفي حق الصحابة أنهم رَوَوْا عنه » (٤) .

هذا وقد فسر الحافظ ابن كثير - رحمه الله - هذه الآيات ولم يعرج على شيء من تلك الروايات ، الأمر الذي يدلنا على أنه لا يصح عنده شيء من ذلك (٥) .

وللعلامة الآلوسي - رحمه الله - كلام نفيس في الكلام على هذه الروايات حيث قال بعد أن ذكر بعض تلك الروايات : « وفي ذلك روايات أخرى مختلفة أيضاً ، وفي بعضها ما لا يصح نسبته إلى الرسول ﷺ ، ولا يكاد يؤول ، وذلك يدل على الوضع ، والتفسير لا يتوقف على شيء

(١) سورة طه، الآية (١٣١) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (٥٢) .

(٣) تفسير الرازي (٢١/٢٣-٢٤) .

(٤) زاد المسير (٦٧/٥ - ٦٨) .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير (٣/٥٦) .

من ذلك « (١) .

وقال الثعالبي في تفسيره بعد أن ذكر بعض الروايات التي ذكرنا :
« واللّه أعلم بصحة هذه التأويلات ، وقد تقدم ما يجب اعتقاده في حق
النبي ﷺ فالتزمه تفلح » (٢) .

ويدي ابن عاشور - رحمه الله - بدلوه كذلك في نقد روايات
أسباب نزول هذه الآيات فيقول بعد أن ذكر بعض الأوجه التفسيرية
لقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتُنُونَكَ ... ﴾ الآية : « وللمفسرين بضعة محامل
أخرى لهذه الآية ، استقصاها القرطبي ، فمنها ما ليس له حظ من القبول
لو هن سنده وعدم انطباقه على معاني الآية ، ومنها ما هو ضعيف السند
وتتحمله الآية بتكلف » (٣) .

وبعد هذا العرض السريع لبعض أقوال أهل العلم نستطيع أن نقول :
إن بعض روايات أسباب نزول هذه الآيات وإن كانت صريحة في أن هذه
الآيات مكيات ، إلا أنها لا تتفق مع مقام النبوة ، وكلها تخل
بعصمته ﷺ ، ولذلك أعرض عنها من حاول جمع أسباب النزول المعتمدة
كالشيخ مقبل الوادعي ، وعصام الحميدان في رسالته : « أسباب النزول
وأثرها في التفسير » ، فقد ذكر ضمن القسم الضعيف رواية قصة وفد
ثقيف فقط (٤) ، وقد استدل بها كما سبق من قال بمدنية هذه الآيات .

(١) روح المعاني (١٥/١٢٨) .

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢/٤٨٨) .

(٣) التحرير والتنوير (١٥/١٧٢) .

(٤) انظر : أسباب النزول وأثرها في التفسير (ص : ٥٧٤) .

وخلاصة القول : والذي يبدو - والله أعلم - أن قول القفال الشاشي قول وجه فيه التفريق بين كون سياق الآيات يعنى بها قریشاً - ويؤيده ما سيأتي من الروايات الثابتة في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَاذِبًا لَّيَسْتَفْرِئُونَكَ...﴾ الآية - (١) وبين أن تجعل الروايات السابقة أسباباً تضاف إلى الآيات .

وعليه فإن هذه الآيات مكيات ، وليست مكيتهن مستفادة من تلك الروايات الضعيفة التي لو أمعن الباحث الدقيق يجدها لا تتفق مع ما عرف عن النبي ﷺ من ثباته على دعوته ، واستمساكه برسالته السامية ، فمكية تلك الآيات مستفادة من أن الأصل أن تكون آيات هذه السورة مكيات ، كما أن سياق الآيات يدل أيضاً على طابعها المكي ، ولعل من المستحسن كذلك أن لا يغيب عن بالنا ما ذكرناه سابقاً من حكاية بعض أهل العلم الإجماع على مكية آيات هذه السورة (٢) ، والله أعلم .

(١) سورة الإسراء ، الآية (٧٦) .

(٢) انظر : (ص : ٣٦٠) .

المطلب السابع :

في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُوا مِنْكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ سُنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِلْمُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿ (١) .

روي القول بمدينة هذه الآيات عن ابن عباس (٢) و قتادة (٣) ، كما ذهب إليه بعض المفسرين ، وهاهي أسماؤهم مرتبة ترتيباً زمنياً على حسب وفياتهم :

- ١ - الكلبي (٤) .
- ٢ - مقاتل بن سليمان (٥) .
- ٣ - النقاش كما نقله عنه ابن عطية (٦) .
- ٤ - الغزنوي كما نقله عنه البقاعي (٧) .

(١) سورة الإسراء ، الآيات (٧٦-٧٩) ، هذا وإن قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ... ﴾ الآية وإن كانت داخلة في رواية البيهقي الآتية إلا أنني أفردت لها بحثاً خاصاً ، وذلك لكثرة مباحثها .

- (٢) ينظر : بيان ابن عبد الكافي (٣٢ق/أ-ب) ، وتفسير الرازي (١٤٦/٢٠) .
- (٣) ينظر : بيان ابن عبد الكافي (٣٢ق/أ-ب) ، وروح المعاني (٢/١٥) .
- (٤) انظر : تنوير المقياس (ص : ١٧٦) ، وانظر أيضاً : جمال القراء (١٣/١) .
- (٥) انظر : تفسير مقاتل (٥١٢/٢) .
- (٦) انظر : المحرر الوجيز (٣٣٠/١٠) .
- (٧) انظر : مصابعد النظر (٢٢٨/٢) .

٥ - أبو شامة المقدسي (١).

٦ - نظام الدين النيسابوري (٢).

مستند القول بمدينة هذه الآيات :

يستند هذا القول إلى ما أخرجه البيهقي - رحمه الله - في « دلائل النبوة » من طريق محمد بن يعقوب عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم : « أن اليهود أتوا رسول الله يوماً فقالوا : يا أبا القاسم إن كنت صادقاً أنك نبي فالحق بالشام ؛ فإن الشام أرض المحشر ، وأرض الأنبياء ، فصدق ما قالوا ، فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام ، فلما بلغ تبوك أنزل الله عز وجل آيات من سورة بني إسرائيل بعد ما ختمت السورة : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيْسْتَغْفِرُواكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ إلى قوله : ﴿ تَحْوِيلًا ﴾ فأمره الله عز وجل بالرجوع إلى المدينة ، وقال : فيها محياك ومماتك ومنها تبعث ، ثم قال : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِلْأُولَى السَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾ إلى قوله : ﴿ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ فرجع رسول الله ﷺ ، فأمره جبريل ﷺ فقال : سل ربك عز وجل فإن لكل نبي مسألة ، وكان جبريل له ناصحاً ، وكان رسول الله ﷺ له مطيعاً ، فقال : « ما تأمرني أن أسأل » فقال : قل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق ، واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ، فهؤلاء الآيات نزلن عليه في رجعته من تبوك » (٣).

(١) انظر : نور المسرى في تفسير آية الإسراء (ص : ١١٢) .

(٢) انظر : غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري (٣/١٥) .

(٣) دلائل النبوة (٢٥٤/٥-٢٥٥) ، وفي إسناده أحمد بن عبد الجبار العطاردي ، قال

مناقشة هذا المسند :

ومع أن رواية البيهقي ضعيفة كما بينت ، فإن ثمة أيضاً أدلة تدلنا على نقض دعوى مدنية هذه الآيات ، وتنحصر تلك الأدلة فيما يلي :

أولاً : أدلة نقلية .

ثانياً : أدلة عقلية .

ثالثاً : أقوال نقاد المفسرين .

الأدلة النقلية :

الدليل الأول : ما ثبت عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير - رضي الله عنهم - من أن آيات هذه السورة كلها مكية ، ولم يستثنيا شيئاً ، وقد تقدم هذان الأثران عند حديثنا عن روايات سورة الإسراء (١).

الدليل الثاني : ما أخرجه الطبري - رحمه الله - بسند حسن من طريق يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ... ﴾ : « وقد هم أهل مكة بإخراج النبي ﷺ من مكة ، ولو فعلوا ذلك لما توطّنوا ، ولكن الله كفّهم عن إخراجهم حتى أمره ، ولقلما مع ذلك لبثوا بعد خروج بني الله ﷺ من مكة حتى

→

الحافظ في التقریب (١٩/١) : «ضعيف» .

وقال السيوطي - رحمه الله - بعد أن أورد هذا الأثر : « وهذا مرسل ضعيف الإسناد » . لباب النقول (ص : ١٣٩) .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر (٣٢٠/٥) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦٧-١٦٨) ، وذكره ابن كثير في تفسيره نقلاً عن البيهقي . انظر : تفسير ابن كثير (٥٧/٣) .

(١) انظر : (ص : ٣٦٢-٣٦٣) .

بعث الله عليهم القتل يوم بدر»^(١).

الدليل الثالث : ما صح عن مجاهد - رحمه الله - حيث قال في تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَاذِبُوا لَيَسْتَغْفِرَنَّكَ مِنَ الْأَرْضِ...﴾ الآية : « لو أخرجت قريش محمداً لعذبوا بذلك»^(٢).

والرواية من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد .

الأدلة العقلية :

الدليل الأول : أن القرآن الكريم قد دلّ على أن الذين تسببوا في خروج النبي ﷺ هم قريش ، فقد قال تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾^(٣) ، وقال أيضاً : ﴿الْأَقْتُلُونَ قَوْمَانِ كُفُوا أَيْمَنَهُمْ وَهُمْ أَوْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾^(٤) ، وقال أيضاً : ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾^(٥) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنهم هم المخرجون .

ولا شك أن أولى ما يفسر به القرآن هو القرآن ، فيحمل إذاً المذكورون في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَاذِبُوا لَيَسْتَغْفِرَنَّكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ على قريش كذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب : إن أحسن الطرق في ذلك : أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكان فإنه قد فسّر في موضع آخر ، وما

(١) تفسير الطبري (١٥/١٣٢) .

(٢) المصدر السابق (١٥/١٣٣) .

(٣) سورة الأنفال ، الآية (٣٠) .

(٤) سورة التوبة ، الآية (١٣) .

(٥) سورة محمد ، الآية (١٣) .

اختصر في مكان ، فقد بسط في موضع آخر»^(١).

الدليل الثاني : أن سياق الآيات يقتضي عود الضمير في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَاذِبُوا لَيَسْتَغْفِرَنَّكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ على قریش ، وذلك لقوله تعالى قبل هذه الآية : ﴿وَإِنْ كَاذِبُوا لَيَقْتُنُونَكَ﴾ ، وقد ذكرنا أن الصحيح عند أهل العلم أن هذه الآية قد عني بها قریش^(٢).

وكما هو مقرر في القواعد النحوية أن عود الضمير إلى مذكور أحسن ، كما أنه لا يعود الضمير على غير الأقرب إلا بدليل ، ولتضح لك صحة هذه القاعدة انظر معي قوله تعالى : ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(٣) ، فالضمير في «إنها» عائد على الأقرب وهو الصلاة^(٤).

ثالثاً : أن المعهود في قصص الأنبياء في القرآن الكريم أن أقوامهم هم الذين يفعلون معهم نحو ذلك ، وأمثلة ذلك في القرآن كثيرة ، قال تعالى حاكياً عن قوم شعيب - عليه السلام : ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ

(١) مقدمة في أصول التفسير (ص : ٨٤) .

(٢) انظر : (ص : ٧٧٥) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٤٥) .

(٤) انظر : البحر المحيط لأبي حيان (٢٩٩/١) بتصرف ، وللتوسع في هذه القاعدة انظر : مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب (٤٤/١) ، والصفوة من القواعد الإعرابية (ص : ١٠٠) .

هذا وقد تحدث الإمام السيوطي - رحمه الله - بشيء من الإسهاب في كتابه «معترك الأقران في إعجاز القرآن» على ضرورة الأهمية للمفسر في أن يتعلم قواعد الضمائر ، انظر : المعترك (٤٦٣/٣ - ٤٧٠) .

كما ألف ابن الأنباري - رحمه الله - كتاباً خاصاً في الضمائر الواقعة في القرآن الكريم ، أشار إليه السيوطي في المعترك (٤٦٣/٣) .

مِنْ قَرْيَتَيْنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا... ﴿١﴾ ، وقال في لوط - ﷺ - : ﴿ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهَ بِلُوطٍ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾ (٢) ، وقال في نوح - ﷺ - : ﴿ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهَ يَنُوحُ لَتَكُونَ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ (٣) إلى غير ذلك من الآيات .

الدليل الرابع : أن من المستبعد كل الاستبعاد أن يجهز النبي ﷺ جيشاً كجيش العسرة بهذا العدد الهائل لأجل مقالة يقولها اليهود ويصدقهم فيها ، وقد أخبره الله تعالى بنوايا هؤلاء القوم وتدابيرهم نحو الإسلام ، قال تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا... ﴾ الآية (٤) ، وقال أيضاً : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ... ﴾ الآية (٥) .

ولقائل أن يقول هنا : ما سبب غزوة تبوك إذا ؟
والجواب : لئن كان بعض أهل السيرة حاول إيجاد سبب للغزوة إلا أن فوق هذا كله الامتثال للأمر بالجهاد (٦) ، ولقد أحسن الحافظ ابن كثير - رحمه الله - وأفاد وأجاد حينما ذكر في تفسيره أن النبي ﷺ توجه إلى تبوك بناءً على الأمر الإلهي ، فقال بعد إirاده رواية البيهقي السابقة : « وفي هذا الإسناد نظر ، والأظهر أن هذا ليس بصحيح ، فإن النبي ﷺ لم

(١) جزء من الآية (٨٨) من سورة الأعراف .

(٢) سورة الشعراء ، الآية (١٦٧) .

(٣) سورة الشعراء ، الآية (١١٦) .

(٤) سورة المائدة ، الآية (٨٢) .

(٥) سورة البقرة ، الآية (١٢٠) .

(٦) ذكر ابن سعد في الطبقات أن هرقل جمع جمعاً من الروم وقبائل العرب الموالية لها ، وأن المسلمين علموا بخبرهم فخرجوا إلى تبوك . انظر : طبقات ابن سعد (١٦٥/٢) ، وفي تاريخ اليعقوبي أن النبي ﷺ خرج بحثاً لنار جعفر بن أبي طالب - ﷺ - انظر : تاريخ اليعقوبي (٦٧/٢) .

يغز تبوك عن قول اليهود ، وإنما غزاها امتثالاً لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ...﴾ (١) ، ولقوله تعالى : ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (٢) ، وغزاها ليقصص ويتقمم من قتل أهل مؤتة من أصحابه ، والله أعلم» (٣).

وقال في « البداية والنهاية » : « فعزم رسول الله ﷺ على قتال الروم ؛ لأنهم أقرب الناس إليه ، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله ، وقد قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾» (٤).

نماذج من أقوال نقاد المفسرين في نقض دعوى أن قوله تعالى :

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ﴾ قد عني بها اليهود :

تكلم كثير من المفسرين على عدم صحة من قال : إن الآية قد عني بها اليهود ، وبما أن المقام هنا ليس مقام استقصاء أقوال هؤلاء فأذكر نبذاً من أقوالهم لتعطينا صورة واضحة كيف أن هذه الدعوى خالفت ما ذهب إليه محققو المفسرين .

١ - قول الطبري : قال الطبري - رحمه الله - بعد أن استعرض قولي أهل التفسير في هذه الآية : « وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول قتادة ومجاهد ، وذلك أن قوله : ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ﴾ في سياق خبر الله عز وجل عن قريش وذكره إياهم ، ولم يجر لليهود قبل

(١) سورة التوبة ، الآية (١٢٣) .

(٢) سورة التوبة ، الآية (٢٩) .

(٣) تفسير ابن كثير (٥٧/٣) .

(٤) (٣/٥) .

ذلك ذكر ، فيوجه قوله : ﴿ وَإِنْ كَاذِبًا ﴾ إلى أنه خبر عنهم ، فهو بأن يكون خبراً عمن جرى له ذكر أولى من غيره » (١).

٢ - قول البغوي : قال البغوي - رحمه الله - : « اختلفوا في معنى الآية ، فقال بعضهم : هذه الآية مدنية ، قال الكلبي : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة ... ، وقال مجاهد وقتادة : الأرض أرض مكة ، والآية مكية ، همّ المشركون أن يخرجوه منها ، فكفهم الله عنه حتى أمر بالهجرة فخرج بنفسه ، وهذا أليق بالآية ؛ لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة ، والسورة مكية » (٢).

٣ - قول ابن عطية : قال ابن عطية - رحمه الله - بعد أن ذكر ما حكاه النقاش من أن رسول الله ﷺ خرج بسبب مقالة اليهود ، وأنه عسكر بذي الحليفة (٣) في طريقه إلى الشام : « وهذا ضعيف لم يقع في سيرة ولا في كتاب يعتمد عليه ، وذو الحليفة ليس في طريق الشام من المدينة » (٤).

٤ - قول الرازي : قال الرازي - رحمه الله - بعد أن ذكر القولين : « فالقول الأول - أي نزول الآية في قریش - اختيار الزجاج وهو الوجه ؛

(١) تفسير الطبري (١٣٣/١٥) .

(٢) معالم التنزيل (١١٢/٥-١١٣) .

(٣) ذو الحليفة : أصله اسم لمنزل كان الرسول ﷺ يحب النزول فيها تحت شجرة هي موضع المسجد الحالي ويعرف بمسجد الإحرام ، وأبيار علي ، ومسجد الميقات ، وتبعد عن المدينة نحو ٨ كم .

انظر : معجم البلدان (٣٣٩/٢-٣٤٠) ، فصول من تاريخ المدينة المنورة ، لعلي حافظ (ص : ١٤٣-١٤٤) .

(٤) المحرر الوجيز (٣٣٠/١٠) .

لأن السورة مكية» (١).

٥ - قول القرطبي : قال القرطبي - رحمه الله - : « وهذا - أي نزول الآية في قريش - أصح ؛ لأن السورة مكية ، ولأن ما قبلها خبر عن أهل مكة ، ولم يجر لليهود ذكر» (٢).

٦ - قول ابن كثير : قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : « وقيل : نزلت في اليهود إذ أشاروا على رسول الله ﷺ بسكنى الشام بلاد الأنبياء وترك سكنى المدينة ، وهذا القول ضعيف ؛ لأن هذه الآية مكية ، وسكنى المدينة بعد ذلك » (٣).

وقال أيضاً بعد أن أورد رواية البيهقي : « وفي هذا الإسناد نظر ، والأظهر أن هذا ليس بصحيح ، فإن النبي ﷺ لم يغز تبوك عن قول اليهود ، وإنما غزاها امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ ، ولقوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ، وغزاها ليقصص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة من أصحابه ، والله أعلم » (٤).

هذه الأقوال غيض من فيض من أقوال نقاد المفسرين الذين ضعفوا ما ذهب إليه بعض ضعفاء المفسرين ، ولعل هذا القدر من الأقوال فيه كفاية ، إذ الغرض كما ذكرت ليس استقصاء تلك الأقوال ، وإنما هو

(١) تفسير الرازي (٢٤/٢١) ، وانظر : معاني القرآن للزجاج (٢٥٤/٣) .

(٢) تفسير القرطبي (٣٠١/١٠) .

(٣) تفسير ابن كثير (٥٧/٣) .

(٤) المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

معرفة مدى صحة ذلك القول - أعني نزول الآية في اليهود - وعدم صحته .

وخلاصة القول : أن رواية البيهقي الدالة على نزول هذه الآيات بالمدينة تحمل عوامل ضعفها وفسادها بين طياتها ، ولا أدل على ذلك من أن البيهقي الذي روى هذه الرواية بوب لها تبويهاً يوحى بضعفها عنده حيث قال : « باب ما روي في سبب خروج النبي ﷺ إلى تبوك وسبب رجوعه إن صح الخبر فيه » .

والخبر لم يصح كما قد سبق بيانه بل هو مرسل ضعيف الإسناد كما قال الإمام السيوطي - رحمه الله - (١) .

(١) انظر : لباب النقول (ص : ١٣٩) .

المطلب الثامن :

في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴾ (١)

لم أعثر على أحد من أهل العلم يرى مدينة هذه الآية غير القائلين بمدينة الآيات الأربع الآتفة الذكر (٢).

وقد أفردت لها حديثاً خاصاً - كما أسلفت قبل قليل - وذلك لمباحثها العديدة وإن كانت جلّ هذه المباحث تدور حول اختلافهم في تفسير المدخل الصدق والمخرج الصدق في الآية الكريمة .

مستند القول بمدينة هذه الآية :

يستند هذا القول إضافة إلى رواية البيهقي السابقة (٣) بما أخرجه الطبري في تفسيره حيث قال : حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان قال : سمعت الضحاک قال : في قوله : ﴿ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ يعني مكة دخل فيها آمناً ، وخرج منها آمناً (٤).

وقال ابن عاشور - رحمه الله - مشيراً إلى هذا المستند : « ومنهم من فسّر المدخل والمخرج بأن المخرج الإخراج إلى فتح مكة ، والمدخل الإدخال إلى بلد مكة فاتحاً ، وجعل الآية نازلة قبيل الفتح ، فبنى عليه

(١) سورة الإسراء ، الآية (٨٠) .

(٢) انظر : (ص : ٧٧٦) .

(٣) انظر : (ص : ٧٧٧) .

(٤) تفسير الطبري (١٥٠/١٥) ، وإسناده منقطع .

أنها مدنية» (١) .

ولعل من الأنسب قبل أن نبدأ مناقشة هذا المستند أن نورد الأقوال التي قيل في تفسير المدخل والمخرج المذكورين في الآية الكريمة ، لنرى ما موقع التفسير الذي تستند إليه دعوى مدنية هذه الآية من بين تلك التفاسير التي ذكرت للآية ؟

أقوال أهل العلم في المراد بالمدخل والمخرج في الآية الكريمة :

القول الأول : أن المراد بمدخل الصدق هو مدخل رسول الله ﷺ إلى المدينة ، ومخرج الصدق مخرجه من مكة ، وهذا القول هو قول جمهور المفسرين (٢) .

ويؤيده ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده من طريق قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال : « كان النبي ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ الآية » (٣) .

(١) التحرير والتنوير (١٥/١٨٦) .

(٢) انظر : تفسير الطبري (١٥/١٥٠) ، معالم التنزيل (٥/١٢٢) ، تفسير ابن كثير (٣/٦٢) .

(٣) المسند (١/٢٢٣) برقم (١٩٤٨) طبعة شاكر ، وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسند : إسناده صحيح .

والأثر أخرجه حفص الدوري في قراءات النبي ﷺ (ص : ١٢٠) برقم (٧٤) ، والترمذي في سننه .

انظر : سنن الترمذي مع تحفة الأحوذى (٨/٤٥٦) برقم (٣٣٤٨) وقال : « هذا حديث حسن صحيح » ، والطبري في التفسير (١٥/١٤٨-١٤٩) ، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/١٠٩) برقم (١٢٦١٨) ، والحاكم في المستدرک وصححه ووافقه الذهبي . انظر : المستدرک مع التلخيص (٣/٣) ، والبيهقي في الدلائل (٢/٥١٦-٥١٧) كلهم من طريق قابوس به ، وضعفه الشيخ ناصر الدين الألباني في ضعيف سنن الترمذي

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في هذا القول : « وهذا القول هو أشهر الأقوال » (١).

القول الثاني : وقيل : إن المعنى : أمتني إماتة صدق ، وأخرجني بعد الممات من قبري يوم القيامة مخرج صدق ، أخرجه الطبري من طريق عطية العوفي عن ابن عباس (٢).

القول الثالث : وقيل : أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق ، وأخرجني منه مخرج صدق ، أخرجه الطبري عن مجاهد (٣).

القول الرابع : وروى الطبري عن الحسن أنه قال : ﴿ أَدْخَلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ الجنة ﴿ وَمُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ من مكة إلى المدينة (٤).

القول الخامس : وهو القول الذي استندت إليه دعوى مدنية هذه الآية ، فحواه أن المراد بالمدخل الإدخال إلى مكة فاتحاً ، والمخرج الإخراج إلى فتح مكة (٥).

→

من أجل قابوس بن أبي ظبيان ، انظر : ضعيف سنن الترمذي (ص : ٣٩) برقم (٦١١).

وقد قال عنه الحافظ في التريب (١١٥/٢) : « فيه لين » .

قلت : وجدته قد وثقه يحيى بن معين ، ويعقوب الفسوي . انظر : يحيى بن معين وكتابه التاريخ (٢٧٤/٣) برقم (١٣٠٨) ، والمعرفة والتاريخ للفسوي (١٤٥/٣) ، وقد سبق آنفاً أن صحح هذا الحديث الترمذي والحاكم والعلامة أحمد شاكر .

(١) تفسير ابن كثير (٦٢/٣) .

(٢) انظر : تفسير الطبري (١٤٩/١٥) .

(٣) انظر : المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٤) تفسير الطبري (١٥٠/١٥) وإسناده حسن .

(٥) المصدر السابق مع الجزء والصفحة بتصرف .

وهكذا نرى - ولم ندخل بعد تفاصيل مناقشة دعوى مدنية هذه الآية - أن التفسير الذي هو عمدة هذه الدعوى أصبح - مع ضعفه - ساقاة الأقوال من بين الأقوال التي فسرت بالمدخل الصدق والمخرج الصدق في الآية (١).

مناقشة دعوى مدنية هذه الآية :

لقد تبين من خلال عرض الأقوال التي قيلت في تفسير المدخل والمخرج في الآية ضعف هذا المستند ، ولكن أودّ هنا الإشارة إلى أن حديث ابن عباس السابق (٢) فيه دلالة واضحة على أن الآية نزلت قبيل الهجرة ، بل سياق الآية يدل على أنه لم يدخل المدينة بعد ، ولهذا قال السيوطي - رحمه الله - بعد أن أورد حديث ابن عباس السابق من طريق الترمذي قال : « هذا صريح في أن الآية مكية ، وأخرجه ابن مردويه بلفظ أصرح منه » (٣).

ويبدو - والله أعلم - أن هذه الآية ضمن سلسلة التوجيهات الربانية لنبيه ﷺ بدءاً من قوله : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ ﴾ (٤) الآية إلى قوله : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٥) .

وقد بنى الطبري - رحمه الله - اختياره في تفسير المدخل بأنه المدينة والمخرج بأنه مكة - بنى ذلك - على السياق ، فقال بعد أن استعرض

(١) ذكرت ترتيب هذه الأقوال حسبما أورده الطبري في تفسيره .

(٢) انظر : (ص : ٧٨٧) .

(٣) لباب النقول (ص : ١٣٩) .

(٤) سورة الإسراء ، الآية (٧٣) .

(٥) سورة الإسراء ، الآية (٨١) .

الأقوال في ذلك : « وأشبه هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك قول من قال : معنى ذلك : وأدخلني المدينة مدخل صدق ، وأخرجني من مكة مخرج صدق ، وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ؛ لأن ذلك عقيب قوله : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ ﴾ وقد دللنا فيما مضى على أنه عني بذلك أهل مكة ، فإذا كان ذلك عقيب خير الله عما كان المشركون أرادوا من استفزازهم رسول الله ﷺ ليخرجه عن مكة ، كان بيناً ، إذ كان الله قد أخرجه منها : أن قوله : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ... ﴾ الآية ، أمر منه له بالرغبة إليه في أن يخرج من البلدة التي هم المشركون بإخراجه منها مخرج صدق ، وأن يدخله البلدة التي نقله الله إليها مدخل صدق » (١).

وقال العلامة القاسمي - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الآية والآية التي بعدها : «(سياق هذه الآيات مع سباقها أعني قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ يدل على أن نزولها في أوقات الاهتمام للهجرة إلى المدينة ، ومبارحة مكة ، وأنه تعالى أمر نبيه بأن يتהל إليه في تيسير إدخاله لمهاجرة على ما يرضيه ، وإخراجه من بلده كذلك » (٢).

وقد يتساءل متسائل فيقول : ألا يدل قول ابن عباس : « ثم أمر بالهجرة فأنزل الله : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ » أن نزول الآية كان عقب أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ؟

والجواب على هذا السؤال هو أن الفاء هنا ليست للتعقيب وإنما هي

(١) تفسير الطبري (١٥٠/١٥) .

(٢) محاسن التأويل (٢٧٦/١٠) .

للسببية ، وكما هو مقرر في القواعد النحوية أن فاء السببية لا تستلزم التعقيب ، ألا ترى المهلة البعيدة في قوله : « إن يسلم فهو يدخل الجنة » ، وعلى فرض أن الفاء هنا للتعقيب فإن تعقيب كل شيء بحسبه ، ألا ترى أنه يقال : « تزوج فلان فولد له » ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ (١).

ولعل سائلاً آخر يسأل كذلك فيقول : ما نكتة تقديم إدخال المدينة مع أن المعلوم أن ذلك كان بعد إخراجها من مكة ؟
والجواب على هذا ذكره أبو السعود في تفسيره فقال : « وتغيير ترتيب الوجود لكون الإدخال هو المقصد » (٢).

وبنحو هذا قال صديق حسن خان في الجواب على هذا السؤال ونصه : « ومن المعلوم أن إدخاله المدينة بعد إخراجها من مكة ، وإنما قدمه عليه اهتماماً بشأنه ولأنه هو المقصود » (٣).

وخلاصة القول : أن هذه الآية وغيرها من الآيات التي سبقتها انتقد دعاوي مدنيتهن غير واحد من أهل العلم ، وقد سبق أن ذكرت طرفاً من تلك الأقوال ، وفي هذا يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بعد أن ذكر هذه الآية وغيرها من آيات هذه السورة اللاتي قيل إنهن مستثناة من السورة : « قيل في جميع ذلك إنه مدني ، ولا يثبت شيء من ذلك ، والجمهور على أن الجميع مكيات وشذ من قال خلاف ذلك » (٤).
وقال ابن عاشور - رحمه الله - بعد ما ذكر مستند دعوى مدنية

(١) مغني اللبيب (١/١٦١-١٦٢) بتصرف ، والآية من سورة الحج ، الآية (٦٣) .

(٢) إرشاد العقل السليم (١٩٠/٥) .

(٣) فتح البيان (٢٩٦/٥) .

(٤) الفتح (٢٨٩/٨) .

هذه الآية : «وهو مدخول من جهات ، وقد تقدم أن السورة كلها مكية على الصحيح» (١).



(١) التحرير والتنوير (١٥/١٨٦) .

المطلب التاسع :

في قوله تعالى : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(١).

لم أجد من عزى إلى القول بمدينة هذه الآية ، وقد أورده السيوطي - رحمه الله - في «الإتقان» جاعلاً ختام سلسلة الآيات المتتابعة من قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ إلى قوله : ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(٢) وهكذا تكون هذه الآية كذلك ضمن الآيات التي قيل إنهن مستثناة من السورة حسب إيراد السيوطي لها .

مستند القول بمدينة هذه الآية :

لقد بحث كثيراً عن دليل يستند به القول بمدينة هذه الآية ، فلم يظهر لي دليل يمكن أن يكون مستنداً لهذا القول ، ولعل قراءة النبي ﷺ لهذه الآية يوم فتح مكة جعل البعض يظن أن هذه الآية نزلت في ذاك الوقت ، ومن ثم يظن أنها مدنية أيضاً .

ويلاحظ في هذا ما قاله ابن عطية - رحمه الله - في تفسيره حيث يقول : « وهذه الآية نزلت بمكة ، ثم إن رسول الله ﷺ كان يستشهد بها يوم فتح مكة وقت طعنه الأصنام وسقوطها لطعنه إياها بالمخصرة حسبما في السير لابن هشام وفي غيرها »^(٣) .

هذا وإن قراءة النبي ﷺ لهذه الآية يوم فتح مكة أمر وارد في الصحيح

(١) سورة الإسراء ، الآية (٨١) .

(٢) انظر : الإتقان (٤٦/١) .

(٣) المحرر الوجيز (٣٣٧/١٠ - ٣٣٨) ، وانظر : سيرة ابن هشام (١٢٥٩/٤) .

ففي البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ ^(١) » .

وهكذا تدل دلالة هذا الحديث على أن تلاوة النبي ﷺ لهذه الآية يوم الفتح كانت تلاوة استشهاد للآية ولم تكن تلاوة نزول .
وذكر العلامة القاسمي - رحمه الله - في تفسيره أن هذه الآية والآيات التي قبلها نزلن قبيل الهجرة إلى المدينة فيقول : « سياق هذه الآيات مع سباقها أعني قوله تعالى : ﴿وَأِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُوا مِنْ الْأَرْضِ﴾ يدل على أن نزولها في أوقات الاهتمام للهجرة إلى المدينة ومبارحة مكة » ^(٢) .

وخلاصة القول : أن هذه الآية مكية ، وتلاوة النبي ﷺ للآية يوم الفتح كانت تلاوة استشهاد وليست تلاوة نزول ، بدليل ما في الصحيحين وقد سبق ، كما أن الآية ضمن سلسلة التوجيهات الربانية لنبية ﷺ ، وبذلك التوجيه ربى الله نبيه ﷺ أعظم تربية ، وسلحه بخير سلاح في مواجهة قوى الباطل حتى يستعلي عليه ويقهره ، والله أعلم .

(١) صحيح البخاري مع الفتح (٢٥٢/٨) برقم (٤٧٢٠) ، كتاب التفسير ، باب : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ، وأخرجه أيضاً في المظالم برقم (٢٤٧٨) ، وفي المغازي برقم (٤٢٨٧) ، ومسلم في صحيحه (٤٠٨/٣) برقم (١٧٨١) كتاب الجهاد ، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة .

(٢) محاسن التأويل (٢٧٦/١٠) .

المطلب العاشر :

في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجَنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (١).

لم أجد أحداً عزي إليه القول بمدينة هذه الآية ، وقد أورده السيوطي - رحمه الله - في « الإتيان » ضمن الآيات اللاتي قيل إنهن مستثناة من السورة (٢).

مستند القول بمدينة هذه الآية :

يستند القول بمدينة هذه الآية إلى ما أخرجه الطبري - رحمه الله - في تفسيره حيث قال : حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنا سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس ، قال : « أتى رسول الله ﷺ محمود بن سيحان وعمر بن أضا (٣) وبحري بن عمرو ، وعزيز بن أبي عزيز ، وسلام بن مشكم ، فقالوا : أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئتنا به حق من عند الله عز وجل ، فإننا لا نراه متناسقاً كما تناسق التوراة ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله تجددونه مكتوباً عندكم ، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاءوا به ، فقال عند ذلك ، وهم جميعاً : فنحاص ، وعبد الله بن سوريا ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وأشيع ، وكعب بن أسد ، وسموئل بن

(١) سورة الإسراء ، الآية (٨٨) .

(٢) انظر : الإتيان (٤٦/١) .

(٣) عند ابن إسحاق في السيرة « نعمان بن أضا » . انظر : سيرة ابن هشام (٦٠٦/٢) .

زيد ، وجبل بن عمرو : يا محمد ، ما يعلمك هذا إنس ولا جان ، فقال رسول الله ﷺ : أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله تجدونهُ مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل ، فقالوا : يا محمد إن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما شاء ويقدر منه على ما أراد ، فأنزل علينا كتاباً نقرؤه ونعرفه ، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به ، فأنزل الله عز وجل فيهم وفيما قالوا : ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (١).

مناقشة هذا المستند :

ولئن كان بعض أهل العلم حسن إسناده هذه الرواية (٢) فإن نقاد المفسرين لم يسلّموا اعتماد متنّها كسبب للآية ، فهذا هو الحافظ ابن كثير - رحمه الله - يقول بعد أن أورد هذه الرواية في تفسيره باختصار : « وفي هذا نظر ؛ لأن هذه السورة مكية ، وسياقها كله مع قريش ، واليهود إنما اجتمعوا به في المدينة » (٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مشيراً إلى مكية هذه الآية : « والقرآن نفسه هو قول الله ، وفيه شهادة الله بما أخبر به الرسول ، وإنزاله على محمد ﷺ ، وإتيان محمد به هو آية وبرهان ، وذلك من فعل الله ، إذ كان البشر لا يقدرّون على مثله ، ولا يقدر عليه من الأنبياء ولا الأولياء ، ولا السحرة ، ولا غيرهم ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ

(١) تفسير الطبري (١٥٨/١٥-١٥٩) .

(٢) انظر أقوال أهل العلم في الحكم على هذا الإسناد مفصلاً (ص : ٧٢٤-٧٢٥) هامش

رقم (١) .

(٣) تفسير ابن كثير (٦٦/٣) .

لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴿١﴾ وَمُحَمَّدٌ ﷺ أَخْبَرَ بِهَذَا فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ إِذْ كَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي سُورَةِ «سَبْحَانَ» وَهِيَ مَكِّيَّةٌ ، صَدَرَهَا بِذِكْرِ الْإِسْرَاءِ الَّذِي كَانَ بِمَكَّةَ بِاتِّفَاقِ النَّاسِ « (١) .

ويبدو - والله أعلم - أن هذه الرواية من قبيل ما قد مرَّ معنا مراراً وهو أن السلف قد يريدون بقولهم : « نزلت الآية في كذا » أن لفظ الآية مما يشمل ذلك ، لا أنه هو سبب النزول الحقيقي .
ومما يدل على أن هذه الآية مكِّيَّة ورودها في أول سلسلة تحدي الله عز وجل لكفار قريش إذ التحدي بالقرآن قد مرَّ ، بمراحل متعددة ، وهي كالآتي :

المرحلة الأولى : تحداهم أن يأتوا بمثله فعجزوا وما استطاعوا ، قال تعالى في سورة الإسراء المكيَّة : ﴿ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ .

المرحلة الثانية : ثم تحداهم بعشر سور مثله فما قدروا ، قال تعالى في سورة هود المكيَّة : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَدُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِكِينَ ﴾ وَادَّعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢﴾ .

المرحلة الثالثة : ثم تحداهم مرة ثالثة بأن يأتوا بسورة منه ، فما رفعوا بذلك رأساً ، قال تعالى في سورة يونس المكيَّة : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَدُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادَّعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣) .

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٦٥/٤) .

(٢) سورة هود ، الآية (١٣) .

(٣) سورة يونس ، الآية (٣٨) .

وكرر التحدي بسورة ما في سورة البقرة المدنية فقال : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا دَرَأْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١)، فألقموا حجراً ، وبذلك ثبت إعجاز القرآن على أبلغ وجهه وأكده ، وإذا ثبت عجز العرب فغيرهم بالعجز أخرى وأولى (٢).

وعوداً على موضوع مكية هذه الآية أقول : إن مقتضى التحدي بالقرآن كله هو أن يكون نزوله قبل التحدي بعشر سور وبسورة واحدة. وهكذا تكون آية الإسراء أسبق نزولاً من آية هود ومن آية يونس المكيتين ، وفي هذا يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - عند تفسيره لآية يونس : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَدَهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ : « وهذا هو المقام الثالث في التحدي فإنه تعالى تحداهم ودعاهم إن كانوا صادقين في دعواهم أنه من عند محمد فليعارضوه بنظير ما جاء به وحده ، وليستعينوا بمن شاءوا ، وأخبر أنهم لا يقدرُونَ على ذلك ولا سبيل لهم إليه ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذِهِ السُّورَةِ أَنْ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ ، ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه ، فقال في أول سورة هود : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَدَهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِكِينَ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، ثم تنازل إلى سورة فقال في هذه السورة : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَدَهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، وهكذا في سورة البقرة وهي مدنية تحداهم بسورة منه ، وأخبر أنهم لا يستطيعون ذلك أبداً فقال : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ ﴾ الآية ، هذا وقد كانت

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٣) .

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة (ص : ٧-٨) بتصرف .

الفصاحة من سجاياهم ، وأشعارهم ومعلقاتهم إليها المنتهى في هذا الباب ولكن جاءهم من الله ما لا قبل لأحد به» (١).

وهنا سؤال يتبادر إلى الأذهان وهو ألسنا قد ذكرنا سابقاً أن سورة يونس أسبق نزولاً من سورة هود ، فكيف إذاً تكون آية هود أسبق من آية يونس ؟

لنترك الجواب على هذا السؤال للدكتور محمد محمد أبي شهبة حيث يقول : « ومن العلماء من يجعل آية يونس متقدمة على آية هود لتقدم نزول سورة يونس على نزول سورة هود ، فيجعل التحدي لسورة قبل التحدي بعشر سور ، والجواب أنه على فرض تسليم ذلك فلا يمنع من تأخر آية في سورة متقدمة على نزول آية في سورة متأخرة» (٢).

وهكذا نرى أنه ليس المعنى حينما نقول : إن سورة كذا نزلت بعد سورة كذا أن التالية نزلت بعد انتهاء الأولى ، قال ابن عاشور - رحمه الله - : « فليس معنى قولهم : نزلت سورة كذا بعد سورة كذا مراداً منه أن المعدودة نازلة بعد أخرى ، أنها ابتدئ نزولها بعد انتهاء نزول الأخرى ، بل المراد أنها ابتدئ نزولها بعد ابتداء نزول التي سبقتها » (٣).

وقال في موضع آخر - رحمه الله - : « إن نزول سورة بعد أخرى لا يفهم منه أن التالية نزلت بعد انقضاء نزول التي قبلها ، بل قد يتبدأ نزول سورة قبل انتهاء السورة التي ابتدئ نزولها قبل » (٤).

وقال أيضاً : « قد يستمر نزول السورة فتنزل في أثناء مدة نزولها

(١) تفسير ابن كثير (٢/٤٣٣) .

(٢) المدخل (ص : ٧) .

(٣) التحرير والتنوير (٣/١٤٤) .

(٤) المصدر السابق (٩/٢٤٦) .

سور أخرى» (١).

وخلاصة القول : أن هذه الآية مكية ، وهي أول آية تحدى الله عز وجل بها كفار قريش في الإتيان بمثل هذا القرآن : « وما زالت عجلة الزمن تدور وتطوى القرون قرناً فقرناً ، ومسافة العجز تطول وتتسع وتتشعب ... حتى يظهر نجم إعجاز جديد معلناً أن التحدي في القرآن ليس لعصر دون عصر ، ولا لأمة دون أمة ، ولا يزال هذا دأب القرآن في التحدي حتى يرث الله الأرض ومن عليها » (٢).

(١) المصدر السابق (٢٠٢/١) .

(٢) خصائص القرآن الكريم للدكتور فهد الرومي (ص : ٩٥) .

المطلب الحادي عشر :

في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَسَّاهُ يَسْرًا إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴾ (١).

أورد الحافظ ابن حجر - رحمه الله - هذه الآية ضمن الآيات اللاتي قيل إنهن مستثناة من سورة الإسراء (٢).

مستند القول بمدنية هذه الآية :

يستند هذا القول على دليلين وهما كالتالي :

الدليل الأول : ما تدل عليه بعض الروايات من أن اليهود أتوا النبي ﷺ فسألوه عن هذه الآية ، وإليك نص الرواية الدالة على ذلك :

أخرج أبو داود الطيالسي (٣) - رحمه الله - في مسنده من طريق شعبة قال : أخبرني عمرو بن مرة سمع عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان المرادي أن رجلين من أهل الكتاب قال أحدهما لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي ، فقال : لا يسمعن هذا فيصير له أربعة أعين ، فأتياه فسألاه عن تسع آيات بينات (٤) ، فقال النبي ﷺ : « لا تشركوا بالله

(١) سورة الإسراء ، الآية (١٠١) .

(٢) راجع : الفتح (٢٨٩/٨) .

(٣) هو سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري الشهير بأبي داود الطيالسي ، توفي - رحمه الله - سنة (٢٠٤هـ) .

ترجمته : الكنى والأسماء للإمام مسلم (٣٠٢/١) برقم (١٠٧٠) ، سير أعلام النبلاء (٣٨٤-٣٧٨/٩) .

(٤) في رواية الإمام أحمد في مسنده ، والترمذي في التفسير والطبري في تفسيره ، والطبراني

شيئاً ، ولا تقتلوا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تقذفوا محصنة ، ولا تفروا من الزحف ، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان لتقتلوه أو تهلكوه ، وعليكم خاصة يهود أن لا تعدوا في السبت» ، فقبلاً يديه ورجليه ، وقالوا : نشهد أنك نبي ، قال : « فما يمنعكما من اتباعي ؟ » ، فقالا : إن داود دعا أن لا يزال في ذريته نبي ، وإنا نخشى إن تبعناك أن يقتلنا اليهود (١).

→

في المعجم الكبير ، وأبي نعيم في الحلية ، والضياء المقدسي في المختارة : « فسألاه عن قول الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ » ، وسيأتي قريباً ذكر إحالات هذه المصادر عند تخريج الرواية .

(١) مسند أبي داود الطيالسي (ص : ١٦٠) برقم (١١٦٤) .

والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٢٨/٤) برقم (١٨٠٥٣) ، طبعة المكتب الإسلامي المرقمة ، والترمذي في كتاب الاستئذان ، باب ما جاء في قبلة اليد والرجل ، سنن الترمذي مع تحفة الأحوذ (٤٣٥/٧-٤٣٨) برقم (٢٨٧٧) ، وقال : « وهذا حديث حسن صحيح » ، وفي التفسير أيضاً سورة بني إسرائيل برقم (٣٣٥٣) التحفة ، وابن ماجه في سننه (١٢٢١/٢) برقم (٣٧٠٥) كتاب الأدب ، باب الرجل يقبل يد الرجل ، والنسائي في سننه (١٢٧/٧) برقم (٤٠٨٩) كتاب تحريم الدم ، باب السحر ، والطبري في التفسير (١٧٢/١٥) ، والطبراني في المعجم الكبير (٦٩/٨-٧٠) برقم (٧٣٩٦) ، والحاكم في المستدرک (٩/١) ، وقال : « هذا حديث صحيح لا نعرف له علة بوجه من الوجوه ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي ، وأبو نعيم في الحلية (٩٧/٥-٩٨) في ترجمة عمرو بن مرة ، والبيهقي في الدلائل (٢٦٨/٦) ، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٢٧/٨-٢٨) برقم (١٨) ، وصحح المحقق إسناده .

وضعه الشيخ الألباني في مواضع عديدة من كتبه من أجل عبد الله بن سلمة ، فقد قال الحافظ ابن حجر عنه في التقريب (٤٢٠/١) : « صدوق تغير حفظه » . انظر تضعيف الشيخ الألباني للحديث في : ضعيف سنن الترمذي (ص : ٣٢٦-٣٢٧) برقم (٥١٧) ، وضعيف سنن ابن ماجه (ص : ٨٨-٨٩) برقم (٨٠٨) ، وضعيف سنن النسائي (ص : ١٦٢-١٦٣) برقم (٧٥) .

الدليل الثاني : أن توجيه الخطاب إلى النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿فَسَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾ ^(١) لدليل على مدنية الآية ، ووجه ذلك أن المسئولين هم مؤمنو بني إسرائيل كعبد الله بن سلام وأصحابه ^(١) ، وهذا يقتضي أن تكون الآية مدنية .

مناقشة أدلة القائلين بمدنية الآية :

مناقشة دليلهم الأول : وبغض النظر عن اختلاف أهل العلم في إسناد هذه الرواية فإن بعض النقاد انتقد متنها ، إذ لا توجد أي علاقة بين إقامة البراهين على فرعون وبين الجواب المذكور في الحديث ، وفي هذا يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : « وليس المراد منها - أي التسع الآيات - كما ورد في هذا الحديث ، فإن هذه الوصايا ليس فيها حجج على فرعون وقومه ، وأي مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين على فرعون وما جاءهم من هذا الوهم إلا من قبل عبد الله بن سلمة ، فإن له بعض ما ينكر ، والله أعلم ولعل ذينك اليهوديين إنما سألاه عن العشر الكلمات فاشتبه على الراوي بالتسع الآيات فحصل وهم في ذلك ، والله أعلم » ^(٢).

وقال أيضاً بعد إيراده للحديث من طريق الإمام أحمد ما نصه : « فهذا حديث رواه هكذا الترمذي والنسائي ، وابن ماجه ، وابن جرير في تفسيره من طرق عن شعبة بن الحجاج به ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وهو حديث مشكل ، وعبد الله بن سلمة في حفظه شيء ، وقد تكلموا فيه ، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات ، فإنها

(١) راجع : فتح القدير (٣/٢٦٣) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٧١) .

وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون ، والله أعلم » (١) .
ولعل سائلاً يسأل إذاً ما هي الآيات التسع المعنية في الآية الكريمة ؟
يجيبنا على هذا السؤال الحافظ ابن كثير نفسه حيث يقول : « يخبر تعالى
أنه بعث موسى بتسع آيات بينات وهي الدلائل القاطعة على صحة نبوته
وصدقه فيما أخبر به عمن أرسله إلى فرعون ، وهي العصا ، واليد ،
والسنين ، والبحر ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم
آيات مفصلات ، قاله ابن عباس » (٢) .

وروي عن ابن عباس أيضاً جعل النقص من الثمرات من هذه الآيات
التسع ولم يذكر في هذه الرواية معجزة البحر (٣) ، وهو قول مروى عن
مجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة (٤) .
وقال الحافظ ابن كثير في هذا القول : « وهذا القول ظاهر جلي
حسن قوي » (٥) .

هذا وقد استدلل الحافظ ابن كثير - رحمه الله - أن هذه الآيات
التسع هي تلك الدلائل والمعجزات التي ذكرها ابن عباس - رضي الله
عنهما - استدلل على ذلك بما يأتي :

أولاً : قوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ يَيْضَاءٌ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي
تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (٦) .

(١) المصدر السابق مع الجزء والصفحة .

(٢) المصدر السابق (٧٠/٣) .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير (٧٠/٣) .

(٤) انظر : معاني القرآن للنحاس (٢٠٠/٤) ، وتفسير ابن كثير (٧٠/٣) .

(٥) تفسير ابن كثير (٧٠/٣) .

(٦) سورة النمل ، الآية (١٢) .

وفي هذا يقول الحافظ ابن كثير : « فهذه الآيات التسع التي ذكرها هؤلاء الأئمة هي المرادة ها هنا وهي المعنية في قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَا تَخَفْ ﴾ إلى قوله : ﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ » (١)

ثانياً : قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ الآية (٢).

قال الحافظ ابن كثير بعد أن استشهد بهذه الآية : « فهذا كله مما يدل على أن المراد بالتسع الآيات إنما هي ما تقدم ذكره من العصا واليد والسنين ، ونقص من الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم التي فيها حجج وبراهين على فرعون وقومه ، وخوارق ودلائل على صدق موسى ، ووجود الفاعل المختار الذي أرسله » (٣).

ومن أعلل متن هذه الرواية الحافظ الزيلعي (٤) في تخريجه لأحاديث الكشف ، فذكر إشكالين يقدر كل منهما في الرواية ، فيقول : « والحديث فيه إشكالان :

(١) تفسير ابن كثير (٧٠/٣ - ٧١).

(٢) سورة النمل ، الآية (١٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٧١/٣).

(٤) هو جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي ، ألف نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية ، وتخريج أحاديث الكشف ، توفي - رحمه الله - سنة ٧٦٢ هـ .

ترجمته : الدرر الكامنة (٤١٧/٢) ، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (١٠/١١).

وزيلع قرية على ساحل البحر من ناحية الحبش فيها طوائف منهم ومن غيرهم .

انظر : معجم البلدان (١٨٥/٣).

قلت : وهي الآن تقع في شمال الصومال ، ومعروفة بذلك الاسم عندنا .

أحدهما : أنهم سألوه عن تسعة وأجاب في الحديث بعشرة ، وهذا لا يرد على رواية أبي نعيم ، والطبراني لأنهما لم يذكرا فيها السحر ، ولا على رواية أحمد أيضاً لأنه لم يذكر القذف مرة ، وشك في أخرى»^(١).

ثانيهما : ويتلخص فيما ذكره الحافظ ابن كثير من عدم وجود أي مناسبة بين تلك الأحكام المذكورة في الحديث وبين إقامة البراهين على فرعون^(٢).

ولعل قول أبي عبد الله الحاكم في هذا الحديث : « لا نعرف له علة بوجه من الوجوه »^(٣) يجعلنا كذلك نستشف بأن هذا الحديث معلول ولو بشيء من العلة ، فأبو عبد الله الحاكم - رحمه الله - قد عرف بالتساهل في تصحيح الأحاديث ، وقوله هذا يوحي بوجود علة في الحديث ، إلا أنه حاول نفي ذلك ليندرج الحديث ضمن القاعدة التي وضع لها في الأحاديث المخرجة في كتابه « المستدرك » ، ولكن الغرابة هنا موافقة الإمام الذهبي له .

وعلى فرض صحة تفسير الآيات التسع بالأحكام المذكورة في الحديث فإنه ليس في الرواية ما يدل على أن الآية نزلت عند سؤال دينك اليهوديين ، بل سياق الرواية يدل على أن نزولها كان قبل ذلك .

ومما يؤكد مكية هذه الآية أن بعدها مباشرة آيات تتصل بمعناها اتصالاً يقضي بأنها نزلت معها ، وهي قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ وَائِي لَأُظُنُّكَ يَفِرُّعُونَ مَثْبُورًا ﴾ إلى

(١) تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف (٢/٢٩٣) .

(٢) انظر : المصدر السابق مع الجزء والصفحة ، وقارن معه تفسير ابن كثير (٣/٧١) .

(٣) المستدرك (١/٩) .

قوله : ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ الآية (١).
 قال الحافظ ابن كثير عند تفسيره لهذه الآيات : « وفي هذا بشارة
 لمحمد ﷺ بفتح مكة مع أن السورة مكية نزلت قبل الهجرة » (٢).
مناقشة الدليل الثاني : إن جعل الخطاب في قوله تعالى : ﴿فَسَأَلَ بَنِي
 إِسْرَءِيلَ﴾ للنبي ﷺ ليس محل اتفاق بين المفسرين ، بل جمهور المفسرين
 كما ذكره الآلوسي يرون أن الخطاب لموسى ﷺ (٣) ، ويؤيده قراءة ابن
 عباس : « فسأل » على صيغة الماضي (٤).

ولو سلمنا للقائلين بمدينة الآية أن يكون معنى الآية كما ذكروه فإن
 هذا لا يستلزم أن تكون الآية مدنية ، إذ مر معنا نحو هذا السياق في آيات
 مكية ، كقوله تعالى : ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾
 الآية (٥) ، وقوله تعالى : ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ
 الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ الآية (٦) .

قال الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - عند تفسيره لقوله تعالى :
 ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ﴾ الآية مبيناً أن مثل هذا السياق وارد في السور
 والآيات المكية قال : « إن هذا المعنى نزل في سور مكية أخرى كقوله
 تعالى في سورة الإسراء : ﴿فَسَأَلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾ ، وقوله في

-
- (١) سورة الإسراء ، الآيات (١٠٢-١٠٤) .
 (٢) تفسير ابن كثير (٧١/٣) .
 (٣) انظر : روح المعاني (١٨٤/١٥) .
 (٤) انظر : مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه (ص : ٧٧) .
 (٥) سورة الأعراف ، الآية (١٦٣) .
 (٦) سورة يونس ، الآية (٩٤) .

سورتي النحل والأنبياء : ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

وللشيخ ابن عاشور - رحمه الله - كلام نفيس في مثل هذا المقام حيث ينتقد فيه من يجعل كل آيات الحوار مع أهل الكتاب آيات مدنية ، فيقول : « وأحسب أن هذه الأقوال ناشئة عن ظنّ أن ما في القرآن من مجادلة مع أهل الكتاب لم ينزل إلا بالمدينة ، فإن كان كذلك فظن هؤلاء مخطئ » (٢).

والخلاصة : أن دعوى مدنية هذه الآية واهية ، إذ لم يقم عليها دليل مقنع صحيح ، وقد وصف الحافظ ابن حجر - رحمه الله - من قال بمدنيته بالشذوذ حيث قال معقبا على دعاوي مدنية بعض آيات هذه السورة ومنها هذه الآية : « قيل في جميع ذلك إنه مدني ، ولا يثبت شيء من ذلك ، والجمهور على أن الجميع مكيات ، وشذ من قال بخلاف ذلك » (٣).

(١) تفسير المنار (١١/١٤١-١٤٢) .

(٢) التحرير والتنوير (١١/٧٨) .

(٣) الفتح (٨/٢٨٩) .

المطلب الثاني عشر :

في قوله تعالى : ﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا بِهِ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾
إلى قوله : ﴿ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ (١).

هذه الآيات الثلاث انفرد بالقول بمدنيتها مقاتل بن سليمان - رحمه الله - (٢) ، وذكر السخاوي أنهم من زيادات مقاتل من غيره في دعاوي الآيات المستثناة من هذه السورة (٣).

مستند القول بمدنية هذه الآيات :

يستند هذا القول إلى ما روي من أن هذه الآيات قد عني بها أناس من اليهود ، وقد روي ذلك عن مجاهد ، ففي الطبري من طريق حجاج عن ابن جريج قال : قال مجاهد : ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ خَشُوعًا ﴾ هم ناس من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل الله على محمد قال : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ (٤).

(١) سورة الإسراء ، الآيات (١٠٧-١٠٩) .

(٢) ينظر : تفسير مقاتل (٥١٢/٢) .

(٣) ينظر : جمال القراء (١٣/١) .

(٤) تفسير الطبري (١٨١/١٥) وسبق الكلام على هذا الإسناد ، وهو إسناد ضعيف .

انظر : (ص : ٥٤١) .

مناقشة هذا المستند :

وعلاوة على ضعف الرواية التي استند إليها القول بمدنية هذه الآيات فإن مجرد الحديث عن أهل الكتاب لا يقتضي مدنية الآيات كما قلنا مراراً .

كما لا مانع أن يكون المراد بهذا الإخبار عما سيقع في المستقبل ، ويكون ذلك قد حدث من اليهود بعد الهجرة إلى المدينة ، وقد يحصل هذا في الأخبار التي تتعلق بأهل الكتاب والتي ذكرت في السور المكية .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - معلقاً على ما جاء في البخاري من أن قوله تعالى : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ﴾ ^(١) نزل في عبد الله بن سلام مع أن سورة الأحقاف مكية قال : « ولا مانع أن تكون جميعها مكية ، وتقع الإشارة فيها إلى ما سيقع بعد الهجرة من شهادة عبد الله بن سلام » ^(٢) .

وقال العلامة الآلوسي - رحمه الله - مجيباً عما ذكره بعض المفسرين من نزول قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ في عبد الله بن سلام ، قال : « وأجيب بأن ذلك لا ينافي كون الآية مكية ، بأن يكون الكلام إخباراً عما سيشهد به » ^(٣) .

وخلاصة القول : أن هذه الآيات كغيرهن من الآيات المكية التي تحدثت عن أهل الكتاب فهناك آيات مكية عديدة حكى تصديق أهل

(١) جزء من الآية (١٠) من سورة الأحقاف .

(٢) الفتح (١٦٢/٧) .

(٣) روح المعاني (١٧٥/١٣-١٧٦) .

الكتاب لرسالة النبي ﷺ ، وصدق هذا القرآن ، وقد مرَّ معنا هذا الأمر
مفصلاً في موضعه (١).



(١) انظر : (ص : ١٧٥)

الفصل الثالث :
الآيات المدنية في السور المكية
وفيه تمهيد ومبحثان :

تمهيد :

بعد العرض للآيات اللاتي كان القول باستثنائها لا يقوم على أدلة صحيحة بقي أن نعرض هنا الآيات اللاتي صح فيها الاستثناء من سورها. وبما أنني ذكرت في تقديم البحث أن هذه الدراسة حسب استقراءها لم تقف على آية مكية في سورة مدنية صح استثنائها من سورتها - وذلك من خلال هذا القسم فحسب - فإن ما سيعرض في هذا الفصل هو الآيات المدنية في السور المكية ، وذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول :

في قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَرَافِعًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (١).

روي القول بمدينة هذه الآية عن ابن عباس ، وقتادة (٢) ، وإليه ذهب مقاتل بن سليمان (٣) ، وجمع من المفسرين (٤).

مستند القول بمدينة هذه الآية :

استند القول بمدينة هذه الآية إلى ما روي من روايات متعددة وفيها أن الآية نزلت في أبي اليسر كعب بن عمرو ، فقد أخرج الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه بسنده عن ابن مسعود - رضي الله عنه - « أن رجلاً أصاب من امرأة قُبْلَةً فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فأنزل الله : ﴿ وَأَقِمِ

(١) سورة هود ، الآية (١١٤) .

(٢) انظر : زاد المسير لابن الجوزي (٥٦/٤) ، وتفسير القرطبي (١/٩) .

(٣) انظر : تفسير مقاتل بن سليمان (٢٦٩/٢) .

هذا وقد وقع في تفسير مقاتل المطبوع بتحقيق الدكتور عبد الله شحاتة أن هذه الآية نزلت في رهبان النصارى ، وهو تصحيف من الطابع بلا شك ، والصواب في رأي مقاتل أنها نزلت في نبهان التمار ، فقد نقل عنه ابن عطية في تفسيره ، وأبو حيان في البحر ، وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح أن قصة نبهان التمار ذكرها عبد الغني الثقفي في تفسيره عن ابن عباس ، وأخرجه الثعلبي من طريق مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس . انظر : المحرر الوجيز (١٥١/٩) ، البحر المحيط (١١٨/٦) ، الفتح (٢٠٧/٨) .

(٤) انظر : الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة الضيرير (ص : ٧٩-٨٠) ، معالم التنزيل للبيغوي (٢٠٤/٤) ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٥٨٧/٣) ، الإقتان (٤٥/١) ، أضواء البيان (٣٧٩/١) .

الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴿١﴾ فقال الرجل : يا رسول الله إلي هذا ؟ قال : لجميع أمتي كلهم « (١) » .

وجه الاستدلال في هذا الحديث :

إن وجه الاستدلال من هذا الحديث هو أن أبا اليسر من الأنصار كما أن هذه المرأة أنصارية ، وقد جاء ذلك في بعض الأحاديث كما قاله الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في الفتح (٢) ، ولا شك أن هذه القصة تقتضي أن تكون الآية مدنية النزول ، إذ لم يكن قرآن نزل في شأن الأنصار إلا في المرحلة المدنية .

هذا وقد وردت روايات أخرى تدل على أن الآية نزلت في غير أبي اليسر، فقليل : إنها نزلت في رجل يقال له نبهان التمار (٣) ، وقيل : نزلت في عمرو بن غزية الأنصاري (٤) ، وهاتان الروايتان وإن كانتا

(١) صحيح البخاري مع الفتح (١٢/٢) كتاب مواقيت الصلاة ، باب الصلاة كفارة ، حديث رقم (٥٢٦) ، وأخرجه أيضاً في التفسير برقم (٤٦٨٧) .

وأبو اليسر هو كعب بن عمرو بن عبّاد الأنصاري شهد العقبة وبدراً ، توفي بالمدينة سنة (٥٥٥هـ) . انظر : الإصابة (٢٢١/٤) .

(٢) منها ما أخرجه ابن مردويه عن أبي بريدة عن أبيه قال : « جاءت امرأة من الأنصار إلى رجل يبيع التمر بالمدينة ... » . الفتح (٢٠٧/٨) ، والدر المنثور (٤٨٣/٤) .

(٣) أخرجه مقاتل كما سبق آنفاً .

ونبهان التمار لم أجد من ترجم له ترجمة كافية - حسب اطلاعي - فقد كنى له ابن الأثير بأبي المقبل ، وذكر قصته ونزول الآية فيه ، وكذلك الحافظ ابن حجر - رحمه الله - أورده في الإصابة ، وضعف قصته .

انظر : أسد الغابة (٣٠٩/٥) ، الإصابة (٥٢٠/٣) .

(٤) أخرجه ابن منده في معرفة الصحابة من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . انظر : معرفة الصحابة لابن منده (٩٥/٢ ق/أ) ، وانظر أيضاً : الفتح (٢٠٧/٨) ، الإصابة (١٠/٣) .

ضعيفتين إلا أن الحافظ ابن حجر - رحمه الله - حملهما على تعدد الأسباب على فرض ثبوتهما ، وحزم الحافظ - رحمه الله - أن الآية نزلت في أبي اليسر (١).

قلت : إن حزم الحافظ - رحمه الله - له شواهد تؤيده ، فقد أخرج الترمذي في جامعه من طريق عثمان بن عبد الله بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبي اليسر قال : « أتتني امرأة تبتاع ثمراً ... » (٢). ولعل سائلاً يتساءل فيقول : ما الدليل على وقوع هذه القصة في المدينة حتى نسلم بالقول بمدنية هذه الآية ؟

والجواب : جاء ذلك في رواية مسلم - رحمه الله - بسنده عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول إني عاجلت امرأة في أقصى المدينة ... » (٣).

→

وعمر بن غزية هو صحابي أنصاري شهد العقبة وبدراً .

انظر ترجمته في : الاستيعاب لابن عبد البر (١٩٧/٣) .

(١) انظر : الفتح (٢٠٧/٨) .

(٢) سنن الترمذي مع تحفة الأحوذى (٤٢٧/٨) كتاب التفسير ، حديث رقم (٣٣١٩) ،

والحديث أخرجه البزار في مسنده (٢٧١/٦) برقم (٢٣٠٠) ، والطبري في تفسيره

(٥٢٤/١٥) برقم (١٨٦٨٥) ، والطبراني في الكبير (١٦٥/١٩) برقم (٣٧١) كلهم

من طريق قيس بن الربيع عن عثمان بن عبد الله بن موهب به .

وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح ، وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره ،

وأبو اليسر هو كعب بن عمرو » .

وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٦٣/٣) برقم (٢٤٨٩) .

(٣) صحيح مسلم (٢١١٦/٤) كتاب التوبة ، باب قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْكَرْنَ

السَّيِّئَاتِ﴾ حديث رقم (٢٧٦٣) .

وعند البزار من طريق سماك عن إبراهيم عن علقمة والأسود عن عبد الله أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : « إني لقيت امرأة في بعض طرق المدينة فأصبت منها كل شيء ما دون الجماع ، قال : فنزلت : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَرَافِعاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ » (١) .

هذا وقد سبق أن قلنا إن صاحب الظلال - رحمه الله - يرى أن سورة هود كلها مكية دون استثناء آية منها (٢) ، وعليه فإنه يرى مكية هذه الآية ، وعلل - رحمه الله - رأيه في ذلك بقوله : « والآية (١١٤) في سياق تسرية عن الرسول ﷺ بما كان من الاختلاف على موسى من قبل ، وتوجيهه للاستقامة كما أمر هو ومن تاب معه ، وعدم الركون إلى الذين ظلموا - أي أشركوا - والاستعانة بالصلاة والصبر على مواجهة تلك الفترة العصيبة ... وواضح أن الآية قطعة من السياق المكّي موضوعاً وجواً وعبرة » (٣) .

قلت : إن الاعتماد على السياق العام دون الرجوع إلى الروايات منهج غير صحيح ، وقد سبق أن بينت مراراً خطورة هذا المنهج (٤) ؛ إذ كيف يحق لنا أن نترك الروايات الصحيحة الدالة على أن الآية نزلت بسبب معين وبمكان معين ونأخذ السياق العام للآيات ، فالواجب أن نسلم بالاستثناء الذي ثبت برواية صحيحة - رغم كونه خلاف الأصل - إذ ليس أي محذور في ذلك ، وقد سبق ذكر أقوال العلماء في جواز أن تكون السورة مكية وتوجد فيها آيات مدنية ، وكذلك

(١) انظر تخرجه : (ص : ١٤٩) هامش (٢) .

(٢) انظر : (ص : ٦٨١) .

(٣) في ظلال القرآن (٤/١٨٤٠) .

(٤) انظر : (ص : ٢٠٠) .

العكس (١) ، قال الإمام البقاعي - رحمه الله - بعد أن ذكر حديث البخاري عن ابن مسعود في سبب نزول هذه الآية قال : « وهذا الحديث يؤيد قول ابن عباس رضي الله عنهما إن هذه الآية من هذه السورة المكية مدنية » (٢).

وقال الإمام السيوطي - رحمه الله - بعد أن ذكر الآيات المستثناة من مكية هذه السورة : « قلت : - السيوطي - دليل الثالثة ما صح من عدة طرق أنها نزلت بالمدينة في حق أبي اليسر » (٣).

ورجح الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - كذلك مدنية هذه الآية فقال معقباً على ما أثاره الحافظ ابن كثير - رحمه الله - من احتمال أن الآية نزلت قبل فرض الصلوات الخمس وعليه فالمراد بطرفي النهار صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها ، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس ، قال : « الظاهر أن هذا الاحتمال الذي ذكره الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بعيد ؛ لأن الآية نزلت في أبي اليسر في المدينة بعد فرض الصلوات بزمن فهي على التحقيق مشيرة لأوقات الصلاة ، وهي آية مدنية في سورة مكية » (٤).

ولعل هذا القدر من الأدلة فيه كفاية لبيان أن الآية مدنية في سورة مكية ، وذلك لصحة الروايات الواردة في ذلك - والله أعلم - .

(١) انظر : (ص : ١٤٨) .

(٢) نظم الدرر (٥٨٧/٣) .

(٣) الإتيان (٤٥/١) .

(٤) أضواء البيان (٣٧٩/١) ، وانظر : تفسير ابن كثير (٤٧٨/٢) .

المبحث الثاني :

في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاءَهُمْ
وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

اختلف المفسرون في هذه الآية إلى فريقين ، وقبل أن نبدأ ذكر
الفريقين وأدلة كل منهما لنذكر منشأ الخلاف بينهما ، وما ذلك إلا
ليساعد على فهم هذا الخلاف بصورة واضحة ، أقول : إن منشأ الخلاف
في مكية هذه الآية أو مدنيته هو اختلافهم في تفسير الهجرة والجهاد
المذكورين في الآية ، فمن رأى أن المراد بالهجرة هي الهجرة إلى المدينة ،
وأن المراد بالجهاد هو الجهاد بالسيف ، قال : إن هذه الآية مدنية .

ومن فسر الهجرة بالهجرة إلى الحبشة والجهاد بجهاد الدعوة يرى أن
هذه الآية مكية ، قال العلامة القاسمي - رحمه الله - في تفسيره : « وشمل
قوله ﴿هَاجَرُوا﴾ من هاجر إلى الحبشة من مكة فراراً بدينه من الفتنة ،
ومن هاجر إلى المدينة كذلك ، كما شمل قوله ﴿جَاءَهُمْ﴾ في بث الحق
ونشر كلمة الإيمان والدفاع عنه ، أو قاتلوا في سبيل الله ، ولأجل هذا
الاحتمال في الفعلين قيل الآية مدنية » (٢).

الفريق الأول : ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية مدنية ، بل
كاد الإجماع ينعقد عندهم في مدنيته ، قال ابن عطية - رحمه الله - : «
وهذه الآية مدنية ولا أعلم في ذلك خلافاً وإن وجد فهو ضعيف » (٣).

(١) سورة النحل ، الآية (١١٠) .

(٢) محاسن التأويل (١٦٧/١٠) .

(٣) المحرر الوجيز (٢٣٩/١٠) ، وانظر رأي الجمهور أيضاً : تفسير مقاتل (٥٧/٢-٥٨) ،

جمال القراء (١٣/١) ، تفسير القرطبي (٦٥/١٠) ، البحر المحيط (٦٠٠/٦) .

أدلة الجمهور :

استدل الجمهور على ما ذهبوا إليه من مدنية هذه الآية بأدلة أهمها ما يلي :

الدليل الأول : ما أخرجه الحافظ البزار من طريق محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : « كان ناس من أهل مكة أسلموا ، وكانوا مستخفين بالإسلام ، فلما خرج المشركون إلى بدر أخرجوهم مكرهين ، فأصيب بعضهم يوم بدر مع المشركين ، فقال المسلمون : أصحابنا هؤلاء مسلمون ، أخرجوهم مكرهين فاستغفروا لهم ، فنزلت هذه الآية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِيْ أَنفُسِهِمْ ... ﴾ الآية ، فكتب المسلمون إلى من بقي منهم بمكة بهذه الآية ، فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق ظهر عليهم المشركون وعلى خروجهم ، فلحقوهم فردوهم ، فرجعوا معهم فنزلت هذه الآية ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾ فكتب المسلمون إليهم بذلك فخرجوا ، فنزلت هذه الآية : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا ... ﴾ الآية ، فكتبوا بذلك » (١).

(١) كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة (٤٦/٣) برقم (٢٢٠٤) ، وانظر

أيضاً مختصر زوائد مسند البزار للحافظ ابن حجر (٨٠/٢) برقم (١٤٦٠) .

والأثر أخرجه الطبري في تفسيره بنحوه من طريق أبي أحمد الزبيري عن محمد بن شريك به . انظر : تفسير الطبري (١٨٤/١٤) .

قال الهيثمي : « روى البخاري بعضه ، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن شريك وهو ثقة » . الجمع (١٣/٧) .

وقال الحافظ ابن حجر : « وفي البخاري بعضه وإسناده صحيح » . مختصر زوائد البزار

(٨٠/٢) ، وانظر : صحيح البخاري مع الفتح (١١١/٨) برقم (٤٥٩٦) كتاب

وجه الاستدلال : في هذا الأثر دلالة واضحة على أن هذه الآية مدنية ، وذلك لنزولها بعد قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَفْئِسَتْ لَهُمْ ... ﴾ الآية (١) .

وهذه الآية مدنية باتفاق .

الدليل الثاني : فسر غير واحد من المفسرين بأن المعنيين في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا ... ﴾ الآية هم قوم من المسلمين تخلفوا بمكة بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة .

قال المهدوي - رحمه الله - : « وهذه الآية نزلت في أصحاب النبي ﷺ الذين عذبوا بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة » (٢) .

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره : « هؤلاء صنف آخر كانوا مستضعفين بمكة مهانين في قومهم فوافقهم على الفتنة ، ثم

→

التفسير ، باب ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَفْئِسَتْ لَهُمْ ... ﴾ الآية . وأورده الشيخ مقبل الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول معتمداً تصحيح الهيثمي انظر : (ص: ١٢٦) .

هذا وقد أخرج الطبري في تفسيره عن عكرمة والحسن البصري قالا : « في سورة النحل ﴿ مِنْ كَرِهَ اللَّهُ ﴾ ثم نسخ واستثنى من ذلك فقال : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ الآية ، وهو عبد الله بن أبي سرح الذي كان يكتب لرسول الله ﷺ ، فأزله الشيطان فلحق بالكفار ، فأمر به النبي ﷺ أن يقتل يوم فتح مكة ، فاستجار له أبو عمرو - عثمان بن عفان - فأجاره النبي ﷺ » . تفسير الطبري (٤٨٤/١٤) .

قلت : إن هذا الأثر ضعيف ، ففيه محمد بن حميد بن حيان - شيخ الطبري - وهو ضعيف . التقريب (١٥٦/٢) ، وقد روي عن الحسن نحو قول الجمهور . انظر : تفسير الرازي (١٢٧/٢٠) .

(١) سورة النساء ، الآية (٩٧) .

(٢) شرح الهداية للمهدوي (٣٨٢/٢) .

إنهم أمكنهم الخلاص بالهجرة فتركوا بلادهم وأهليهم وأموالهم ابتغاء
رضوان الله وغفرانه ، وانتظموا في سلك المؤمنين ، وجاهدوا معهم
الكافرين ، وصبروا فأخبر الله تعالى أنه من بعدها أي تلك الفعلة وهي
الإجابة إلى الفتنة لغفور لهم رحيم بهم يوم معادهم » (١).

الفريق الثاني : القائلون بمكية هذه الآية :

لم أقف - حسب اطلاعي - على من صرح بمكية هذه الآية اللهم
إلا الشيخ ابن عاشور (٢) والأستاذ محمد عزة دروزة (٣) - رحمها الله -
كما حكى الرازي عن بعض أهل العلم أنهم يقولون : إن أول سورة
النحل إلى قوله ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ مدني ، وما سواه مكِّي (٤) - وهو عكس
القول المروي عن قتادة وجابر بن زيد - رحمهما الله تعالى - ومقتضى ما
حكاه الرازي عن هؤلاء أنهم يرون أن هذه الآية مكية .

ولعل العلامة القاسمي كذلك يميل إلى هذا الرأي ، ويبدو ذلك من

وجهين :

الوجه الأول : وإن جَوَّز العلامة القاسمي أن لفظ الهجرة يشمل
هجرتي الحبشة والمدينة إلا أن تقديمه عند تفسيره لمعنى الهجرة هنا الهجرة
إلى الحبشة على الهجرة إلى المدينة يشعر هذا التقديم أنه يرى - كعادته -
أن حمل الآية على المسلمين الذين تخلفوا بمكة بعد هجرة النبي ﷺ إلى
المدينة لا يعني نزول الآية في هؤلاء النزول المباشر ، بل هم من الأفراد

(١) تفسير ابن كثير (٢/٦١٠) .

(٢) يراجع التحرير والتنوير (١٤/٣٠٠) .

(٣) يراجع : التفسير الحديث (٦/١٠٥) .

(٤) يراجع : تفسير الرازي (٩/٢٢٢) ، وانظر أيضاً : غرائب القرآن للنيسابوري

(٤٣/١٤) نقلاً عن الرازي .

الذين تشملهم الآية ، كما أن تقديمه تفسير الجهاد بمعناه الدعوي على معنى القتال في سبيل الله يوحى أيضاً ما ذكرنا .

الوجه الثاني : حكايته بصيغة التمريض القول بمدنية هذه الآية توحى أيضاً أنه يميل إلى القول بمكيته ، وفي هذا يقول بعد أن ذكر اشتغال لفظ الهجرة في كلا المجرتين ، والجهاد في كلتا المعنيين : « ولأجل هذا الاحتمال في الفعلين قيل الآية مدنية » (١).

أدلة القائلين بمكية هذه الآية :

الدليل الأول : أنه لا يمكن أن يستقيم معنى الهجرة هنا إلا الهجرة إلى الحبشة ، إذ الآية نازلة في المسلمين الذين أذن لهم النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة للتخلص من أذى المشركين (٢) .

هذا وقد استشهد الشيخ ابن عاشور - رحمه الله - في هذا المعنى بعدة آثار وردت في قصة الهجرة إلى الحبشة (٣) ، ولم تتضح لي العلاقة بين تلك الآثار التي استشهد بها وبين هذه الآية ، ولعل هذا مبني على تفسيره للهجرة بالهجرة إلى الحبشة ، إذ هو لم يستجز غير ذلك .

الدليل الثاني : إن هذه الآية توضيح لمعنى قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ الآية (٤) ، ولا خلاف بين أهل العلم أن هذه الآية مكية نزلت في عمار بن ياسر - رضي الله عنه - (٥) .

(١) محاسن التأويل (١٠/١٦٧) .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير (١٤/٢٩٩) .

(٣) ينظر هذه الآثار في المصدر السابق (١٤/٢٩٩-٣٠٠) .

(٤) سورة النحل ، الآية (١٠٦) .

(٥) انظر : التفسير الحديث (٦/١٠٥) .

القول الراجح :

هذا ويترجح عندي - والعلم عند الله - أن هذه الآية مدنية ومستثناة من مكية سورة النحل ، وذلك لصحة الأثر الصحيح الصريح في نزولها بعد نزول قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ ... ﴾ الآية (١) ، وهذه الآية مدنية باتفاق أهل العلم ، ولا شك أنه إذا صح الأثر يجب الأخذ به ، ولا قول لقائل بعد هذا (٢).

وهذا الأثر له حكم الرفع في مثل هذا المقام ؛ إذ إن تفسير الصحابي كما هو مقرر في القواعد التفسيرية والحديثية والأصولية له حكم الرفع إذا كان متعلقاً بأسباب النزول (٣).

قال الإمام السيوطي - رحمه الله - في ألفيته :
وليعط حكم الرفع في الصواب نحو من السنة من صحابي
وهكذا تفسير من قد صحبا في سبب النزول أو رأياً أبى (٤)

مناقشة أدلة القائلين بمكية الآية :

مناقشة دليلهم الأول : إن ما ذكره الشيخ ابن عاشور - رحمه الله - من أنه لا يمكن استقامة معنى الهجرة هنا إلا الهجرة إلى الحبشة أمر غير

(١) سورة النساء ، الآية (٩٧) .

(٢) من لطائف العلم التي تستحسن أن تذكر في مثل هذا المقام ما اشتهر على ألسنة أهل العلم من قولهم : إذا ورد السماع بطل القياس . ذكره البغدادي في : خزانة الأدب (٥٥٩/٣) .

(٣) انظر : المستدرک (٢٧/١ ، ١٢٣) ، الجامع لأحلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢٩٣/٢ - ٢٩٤) ، مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص : ٤٠) ، المقنع في علوم الحديث لابن الملقن (١٢٧/١) ، تدريب الراوي (١٥٧/١) .

(٤) ألفية السيوطي في علم الحديث (ص : ٢٢) .

مسلم وتحكم بلا دليل ، كيف وفي الأثر الصحيح السابق فيه تصريح أن المراد بالهجرة هنا هي هجرة قوم تخلفوا بمكة فحال الكفار بينهم وبين الهجرة إلى المدينة .

وعلى فرض أن الهجرة أريد بها هنا أصالة الهجرة إلى الحبشة ، ما المانع أن يراد كذلك الهجرة إلى المدينة تبعاً ؟ أليست العبرة بعموم اللفظ ؟ ورحم الله القائل :

والدعاوي ما لم تقيموا عليها بينات أصحابها أدعياء (١)
مناقشة دليلهم الثاني : لا خلاف بين أهل العلم أن قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ ... ﴾ الآية (٢) نزلت في عمار بن ياسر - رضي الله عنه - وإن كانت الآية تعم فيما بعد .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « واتفقوا على أنه نزل فيه : ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ » (٣).

وقال الحافظ أيضاً في معرض شرحه للحديث الوارد في فضل عمار بن ياسر - رضي الله عنه - وفيه : « أفيكم الذي أجاره الله من الشيطان » قال : « ويحتمل أن تكون الإشارة بالإجارة المذكورة إلى ثباته على الإيمان لما أكرهه المشركون على النطق بكلمة الكفر ، فنزلت فيه : ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ » (٤).

(١) هذا البيت من الأبيات الجارية مجرى الأمثال ، وقد رجعت من أجل التوثيق إلى مجموعة من كتب الأمثال وشواهد الشعر العربي فلم أوفق .

(٢) سورة النحل ، الآية (١٠٦) .

(٣) الإصابة (٥١٢/٢) .

(٤) الفتوح (١١٦/٧) وانظر الحديث برقم (٣٧٤٢) كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمار وحذيفة رضي الله عنهما .

وأخرج ابن أبي شيبة - رحمه الله - من طريق الأعمش عن أبي إسحاق عن هانئ قال : « استأذن عمار على عليّ ، فقال : مرحباً بالطيب المطيب ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : مُلئَ عمارُ إيماناً إلى مُشاشه » (١).

وأما ما قاله الفريق الثاني من أن هذه الآية توضيح لمعنى قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ ... ﴾ الآية ، ومن ثم يرتبون - في نظرهم - أن هذه الآية مكية كذلك فإنني لم أقف على ما يؤيد ذلك اللهم إلا ما أخرجه الطبري عن عكرمة والحسن حيث قالوا : « في سورة النحل ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ﴾ ثم نسخ واستثنى من ذلك فقال : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا ... ﴾ الآية ... » وقد سبق أن ذكرنا ضعف هذا الأثر قبل قليل (٢).

وعلى فرض أن هذه الآية توضيح وبيان لقوله تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ ... ﴾ الآية فهل يلزم أن تكون مكية مثلها ؟
وكم من الآيات المكية جاءت بمجملات وبيّنت في آيات مدنية ، وقد

(١) المصنف (١٢١/١٢) برقم (١٢٣٠٥) .

والأثر أخرجه ابن أبي شيبة أيضاً في كتابه الإيمان (٩٣) ، وابن ماجه في المقدمة (٥٢/١) برقم (١٤٧) ، والنسائي في السنن (٤٨٥/٨) برقم (٥٠٢٢) كتاب الإيمان وشرائعه ، باب تفاضل أهل الإيمان ، والحاكم في المستدرک (٣٩٢/٣-٣٩٣) ، وصححه ووافقه الذهبي ، وأبو نعيم في الحلية (١٣٩/١) .

وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٠/١) برقم (١٢٠) ، وفي السلسلة الصحيحة (٤٦٦-٤٦٧) برقم (٨٠٧) .

والمشاشة هي « رؤوس العظام اللينة التي يمكن مضغها كالمرفقين والكتفين والركبتين » .
النهاية في غريب الحديث (٣٣٣/٤) .

(٢) انظر (ص : ٨٢١) الهامش .

يكون الأمر عكس ذلك ، كما أن المكّي يُبين بعضه بعضاً .

فهاهي هذه الآية ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ... ﴾ الآية (١) ، وهي في سورة مدنية يأتي بيانها في سورة مكية حيث قال الله تعالى في تفسير هذه الكلمات حاكياً عن آدم وحواء : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) .

وها هي هذه الآية المدنية أيضاً تنفي الخلّة على العموم ، حيث قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٣) ، ويأتي استثناءها في آية مكية حيث قال الله تعالى : ﴿ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (٤) .

ورحم الله الشاطبي فله كلام نفيس في هذا المقام حيث يقول : « المدني من السور ينبغي أن يكون منزلاً في الفهم على المكّي ، وكذلك المكّي بعضه مع بعض ، والمدني بعضه مع بعض ، على حسب ترتيبه في التنزيل ، وإلا لم يصح ، والدليل على ذلك أن معنى الخطاب المدني في الغالب مبني على المكّي ، كما أن المتأخر من كل واحد منهما مبني على متقدمه ، دل على ذلك الاستقراء ، وذلك إنما يكون ببيان مجمل أو تخصيص عموم ، أو تقييد مطلق ، أو تفصيل ما لم يفصل ، أو تكميل ما لم يظهر تكميله » (٥) .

(١) سورة البقرة ، الآية (٣٧) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (٢٣) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٢٥٤) .

(٤) سورة الزخرف ، الآية (٦٧) .

(٥) الموافقات (٤٠٦/٣) .

الفصل الرابع:

الآيات المكية التي تكرر نزولها بالمدينة

وفيه تمهيد مبحثان :

تمهيد:

الأصل في الآية أن تنزل مرة واحدة، فيحفظها رسول الله ﷺ،
ويحفظها أصحابه، إلا أن ثمة حالات قد يتكرر فيها النزول، تأكيداً للأمر،
وتركيزاً عليه، إضافة إلى حكم أخرى ستأتي في سطور هذا الفصل.
وقد عقد هذا الفصل للدراسة الآيات التي صح فيها القول بتكرار
النزول، وحديثي عنه سيكون من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول:

في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (١).

اختلف أهل العلم في صحة القول بمدنية هذه الآيات إلى أقوال ثلاثة، وإليك عرض هذه الأقوال، وأدلة كل منهم، وبعد ذلك نحاول أن نرجح ما نراه راجحاً على ضوء النصوص التي وقفنا عليها.

القول الأول: أن هذه الآيات مستثناة من مكية سورة النحل، فهي آيات مدنية في سورة مكية، وهذا القول هو قول جمهور المفسرين. ومما هو جدير بالانتباه أن أصحاب هذا القول يختلفون في القدر المدني من هذه الآيات الثلاث، فمنهم من يرى أن الآيات الثلاث كلها مدنيات، وهو قول الأغلبية (٢).

ويرى آخرون أن المدني آيتان، بدءاً من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ الآية، والتي تليها (٣) كما يرى البعض أن المدني

(١) سورة النحل الآيات (١٢٦-١٢٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٥٧/٢)، ومعاني القرآن للزجاج (١٨٩/٣)، وتفسير أبي المظفر السمعاني (٣/٢٦٠ ق/أ)، ومعالم التنزيل (٧/٥)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل «تفسير البيضاوي» (١/٥٤٨)، وتفسير الخازن (٤/٧٨)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (٤١/١٤)، ومساعد النظر (٢/٢٠٧)، وتفسير أبي السعود (٩٤/٥).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (١٥٧/١٠)، وتفسير القرطبي نقلاً عن ابن عطية (٦٥/١٠).

آية واحدة فقط، وهي قوله تعالى : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ... ﴾ الآية (١).

أدلة هذا القول:

استدل أصحاب هذا القول لتأييد رأيهم بالأدلة التالية:-

الدليل الأول: ما أخرجه الإمام عبد الله بن أحمد في زوائد مسند أبيه من طريق عيسى بن عبيد عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال: «لما كان يوم أحد قتل من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: لئن كان يوم مثل هذا من المشركين لنرين عليهم، فلما كان يوم الفتح قال رجل لا يعرف: لا قريش بعد اليوم، فنادى منادي رسول الله ﷺ: أمن الأسود والأبيض إلا فلانا وفلانا ناساً سماهم، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «نصبر ولا نعاقب» (٢).

(١) انظر: المحرر الوجيز (١٥٧/١٠).

(٢) المسند (١٧٨/٥) برقم (٢١٢٢١) طبعة المكتب الإسلامي المرقمة.

والحديث أخرجه الترمذي وحسنه . سنن الترمذي مع تحفة الأحوذى (٤٤٤/٨-٤٤٥) برقم (٣٣٣٧) كتاب التفسير، باب ومن سورة النحل، والنسائي في تفسيره (١/٦٤٠-٦٤١) برقم (٢٩٩) وابن حبان في صحيحه انظر: الإحسان (٢/٢٣٩-٢٤٠) برقم (٤٨٧) والحاكم في المستدرک (٢/٣٥٩)، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في الدلائل (٣/٢٨٩) كلهم من طريق الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب نحوه. وزاد السيوطي نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه، انظر: الدر (٥/١٧٨-١٧٩).

وقال الشيخ ناصر الدين الألباني: «حسن صحيح الإسناد» صحيح سنن الترمذي (٦٧/٣) برقم (٢٥٠١).

الدليل الثاني: ما أخرجه الحافظ البزار في مسنده حيث قال: ثنا

الحسن بن يحيى ثنا عمرو بن عاصم ثنا صالح المري عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن أبي هريرة رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة بن عبد المطلب ﷺ حين استشهد فنظر إلى منظر لم ينظر إلى أوجع للقلب منه، أو أوجع لقلبه منه، فنظر إليه وقد مثل به، فقال: رحمة الله عليك إن كنت ما علمت لو صولاً للرحم، فعولاً للخيرات، والله لولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أتركك حتى يحشرك الله من بطون السباع -أو كلمة نحوها-، أما والله على ذلك لأمثلن بسبعين كمثلك، فنزل جبريل عليه السلام على محمد ﷺ بهذه السورة، وقرأ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ إلى آخر الآية، فكفر رسول الله ﷺ وأمسك عن ذلك»^(١).

(١) كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة (٣٢٦/٢-٣٢٧) برقم (١٧٩٥) وانظر أيضاً: مختصر زوائد مسند البزار (٣١/٢) برقم (١٣٧٥).

والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٤٣/٣) برقم (٢٩٣٧)، والحاكم في المستدرک (١٩٧/٣)، والبيهقي في الدلائل (٢٨٨/٣)، كلهم من طريق صالح المري عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن أبي هريرة نحوه.

وضعه الحافظ ابن كثير في تفسيره، فقد قال بعد أن أورد رواية البزار: «وهذا إسناده فيه ضعف، لأن صالحاً هو ابن بشير المري ضعيف عند الأئمة، وقال البخاري: هو منكر الحديث» تفسير ابن كثير (٦١٤/٢) وانظر قول البخاري في: التاريخ الكبير (٢٧٣/٤) وقال الهيثمي في الجمع (١٢٢/٦) «رواه البزار والطبراني وفيه صالح بن بشير المري وهو ضعيف» والحديث له شاهد عن ابن عباس أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦٢/١١) برقم (١١٠٥١) والبيهقي في الدلائل (٢٨٨/٢)، والواحد في أسباب النزول (ص: ٢٨٤) وإسناده ضعيف أيضاً.

وقال الحافظ ابن حجر بعد أن أورد حديث أبي هريرة، وأبي بن كعب وابن عباس: «وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً» الفتح (٤٣٠/٧).

قلت: وأيا كان الاختلاف بين هاتين الروایتين في تحديد وقت نزول قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ...﴾ الآية فإنهما يتفقان أن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا﴾ مدني على الاصطلاح الراجح في تعريف المكي والمدني، والذي سبق ذكره^(١).

الدليل الثالث: أخرج النحاس في كتابه «الناسخ والمنسوخ» بسنده عن ابن عباس^(٢) قال: «وسورة النحل نزلت بمكة، فهي مكية سوى ثلاث آيات من آخرها فإنهن نزلن بين مكة والمدينة، في منصرف رسول الله ﷺ من أحد، وذلك أنه قتل حمزة بن عبد المطلب، ومثل به المشركون، فقال رسول الله ﷺ - - : «لئن أظفرتني الله بهم لأمثلن بثلاثين منهم» فقال أصحاب رسول الله ﷺ: والله يا رسول الله لئن أظفرننا الله بهم لنمثلن بهم تمثيلا لم يمثل به أحد من العرب، فأنزل الله تعالى بين مكة والمدينة ثلاث آيات، وهن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ...﴾ الآيات^(٣).

قال النحاس معلقا على هذا الأثر: «وما نزل بين مكة والمدينة

(١) انظر: (ص: ٤٣-٤٤).

(٢) هذا الإسناد هو إسناد يموت بن المزرع، وقد جرت عادة النحاس أن يذكر روايات المكي والمدني بواسطة هذا الإسناد، انظر الكلام على هذا الإسناد مفصلا (ص: ٢٢٢-٢٢٥).

(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢/٤٨٤-٤٨٥).
والأثر أخرجه الطبري نحوه مرسلاً عن عطاء بن يسار، وفي إسناد كما قال الحافظ ابن كثير رجل مبهم لم يسم، قلت: وفيه أيضا عن عنة ابن إسحاق.
انظر: تفسير الطبري (١٤/١٩٥-١٩٦)، وتفسير ابن كثير (٢/٦١٤)، وجزء منه أخرجه الطبراني والبيهقي والواحد كلهم من طريق مقسم عن ابن عباس، وقد سبق أن ذكرنا كشاهد لحديث أبي هريرة، انظر: (ص: ٨٣٢).

فهو مدني»^(١).

الدليل الرابع: إجماع أهل التفسير على أن قوله تعالى : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا...﴾ الآية مدني، قال ابن عطية في تفسيره: «أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة في يوم أحد، ووقع ذلك في صحيح البخاري وفي كتاب السير»^(٢).

القول الثاني: أن هذه الآيات مكيات تبعا لسورتها، والقول بمدنيتهن غير صحيح، وإليه ذهب الضحاك، وزيد بن أسلم، والنحاس في كتابه «معاني القرآن»^(٣)، والفخر الرازي^(٤).

ويرى هذا الرأي من المعاصرين العلامة القاسمي^(٥)، والشيخ ابن عاشور^(٦) والأستاذ محمد عزة دروزة^(٧).

أدلة هذا القول: استدل أصحاب القول الثاني في تأييد ما ذهبوا إليه بما يلي:

(١) الناسخ والمنسوخ (٢/٤٨٥).

(٢) المحرر الوجيز (٢٥١/١٠) وانظر: القرطبي (٢٠١/١٠) نقلا عن ابن عطية. عزا الدكتور عادل أبو العلا هذه العبارة إلى القرطبي ولعله لم يدر أن القرطبي كثيراً ما ينقل عن ابن عطية، ولا يعزو إليه في غالب الأحيان.

انظر: خصائص السور والآيات المدنية ضوابطها ومقاصدها (ص: ١٤٥).
(٣) انظر: معاني القرآن للنحاس (١١٢/٤-١١٣) وليعلم أن المعتمد في رأي النحاس هو ما في كتابه «الناسخ والمنسوخ» إذ هو من آخر تأليفه في حين أن «معاني القرآن» من أسبق مؤلفاته، وقد برهنا بنماذج تدل على ذلك عند حديثنا في سورة النساء انظر: (ص: ٤٠٢).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب «التفسير الكبير» (٢٠/١٤٢-١٤٣).

(٥) انظر: محاسن التأويل (١٠/١٨٠).

(٦) انظر: التحرير والتنوير (١٤/٣٣٥).

(٧) انظر: التفسير الحديث (٦/١١٧).

الدليل الأول: إطلاق بعض الصحابة من أن آيات هذه السورة كلها مكية دون استثناء آية منها، فقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نزلت سورة النحل بمكة»^(١) وبمثل هذا أخرجه أيضاً عن ابن الزبير^(٢).

وذكر ابن الجوزي - رحمه الله - في تفسيره أن رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: «إنها مكية»^(٣).

قال العلامة الآلوسي مشيراً إلى هذا الإطلاق: «وأطلق جمع القول بأنها مكية وأخرج ذلك ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير رضي الله تعالى عنهما»^(٤).

الدليل الثاني: - أن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ...﴾ الآية كان قد نزل قبل مشروعية الجهاد، ولا يكون هذا إلا في مكة، فقد روى علي بن الحكم عن الضحاك أنه قال: «نزلت هذه الآية قبل القتال وقبل سورة براءة»^(٥).

قال النحاس معلقاً على قول الضحاك هذا: «وهذا القول أولى، وقد قال زيد بن أسلم نحوه»^(٦).

الدليل الثالث: إن قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ لدليل على مكية هذه الآيات، إذ إن أكثر

(١) الدر المنثور (١٠٧/٥).

(٢) انظر: المصدر السابق مع الجزء والصفحة.

(٣) زاد المسير (٤٢٥/٤).

(٤) روح المعاني (٨٩/١٤).

(٥) معاني القرآن للنحاس (١١٢/٤-١١٣).

(٦) المصدر السابق (١١٣/٤).

مكرهم وحزنه ﷺ كان بمكة (١) كما أن هناك آيات مكية تضمنت ما تضمنته هذه الآية، ومرت أمثلة من ذلك، ففي سورة النمل المكية : ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (٢).

الدليل الرابع: أن الروايات التي تفيد أن هذه الآيات نزلت عقب غزوة أحد أو فتح مكة، في شأن التمثيل بقتلى أحد، ليس المراد أن نزولها كان في ذاك الوقت، بل مما تشتمله الآيات، ومن الأفراد الداخلة في عمومها.

قال الرازي في تفسيره: «فإن قيل: فهل تقدحون فيما روي أنه عليه السلام ترك العزم على المثلة وكفر عن يمينه بسبب هذه الآية؟ قلنا: لا حاجة إلى القدح في تلك الرواية، لأننا نقول: تلك الواقعة داخلة في عموم هذه الآية، فيمكن التمسك في تلك الواقعة بعموم هذه الآية، إنما الذي ينازع فيه أنه لا يجوز قصر هذه الآية على هذه الواقعة، لأن ذلك يوجب سوء الترتيب في كلام الله تعالى» (٣).

وقال العلامة القاسمي -رحمه الله- بعد أن أورد في تفسيره بعض الآثار الدالة على نزول هذه الآيات في قصة التمثيل يوم أحد: - «معرفة ما قدمنا من معنى سبب النزول -في مقدمة التفسير- يعلم أن لا حاجة إلى الذهاب إلى أنها مدنية ألحقت بالسورة، ولا إلى ردّها روي من هذه الآثار، إذ به يتضح عدم التناقض، والتقاء الآثار مع الآية، فتذكره» (٤).

(١) المصدر السابق (١١٣/٤) بتصرف.

(٢) انظر: التفسير الحديث (١١٧/٦) والآية في سورة النمل (٧٠).

(٣) مفاتيح الغيب (١٤٣/٢٠).

(٤) محاسن التأويل (١٨٠/١٠) وانظر: مقدمة تفسير القاسمي (٣١-٢٧/١).

الدليل الخامس: أن أسلوب هذه الآيات ومضمونها يؤكد اتصالها بما قبلها، الأمر الذي يرجح أن تكون هذه الآيات مكيات، قال الشيخ ابن عاشور - رحمه الله -:- «فهذه الآية ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ...﴾ الآية، متصلة بما قبلها أتم اتصال، وحسبك وجود العاطف فيها، وهذا تدرج في رتب المعاملة، من معاملة الذين يدعون ويوعظون إلى معاملة الذين يجادلون، ثم إلى معاملة الذين يجازون على أفعالهم، وبذلك حصل حسن الترتيب في أسلوب القرآن الكريم، وهذا مختار النحاس، وابن عطية، وفخر الدين، وبذلك يترجح كون هذه الآية مكية مع سوابقها ابتداء من الآية الحادية والأربعين، وهو قول جابر بن زيد كما تقدم في أول السورة، واختار ابن عطية أن هذه الآية مكية»^(١).

(١) التحرير والتنوير (١٤/٣٣٥).

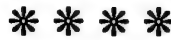
قلت: وفي كلام الشيخ ابن عاشور هذا عدة أمور تستوجب التعليق، وهي كالتالي:-
أولاً: قوله «وهذا مختار النحاس» لعل الشيخ ابن عاشور - رحمه الله - اعتمد على رأي النحاس في كتابه «معاني القرآن»، وقد سبق أن بينا أن المعتمد في رأي النحاس هو ما دونه في كتابه الأخير «الناسخ والمنسوخ».
ثانياً: نسبته إلى جابر بن زيد بأنه يرى بدءاً من الآية الحادية والأربعين إلى آخر السورة أنها مكية ليس بصحيح، بل الأمر عكس ذلك، فحابر بن زيد يرى أن أول السورة إلى الآية الأربعين مكّي، وما بعدها إلى آخر السورة مدني انظر (ص: ٣٥٣).
ولعل هذا سهو من الشيخ - رحمه الله - . أو خطأ من النساخ إذ إنني وجدته يقول في بداية سورة النحل «وعن قتادة وجابر بن زيد أن أولها مكّي إلى قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ فهو مدني إلى آخر السورة» التحرير والتنوير (١٤/٩٣) وهذا هو الصواب في رأي جابر بن زيد، ورحم الله الشيخ ابن عاشور فهو أعلم وأكيس أن يخالف ما قرره قبل قليل، ولئن كان هو قائل ذلك فلا غرو، فلكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة.

ثالثاً: أن ما ذكره الشيخ ابن عاشور - رحمه الله - من أن ابن عطية اختار مكية هذه الآية، مخالف لما أثبتته ابن عطية في تفسيره، فلعله قد اشتبه عليه ما تطرق به ابن عطية من

القول الثالث:- أن هذه الآيات مما تكرر نزولها، فقد نزلت تارة في مكة وتارة في المدينة لما ورد في ذلك من الآثار الدالة على ذلك، وإليه ذهب ابن الحصار كما نقل عنه السيوطي في «الإتقان»^(١).

أدلة القول الثالث:-

لا أظن أن أصحاب هذا القول يأتون بشيء جديد فيما يتعلق في الاستدلال على أن هذه الآيات مكيات أو مدنيات، ويبدو أن هذا الفريق أراد التوفيق بين الروايات المتعددة في هذه القضية، ويلاحظ في هذا عبارة ابن الحصار التي نقلها السيوطي في «الإتقان» حيث قال: «ويجمع -أي الروايات- بأنها نزلت أولاً بمكة قبل الهجرة مع السورة، لأنها مكية، ثم ثانياً بأحد، ثم ثالثاً يوم الفتح، تذكيراً من الله لعباده»^(٢).



→

اتصال هذه الآية بما قبلها حيث يقول: «(والمعنى متصل بما قبلها من المكي اتصالاً حسناً لأنها تتدرج الرتب من الذي يدعى ويوعظ إلى الذي يجادل إلى الذي يجازى على فعله)»

وعلق ابن عطية -رحمه الله- هذه العبارة بقوله: «(ولكن ما روى الجمهور أثبت)» المحرر الوجيز (٢٥٢/١٠).

عجاً كيف يختار ابن عطية مكية هذه الآية، وهو الذي حكى إجماع أهل التفسير بأنها مدنية! انظر (ص: ٨٣٤) وهو القائل أيضاً في تفسيره: «(وهي - أي سورة النحل - مكية غير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا﴾ الآية نزلت بالمدينة في شأن التمثيل بحمزة وقتلى أحد...» المحرر الوجيز (١٥٧/١٠).

(١) انظر: (١٠٧/١).

(٢) المصدر السابق مع الجزء والصفحة.

بيان القول الراجح:

وقبل ذكر الترجيح في مكية هذه الآيات أو مدنيتهما أحب أن أنبه هنا إلى قاعدة مسلمة تتعلق بتعارض الأدلة في القضية الواحدة، وهي: أن هذا التعارض في نظرنا القاصر لا من حيث أصل أدلة الشريعة، قال تعالى : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (١).

ونقل الخطيب البغدادي - رحمه الله - بسنده عن ابن خزيمة قوله: «لا أعرف أنه روي عن رسول الله ﷺ حديثان بإسنادين صحيحين متضادان، فمن كان عنده فليأت به حتى أولف بينهما» (٢).

ورحم الله الشاطبي حيث يقول في كتابه (الموافقات) - وعبارته في هذا المقام تكتب بماء الذهب حقاً - : «إن كل من تحقق بأصول الشريعة فأدلتها عنده لا تكاد تتعارض، كما أن كل من حقق مناط المسائل (٣) فلا يكاد يقف في متشابه، لأن الشريعة لا تعارض فيها ألبتة... ولذلك لا تجدد ألبتة دليلين أجمع المسلمون على تعارضهما بحيث وجب عليهم الوقوف، لكن لما كان أفراد المجتهدين غير معصومين من الخطأ أمكن التعارض بين الأدلة عندهم» (٤).

وعلى ضوء تلك القاعدة الأصولية يبدو أن ما ذهب إليه ابن الحصار من تكرار نزول هذه الآيات هو الصواب، وذلك لأمرين:-

(١) جزء من الآية (٨٢) من سورة النساء.

(٢) الكفاية (ص: ٦٠٦) تحت عنوان: باب القول في تعارض الأخبار وما يصح التعارض فيه وما لا يصح.

(٣) المناط هو العلة وسميت مناطا لربط الحكم بها، وتعليقه عليها.

انظر: الإحكام للآمدي (٦٣/٣)، روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة (٢٢٩/٢).

(٤) الموافقات (٢٩٤/٤).

أولاً:- أن إطلاق الوارد عن بعض الصحابة بأن سورة النحل كلها
مكية قد ورد في بعض طرقه بأسانيد صحيحة كطريق عليّ بن أبي طلحة
عن ابن عباس، وعليه أرى أن هذه الآيات مكيات اعتماداً على ذلك،
وأما روايتا ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير فلم أقف على إسناده في
الروایتين حتى أحكم عليهما.

ثانياً: أن الروايات الواردة في نزول قوله تعالى : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا
بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ الآية في شأن التمثيل يقتل أحد قد تعددت، سواء كان
ذلك عقب غزوة أحد أو يوم فتح مكة، وبعض ذلك أسانيد قد صحت،
والسببية مصرحة كذلك، ولا مفرّ إذا إلى القول بأن هذه الآيات نزلت في
المدينة مرّة أخرى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مبيناً أن تعدد الروايات في
القصة الواحدة تدل على صحة تلك القصة في الجملة، قال: «فإذا كان
الحديث جاء من جهتين أو جهات وقد علم أن المخبرين لم يتواطؤوا على
اختلافه، وقد علم أن مثل ذلك لا تقع الموافقة فيه اتفاقاً بلا قصد علم أنه
صحيح، مثل شخص يحدث عن واقعة جرت ويذكر تفاصيل ما فيها من
الأقوال والأفعال، فيعلم قطعاً أن تلك الواقعة حق في الجملة» (١).

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - «فإن الطرق إذا كثرت وتباينت
مخرجها دلّ ذلك على أن لها أصلاً» (٢).

وقال الحافظ أيضاً بعد أن أورد حديث أبي هريرة، وأبيّ بن كعب،
وابن عباس في معرض شرحه لحديث مقتل حمزة بن عبد المطلب ﷺ قال:

(١) مقدمة في أصول التفسير (ص: ٥٥) مجموع الفتاوى (١٣/٣٤٧-٣٤٨).

(٢) الفتح (٨/٢٩٣).

«وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً»^(١).

ثالثاً: أن من شروط الترجيح التي لا بدّ من اعتبارها عدم إمكان الجمع، وأما إذا أمكن الجمع بين الأدلة الثابتة فينبغي المصير إليه^(٢).

قال صاحب المراقي:

والجمع واجب متى ما أمكنا إلا فلأخير نسخ بينا^(٣)

دفع الاعتراضات عن هذا الرأي:-

اعترض على القول بتكرار النزول عدة اعتراضات، وإليك ذكر هذه الاعتراضات والجواب عنها:-

الاعتراض الأول:- أن القول بتكرار النزول ليس فيه فائدة، إذ هو تحصيل ما هو حاصل^(٤).

الجواب عن هذا الاعتراض: إن دعوى أن القول بتكرار النزول ليس فيه فائدة دعوى مردودة كما قال الإمام السيوطي -رحمه الله-،

(١) المصدر السابق (٧/٤٣٠).

(٢) مزيداً من التفصيل لهذه القاعدة، انظر: إرشاد الفحول للشوكاني (ص: ٢٧٦)، ونثر الورود على مراقي السعود (٢/٥٨٧-٥٨٨).

(٣) متن مراقي السعود (ص: ١٦١).

(٤) انظر: الإتيقان (١/١١٤) نقلاً عن صاحب «الكفيل.معاني التنزيل» عماد الدين الكندي، وقد رجعت إلى «الكفيل.معاني التنزيل» فلم أجد النقل الذي نقله عنه السيوطي، ولعله القسم الساقط، إذ إن الجزء الأول الذي يشتمل المقدمة والفاصلة، وآيات من سورة البقرة في عداد المفقود.

ويبدو من نقل السيوطي أن عماد الدين الكندي ذكر هذا الاعتراض في معرض تفسيره لسورة الفاتحة.

وكتاب «الكفيل.معاني التنزيل» تفسير مهتم بالنواحي اللغوية والبلاغية في القرآن، وتوجد نسخة منه في مكتبة الجامعة الإسلامية برقم (٢٣٤٣).

وقد صرح جماعة من المتقدمين والمتأخرين بأن من القرآن ما تكرر نزوله^(١). ومن فوائده التذكير والموعظة، قال ابن الحصار: «قد يتكرر نزول الآية تذكيراً وموعظة»^(٢).

وقال الزركشي - رحمه الله - «وقد ينزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه وتذكيراً به عند حدوث سببه خوف نسيانه»^(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «وإذا ذكر أحدهم لها سبباً نزلت لأجله، وذكر الآخر سبباً، فقد يمكن صدقهما بأن تكون نزلت عقب تلك الأسباب، أو تكون نزلت مرتين، مرة لهذا السبب، ومرة لهذا السبب»^(٤).

وقال أيضاً في معرض تعداده اختلاف التنوع في التفسير الموجود لدي السلف: - «ومن التنازع الموجود عنهم ما يكون اللفظ فيه محتملاً للأمرين، إما لكونه مشتركاً في اللغة... وإما لكونه متواطئاً في الأصل، لكن المراد به أحد النوعين... فمثل هذا قد يجوز أن يراد به كل المعاني التي قالها السلف، وقد لا يجوز ذلك، فالأول: إما لكون الآية نزلت مرتين، فأريد بها هذا تارة، وهذا تارة»^(٥).

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في الجمع بين رواية الترمذي عن ابن عباس، وبين رواية البخاري عن ابن مسعود حول نزول قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية قال: «وهذا السياق - أي سياق رواية

(١) انظر: الإتيان (١١٣/١-١١٤).

(٢) المصدر السابق مع الجزء والصفحة.

(٣) البرهان (٢٩/١).

(٤) مقدمة في أصول التفسير (ص: ٤١).

(٥) المصدر السابق (ص: ٤١-٤٢).

البخاري عن ابن مسعود- يقتضي فيما يظهر بادي الرأي أن هذه الآية مدنية، وأنها نزلت حين سألته اليهود عن ذلك بالمدينة مع أن هذه السورة كلها مكية، وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك»^(١).

وبنحو الذي قاله الحافظ ابن كثير قال الحافظ ابن حجر في الفتح في معرض جمعه بين الروايتين السابقتين إذ يقول: «ويمكن الجمع بأن يتعدد النزول بحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك»^(٢).

الاعتراض الثاني: أن من لوازم القول بتعدد النزول أن يكون كل ما نزل بمكة نزل بالمدينة، إذ قد كان جبريل عليه السلام يعارض القرآن للنبي ﷺ كل سنة^(٣).

الجواب عن هذا الاعتراض:-

إن المقارنة بين معارضة جبريل القرآن للنبي ﷺ وبين القول بتعدد النزول قياس مع الفارق، فالمعارضة كانت تشمل كل ما نزل من القرآن إلى ذاك الوقت، وفي العام الذي توفي فيه ﷺ عارضه به مرتين إيداناً بقرب أجله ﷺ، في حين أن الآيات التي تعدد نزولها تعدّ بالأصابع.

كما أن حكمة هذه المعارضة كانت تختلف عن حكمة القول بتعدد النزول، فحكمة المعارضة كانت تثبيت هذا القرآن في قلب النبي ﷺ من خلال هذه المعارضة، أما حكمة تعدد النزول فقد سبق أن ذكرنا أن الغرض من ذلك هو التذكير والموعظة وتعظيم الشأن، وكما هو مقرر في

(١) تفسير ابن كثير (٦٣/٣).

(٢) الفتح (٢٥٣/٨).

(٣) انظر: الإتيان (١١٤/١) بتصرف.

القواعد الأصولية أنه يشترط في الفرع المقيس وجود علة الأصل
بتمامها^(١). قال صاحب المراقي:

وجود جامع به متمماً شرط..... (٢)

الاعتراض الثالث:- أن القول بأن هذه الآيات نزلت بالمدينة يلزم منه
عدم الارتباط بما قبلها «فحملها على قصة لاتعلق لها بما قبلها يوجب
حصول سوء الترتيب في كلام الله تعالى، وذلك يطرق الطعن إليه وهو في
غاية البعد»^(٣).

الجواب عن هذا الاعتراض:

ومن نافلة القول أن نكرر هنا ما ذكرنا سابقاً من خطورة الاعتماد
على السياق وحده دون النظر إلى الروايات الواردة في الآية^(٤).
وكم كنت أتعجب من صنيع الأستاذ دروزة الذي يأتي إلى الروايات
الصحيحة فيعلق عليها بقوله: «إن سياق الآيات ومضامينها وانسجامها
مع ما سبقها يسوغ الشك في هذه الروايات»^(٥) ثم يرجح أخيراً ما يراه
راجحاً.

وبعد هذه المقدمة لنترك دفع هذا الاعتراض العلامة الآلوسي - رحمه
الله - فإنه قال معقّباً على ما قاله الرازي في شأن الانفكاك الذي يحصل لو
اقتصر على السبب الذي ذكرنا من نزول هذه الآيات في شأن التمثيل
بقتلى أحد، قال: «وما ذكر من لزوم عدم الارتباط عليه ليس بشيء، فإن

(١) انظر هذه القاعدة في: الإيهاج (١٠٦/٣)، شرح الكوكب المنير (١٠٥/٤).

(٢) متن مراقي السعود (ص: ١٢١).

(٣) تفسير الرازي (١٤٢/٢٠ - ١٤٣).

(٤) انظر (ص: ٢٠٠).

(٥) انظر على سبيل المثال التفسير الحديث (٢١٣/٣) و (٥٥/٤) و (٩٥/٤).

التنبية على تلك القضية للإشارة إلى أن الدعوة لا تخلو من مثل ذلك، وأن
المجادلة تنجر إلى المجادلة، فإذا وقعت فاللائق ما ذكر، فلا فرق في الارتباط
بحسب المآل بين أن تكون مكية أو أن تكون مدنية، وخصوص السبب
لا ينافي عموم المعنى، فالمعول عليه عدم العدول عما قاله الجمهور»^(١).

(١) روح المعاني (٢٥٧/١٤).

المبحث الثاني:

في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١).

اختلف أهل العلم في هذه الآية، هل هي مكية تبعا للسورة؟ (٢) أم أنها مدنية؟ (٣) أم هي مما تكرر نزولها؟ (٤) وقبل أن نذكر أدلة كل قول من هذه الأقوال لنذكر مردّ الاختلاف في هذا الأمر.

(١) سورة الإسراء الآية (٨٥).

(٢) هذا هو قول جمهور المفسرين انظر: زاد المسير (٣/٥)، لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن) (١٢٧/٤)، مصاعد النظر (٢٢٨/٢)، روح المعاني (٢/١٥).

(٣) هذا القول هو اختيار السيوطي، وكثير ممن كتب في علوم القرآن، من المعاصرين، ويضربون لهذين القولين مثالا على تعارض روايتين في باب أسباب النزول مع صحتهما ووجود وجه من وجوه الترجيح، انظر: الإتقان (١٠٤/١-١٠٥)، ولباب النقول (ص: ١٤٠)، مناهل العرفان (١١٧/١-١١٨)، المدخل لأبني شعبة (ص: ١٤٦-١٤٧)، مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (ص: ١٤٥-١٤٦)، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٨٨-٨٩)، علوم القرآن الكريم للدكتور عبد المنعم النمر (ص: ١٠٤-١٠٥) قضايا في علوم القرآن تعين على فهمه للدكتور السيد أحمد عبد الغفار (ص: ٤٤-٤٦).

(٤) ذهب إلى هذا القول جماعة من أهل العلم كالذهبي، والحافظ ابن كثير، والزرکشي، والحافظ ابن حجر، والقسطلاني، انظر: تاريخ الإسلام - السيرة النبوية - (ص: ٢١٣) تفسير ابن كثير (٦٤/٣)، البداية والنهاية (٥١/٣)، البرهان (٣٠/١)، الفتح (٢٥٣/٨)، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني (٢٣٣/١).

وقد نفي هذا المنحى من المعاصرين الدكتور نور الدين عتر في كتابه «علوم القرآن الكريم» انظر: (ص: ٥١)، والشيخ مقبل الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول انظر: (ص: ١٣٠)، والدكتور أمير عبد العزيز، انظر: دراسات في علوم القرآن (ص: ٨٣).

منشأ الخلاف بين هذه الأقوال:

إن منشأ الخلاف بين تلك الأقوال هو ما ورد من روايات حول سبب نزول هذه الآية، ففي البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «بيننا أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث -وهو متكئ على عسيب- إذ مرّ اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال ما رابكم إليه؟^(١) وقال بعضهم لا يستقبلكم بشيء تكرهونه- فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يردّ عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه، فقامت مقامي، فلما نزل الوحي قال: ﴿وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢).

وفي رواية كتاب الاعتصام فيها تصريح بأن هذا الحرث كان بالمدينة، ونص الرواية «كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب...»^(٣)

(١) قوله: «(ما رابكم)» قال الحافظ ابن حجر: «كذا للأكثر بصيغة الفعل الماضي من الريب، ويقال فيه رابه كذا وأرباه كذا بمعنى...» ثم نقل الحافظ قول الخطابي فقال: «(وقال الخطابي: الصواب ما أربكم بتقديم الهمزة وفتحتين من الأرب وهو الحاجة، وهذا واضح المعنى لو ساعدته الرواية، نعم رأيته في رواية المسعودي عن الأعمش عند الطبري كذلك)» الفتح (٢٥٤/٨).

قلت: والذي جاء في رواية الطبري المشار إليها: «(فقالوا: ما أربكم إلى أن تسمعوا ما تكرهون)» تفسير الطبري (١٥٠/١٥).

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٢٥٣/٨) برقم (٤٧٢١) كتاب التفسير، باب: ﴿وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ ، وأخرجه أيضاً في كتاب العلم برقم (١٢٥) وفي الاعتصام برقم (٧٢٩٧)، وفي التوحيد برقم (٧٤٥٦) وبرقم (٧٤٦٢)، ومسلم (٢١٥٢/٤) برقم (٢٧٩٤) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب سؤال اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح.

(٣) صحيح البخاري مع الفتح (٢٧٩/١٣) برقم (٧٢٩٧).

وورد أيضا في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه الإمام الترمذي من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: «قالت قريش لليهود: أعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل، فقال: سلوه عن الروح، فسألوه عن الروح، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قالوا: أوتينا علما كثيرا، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا، فأنزلت: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ إلى آخر الآية»^(١).

قلت: فهذه الرواية يفهم منها أن هذه الآية نزلت في مكة بسبب سؤال كفار قريش، وهذا يتعارض ما يفهم من روايات الصحيح السابقة حيث كان السؤال من اليهود في المدينة.

قال أبو حيان - رحمه الله -: «والظاهر من حديث ابن مسعود أن

(١) سنن الترمذي مع تحفة الأحوذى (٤٥٦/٨ - ٤٥٨) برقم (٣٣٤٩) أبواب تفسير القرآن، سورة بني إسرائيل، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه». والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٨٥/٤ - ٨٦) برقم (٢٣٠٩) طبعة شاكر، والنسائي في تفسيره (٢٨/٢) برقم (٣٣٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٦٤/١) برقم (٥٩٥)، وابن حبان في صحيحه انظر: الإحسان (٣٠١/١) برقم (٩٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٨٦٣/٣) برقم (٤٠٣)، والحاكم في المستدرک (٥٣١/٢)، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في الدلائل (٢٦٩/٢)، كلهم من طريق يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس نحوه. وقال الذهبي - رحمه الله - بعد أن أورد هذا الحديث في السيرة: «وهذا إسناد صحيح» تاريخ الإسلام - السيرة النبوية - (ص: ٢١٢).

وقال الحافظ ابن حجر: «(رجال - أي الترمذي - رجال مسلم)» الفتح (٢٥٣/٨). وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسند: «(إسناده صحيح)»، المسند (٨٥/٤). وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح سنن الترمذي (٦٩/٣) برقم (٢٥١٠) وفي ظلال اللجنة بتخريج السنة (٢٦٥/١).

الآية مدنية، ومن سؤال قريش أنها مكية»^(١).
 وقال العلامة الآلوسي - رحمه الله . بعد أن أورد هذه الروايات في
 تفسيره: «والآية على هذا وما قبله مكية، وعلى خبر الصحيحين مدنية،
 وجمع بعضهم بين ذلك بأن الآية نزلت مرتين فتدبر»^(٢).
 وقال البيهقي - رحمه الله -: «وحديث ابن مسعود يدلّ على أن
 سؤال اليهود عن الروح ونزول الآية فيه كان بالمدينة»^(٣).

أدلة القائلين بمكية الآية:-

استدل القائلون بمكية هذه الآية بما يأتي:-
الدليل الأول: حديث الترمذي عن ابن عباس السابق ففيه دلالة
 واضحة على أن الآية مكية، وأن السائلين هم كفار قريش، وفي هذا يقول
 الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره: «ومما يدلّ على نزول هذه الآية
 بمكة ما قال الإمام أحمد» فذكر الحديث مختصراً بإسناد الترمذي نفسه^(٤).
الدليل الثاني: الإطلاق الوارد عن بعض الصحابة من أن آيات هذه
 السورة كلها مكية دون استثناء آية منها، قال العلامة الآلوسي - رحمه
 الله -: «وهي كما أخرج ابن مردويه عن ابن عباس، وابن الزبير رضي
 الله تعالى عنهم مكية، وكونها كذلك بتمامها قول الجمهور»^(٥).
الدليل الثالث: أن القول بأن في سورة الإسراء آيات مدنية قول
 مخالف لما عليه جمهور المفسرين، بل حكى بعضهم الإجماع على أن آيات

(١) البحر المحيط (١٠٦/٧).

(٢) روح المعاني (١٥٣/١٥).

(٣) دلائل النبوة (٢٧١/٢).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٦٤/٣).

(٥) روح المعاني (٢/١٥).

هذه السورة كلها مكية^(١).

أدلة القائلين بمدنية الآية:-

استدل القائلون بمدنية هذه الآية بالأدلة التالية:

الدليل الأول:- حديث البخاري عن ابن مسعود، والذي ذكرناه آنفاً، وهو نص في أن هذه الآية نزلت بالمدينة، قال البيهقي -رحمة الله-: «وحديث ابن مسعود يدلّ على أن سؤال اليهود عن الروح ونزول الآية فيه كان بالمدينة»^(٢).

الدليل الثاني: أن رواية الإمام البخاري -رحمه الله- أرجح من غيرها من الروايات وذلك لسببين:-

السبب الأول: أنها في الصحيح، وعلى هذا فهي أصح من غيرها بلا شك.

السبب الثاني:- أن راوي حديث البخاري هو ابن مسعود، وقد حضر القصة بخلاف ابن عباس، قال السيوطي -رحمه الله- بعد أن ذكر كلا الحديثين: «ورجح بأن ما رواه البخاري أصح من غيره، وبأن ابن مسعود كان حاضر القصة»^(٣).

وقال أيضاً: «ويرجح ما في الصحيح بأن راويه حاضر القصة بخلاف ابن عباس»^(٤).

(١) انظر من نقل هذا الإجماع (ص: ٣٦٠).

(٢) دلائل النبوة (٢/٢٧١).

(٣) الإتيقان (١/١٠٥).

(٤) لباب النقول (ص: ١٤٠).

وقال الزرقاني: «وهو -أي حديث ابن مسعود- أرجح من وجهين: أحدهما: أنه رواية البخاري، أما الثاني فإنه رواية الترمذي، ومن المقرر أن ما رواه البخاري أصح مما رواه غيره.

ثانيهما: أن راوي الخبر الأول وهو ابن مسعود كان مشاهد القصة من أولها إلى آخرها كما تدلّ على ذلك الرواية الأولى، بخلاف الخبر الثاني فإن رواية ابن عباس لا تدلّ الرواية على أنه كان حاضر القصة، ولا ريب أن للمشاهدة قوة في التحمل والأداء وفي الاستيثاق ليست لغير المشاهدة، ومن هنا أعملنا الرواية الأولى وأهملنا الثانية»^(١).

الدليل الثالث: أن مما يدل على أن هذه الآية مدنية أنه لو كان قد تقدم السؤال والجواب بمكة لم يسكت النبي ﷺ، ولبادر إلى جوابهم بما تقدم من إعلام الله له، وما أنزل عليه^(٢).

أدلة القائلين بتكرّر نزول الآية:

لم يأت أصحاب هذا القول بأدلة جديدة فيما يتعلق في الاستدلال على أن هذه الآية مكية أو مدنية، فأدلتهم في مكيتها هي نفس أدلة القائلين بمكيتها، وكذلك الاستدلال بمدنيتها. وهكذا يبدو أن هذا القول ما هو إلا محاولة للتوقيف بين القولين السابقين، وقد ذهب إليه بعض محققي أهل العلم، أورده الزركشي -رحمه الله- تحت فصل «فيما نزل مكرراً»^(٣).

(١) مناهل العرفان (١/١١٨).

(٢) انظر: الروح لابن القيم (٢/٥٢٠)، وبدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم (١٠٥/٣).

(٣) راجع: البرهان (١/٢٩).

ومنهم الذهبي - رحمه الله - حيث قال: «وأما حديث ابن مسعود فيدل على أن سؤال اليهود عن الروح كان بالمدينة، ولعله ﷺ سئل مرتين»^(١).

وقال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره بعد أن أورد رواية البخاري عن ابن مسعود: «وهذا السياق يقتضي فيما يظهر بادي الرأي أن هذه الآية مدنية، وأنها نزلت حين سأل اليهود عن ذلك بالمدينة مع أن السورة كلها مكية، وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك، أو أنه نزل عليه الوحي بأن يجيبهم عما سألوه بالآية المتقدم إنزالها عليه وهي هذه الآية: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾»^(٢).

وينحو هذا قال ابن كثير في «البداية والنهاية» مختصراً حيث قال: «فإنما أنها نزلت مرة ثانية أو ذكرها جواباً وإن كان نزولها متقدماً»^(٣). وإلى هذا القول جنح الحافظ ابن حجر - رحمه الله - فيقول بعد أن ذكر حديث ابن مسعود: «وهذا يدل على أن نزول الآية وقع بالمدينة»^(٤) ثم ذكر حديث الترمذي عن ابن عباس وقال: «ويمكن الجمع بأن يتعدد النزول بحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك، وإن ساغ هذا وإلاّ فما في الصحيح أصح»^(٥).

(١) تاريخ الإسلام - السيرة النبوية - (ص: ٢١٣).

(٢) (٦٤/٣).

(٣) (٥١/٣).

(٤) الفتح (٢٥٣/٨).

(٥) المصدر السابق مع الجزء والصفحة.

ويقول القسطلاني^(١) - رحمه الله - في تأييده لهذا الرأي: «وهذا الحديث رواه الترمذي أيضا بإسناد رجاله رجال مسلم، فيحمل على تعدد النزول كما أشار إليه ابن كثير، ويحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك»^(٢).

وقد يقول قائل: ألا يدلّ قول الحافظ ابن حجر: «وإن ساغ هذا وإلاّ فما في الصحيح أصح» أنه يرجح رواية البخاري عن ابن مسعود، وعليه يرى ترجيح مدنية هذه الآية؟

والجواب: لا يفهم من قول الحافظ نفي نزول هذه الآية بمكة، كيف وقد ثبت ذلك برواية صحيحة، أخرجها الترمذي وغيره عن ابن عباس كما سبق، ورجال الترمذي رجال مسلم كما يقول الحافظ ابن حجر نفسه، فكلامه محمول إذاً حول سبب نزول الآية، هل سبب نزول الآية قصة قريش مع النبي ﷺ في مكة؟ أم قصة اليهود معه عليه الصلاة والسلام في المدينة؟

الترجيح: يبدو - والله أعلم - بعد الموازنة بين هذه الأقوال أن ما ذهب إليه أصحاب القول الثالث من تكرار نزول هذه الآية هو الراجح، وذلك بما يلي:

أولاً: أن في هذا القول جمعاً بين الأدلة المتعارضة، وكما هو مقرر في

(١) هو شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني، من مؤلفاته إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية، توفي - رحمه الله - سنة (٩٢٣ هـ).

ترجمته: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (١٢٦/١-١٢٧) البدر الطالع (١٠٢/١-١٠٣).

(٢) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٢٣٣/٢).

الأصول أن إعمال الدليلين أولى من إلغاء أحدهما، قال الشافعي -رحمه الله-: «ولزم أهل العلم أن يمضوا الخبرين على وجوههما، ما وجدوا لإمضائهما وجهاً، ولا يعدّونهما مختلفين وهما يحتملان أن يمضيا، وذلك إذا أمكن فيهما أن يمضيا معاً، أو وجد السبيل إلى إمضائهما، ولم يكن منهما واحد بأوجب من الآخر»^(١).

وقال البيضاوي -رحمه الله-: «وإذا تعارض نصان فالعمل بهما من وجه أولى»^(٢).

وقال الأسنوي^(٣) -رحمه الله- في معرض شرحه لعبارة البيضاوي السابقة: «وحاصل المسألة أنه إذا تعارض دليلان فإنما يرجح أحدهما على الآخر إذا لم يمكن العمل بكل واحد منهما، فإن أمكن ولو من وجه دون وجه، فلا يصار إلى الترجيح، لأن إعمال الدليلين أولى من إهمال أحدهما بالكلية، لكون الأصل في الدليل هو الإعمال لا الإهمال»^(٤).

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «ولا مانع أن تنزل الآية لأسباب تتقدمها فلا يعدل للترجيح مع ظهور الجمع وصحة الطرق»^(٥)
ثانياً: أن القول بمكية هذه الآية ونفي نزولها بالمدينة، وكذلك القول

(١) الرسالة للشافعي (ص: ٣٤١).

(٢) منهاج الأصول للبيضاوي (ص: ٢٥٩).

(٣) هو عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر الأسنوي، ألف تصانيف عديدة، منها نهاية السؤال في شرح منهاج الأصول، وشرح كذلك منهاج النووي في الفقه الشافعي، توفي -رحمه الله- سنة (٧٧٢ هـ).

ترجمته: الدرر الكامنة (٢/٤٦٣-٤٦٥)، الفتح المبين في طبقات الأصوليين (٢/١٨٦-١٨٧).

(٤) نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول للأسنوي (٤/٤٤٩-٤٥٠).

(٥) الفتح (٨/٤٥٦).

بمدنيتها ونفّي نزولها بمكة، أقول: يلزم من كلا هذين القولين ترك رواية صحيحة دون مبرر. وفي هذا يقول الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: «ومن قال إنها إنما نزلت بالمدينة واستثناها من سورة سبحان ففي قوله نظر»^(١). قلت: وكذلك من قال: إنها نزلت بمكة ونفّي نزولها بالمدينة ففي قوله نظر أيضاً، وذلك لما تدلّ عليه روايات الصحيحين السابقة.

ثالثاً: أن ما ذكره القائلون بمدنية الآية من أنه لو كانت الآية نزلت بمكة لم يسكت النبي ﷺ ولبادر إلى الجواب أمر غير مسلم، إذ قد يحتمل أن يكون سكوته ﷺ مبنيًا على انتظار مزيد من الجواب، وهو ما يقوله الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في معرض جمعه بين الروایتين حيث قال: «ويمكن الجمع بأن يتعدد النزول بحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك»^(٢).

(١) البداية والنهاية (٥١/٣).

هناك اعتراضات اعترض بها على القول بتكرار النزول بصفة عامة، راجع هذه الاعتراضات والجواب عنها مفصلاً (ص: ٨٤١-٨٤٥).

تنبيه: أفاض كثير من المفسرين في الحديث عن الروح المذكورة في الآية، وشعارنا في هذا هو قوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾.

قال البيهقي -رحمه الله-: «وأولى الأقاويل أن يوكل علمه إلى الله عز وجل وهو قول أهل السنة» معالم التنزيل (١٢٦/٥).

وللشوكاني كلام نفيس في هذا المقام حيث يقول: «وقد حكى بعض المحققين أن أقوال المختلفين في الروح بلغت إلى ثمانية عشر مائة قول، فانظر إلى هذا الفضول الفارغ والتعب العاطل عن النفع، بعد أن علموا أن الله سبحانه قد استأثر بعلمه، ولم يطلع عليه أنبياءه، ولا أذن لهم بالسؤال عنه، ولا البحث عن حقيقته فضلاً عن أمهم المقتدين بهم، فيا لله العجب حيث تبلغ أقوال أهل الفضول إلى هذا الحد الذي لم تبلغه ولا بعضه في غير هذه المسئلة مما أذن الله بالكلام فيه، ولم يستأثر بعلمه» فتح القدير (٢٥٤/٣).

(٢) الفتح (٢٥٣/٨).

الخاتمة

الحمد لله على توفيقه وإحسانه ، والشكر له سبحانه على ما يسر لي من إتمام هذا البحث .

وبعد : فلقد أمضيت ثلاثة أعوام في إعداد هذا البحث تخللتها إجازات في مناسبات مختلفة ، كان هو شغلي الشاغل ، والآن وقد وفق الله - عز وجل - إلى إتمامه وإنجازه أحب أن أشير إلى أن من حق البحث علينا أن نسجل النتائج التي انتهى إليها ، والمقترحات التي أسفر عنها .

وإليك في هذه السطور أهم نتائج البحث بقسميه النظري والإحصائي :

١ - إن الاصطلاح الراجح في تعريف المكي والمدني ، والذي درج عليه أهل العلم هو أن المكي ما نزل قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة ، حتى ولو نزل بغير مكة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة ، وإن نزل بمكة .

٢ - إن علم المكي والمدني بدأ بشكل روايات يتناقلها الصحابة والتابعون ، وعندما بدأ التأليف كان من ضمن العلوم التي أفردت بتأليف مستقل .

٣ - إن أقدم كتاب وصل إلينا فيما ألف في المكي والمدني هو كتاب « تنزيل القرآن » للإمام محمد بن شهاب الزهري .

٤ - هناك أسباب عديدة أدت إلى الاختلاف في المكي والمدني ، وأهمها عدم التنقيص من النبي ﷺ على هذا الأمر .

- ٥ - إن فوائد معرفة المكي والمدني لا يمكن أن يستغني عنها من أراد الخوض في مجال علوم الشريعة على وجه العموم ، وفي مجال التفسير وعلوم القرآن على وجه الخصوص .
- ٦ - للمكي والمدني كغيره من الفنون قواعد تضبطه وتوصله .
- ٧ - للمكي والمدني ضوابط وخصائص يتميز كل واحد منهما عن الآخر ، وبعض تلك الضوابط والخصائص قد بني على الغالب .
- ٩ - إن وجود آية أو آيات مكية في سورة مدنية ، ووجود آية أو آيات مدنية في سورة مكية ضرب من ضروب الإعجاز القرآني ؛ ذلك أننا لا نجد تنافراً في آيات السورة ، ولا نحس بفارق بينها ، رغم تباعد زمان النزول ، وصدق الله العظيم القائل : أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿١﴾ .
- ١٠ - إن معرفة الآية المكية في السورة المدنية أو الآية المدنية في السورة المكية أمر راجع إلى صحة الرواية في ذلك ، ولا يكفي الاعتماد على ما هو مبين في بعض المصاحف المتداولة ، ولا في الكتب التي أخذت منها كالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
- ١١ - بلغ عدد السور التي درست في هذا الرسالة سبع عشرة سورة ، وهي موزعة على النحو التالي :
- أ - تسع منها اتفق على أنها مكية .
- ب - ست منها اتفق على أنها مدنية .
- ج - اثنتان منها مما قيل إنهما مختلف فيهما ، وقد ترجح لدى الباحث أنهما مكيتان .

(١) سورة النساء ، الآية (٨٢) .

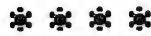
١٢ - بلغ عدد الآيات المدروسة في هذه الرسالة تسعاً وتسعين آية ،

وهي موزعة على النحو التالي :

أ - بلغ عدد الآيات التي ادعي مكيته في السور المدنية تسع عشرة آية ، وقد أثبت البحث أن كلها دعاوي لم يصح منها شيء .

ب - بلغ عدد الآيات التي ادعي مدنيته في السور المكية ثمانين آية ، اثنتان منهن صح فيهما القول بالاستثناء ، كما أن أربعاً منهن صح فيهن القول بتكرار النزول ، وأما البقية فقد ترجح لدى الباحث أنها دعاوي لا تصمد أمام البحث والتحقيق العلمي ، مع ما قد يحتمل بعضها من اختلاف في وجهات النظر .

١٣ - إن مسألة تكرار النزول في القرآن الكريم مسألة تحتاج إلى جمع الروايات الواردة في الآية ، والمقارنة بينها ، وعرض دقيق لأقوال أهل العلم ، ثم ترجيح ما يظهر أنه هو الراجح ؛ إذ تبين أن كثيراً مما قيل بتكرار نزوله أنهم يعنون بتعدد أسبابه .



توصيات ومقترحات :

هناك توصيات ومقترحات أودّ أن أذكرها في نهاية هذه الرسالة ، وهي كما يلي :

أولاً : أن تشكّل لجنة متخصصة ، تقوم بزيارة المراكز والمؤسسات ووزارات الأوقاف التي أشرفت على طبع بعض المصاحف ، ومن ثمّ تدرس اللجنة مع مسؤوليها المعلومات التي يمكن أن يضاف إلى المصحف ، وتبين لهم أن هناك معلومات هي محل خلاف بين أهل

العلم ، وأن وضعها في المصحف يجعل الحكم قاطعاً .
ثانياً : تشجيع الباحثين المتخصصين في الدراسات القرآنية على الكتابة
في مباحث علوم القرآن التي لم تخدم الخدمة الكافية اللائقة .
ثالثاً : تأسيس مراكز علمية متخصصة تعنى بنشر البحوث القرآنية ،
ومراجعة ما ينشر من الدراسات ، وتقويم أعمال الباحثين
والمحققين .

رابعاً : هناك أمور تصلح للدراسة - فيما بدا لي والله أعلم - في
موضوع المكي والمدني ، منها :

أ - التنزيل المكي والمدني وأثرهما في الدعوة إلى الله ؛ إذ أودع
الله في كتابه بقسميه المكي والمدني وسائل الدعوة الناجحة لكل
زمان ومكان .

ب - تعقبات بعض المفسرين كالحافظ ابن كثير ، والآلوسي ،
وابن عاشور على دعاوي ما قيل في الآيات المستثناة من السور ،
وجمعها ودراستها .

ج - وأخيراً أوصي بضرورة البحث والتنقيب عن الكتب
والرسائل المخطوطة في موضوع المكي والمدني ، ونشرها وتحقيقها
تحقيقاً علمياً .

هذا ما تيسر لي التنبيه عليه من التوصيات والاقتراحات العلمية التي
أسأل الله - عز وجل - أن ييسر لها من يقوم بها من أهل العلم .
وبعد فهذا أنذا أمسك بعنان القلم وقد طوف بساحل كتاب الله
المجيد ، ولسان حالي يقول : إن مثلي ومثل هذا البحث كمن رام

درر البحر المحيط بيديه القاصرتين ، فاجتهد وحاول ، ولقد يراها
بعينه لصفاء الماء ورقته ، ولكن أنى له أن يصل إليها بجهده ،
أو يدرك غورها بعاجل فكره .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم
وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

بِحَمْدِ اللَّهِ

الفهارس

- أولاً : فهرس الآيات المدروسة
- ثانياً : فهرس الآيات القرآنية
- ثالثاً : فهرس الأحاديث النبوية
- رابعاً : فهرس الآثار
- خامساً : فهرس الكلمات الغريبة
- سادساً : فهرس الأعلام المترجم لهم في الحاشية
- سابعاً : فهرس الأماكن والبلدان والقبائل
- ثامناً : فهرس الأبيات الشعرية
- تاسعاً : فهرس القواعد والمصطلحات العلمية
- عاشراً : فهرس المصادر والمراجع
- الحادي عشر : فهرس الموضوعات

أولاً : فهرس الآيات المدروسة

مرتبة حسب سور القرآن الكريم

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴾	١٠٩	٥٠٩
﴿ ليس عليك هددهم ﴾	٢٧٢	٥١٦
﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾	٢٨١	٥١٩
سورة النساء		
﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾	١	٥٢٤
﴿ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَنْ تَقُولُوا الْأَمْنُ ذُو الْأَيْمَنِ إِلَىٰ أَهْلِهِا ﴾	٥٨	٥٢٦
سورة المائدة		
﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ الآية	٣	٥٣١
﴿ يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾	٦٧	٥٣٤
﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا ﴾	٧٢-٧٦	٥٣٧
سورة الأنفال		
﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾	٣٠	٥٤١
﴿ وَإِذَا تَلَّىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا ﴾ الآية	٣١	٥٤٧
﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنَّا كَانُوا هَٰذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ ﴾	٣٢	٥٤٩
﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ الآية	٣٣-٣٤	٥٥٣
﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ ﴾ الآية	٣٥	٥٥٧
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ﴾	٣٦	٥٥٨
﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ ﴾ الآية	٦٤	٥٦١
سورة التوبة		
﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ الآية	١١٣	٥٦٩

٥٨١ ١٢٨-١٢٩

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾

سورة الأنعام

٥٨٩ ٢٠

﴿الذين ءاتينهم الكذب يعرفونه﴾

٥٩٣ ٢٣

﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا﴾

٥٩٧ ٥٢

﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾

٦٠١ ٩١

﴿وما قدروا الله حق قدره﴾

٦١٢ ٩٣

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾

٦١٦ ١١١

﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾

٦١٨ ١١٤

﴿أفغير الله أبتغى حكماً﴾

٦١٩ ١٢١

﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾

٦٢٥ ١٤١

﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات﴾

٦٣٣ ١٤٥

﴿قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً﴾

٦٣٩ ١٥٣-١٥١

﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾

سورة الأعراف

٦٤٨ ١٧١-١٦٣

﴿وسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾

٦٥٦ ٢٠٤

﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له﴾

سورة يونس

٦٦٥ ٤٠

﴿ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن﴾

٦٦٧ ٥٩-٥٨

﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾

٦٧٣ ٩٦-٩٤

﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك﴾

سورة هود

٦٨٠ ١٢

﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾

٦٨٤ ١٧

﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾

٦٧٣ ١١٤

﴿وأقم الصلوة طرفي النهار﴾

سورة يوسف

٦٨٩	٣-١	﴿الرَّتُلْكَاءِ اذِيتَ الْكُتْبُ﴾
٦٨٩	٧	﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾

سورة إبراهيم

٦٩٥	٣٠-٢٨	﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾
-----	-------	--

سورة الحجر

٧٠٦	٢٤	﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدَمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخْرِينَ﴾
٧١٢	٨٧	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾
٧٢٠	٩١-٩٠	﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾

سورة النحل

٧٢٨	٤١	﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾
٧٣٣	١٠١	﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾
٧٣٦	١٠٣	﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾
٨١٩	١١٠	﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾
٧٣٩	١٢٥	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾
٨٣٠	١٢٨-١٢٦	﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ﴾

سورة الإسراء

٧٤٤	٢٦	﴿وَأَتَاكَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ﴾
٧٥١	٢٩	﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾
٧٥٣	٣٣-٣٢	﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾
٧٥٦	٥٧	﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾
٧٥٧	٦٠	﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾
٧٦٧	٧٥-٧٣	﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتَنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾
٧٧٦	٧٩-٧٦	﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْزِفُوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾
٧٨٦	٨٠	﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾	٨١	٧٩٣
﴿ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾	٨٥	٨٤٦
﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن﴾	٨٨	٧٩٥
﴿ان﴾		
﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾	١٠١	٨٠١
﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا﴾	١٠٧-١٠٩	٨٠٩



ثانياً : فهرس الآيات القرآنية^(١)

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾	٧	١٣٠
سورة البقرة		
﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم ﴾	٢١	٥٥
﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ﴾	٢٣	٧٩٨
﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ﴾	٢٤	٢٠٤
﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾	٣٧	٨٢٧
﴿ واستعينوا بالصبر والصلوة ﴾	٤٥	٧٨٠
﴿ أفؤمنون ببعض الكتاب ﴾	٨٥	٧٢٢
﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴾	١٠١	٥٠٩
﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها ﴾	١٠٦	٧٣٣
﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى ﴾	١٢٠	٧٨٠
﴿ وإذا يرفع إبراهيم القواعد ﴾	١٢٧	١٤٤
﴿ سيقول السفهاء من الناس ﴾	١٤٢	٧٣٤
﴿ الذين اتينهم الكتاب يعرفونه ﴾	١٤٦	٥٨٩
﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ﴾	٢٢٤	١٣٦
﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً ﴾	٢٣٤	٥٠٤، ١٥٢

(١) رمز (هـ) بعد رقم الصفحة إشارة إلى الهامش

الآية	رقمها	الصفحة
﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾	٢٤٠	٥٠٤، ١٥٢
﴿إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت﴾	٢٤٨	٤٩٩
﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا مما رزقكم﴾	٢٥٤	٨٢٧
﴿الذين يأكلون الربوا﴾	٢٧٥-٢٨١	٣٧٩
﴿واقفوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾	٢٨١	١٥٧، ١٢٨
سورة آل عمران		
﴿قل للذين كفروا ستغلبون﴾	١٢	٧٦٥
﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة﴾	٦٤	٣٩٥، ٢٣٠
﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾	١٠٢	١٢
﴿لقد من الله على المؤمنين﴾	١٦٤	٥٨٤
﴿ولتسمعن من الذين أتوا الكذب من قبلكم...﴾	١٨٦	٥١٢
سورة النساء		
﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾	١	٥٥، ١٢
﴿وإن خفتم ألا تقسطوا﴾	٣	٤٠٢ هـ
﴿إن الله يأمركم أن تودوا الأئمة إلى أهلها﴾	٥٨	١٢٩، ٤٣
		٤٠٠
﴿كفوا أيديكم وأقيموا الصلوة﴾	٧٧	٧٤٢
﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾	٩٣	١١٤
﴿إن الذين توفدهم الملائكة﴾	٩٧	٨٢٤
﴿ويقولون تؤمن ببعض﴾	١٥٠	٧٢٢
﴿يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم﴾	١٧١	٥٥
﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهن من ربكم﴾	١٧٤	٥٥

سورة المائدة

﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾	٣	٢١٢، ٥٩
		٦٣٧
﴿يأياها الذين ءامنوا إذا قمتم إلى الصلوة﴾	٦	٢٢٦، ٢٠٢
﴿يأياها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾	٦٧	١٨٥
﴿لتجدن أشد الناس عدوة﴾	٨٢	٥٣٧
﴿يأياها الذين ءامنوا إنما الخمر والميسر﴾	٩٠	١٥٣

سورة الأنعام

﴿الذين ءاتينهم الكتب يعرفونه﴾	٢٠	١٧٧، ١٣٠
﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾	٢٢	٥٩٥
﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا﴾	٢٣	١٨٦
﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾	٥٢	١٨٦، ١٣٠
		٧٧٠
﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾	١٠٩	٦١٦
﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾	١١١	٣٠١
﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾	١٢١	١٨٦
﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحوث﴾	١٣٦-١٥٠	٦٧١
﴿وئاتوا حقه يوم حصاده﴾	١٤١	١٩٩
﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾	١٥١-١٥٣	٣٠١

سورة الأعراف

﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا﴾	٢٣	٨٢٧
﴿قل من حرم زينة الله﴾	٣٢	٣١٣
﴿ونادى أصحاب الجنة﴾	٤٤	٧٠٢
﴿ونادى أصحاب الأعراف﴾	٤٨	٧٠٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ونادى أصحاب النار﴾	٥٠	٧٠٢
﴿وإلى مدين أحاهم شعيباً﴾	٨٥	٦٤٤
﴿لنخرجنك يشعيب والذين آمنوا﴾	٨٨	٧٨٠
﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾	١٥٦	٦٢٧، ٤٩١
﴿وسألهم عن القرية﴾	١٦٣	٨٠٧
﴿وسألهم عن القرية﴾	١٦٣-١٧١	٩٤
﴿وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً﴾	١٦٠-١٦٢	٦٥٤، ٥٩١
سورة الأنفال		
﴿واذكروا إذ أنتم قليل﴾	٢٦	٥٤٤
﴿واذ يكرهك الذين كفروا﴾	٣٠	١٥١، ١١٧
		٧٧٩
﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾	٣٣	١١٧
﴿لولا كذب من الله سبق﴾	٦٨	٤٠٢
سورة التوبة		
﴿ألا تقتلون قومًا نكحوا أيمنهم﴾	١٣	٧٧٩
﴿قتلوا الذين لا يؤمنون بالله﴾	٢٩	٧٨٢، ٣٩٣
﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾	٤٠	٥٤٤
﴿لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً﴾	٤٢	٢١٦
﴿وقالوا لا تنفروا في الحر﴾	٨١	٢١٦
﴿ومن حولكم من الأعراب منافقون﴾	١٠١	٣٨
﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم﴾	١٠٣	٤٤٢
﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾	١١٨	٢١٨، ٢١٤
﴿يا أيها الذين آمنوا قتلوا الذين يلونكم﴾	١٢٣	٧٨٢

١٢٣	١٢٩-١٢٨	﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾
		سورة يونس
٧٩٨، ٦٦٦	٣٨	﴿أم يقولون افترده﴾
٩٦	٥٩-٥٨	﴿قل بفضل الله وبرحمته﴾
١٩٦، ٩٥	٩٤	﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا﴾
٨٠٧، ٦٥٢		
٦٧٧	٩٦	﴿إن الذين حقت عليهم﴾
٦٧٧	٩٧	﴿ولو جاءتهم كل آية﴾
		سورة هود
٧٩٨	١٣	﴿أم يقولون افترده قل فأتوا بعشر سور﴾
٦٨١	١٧	﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾
٦٤٤	٨٧	﴿قالوا يشعيب أصلوئك﴾
٦٨١، ١٩٣	١١٤	﴿وأقم الصلوة طرفي النهار﴾
		سورة يوسف
٣٣٣	٧	﴿لقد كان في يوسف وإخوته﴾
٦٩١	٨	﴿إذا قالوا ليوسف وأخوه﴾
٦٥٤، ٣٣٣	١١١	﴿لقد كان في قصصهم عبرة﴾
		سورة الرعد
٤٨٠	٤٣	﴿قل هي بالله شهيداً بيني وبينكم﴾
		سورة إبراهيم
١١٨	٣٤	﴿وإن تعلموا نعمة الله لا تحصوها﴾
		سورة الحجر
٤٤٨	٨٧	﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني﴾
٦٨٣، ٦٨١	٩٧	﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك﴾

سورة النحل

١٤٤	٢٦	﴿ فَأَتَى اللَّهَ بَنِيهِمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾
٦٥٢	٤٣	﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾
١٥٣	٦٧	﴿ تَتَخَذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾
١٣٦	٩١	﴿ وَلَا تَتَقَضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾
١١٨	١٨	﴿ وَإِنْ تَعَدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾
٧٣٥	١٠٠	﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَوْنَهُ ﴾
٨٢٦، ٨٢٥	١٠٦	﴿ مِنْ كُفْرٍ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ ﴾
٦٥٤	١٢٤	﴿ إِنَّمَا جَعَلَ السَّيِّئَاتِ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾
١٨١، ١١٠	١٢٦-١٢٨	﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَوَّقْتُمْ بِهِ ﴾
		سورة الإسراء
١٧٨	٤	﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكُتُبِ ﴾
١٣	٩	﴿ إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي ﴾
٢٠٢، ١٣٢	٢٦	﴿ وَءَاتَاكَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾
٧٧١		
٣٦١	٢٣-٣٨	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾
١٩٣	٦٠	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾
٧٧٥، ١٨٧	٧٦	﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ ﴾
١٥٤	٧٩	﴿ وَمَنِ الْبَيْلُ فَتَهْجِدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ ﴾
٢٠٢	٨٠	﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ ﴾
١٨٢	٨١	﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾
٦٥٢	١٠١	﴿ فَسْأَلْ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ ﴾
٨٠٦	١٠٢-١٠٤	﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ ﴾

سورة طه

﴿وَلَا تَمْدَن عَيْنِيكَ﴾ ٧٧٣ ١٣١

سورة الأنبياء

﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٦٥٢ ٧

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ﴾ ٥٨٢ ٢٥

سورة الحج

﴿أَذِّنْ لِلَّذِينَ يَقُولُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ ٥١٣ ٣٩

﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ ١١٣ ٥٢

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ٧٩١ ٦٣

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا يَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ ١٦٧، ٥٥ ٧٧

سورة المؤمنون

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ ٦٢٧ ٤

سورة النور

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ ٢١٦ ١١

﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولَؤُلَ الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ ١٣٦ ٢٢

سورة الفرقان

﴿وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ﴾ ٦٨٣ ٨-٧

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ﴾ ١١٤ ٦٨

سورة الشعراء

﴿قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهُ يَنْوُحْ﴾ ٧٨١ ١١٦

﴿قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهُ يَلُوطْ﴾ ٧٨١ ١٦٧

﴿أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ءَايَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ﴾ ٤٩٢ ١٩٧

سورة النمل

﴿الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ ٦٢٨ ٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾	١٢	٨٠٤
﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مِصْرَةَ﴾	١٣	٨٠٥
﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾	٤٩	٧٢١
سورة القصص		
﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْهِ مَعَادٌ﴾	٨٥	٥٢، ٤٩
سورة العنكبوت		
﴿وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾	٤٦	١٧٧
سورة الأحزاب		
﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾	٣٥	١١٠
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾	٥٦	٢٢٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا﴾	٧٠-٧١	١٢
سورة الزمر		
﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾	٢٣	٧١٣
﴿وَفُضِّحَ فِي الصُّورِ﴾	٦٨	٧٠١
سورة غافر		
﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾	٧٣-٧٤	٥٩٤
سورة فصلت		
﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾	٧	٦٢٨
سورة الزخرف		
﴿الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾	٦٧	٨٢٧
سورة الجاثية		
﴿هَذَا كُتِبْنَا بِنُطْقٍ عَلَيْكُمْ﴾	٢٩	١١٣

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الأحقاف		
﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل﴾	١٠	٧٠٣، ٤٧٩
		٨١٠
سورة محمد		
﴿وكأين من قرية هي أشد قوة﴾	١٣	٧٧٩
سورة الفتح		
﴿لقد صدق الله رسوله الرءى بالحق﴾	٢٧	٧٦٤
سورة القمر		
﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾	٤٥	٧٦٥، ٢٢٤
﴿والساعة أدهى وأمر﴾	٤٦	١٢٣
سورة المجادلة		
﴿يوم يبعثهم الله جميعاً﴾	١٨	٥٩٤، ١٨٦
سورة الممتحنة		
﴿لا ينهكم الله عن الذين لم يقاتلوكم﴾	٨	٥١٧
سورة الجمعة		
﴿يأياها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة﴾	٩	٣٠٢
سورة المنافقون		
﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾	٨	٣٨
سورة القلم		
﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾	٩	٧٧٢
سورة القيامة		
﴿إن علينا جمعه وقرءانه﴾	١٧-١٨	١٢١
سورة الإنسان		
﴿ومن الليل فاسجد له وسبحه﴾	٢٦	١٥٤

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الأعلى		
﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾	٣-١	٧١٦
سورة البلد		
﴿وأنت حل بهذا البلد﴾	٢	٢٢٤
سورة الكوثر		
﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾	٣-١	٢١٩
سورة الكافرون		
﴿لكم دينكم ولي دين﴾	٦	١٣٨



ثالثاً : فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
أتتني امرأة تبتاع تمرأ ...	أبو اليسر	٨١٦
أتتني أمني راقبة ...	أسماء بنت أبي بكر	٥١٧
أتى رجل من بني تميم ...	أنس بن مالك	٧٤٦
أتى رسول الله ﷺ ...	ابن عباس	٧٩٦-٧٩٥
أخبرت رسول الله ﷺ بموت أبي طالب ...	علي بن أبي طالب	٥٧٨
أخذ أبي من الخمس سيفاً ...	مصعب بن سعد بن أبي وقاص	٤٣٢
أريت بني أمية على منابر الأرض ...	يعلى بن مرة	٧٥٩
أصدق الرؤيا ما كان نهراً ...	جابر بن عبد الله	٢١٥
أعطيت تسعاً ...	عائشة	٢١٩
أم القرآن هي السبع المثاني ...	أبو هريرة	٧١٤
أن أبا طالب قال لرسول الله ﷺ ...	المطلب بن أبي وداعة	٥٤٢
أن ابن مسعود سلم على رسول الله ﷺ	أبو وائل	٦٦١
أن أربد بن قيس بن جزي بن خالد بن جعفر	ابن عباس	٤٧٥
ابن كلاب، وعامر ...		
إن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ	أبو سعيد الخدري	٣٨٩
أن رجلاً أتى النبي ﷺ ...	ابن مسعود	٨١٧، ١٤٩
أن رجلاً أصاب من امرأة قبله ...	ابن مسعود	٨١٤

الراوي	الصفحة	طرف الحديث
صفوان المرادي	٨٠١	أن رجلين من أهل الكتاب ...
عبد الله بن عمر	٥٢٨	أن رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح ...
أسامة بن زيد	٥١٠	أن رسول الله ﷺ ركب على حمار ...
عمر بن الخطاب	٢١٤	أن رسول الله ﷺ كان يسير ...
عمر بن الخطاب	١٢٤	أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره
أبو هريرة	٨٣٢	أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة ...
أنس بن مالك	٣٨٩	أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته ...
أبو سعيد الخدري	٤٠٩	أن رسول الله ﷺ يوم حنين ...
ابن عباس	٧٦٨	أن شعباً قال للنبي ﷺ ...
سهل بن سعد	١٠٨	أن عويمراً أتى عاصم بن عدي ...
ابن عباس	٥٥٥	إن المشركين كانوا يطوفون بالبيت ...
عدي بن حاتم	١٧٦	إن المغضوب عليهم اليهود ...
أبو هريرة	٢٣٠	أن النبي ﷺ أرسل علياً ...
ابن عباس	٢٢٢	أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء ...
أبو أمامة	٧٥١	أن النبي ﷺ قال لعائشة ...
البراء بن عازب	٣٧٧	إن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة ...
أنس بن مالك	٦٦٨	إن نبي الله ﷺ ...
ابن عباس	١٠٨	أن هلال بن أمية قذف امرأته ...
عبد الرحمن بن غنم	٧٧٧	أن اليهود أتوا رسول الله ﷺ ...
أبو أمامة	٤٨	أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة ...
عبد الله بن عمرو	٤١٤	أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة ...

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
أنزلت عليّ سورة الأنعام ...	أبي بن كعب	٢٩١
أنه خرج وابن خالته ...	رفاعة بن رافع	٣٣٦-٣٣٥
أنه رأى مروان بن الحكم ...	سهل بن سعد الساعدي	٤٠٨
أنه سمع رسول الله إذا رفع رأسه ...	ابن عمر	٣٩٠
إني أمرت أن أقرأ عليك القرآن ...	أبي بن كعب	٦٦٨
إني لآخذة بزمام العضباء ...	أسماء بنت يزيد	٤٣٠، ٤١٣
أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ ...	البراء بن عازب	٢٢٩
بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه ...	أنس بن مالك	٤٨٧
بعثني أبو بكر ﷺ في تلك الحجة ...	أبو هريرة	٤٣٧
بينما رسول الله ﷺ بين أظهرنا ...	أنس بن مالك	٢١٩
بينما أنا مع النبي ﷺ في حرث ...	ابن مسعود	٨٤٧
بينما جبريل عليه السلام قاعداً ...	ابن عباس	٤٥٤-٤٥٣
بينما رسول الله ﷺ ...	ابن عباس	٣٤٥
بينما النبي ﷺ في غار ...	ابن مسعود	٢١٣
جاء الأقرب بن حابس التميمي	خباب بن الارت	٢٩٤-٢٩٣،
		٥٩٨-٥٩٧
جاء رجل إلى النبي ﷺ ...	ابن مسعود	٨١٦
جاءت اليهود إلى النبي ﷺ ...	ابن عباس	٦١٩
خاصم الزبير رجلاً ...	عروة بن الزبير	٤٠٧
خرج أمية بن خلف وأبو جهل بن هشام ...	ابن عباس	٦٧٩
خرج رسول الله ﷺ ينظر ...	ابن مسعود	٥٧١

٧٩٤	ابن مسعود	دخل النبي ﷺ مكة ...
٤٠٨	زيد بن ثابت	رجع ناس من أصحاب النبي ﷺ ...
١٠٢	زيد بن ثابت	رجع ناس من أصحاب النبي ﷺ من أحد ...
٣٦٥	ابن عباس	سأل أهل مكة النبي ﷺ ...
٤١٦	عائشة	سقطت قلادة بالبيداء ...
٥٧٠	علي بن أبي طالب	سمعت رجلاً يستغفر لأبويه ...
٤١٥	ابن مسعود	شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً ...
٣٢٦	ابن عباس	شيتني هود ...
٥٤٣	ابن عباس	فأتي جبريل النبي ﷺ ...
٢١٤	كعب بن مالك	فأنزل الله توبتنا على نبيه ﷺ ...
٤٨٩	مسور بن مخرمة	فجاء سهيل بن عمرو فقال ...
٦٩٠	سعد بن أبي وقاص	فنزل القرآن على رسول الله ﷺ ...
٢١٦	عائشة	فو الله ما رام رسول الله ﷺ ...
٥٩٠	ابن عباس	قالت قريش ليهود ...
٨٤٨ ٦٥٣		
٤٩٤	عبد الله بن عمر	قرأ رسول الله ﷺ ...
٣٦٢	أنس بن مالك	كان أبو ذر يحدث ...
٣٨٨	أنس بن مالك	كان أبو طلحة أكثر أنصاري ...
٣٧٨-٣٧٧	البراء بن عازب	كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً
٥٣٥	أبو هريرة	كان رسول الله ﷺ إذا نزل منزلاً ...
٥٣٤	ابن عباس	كان رسول الله ﷺ يحرس ...

الراوي	الصفحة	طرف الحديث
ابن عباس	٧٣٨	كان رسول الله ﷺ يعلم قيناً بمكة ...
ابن عباس	٧٨٧	كان النبي ﷺ بمكة ...
أبو هريرة	٢٤٤	كان يعرض على النبي ﷺ القرآن ...
ابن عباس	٣١٣	كانت المرأة تطوف ...
زيد بن ثابت	٥٠٣	كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن ...
أبو سلمة	٥٣٦	كنا مع رسول الله ﷺ بذات الرقاع ...
سعد بن أبي وقاص	٥٩٨	كنا مع النبي ﷺ ستة نفر ...
ابن مسعود	٦٦٢	كنا نسلم على رسول الله ﷺ وهو في الصلاة ...
أنس بن مالك	٤٢٣	كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة ...
عثمان بن أبي العاص	٥٠٣	كنت عند رسول الله ﷺ جالساً ...
أوس بن حذيفة	٢٣٨	كنت في الوفد الذين أتوا رسول الله ﷺ ...
ابن مسعود	٨٤٧	كنت مع النبي ﷺ ...
عبد الله بن عمرو	٢٤٣	كيف تصوم ؟ ...
عبادة بن الصامت	٤٥٠	لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب
عائشة	٦٥٨	لا نذر في معصية الله ...
عمر بن الخطاب	١٠٣	لما اعتزل نبي الله ﷺ نساءه ...
علي بن أبي طالب	٦٤٤-٦٤٥	لما أمر الله نبيه ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب ...
أبو مسعود الأنصاري	٤٤٢	لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل ...
ابن عباس	٧٣٩-٧٤٠	لما انصرف المشركون عن قتلى أحد ...
ابن عمر	٤٤٣	لما توفي عبد الله بن أبيّ جاء ابنه ...

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
لما حضرت أبا طالب الوفاة ...	المسيب بن حزب	٥٧٠
لما كان يوم أحد ...	أبي بن كعب	٨٣١
لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ ...	حكيم بن حزام	٤٣٣
لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ ...	عمر بن الخطاب	٤٣٣
إلى المشركين ...		
لما نزلت : ﴿وَأَنذِرْ قَوْمَكَ يَا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ ...	أبو سعيد الخدري	٧٤٥
لما نزلت : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ...	الزبير بن العوام	٤٧٣-٤٧٢
صاح رسول الله ﷺ ...		
لما نزلت : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ...	ابن عباس	٦٤٣
لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة ...	عائشة	٣٧٩
ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ...	عمر بن الخطاب	٥٠٢، ٢١٦
مر بي النبي ﷺ ...	أبو سعيد الملقى	٧١٤
مر على النبي ﷺ يهودي مُحَمَّمًا ...	البراء بن عازب	٤٢٣-٤٢٤
مُلئ عمار إيماناً ...	علي بن أبي طالب	٨٢٦
نزلت سورة الأنعام ومعها موكب ...	أنس بن مالك	٢٩١
نزلت عليّ سورة الأنعام ...	ابن عمر	٢٩١
يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة	عروة بن الزبير	٢١٨

رابعاً : فهرس الآثار ^(١)

طرف الاثر	القائل	الصفحة
آخر آية نزلت ...	ابن عباس	٣٧٤
آخر آية نزلت : ﴿لقد جاءكم﴾ الآية ...	أبي بن كعب	٥٨٣
آخر آية نزلت على النبي ﷺ ...	ابن عباس	٥٢١
آخر آية نزلت : ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلمة﴾ ..	البراء بن عازب	٤٣٧، ٤٠٤
آخر سورة أنزلت ...	عبد الله بن عمرو	٤١٩
آخر سورة نزلت ...	البراء بن عازب	٤٠٤
آخر شيء نزل من القرآن ...	ابن عباس	٥٢١
أسلم مع النبي ﷺ ...	ابن عباس	٥٦٢
أقرأت القرآن ؟ قال : نعم ...	علي بن الحسين	٧٤٦
إن إبليس حين أنزلت فاتحة الكتاب ...	أبو هريرة	١٨٨
أن آخر سورة نزلت ...	ابن عباس	٤١٩
أن آخر سورة نزلت ...	البراء بن عازب	٤١٩
إن آخر القرآن عهداً ...	أبي بن كعب	١٢٣
إن أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء ...	طاووس بن كيسان	٦٣٤

(١) رمز (هـ) بعد رقم الصفحة إشارة إلى الهامش

طرف الآخر	القائل	الصفحة
إن بني إسرائيل والكهف ...	ابن مسعود	٣٦٢، ٢٣٨، ١٢٢
أن رسول الله ﷺ قال لعثمان بن طلحة ...	الزهري	٥٢٩
أن سبع قوافل وافت من بصرى ...	الحسين بن الفضل	٧١٧
أن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعراً ..	كعب بن مالك	٥١٠
إن لهم في ذلك لحقاً ...	الحسن البصري	٧٤٤
إن النصارى أتوا النبي ﷺ ...	الربيع بن أنس	٣٩٢-٣٩١
إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه ...	ابن عباس	٧٢٣
أنزل بالمدينة سورة براءة	عبد الله بن الزبير	٤٤٠
أنزل بالمدينة سورة البقرة	عبد الله بن الزبير	٣٧٤
أنزل بالمدينة سورة البقرة	عبد الله بن الزبير	١٨٨
أنزل بمكة الأعراف	عبد الله بن الزبير	٣١١
أنزلت : ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ ...	ابن عمر	٧٢٦
أنزلت سورة الأنعام ...	أسماء بنت يزيد	٢٩٢
أنزلت سورة يوسف ...	عبد الله بن الزبير	٣٣٧
أنزلت سورة يونس ...	عبد الله بن الزبير	٣٢٠
إنما نزل أول ما نزل سورة من المفصل	عائشة	١٣٩، ١٢٣
أنه سمع ابن عباس يقرأ ...	محمد بن عباد بن جعفر	٣٢٩
أنه كان لهم عبدان ...	عبد الله بن مسلم الحضرمي	٧٣٦-١٣٧
أنهم جمعوا في مصاحف ...	أبي بن كعب	٥٨٢
إنني عند عائشة أم المؤمنين	يوسف بن ماهك	٣٧٣
إنني لأعلم حيث أنزلت ...	عمر بن الخطاب	٥٩

طرف الآخر	القائل	الصفحة
أوتي رسول الله ﷺ سبعاً ...	ابن عباس	٧١٣
أول سورة نزلت ...	عكرمة	٣٧٥
أول سورة نزلت بالمدينة ...	عكرمة	١٨٨
بنو المغيرة وبنو أمية ...	علي بن أبي طالب	٦٩٧
التوراة والإنجيل الذين أدركوا محمداً ﷺ	ابن عباس	٦٧٣
جاء رجل من اليهود ...	سعيد بن جبير	٦٠٢
جاء ناس من يهود ...	محمد بن كعب القرظي	٦٠٣
جاء يهودي إلى النبي ﷺ ...	مجاهد	٤٧٨
حسبك وحسب من اتبعك ...	الشعبي	٥٦٧
خاصمهم المشركون فقالوا ...	ابن عباس	٦٢٢
دخلت على عائشة فقالت لي ...	جبير بن نفير	٤١٩
زعم أهل المدينة ...	ابن جريج	٥٨٩
سألت سعيد بن جبير عن قول الله : ﴿ومن	أبو بشر جعفر بن إياس	٤٩٠
عنده علم الكذب﴾ أهو عبد الله بن سلام ؟		
سألت عبيدة عن شيء من القرآن ...	ابن سيرين	١٠٤
سلوني ، فوالله لا تسألوني عن شيء ...	علي بن أبي طالب	٦٠
سمعت ربيعة يسأل ...	سليمان بن بلال	٣٨٧، ٣٧٦
السور المدنية : البقرة ...	قتادة	٢٦٢
السور المدنية : البقرة ...	قتادة	٣٧٥
سورة إبراهيم مكية ...	ابن عباس	٣٤٢
سورة الأعراف نزلت بمكة	ابن عباس	٣١١

طرف الآخر	القائل	الصفحة
سورة الأنعام نزلت بمكة	ابن عباس	٢٦٦
سورة الأنعام نزلت بمكة ...	ابن عباس	٦٤٠
سورة الأنعام نزلت بمكة ...	ابن عباس	١٨٩
سورة التوبة مدنية في قولهم جميعاً	ابن عباس	٤٤٠
سورة الرعد مدنية إلا آية مكية	قتادة	٤٨٣
سورة الرعد نزلت بمكة ...	ابن عباس	٤٧١
فلما خلا ناداه يا محمد ...	أبو ميسرة	٤٥٢
فهو جبلة بن الأيهم ...	ابن عباس	٦٩٩
في سورة النحل ﴿من كهر بالله﴾ ثم نسخ	عكرمة ،	٨٢١
واستثنى ...	والحسن البصري	
قلت لابن عباس : سورة الأنفال ...	سعيد بن جبير	٤٢٨
قلت لابن عباس : سورة التوبة ...	سعيد بن جبير	٤٣٩
قلت لعثمان : ما حملكم على أن عمدتم ...	ابن عباس	٤٢٨-٤٢٩
قلت لعثمان بن عفان ...	عبد الله بن الزبير	٥٠٢
قتل النبي ﷺ يوم بدر صبراً ...	سعيد بن المسيب	٥٤٨
كان أهل الجاهلية ...	طاوس بن كيسان	٦٣٤
كان ناس من الأنصار ...	ابن عباس	٥١٦-٥١٧
كان ناس من أهل مكة أسلموا ...	ابن عباس	٨٢٠
كان النبي ﷺ بمكة ...	ابن أبي	٥٥٤
كانت امرأة حسناء ...	ابن عباس	٧٠٧
كانت عكاظ ومجنة وذو الحجاز أسواقاً ...	ابن عباس	٣٧٨

٧٢٦	جابر بن عبد الله	كانت اليهود تقول ...
٥١٦	ابن عباس	كانوا يكرهون أن يرضخوا ...
٥٢٤	علقمة	كل شيء من القرآن ...
٥٣	ابن مسعود	كل شيء نزل يا أيها الناس فهو بمكة ...
١٤٨	محمد بن سيرين	لا مانع أن تكون السورة مكية ...
١٣٧، ١٥	الشافعي	لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله ...
٥٢٠	عائشة وابن عباس	لبث النبي ﷺ بمكة ...
٤٨٠-٤٧٩	محمد بن يوسف	لما أريد عثمان جاء عبد الله بن سلام ...
٥٦١	ابن عباس	لما أسلم عمر قال المشركون ...
٤٤٩	رجل من بني سلمة	لما أسلم فتیان بني سلمة ...
٥٥٨	الزهري ، ومحمد بن يحيى ، وعاصم بن عمر ، والحسين بن عبد الرحمن ، وعمرو ابن سعد	لما أصابت المسلمون يوم بدر ...
٣١٨	ابن عباس	لما بعث الله محمداً ﷺ رسولاً ...
٥٢	الضحاك	لما خرج النبي ﷺ من مكة ...
٤٣٨	سعيد بن المسيب	لما قفل النبي ﷺ زمان حنين ...
٧٠٢	عمر بن الخطاب	لما نزلت : ﴿ سيهزم الجمع ﴾ جعلت ...
٢٢٥	عمر بن الخطاب	لما نزلت : ﴿ سيهزم الجمع ﴾ ...
٤٣٢	ابن عباس	لما نزلت : ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ﴾ شق ذلك على المسلمين ...
٦٢٣	ابن عباس	لما نزلت هذه الآية : ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله ﴾

		عليه ﷺ ...
٧٧٩	مجاهد	لو أخرجت قريش محمداً ...
٣٣	معمر بن راشد	لو عرض الكتاب مائة مرة ...
٦٢١	ابن عباس	ما ذبح الله فلا تأكلوه ...
٥١	يحيى بن سلام	ما نزل بمكة وما نزل بطريق المدينة
٣٧٤	ابن عباس	ما نزل من القرآن بمكة ...
٤٢١	قتادة	المائدة مدنية
٢٧٤	قتادة	المدني : البقرة ...
٤٤١	قتادة	مما نزل في المدينة براءة
١١٤	سعيد بن جبير	ألن قتل مؤمناً متعمداً من توبة ؟ ...
٣٧٥	قتادة	نزل بالمدينة من القرآن ...
٢٦٤	قتادة	نزل بالمدينة من القرآن : البقرة ...
٤٠٥	قتادة	نزل بالمدينة النساء
١٦٤	ابن مسعود	نزل المفصل بمكة ...
٧٢٩	داود بن أبي هند	نزلت : والذين هاجروا في الله ﷺ ...
٤٣٠	زيد بن ثابت	نزلت الأنفال بالمدينة
١٨٩	زيد بن ثابت	نزلت الأنفال بالمدينة
٤٣٠	عبد الله بن الزبير	نزلت بالمدينة سورة الأنفال
١٨٩	عبد الله بن الزبير	نزلت بالمدينة سورة الأنفال
٣٧٥	علي بن أبي طلحة	نزلت بالمدينة سورة البقرة
٣٧٤	ابن عباس	نزلت بالمدينة سورة البقرة
١٨٨	ابن عباس	نزلت بالمدينة سورة البقرة

٢٥٥	علي بن أبي طلحة	نزلت بالمدينة سورة البقرة ...
٤٤٠	ابن عباس	نزلت براءة بعد فتح مكة
٤٧٥	عبد الله بن الزبير	نزلت الرعد بالمدينة
٣٤٢	ابن عباس	نزلت سورة إبراهيم ...
٣٤٣	عبد الله بن الزبير	نزلت سورة إبراهيم ...
٦٣٩	شهر بن حوشب	نزلت سورة الأنعام ...
٦٤٠	ابن عباس	نزلت سورة الأنعام بمكة ...
٢٩٠	ابن عباس	نزلت سورة الأنعام بمكة ...
١٢٢	ابن عباس	نزلت سورة الأنعام بمكة ...
٦١٢	أبو جحيفة	نزلت سورة الأنعام جميعاً ...
١٨٩	أبو جحيفة	نزلت سورة الأنعام جميعاً ...
٤٣٠	ابن عباس	نزلت سورة الأنفال بالمدينة
١٨٩	ابن عباس	نزلت سورة الأنفال بالمدينة
٣٦٣	ابن عباس	نزلت سورة بني إسرائيل ...
٣٤٩	ابن عباس	نزلت سورة الحجر ...
٤٧٥	ابن عباس	نزلت سورة الرعد بالمدينة
٣٥٦	عبد الله بن الزبير	نزلت سورة النحل ...
٣٥٦	ابن عباس	نزلت سورة النحل ...
٨٣٥	ابن عباس	نزلت سورة النحل ...
٤٠٤	زيد بن ثابت	نزلت سورة النساء بالمدينة
٤٠٤	عبد الله بن الزبير	نزلت سورة النساء بالمدينة

الصفحة	القائل	طرف الاثر
٣٢٧	ابن عباس	نزلت سورة هود ...
٣٣٧	ابن عباس	نزلت سورة يوسف ...
٣٢٠	ابن عباس	نزلت سورة يونس ...
١٨٨	علي بن أبي طالب	نزلت فاتحة بمكة ...
٤٥٣	أبو هريرة	نزلت فاتحة الكتاب ...
٤٥١	علي بن أبي طالب	نزلت فاتحة الكتاب ...
٦٥٧	ابن عباس	نزلت في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله ﷺ
٦١	عكرمة	نزلت في سفح ذلك الجبل
٥٢٧	ابن جريج	نزلت في عثمان بن طلحة ...
٣٤٥	البراء بن عازب	نزلت في عذاب القبر ...
٦١٢، ٢٩٥	عكرمة	نزلت في مسيلمة ...
٦٥٦	الزهري	نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار ...
٣٦٥	ابن عباس	نزلت ورسول الله ﷺ ...
٢٥٣	الزهري	هذا كتاب تنزيل القرآن ...
٤٧٨	مجاهد	هذا لما كاتب رسول الله ﷺ قريشاً ...
٥٤١	عكرمة	هذه مكية
٥٤١	مجاهد	هذه مكية
٦١٧	ابن عباس	هم أهل الشقاء ...
٧٢٢	ابن عباس	هم أهل الكتاب جزأوه أجزاء
٧٢٨	ابن عباس	هم قوم هاجروا إلى رسول الله ﷺ ...
٣٤٢	ابن عباس	هم كفار أهل مكة

٦٠٦	ابن عباس	هم الكفار الذين لم يؤمنوا... ابن عباس
٦٩٧	على بن أبي طالب	هم كفار قريش ...
٧٠٠	ابن عباس	هم كفار مكة
٨٠٩	مجاهد	هم ناس من أهل الكتاب ...
٦٧٤	عبد الرحمن بن زيد	هو عبد الله بن سلام ...
٧٥٨	ابن عباس	هي عين أريها رسول الله ﷺ ...
٥٩٠، ١٥٠-١٤٦	ابن مسعود	والله الذي لا إله غيره ...
٣٥٦	ابن عباس	وسورة النحل نزلت ...
٨٣٣	ابن عباس	وسورة النحل نزلت بمكة ...
٧٧٨	قتادة	وقد هم قوم بإخراج النبي ﷺ
٤٣٠	ابن عباس	ونزلت الأنفال بالمدينة ...
٧٨٦	الضحاك	يعني مكة دخل فيها آمناً ...
٧٥٧	ابن عباس	يقال : إن رسول الله ﷺ أري أنه دخل مكة ..

خامساً : فهرس الكلمات الغريبة

<u>الكلمة</u>	<u>الصفحة</u>	<u>الكلمة</u>	<u>الصفحة</u>
أحرز	٧٦٨	عير اليمن	٧٣٦
الإذخر	٧٤٠	الفضيخ	٤٢٣
الاصطلام	٧٣٩	القين	٧٣٨
الأعنة	٤٧٥	قَرَحَة	٤٧٦
الأفن	٥٢٥	اللكز	٤١٦
البزّ	٧١٧	ما رابكم	٨٤٧
تدق	٤١٣	المدر	٤٧٥
تلادي	١٢٣	مُحَمَّمًا	٤٢٤
الجدع	٧٤٠	نزرت	١٢٤
الجَدْر	٤٠٧	نشبت	١٢٤
الحصباء	٤٣٣	الوبر	٤٧٥
الرضخ	٥١٦	وَتَرَكم	٥٥٩
رَنَّ	١٨٨	يزدرعوا	٣٦٥
الشريح	٤٠٧	ينكتون	١٠٣
العضباء	٤١٣		

سادساً : فهرس الأعلام المترجم لهم في الحاشية

الصفحة	اسم العلم
٤٧	إبراهيم بن عمر البقاعي
٨٠	إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أبي شريف
٦٢٥	إبراهيم بن محمد الزجاج النحوي
٨٧	إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي
١٥٨	إبراهيم بن نجيم
٦٧٧	أبو الأعلى المودودي
١٤٣	أبو بكر بن أبي القاسم بن أحمد الأهدل
٧٢٩	أبو جندل بن سهيل بن عمرو
٤٦٣	أبو الحسين بن أبي بكر بن أبي الحسين الكندي
٨٥٣	أحمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني
٧٦٢	أحمد بن حسين بن حسن = أبو الطيب المتنبي
٦٤	أحمد بن الحسين بن علي = أبو بكر البيهقي
١٠٠	أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية
٥٣٩	أحمد بن عبد الرحيم العمري = ولي الله الدهلوي
٦١	أحمد بن عبد الله الأصبهاني = أبو نعيم
١٣٧	أحمد بن علي بن ثابت = الخطيب البغدادي
٤٢	أحمد بن علي بن كناني العسقلاني
٤٨١	أحمد بن عمار بن أبي العباس = المهدي

٥٣	أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار
١٢٠	أحمد بن فارس بن زكريا
٤٥٥	أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي
٤٢	أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس
٢٥٩	أحمد بن محمد بن سلامة = أبو جعفر الطحاوي
٦٨	أحمد بن محمد بن عبيد الله بن عياش
٦١٠	أحمد بن محمد بن عمر = شهاب الدين الخفاجي
٤٥١	أحمد بن محمد بن عيسى أبو العباس الإقليشي
٢٩١	أحمد بن موسى بن مردويه
٤٥٩	أحمد بن يوسف بن رافع الكواشي
٢٣٥	أحمد بن يوسف بن محمد = السمين الحلبي
٤٦	إسماعيل بن عمر بن كثير
٤٨٣	إسماعيل بن محمد بن الفضل = أبو القاسم الأصبهاني
٢٩٣	الأقرع بن حابس بن عقال
١٤٥	أيوب بن موسى الكفوي أبو البقاء
٦٢٦	ثابت بن قيس بن شماش
٧٩	جابر بن زيد الأزدي
٦٢٠	جعفر بن إياس بن أبي وحشية
٨٤	الحارث بن اسد المحاسبي
٦٤	الحسن بن أبي الحسن البصري
٣٩	الحسن بن محمد بن حبيب أبو القاسم النيسابوري

٥٣٢	الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري
٢٣٨	الحسين بن عبد الله بن محمد = الطيبي
٤٦٢	الحسين بن الفضل بن عمير
٢٢٤	الحسين بن مسعود البغوي
٢٦١	حميد بن مخلد بن قتيبة بن زنجويه
١٧٣	حنان لحام
٢٦٠	الخليل بن عبد الله بن أحمد = أبو يعلى الخليلي
٦٦٠	ربيعة بن أبي عبد الرحمن = ربيعة الرأي
٣٣٥	رفاعة بن رافع
٤٤٨	رفيع بن مهران الرياحي = أبو العالية
٢٤٦	ريجى بلاشير
٢٣٤	زياد بن معاوية = النابغة الذبياني
٥٥٤	سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى
٢٥٦	سعيد بن عمرو بن عمار البرذعي
٦٢٦	سفيان بن سعيد الثوري
٦٤٨	سليم بن أيوب الرازي
٤٨	سليمان بن أحمد الطبراني
٨٠١	سليمان بن داود بن الجارود = أبو داود الطيالسي
١٩٨	سيد قطب بن إبراهيم الشاذلي
٧٤	سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم
٤٩	الضحاك بن مزاحم الهلالي

٧٢	طاش كبرى زاده
١٧٣	عائشة بنت الشاطئ
٥٣١	عامر بن شراحيل الشعبي الهمداني
٦٣٤	عبد بن حميد بن نصر الكشي
٦٧٧	عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار = القاضي عبد الجبار
٤٦	عبد الحق بن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية الأندلسي
٤٧	عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي
١٢٤	عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي
٥٣١	عبد الرحمن بن أحمد بن عسكر = أبو سليمان الدمشقي
٧٥٨	عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم = أبو شامة المقدسي
٨٥	عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي
٢١٨	عبد الرحمن بن عمر بن رسلان = جلال الدين البلقيني
٧٠٣	عبد الرحمن بن محمد الأخضر
٤٩	عبد الرحمن بن محمد بن إدريس = ابن أبي حاتم الرازي
٦٩	عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة = أبو زرعة المقيري
٢٧٩	عبد الرحمن بن محمد بن عفيف الهروي
٦١٥	عبد الرحمن بن محمد مخلوف الثعالبي
٨٥٤	عبد الرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي
٥٩	عبد الرزاق بن همام الصنعاني
٧٧	عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الديري
٤٣	عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الرمزمي

٢٢٠	عبد الكريم بن أبي الفضل محمد الرافعي
٣٧	عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني
٢٩٥	عبد الله بن سعد بن أبي سرح
٢٥٦	عبد الله بن عبد الكريم بن يزيد = أبو زرعة الرازي
٢٥٧	عبد الله بن عدي بن عبد الله الجرجاني
٤٥٩	عبد الله بن عمر بن محمد = ناصر البضاوي
٦٩٧	عبد الله بن الكواء
٨٤	عبد الله بن محمد بن أبي شيبه
٢٩١	عبد الله بن محمد بن جعفر = أبو الشيخ الأصبهاني
٥٠	عبد الله بن محمد بن عبد الله النكراوي
٥٥١	عبد الله بن يوسف بن أحمد = ابن هشام النحوي
٨٠٥	عبد الله بن يوسف الزيلعي
٦٣٥	عبد الملك بن الإمام عبد الله بن يوسف = أبو المعالي الجويني
٢٢٥	عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الغرناطي = ابن الفرس
٨٦	عبد الواحد بن حسين بن أحمد بن شيطا
٥١	عثمان بن سعيد بن عثمان = أبو عمرو الداني
٥٢٦	عثمان بن طلحة بن أبي طلحة
١١٣	عثمان بن عمر بن أبي بكر = ابن الحاجب
٢٩٨	عثمان بن المفي = أبو عمرو بن الصلاح
٦٤	عكرمة أبو عبد الله القرشي البربري
٤٠٣	علقمة بن قيس بن عبد الله

٨٩	علي بن أبي بكر الهيثمي
٦٣٣	علي بن أحمد بن حسن = أبو الحسن الحرالي
١٠٤	علي بن أحمد بن محمد بن متويه = أبو الحسن الواحدي
٦٥	علي بن حسن بن فضال الكوفي
٦٩٥	علي بن الحسين بن عبد الله = الغزنوي
٧٤٤	علي بن الحسين زين العابدين
١٦١	علي بن سعيد العُماني
٦٥٨	علي بن عبد الله بن جعفر المديني
٧٣٩	علي بن عمر بن أحمد الدارقطني
٥٣١	علي بن محمد بن إبراهيم = علاء الدين الخازن
١٢٨	علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي
٨٢	علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي
٢٩٦	علي بن محمد بن عبد الكريم = ابن الأثير
١٠٥	علي بن محمد الخزرجي أبو الحسن بن حصار
٣٧١	عمر بن محمد بن أحمد = النجم النسفي
٦٨	عمر بن محمد بن عبد الكافي
٤٤٨	عمرو بن شرحبيل الهمداني = أبو ميسرة
٨١٦	عمرو بن غزية الأنصاري
٢٩٣	عينة بن حصن بن حذيفة الفزاري
٢٣٣	غياث بن غوث = الأخطل
٧٠	الفضل بن الحسن الطبرسي

٨٤	القاسم بن سلام = أبو عبيد
٢٧٢	القاسم بن فيره بن خلف الرعيبي الشاطبي
٨١٥	كعب بن عمرو = أبو اليسر
٨١	محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري
٦٠٨	محمد بن أبي بكر بن أيوب = ابن القيم
٧٢	محمد بن أحمد بن سعيد = ابن عقيلة المكي
٧٨	محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
٢٧٥	محمد بن أحمد بن محمد = أبو البركات بن الكيال
١٥٠	محمد بن أحمد بن محمد أبو القاسم بن جزي الكلبي
٧٦	محمد بن أحمد بن محمد شعلة الموصللي
٨٠	محمد بن أحمد العوفي
١٢٦	محمد بن أحمد القرطبي
٥٢	محمد بن إدريس بن المنذر = أبو حاتم الرازي
٦٢٩	محمد بن إسحاق بن خزيمة
٨٤	محمد بن إسحاق النديم
٧٧٢	محمد بن إسماعيل القفال الشاشي
٦٦	محمد بن أيوب بن الضريس البجلي
٧٨	محمد بن أيوب بن عبد القاهر التاذفي
٦٠٢	محمد بن الحسن بن محمد = أبو بكر النقاش
٢٨٣	محمد بن الحسين بن أحمد = أبو الفتح الأزدي
١٠٥	محمد رشيد رضا

٣٩٣	محمد بن سعد = ابن سعد
١٩٢	محمد جمال الدين بن سعيد القاسمي
٢٣٥	محمد بن سليمان بن سعد = محيي الدين الكافيجي
٧٦	محمد بن شريح بن أحمد الرعيبي
٤٦٨	محمد صديق حسن خان القنوجي
٤١	محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر الباقلائي
١٥٦	محمد الطاهر بن عاشور
٤٦٠	محمد بن عبد الدائم بن محمد بن سلامة = ابن بنت الميلىق
٣٢٩	محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي
٩٢	محمد بن عبد العظيم الزرقاني
٣٧٦	محمد بن عبد الله = أبو بكر بن أشته
١١٧	محمد بن عبد الله الأندلسي = ابن العربي
٢٤٨	محمد عبد الله دراز
٣٧	محمد بن عبد الله بن مالك الطائي
٤٧	محمد بن عبد الله الزركشي
٣٨	محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري
٥١٤	محمد عبده بن حسن خير الله
٢٤٧	محمد عزة دروزة
٣١٨	محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني
١١١	محمد بن علي بن وهب = ابن دقيق العيد
١٣٥	محمد بن عمر بن الحسين الرازي

١٣١	محمد الغزالي
٨١	محمد بن القاسم بن بشار = ابن الأنباري
١٧٣	محمد قطب
١٦٣	محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي
٦٤٦	محمد بن محمد بن مصطفى العمادي = أبو السعود
٧٦١	محمد بن مكرم بن منظور
٣٥٣	محمد بن يعقوب بن يوسف = أبو العباس الأصم
٨٩	محمد بن يعقوب الفيروزآبادي
٣٤١	محمد بن يوسف بن علي = أبو حيان الأندلسي
٣١٧	محمود بن أحمد بن موسى = أبو البقاء العيني
٢٣٧	محمود بن حمزة الكرمانى
١٧٠	محمود شلتوت
٢٩٩	محمود بن عبد الله بن محمود = الآلوسي
١٥٣	محمود بن عمر بن محمد الزمخشري
١٤٤	مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني
٢٩٥	مسيلمة بن ثمامة بن كثير = الكذاب
١٣٨	مصطفى زيد
٥٠٩	معمر بن المثنى التيمي البصري = أبو عبيدة
٧٢	مكي بن أبي طالب
٦١	مناع القطان
٤٦٤	منصور بن محمد بن عبد الجبار = أبو المظفر السمعاني
٦٦٠	موسى بن عقبة بن عباس

٨١٥	نبهان التمار
٤٥٧	نصر بن محمد بن إبراهيم = أبو الليث السمرقندي
٦٥٨	يحيى بن سعيد بن فروخ القطان
٥١	يحيى بن سلام بن تغلب البصري
١٠٩	يحيى بن شرف النووي
٩١	يحيى بن المعطي بن عبد النور
١١٨	يزيد بن رومان
٣٩٣	يعقوب بن إبراهيم = القاضي أبو يوسف
٢٢٦	يوسف بن عبد الله بن محمد = أبو عمر بن عبد البر
١٦٣	يوسف بن علي بن جُبارة الهذلي

سابعاً : فهرس الأماكن والبلدان والقبائل

الصفحة	المكان او القبيلة	الصفحة	المكان او القبيلة
٥٤٧	الحيرة	٤٧٢	أبو قيس
٧٨٣	ذو الحليفة	٤٤	أحد
٤٧٦	الرقم	٧١٧	أذرعات
٨٠٥	زيلع	٤٠٩	أوطاس
٤٤	سلع	٤٤	بدر
٤٠	الطائف	٢٢٢	البطحاء
٤٤	عرفات	٤٠	بيت المقدس
٣٣٦	العقيق	٢١٢	البيداء
٧٣٧	عين التمر	٣٨٨	بيرحاء
٧٤٥	فدك	٧١٧	بُصرى
٤٤	منى	٤٥	تبوك
٢٠١	المُريسيع	٤٠	الجحفة
٣٩٠	نجران	٤٠	الحديبية
		٤٧٦	حرة واقم
٥٣٨	بنو النضير	٥٣٨	بنو قريظة
٧٦٨	ثقيف	٤٥	بنو المصطلق

ثامناً : فهرس الأبيات الشعرية

صدر البيت	القافية	القائل	الصفحة
والدعاوي ما لم تقيموا عليها أدعياء	جار مجرى الأمثال	٨٢٥
وعلم تفسير الكتاب أعلى وأجلى	العز الديري	١٤
لأنه فهم الخطاب المولى وأولى	العز الديري	١٤
وما نزلت كلاً بيثرب فاعلمن الأعلى	العز الديري	١٦١،٧٧
ومن رد عجز اللفظ على جلا	الأخضري	٥٨٤
وقل لفظه الله أكبر وقيله فهلاً	الشاطي	٢٧٢
وقيل بهذا عن أبي الفتح فارس تلا	الشاطي	٢٧٢
وليعط حكم الرفع في الصواب	... صحابي	السيوطي	٨٢٤
وهكذا تفسير من قد صحبا أبى	السيوطي	٨٢٤
واجزم بإدخال ذوات السبب تصب	صاحب المراقي	٥٢٩
ألم تر أن الله أعطاك سورة يتذبذب	النابعة الديباني	٢٣٤
واللفظ محمول على الشرعي العرفي	صاحب المراقي	٧٤
فاللغوي على الجلي ولم يجب انتخب	صاحب المراقي	٧٥
وعود خافض لدى عطف على جعلاً	ابن مالك	٥٦٥
وليس عندي لازماً إذ قد أتى مثبتاً	ابن مالك	٥٦٥
وهو بسبق حائر تفضيلاً الجميلاً	ابن مالك	٩١
ومثله مما حواه احذف وتا لا تثبتاً	ابن مالك	٣٧
وكل ذا محرم وقادح	... قد يسامح	السيوطي	٦٥٩

صدر البيت	القافية	القائل	الصفحة
وإنما تضبط بالقواعد الفوائد	أبو بكر الأهدل	١٤٣
ومن خلاف المقتضى صرف المراد أراد	الأخضري	٦٧٦
وليس كل خلاف جاء معتبراً	... من النظر	ابن الحصار	٢٥
وتاء تأنيث تلي الماضي إذا الأذى	ابن مالك	٥٥٨
وإنما تلزم فعل مضمر	... ذات حر	ابن مالك	٥٥٨
وشارب مريح بالكأس نادمني بسأار	الأخطل	٢٣٣
وناقل ومثبت والامر الآخر	صاحب المراقي	٣٠٢
والكل واجب وقيل لا يضر كثر	صاحب المراقي	٣١٠
وكثرة الدليل والرواية الدراية	صاحب المراقي	٧١٤
وقوله فالفعل فالتقرير الكثير	صاحب المراقي	٧١٤
فالرعد مختلف فيها متى نزلت كالقمر	ابن الحصار	٤٨٤
مضى الليل الذي لك لا يمضي	... من الغمض	المتنبى	٧٦٢
وجود جامع به متمماً شرط	صاحب المراقي	٨٤٤
توهمت آيات لها فعرفتها سابع	النابعة الديباني	٤٩٩
تأخر البيان عن وقت العمل ما حصل	صاحب المراقي	٦٣٢
تأخيره للاحتياج واقع مانع	صاحب المراقي	٦٣٢
ونعت غير واحد إذا اختلف اختلف	ابن مالك	٧١٧
إن مبادئ كل فن عشرة الثمرة	من تحريرات العلماء	١٣٤
ونسبته وفضله والواضع الشارع	= = =	١٣٤
مسائل والبعض البعض اكتفى الشرفا	= = =	١٣٤
..... جملا	الشاطبي	٥٦٥
...			

صدر البيت	القافية	القائل	الصفحة
مكية ما قبل الهجرة نزل تسل	الزمزمي	٤٣
أم القرآن بالمدينة نزلت ما ثبت	التاذفي	٧٩
وقيل قد تكرر النزول الرسول	التاذفي	٧٩
خرجنا من النقيين لا حي مثلنا المطافلا		٤٩٩
وفعلَى في فعيلة التزم حتم	ابن مالك	٣٨
والسفري كآية التيمم فاعلم	الزمزمي	٤١٧
والالتفات وهو الانتقال من قمن	الأخضري	٦١٠
والجمع واجب متى أمكنا بينا	صاحب المراقي	٨٤١،٥٧٧
وصيغة الماضي لآت أوردوا وأنشدوا	الأخضري	٧٠٣
فكير للرؤيا وهشّ فؤاده يلومها	راع من العرب	٧٦١



تاسعاً : فهرس القواعد والمصطلحات العلمية

الصفحة	القاعدة أو المصطلح
٦٤١	الأدلة المكية أصول كلية والمدنيات مقيدة ومكملة
٨٥٤	إذا تعارض نصان فالعمل بهما من وجه أولى
٨٢٤	إذا ورد السماع بطل القياس
٧٣٥	أسلوب القرآن قد جرى غالباً استعمال مادة ((الشرك)) في الذين أشركوا بالله دون غيرهم
٨٥٤	إعمال الدليلين أولى من إهمال أحدهما
٦١٠	الالتفات
٦٣٢	تأخير البيان إلى وقت الحاجة سائغ في الشريعة
٨٢٤	تفسير الصحابي له حكم الرفع إذا كان متعلقاً بأسباب النزول
٣٩	الحكم على الشيء فرع عن تصوره
٤٦١	الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط الاستدلال به
٧٧٠	الشذوذ والعلة قد يقعان في المتن كما يقعان في الإسناد
٧١٦	الشيء الواحد إذا ذكر بصفتين مختلفتين جاز عطف إحداهما على الأخرى

٥٢٩	العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
٧١٦	العطف يقتضي المغايرة
٥٧٨	العلم يتم بصحة مقدماته والجواب عن معارضاته
٥٢٩	عموم الحكم لا ينافي بخصوص السبب
٧٨٠	عود الضمير إلى مذكور أحسن
٦٤٩	الغاية لا تدخل في المغيا
٧٩١	فاء السببية لا تستلزم التعقيب
٣٠٠	كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً
٢١٧	لا مشاحة في الاصطلاح
٧٦٦	لا يجوز العدول عن النص الصحيح ولا أن يعارض بالمعقول
٥٧٧	لا يعدل للترجيح مع ظهور الجمع وصحة الطرق
٧٨٠	لا يعود الضمير على غير الأقرب إلا بدليل
٣٠٢	لا يلزم أن يكون السبب مقارناً لنزول الآية
١٤٠	لكل مقام مقال
٢٤٣	ليس للمجتهد أن يقلد مجتهداً آخر
٩٣	ما لا يدرك كله لا يترك بعضه
٣٠٢	المثبت مقدم على النافي

- ٣٠٩ مخالفة الواحد أو الاثنتين لا تقدر في انعقاد الإجماع
- ٦٤٢ المدني مبني على المكى ، وكذا كل متأخر في النزول مع المتقدم
- ٧٠٢ المضارع يعبر بصيغة الماضي
- ٥٦٤ المعنى الشرعي والإعراب إذا تجاذبا النص فالمعول عليه
- هو المعنى الشرعي
- ٤٨٢ من حفظ حجة على من لم يحفظ
- ٨٤١ من شروط الترجيح التي لا بد من اعتبارها عدم إمكان الجمع
- ٨٣٩ المناط
- ٥١٨ الموهوم لا يعارض المحقق
- ٨٤٤ يشترط في الفرع المقيس وجود علة الأصل بتمامها



عاشراً : فهرس المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات :

١- أحكام القرآن :

لعبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم المشهور بابن الفرس (ت٥٩٧هـ) ،
نسخة بمكتبة الجامعة الإسلامية ، برقم (١٣٦٩) ، عن الأصل المحفوظ
بدار الكتب المصرية (فيلم).

٢- أسباب النزول والقصص الفرقانية :

لمحمد بن أسعد العراقي (ت٦٦٧هـ) ، نسخة بمكتبة الجامعة الإسلامية ،
برقم (١٣٥٥) ، عن الأصل المحفوظ بمكتبة تشستر بيتي بإيرلندا (فيلم) .

٣- الانتصار لنقل القرآن :

للقاضي أبي بكر محمد بن طيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ) ، مصورة مكتبة
بايزيد في استانبول عن مخطوطة قره مصطفى باشا .

٤- الإيضاح في التفسير :

لأبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني (ت٥٣٥هـ) ،
نسخة في مكتبة الجامعة الإسلامية ، برقم (٧٨٩٢) .

٥- البرهان في مشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان :

لتاج القراء محمود بن حمزة الكرمانى (ت٥٠٥هـ) ، نسخة بمكتبة
الجامعة الإسلامية ، برقم (٢٣٧) ، عن الأصل المحفوظ في المكتبة الأزهرية
(فيلم) .

- ٦- البسيط في التفسير :
- لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ) ، نسخة في مكتبة الجامعة الإسلامية ، برقم (٨٨٢٩) عن الأصل المحفوظ في مكتبة شهيد علي بتركيا (فيلم) .
- ٧- بيان عدد سور القرآن وآياته وكلماته ومكيه ومدنيه :
- لأبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي (ت في حدود ٤٠٠هـ) ، نسخة بمكتبة الجامعة الإسلامية ، برقم (١٤٨٦) عن الأصل المحفوظ في دار الكتب المصرية (مصور) عندي.
- ٨- تاريخ دمشق :
- لأبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر (ت ٥٧١هـ) ، نسخة مصورة نشرتها مكتبة الدار بالمدينة ، عن الأصل المحفوظ بالمكتبة الظاهرية بدمشق .
- ٩- تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر في تفسير القرآن العزيز :
- لأبي العباس أحمد بن يوسف الكواشي (ت ٦٨٠هـ) ، نسخة بمكتبة الجامعة الإسلامية ، برقم (٢٢٦٠) ، عن الأصل المحفوظ بدار الكتب المصرية (فيلم) .
- ١٠- التجارة الراجعة في الدلالة على مقاصد الفاتحة :
- لمحمد بن عبد الدائم الشاذلي المشهور بابن بنت المليلق (ت ٧٩٧هـ) ، نسخة في مكتبة الجامعة الإسلامية ، برقم (١٣١٩) عن الأصل المحفوظ في الأزهرية (فيلم) .

- ١١- التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل :
 لأبي العباس أحمد بن عمار المهدي (ت في حدود ٤٤٠هـ) ، نسخة في
 مكتبة الجامعة الإسلامية برقم (١٣٧٠) عن الأصل المحفوظ في الظاهرية
 (فيلم) .
- ١٢- تفسير أبي المظفر السمعاني :
 لمنصور بن محمد بن عبد الجبار المشهور بأبي المظفر السمعاني
 (ت ٤٨٩هـ) ، نسخة في مكتبة الجامعة الإسلامية ، برقم (٢٦٣٤-
 ٢٦٣٧) ، عن الأصل المحفوظ في الأزهرية (مصور) .
- ١٣- التنزيل وترتيبه :
 لأبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري (ت ٤٠٦هـ) ، نسخة
 بمكتبة الجامعة الإسلامية ، برقم (٩٦٥) عن الأصل المحفوظ في الظاهرية
 (مصور) عندي .
- ١٤- التيسير في التفسير :
 لأبي حفص عمر بن محمد النجم النسفي (ت ٥٣٧هـ) ، نسخة بمكتبة
 الجامعة الإسلامية برقم (٢٢٩٣) عن الأصل المحفوظ في دار الكتب
 المصرية (فيلم) .
- ١٥- التيسير في علم التفسير :
 لعبد العزيز بن أحمد الديري (ت ٦٩٤هـ) ، نسخة في مكتبة مركز
 البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، برقم (١١٢٠)
 (فيلم) .
- ١٦- الدرر الثمينة في فضائل الآيات والسور العظيمة :
 للسيد محمد المدني البطريزندي ، نسخة خطية في مكتبة عارف حكمت
 بالمدينة المنورة ، برقم (١٧١) .

- ١٧- الزيادة والإحسان في علوم القرآن :
- لمحمد بن أحمد بن سعيد بن عقيلة المكي (ت ١١٥٠هـ) ، نسخة في مكتبة الجامعة الإسلامية ، برقم (٤٣٩٩) (مصور) .
- ١٨- ضياء القلوب :
- لأبي الفتح سليم بن أيوب الرازي (ت ٤٤٧هـ) ، نسخة خطية في مكتبة المسجد النبوي برقم ٢١٢/٣٤ .
- ١٩- العجائب في بيان الأسباب :
- لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، نسخة بمكتبة الجامعة الإسلامية ، برقم (٢٥٠٠) ، عن الأصل المحفوظ بالخزانة العمومية بمراكش (مصور) عندي .
- ٢٠- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشف):
- لحسين بن عبد الله الطيبي (ت ٧٤٣هـ) ، نسخة بمكتبة الجامعة الإسلامية ، برقم (٨٩٢٠) ، عن الأصل المحفوظ في الظاهرية (فيلم) .
- ٢١- الكامل في القراءات الخمسين :
- لأبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي البسكزي (ت ٤٦٥هـ) ، نسخة في مكتبة الجامعة الإسلامية ، برقم (٢٧٢٤) عن الأصل المحفوظ في الأزهرية (مصور) .
- ٢٢- الكشف والبيان عن تفسير القرآن :
- لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي (ت ٤٢٧هـ) ، نسخة في مكتبة الجامعة الإسلامية ، برقم (٢٢٦٣-٢٢٦٤) عن الأصل المحفوظ في المكتبة الحمودية بالمدينة المنورة (مصور) .

٢٣- كنز المعاني شرح حرز الأمانى :

لأبى إسحاق إبراهيم بن عمر الجعفرى (ت ٧٣٢هـ) ، نسخة فى مكتبة الجامعة الإسلامية ، برقم (١٢٦٤) عن الأصل المحفوظ فى الخزانة الملكية بالرباط (فيلم) .

٢٤- المدخل إلى دلائل النبوة :

لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى (ت ٤٥٨هـ) ، نسخة بمكتبة الجامعة الإسلامية ، برقم (١٣٣) ، عن الأصل المحفوظ بالمكتبة الأحمدية بحلب (مصور) .

٢٥- مسند إسحاق بن راهويه :

لأبى يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه (ت ٢٣٨هـ) ، نسخة فى مكتبة الجامعة الإسلامية برقم (٣٧٩-٣٨٠) عن الأصل المحفوظ فى دار الكتب المصرية (مصور) .

٢٦- معجم ابن الأعرابى :

لأبى سعيد أحمد بن محمد بن الأعرابى (ت ٣٤٠هـ) ، نسخة فى مكتبة الجامعة الإسلامية برقم (٣٢٩-٣٣٠) ، عن الأصل المحفوظ فى دار الكتب الظاهرية ، دمشق (مصور) .

٢٧- معرفة الصحابة :

لأبى عبد الله محمد بن إسحاق بن منده (ت ٣٩٥هـ) ، نسخة بمكتبة الجامعة الإسلامية، برقم (٥٠٥٢) ، عن الأصل المحفوظ فى دار الكتب المصرية (مصور) .

٢٨- المفرد في معرفة العدد :

لأبي إسحاق إبراهيم بن عمر الجعبري (ت ٧٣٢هـ) ، نسخة بمكتبة الجامعة الإسلامية ، برقم (١٥٧٤) ضمن مجموع ، عن الأصل المحفوظ بالمكتبة الأحمدية بحلب (مصور) عندي .

٢٩- الهبات الهنيات في المصنفات الجعبريات :

لبرهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري (ت ٧٣٢هـ) ، نسخة بمكتبة الجامعة الإسلامية ، برقم (١٨٣) عن الأصل المحفوظ بدار الكتب المصرية (مصور) .

٣٠- الوقف والابتداء :

لأبي محمد الحسن بن علي العماني توفي بعد الخمسمائة ، نسخة في مكتبة مركز البحث العلمي وإحياء التراث العلمي بجامعة أم القرى ، برقم (٨٦١) عن الأصل المحفوظ في مكتبة جامعة استانبول (فيلم) .

ثانياً : البحوث العلمية التي لم تنشر :

- ٣١- أسباب النزول وأثرها في التفسير :
مقدم من الباحث عصام عبد المحسن الحميدان وحصل به على درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، عام ١٤٠٦ هـ ، بإشراف د/ محمد أحمد أبو فراخ.
- ٣٢- الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء :
لأبي محمد عبد الله بن محمد النكزاي (ت ٦٨٣ هـ) ، حققه الباحث مسعود أحمد إلياس ، وحصل به على درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عام ١٤١٣ هـ ، بإشراف الدكتور محمد محمد سالم محيسن .
- ٣٣- أهم خصائص السور والآيات المكية ومقاصدها :
مقدم من الباحث أحمد عباس البدوي ، وحصل به على درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى ، في عام ١٤٠٠ هـ .
- ٣٤- التفسير الصحيح - موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور - :
للدكتور حكمت بشير ياسين ، نشر في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العددان ١٠١-١٠٢ ، السنة ٢٦ ، ١٤١٤-١٤١٥ هـ .
- ٣٥- تفسير العلوم والمعاني المستودعة في السبع المثاني :
لأبي العباس أحمد بن محمد بن عيسى الإقليشي (ت ٥٥١ هـ) ، حققه د/ عبد العزيز صالح العبيد ، وحصل به على درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة ، عام ١٤٠٩ هـ ، بإشراف د / عبد الفتاح سلامة .
- ٣٦- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين :
لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧ هـ) .
- (سورة النساء) حققه د / حكمت بشير ياسين .

- (سورة المائدة) حققه د / عيادة الكبيسي .
- (سورة الأنعام) حققه عبد الرحمن محمد الحامد .
- (سورة الأعراف) حققه حمد بن أحمد بن أبي بكر .
- (الأنفال والتوبة) حققهما د / عيادة أيوب الكبيسي .
- (سورة يونس) حققه د/ عيادة الكبيسي .
- (سورة هود) حققه وليد حسن العاني - رحمه الله - .
- (سورة القصص) حققه إبراهيم بكر علي .

٣٧- علوم القرآن بين البرهان والإتقان :

مقدم من الباحث حازم سعيد حيدر للحصول على درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عام ١٤١٥هـ ، بإشراف د/ عبد الله محمد الأمين .

٣٨- فضائل القرآن ومعالمه وأدبه :

لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) ، تحقيق محمد نجاتي جوهري ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة ، جامعة الملك عبد العزيز ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ، بإشراف د/ محمد مصطفى الأعظمي .

٣٩- مذكرة أسانيد الإمام الطبري في تفسيره :

للشيخ أحمد شاكر .

٤٠- مظاهر الإعجاز البياني في أسلوب القرآن الكريم :

مقدم من عبد الرزاق حسين أحمد للحصول على درجة الليسانس من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، عام ١٤١٢هـ .

ثالثاً : المطبوعات :

- ٤١- الإبهاج في شرح المنهاج :
لعلي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٥٦هـ) ، وولده تاج الدين عبد
الروهاب بن علي السبكي (ت ٧٧١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،
ط-١ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م (ج١-٣) .
- ٤٢- أبو الأعلى المودودي حياته وفكره العقدي :
لحمد بن صادق الجمال ، دار المدني للطباعة والنشر ، جدة ، ط-١ ،
١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ٤٣- أبو الأعلى المودودي فكره ودعوته :
لأسعد الجيلاني ، ترجمة د/ سمير عبد الحميد ، نشر شركة الفيصل
للطباعة والنشر بـلاهور ، ١٩٧٨م .
- ٤٤- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين :
لمحمد الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ، نشر دار الفكر ، بيروت ، دون
ذكر تاريخ الطبعة (ج١-١٠) .
- ٤٥- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر :
لأحمد بن محمد البنا الديماطي (ت ١١١٧هـ) ، حققه وقدم له د/ شعبان
محمد إسماعيل ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط-١ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م
(ج١-٢) .
- ٤٦- الإتيان في علوم القرآن :
لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق
د/ مصطفى ذيب البغا ، نشر دار ابن كثير ، دمشق ، ط-١ ،
١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م (ج١-٢) .

٤٧- آثار المدينة المنورة :

لعبد القدوس الأنصاري ، ط-٣ ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

٤٨- إثبات صفة العلو :

لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ) ، تحقيق د/ أحمد عطية الغامدي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط-١ ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .

٤٩- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية :

لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق د/ عواد المعتق ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، ط-١ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

٥٠- أجوبة أبي زرعة على أسئلة البرذعي :

لعبيد الله بن عبد الكريم الرازي (ت ٢٦٤هـ) ضمن كتاب (أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية) ، تحقيق د/ سعدي الهاشمي ، نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة ، ط-١ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م (ج ١-٣) .

٥١- الأحاديث المختارة :

لضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٤٣هـ) ، دراسة وتحقيق د/ عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، صدرت أجزاءه تباعاً في سنوات متتالية (ج ١-١٠) .

- ٥٢- الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان :
للأثير علاء الدين بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩هـ) ، حققه وخرّج أحاديثه
وعلق عليه شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط-١ ،
١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م (ج١-١٨) .
- ٥٣- أحكام أهل الذمة :
لأبي عبد الله محمد بن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، حققه د/ صبحي
الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط-١ ، ١٩٦١م (ج١-٢) .
- ٥٤- أحكام العيدين :
لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي (ت ٣٠١هـ) ، حققه مساعد بن
سليمان بن راشد ، نشر مكتبة العلوم والحكم ط-١ ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م
- ٥٥- الإحكام في أصول الأحكام :
لأبي الحسن علي بن أبي محمد الآمدي (ت ٦٣١هـ) ، اعتنى به إبراهيم
العجوز ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط-١ ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م
(ج١-٤) .
- ٥٦- أحكام القرآن :
لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي (ت ٥٤٣هـ) ، تحقيق محمد عبد
القادر عطا ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط-١ ،
١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م (ج١-٤) .
- ٥٧- أحوال الرجال :
لأبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني (ت ٢٥٩هـ) ، تحقيق السيد
صبحي السامرائي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط-١ ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

- ٥٨- أخبار الوادي المبارك ((العقيق)) :
 لمحمد محمد حسن شراب ، نشر دار التراث ، المدينة المنورة ، ط-١ ،
 ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- ٥٩- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه :
 لأبي عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي ، من علماء القرن الثالث
 الهجري ، دراسة وتحقيق د/ عبد الملك بن عبد الله دهيش ، دار خضر
 للطباعة والنشر ، بيروت ، ط-٢ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م (ج١-٦) .
- ٦٠- أخلاق حملة القرآن :
 لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠هـ) ، حققه وعلق عليه
 د/ عبد العزيز عبد الفتاح القارئ ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، ط-١ ،
 ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- ٦١- الأدب العربي المعاصر في سوريا :
 لسامي الكيال ، ضمن سلسلة مكتب الدراسات الأدبية ، دار المعارف
 بمصر ، ١٩٦٨م .
- ٦٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم :
 لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ) ، نشر دار إحياء
 التراث العربي ، بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة (ج١-٩) .
- ٦٣- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول :
 لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ، نشر دار المعرفة ، بيروت ،
 دون ذكر تاريخ الطبعة .

- ٦٤- الإرشاد في معرفة علماء الحديث :
 لأبي يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي (ت ٤٤٦هـ) ، دراسة وتحقيق د / محمد سعيد بن عمر إدريس ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط-١ ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م (ج١-٣) .
- ٦٥- أساس البلاغة :
 لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، مطبعة دار الكتب ، ط-٢ ، ١٩٧٢م ، تحت إشراف دار الكتب والوثائق القومية ، مركز تحقيق التراث بجمهورية مصر العربية (ج١-٢) .
- ٦٦- أسباب النزول :
 لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ) ، تحقيق عصام الحميدان ، نشر دار الإصلاح ، الدمام ، ط-٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- ٦٧- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار :
 لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق د/ عبد المعطي قلعجي ، نشر دار الوعي ، حلب - القاهرة ، ط-١ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م (ج١-٣٠) .
- ٦٨- الاستيعاب في معرفة الأصحاب :
 لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، نشر مكتبة النهضة بمصر ، القاهرة (ج١-٤) .
- ٦٩- الإسراء والمعراج :
 للدكتور محمد محمد أبو شهبة (ت ١٤٠٣هـ) ، نشر مكتبة العلم ، القاهرة ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

- ٧٠- الإسرائيلية والموضوعات في كتب التفسير :
للشيخ د / محمد محمد أبو شهبة (ت ١٤٠٣هـ) ، نشر مكتبة السنة ، ط-٤ ، ١٤٠٨هـ .
- ٧١- الإسرائيلية وأثرها في كتب التفسير :
للدكتور رمزي نعناعة ، نشر وتوزيع دار القلم ، دمشق ، ط-١ ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .
- ٧٢- الأسماء والصفات :
لإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه عبد الله بن محمد الحاشدي ، مكتبة السوادي للتوزيع ، جدة ، ط-١ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م (ج١-٢) .
- ٧٣- إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين :
لعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (ت ٧٤٣هـ) ، تحقيق د/ عبد المجيد دياب ، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط-١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ٧٤- الأشباه والنظائر :
لابن نجيم زين الدين بن إبراهيم (ت ٩٦٤هـ) ، تحقيق محمد مطيع الحافظ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ٧٥- الأشباه والنظائر في النحو :
لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط-١ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م (ج١-٤) .
- ٧٦- الإصابة في تمييز الصحابة :
لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، نشر دار الفكر ، بيروت ، ط-١ ، ١٣٢٨هـ (ج١-٤) .

- ٧٧- أصول السرخي :
لأبي بكر محمد بن أحمد السرخسي (ت ٤٩٠هـ) ، حققه أبو الوفاء الأفغاني ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م (ج١-٢) .
- ٧٨- الأصول في النحو :
لأبي بكر محمد بن سهل بن سراج (ت ٣١٦هـ) ، تحقيق د / عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، ط-١ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٠م (ج١-٣) .
- ٧٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن :
للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) ، نشر عالم الكتب ، بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة (ج١-١٠) .
- ٨٠- إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين :
لأبي بكر بن السيد محمد شطا الدمياطي البكري ، مصطفى الباي الحلبي . مصر ، ط-٢ ، ١٣٥٦هـ/١٩٣٨م (ج١-٤) .
- ٨١- إعجاز القرآن :
لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) ، تحقيق محمد شريف سكر ، نشر دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط-١ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- ٨٢- الأعلام :
لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط-٥ ، ١٩٨٠م (ج١-٨) .
- ٨٣- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري :
لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨هـ) ، حققه د/ محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، ط-١ ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م (ج١-٤) .

- ٨٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين :
 لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم (ت ٧٥١هـ) اعتنى بضبطه محمد
 عبد السلام إبراهيم ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط-١ ،
 ١٤١١هـ/ ١٩٩١م (ج ١-٤) .
- ٨٥- أعيان الشيعة :
 لمحسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .
- ٨٦- الإكسير في علم التفسير :
 لسليمان بن عبد القوي الصرصري الطوفي (ت ٧١٦هـ) ، تحقيق
 د/ عبد القادر حسين ، نشر مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٧٧م .
- ٨٧- الإكليل على مدارك التنزيل - حاشية على تفسير النسفي - :
 للإمام محمد عبد الحق الهندي المكي ، مطبعة إكليل المطابع بالهند ، دون
 ذكر تاريخ الطبعة (ج ١-٧) .
- ٨٨- ألفية ابن مالك في النحو والصرف :
 لمحمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي (ت ٦٧٢هـ) ، نشر مؤسسة
 الكتب الثقافية ، بيروت ، ط-١ ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .
- ٨٩- ألفية السيوطي في علوم الحديث :
 لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تصحيح
 وشرح أحمد شاكر ، نشر دار المعرفة ، بيروت .
- ٩٠- الأم :
 للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) ، نشر دار المعرفة ، بيروت ،
 ط-٢ ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م (ج ١-٨) .

٩١- الأموال :

لحمد بن زنجويه (ت ٢٥١هـ) ، تحقيق د / شاكر ذيب فياض ، نشر
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط-١ ،
١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م (ج١-٣) .

٩٢- إنباء الغمر بأبناء العمر :

لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق د/ حسن
حبشي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ،
١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م (ج١-٣) .

٩٣- إنباء الرواة على أنباء النحاة :

للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطبي (ت ٦٢٤هـ) ،
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط-١ ،
١٤٠٦ (ج١-٤) .

٩٤- الأنساب :

لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (ت ٥٦٢هـ) ،
تحقيق عبد الرحمن المعلمي وآخرون ، الناشر : محمد أمين دمج ، بيروت ،
ط-٢ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م (ج١-٥) .

٩٥- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين :

لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري (ت ٥٧٧هـ) ، نشر
المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م (ج١-٢) .

٩٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل :

لناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر البضاوي (ت ٦٨٥هـ) ، مطبعة
مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط-٢ ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م
(ج١-٢) .

- ٩٧- أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم :
للدكتور عبد الله شحاتة ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ م .
- ٩٨- أودية مكة المكرمة :
لعاتق البلادي، نشر دار مكة للنشر والتوزيع ، ط-١ ، ١٤٠ هـ/١٩٨٥ م.
- ٩٩- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون:
لإسماعيل باشا البغدادي (ت ١٩٢٠ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت (ج١-٢) .
- ١٠٠- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه :
لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) ، تحقيق د/ أحمد حسن فرحات، دار المنارة ، جدة ، ط-١ ، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م .
- ١٠١- البحر الزخار :
لأبي بكر أحمد بن عمرو العتكي البزار (ت ٢٩٢ هـ) ، تحقيق د/ محفوظ الرحمن زين الله ، نشره بالاشتراك مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، ومكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة ، ط-١ ، ١٤٠٩ هـ/١٩٨٨ م ، صدر إلى الآن (ج١-٨) .
- ١٠٢- بحر العلوم :
لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٥ هـ) ، تحقيق عبد الرحيم أحمد الزقة ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥ م (ج١-٣) .
- ١٠٣- البحر المحيط :
لمحمد بن يوسف بن علي الشهير بأبي حيان (ت ٧٤٥ هـ) ، نشر دار الفكر ، بيروت، دون ذكر تاريخ الطبعة (ج١-١٠) .

١٠٤- البحر المحيط في أصول الفقه :

لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ، حققه د/ عمر سليمان الأشقر ، وراجعته د/ عبد الستار أبو غدة ، ود / محمد سليمان الأشقر ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت (ج ١-٦) .

١٠٥- بحوث في تاريخ القرآن وعلومه :

لأبي الفضل مير محمدي ، نشر دار التعارف للمطبوعات ، دون ذكر تاريخ الطبعة .

١٠٦- بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية :

جمعه ووثق نصوصه وخرج أحاديثه يسري السيد محمد ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، الدمام ، ط-١ ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م (ج ١-٦) .

١٠٧- البداية والنهاية :

لأبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، حققه د/ أحمد أبو ملح ، ود/ علي عطوي ، وفؤاد السيد ، ومهدي ناصر الدين ، وعلي عبد الساتر ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة (ج ١-١٦) .

١٠٨- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع :

لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة (ج ١-٢) .

١٠٩- البرهان في أصول الفقه :

لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف إمام الحرمين (ت) ، تحقيق د/ عبد العظيم الديب ، نشر وزارة الشؤون الدينية بقطر ، ط-١ ، ١٤٠٠هـ (ج ١-٤) .

١١٠- البرهان في ترتيب سور القرآن :

لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) ، تحقيق
محمد شعباني، نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية ،
ط-١ ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م .

١١١- البرهان في علوم القرآن :

لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ، تحقيق محمد أبو
الفضل إبراهيم ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة
(ج١-٤) .

١١٢- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز :

لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) ، نشر دار الكتب
العلمية ، بيروت (ج١-٦) .

١١٣- بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس :

لأحمد بن يحيى الضبي (ت ٥٩٩هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،
١٩٦٧ م .

١١٤- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة :

لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط-١ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ،
١٣٨٤هـ / ١٩٦٥ م (ج١-٢) .

١١٥- البلغة في تاريخ أئمة اللغة :

لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) ، تحقيق محمد
المصري ، طبعة دمشق ، ١٩٧٢ م .

١١٦- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب :

لأبي المعالي محمود شكري الألوسي (ت ١٣٤٢هـ) ، تحقيق محمد بهجت الأثري، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط-١ ، دون ذكر التاريخ .

١١٧- بنو إسرائيل في القرآن والسنة :

للدكتور محمد سيد الطنطاوي ، رسالة دكتوراه قدمت إلى جامعة الأزهر وطبع على نفقتها ، وساعدت جامعة البصرة على نشرها ، ط-١ ، ١٣٨٨هـ (ج١-٢) .

١١٨- البيان في عد آي القرآن :

لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) ، تحقيق د/ غانم قدوري الحمد ، نشر مركز المخطوطات والوثائق ، الكويت ، ط-١ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤ م .

١١٩- تأويل مشكل القرآن :

لعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، نشر المكتبة العلمية ، بيروت ، ط-٣ ، ١٤٠١هـ/١٩٨١ م .

١٢٠- تاج التراجم في طبقات الحنفية :

لأبي الفداء زين الدين قاسم بن قطلوبغا (ت ٨٧٩هـ) ، حققه محمد خير رمضان يوسف ، دار القلم ، دمشق ، ط-١ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢ م .

١٢١- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - السيرة النبوية - :

لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط-١ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧ م .

١٢٢- تاريخ التراث العربي :

للدكتور فؤاد سزكين ، نقله إلى العربية د/ فهمي أبو الفضل ، راجعه
د/ محمد فهمي حجازي ، نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ،
القاهرة (ج١-٢) .

١٢٣- التاريخ الكبير :

لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ) ، دار الكتب
العلمية ، بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة (ج١-٩) .

١٢٤- تاريخ يعقوبي :

لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب العباسي المعروف باليعقوبي ،
دار صادر ، بيروت (ج١-٢) .

١٢٥- تاريخ بغداد :

لأبي بكر أحمد بن علي المشهور بالخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) ، نشر
دار الكتاب العربي ، بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة (ج١-١٤) .

١٢٦- تاريخ خليفة بن خياط (ت ٢٤٠) :

تحقيق د/ أكرم العمري ، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ،
ط-٣ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ م .

١٢٧- تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً :

لأحمد ياسين الحيارى (ت١٣٨٠هـ) ، نشر دار العلم للطباعة والنشر ،
جدة ، ط-٢ ، ١٤١١هـ/١٩٩٠ م .

١٢٨- تاريخ يحيى بن معين :

لأبي زكريا يحيى بن معين (ت٢٣٣هـ) ، رواية عباس الدوري ، ضمن
كتاب (يحيى بن معين وكتابه التاريخ) ، دراسة وتحقيق د/ أحمد محمد
نور سيف ، نشر مركز البحث العلمي ، جامعة الملك عبد العزيز ، كلية
الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة ، ط-١ ، ١٣٩٩هـ (ج١-٤) .

١٢٩- التبر المسبوك في ذيل السلوك :

لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ) ، مكتبة الكليات الأزهرية ،
القاهرة ، دون تاريخ الطبعة .

١٣٠- التبصرة في أصول الفقه :

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت ٤٧٦هـ) ، تحقيق د/ محمد
حسن هيتو ، نشر دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

١٣١- التبيان في آداب حملة القرآن :

لأبي زكريا محي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ، حققه وخرّج
أحاديثه وعلق عليه بشير محمد عيون ، مكتبة المؤيد ، الطائف ، ط-١ ،
١٤١٢هـ/ ١٩٩١م .

١٣٢- التبيان في نزول القرآن :

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، ضمن مجموع
الفتاوى (ج ١٢) .

١٣٣- التحير في علم التفسير :

لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق
د/ فتحي عبد القادر فريد ، نشر دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ،
ط-١ ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

١٣٤- التحرير والتنوير :

لمحمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) ، نشر الدار التونسية للنشر ، دون
ذكر تاريخ الطبعة (ج ١-٣٠) .

١٣٥- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى :

لأبى العلاء محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري
(ت١٣٥٣هـ) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط-١ ،
١٤٠٠هـ/١٩٩٠م (ج١-١٠) .

١٣٦- تخرىج الأحادىث والآثار الواقعة فى تفسىر الكشاف للزمخشرى :

للحافظ جمال الدين أبى محمد عبد الله بن يوسف الزىلعى (ت٧٦٢هـ) ،
حققه واعتنى به سلطان بن فهد الطبىشى ، دار ابن خزيمة ، الرياض ،
ط-١ ، ١٤١٤هـ (ج١-٤) .

١٣٧- تخرىج الفروع على الأصول :

لشهاب الدين محمود بن أحمد الزنجانى (ت٦٥٦هـ) ، تحقيق د/ محمد
أديب الصالح ، مؤسسة الرسالة ، ط-٢ ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

١٣٨- تدرب الراوى فى شرح تقرب النواوى :

لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (ت٩١١هـ) ، تحقيق
د/ أحمد عمر هاشم ، نشر دار الكتاب العربى ، بيروت ،
١٤٠٩هـ/١٩٨٩م (ج١-٢) .

١٣٩- التذكار فى أفضل الأذكار :

لأبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى (ت٦٧١هـ) ، حققه بشير محمد
عيون ، نشر مكتبة دار البيان ، دمشق ، ط-٣ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

١٤٠- تذكرة الحفاظ :

للإمام أبى عبد الله محمد بن أحمد الذهبى (ت٧٤٨هـ) ، دار إحياء التراث
العربى ، بيروت (ج١-٤) .

- ١٤١- تراجم المؤلفين التونسيين :
 لمحمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط-١ ،
 ١٤٠٥هـ/١٩٨٠م (ج١-٤) .
- ١٤٢- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك :
 للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ) ، تحقيق مجموعة من
 الباحثين ، نشر وزارة الأوقاف المغربية ، عام ١٣٨٥-١٤٠٣هـ
 (ج١-٨) .
- ١٤٣- التسهيل لعلوم التنزيل :
 للإمام أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزى الكلبي الغرناطي (ت٧٤١هـ) ،
 تحقيق محمد عبدالمعنى اليونسي ، وإبراهيم عطوة عوض ، مطبعة الحسان ،
 القاهرة ، دون ذكر تاريخ الطبعة (ج١-٤) .
- ١٤٤- التعبير الفني في القرآن :
 للدكتور بكري شيخ أمين ، دار الشروق ، القاهرة ، ط-١ ،
 ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .
- ١٤٥- تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس :
 لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، تحقيق د/ عبد الغفار
 سليمان البغدادي ، ومحمد أحمد عبد العزيز ، دار الكتب العلمية ،
 بيروت ، ط-٢ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- ١٤٦- التعريف بالقرآن والحديث :
 لمحمد الزفراف ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط-٣ ، ١٣٩٩-١٩٧٩م .
- ١٤٧- التعليقات السننية مع الفوائد البهية :
 لمحمد بن عبد الحي اللكنوي (ت١٣٠٤هـ) ، عنى بتصحيحه محمد بدر
 الدين ، دار المعرفة ، بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة .

- * تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم .
- * تفسير أبي حيان = البحر المحيط .
- * تفسير ابن أبي حاتم = تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين .
- * تفسير ابن الجوزي = زاد المسير في علم التفسير .
- * تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل .
- * تفسير ابن عاشور = التحرير والتنوير .
- * تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .
- * تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم .
- * تفسير الألوسي = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .
- * تفسير البغوي = معالم التنزيل .
- * تفسير البقاعي = نظم الدرر في تناسب الآيات والسور .
- * تفسير البضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل .
- * تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن .
- * تفسير الخازن - لباب التأويل في معاني التنزيل .
- * تفسير الرازي = مفاتيح الغيب .
- * تفسير السمرقندي = بحر العلوم .
- * تفسير شلتوت = تفسير القرآن الكريم .
- * تفسير الشوكاني = فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية .
- * تفسير الطبرسي = مجمع البيان في تفسير القرآن .
- * تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن .
- * تفسير عبد الرزاق = تفسير القرآن .
- * تفسير القاسمي = محاسن التأويل .

* تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان .

* تفسير الكرماني = غرائب التفسير وعجائب التأويل .

* تفسير الماوردي = النكت والعيون .

* تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل .

* تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان .

١٤٨- تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة :

للدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي ، مركز البحث العلمي وإحياء

التراث الإسلامي بجامعة أم القرى .

* تفسير أبي المظفر السمعاني (سورة الفاتحة والبقرة) :

لمنصور بن محمد بن عبد الجبار المشهور بابن المظفر السمعاني

(ت٤٨٩هـ) ، تحقيق ودراسة د/ عبد القادر منصور منصور ، نشر مكتبة

العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط-١ ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م (ج١-٢) .

١٤٩- التفسير البياني للقرآن الكريم :

للدكتورة عائشة عبد الرحمن ((بنت الشاطئ)) ، دار المعارف بمصر ،

ط-٢ ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م (ج١-٢) .

١٥٠- التفسير الحديث :

لمحمد عزة دروزة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦١م

(ج١-١٢) .

١٥١- تفسير الحسن البصري :

جمع وتوثيق ودراسة د/ محمد عبد الرحيم ، نشر دار الحديث ، القاهرة ،

دون ذكر تاريخ الطبعة (ج١-٢) .

١٥٢- تفسير القرآن :

لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ/ ٩ ، تحقيق د/ مصطفى مسلم،
مكتبة الرشد ، الرياض ، ط-١ ، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م (ج١-٤) .

١٥٣- تفسير القرآن الحكيم :

للشيخ محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) ، نشر دار الفكر ، بيروت ، دون
ذكر تاريخ الطبعة (ج١-١٢) .

١٥٤- تفسير القرآن العظيم :

للعالم أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، دار المعرفة ،
بيروت ، ط-٢ ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م (ج١-٤) .

* تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين :

لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) - القسم
المطبوع - حققه د/ أحمد بن عبد الله الزهراني ، ود/ حكمت بشير
ياسين ، نشره بالاشتراك مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، دار طيبة بالرياض ،
دار ابن القيم بالدمام ، ط-١ ، ١٤٠٨هـ .

١٥٥- تفسير القرآن الكريم - الأجزاء العشرة الأولى - :

للشيخ محمود شلتوت (ت ١٣٨٣هـ) ، نشر دار الشروق ، ط-٩ ،
١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

١٥٦- التفسير المنير :

للدكتور وهبة الزحيلي ، نشر دار الفكر ، بيروت ، ط-١ ،
١٤١١هـ/ ١٩٩١م (ج١-٣٢) .

١٥٧- تفسير النسائي :

لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) ، حققه صبري الشافعي وسيد بن عباس الجليسي ، نشر مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط-١ ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م (ج١-٢) .

١٥٨- تفسير سفيان الثوري :

لأبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (ت ١٦١) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط-١ ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

١٥٩- تفسير سفيان بن عيينة :

جمع وتحقيق ودراسة أحمد صالح محاييري ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط-١ ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

١٦٠- تفسير غريب القرآن :

لعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ .

١٦١- تفسير مجاهد :

قدم له وحققه وعلق حواشيه عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي ، مجمع البحوث الإسلامية ، إسلام آباد ، باكستان ، دون ذكر تاريخ الطبعة .

١٦٢- تفسير مقاتل بن سليمان :

لمقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٠٥هـ) ، حقق د/ عبد الله شحاتة ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة (ج١-٤) .

١٦٣- تقريب التهذيب :

لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة (١-٢) .

١٦٤- التقرير العلمي عن مصحف المدينة النبوية :

حرره الدكتور عبد العزيز عبد الفتاح قارئ ، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤٠٦هـ .

١٦٥- التكملة لوفيات النقلة :

لرزي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦هـ) ، تحقيق د/ بشار عواد ، مطبعة الآداب في النجف ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م (ج ١-٥) .

١٦٦- التلخيص الحبير في تخرج أحاديث الرافعي الكبير :

لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق عبد الله هاشم اليماني ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة (ج ١-٤) .

١٦٧- تلخيص المستدرك :

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، نشر دار الفكر ، بيروت (على حاشية المستدرك) .

١٦٨- تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبدیع :

لمحمد بن عبد الرحمن القزويني (ت ٧٣٩هـ) ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر .

١٦٩- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد :

لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق مجموعة من الباحثين ، نشر وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية من سنة ١٣٨٧هـ - ١٤١١هـ (ج ١-٢٤) .

- ١٧٠- تناسق الدرر في تناسب السور :
 لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق عبد
 القادر أحمد عطا ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط-١ ،
 ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
- ١٧١- تنزيل القرآن :
 محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) ، تحقيق د/ صلاح الدين
 المنجد ، نشر دار الكتاب الجديد في بيروت ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .
- ١٧٢- تنزيه القرآن عن المطاعن :
 للقاضي عبد الجبار بن أحمد عماد الدين (ت ٤١٥هـ) ، دار النهضة الحديثة
 ، بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة .
- ١٧٣- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس :
 لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) ، مطبعة مصطفى
 البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط-٢ ، ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م .
- ١٧٤- تهذيب التهذيب :
 لأبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، نشر دار إحياء
 التراث العربي ، بيروت ، ط-١ ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م (ج١-٦) .
- ١٧٥- تهذيب الكمال في أسماء الرجال :
 لجمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (ت ٧٤٢هـ) ، حققه د/ بشار
 عواد ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط-١ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م
 (ج١-٣٤) .

١٧٦- تهذيب اللغة :

لمحمد أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠هـ)، حققه عبد السلام هارون ، وآخرون،
وراجعه محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٣٨٤هـ-
(ج١-١٥) .

١٧٧- التيسير شرح منظومة التفسير :

لعبد العزيز الزمزمي المكي (ت ١٠٧٢هـ) ، مطبعة مصطفى الحلبي بمصر ،
١٣٥٥هـ.

١٧٨- التيسير في قواعد علم التفسير :

لمحمد بن سليمان الكافيحي (ت ٨٧٩هـ) ، دراسة وتحقيق ناصر
المطرودي ، نشر دار القلم ، دمشق ، ط-١ ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

١٧٩- الثقات :

لأبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ) ، نشر مجلس دائرة المعارف
العثمانية ، الهند ، ط-١ (ج١-٩) .

١٨٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن :

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، تحقيق محمود شاكر ،
ومراجعة وتخريج أحمد شاكر ، نشر دار المعارف بمصر (ج١-١٦) .
ونسخة مطبعة الحلبي ، ط-٣ ، ١٣٨٨هـ: ١٩٦٨م (ج١-٣٠) .

١٨١- جامع الترمذي :

لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ) ضمن كتاب (تحفة
الأحوذى بشرح جامع الترمذي) .

١٨٢- الجامع الصحيح :

لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) ضمن كتاب (فتح
الباري بشرح صحيح البخاري) .

١٨٣- جامع بيان العلم وفضله :

لأبي عمر يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق أبي الأشبال الزهيري ، نشر دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط-١ ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م (ج١-٢) .

١٨٤- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان :

لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، نشر دار الفكر ، بيروت ، ط-٢ ، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م (ج١-٢٢) .

١٨٥- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع :

لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق د/ محمد عجاج الخطيب ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط-١ ، ١٤١٢هـ (ج١-٢) .

١٨٦- جزء القراءة خلف الإمام :

لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، تحقيق فضل الرحمن الثوري ، نشر المكتبة السلفية ، لاهور ، باكستان ، ط-١ ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

١٨٧- جزء فيه قراءات النبي ﷺ :

لأبي عمر حفص بن عمر الدوري (ت ٢٤٦هـ) ، حققه د/ حكمت بشير ياسين ، نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، ط-١ ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

١٨٨- جمال القراء وكمال الإقراء :

لعلم الدين علي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣هـ) ، تحقيق د/ علي حسين البواب ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط-١ ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م (ج١-٢) .

١٨٩- جمهرة أنساب العرب :

لمحمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤هـ) ، تحقيق وارنر كسكل ، مطبعة
بريل بليدن ، هولندا (ج ١-٢) .

١٩٠- جمهرة اللغة :

لمحمد بن حسن بن دريد (٣٢١هـ) ، دار صادر ، بيروت (ج ١-٤) .

١٩١- الجنى الداني في حروف المعاني :

للحسن بن القاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) ، تحقيق د/ فخر الدين قباوة ،
محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط-١ ،
١٤١٣هـ/ ١٩٩١م .

١٩٢- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح :

لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، مطابع المجد التجارية ، دون
ذكر تاريخ الطبعة (ج ١-٤) .

١٩٣- الجواب الواضح المستقيم في تحقيق إنزال القرآن الكريم :

لمحمد بن إبراهيم آل الشيخ (ت ١٣٨٩هـ) ، مطبعة الحكومة ، مكة
المكرمة ، ١٣٦٩هـ .

١٩٤- الجواهر الحسان في تفسير القرآن :

لعبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥هـ) تحقيق د/عمار الطالبي ، نشر
المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر (ج ١-٤) .

١٩٥- الجواهر المضية في طبقات الحنفية :

لأبي محمد عبد القادر بن محمد القرشي الحنفي (ت ٧٧٥هـ) ، تحقيق
د/ عبد الفتاح محمد الحلو ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ،
١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م (ج ١-٣) .

١٩٦- حجة القراءات :

لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (ت في حدود ٤٠٣هـ) ،
تحقيق د / سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط-٢ ،
١٣٩٤هـ/١٩٧٤ م .

١٩٧- الحجة في بيان الحجة وشرح عقيدة أهل السنة :

لقوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني
(ت ٥٣٥هـ)، تحقيق د/ محمد ربيع المدخلي ، ومحمد أبو رحيم .

١٩٨- حرز الأمانى ووجه التهاني - متن الشاطبية - :

للقاسم بن فيره الشاطبي (ت ٥٩٠هـ) ، نشر دار المطبوعات الحديثة ،
المدينة المنورة ، ط-٢ ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠ م .

١٩٩- الخراج :

للقاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ) ، نشر دار المعرفة ،
بيروت ، ١٣٩٩هـ .

٢٠٠- الخصائص :

لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق محمد علي النجار ، طبعة
القاهرة ، ١٣٧١هـ/١٩٥٢ م (ج١-٣) .

٢٠١- خصائص السور والآيات المدنية ضوابطها ومقاصدها :

للدكتور عادل محمد صالح أبي العلا ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ،
بدون تاريخ الطبع .

٢٠٢- خصائص القرآن الكريم :

للدكتور فهد الرومي ، مطابع البكيرية ، الرياض ، ط-٥ ، ١٤١٠هـ .

٢٠٣- الخصائص الكبرى :

لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩٩١هـ) ، حققه
د/ محمد خليل هراس ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ط-١ ،
١٣٨٧هـ/١٩٦٧م (ج١-٣) .

٢٠٤- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر :

لمحمد الحجي (ت ١١١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة
(ج١-٤) .

٢٠٥- الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين :

لغالي محمد الأمين الشنقيطي ، نشر دار القبة للثقافة الإسلامية ، جدة ،
ط-٣ ، ١٤١١هـ/١٩٩١م .

٢٠٦- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون :

لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) ، تحقيق د/ أحمد
محمد الخراط ، نشر دار القلم ، دمشق ، ط-١ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م
(ج١-١١) .

٢٠٧- الدر المنثور في التفسير المأثور :

لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، نشر دار
الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط-١ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م (ج١-٨) .

٢٠٨- الدر المتضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد :

لمجير الدين عبد الرحمن بن محمد العليمي الحنبلي (ت ٩٢٨هـ) ، تحقيق
د/ عبد الرحمن العثيمين ، نشر مكتبة التوبة ، الرياض ، ط-١ ،
١٤١٢هـ/١٩٩٢م (ج١-٢) .

٢٠٩- درء تعارض النقل والعقل :

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق
د/ محمد رشاد سالم ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،
١٩٨٠م (١٠-١١) .

٢١٠- الدراسات القرآنية المعاصرة :

لمحمد عبد العزيز السديس ، مطبوعات كلية الشريعة بالرياض ، ١٣٩١هـ.

٢١١- دراسات في التفسير :

للدكتور مصطفى زيد (١٣٩٨هـ) ، درا الفكر العربي ، دون ذكر تاريخ
الطبعة .

٢١٢- دراسات في علوم القرآن الكريم :

للدكتور فهد الرومي ، مكتبة التوبة ، الرياض ، ط-١ ، ١٤١٣هـ .

٢١٣- دراسات في علوم القرآن الكريم :

للدكتور عبد الباسط بلبول ، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ، ط-١ ،
١٤٠١هـ/١٩٨٠م .

٢١٤- دراسات في علوم القرآن الكريم :

للدكتور أمير عبد العزيز ، مؤسسة الرسالة ، ط-١ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٢١٥- دراسات لأسلوب القرآن الكريم :

لمحمد عبد الخالق عضيمة ، نشر دار الحديث بالقاهرة ، دون ذكر تاريخ
الطبعة (١١-١٢) .

٢١٦- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة :

لشهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، حققه محمد سيد
جواد الحق ، نشر دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ط-٢ ،
١٣٨٥هـ/١٩٦٦م (١-٥) .

٢١٧- الدرر في اختصار المغازي والسير :

لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق د/ شوقي ضيف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، ط-١ ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م .

٢١٨- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب :

للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) ، نشر مطبعة المدني ، القاهرة ، دون ذكر تاريخ الطبعة .

٢١٩- دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية :

جمعه وحققه د/ محمد السيد الجلند ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، ط-٣ ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م (ج١-٦) .

٢٢٠- دلائل النبوة :

لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ، تحقيق عبد البر عباس ، ومحمد رواس قلعجي ، مكتبة التراث الإسلامي ، حلب ، ط-١ ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م (ج١-٢) .

٢٢١- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة :

لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، وثق أصوله وخرج حديثه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط-١ ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٠م (ج١-٧) .

٢٢٢- دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية :

تخطيط وإشراف الدكتور زيد عبد المحسن ، منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط-١ ، ١٤١٠هـ .

٢٢٣- الدليل الشافي على المنهل الصافي :

لجمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ) ، تحقيق فهم شلتوت ، نشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى (ج١-٢) .

٢٢٤- دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها :

إعداد : أحمد الخازندار ، ومحمد إبراهيم الشيباني ، نشر مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط-١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٢٢٥- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب :

لإبراهيم بن علي بن فرحون المالكي (ت ٧٩٩هـ) ، تحقيق د/ محمد الأحمد أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ، بدون تاريخ (ج١-٢) .

٢٢٦- ديوان أبي الطيب المتني :

تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلي ، نشر مكتبة مصطفى الحلبي ، ١٣٩١هـ .

٢٢٧- ديوان الأخطل :

تقديم : مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة .

٢٢٨- ديوان الضعفاء والمتروكين :

لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق لجنة من العلماء بإشراف الناشر ، دار القلم ، بيروت ، ط-١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م (ج١-٢) .

٢٢٩- ديوان النابغة الذبياني :

تحقيق وشرح كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، بدون ذكر تاريخ الطبعة .

٢٣٠- الذريعة إلى تصانيف الشيعة :

لأغا برزك الظهراني (ت١٣٨٩)، مطبعة النجف ، العراق ، ١٩٧٠م
(ج١-١٩).

٢٣١- ذكر أخبار أصبهان :

لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) ، نشر الدار العلمية ،
دلهي ، الهند ، ط-٢ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م (ج١-٢) .

٢٣٢- الذيل على طبقات الحنابلة :

لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت٧٩٥هـ) ، نشر دار الباز
بمكة المكرمة ، دون ذكر تاريخ الطبعة .

٢٣٣- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة :

لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي (ت٧٠٣هـ) ، حقق أسفاره
الأول د/ إحسان عباس ، ونشرته دار الثقافة ، بيروت ، وحقق السفر
الثامن د/ محمد بن شريفة ، نشر أكاديمية المملكة المغربية ١٩٨٤م .
ملاحظة : الكتاب لم يصل إلينا كاملاً إلى اليوم .

٢٣٤- رحلات في بلاد العرب - في شمال الحجاز والأردن - :

لعاتق بن غيث البلادي ، دار مكة للنشر والتوزيع ط-٢ ،
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٢٣٥- الرسالة :

للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ) ، تحقيق أحمد شاكر ، لم
تذكر الطبعة.

٢٣٦- الرسالة المستطرفة لبیان مشهور كتب السنة :

لمحمد بن جعفر الكتاني (ت١٣٤٥هـ) ، مطبعة محمد كراجي ، ط-١ ،
١٣٧٩هـ/١٩٦٠م .

٢٣٧- رسوخ الأخبار في منسوخ الأخبار :

لأبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري (ت ٧٣٢هـ) ، دراسة وتحقيق د/ حسن محمد مقبولي الأهدل ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط-١ ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨ م .

٢٣٨- الروح :

لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق د/ بسام علي العموش ، دار ابن تيمية للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط-١ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦ م (ج١-٢) .

٢٣٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :

لشهاب الدين محمود الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة (ج١-٣٠) .

٢٤٠- الروض الرّيان في أسئلة القرآن :

لشرف الدين الحسن بن سليمان بن ريان (ت ٧٧٠هـ) ، دراسة وتحقيق د/ عبد الحلیم بن محمد نصار السلفي ، نشر مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط-١ ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤ م (ج١-٢) .

٢٤١- الروض المعطار في خبر الأقطار :

لمحمد عبد المنعم الحميري (ت ٧٢٧هـ) ، تحقيق د/ إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط-١ ، ١٩٧٥ م .

٢٤٢- روضة الطالبين وعمدة المفتين :

لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط-٢ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ م (ج١-١٠) .

٢٤٣- روضة الناظر وجنة المناظر :

لموفق الدين محمد بن عبد الله بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ) ، نشر دار الفكر العربي ، دون ذكر تاريخ الطبعة (ج ١-٢) .

٢٤٤- زاد المسير في علم التفسير :

لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، ط-١ ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م (ج ١-٩) .

٢٤٥- زاد المعاد في هدي خير العباد :

لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ، نشر مؤسسة الرسالة ، ط-٢٧ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م (ج ١-٦) .

٢٤٦- سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني في الجرح والتعديل :

دراسة وتحقيق محمد علي قاسم العمري ، نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ط-١ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٢٤٧- سر صناعة الإعراب :

لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، دراسة وتحقيق د/ حسن هندأوي ، دار القلم ، دمشق ، ط-١ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م (ج ١-٢) .

٢٤٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها :

لمحمد ناصر الدين الألباني ، الأجزاء الأول نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، والأجزاء الأخيرة نشر مكتبة المعارف ، الرياض (ج ١-٥) .

٢٤٩- السنة :

لحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني (ت ٢٨٧هـ) ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط-٢ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م (ج ١-٢) .

٢٥٠- السنن الكبرى :

للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، طبعة دار الفكر
(ج ١-١٠) .

٢٥١- سنن النسائي :

لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) ، حققه مكتب
تحقيق التراث الإسلامي بدار المعرفة ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، ط-٢ ،
١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م (ج ١-٨) .

٢٥٢- سير أعلام النبلاء :

لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق شعيب الأرناؤوط
وزملاؤه ، نشر مؤسسة الرسالة ، ط-٧ ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م
(ج ١-٢٣) .

٢٥٣- سيرة الرسول صورة مقتبسة من القرآن الكريم :

لمحمد عزة دروزة ، طبع على نفقة أمير قطر ، ١٤٠٠هـ (ج ١-٢) .

٢٥٤- السيرة النبوية :

لأبي محمد عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨هـ) ، راجع أصولها وعلق على
حواشيها نخبة من العلماء ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،
القاهرة ، بدون تاريخ (ج ١-٤) .

٢٥٥- السيرة النبوية :

لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، تحقيق د/ مصطفى
عبد الواحد ، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م
(ج ١-٤) .

٢٥٦- السيرة النبوية الصحيحة :

للدكتور أكرم ضياء العمري ، نشر مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط-٥ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م (ج١-٢) .

٢٥٧- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء :

لأبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت٣٤٥هـ) ، علق عليه السيد عزيز بك وجماعة من العلماء ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط-١ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

٢٥٨- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية :

محمد بن محمد مخلوف ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة.

٢٥٩- الشخصية اليهودية من خلال القرآن :

للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي ، دار القلم ، دمشق ، ط-١ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

٢٦٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب :

لعبد الحي بن عماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ) ، نشر المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت (ج١-٦) .

٢٦١- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك :

لبهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي (ت٧٦٩هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط-١٦ (ج١-٢) .

٢٦٢- شرح السنة :

الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ) ، تحقيق زهير الشاويش ، وشعيب الأرناؤوط ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط-٢ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م (ج١-١٦) .

٢٦٣- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى (الكاشف عن حقائق السنن):

لشرف الدين حسين بن محمد الطيبي (ت ٧٣٢هـ) ، حققه المفتي عبد الغفار ، نعيم أشرف محب الله ، شبير أحمد ، بديع السيد اللحام ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ، كراتشي، ط-١ ، ١٤١٣هـ (ج١-١٢) .

٢٦٤- شرح العقيدة الطحاوية :

لابن أبي العز ، تحقيق جماعة من العلماء ، تخريج محمد ناصر الدين الألباني ، نشر المكتب الإسلامي ، ط-٨ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

٢٦٥- شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني :

لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، ط-٢ ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م (ج١-٨) .

٢٦٦- شرح الكوكب المنير :

لمحمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي الشهير بابن النجار (ت ٩٧٢هـ) ، تحقيق د/ محمد الزحيلي ، ود/ نزيه حماد ، نشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، ط-١ ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م (ج١-٤) .

٢٦٧- شرح الهداية :

لأبي العباس أحمد بن عمار المهدي (ت في حدود ٤٤٠هـ) ، تحقيق
ودراسة د / حازم سعيد حيدر ، مكتب الرشد ، الرياض ، ط-١ ،
١٤١٦هـ / ١٩٩٥م (ج١-٢) .

٢٦٨- شرح مشكل الآثار :

لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت ٣٢١هـ) ، تحقيق
شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط-١ ، ١٤١٥هـ (ج١-١٦) .

٢٦٩- الشريعة :

لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق محمد حامد
الفاقي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ط-١ ، ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م .

٢٧٠- شعب الإيمان :

لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق محمد السعيد
زغلول ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط-١ ، ١٤١٠هـ : ١٩٩٠م
(ج١-٧) .

٢٧١- الشعر والشعراء :

لعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق أحمد شاكر ، نشر دار
المعارف بالقاهرة ، ط-٢ ، ١٩٦٦م (ج١-٢) .

٢٧٢- الصارم المسلول على شاتم الرسول :

لأبي العباس أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق وتعليق عصام
الخرستاني ، ومحمد الزغلي ، المكتب الإسلامي ، ط-١ ، ١٤١٤هـ .

٢٧٣- الصحاح :

لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) ، تحقيق أحمد عبد الغفور
عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط-٢ ، ١٣٩٩هـ (ج١-٦) .

٢٧٤- صحيح ابن خزيمة :

لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ) ، تحقيق د/ محمد مصطفى الأعظمي ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت (ج ١-٤) .

٢٧٥- صحيح السيرة النبوية :

لمحمد بن رزق الطهروني ، الناشر : مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط-١ ، ١٤١٤هـ (ج ١-٢) .

٢٧٦- الصحيح المسند من أسباب النزول :

لمقبل بن هادي الوادعي ، الناشر : مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط-٤ ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

٢٧٧- صحيح سنن أبي داود باختصار السند :

صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط-١ ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م (ج ١-٣) .

٢٧٨- صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند :

صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط-١ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م (ج ١-٢) .

٢٧٩- صحيح سنن الترمذي باختصار السند :

صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط-١ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م (ج ١-٣) .

٢٨٠- صحيح سنن النسائي باختصار السند :

صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط-١ ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م (ج ١-٣) .

٢٨١- صحيح مسلم :

للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) ،
حققه ورقمه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ،
ط-١ ، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م (ج ١-٥) .

٢٨٢- الصفدية :

لأبي العباس أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق د/ محمد رشاد سالم ،
ط-١ ، ١٤٠٦هـ (ج ١-٢) .

٢٨٣- الصفوة من القواعد الإعرابية :

للدكتور عبد الكريم بكار ، نشر دار القلم ، دمشق ، ط-١ ،
١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

٢٨٤- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة :

لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق
د/ علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ، الرياض ، النشرة الأولى ،
١٤٠٨هـ (ج ١-٤) .

٢٨٥- الضعفاء الصغير :

لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، تحقيق محمود
إبراهيم زايد ، نشر دار الوعي ، حلب ، ط-١ ، ١٣٩٦هـ .

٢٨٦- الضعفاء الكبير :

لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي (ت ٣٢٢هـ) ، تحقيق د/ عبد المعطي
قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط-١ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م
(ج ١-٤) .

٢٨٧- الضعفاء والمتروكون :

لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ) ، دراسة وتحقيق
د/ موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط-١ ،
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

٢٨٨- الضعفاء والمتروكين :

لأحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ) ، تحقيق بوران الضناوي وكمال
يوسف الحوت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط-١ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

٢٨٩- ضعيف سنن أبي داود :

لمحمد ناصر الدين الألباني ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط-١ ،
١٤١٢هـ/١٩٩١م .

٢٩٠- ضعيف سنن ابن ماجه :

لمحمد ناصر الدين الألباني ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط-١ ،
١٤٠٨هـ .

٢٩١- ضعيف سنن الترمذي :

لمحمد ناصر الدين الألباني ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط-١ ،
١٤١١هـ/١٩٩١م .

٢٩٢- ضعيف سنن النسائي :

لمحمد ناصر الدين الألباني ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط-١ ،
١٤١١هـ/١٩٩٠م .

٢٩٣- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع :

لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ) ، منشورات
دار مكتبة الحياة ، بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة (١٢-١) .

٢٩٤- طبقات الشافعية الكبرى :

لناج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي
(ت ٧٧١هـ) ، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو ، دار
إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، دون ذكر تاريخ الطبعة (ج ١-١٠) .

٢٩٥- الطبقات الكبرى :

محمد بن سعد البصري (ت ٢٣٠هـ) ، نشر دار صادر ، بيروت ، دون
ذكر تاريخ الطبعة (ج ١-٩) .

٢٩٦- طبقات المفسرين :

لشمس الدين محمد بن علي الداودي (ت ٩٤٥هـ) ، نشر دار الكتب
العلمية ، بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة (ج ١-٢) .

٢٩٧- طبقات المفسرين :

لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق علي
محمد عمر ، الناشر : مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط-١ ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .

٢٩٨- طبقات علماء الحديث :

لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الصالحي (ت ٧٤٤هـ) ،
تحقيق إبراهيم الزبيق ، وأكرم البوشي ، مؤسسة الرسالة ، ط-١ ،
١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م (ج ١-٤) .

٢٩٩- طبقات فحول الشعراء :

محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ) ، قراءة وشرح محمود محمد شاكر ،
مطبعة المدني ، القاهرة ، دون ذكر تاريخ الطبعة (ج ١-٢) .

* طبقات المدلسين = تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس .

٣٠٠- ضلال الجنة بتخرىج السنة :

لمحمد ناصر الدين الألباني ، نشر المكتب الإسلامى ، بيروت ، ط-٢ ،
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م (ضمن كتاب السنة لابن أبى عاصم) .

٣٠١- عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى :

لأبى بكر محمد بن عبد الله بن العربى (ت ٥٤٣هـ) نشر دار الكتاب
العربى ، بيروت (ج١-١٣) .

٣٠٢- العبر فى خبر من غير :

لمحمد بن أحمد الذهبى (ت ٧٤٨هـ) ، حققه أبو هاجر محمد والسيد بن
بسيونى بن زغلول ، دار الكتب العلمىة ، بيروت ، ط-١ ،
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م (ج١-٤) .

٣٠٣- العدة فى أصول الفقه :

للقاضى أبى يعلى محمد بن حسين الفراء الحنبلى (ت ٤٥٨هـ) ، حققه
د/ أحمد سىر المباركى ، لم يذكر الطبعة (ج١-٥) .

٣٠٤- العظمة :

لأبى الشىخ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان الأصبهانى
(ت ٣٦٩هـ) ، تحقيق د/ رضاء الله بن محمد بن إدريس المباركفورى ،
دار العاصمة ، الرياض ، ط-١ ، ١٤٠٨هـ (ج١-٥) .

٣٠٥- على طريق الهجرة - رحلات فى قلب الحجاز - :

لعاتق البلادى ، دار مكة للنشر والتوزىع ، دون ذكر تاريخ الطبعة .

٣٠٦- العلل الواردة فى الأحادىث النبوىة :

لأبى الحسن على بن عمر بن أحمد الدارقطنى (ت ٣٨٥هـ) ، تحقيق
وتخرىج د/ محفوظ الرحمن زىن الله السلفى ، دار طىبة ، الرياض ، ط-١ ،
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م (ج١-١٠) .

٣٠٧- العلل ومعرفة الرجال :

لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) ، تحقيق طلعت قوج ،
نشر المكتبة الإسلامية ، استانبول ، ط-١ ، ١٤٠٧هـ (ج١-٢) .

٣٠٨- علوم الحديث :

لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن المشهور بابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ) ،
نشر مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة .

٣٠٩- علوم القرآن :

للدكتور عدنان محمد زرزور ، المكتب الإسلامي ، ط-١ ،
١٤٠١هـ/١٩٨١م .

٣١٠- علوم القرآن الكريم :

للدكتور نور الدين عتر ، دار الخير ، دمشق ، ط-١ ،
١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

٣١١- علوم القرآن الكريم :

للدكتور عبد المنعم النمر ، نشره بالاشتراك دار الكتاب المصري ودار
الكتاب اللبناني ، ط-٢ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٣١٢- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ :

لأحمد بن يوسف المشهور بالسمين الحلي (ت ٧٥٦هـ) ، تحقيق د/ محمد
التونجي ، نشر عالم الكتب ، بيروت ، ط-١ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م
(ج١-٤) .

٣١٣- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري :

لبدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ) ، نشر دار الفكر ،
بيروت ، ١٣٩٩هـ (ج١-٢٥) .

٣١٤- غاية النهاية في طبقات القراء :

لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد الجزري (ت ٨٣٣هـ) ، عني بنشره
ج. برجستراسر ، نشر مكتبة الخانجي بمصر ، ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م
(ج ١-٢) .

٣١٥- غرائب التفسير وعجائب التأويل :

لتاج القراء محمود بن حمزة الكرمانى (ت ٥٠٥هـ) ، تحقيق د/ شمران
سركال، نشر دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة ، ط-١ ،
١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م (ج ١-٢) .

٣١٦- غرائب القرآن ورغائب الفرقان :

لنظام الدين الحسين بن محمد القمي النيسابوري (ت ٧٢٨هـ) تحقيق
إبراهيم عطوة عوض ، طبعة مصطفى الحلبي ، ط-١ ، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م
(ج ١-٣٠) .

٣١٧- غريب الحديث :

لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت ٣٨٨هـ) ، تحقيق
د/ عبد الكريم الفرباوي ، خرج أحاديثه د/ عبد القيوم عبد رب النبي ،
مركز البحث العلمي وإحياء التراث العلمي بجامعة أم القرى ، ط-١ ،
١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م (ج ١-٣) .

٣١٨- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء - التفسير - :

جمعه و رتبه أحمد عبد الرزاق الدويش ، نشر الرئاسة العلمية لإدارات
البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ط-١ ، ١٤١١هـ .

٣١٩- فتاوى ومسائل ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والفقه :

حققه وخرّج حديثه وعلق عليه د/ عبد المعطي قلعجي ، نشر دار المعرفة،
بيروت ، ط-١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م (ج ١-٢) .

- ٣٢٠- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري :
 لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، نشر
 المكتبة السلفية ، القاهرة ، ط-٤ ، ١٤٠٨هـ (ج١-١٣) .
- ٣٢١- فتح البيان في مقاصد القرآن :
 لمحمد صديق حسن خان القنوجي (ت ١٣٠٧هـ) ، الناشر : عبد الحفي
 علي محفوظ ، مطبعة القاهرة ، دون ذكر تاريخ الطبعة (ج١-١٠) .
- ٣٢٢- الفتح السماوي بتخریج أحاديث تفسير القاضي البيضاوي :
 لزين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ) ، دراسة وتحقيق أحمد
 مجتبى بن نذير عالم السلفي ، دار العاصمة ، الرياض ، النشرة الأولى
 (١٤٠٩هـ) (ج١-٣) .
- ٣٢٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير :
 لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) نشر مطبعة مصطفى الحلبي
 وأولاده بمصر ، ط-٢ ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م (ج١-٥) .
- ٣٢٤- الفتح المين في طبقات الأصوليين :
 لعبد الله بن مصطفى المراغي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط-٢ ،
 ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م (ج١-٣) .
- ٣٢٥- الفرائد البهية في نظم القواعد الفقهية :
 لأبي بكر بن أبي القاسم الأهدل (ت ١٠٣٥هـ) ، نشر مكتبة ابن تيمية ،
 القاهرة ، ط-١ ، ١٤١٥هـ .
- ٣٢٦- الفرق بين النصيحة والتعير :
 لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ) ، حققه وعلق عليه
 د/ نجم عبد الرحمن خلف ، دار ابن القيم ، ط-٢ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٣٢٧- فصول من تاريخ المدينة المنورة :

لعلي حافظ ، نشر شركة المدينة المنورة للطباعة ، ١٣٨٨هـ .

٣٢٨- فضائل القرآن :

لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

٣٢٩- فضائل القرآن :

للإمام أحمد بن شعيب النسائي المتوفى (٣٠٣هـ) ، تحقيق د/ فاروق حمادة ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط-٢ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

٣٣٠- فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة :

لأبي عبد الله محمد بن أيوب بن الضريس البجلي (ت ٢٩٤هـ) ، تحقيق غزوة بدير ، دار الفكر ، دمشق ، ط-١ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ، وكذلك طبعة دار حافظ التي حققها د / مسفر الغامدي .

* فضائل القرآن ومعالمه وأدبه :

لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢١٧هـ) ، تحقيق وتعليق وهي سليمان غاوجي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط-١ ، ١٤١١هـ .

٣٣١- فقه الزكاة :

للدكتور يوسف القرضاوي ، نشر مؤسسة الرسالة ، ط-٢٠ ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م (ج١-٢) .

٣٣٢- الفقيه والمتفقه :

لأحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ، صححه وعلق عليه الشيخ إسماعيل الأنصاري ، الناشر : دار إحياء السنة النبوية ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م (ج١-٢) .

٣٣٣- فنون الأفنان في عيون علوم القرآن :

لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، حققه د/ حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط-١ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .

٣٣٤- فهارس كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي :

إعداد وترتيب محمد صالح بن عبد العزيز المراد ، نشر مكتبة دار الوفاء للنشر والتوزيع ، جدة ، ط-١ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

٣٣٥- فهرس الخزنة التيمورية :

مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م .

٣٣٦- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط :

إصدارات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، مؤسسة آل البيت ، عمان ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

٣٣٧- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات :

لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ، بعناية د/ إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م (ج١-٣) .

٣٣٨- فهرس الكتب الموجودة بالمكتبة الأزهرية :

تحت إشراف إدارة المكتبة الأزهرية ، مطبعة الأزهر ، ط-٢ ، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .

٣٣٩- فهرس المخطوطات العربية في مكتبة تشستريتي :

نشر معهد المخطوطات العربية (ج١-٣) .

- ٣٤٠- فهرس المخطوطات والمصورات بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - التفسير وعلوم القرآن - (ج١-٢) :
- ٣٤١- فهرس المصورات الميكروفيلمية الموجودة بمكتبة مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - التفسير وعلوم القرآن (ج١-٢) - :
- ٣٤٢- فهرس مخطوطات خزانة تطوان بالمغرب - قسم القرآن وعلومه - :
إعداد : المهدي الدليرو ، ومحمد بو خيزة ، مطابع الشويخ ، تطوان ،
تحت إشراف: وزارة الدولة المكلفة بالشئون الثقافية بالمغرب ،
١٤٠١هـ/١٩٨١ م .
- ٣٤٣- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - علوم القرآن - :
وضعه د/ عزة حسن ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ،
١٣٨١هـ/١٩٦٢ م .
- ٣٤٤- فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية :
إشراف : إدارة الكتب المصرية (ج١-٣) .
- ٣٤٥- فهرس مخطوطات المجمع العلمي العراقي :
تأليف ميخائيل عواد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي (ج١-٢) .
- ٣٤٦- فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف:
لأبي بكر محمد بن خير الإشبيلي (ت٥٧٥هـ) ، نشر دار الآفاق
الجديدة ، بيروت ، ط-٢ ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩ م .
- ٣٤٧- الفهرست :
لمحمد بن إسحاق النديم (ت٣٨٥هـ) ، تحقيق رضا تجدد ، مطبعة
طهران ، ١٣٩١هـ/١٩٧١ م .

٣٤٨- فهم القرآن :

حارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣هـ) ضمن كتاب (العقل) ، تحقيق حسين القوتلي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر ، ط-٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

٣٤٩- الفوائد المنتقاة من فتح الباري وكتب أخرى :

للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد ، نشر مكتبة العلوم والحكم ، ط-١، ١٤١٣هـ.

٣٥٠- فوات الوفيات والذيل عليها :

لمحمد بن شاكر الكتيبي (ت ٧٦٤هـ) ، تحقيق د/ إحسان عباس ، نشر دار الثقافة ، بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة (ج١-٥) .

٣٥١- الفوز الكبير في أصول التفسير :

لحجة الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي (ت ١١٧٦هـ) ، نشر دار ابن قتيبة للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

٣٥٢- في ظلال القرآن :

لسيد قطب (ت ١٣٨٦هـ) ، دار الشروق ، ط-١٧، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

٣٥٣- في علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق :

للدكتور السيد رزق الطويل ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ط-١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٣٥٤- قاعدة في فضائل القرآن :

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، دراسة وتحقيق د/ سليمان بن صالح القرعاوي ، مكتبة الظلال ، الأحساء ، ١٤١٤هـ .

٣٥٥- القاموس المحيط :

لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) ، نشر مؤسسة الرسالة ، ط-٢ ، ١٤٠٧هـ (ج١-٤) .

٣٥٦- قانون التأويل :

لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي (ت٥٤٣هـ) ، تحقيق د/ محمد السليمان ، نشر دار القبلة ، جدة ، ومؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، ط-١ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٣٥٧- القرآن : نزوله ، تدوينه ، ترجمته ، تأثيره :

لبلاشير ، ترجمة : رضا سعادة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط-١ ، ١٩٧٤م .

٣٥٨- القرآن الكريم والدراسات الأدبية :

للدكتور نور الدين عتر ، منشورات جامعة دمشق ، ط-٦ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

٣٥٩- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب :

للشيخ عبد الفتاح القاضي ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧١هـ .

٣٦٠- القراءة خلف الإمام :

لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ) ، تحقيق محمد السعيد زغلول ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط-١ ، ١٤٠٦هـ .

٣٦١- قضايا في علوم القرآن تعين على فهمه :

للدكتور السيد أحمد عبد الغفار ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط-١ ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

٣٦٢- قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية :

للدكتور فضل حسن عباس ، نشر دار البشير ، عمان .

٣٦٣- قطر الندى وبل الصدى :

لأبي محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، تحقيق
محمد محي الدين عبد الحميد ، نشر المكتبة العصرية ، بيروت ، دون ذكر
تاريخ الطبعة .

٣٦٤- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان :

لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ) ، تحقيق إبراهيم
الأيباري ، مطبعة السعادة . مصر ، ١٣٨٣هـ .

٣٦٥- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل :

لعبد الرحمن جنبكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، ط-٢ ،
١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

٣٦٦- القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد :

لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق عبد الله محمد
الدرويش ، دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط-١ ، ١٤٠٥هـ .

٣٦٧- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة :

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، نشر دار الكتب
العلمية ، بيروت ، ط-١ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م (ج١-٣) .

٣٦٨- الكامل في التاريخ :

لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم المشهور بابن الأثير
الجزري (ت ٦٣٠هـ) ، راجعه وعلق عليه نخبة من العلماء (ج١-٨) .

٣٦٩- الكامل في ضعفاء الرجال :

لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ) ، نشر دار الفكر ،
بيروت ، ط-١ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م (ج١-٧) .

٣٧٠- الكتاب :

لسبيويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) ، تحقيق وشرح
عبد السلام هارون ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م (ج١-٤) .

٣٧١- كشف الأسرار عن زوائد البزار على الكتب الستة :

لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) ، تحقيق حبيب الرحمن
الأعظمي ، مؤسسة الرسالة ، ط-١ ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م (ج١-٤) .

٣٧٢- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون :

لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة ، منشورات مكتبة المثنى ،
بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة (ج١-٢) .

٣٧٣- الكفاية في علم الرواية :

لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ، مطبعة
السعادة ، القاهرة .

٣٧٤- الكنى والأسماء :

لمسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ) ، تحقيق د / عبد الرحيم
القشقري ، نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ط-١ ،
١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م (ج١-٢) .

٣٧٥- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة :

لنجم الدين محمد بن محمد بدر الدين (ت ١٠٦١هـ) ، حققه وضبط
نصوصه د / جبرائيل سليمان جبور ، منشورات دار الآفاق الجديدة ،
بيروت ، ط-٢ ، ١٩٧٩م (ج١-٣) .

٣٧٦- الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات :

لأبي البركات محمد بن أحمد المعروف بابن الكيال (ت ٩٣٩هـ) ، تحقيق
ودراسة عبد القيوم عبد رب النبي ، نشر مركز البحث العلمي وإحياء
التراث العلمي بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط-١ ،
١٤٠١هـ/١٩٨١م .

٣٧٧- لباب التأويل في معاني التنزيل :

لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت ٧٢٥هـ) ، مطبعة
مصطفى الباوي الحلبي وأولاده بمصر ، ط-٢ ، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م
(ج١-٧) .

٣٧٨- لباب النقول في أسباب النزول :

لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، نشر دار
إحياء العلوم، بيروت ، ط-٤ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٣٧٩- لسان العرب :

لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ) ،
نشر دار صادر ، بيروت، دون ذكر تاريخ الطبعة (ج١-١٥) .

٣٨٠- لسان الميزان :

لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، نشر مجلس
دائرة المعارف النظامية في الهند ، حيدر آباد الدكن ، ط-١ ، ١٣٢٩هـ
(ج١-٧) .

٣٨١- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير :

للدكتور محمد بن لطفي الصباغ ، المكتب الإسلامي ، ط-٣ ،
١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

٣٨٢- مباحث في علوم القرآن :

لمناع القطان ، مؤسسة الرسالة ، ط-٢٤ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

٣٨٣- مباحث في علوم القرآن :

للدكتور صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط-١٦ ، ١٩٨٥م .

٣٨٤- من الجواهر المكنون :

لعبد الرحمن الأنخري (ت٩٨٣هـ) ، نشر مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط-١ ، ١٤١٥هـ .

٣٨٥- من مراقي السعود :

لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم (ت١٢٣٣هـ) ، نشر مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط-١ ، ١٤١٥هـ .

٣٨٦- مجاز القرآن :

لأبي عبيد معمر بن المثنى (ت٢٠٩هـ) ، عارضه بأصوله وعلق عليه د/ محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي بمصر ، دون ذكر تاريخ الطبعة (ج١-٢) .

٣٨٧- جمع البحرين في زوائد المعجمين :

لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ) ، تحقيق ودراسة عبد القدوس بن محمد نذير ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط-١ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م (ج١-٨) .

٣٨٨- جمع البيان في تفسير القرآن :

لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة (ج١-١٠) .

٣٨٩- مجمع الزوائد :

للمحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) ، منشورات
مؤسسة المعارف ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م (ج ١-١٠) .

٣٩٠- المجموع شرح المذهب :

لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ، نشر دار الفكر ،
بيروت دون ذكر تاريخ الطبعة (ج ١-٢٠) .

٣٩١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية :

جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد ، طبعة الرئاسة
العامة لشؤون الحرمين الشريفين (ج ١-٣٥) .

٣٩٢- محاسن التأويل :

لمحمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٢-٢٠٠٠
١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م (ج ١-١٧) .

٣٩٣- محاضرات في علوم القرآن :

للدكتور القصبي محمود زلط ، نشر دار الأنصار ، القاهرة ، دون ذكر
تاريخ الطبعة.

٣٩٤- المحتسب في تبين وجوه القراءات والإيضاح عنها :

لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، الجزء الأول بتحقيق علي
النجدي ناصف، ود/ عبد الحليم النجار ، ود/ عبد الفتاح الشلبي ، الجزء
الثاني بتحقيق علي النجدي ناصف، ود/ عبد الفتاح الشلبي ، دار سزكين
للطباعة والنشر ، ط ٢-٢٠٠٠هـ/ ١٩٨٦م (ج ١-٢) .

٣٩٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :

لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) ، نشر
دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م (ج ١-١٦) .

٣٩٦- الحصول في علم أصول الفقه :

لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت ، ط-١ ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م (ج١-٢) .

٣٩٧- محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم :

للدكتور فريد مصطفى سليمان ، نشر مكتبة الرشد ، الرياض ، ط-١ ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

٣٩٨- مختصر ابن الحاجب :

لجمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمرو بن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

٣٩٩- مختصر الشمائل المحمدية :

للإمام الترمذي ، اختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، عمان ، الأردن ، ط-١ ، ١٤٠٥هـ .

٤٠٠- مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة :

لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق صبري عبد الخالق ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط-١ ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م (ج١-٢) .

٤٠١- مختصر سنن أبي داود :

لأبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦هـ) ، تحقيق محمد حامد الفقي وأحمد شاكر ، نشر مكتبة السنة المحمدية ، القاهرة (ج١-٨) مع معالم السنن وتهذيب ابن القيم .

٤٠٢- مختصر في شواذ القراءات :

لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) ، عني بنشره برجستراسر ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٩٢٤م .

- ٤٠٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل :
 لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي (ت) ، مؤسسة الرسالة ، دون
 ذكر تاريخ الطبعة (ج١-٥) .
- ٤٠٤- المدخل إلى السنن الكبرى :
 لبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ) ، تحقيق د/ محمد ضياء
 الرحمن الأعظمي ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت ، دون ذكر
 تاريخ الطبعة .
- ٤٠٥- مدخل إلى علوم القرآن والتفسير :
 للدكتور فاروق حمادة ، نشر مكتبة المعارف ، الرياض ، ط-١ ،
 ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
- ٤٠٦- المدخل لدراسة القرآن الكريم :
 للدكتور محمد محمد أبي شهبة ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض ،
 ط-٣ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- ٤٠٧- المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى :
 لأبي النصر أحمد بن محمد بن أحمد السمرقندي المعروف بالحدادي (ت
 بعد ٤٠٠هـ) ، تحقيق صفوان الداودي ، دار القلم ، دمشق ، ط-١ ،
 ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- ٤٠٨- المدونة الكبرى :
 لأبي عبد الله مالك بن أنس (ت١٧٩هـ) ، نشر مطبعة السعادة بمصر ،
 ط-١ ، دون ذكر تاريخ الطبعة (ج١-٦) .
- ٤٠٩- مذكرة أصول الفقه :
 للشيخ محمد الأمين بن مختار الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) ، نشر دار القلم ،
 بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة .

٤١٠- المراسيل :

لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ) ، تحقيق شكر الله قوجاني ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط-١ ، ١٣٩٧هـ .

٤١١- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع :

لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت٧٣٩هـ) ، تحقيق عليه محمد البحايي ، نشر دار إحياء الكتب العربية ، ط-١ ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م (ج١-٣) .

٤١٢- مراقبي السعود إلى مراقبي السعود :

لمحمد الأمين بن أحمد بدران الجكني (ت١٣٢٥هـ) ، تحقيق د/ محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي ، نشر مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط-١ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

٤١٣- مرويات أم المؤمنين عائشة في التفسير :

للدكتور سعود الفنينان ، نشر مكتبة التوبة ، الرياض ، ط-١ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

٤١٤- مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير :

جمعه وخرّجه د / حكمت بشير ياسين و د/ عبد الغفور البلوشي ، ومحمد بن رزق بن الطرهوني وأحمد البزرة ، نشر مكتبة المؤيد ، الرياض ، ط-١ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م (ج١-٤) .

٤١٥- المستدرك على الصحيحين :

للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨ (ج١-٤) .

٤١٦- المسند :

للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ، دار المعارف بمصر ،
١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م (ج ١-١٦) ، وكذلك طبعة المكتب الإسلامي ،
بيروت ، ط-١ ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م (ج ١-٨) .

٤١٧- مسند أبي بكر الصديق :

لأبي بكر أحمد بن علي المروزي (ت ٢٩٢هـ) ، تحقيق شعيب
الأرنؤوط ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط-٤ ،
١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

٤١٨- مسند أبي داود الطيالسي :

لأبي داود سليمان بن داود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ) ، نشر دار الكتاب
اللبناني ، ودار التوفيق ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند ،
١٣٢١هـ .

٤١٩- مسند أبي يعلى الموصلي :

لأحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت ٣٠٧هـ) ، حققه وخرّج أحاديثه
حسين سليم أسد ، دار الثقافة العربية ، دمشق ، ط-١ ،
١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م (ج ١-١٣) .

* مسند البزار - البحر الزخار .

٤٢٠- مشاهير علماء الأمصار :

لمحمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ) ، نشر لجنة التأليف والترجمة بمصر
١٣٧٩هـ .

٤٢١- مشاهير علماء نجد وغيرهم :

لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، نشر دار اليمامة للنشر ،
الرياض ، ط-١ ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .

٤٢٢- مشكاة المصابيح :

محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (ت ٧٣٧هـ) ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط-١ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م (ج١-٣) .

٤٢٣- مشكل إعراب القرآن :

لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) ، تحقيق ياسين السواس ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م (ج١-٢) .

٤٢٤- المصاحف :

للحافظ أبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني (ت ٣١٦هـ) ، تحقيق د/ آرثر جفري ، المطبعة الرحمانية ، ط-١ ، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م

٤٢٥- مصادر الفكر الإسلامي في اليمن :

لعبد الله الحبشي ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

٤٢٦- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور :

لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) ، حققه د/ عبد السميع حسنين ، نشر مكتبة المعارف ، الرياض ، ط-١ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م (ج١-٣) .

٤٢٧- مصباح الزجاجاة في زوائد ابن ماجه :

لشهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري (ت ٨٤٠هـ) ، تحقيق محمد المنتقى الكشناوي ، نشر دار العربية ، بيروت ، ط-١ ، ١٤٠٦هـ (ج١-٤) .

٤٢٨- المصنف :

لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ) ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط-١ ، ١٣٩٠/١٩٧٠م (ج١-١١) .

٤٢٩- المصنف في الأحاديث والآثار :

لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (ت ٢٣٥هـ) ، اعتنى بتحقيقه ونشره مختار أحمد الندوي ، الدار السلفية ، بومباي ، الهند ، ط-١ ، ١٤١٠هـ/١٩٨١م (ج١-١٥) .

٤٣٠- معالم التنزيل :

للحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ) ، حققه محمد عبد الله النمر ، وعثمان جمعة ضميرية ، وسليمان الحرش ، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٠٩هـ (ج١-٨) .

٤٣١- معالم قرآنية في الصراع مع اليهود :

للدكتور مصطفى مسلم ، دار المسلم ، الرياض ، ط-١ ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

٤٣٢- معالم مكة التاريخية والأثرية :

لعاتق البلادي ، دار مكة للنشر والتوزيع ، ط-٢ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٤٣٣- معاني القرآن :

لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ) ، تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، ط-١ ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م (ج١-٦) .

٤٣٤- معاني القرآن وإعرابه :

لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الزجاج (ت ٣١١هـ) ، تحقيق
د/ عبد الجليل الشليبي ، نشر المكتبة العصرية ، بيروت ،
١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م (ج ١-٥) .

٤٣٥- معترك الأقران في إعجاز القرآن :

لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تصحيح
أحمد شمس الدين ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط-١ ،
١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م (ج ١-٣) .

٤٣٦- معجم الأخطاء الشائعة :

لمحمد العدناني ، نشر مكتبة لبنان ، ط-٢ ، ١٩٨٥م .

٤٣٧- المعجم الأوسط :

للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق
محمود الطحان، مكتبة المعارف ، الرياض ، صدرت أجزاءه الأولى
١٤٠٥هـ وأجزاءه الأخيرة ١٤١٦هـ (ج ١-١١) .

٤٣٨- معجم البلدان :

لياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ) ، تحقيق فريد عبد العزيز
الجندي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط-١ ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م
(ج ١-٦) .

٤٣٩- معجم الدراسات القرآنية :

للدكتورة ابتسام مرهون الصفار ، منشورات جامعة الموصل ، وساعدت
جامعة بغداد على نشره ، ١٩٨٣-١٩٨٤م .

٤٤٠- معجم الشيوخ ((المعجم الكبير)) :

محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق د/ محمد الحبيب الهيلة ، نشر مكتبة الصديق ، الطائف ، ط-١ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م (ج١-٢) .

٤٤١- معجم القواعد العربية في النحو والصرف :

لعبد الغني الدقر ، نشر دار القلم ، بيروت ، ط-١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

٤٤٢- المعجم الكبير :

لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق حمدي السلفي ، نشر وزارة الأوقاف العراقية ، بغداد ، ط-٢ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م (ج١-٢٥) .

٤٤٣- معجم المؤلفين :

لعمر رضا كحالة ، نشره بالاشتراك مكتبة المتنبي ، بيروت ، ودار إحياء التراث العربي ، بيروت (ج١-١٥) .

٤٤٤- معجم المصنفات الواردة في فتح الباري :

صنفه مشهور بن حسن بن سلمان وأبو حذيفة رائد بن صيري ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، ط-١ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

٤٤٥- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية :

لعاتق بن غيث البلادي ، نشر دار مكة للنشر والتوزيع ، ط-١ ، ١٤١٢هـ / ١٩٨٢م .

٤٤٦- معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر :

لعادل نويهض ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، ط-١ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م (ج١-٢) .

- ٤٤٧- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم :
وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ،
بيروت ، دون تاريخ .
- ٤٤٨- معجم بلدان فلسطين :
محمد محمد شراب ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط-١ ،
١٤٠٧هـ/١٩٨٥م .
- ٤٤٩- معجم قبائل الحجاز :
لعاتق بن غيث البلادي ، دار مكة للنشر والتوزيع ، ط-٢ ،
١٤٠٣هـ/١٤٨٣م .
- ٤٥٠- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة :
لعمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط-٢ ،
١٣٩٨هـ/١٩٧٨م (ج١-١٠) .
- ٤٥١- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع :
لأبي عبيد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت٤٨٧هـ) ، حققه
مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط-١ ،
١٣٦٨هـ/١٩٤٩م (ج١-٤) .
- ٤٥٢- معجم مصنفات القرآن الكريم :
للدكتور علي شواخ إسحاق ، منشورات دار الرفاعي للنشر والتوزيع ،
الرياض ، ط-١ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م (ج١-٤) .
- ٤٥٣- معجم مقاييس اللغة :
لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق عبد السلام
هارون ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر ، ط-٢ ،
١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

٤٥٤- معرفة الثقات :

لأبي الحسن أحمد بن عبد الله العجلي (ت ٢٦١هـ) بترتيب الهيثمي والسبكي ، تحقيق عبد العليم عبد العظيم البستوي ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، ط-١ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م (ج١-٢) .

٤٥٥- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار :

للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، حققه بالاشتراك بشار عواد، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط-١ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م (ج١-٢) ، وكذلك الطبعة التي حققها محمد سيد جاد الحق ، ونشرتها دار الكتب الحديثة ، القاهرة (ج١-٢) .

٤٥٦- المعرفة والتاريخ :

ليعقوب بن سفيان الفسوي (ت ٢٧٧هـ) ، تحقيق د/ أكرم ضياء العمري ، نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، ط-٣ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م (ج١-٤) .

٤٥٧- معركة الوجود بين القرآن والتلمود :

للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد ، مكتبة المنار ، الأردن ، الزرقاء ، ط-٢ ، ١٤٠٢هـ .

٤٥٨- المغامر المطابة في معالم طابة :

لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) تحقيق حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، ط-١ ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

٤٥٩- مغني اللبيب عن كتب الأعراب :

لأبي محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، تحقيق
محمد محي الدين عبد الحميد ، نشر المكتبة العصرية ، بيروت ،
١٤٠٧هـ/١٩٨٧م (ج١-٢) .

٤٦٠- المغني في الضعفاء :

لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق د/ نور الدين عتر ،
نشر دار المعارف ، حلب ، ط-١ ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م (ج١-٢) .

٤٦١- المغني في ضبط أسماء الرجال ومعرفة كنى الرواة وألقابهم وأنسابهم :

للعلمة المحدث محمد بن طاهر بن علي الهندي المشهور بالفِتنِي
(ت ٩٨٦هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط-١ ،
١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٤٦٢- مفاتيح الغيب :

لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، نشر دار الفكر ،
بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة (ج١-٣٢) .

٤٦٣- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم :

لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زادة ، تحقيق ومراجعة كامل
البكري وعبد الوهاب أبو النور ، دار الكتب الحديثة بالقاهرة
(ج١-٣) .

٤٦٤- مفتاح العلوم :

لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت ٦٢٦هـ) ، ضبطه
وشرحه د/ نعيم زرزور ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط-١ ،
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٤٦٥- المفردات في غريب القرآن :

لأبي القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني
(ت ٥٠٢هـ)، تحقيق صفوان داوودي ، دارالقلم ، دمشق ، ط-١ ،
١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

٤٦٦- المقتنى في سرد الكنى :

لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق محمد صالح
عبدالعزیز المراد، نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة ، ط-١ ،
١٤٠٨هـ (ج١-٢) .

٤٦٧- مقدمة ترجمة القرآن :

لأبي الأعلى المودودي (ت ١٣٩٩هـ) ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

٤٦٨- مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبدع وإعجاز القرآن:

لأبي عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان الشهير بابن النقيب
(ت ٦٩٨هـ) ، تحقيق د/ زكريا سعيد علي ، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة،
ط-١ ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

٤٦٩- مقدمة في أصول التفسير :

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق فواز
زمرلي، نشر دار ابن حزم ، بيروت ، ط-١ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

٤٧٠- مقدمتان في علوم القرآن :

لابن عطية وصاحب المباني ، تحقيق آرثر جفري ، نشر مكتبة الخانجي ،
القاهرة ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

٤٧١- المقنع في علوم الحديث :

لسراج الدين عمر بن علي المشهور بابن الملحق (ت ٨٠٤هـ) ، تحقيق
ودراسة عبد الله بن يوسف الجديع ، نشر دار فؤاز للنشر ، الأحساء ،
ط-١ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

٤٧٢- مكارم الأخلاق ومعالها ومحمد طرائقها ومرضها :

لأبي بكر محمد بن جعفر بن محمد الخرائطي (ت ٣٢٧هـ) ، تحقيق
ودراسة د/ سعاد سليمان إدريس ، مطبعة المدني ، ط-١ ،
١٤١١هـ/١٩٩١م (ج١-٢) .

٤٧٣- مكى بن أبى طالب وتفسير القرآن :

للدكتور أحمد حسن فرحات ، مطبعة دار الفرقان ، عمان ، الأردن ،
ط-١ ، ١٤٠٤هـ .

٤٧٤- من هدى سورة البقرة :

لحنان لحام ، نشر دار الهدى ، الرياض ، ط-١ ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

٤٧٥- المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة :

للحربي ، تحقيق حمد الجاسر ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ،
الرياض ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

٤٧٦- مناهل العرفان في علوم القرآن :

لمحمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي
وشركاه ، بدون ذكر التاريخ (ج١-٢) .

٤٧٧- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك :

لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق محمد عبد
القادر عطا ، ومصطفى عبد القادر عطا ، نشر دار الكتب العلمية ،
بيروت ، ط-١ ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م (ج١-١٨) .

٤٧٨- منهاج السنة النبوية :

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق
د/ محمد رشاد سالم ، نشر مؤسسة قرطبة ، ط-١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م
(ج١-٩) .

٤٧٩- منهاج الوصول في معرفة علم الأصول :

لناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) ، علق عليه سمير
المجدوب ، نشر عالم الكتب ، بيروت ، ط-١ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

٤٨٠- المنهاج على شرح صحيح مسلم :

لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ، المطبعة المصرية
بالأزهر ، ط-١ ، ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م (ج١-١٨) .

٤٨١- منهج ابن القيم في التفسير :

للدكتور محمد أحمد السباطي ، نشره مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة ،
١٣٩٣هـ .

٤٨٢- منهج الفرقان في علوم القرآن :

للشيخ محمد علي سلامة ، مطبعة شبرا بمصر .

٤٨٣- الموافقات في أصول الشريعة :

لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) ، اعتنى بضبطه
الشيخ محمد عبد الله دراز ، دار المعرفة ، بيروت ، ط-٢ ،
١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م (ج١-٤) .

٤٨٤- موافقة الخبر الخبر في تخریج أحاديث المختصر :

لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، حققه حمدي السلفي
وصبحي السامرائي ، مكتبة الرشيد ، الرياض ، ط-١ ،
١٤١٢هـ / ١٩٩٢م (ج١-٢) .

- ٤٨٥- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية :
 لأحمد بن محمد القسطلاني (ت٩٢٣هـ) ، تحقيق صالح أحمد الشامي ،
 المكتب الإسلامي ، ط-١ ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م (ج١-٤) .
- ٤٨٦- مورد الظمان إلى معرفة فضائل القرآن :
 لزين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ) ، تحقيق يسري
 عبد الغني ، نشر مكتبة القرآن ، القاهرة ، دون ذكر تاريخ الطبعة .
- ٤٨٧- موسوعة القواعد الفقهية :
 جمع وترتيب د/محمد صدقي البورنو ، ط-١ ، ١٤١٦هـ ، لم يذكر مكان
 الطبع (ج١-٢) .
- ٤٨٨- موسوعة المستشرقين :
 للدكتور عبد الرحمن البدوي ، نشر دار العلم للملايين ، بيروت ، دون
 ذكر تاريخ الطبعة .
- ٤٨٩- الموضوعات :
 لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت٥٩٧هـ) ، تحقيق د/ عبد الرحمن
 محمد عثمان ، نشر مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط-٢ ،
 ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- ٤٩٠- الموطأ :
 للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي (ت١٧٩هـ) ، تحقيق محمد
 فؤاد عبد الباقي ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت (ج١-٢) .
- ٤٩١- ميزان الاعتدال في نقد الرجال :
 للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ) ، تحقيق علي محمد
 البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط-
 ١/١٣٨٢هـ/١٩٦٣م (ج١-٤) .

٤٩٢- الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن :
لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) ، تحقيق محمد بن صالح المديفر ،
نشر مكتبة الرشد ، الرياض ، ط-١ ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

٤٩٣- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم :
لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي (ت ٥٤٣هـ) ، تحقيق د/
عبد الكريم المدعري، نشر مكتبة الثقافة الدينية ، ط-١ ،
١٤١٣هـ / ١٩٩٢م (ج١-٢) .

٤٩٤- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم :
لهبة الله بن سلامة الضرير (ت ٤١٠هـ) ، تخريج وتعليق د/ مصطفى ذيب
البغا ، مطبعة اليمامة للنشر والتوزيع ، دمشق ، ط-١ ،
١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

٤٩٥- الناسخ والمنسوخ في كتاب الله واختلاف العلماء في ذلك :
لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ) ، تحقيق
د/ سليمان بن إبراهيم اللاحم ، نشر مؤسسة الرسالة ، ط-١ ،
١٤١٢هـ / ١٩٩١م (ج١-٣) .

٤٩٦- النأ العظيم :
للدكتور محمد عبد الله دراز (ت ١٩٥٨م) ، دار القلم ، الكويت ،
ط-٣ ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

٤٩٧- نثر الورود على مراقبي السعود :
للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) ، تحقيق وإكمال د/ محمد
ولد سيدي الشنقيطي ، نشر دار المنارة ، جدة ، ط-١ ،
١٤١٥هـ / ١٩٩٥م (ج١-٢) .

٤٩٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة :

جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ) ، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر (ج ١-١٢) .

٤٩٩- نزهة الألباء في طبقات الأدباء :

لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧هـ) ، تحقيق د/ إبراهيم السامرائي ، مكتبة المنار ، الأردن ، الزرقاء ، ط-٣ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ م .

٥٠٠- النسخ في القرآن الكريم :

للدكتور مصطفى زيد ، نشر دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط-١ ، ١٣٨٣هـ (ج ١-٢) .

٥٠١- نظرات في القرآن :

لمحمد الغزالي (ت ١٤١٦هـ) ، دار الكتب الحديثه ، القاهرة ، ط-٤ ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣ م .

٥٠٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور :

لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) ، خرج أحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط-١ ، ١٤١٥/١٩٩٥ م (ج ١-٨) .

٥٠٣- النكت على كتاب ابن الصلاح :

لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق د/ ربيع بن هادي المدخلي ، نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة ، ط-١ ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤ م (ج ١-٢) .

٥٠٤- النكت والعيون :

لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ) ، راجعه وعلق عليه
السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ،
ط-١ ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م (ج١-٦) .

٥٠٥- نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول :

لعبد الرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي (ت ٧٧٢هـ) ، نشر عالم
الكتب ، دون ذكر تاريخ الطبعة (ج١-٤) .

٥٠٦- النهاية في غريب الحديث والأثر :

لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المشهور بابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) ،
نشر المكتبة العلمية ، بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة (ج١-٤) .

٥٠٧- النهر الماد من البحر المحيط :

لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن حيان (ت ٧٤٥هـ) ، الناشر : مكتبة
ومطابع النصر الحديثة ، دون ذكر تاريخ الطبعة .

٥٠٨- نواسخ القرآن :

لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق محمد أشرف
الملباري ، نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ط-١ ،
١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

٥٠٩- نور المسرئ في تفسير آية الإسراء :

لعبد الرحمن بن إسماعيل أبي شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ) ، تحقيق د/ علي
حسين البواب ، نشر مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

٥١٠- هدي الساري مقدمة فتح الباري :

لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، نشر
المكتبة السلفية ، القاهرة ، ط-٤ ، ١٤٠٨هـ .

٥١١- الوافي بالوفيات :

لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ، نشرها جماعة من المستشرقين ، طبعة بيروت ، دون ذكر تاريخ الطبعة .

٥١٢- الوحدة الموضوعية في سورة يوسف عليه السلام :

للدكتور حسن با جودة ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، بدون تاريخ الطبعة .

٥١٣- الوسيط في تفسير القرآن المجيد :

لعلي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ) ، تحقيق عادل عبد الموجود ، علي محمد معوض ، الدكتور أحمد محمد صيرة ، د/ أحمد عبد الغني الجمل ، د/ عبد الرحمن عويس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط-١ ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤ (ج١-٤) .

٥١٤- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان :

لأحمد بن محمد بن خلكان (ت ٦٨١هـ) ، تحقيق د/ إحسان عباس ، نشر دار الثقافة ، بيروت ، ط-١ ، ١٩٧٠م (ج١-٧) .

٥١٥- اليهود في القرآن والسنة :

للدكتور محمد أديب الصالح ، دار الهادي للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط-١ ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م (ج١-٤) .

* * * * *

رابعاً : المجلات والدوريات :

٥١٦- أخبار التراث العربي :

الأعداد (٢١ ، ٢٧ ، ٣٩) .

٥١٧- جريدة الشرق الأوسط :

العدد (٥١٧٦) ٧ شعبان (١٤١٣هـ) .

- ٥١٨- حولية الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد - :
العدد الثاني (١٤١٥ هـ) .
- ٥١٩- الرسالة الإسلامية :
العددان (١٦٤-١٦٥) (١٤٠٥ هـ) .
- ٥٢٠- كنوز الفرقان :
العدد أكتوبر ونوفمبر (١٩٥١ م) .
- ٥٢١- مجلة الأزهر :
المجلد (٩) .
- ٥٢٢- مجلة البحوث الإسلامية :
الأعداد (١٧ ، ٣١) .
- ٥٢٣- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة :
العددان (١٠٢-١٠١) السنة (٢٦) ١٤١٤-١٤١٥ هـ .
- ٥٢٤- مجلة الدارة :
العدد (٢) السنة (٧) .
- ٥٢٥- مجلة الدعوة :
العدد (١٥٣٣) ٢٥ شوال (١٤١٦ هـ) .
- ٥٢٦- مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت - :
العدد (٢٣) السنة التاسعة ، ربيع الأول (١٤١٥ هـ) .
- ٥٢٧- مجلة الفيصل :
الأعداد (١٣٣ ، ٢١٠) .
- ٥٢٨- مجلة كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية :
العدد الثاني ، عام (١٣٩٩-١٤٠٠ هـ) .

٥٢٩- مجلة كلية الدراسات الإسلامية بجامعة بغداد :

المجلد (١٣) ، العدد (٢) .

٥٣٠- مجلة المجمع العلمي العراقي :

الجزء الثاني والثالث من المجلد الثامن .

٥٣١- مجلة المنهل :

العدد (٤٧١) السنة (٥٥) رمضان ، شوال (١٤٠٩هـ) .

٥٣٢- مجلة المورد :

المجلد السابع عشر ، العدد الرابع (١٩٨٨م) .



الحادي عشر : فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقريظ لفضيلة الدكتور حكمت بشير ياسين	٨-٧
تقريظ لفضيلة الدكتور عبد العزيز محمد عثمان	١١-٩
المقدمة.....	٣٣-١٢
خطة البحث.....	١٩
منهجي في هذا البحث	٢٤
الصعوبات التي واجهتني في أثناء البحث	٠
شكر وتقدير.....	٣١
الباب الأول : مقدمات في علم المكي والمدني	٢٣٠-٣٤
المبحث الأول : تعريفات للمكي والمدني	٥٦-٣٥
المطلب الأول : المقصود بعنوان الرسالة	٣٦
المطلب الثاني : تعريف المكي والمدني لغوياً	٣٨-٣٧
المطلب الثالث : تعريف المكي والمدني بمعناه العام	٤١-٣٩
المطلب الرابع : تعريف المكي والمدني بمعناه المراد به	
بتحديد مصطلح كل منهما.....	٥٦-٤٢
المسألة الأولى : التحديد بالمصطلحين.....	٤٨-٤٢
المسألة الثانية : الاعتراضات التي وجهت إلى الاصطلاح المختار	
والجواب عنها	٥٢-٤٨
المسألة الثالثة : المآخذ التي أخذت على الاصطلاح الثاني.....	٥٣-٥٢

المسألة الرابعة : المآخذ التي أخذت على الاصطلاح الثالث	٥٦-٥٣
المبحث الثاني : التأليف في المكي والمدني قديماً وحديثاً	٩٧-٥٧
بين يدي المبحث	٥٨
المطلب الأول : مرحلة نشأة علم المكي والمدني	٦٢-٥٩
المطلب الثاني : مرحلة التأليف والتدوين	٩١-٦٣
المسألة الأولى : المؤلفات التي ألفت في المكي والمدني وعرف مؤلفوها	٨١-٦٣
المسألة الثانية : المؤلفات التي ألفت في المكي والمدني وجهل مؤلفوها	٨٣-٨١
المسألة الثالثة : المؤلفات التي خصصت باباً أو فصلاً أو قسمياً	
أو غير ذلك من التسميات في موضوع المكي والمدني ...	٩١-٨٣
المطلب الثالث : مرحلة الدراسات المعاصرة	٩٧-٩٢
المسألة الأولى : الجهود التي قدمتها الدراسات المعاصرة	٩٣-٩٢
المسألة الثانية : وقفات مع بعض القضايا التي طرحتها بعض الدراسات المعاصرة	٩٧-٩٣
المبحث الثالث : علاقة المكي والمدني ببعض أبواب علوم القرآن ..	١٢٦-٩٨
المطلب الأول : العلاقة بين المكي والمدني وبين أسباب النزول	١١٢-٩٩
المسألة الأولى : التعريف بأسباب النزول لغة واصطلاحاً	١٠١-٩٩
المسألة الثانية : ضرب أمثلة تتبين فيها العلاقة بين المكي وبين أسباب النزول	١٠٣-١٠٢
المسألة الثالثة : أوجه التوافق بين المكي والمدني وبين أسباب النزول	١١٢-١٠٣
المطلب الثاني : العلاقة بين المكي والمدني وبين النسخ والمنسوخ	١١٩-١١٣
المسألة الأولى : تعريف النسخ لغة واصطلاحاً	١١٣

المسألة الثانية : ضرب مثال على العلاقة بين المكي والمدني	
وبين الناسخ والمنسوخ	١١٤
المسألة الثالثة : اعتبار كتب الناسخ والمنسوخ مصدراً مهماً من	
مصادر معرفة المكي والمدني	١١٩-١١٥
المطلب الثالث : العلاقة بين المكي والمدني وبين فضائل القرآن	١٢٦-١٢٠
المسألة الأولى : التعريف بفضائل القرآن لغة واصطلاحاً	١٢١-١٢٠
المسألة الثانية : الأوجه التي تبرز فيها العلاقة بين المكي والمدني	
وبين فضائل القرآن	١٢٦-١٢٢
المبحث الرابع : أسباب الاختلاف في تعيين المكي والمدني	١٣٣-١٢٧
المبحث الخامس : فوائد معرفة المكي والمدني	١٤١-١٣٤
المبحث السادس : القواعد التي يقوم عليها علم المكي	١٥٨-١٤٢
توطئة	١٤٣
المطلب الأول : تعريف القواعد لغة واصطلاحاً	١٤٥-١٤٤
المطلب الثاني : ذكر القواعد التي يقوم عليها علم المكي والمدني	١٥٨-١٤٦
المبحث السابع : ضوابط المكي والمدني ومميزاتهما	١٧٨-١٥٩
تمهيد	١٦٠
المطلب الأول : ضوابط المكي والمدني	١٦١
المطلب الثاني : مميزات المكي والمدني	١٦٨
المطلب الثالث : عرض المنهج القرآني في الحديث عن بني إسرائيل	
في المرحلة المكية	١٧٥

المبحث الثامن : المفسرون الذين اعتنوا بذكر المكي والمدني

- دراسة استعراضية موجزة - ١٧٩-٢٠٢

المطلب الأول : المفسرون القدامى واهتمامهم بذكر المكي والمدني

من خلال أربعة مؤلفات ١٨٠-١٩١

أولاً : ((المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)) لابن عطية ١٨٠-١٨٢

ثانياً : ((زاد المسير في علم التفسير)) لابن الجوزي ١٨٢-١٨٥

ثالثاً : ((تفسير القرآن العظيم)) لابن كثير ١٨٥-١٨٧

رابعاً : ((الدر المنثور في التفسير المأثور)) للسيوطي ... ١٨٧-١٩١

المطلب الثاني: الدراسات التفسيرية المعاصرة واهتمامها بذكر المكي والمدني

من خلال أربعة مؤلفات من تلك الدراسات ١٩٢-٢٠٢

أولاً : ((محاسن التأويل)) للعلامة القاسمي ١٩٢-١٩٤

ثانياً : ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا ١٩٤-١٩٨

ثالثاً : ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب ١٩٨-٢٠٠

رابعاً : ((التحرير والتنوير)) لابن عاشور ٢٠٠-٢٠٢

المبحث التاسع : الشبهات التي أثرت حول المكي والمدني

والرد عليها ٢٠٣-٢٠٨

المبحث العاشر : الصلات التي تتعلق بالمكي والمدني ٢٠٩-٢٣٠

تمهيد ٢١٠

المطلب الأول : الحضري والسفري ٢١٢-٢١٣

المطلب الثاني : النهاري والليلي ٢١٤-٢١٥

المطلب الثالث : الصيفي والشتائي	٢١٦-٢١٧
المطلب الرابع : الفرائشي والنومي	٢١٨-٢٢١
المطلب الخامس : ما نزل مفترقاً وما نزل جمعاً	٢٢٢
المطلب السادس : ما نزل مشيئاً وما نزل مفرداً	٢٢٣
المطلب السابع : ما تأخر حكمه عن نزوله، وما تأخر نزوله عن حكمه	٢٢٤-٢٢٧
المطلب الثامن : ما نزل بمكة وحكمه مدني ، وما نزل بالمدينة وحكمه مكّي	٢٢٨
المطلب التاسع : القرآن المحمّل	٢٢٩-٢٣٠

الباب الثاني : تحرير القول في السور ٢٣١-٤٩٦

تمهيد	٢٣٢-٢٨٥
المبحث الأول : تعريف السورة لغة واصطلاحاً	٢٣٢-٢٣٥
المطلب الأول: تعريف السورة لغة	٢٣٣-٢٣٤
المطلب الثاني: تعريف السورة اصطلاحاً	٢٣٥
المبحث الثاني : حكم ترتيب سور القرآن	٢٣٦-٢٥١
المطلب الأول: ترتيب سور القرآن من حيث توقيفه وعدم توقيفه	٢٣٧-٢٤٥
المطلب الثاني: هل من الممكن أن ترتب سور القرآن حسب نزولها؟	٢٤٦-٢٥١
المبحث الثالث: دراسة عن أسانيد الروايات التي تتكرر في هذا الباب	٢٥٢-٢٨٥
الفصل الأول : السور المتفق على مكيتها	٢٨٦-٣٦٦
المبحث الأول : سورة الأنعام	٢٨٧
المطلب الأول: عرض موجز للسورة	٢٨٨
المطلب الثاني: الخلاف الواقع بين أهل العلم حول نزول سورة الأنعام	
جملة واحدة.	٢٨٩-٣٠٣
المسألة الأولى : صورة هذا الخلاف	٢٨٩

- المسألة الثانية : القائلون بأن سورة الأنعام نزلت جملة بمكة ،
- لكن لا يمنع هذا نزول بعض آياتها بالمدينة وأدلتهم .. ٢٨٩-٢٩٦
- المسألة الثالثة : القائلون بأن سورة الأنعام نزلت جملة واحدة بمكة ،
- ولا يصح استثناء شيء من آياتها وأدلتهم ٢٩٧
- المسألة الرابعة : القائلون بضعف الأخبار الدالة على نزول
- سورة الأنعام جملة واحدة بمكة ٢٩٨-٢٩٩
- المسألة الخامسة : بيان القول الراجح ٣٠٠-٣٠٣
- المطلب الثالث: بقية الروايات الدالة على مكية سورة الأنعام ٣٠٤-٣٠٥
- المبحث الثاني : سورة الأعراف ٣٠٦-٣١٤
- المطلب الأول: عرض موجز للسورة من حيث محتواها
- وذكر أقوال أهل العلم فيها. ٣٠٧-٣١٠
- المطلب الثاني: الروايات الدالة على مكية السورة ٣١١-٣١٢
- المطلب الثالث : بعض روايات أسباب النزول الدالة على مكية السورة ٣١٣-٣١٤
- المبحث الثالث : سورة يونس ٣١٥-٣٢٢
- المطلب الأول: عرض موجز لمحتوى السورة ٣١٦
- المطلب الثاني : أقوال أهل العلم في السورة ٣١٧-٣١٩
- المطلب الثالث: الروايات الدالة على مكية السورة ٣٢٠-٣٢٢
- المبحث الرابع : سورة هود ٣٢٣-٣٣١

المطلب الأول: عرض موجز للسورة من حيث محتواها

وذكر أقوال أهل العلم فيها ٣٢٤-٣٢٥

المطلب الثاني: الروايات الدالة على مكية السورة..... ٣٢٦-٣٢٨

المطلب الثالث: بعض روايات أسباب النزول الدالة على مكية السورة ٣٢٩-٣٣١

المبحث الخامس : سورة يوسف ٣٣٢-٣٣٨

المطلب الأول: عرض موجز للسورة من حيث محتواها

وذكر أقوال أهل العلم فيها ٣٣٣-٣٣٤

المطلب الثاني: الروايات الدالة على مكية السورة..... ٣٣٥-٣٣٨

المبحث السادس : سورة إبراهيم ٣٣٩-٣٤٥

المطلب الأول: عرض موجز للسورة من حيث محتواها

وذكر أقوال أهل العلم فيها ٣٤٠-٣٤١

المطلب الثاني: الروايات الدالة على مكية السورة..... ٣٤٢-٣٤٤

المطلب الثالث: بعض روايات أسباب النزول الدالة على مكية السورة..... ٣٤٥

المبحث السابع : سورة الحجر ٣٤٦-٣٥٠

المطلب الأول : عرض موجز لمحتوى السورة..... ٣٤٧

المطلب الثاني : أقوال أهل العلم في السورة ٣٤٨

المطلب الثالث : الروايات الدالة على مكية السورة..... ٣٤٩-٣٥٠

المبحث الثامن : سورة النحل ٣٥١-٣٥٧

المطلب الأول : عرض موجز لمحتوى السورة..... ٣٥٢

المطلب الثاني : أقوال أهل العلم في السورة..... ٣٥٣-٣٥٥

المطلب الثالث : الروايات الدالة على مكية سورة النحل ٣٥٦-٣٥٧

الموضوع

الصفحة

المبحث التاسع : سورة الإسراء ٣٦٦-٣٥٨

المطلب الأول : عرض موجز للسورة من حيث محتواها

وذكر أقوال أهل العلم فيها..... ٣٦١-٣٥٩

المطلب الثاني : الروايات الدالة على مكية السورة..... ٣٦٤-٣٦٢

المطلب الثالث : بعض روايات أسباب النزول الدالة على مكية السورة ٣٦٦-٣٦٥

الفصل الثاني : السور المتفق على مدنياتها ٤٤٤-٣٦٧

المبحث الأول : سورة البقرة ٣٨٠-٣٦٨

المطلب الأول: عرض موجز للسورة من حيث محتواها

وذكر أقوال أهل العلم فيها ٣٧٢-٣٦٩

المطلب الثاني: الروايات الدالة على مدنية السورة ٣٧٦-٣٧٣

المطلب الثالث: بعض روايات أسباب النزول الدالة على مدنية السورة ٣٨٠-٣٧٧

المبحث الثاني : سورة آل عمران ٣٩٧-٣٨١

المطلب الأول: عرض موجز للسورة من حيث محتواها

وذكر أقوال أهل العلم فيها..... ٣٨٥-٣٨٢

المطلب الثاني: الروايات الدالة على مدنية السورة ٣٨٧-٣٨٦

المطلب الثالث: بعض روايات أسباب النزول الدالة على مدنية السورة ٣٩٧-٣٨٨

المبحث الثالث : سورة النساء ٤١٠-٣٩٨

المطلب الأول: عرض موجز للسورة من حيث محتواها

وذكر أقوال أهل العلم فيها ٤٠٣-٣٩٩

المطلب الثاني: الروايات الدالة على مدنية السورة ٤٠٦-٤٠٤

المطلب الثالث: بعض روايات أسباب النزول الدالة على مدنية السورة ٤٠٧-٤١٠

المبحث الأول : سورة المائدة ٤١١-٤٢٤

المطلب الأول: عرض موجز لمحتوى السورة..... ٤١٢

المطلب الثاني: أقوال أهل العلم في السورة..... ٤١٣-٤١٨

المطلب الثالث: الروايات الدالة على مدنية السورة ٤١٩-٤٢٢

المطلب الرابع: بعض روايات أسباب النزول الدالة على مدنية السورة ٤٢٣-٤٢٤

المبحث الخامس : سورة الأنفال..... ٤٢٥-٤٣٣

المطلب الأول: عرض موجز للسورة من حيث محتواها

وذكر أقوال أهل العلم فيها ٤٢٦-٤٢٧

المطلب الثاني: الروايات الدالة على مدنية السورة ٤٢٨-٤٣١

المطلب الثالث: بعض روايات أسباب النزول الدالة على مدنية السورة..... ٤٣٢-٤٣٣

المبحث السادس : سورة التوبة ٤٣٤-٤٤٤

المطلب الأول: عرض موجز للسورة من حيث محتواها

وذكر أقوال أهل العلم فيها ٤٣٥-٤٣٦

المطلب الثاني: الروايات الدالة على مدنية السورة ٤٣٧-٤٤١

المطلب الثالث: بعض روايات أسباب النزول الدالة على مدنية السورة..... ٤٤٢-٤٤٤

الفصل الثالث : السور المختلف فيها ٤٤٥-٤٩٦

المبحث الأول : سورة الفاتحة ٤٤٦-٤٦٨

المطلب الأول: عرض موجز لبيان وجه الخلاف في السورة..... ٤٤٧

المطلب الثاني: القائلون بمكية سورة الفاتحة وأدلتهم..... ٤٤٨-٤٥٢

- المطلب الثالث: القائلون بمدنية سورة الفاتحة وأدلتهم ٤٥٣-٤٥٤
- المطلب الرابع: القائلون بتكرّر نزول الفاتحة وأدلتهم ٤٥٥-٤٥٦
- المطلب الخامس: القائلون بأن النصف الأول من سورة الفاتحة نزل بمكة ونصفها الأخير نزل بالمدينة ودليلهم ٤٥٧
- المطلب السادس: بيان القول الراجح ٤٥٨-٤٦٠
- المطلب السابع: مناقشة أدلة القائلين بمدنية الفاتحة ٤٦١-٤٦٢
- المطلب الثامن: مناقشة أدلة القائلين بتكرّر نزول الفاتحة ٤٦٣-٤٦٥
- المطلب التاسع: مناقشة دليل القائلين بأن النصف الأول من سورة الفاتحة نزل بمكة والنصف الأخير نزل بالمدينة ٤٦٦
- المطلب العاشر: الاعتراض الذي اعترض به على رأي الجمهور والجواب عنه ٤٦٧-٤٦٨
- المبحث الثاني : سورة الرعد ٤٦٩-٤٩٦
- المطلب الأول: عرض موجز في بيان وجه الخلاف في السورة ٤٧٠
- المطلب الثاني: القائلون بأن سورة الرعد مكية وأدلتهم ٤٧١-٤٧٣
- المطلب الثالث: القائلون بمدنية السورة وأدلتهم ٤٧٤-٤٨٠
- المطلب الرابع: القائلون بأن سورة الرعد مكية من حيث الجملة مع اشتغالها على آيات مدنية ٤٨١-٤٨٢
- المطلب الخامس: القائلون بأن سورة الرعد مدنية من حيث الجملة مع اشتغالها على آيات مكية ٤٨٣
- المطلب السادس: بيان القول الراجح ٤٨٤-٤٨٥

المطلب السابع: مناقشة الروايات التي مفادها أن بعض

آيات السورة مدنيات..... ٤٨٦-٤٩٢

المطلب الثامن: الاعتراضات التي اعترض بها على رأي الجمهور

والجواب عنها..... ٤٩٣-٤٩٦

الباب الثالث : تحرير القول في الآيات ٨٥٥-٤٩٧

تمهيد ٤٨٩

المبحث الأول : تعريف الآية لغة واصطلاحاً..... ٤٩٩

المبحث الثاني : حكم ترتيب آيات القرآن الكريم..... ٥٠١

المسألة الأولى : الإجماع على توقيفية ترتيب الآيات ٥٠١

المسألة الثانية : النصوص الدالة على توقيفية ترتيب الآيات في سورها ٥٠١-٥٠٣

المسألة الثالثة : الأدلة العقلية على توقيفية ترتيب الآيات..... ٥٠٤

المسألة الرابعة : شذرات من أقوال أهل العلم حول

توقيفية ترتيب الآيات ٥٠٥-٥٠٦

الفصل الأول : الآيات المدعى مكيتها في السور المدنية..... ٥٨٦-٥٠٧

المبحث الأول : الآيات المدعى مكيتها في سورة البقرة ٥٠٨

المطلب الأول : في قوله تعالى ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ ٥٠٩-٥١٥

المطلب الثاني : في قوله تعالى ﴿ ليس عليك هداهم ﴾ الآية..... ٥١٦-٥١٨

المطلب الثالث : في قوله تعالى ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾ الآية..... ٥١٩-٥٢٢

المبحث الثاني : الآيات المدعى مكيتها في سورة النساء ٥٢٣

المطلب الأول : في قوله تعالى ﴿ يذأبها الناس اتقوا ربكم ﴾ الآية ٥٢٤-٥٢٥

المطلب الثاني : في قوله تعالى ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانت ﴾ الآية..... ٥٢٦-٥٢٩

- المبحث الثالث : الآيات المدعى مكيتها في سورة المائدة ٥٣٠
- المطلب الأول : في قوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ الآية ٥٣٣-٥٣١
- المطلب الثاني : في قوله تعالى ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك﴾ الآية .. ٥٣٦-٥٣٤
- المطلب الثالث : في قوله تعالى ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين ءامنوا اليهود والذين أشركوا﴾ الآيات ٥٣٩-٥٣٧
- المبحث الرابع : الآيات المدعى مكيتها في سورة الأنفال ٥٤٠
- المطلب الأول : في قوله تعالى ﴿واذ يكر بك الذين كفروا﴾ الآية ٥٤٦-٥٤١
- المطلب الثاني : في قوله تعالى ﴿واذا تتلى عليهم ءايتنا قالوا قد سمعنا﴾ ٥٤٨-٥٤٧
- المطلب الثالث : في قوله تعالى ﴿واذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ الآية ... ٥٥٢-٥٤٩
- المطلب الرابع : في قوله تعالى ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ الآيتان ٥٥٦-٥٥٣
- المطلب الخامس : في قوله تعالى ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾ الآية ٥٥٧
- المطلب السادس : في قوله تعالى ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله﴾ الآية ٥٦٠-٥٥٨
- المطلب السابع : في قوله تعالى ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾ الآية ٥٦٧-٥٦١
- المبحث الخامس : الآيات المدعى مكيتها في سورة التوبة ٥٦٨
- المطلب الأول : في قوله تعالى ﴿ما كان للنبي والذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ الآية ٥٨٠-٥٦٩
- المطلب الثاني : في قوله تعالى ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ الآيتان ٥٨٦-٥٨١

- الفصل الثاني : الآيات المدعى مدنيتهما في السور المكية ٥٨٧-٨١١
- المبحث الأول : الآيات المدعى مدنيتهما في سورة الأنعام ٥١٣
- المطلب الأول : في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُم الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ﴾ الآية ٥٨٩-٥٩٢
- المطلب الثاني : في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ ٥٩٣-٥٩٦
- المطلب الثالث : في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ الآية ٥٩٧-٦٠٠
- المطلب الرابع : في قوله تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ الآية ٦٠١-٦١١
- المطلب الخامس : في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾
- أوقال أوحى إني ولم يوح إليه شيء ﴿ الآية ٦١٢-٦١٥
- المطلب السادس : في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَهُمُ الْمَائِكَةَ ﴾ الآية ٦١٦-٦١٧
- المطلب السابع : في قوله تعالى ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغَى حَكْمًا ﴾ الآية ٦١٨
- المطلب الثامن : في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ يَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ الآية ٦١٩-٦٢٤
- المطلب التاسع : في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ ﴾ الآية ٦٢٥-٦٣٢
- المطلب العاشر : في قوله تعالى ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ الآية ٦٣٣-٦٣٨
- المطلب الحادي عشر : في قوله تعالى ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ الآيات ٦٣٩-٦٤٦
- المبحث الثاني : الآيات المدعى مدنيتهما في سورة الأعراف ٦٤٧
- المطلب الأول : في قوله تعالى ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنْ الْقَرْيَةِ ﴾ الآيات ٦٤٨-٦٥٥
- المطلب الثاني : في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ الآية ٦٥٦-٦٦٣
- المبحث الثالث : الآيات المدعى مدنيتهما في سورة يونس ٦٦٤
- المطلب الأول : في قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ﴾ الآية ٦٦٥-٦٦٦

المطلب الثاني : في قوله تعالى ﴿ قل بفضل الله وبرحمته

فبذلك فليفرحوا ﴾ الآيتان ٦٦٧-٦٧٢

المطلب الثالث : في قوله تعالى ﴿ فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك ﴾

الآيات الثلاث ٦٧٣-٦٧٨

المبحث الرابع : الآيات المدعى مدنيتهما في سورة هود ٦٧٩

المطلب الأول : في قوله تعالى ﴿ فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك ﴾ الآية ٦٨٠-٦٨٣

المطلب الثاني : في قوله تعالى ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ﴾ الآية ٦٨٤-٦٨٧

المبحث الخامس : الآيات المدعى مدنيتهما في سورة يوسف ٦٨٨-٦٩٣

المبحث السادس : الآيات المدعى مدنيتهما في سورة إبراهيم ٦٩٤-٧٠٤

المبحث السابع : الآيات المدعى مدنيتهما في سورة الحجر ٧٠٥

المطلب الأول : في قوله تعالى ﴿ ولقد علمنا المستقدمين منكم ﴾ الآية .. ٧٠٦-٧١١

المطلب الثاني : في قوله تعالى ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ﴾ الآية . ٧١٢-٧١٩

المطلب الثالث : في قوله تعالى ﴿ كما أنزلنا على المقتسمين

الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ ٧٢٠-٧٢٦

المبحث الثامن : الآيات المدعى مدنيتهما في سورة النحل ٧٢٧

المطلب الأول : في قوله تعالى ﴿ والذين هاجروا في الله ﴾ الآية ٧٢٨-٧٣٢

المطلب الثاني : في قوله تعالى ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية ﴾ الآية ٧٣٣-٧٣٥

المطلب الثالث : في قوله تعالى ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون

إنما يعلمه بشر ﴾ الآية ٧٣٦-٧٣٨

المطلب الرابع : في قوله تعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ﴾ الآية .. ٧٣٩-٧٤٢

المبحث التاسع : الآيات المدعى مدنيتهما في سورة الإسراء ٧٤٣

المطلب الأول : في قوله تعالى ﴿ وءات ذا القربى حقه ﴾ الآية ٧٤٤-٧٥٠

المطلب الثاني : في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ الآية . ٧٥١-٧٥٢

المطلب الثالث : في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا ﴾ الآيتان ٧٥٣-٧٥٥

المطلب الرابع : في قوله تعالى ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ

إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ الآية ٧٥٦

المطلب الخامس : في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾ ٧٥٧-٧٦٦

المطلب السادس : في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتَنُوكَ ﴾ الآيات ٧٦٧-٧٧٥

المطلب السابع : في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْزِفُوكَ ﴾ الآيات ٧٧٦-٧٨٥

المطلب الثامن : في قوله تعالى ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ الآية ٧٨٦-٧٩٢

المطلب التاسع : في قوله تعالى ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ ﴾ الآية ٧٩٣-٧٩٤

المطلب العاشر : في قوله تعالى ﴿ قُلْ لَنْ أَجْتَمِعَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ ﴾ الآية ٧٩٥-٨٠٠

المطلب الحادي عشر : في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ

تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ الآية ٨٠١-٨٠٨

المطلب الثاني عشر : في قوله تعالى ﴿ قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ﴾

الآيات الثلاث ٨٠٩-٨١١

الفصل الثالث : الآيات المدنية في السور المكية ٨١٢-٨٢٧

تمهيد : ٨١٣

المبحث الأول : في قوله تعالى ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ ﴾ الآية ٨١٤

مستند القول بمدنية هذه الآية ٨١٤

وجه الاستدلال في هذا الحديث ٨١٥

المبحث الثاني : في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ الآية ٨١٩

أدلة الجمهور ٨٢٠

أدلة القائلين بمكية هذه الآية	٨٢٣
القول الراجح	٨٢٤
مناقشة أدلة القائلين بمكية الآية	٨٢٧-٨٢٤
الفصل الرابع : الآيات المكية التي تكرر نزولها بالمدينة.....	٨٥٥-٨٢٨
تمهيد:	٨٢٩
المبحث الأول: في قوله تعالى ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾	٨٤٥-٨٣٠
القائلون بمدنية أواخر آيات النحل وأدلتهم.....	٨٣٤-٨٣٠
القائلون بمكية أواخر آيات النحل وأدلتهم.....	٨٣٧-٨٣٤
القائلون بتكرر نزولها وأدلتهم.....	٨٣٨
بيان القول الراجح	٨٤١-٨٣٩
دفع الاعتراضات عن القول الراجح	٨٤٥-٨٤١
المبحث الثاني: في قوله تعالى ﴿ويستلونك عن الروح﴾ الآية	٨٥٥-٨٤٦
أدلة القائلين بمكية الآية	٨٤٩
أدلة القائلين بمدنية الآية.....	٨٥١-٨٥٠
أدلة القائلين بتكرر نزول الآية.....	٨٥٣-٨٥١
الترجيح	٨٥٥-٨٥٣
الخاتمة.....	٨٥٦
الفهارس.....	١٠١-٨٦١
أولاً : فهرس الآيات المدروسة	٨٦٥-٨٦٢
ثانياً : فهرس الآيات القرآنية.....	٨٧٥-٨٦٦
ثالثاً : فهرس الأحاديث النبوية	٨٨١-٨٧٦

رابعاً : فهرس الآثار.....	٨٨٢-٨٩٠
خامساً : فهرس الكلمات الغريبة.....	٨٩١
سادساً : فهرس الأعلام المترجم لهم في الحاشية.....	٨٩٢-٩٠١
سابعاً : فهرس الأماكن والبلدان والقبائل.....	٩٠٢
ثامناً : فهرس الأبيات الشعرية.....	٩٠٣-٩٠٥
تاسعاً : فهرس القواعد والمصطلحات العلمية.....	٩٠٦-٩٠٨
عاشراً : فهرس المصادر والمراجع.....	٩٠٩-٩٩٣
الحادي عشر : فهرس الموضوعات.....	٩٩٤-١٠١٠

